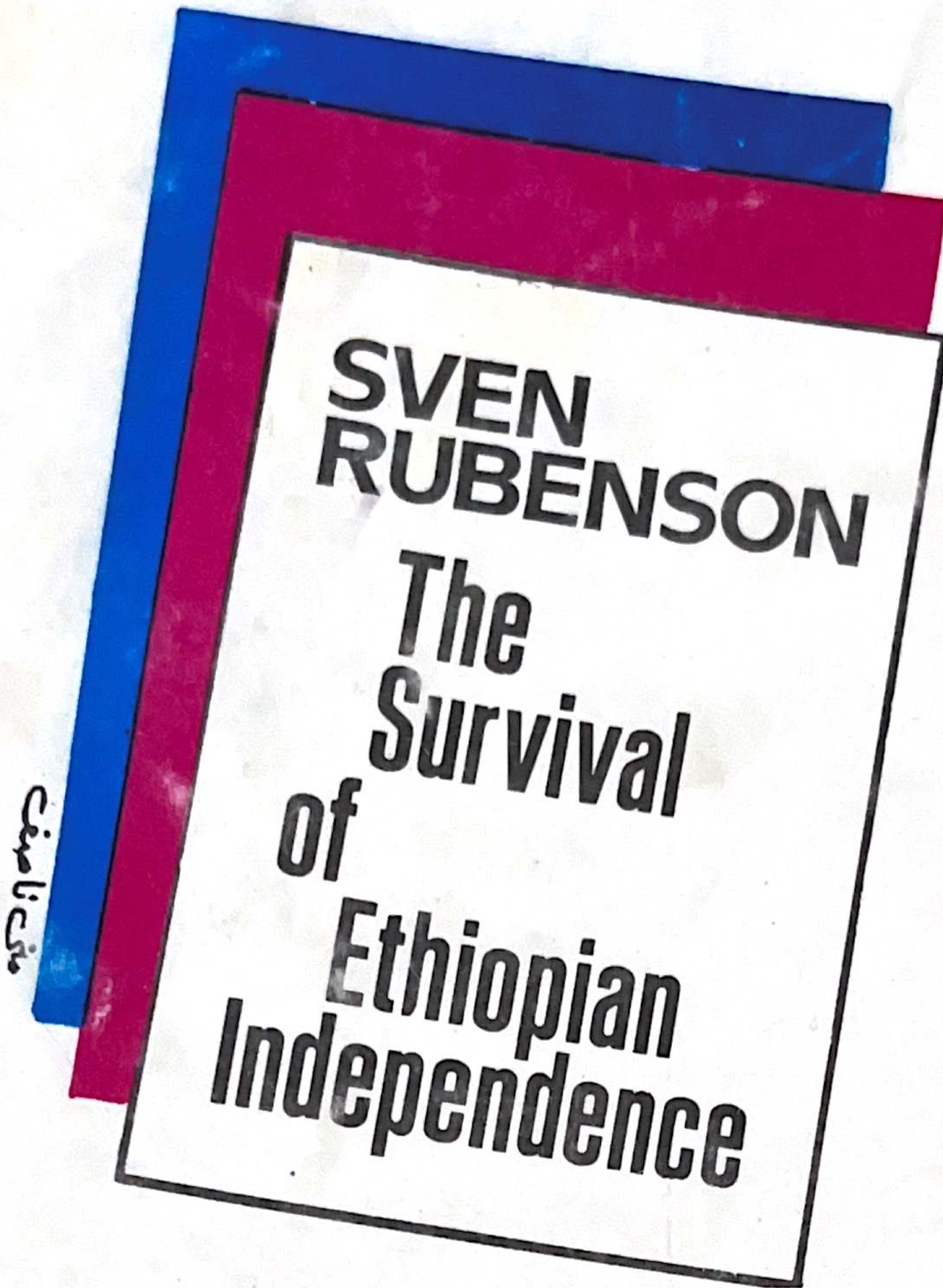
الهيئة العامة للاستعلامات

كتب مترجمة (٨٢٨)



بقاء الإستقلال الأثيوبى

سڤين روبنسون

٩٩/٥/٨

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٨٢٨)

دراسات لوند فى التاريخ الدولى ـ ٧

بقاء الاستقلال الأثيوبى

سيفن وبنسون
أستاذ التاريخ
بجامعة أديس أبابا

وكالة كورزا للنشر
أديس أبابا ـ أثيوبيا ١٩٩١

ترجمـــــة :
د. أبو الحسن محمود سليمان
هويدا عدلى رومان
أميمة عبد العزيز
محمد بهاء الدين أحمد
بلال عبد الموجود

مراجعة فنية : جلال أحمد الرشيدى
اشـــراف : فوزى الجمال

كلمة استهلالية :

أود قبل ارسال جهذا الكتاب الى المطبعة ان اشكر كل من مكننى تشجيعهم ومساعدتهم من استكمال هذه المهمة ، وشارك كثيرون فى اثيوبيا والسويد على مدى خمس سنوات أو أكثر ممن ليس بوسعى أن أذكرهم واحدًا ، وكلى ثقة بأن جميع الأصدقاء الذين لهم صلة بكتاب « بقاء الاستقلال الاثيوبى » . سيشعرون بأنهم ممن تشملهم الكلمات الآتية .

تناولت فى قائمة الكتب ، بالعرفان دور المحفوظات والمكتبات ، والأفراد الذين وضعوا تحت تصرفى مواداً مخطوطة ، كما أن الزملاء الذين تقاسمت معهم ما لديهم من مواد فى حالات خاصة ، تناولتهم فى الهوامش المناسبة . والخرائط التخطيطية التى رسمها الجنرال س . جى . جوردون ، و أ . بى . وايلد نائب القنصل ، والنسخ طبق الأصل من وثائق سجلات وزارة الخارجية تنشر بتصريح من مكتب صاحب الجلالة للشئون المكتبية بلندن ، أما عن النسخ طبق الأصل الأخرى فإننى أدين بها لرئيس المحفوظات الدبلوماسية بوزارة الخارجية ، باريس ، ودار المحفوظات القومية بالقاهرة .

وأدين بالكثير من المقترحات والتعليقات المفيدة لزملائى فى أديس أبابا من دارسى التاريخ الأثيوبى فى القرن التاسع عشر ، الدكتور دونالد كزومى ، والدكتور ريتشارد كولك .

وترجم لى الدكتور جيتاتشيو هايلى ، والدكتور ميريد وولدى آديجاى وثائق مكتوبة باللغة الأمهرية القديمةGiiz كما راجعا بعض ترجماتى من اللغة الأمهرية . أما عن معالجةالوثائق المكتوبة باللغة العربية والتركية فإننى أدين بصفة خاصة للدكتور / سمير غبور بالقاهرة ، والسيد /سينوت خليل بأديس أبابا ، والبروفيسور سينغيز أورهونكر باستنبول .

وقرأ الاساتذة بريجيتاأودين ، وسفن تاجيل ، صن ولوند النص الأصلى جملة وقدما تعليقا له قيمته وتشجيعا كبيرا لهذا العمل .

وأدين أيضا بالكثير للآنسة إنيس مارشال ، المحرر العام لمطبعة جامعة أديس أبابا ، لما أبدته من نصح كخبيرة ، ومن تشجيع ومساعدات لهذا النص .

ولقد كان من المستحيل أن أضطلع بالبحث أو أن أخصص الوقت اللازم لوضع هذا الكتاب دون الدعم المالى السخى من الصندوق المئوى الثالث لبنك السويد ، ولهذا ارجو أن يتقبل مجلس ادارة هذا الصندوق خالص شكرى وأشرك فى هذا الشكر أيضا الاساتذة يركروزين ، ويرجيتا أودين اللذان أوصيا فى خطوة شجاعة بقبول طلبى .

وأخيرا وليس آخرا ، اود أن أعرب عن امتنانى لما أسهمت به زوجتى فى الانجاز الناجح للابحاث وفى كتابة هذا الكتاب . فما كان بوسعى انجاز هذا العمل دون مساندتها الأدبية وصبرها ورغبتها فى التضحية .

ولقد جرى استكمال كتاب « بقاء الإستقلال الأثيوبى » بمناسبة الذكرى السنوية الحادية بعد المائة للانتصارات الأثيوبية بجوندديت ، وجورا ، فقد كان بقاء اثيوبيا آنذاك كدولة مستقلة معرضا للخطر . واليوم يواجه الاثيوبيون مشاكل جديدة ومحيرة بنفس الضخامة .

ومن الطبيعى لمن تهيأ له قضاء ربع قرن من الزمان مع الاثيوبيين ، ولمن حظى مثلى بالالهام والبهجة نتيجة ارتباطه بهم ، أن يرغب ويأمل فى أن يستعرضوا قوتهم الكامنة بداخلهم للتغلب على مشاكلهم الحالية بنفس النجاح الذى حققوه وهم يدافعون عن استقلالهم قبل قرن مضى .

سيفن روبنسون

مقدمة

كيف تسنى أن تحافظ أثيوبيا ، وهى الدولة الوحيدة القديمة فى أفريقيا ، على استقلالها طوال عهد الاستعمار الأوروبى ؟

وكيف صمدت اثيوبيا وحدها كأمة حرة أمام « الزحف من أجل أفريقيا » ؟

إن ذلك يمثل قضية أساسية فى التاريخ الحديث لأثيوبيا .

يعود قدر كبير من مركز اثيوبيا الفريد بين مجموعة الأمم الافريقية فى القرن العشرين الى الحقيقة المعروفة باسم « الصمود والبقاء » فلقد كان الاستقلال عاملا فى تأخير دخول القوى السياسية والاقتصادية الأوروبية فى تلك الدولة وتخفيف ما قد يكون لها من آثار . وفى نفس الوقت هيأ الاستقلال دورا قياديا لاثيوبيا فى العقود الأولى من الفترة الافريقية لتصفية الاستعمار .

ولأثيوبيا تاريخ طويل فيما يتعلق بالبعث الوطنى ، وهو ما يدعو الى السعى من أجل تفسير شاف لعدد من مظاهر مختلفة للغاية للحفاظ على الذات القومية ، وهو ما يفعله أرنولد چيه توينبى عندما يصل الى استنتاج ان خصائص اثيوبيا Abyssinia Etiopia [1] (أو الحبشة) ضمن أمور أخرى هى ان صمود وبقاء استقلالها السياسى فى وسط افريقيا الواقعة تحت السيطرة الاوروبية ، وصمود مسيحيتها القائلة بأن للمسيح طبيعة واحدة ، فى المنطقة الفاصلة ما بين الإسلام والوثنية ، وصمود لغتها السامية بين منطقتى اللغة الحامية واللغة النيلية . . ينبثق من سبب واحد : ألا وهو عدم امكانية اختراق معقل المرتفعات . . وذلك هو تفسير قوة البقاء [2] الحبشية .

ويؤكد چيس مبنسرتر يمينغام بالرغم من انه يضع الروح القومية القائمة على اساس اسطورى ، والعقيدة المشتركة سويا مع « عدم امكان الاختراق المادى » باعتباره احد عاملين يكمنان وراء صمود وبقاء اثيوبيا ــ يؤكد على الأهمية الشاملة للتضاريس الطبيعية للدولة :

---

(١) ظلت إثيوبياEthiopia. أو الحبشةAbyssinia فى نظر الاثيوبين والاجانب كلمتين مترادفتين طوال ٢٠٠٠ علم تقريبا من سنوات التاريخ المسجل ، غير ان الكتاب الأوروبيين عند وضعهم لحد فاصل يقصدون بكلمة AbYSSINIA. (كما يستخدمها توينبى) السكان المسيحيين المتحدثين بلغة سامية بالمرتفعات الشمالية والوسطى من اثيوبيا الحالية ، بينما تشير كلمة اثيوبيا .ETHIOPIA الى الدولة الحديثة . ولم أجد فيما يتعلق بالدراسة فى هذا الكتاب ما يدعو الى التميز فيما بينهما .

(٢) « دراسة للتاريخ » (لندن ، ١٩٣٤ ــ ١٩٦١) ، المجلد الثانى ، صفحة ٣٦٥ .

التى مكنت المسيحية الحبشية من الصمود امام الاخطار المتعاقبة للسيطرة الاسلامية من قبائل البدو ، والمراكز المتقدمة الاستطلاعية للقوة العسكرية العثمانية ، وغزو الجالا المماثل لغزو « الجراد » ومخططات دولة مصر الديكتاتورية الناشئة فى ظل محمد على وخلفائه . . وخطر عرب البكّارة فى عهد المهدية واخيرا خطر الامبريالية الغربية التى كانت تفرض نفسها على كل افريقيا (٣) ، ولا اعتزم انكار أهمية التضاريس الجغرافية فى تاريخ اثيوبيا بصفة عامة ، غير اننى أتساءل بشأن الرأى القائل بأنها لعبت دورا حاسما فى انقاذ الدولة من الامبريالية الاوروبية فى القرن التاسع عشر ، والواقع انه قد يكون غريبا الا تسهم المقارنة فيما بين المرتفعات بزراعاتها المستقرة منذ اكثر من ٢٠٠٠ عام ، والصحراوات او شبه الصحراوات المحيطتين ، فى الاحساس بالانفصال الذى يعتبر واحدا من العناصر الاساسية لوعى قومى ، غير ان هناك امرا مختلفا كلية ، فمن الواضح ايضا ان تأسيس دولة ملكية بجذورها الاسطورية الموغلة فى فترة الكتاب المقدس « العهد القديم » ، والعقيدة المشتركة ، وتقاليد وثقافة كنيسة مسيحية قديمة كانت كلها تمثل رصيدا له قيمته فى صياغة وعى قومى وسياسى جوهرى للبقاء ، والأمر يختلف تماما ، ايضا فيما يتعلق بتقبل هذه العوامل كتفسير كامل وكاف لأى شىء محدد وغير عادى مثل نضال أثيوبيا الناجح ضد الامبريالية الاوروبية .

وقد بذلت اول محاولة لى لتحديد اجابة على مسألة بقاء اثيوبيا من زاوية احداث الفترة الفعلية ، وذلك فى بحث عن التاريخ قرأ فى مؤتمر « ليفرهولمى » الافريقى المشترك بين الكليات الجامعية ، فى سبتمبر ١٩٦٠ (٤) .

وكان رأيى هو ان العوامل ذات الصلة فى هذا الشأن ترجع الى ثلاث فئات :

اولا : الاحوال الدبلوماسية والسياسية والعسكرية على الجانب الاوروبى (والتركى ـ المصرى) .

ثانيا : الاحوال السياسية والعسكرية الفعلية على الجانب الاثيوبى .

ثالثا : اساءة التقدير الخاطئة ، والمتكررة ، لقوة اثيوبيا ، من جانب حماة اثيوبيا وغزاتها .

والفئتان الأولتان من هذه الفئات واضحتان ، وكان اسهامى فى طرحهما هو مجرد تحويل فى الاهتمام ، فقد سلمت بأنه « من زاوية التاريخ الأثيوبى ، فان من الاهمية بمكان اجراء بحث فى الظروف التى كانت فى اثيوبيا والتى مكنتها من الصمود امام الهجمات السياسية والعسكرية ضد استقلالها ، وكان ذلك له اهمية تفوق تناول شتى العوامل الأوروبية التى تعزز او تعوق تقدم الاستعمار فى المنطقة (٥) ، وكان هذا الرأى لا يمثل حقيقة بديهية قبل خمسة عشر عاما مثلما يمثله اليوم .

(٣) الإسلام فى أثيوبيا (اكسفورد ، ١٩٥٢) صفحة ١٤٥ .

(٤) بعض جوانب بقاء الاستقلال الاثيوبى فى فترة الزحف من اجل افريقيا ، والمؤرخون فى افريقيا الاستوائية (سالسبورى ، ١٩٦٠) ، ومجلة University College Review (أديس ابابا ١٩٦١) الصفحات ٨ ـ ٢٤ من الأصل فيما يلى لها صلة بهذه المجلة .

(٥) بعض جوانب بقاء الاستقلال الاثيوبى فى فترة الزحف من أجل افريقيا ، المؤرخون فى افريقيا الاستوائية (سالسبورى ، ١٩٦٠) ، ومجلة أديس ابابا ١٩٦١ صفحة ٩ U ninersity college R eview

فإعادة توجيه التاريخ الافريقى للقرن التاسع عشر والقرن العشرين بعيدا عن التركيز التقليدى على الأنشطة الأوروبية ونحو دراسة اتجاهات وانشطة الافريقيين انفسهم لم يحدث بصورة كاملة تقريبا الا منذ ١٩٦٠ ، وانحسر الجدل حول ما اذا كان هناك « زحف من اجل افريقيا » من جانب « القوى » ام لا . وحظيت قضايا الخبرة الافريقية « بالزحف فى افريقيا » وما فعله الأفريقيون ازاء ذلك بمزيد من الاهتمام ، وأمثلة ذلك كثيرة ، ومنها المجلد الذى نشر مؤخرا بعنوان « الاحتجاج والقوة فى افريقيا السوداء (٦) وبالطبع لا يعنى تغيير الاهتمام ، ان السياسات الدولية آنذاك مع تحالفات ومناقشات القوى الى جانب الحكومات المعنية لم تكن ذات بال ، بل ان ذلك ينطبق ايضا على المعالجة التى كانت تتسم بالمهارة احيانا واحيانا اخرى بعدم المهارة ازاء المفاوضات والقتال الذى دار بين اثيوبيا وبين الدول التى انغمست فى هذه الأمور ، ومع ذلك فان هذه العوامل يجب ان ينظر اليها من وجهة النظر الاثيوبية ايضا . ففى تلك الآونة ، قدمت كل دولة ذات صلة بأثيوبيا دعواها .

ولقد فسر البريطانيون النجاح الذى لا يصدق لحملتهم الحبشية فى ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨م من زاوية التخطيط الدقيق للحملة والمهارة التى نفذت بها ، اما الضباط الامريكيين الذين شاركوا فى الحرب الاثيوبية ـ المصرية ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦م فقد علوا الهزيمة المصرية الى الصراعات فيما بين ضباط الخديوى اسماعيل ، ونقاط ضعف اخرى فى الجانب المصرى .

وجرى تحليل الهزيمة الايطالية فى عدوة فى ١٨٩٦م من زاوية ضعف حكومة فرانسسكو كريسبى داخليا ، وتضارب سياسات بيترو انتونيللى وخصومه الموالية لسيوان ، والتيجريين ، وعمليات النهب العسكرية او الحظ السيىء للجنرال باراتيرى ، اما الفرنسيون فقد ألقوا على البريطانيين لائمة ما واجهوه من مشاق ونكسات ، ولام الايطاليون الفرنسيين . وبدا دور الشعب الأثيوبى وزعماؤه هامشيا فى معظمه .

ولم تعمد المؤلفات التاريخية اللاحقة الى ادخال سوى القليل من التغييرات على هذا النمط ، فالتواريخ الرسمية مثل كتاب جى دوان . « تاريخ حكم الخديوى اسماعيل ، والعمل الكبير للجنة التوثيق للأوبرا الايطالية فى افريقيا تحت عنوان « ايطاليا فى افريقيا : أثيوبيا ـ البحر الأحمر » (٧) تعرض وجهة نظر الجانب المصرى والايطالى من القصة ، كما ان كتاب توماس أ . مارستون THOMAS E. MASToh بعنوان الدور الامبريالى لبريطانيا فى منطقة البحر الاحمر ١٨٠٠ ـ ١٨٧٨م وجورج ماليكوت GEORGES MALICOT بعنوان ، « الرحالة الفرنسيون والعلاقات ما بين فرنسا والحبشة فى الفترة من ١٨٣٥م الى ١٨٧٠م (٨) تؤكد بالمثل الاجراء الاوروبى ، غير ان المؤلفات العادية للتاريخ الاثيوبى فى العشرينيات مثل « تاريخ اثيوبيا »

(٦) روبرت إ . روبيرج ، وعلى أ . مازروى ، « الاحتجاج والقوى فى أفريقيا السوداء » (نيويورك ١٩٧٠) .

(٧) القاهرة ، ١٩٣٦ ـ ١٩٥١ ، وروما ، ١٩٥٨ على التوالى .

(٨) هامدين ، ١٩٦١ ، المجلة الفرنسية لتاريخ ماوراء البحار .

بقلم ا. إيه . واليس بودج ، والتاريخ السياسى والدينى للحبشة . (٩) بقلم جيه . بى . كولبو ، فبالرغم من انها لم تكن مكرسة لتاريخ العلاقات البريطانية او الفرنسية مع اثيوبيا ، توضح مدى سهولة الوقوع (فى الماضى والحاضر) فى فخ كتابة التاريخ الاوروبى بدلا من التاريخ الاثيوبى بمجرد ادخال الاوروبيين فى القصة التى يجرى تناولها .

ولا يعنى هذا بالضرورة ان بعض الروايات مثل هذه متحيزة ضد اثيوبيا ، بل ان اهتمامها مركز على الجوانب غير الاثيوبية .

ولا مفر من اختيار درجة الموضوعية او انعدام الموضوعية من جانب مؤرخى العلاقات الأوروبية ـ الافريقية فى الماضى باعتبار كل حالة على حدة ، كما ينطبق ذلك بصورة واضحة على نتائج التسجيل التاريخى الافريقى الجديد ، أما عن القائمين بالتاريخ على أساس علمى ممن تناولوا العلاقات الافريقية ـ الاوروبية كجانب من التاريخ الافريقى ، مع فضحهم لأى تحيز قد يكتشفونه فى الآخرين ، فهم من المؤكد ليسوا معصومون من الخطأ أيضا ، فكثير من الهياكل الجديدة أو محاولات إعادة الهيكلة سوف تنهار ، ولكن ما يبقى هو « منهج افريقى » لمعالجة هذه العلاقات والاقتناع بأنه منهج مشروع مثله مثل المنهج الأوروبى .

والمسألة ، كما سبق أن أوضحت ليست مسألة تحيز ضد الشريك الافريقى فى العلاقة التاريخية ، ففى عام ١٩٣٥ كتب ارنست ويرك تاريخا دبلوماسيا مؤيدا بشدة لاثيوبيا عن فترة التقسيم بل ان عنوان ما كتبه وهو « أثيوبيا : مخلب فى يد الدبلوماسية الأوروبية » ليوضح مع ذلك دور الشىء الهدف وليس دور الشخص الفاعل ، بالنسبة للشخصية الرئيسية فى المسرحية .

ووردا على سؤال حول ما اذا كانت اثيوبيا مجرد هدف مستهدف وان كان هدفا عسير المنال بالنسبة للامبرياليين أكثر من أجزاء كثيرة أخرى فى افريقيا ، فانه من الضرورى تركيز اهتمام المرء على الجانب الاثيوبى فى مواجهات تلك الفترة ، وقراءة المستندات الاثيوبية واعطائها الاسبقية باعتبارها وثائق تعبر عن وجهة النظر الاثيوبية ، وقد يكون ذلك بمثابة تحميل الأمر أكثر مما يحتمل ، غير أنه ربما قد يكون هناك ما يستدعى القيام بذلك .

وقد ظهرت لحسن الحظ فى السنوات القليلة الماضية معالجة ذات طابع أثيوبى أكثر للتاريخ الاثيوبى فى القرن التاسع عشر ، وهى معالجة وان كانت أقل وضوحا مما فى التاريخ الاثيوبى عامة ، غير أنها معالجة حقيقية ، واعنى بهذا مقالات أو كتب جيل جديد من المؤرخين الاثيوبيين : موردخاى ابيير ، وايلمى ايشيت ، وريتشارد كولك ، ودونالد كرومى ، وكوفى داركواه ، وهارولد ماركوس ، وريتشارد بانخيرسيت ، وزيودى جبر ـ سيلاسى وآخرين ممن تناولوا عددا من جوانب هذه الفترة التشكيلية فى التاريخ الاثيوبى .

وتهيىء بعض كتاباتهم نظرات ثاقبة هامة فيما يتعلق بأسس بقاء وإحياء الاستقلال الاثيوبى ، وهو ما سنورده فيما يلى : انه من الواضح أنه من المستحيل تقديم عرض بين دفتى كتاب واحد لتحليل شامل لكل من العلاقات الخارجية لاثيوبيا فى القرن التاسع عشر ، وعملية التوحيد والدعم

(٩) لندن ، ١٩٢٨ ، وباريس ١٩٢٩ على التوالى .

الكامنة وراء بقائها كدولة مستقلة طوال فترة الاستعمار الأوروبى . ومن الواضح أن هذه العملية عامل حاسم فيما يتعلق بالنتيجة ، غير أننى لم أتناولها الا من ناحية صلتها بالضغوط الخارجية والكيفية التى ووجهت بها هذه الضغوط .

وتعزز انطباعى الأولى ، بشأن الدور الحاسم الذى لعبه سوء تقدير امكانات اثيوبيا من جانب حماتها وغزاتها المرتقبين آنذاك . إذ يبدو ان توحيد اثيوبيا ، وتماسكها السياسى والوعى الدبلوماسى لحكامها ونشاطهم قد فاقت كل التوقعات خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر .

ومنح ذلك لأثيوبيا الفرصة للدخول فى المفاوضات الدبلوماسية وفى الصدام العسكرى بشكل أقوى مما كان يتوقعه خصومها .

وعن كيفية حدوث ذلك ، والسبب فى أن الأوروبيين والمصريين فاتتهم هذه النقطة فهذا هو الموضوع الرئيسى لهذه الدراسة .

وقد حاولت فيما يتعلق بالثلاث الأرباع الأولى من هذا القرن ، تغطية جميع الاتصالات الخارجية ذات الأهمية للتوصل الى مصدر المبادرات والاسهام الذى قدمته فى مجال صياغة سياسة خارجية اثيوبية نشطة .

وثمة دراسات شاملة عن حكم يوهانيس ومينليك إجراها زيودى جبر ـ سيلاسى « عملية اعادة توحيد الامبراطورية الاثيوبية ١٨٦٨ ـ ١٨٨٩ » . وريتشارد كولك « أصول منظور السياسة الخارجية لمينليك الثانى ، ١٨٦٥ ـ ١٨٩٦ »(١٠) .

وعلى أمل أن تظهر نتائجهما قريبا منشورة وتعمل على استكمال قائمة المراجع ذات الصلة بمينليك التى وضعها جى . ماركوس ، والتى نشرت مؤخرا(١١) . ولقد توقفت عن التحليل التفصيلى للصلات الاثيوبية الأوروبية بالانتصارات الاثيوبية فى حرب ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ .

وعلى أية حال فاننى أوردت فى الفصل الأخير من هذه الدراسة الخطوط الرئيسية للمواجهة الدبلوماسية والعسكرية مع إيطاليا وذلك استنادا الى مطبوعات سابقة نظرا لأهمية هذا الصدام كاختبار نهائى لتصميم وقدرة الشعب الأثيوبى على الدفاع عن نفسه ـ ويهيىء تاريخ المرحلة الختامية لنضال اثيوبيا من أجل البقاء ، مثالا ممتازا عن الفارق بين معالجة أوروبية متمركزة ، لموضوع من أكثر موضوعات التاريخ جدلا فى القارة الافريقية (١٢) ، وبين محاولاتى الخاصة لرؤية وتفسير المواجهة التاريخية كمواجهة بين شريكين متكافئين بالضرورة :

(١٠) رسائل للدكتوراه ، اكسفورد ، ١٩٧١ ، ولندن ١٩٦٦ .

(١١) حياة وعهود مينليك الثانى : اثيوبيا ١٨٤٤ ـ ١٩١٣ (اكسفورد ١٩٧٥) .

(١٢) كارل جليو : المادة ١٧ من معاهدة أوكشيالى « جورنال التاريخ الافريقى المجلد السادس ، ٢ (١٩٦٥) ٢٢١ .

أولا ـ عرض عام للمصادر

المراجع فيما يتعلق بالدراسة للتاريخ الاثيوبى فى القرن التاسع عشر، كثيرة ومتنوعة. والعرض التفصيلى لهذه المراجع والتقييم لها قد يجرفنا بعيدا دون الوفاء بأى غرض مباشر، وقد جرى تناول المراجع المحددة ذات الأهمية الكبرى لمحتوى واستنتاجات الفصول الآتية، كل فى اطاره المناسب. وينطبق ذلك على عدد من الرسائل الأصلية من الحكام الأثيوبيين ولا سيما نصوص المعاهدات فى أعوام ١٨٤٣، و ١٨٨٤، و ١٨٨٩، وبعض الوثائق التى تكشف تاريخ أصلها ونشأتها. ونورد فيما يلى عرضا عاما لتعريف القارىء بأنماط المراجع المستند اليها وبعض المشاكل ذات الصلة باستخدامها.

مواد وثائقية:

ـ عند اجراء دراسة ما تلعب فيها العلاقات الدبلوماسية دورا جوهريا، يجب أن تحظى السجلات الدبلوماسية المحفوظة بالاهتمام الكافى، غير أن فكرة الاستفادة منها تطرح مشاكل عديدة، فالملاحظة الأولى هى أن الوثائق التى ترتبط بأثيوبيا متناثرة بصورة واسعة والقليل منها هو الذى نشر، وفى أثيوبيا نفسها لا توجد سجلات محفوظات مركزية منظمة مفتوحة أمام الباحثين. فبعض الأوراق الحكومية من القرن التاسع عشر محفوظة الآن فى أماكن حفظ السجلات فى وزارة القلم، وان كان ذلك على نطاق محدود. وقد حفظت أيضا وثائق عارضة أو مجموعات صغيرة فى كنائس وأديرة، وكذلك عند أفراد بصفة خاصة، غير أن العمل لتعقب هذه الوثائق وتتبعها من أجل أغراض البحوث التاريخية لم يبدأ الا منذ عهد قريب جدا، ولم تنشر فى اثيوبيا أى مجموعات من وثائق القرن التاسع عشر، كما أن الوثائق العارضة التى تظهر منسوخة فى تواريخ عرض الأحداث حسب تسلسلها الزمنى أو فى مؤلفات اثيوبية أخرى يمكن فى الغالب ارجاعها الى مصادر أوروبية.

وثمة عدد من الأسباب يمكن ابداؤها لتفسير ندرة الوثائق الاصلية على الجانب الاثيوبى، وبعضها اسباب خارجية، فسجلات محفوظات الامبراطور تاودروس فقدت فى عام ١٨٦٨ عندما أحرق الجيش البريطانى المبانى التى فوق ميكديلا عقب انتحار الامبراطور.

أما عن وجود مجموعة ما فذلك واضح عن حقيقة أن المبعوث البريطانى هورموزد راسام والذى كان أسيرا هناك لمدة عامين، يتحدث عن ديبترا زينب المسجل للاحداث بترتيب تاريخى،

باعتباره «حافظ السجلات الملكية»(١) ولقد نقل أفراد من الجيش البريطانى بعض الرسائل الى انجلترا، ولكن القليل جدا هو الذى ظهر فى أى سجلات عامة هناك.

وتعرضت اجزاء من سجلات محفوظات الامبراطور يوهانيس لمصير مماثل بعد معركة ميتيما فى عام ١٨٨٩ التى فقد فيها حياته. واثباتا لسقوط الإمبراطور، ارسل الخليفة عبدالله الى لندن بعض الرسائل التى استولى عليها من الملكة فيكتوريا وسالسبورى(٢). وعلى أية حال لم يكشف بحثى فى سجلات محفوظات الخرطوم عن أى أثر لأوراق يوهانيس. وأخيرا حفظ سجلات محفوظات الإمبراطورية مينيليك، أو جزء منها على الأقل فى أديس أبابا حتى عهد الإحتلال الإيطالى. وحينئذ نقلت مجموعات هامة إلى ايطاليا. واستعيدت بعض الأوراق، ودمرت أوراق أخرى على الأرجح، وهناك الآن أوراق أخرى أيضا، وتشمل رسائل أصلية من الملك امبترو إلى الامبراطور مينيليك مع محاضر باللغة الأمهرية وتوجيهات لسجلات الحفظ فى الهوامش، وهى موجودة فى سجلات حفظ وزارة شئون افريقيا الإيطالية السابقة فى روما(٣).

ونتيجة هذا الوضع هوأن علاقات أثيوبيا مع قوى خارجية يتعين معالجتها بصورة رئيسية من خلال سجلات محفوظات تلك القوى، وأكثرها ثراء بالمعلومات هى سجلات المحفوظات البريطانية والفرنسية ولاسيما سجلات وزارة الخارجية البريطانية بمكتب السجلات العامة، وسجلات مكتب الهند بمكتبة مكتب الهند فى لندن، وسجلات محفوظات وزارة الخارجية فى باريس.

واعتبارا من عام ١٨٨٥ حتى نهاية ذلك القرن يصبح ارشيف الوزارة السابقة لشئون افريقيا الإيطالية هو أهم سجلات المحفوظات مع ما به من مواد تكميلية مثيرة للاهتمام فى بعض المخازن مثل Fondo crispi فى الأرشيف المركزى أو دار المحفوظات المركزية للدولة، ومن بعض سجلات المحفوظات الحكومية التى تحتوى على مواد أثيوبية عن هذه الفترة هم: سجلات الأرشيف السياسى للخارجية الالمانية فى بون، ودار الأرشيف المركزى الألمانى، فى بوتسدام، والأرشيف القومى النمساوى أو (الأرشيف الحكومى النمساوى) حاليا، فى فيينا، وأرشيف السياسة الخارجية لروسيا بموسكو وارشيف وزارة الخارجية وأرشيف القصور الملكية فى بروكسل، وأرشيفات الباب العالى باستنبول، ودار المحفوظات القومية بالقاهرة، ومكتب السجلات المركزى بالخرطوم(٤).

---

(١) هورموزد راسام «قصة بعثة بريطانية الى تيودور» (لندن ١٨٩١) مجلد ٢ الصفحات ١٩٢، أنظر فيما بعد.

(٢) اف. آر. وينجيت، المهدية والسودان المصرى (لندن، ١٨٩١) الصفحات ٤٤٤، ٤٤٨.

(٣) انظر على سبيل المثال: الأرشيف التاريخى للوزارة لشئون افريقيا الإيطالية السابقة فى روما ٣٦ / ٢ ـ ٢١.

(٤) لم تتح لى الفرصة للإطلاع على سجلات المحفوظات فى موسكو، غير أن الحكومة السوفيتية تفضلت بتزويدى ببعض الوثائق الهامة اعتبارا من عام ١٨٧٠ فصاعدا فى شكل ميكروفيلم.

وبينما أن المحفوظات البلجيكية ، والألمانية والنمساوية ، والروسية والتركية توضح مواقف هذه القوى تجاه الأنشطة البريطانية والفرنسية والإيطالية ، فإنها تتضمن أيضا أدلة عن الاتصالات المباشرة من آن لآخر . وعلى جانب آخر فالمحفوظات المصرية والسودانية ، والأرشيفات العدنية السابقة تعد محفوظات ذات قيمة كبيرة بصفة خاصة كمصدر للمعلومات والمواد الأولية عن الجانب الاثيوبى فى الموضوع : خاصة محفوظات عدن بصورة رئيسية عن الفترة من عام ١٨٤٠ ـ ١٨٧٠ ، ومحفوظات القاهرة عن الفترة من ١٨٧٠ ـ ١٨٨٢ ، ومحفوظات الخرطوم عن الفترة من ١٨٨٥ ـ ١٨٩٨ .

وقد تم نشر قدر كبير من الوثائق البريطانية والإيطالية فى وقت سابق فى أوراق البحوث البرلمانية لكل حكومة من هذه الحكومات وفيما يسمى بالكتب الزرقاء ، والكتب الخضراء .

وكانت الحكومة الفرنسية أقل سخاء فيما يتعلق بالمعلومات اذ لم يجد طريقه الى الكتب الصفراء سوى عدد قليل جدا من الوثائق التى تشير إلى أثيوبيا . ينطبق الشىء نفسه على مجموعات الوثائق الدبلوماسية التى نشرت فى القرن العشرين مثل Dieg zosse politik ووثائق دبلوماسية فرنسية ١٨٧١ ـ ١٩١٤ . والاستثناء الهام من هذه القاعدة ، هو المجلدات الوثائقية الأخيرة عن « أثيوبيا ـ البحر الأحمر فى سلسلة إيطاليا فى افريقيا » التى نشرتها لجنة توثيق عمليات ايطاليا فى افريقيا . وهى تحتوى على كل شىء تقريبا مما له أهمية ولم ينشر من قبل فى Documenti Diplomotici of the Attiparlomentari

وهذا العمل يغطى إلى حد بعيد الفترة من ١٨٥٩ ـ ١٨٨٩ .

ومن الممكن استخدام المصطلحات الدبلوماسية للحكومتين البريطانية والإيطالية فى شكل صياغة ثالثة وهى ما تسمى بالأوراق السرية أو المطبوعات السرية ، والمسلسل السرى على التوالى ، ويمكن العثور على التقارير العارضة والمذكرات ، أو مجموعات الوثائق المطبوعة من أجل الاستعمال السرى الداخلى ، فى سجلات محفوظات كثيرة أخرى ، غير أن الأوراق السرية للحكومة البريطانية نجدها بصورة خاصة على نطاق مختلف تماما . فقد طبعت وزارة الخارجية وحدها عشرة آلاف من هذه الأوراق فى الفترة من ١٨٥٠ ـ ١٩١٠ ، كما طبعت وزارة المستعمرات ٢٥٠٠ منها حتى ١٩١٦ (٥) والبعض من هذه الأوراق عبارة عن مذكرات موجزة من صفحة واحدة أو صفحتين ، غير أن البعض الآخر يمثل مجلدات كبيرة تصل الى ألف صفحة . وتحتوى قائمة وزارة الخارجية لهذه الأوراق على ٥٤ بندا عن أثيوبيا إعتبارا من عام ١٨٥٤ وحتى عام ١٨٩٦ وهى قائمة شاملة إلى أقصى حد ، إذ تضم مالا يقل عن ١٢٨٠ وثيقة إلى جانب عدد من المرفقات ، أما عن سلسلة الوثائق الإيطالية عن أثيوبيا والتى تحمل رقم ٩٤ فإنها تضم ٢٠ مجلدا من الوثائق المرتبة حسب تواريخها وتغطى الفترة من ١٨٦٢ ـ الى ١٩١٤ .

---

(٥) قائمة الأوراق السرية ذات الصلة بالشئون الخارجية مرتبة حسب الدول من ١ الى ١٠٠٠٠ (لندن) ، قائمة المطبوعات السرية لوزارة المستعمرات حتى ١٩١٦ (لندن ١٩٦٥) .

ونظرا للتداول المحدود للأوراق السرية وطبيعتها باعتبارها أوراق العمل الداخلية ، كان بالوسع ، ـ وهو ما حدث فعلا ـ تضمينها أكثر مما هو موجود فى البحوث البرلمانية . واذا اجرينا مقارنة على سبيل المثال ، بين الكتاب الأزرق عن حكم تاودروس ، « مراسلات بشأن الحبشة ١٨٤٦ ـ ١٨٦٨ » ، وبين مجلدى المطبوعات السرية اللذان يحملان العنوان نفسه (وزارة الخارجية ٤٠١ / ١ ووزارة الخارجية ٤٠١ / ٢) ، فإنه يتضح أن حوالى ٤٠ ٪ من الوثائق المطبوعة من أجل استعمال وزارة الخارجية لها قد وصلت أيضا إلى البرلمان . وتمثل هذه نسبة عالية غير عادية . وهى تعكس فى الغالب الإهتمام العام للرأى العام البريطانى بمصير الأسرى الأوروبيين فى أثيوبيا وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية لشرح كيف وصلت الأمور إلى هذا المأزق . ومن جانب آخر فإن مجموعة المراسلات المتعلقة بمعاهدة السلام الهامة لعام ١٨٨٤ ، أو ما يسمى بمعاهدة هيويت ، انخفضت من ثلاث واربعين صفحة فى المطبوعات السرية (وزارة الخارجية ٤٠١ / ٦) إلى ثمان صفحات فقط فى أوراق البحوث البرلمانية .

وفيما يتعلق بالكثير من القضايا فطبيعة الحال لم يصل الى البرلمان أى أوراق على الإطلاق عنها . ومن جانب آخر تغطى الأوراق السرية لوزارة الخارجية المراسلات ذات الصلة بأثيوبيا تغطية جيدة بما فى ذلك بعض المحاضر ، ومذكرات العمل ، والخطابات الخاصة ، اعتبارا من عام ١٨٥٠ فصاعدا ، بالرغم من أنه لم تصدر أى مسلسلات منتظمة باعداد متعاقبة عن « قضايا الحبشة » (وزارة الخارجية ٤٠١) حتى عام ١٩٠٥ . وقبيل ذلك ، كانت المراسلات بشأن أثيوبيا تصدر فى معظمها باسم أوراق قضايا مصر (وزارة الخارجية ٤٠٧) أو فى أوراق البحر الأحمر والساحل الصومالى ، أو شمال وشرق افريقيا والسودان (كلاهما عن وزارة الخارجية ٤٠٣) ، مالم يكن هناك سبب خاص لإصدار مجموعة منفصلة من الأوراق عن أثيوبيا .

والميزة الرئيسية للأوراق السرية ، الى جانب الميزة العملية لها باعتبارها أكثر يسرا فى التناول والرجوع اليها أكثر من ملفات المراسلات الاصلية ، هى أن المراسلات الاصلية فى ملفات الحبشة (وزارة الخارجية ١) جرى استكمالها فى المطبوعات السرية بمراسلات تتعلق بأثيوبيا ـ من ملفات دول أخرى ومن مواد أخرى ذات الصلة فى هذا الشأن . وهى بالتالى تعد نقطة انطلاق واضحة وبالغة الفائدة يمكن من خلالها التعامل مع مواد سجلات المحفوظات البريطانية عن أثيوبيا . وبالرغم من أن الأوراق السرية « لا تشير بشكل أو بآخر الى الملفات الاصلية ، فان مواد مكتب السجل العام تعتبر منظمة بصورة جيدة للغاية بدرجة أنه ليست هناك أية صعوبة فى الانتقال الى المراسلات الاصلية فى النقاط الهامة وامكان معرفة ما اذا كان قد تم حذف شىء ما له أهمية خاصة .

وبينما يثبت التشتت الجغرافى للوثائق الاثيوبية تشعب الصلات الخارجية للحكام الاثيوبيين ، فاننا نجد أن معالجة الوثائق فى شتى سجلات المحفوظات تبرز الصعوبات التى تجمعت عن قضايا الوضع الدولى لاثيوبيا وحكامها ، كما تبرز القنوات المناسبة للاتصالات مع هؤلاء الحكام . وباستثناء القنصلين البريطانيين ولتر بلودين ، ودنكان كاميرون ، فى الفترة ١٨٤٨ ـ ١٨٦٨ ، لم يحدث أن تم تعيين ممثلين دائمين على المستوى الدبلوماسى أو القنصلى لدى اثيوبيا ، الا بعد

معركة عدوة ، وكانت المهمة الرئيسية للممثلين القنصليين الفرنسيين والبريطانيين فى مصوع هى متابعة امكانات الاحتمالات التجارية ، والاحوال السياسية فى اثيوبيا ، غير أن موقفهما تجاه اثيوبيا من جانب ، وتجاه تركيا / مصر من جانب آخر كان يتسم غالبا بالغموض (٦) .

وكانت المراسلات البريطانية مع اثيوبيا ترسل أحيانا من مكتب الهند عن طريق بومباى وعدن ، غير أنها كانت تمر عادة من وزارة الخارجية ، عن طريق القنصل العام بالقاهرة ، أو عن طريق مبعوث خاص ، ومن بين سجلات مكتب الهند كانت ملفات « الرسائل السرية من عدن » ، ابتداء من ١٨٤٢ (والتى أعيد تسميتها باسم « الرسائل السياسية والسرية فى ١٨٧٥) وكذلك ملفات « مراسلات الحبشة الاصلية » للفترة ١٨٦٧ - ١٨٧١ ، ملفات ذات قيمة كبيرة ، وفيما يتعلق بالقضايا التى تناولتها هذه الدراسة فان سجلات وزارة الخارجية تعتبر هى المصدر الرئيسى لذلك ، فالى جانب ملفات الحبشة ، « سجلات وزارة الخارجية رقم ١ » والتى تبدأ بعام ١٨٠٨ ، كانت « ملفات تركيا - سجلات وزارة الخارجية رقم ٧٨ » هى التى تمثل أكثر الملفات أهمية الى أن حلت محلها ملفات ايطاليا فى ١٨٨٥ سجلات وزارة الخارجية رقم ٤٥ » .

واعتبارا من تلك السنة حتى ١٨٩٧ ، انقطعت واحتجبت ملفات الحبشة . وتمثل مجلدات الرسائل الملكية فى سجلات وزارة الخارجية البريطانية رقم ٩٥ أهمية بالغة لكل من يرغب فى تفهم وجهة نظر الجانب الاثيوبى من التاريخ ، اذ لا يتوقع للوهلة الاولى أى أمرىء أن تتضمن هذه الملفات المخصصة كلية للخطابات عن المواليد والوفيات والزيجات فى عهد الملكة فيكتوريا والعائلات الاخرى ، أى شىء له أهميته السياسية فيما يتعلق بافريقيا ، غير أن الدهشة أصابت القائمين على هذه المحفوظات - وكان ذلك فى عام ١٩٥٣ ، وأصابتنى أنا نفسى ، لتكشف عن وجود عدد من الرسائل من ملوك أراضى غريبة فى نهاية كل مجلد تقريبا من المجلدات السنوية للنصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ولقد كان هناك ما يزيد عن خمسة وعشرين رسالة أصلية هامة تمثل رسائل من الحكام الاثيوبيين خلال الفترة الحرجة فى العلاقات الاثيوبية - البريطانية من عام ١٨٦٢ الى عام ١٨٨٧ .

وفى محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية بباريس نجد أن المسلسلات بالغة الاهمية للمواد الاثيوبية هى :

ذكريات ووثائق ، افريقيا ، الحبشة والبحر الاحمر . مراسلات سياسية ، (مصر) ، مصوعMassouoh ، ومراسلات تجارية - مصوعMassouoh ويسير المسلسلان الخاصان بملفات « ذكريات ووثائق » واللذان يبدءان بعام ١٨٣٨ و ١٨٣٩ على التوالى ، وكذلك المسلسلان الآخران اللذان يبدءان بعام ١٨٤٠ ، يسيران فى خط متواز دونما عائق نتيجة الدعاوى الايطالية بزعمهم بتولى ادارة الشئون الخارجية لاثيوبيا من ١٨٨٩ الى ١٨٩٦ . ويبدو أن المبدأ الاساسى كان

(٦) أنظر الصفحات رقم ١٠٩ ، و١١٩ - ١٩٢١ بالاصل .

هو وضع جميع الوثائق المرتبطة بالبعثات الخاصة أو المبعوثين الخصوصيين الى اثيوبيا فى « ذكريات ووثائق » وهى التى نجد فيها التقارير بالغة الشمول ، وأكبر عدد من الرسائل الاصلية من أثيوبيا .

ونجد التقارير المنتظمة من الممثلين الدبلوماسيين والقناصل فى ملفات « المراسلات » . وبالاضافة الى المجموعات فى وزارة الخارجية الفرنسية ، نجد موادا عن اثيوبيا فى محفوظات وزارة البحرية والوزارة الفرنسية السابقة لما وراء البحار ، الآن قسم ما وراء البحار المحفوظات القومية) وكانت هذه الوزارة الاخيرة قد ورثت محفوظات وزارة المستعمرات والتى كانت حتى ١٨٩٤ مندمجة بالتناوب مع وزارة البحرية ، ووزارة التجارة والصناعة .

وتتركز مواد الدبلوماسية الايطالية المتعلقة بأثيوبيا بصورة مكثفة فى محفوظات الوزارة السابقة لافريقيا الايطالية ويرجع ذلك الى أن المحفوظات الافريقية للقرن التاسع عشر بوزارة الخارجية نقلت الى وزارة المستعمرات ، وهى وزارة افريقيا الايطالية فيما بعد ، وقد أعيدت الآن الى وزارة الخارجية ، غير أنها تشكل مجموعة منفصلة بها . ومن الوثائق بالغة الاهمية التى لم تنقل - أصول المعاهدات بين الحكام الاثيوبيين وايطاليا . وهى موجودة فى محفوظات وزارة الخارجية .

وعن الملفات الموجودة فى المحفوظات التاريخية لوزارة افريقيا الايطالية والبالغة الاهمية فيما يتعلق بالفترة حتى ١٨٩٦ فهى Ethiopia, Posiz 1,3,7—8 and 14, conferenze internzionale econgressi, posiz 155 . أما عن بعض الاوراق الحكومية التى كان من المتوقع العثور عليها سواء فى محفوظات وزارة افريقيا الايطالية أو المحفوظات التاريخية لوزارة الخارجية ، فانها موجودة فى محفوظات كريسبى الخاصةFond crispi بالمحفوظات المركزية للدولة .

وتتوزع المواد المتعلقة بأثيوبيا فى دار المحفوظات القومية بالقاهرة حسب اللغة التى كتبت بها .

أولا ما بين المحفوظات التركية / العربية والمحفوظات بالفرنسية . وبالرغم من وجود « الحبشة : دوسيه عام » فان الوثائق التى بالفرنسية من أثيوبيا أو عنها مدرجة فى الغالب تحت عناوين « السودان ، وافريقيا الشرقية أو السودان وافريقيا الاستوائية ، ويوجد عدد هام جدا من الرسائل باللغة العربية والأمهرية من أثيوبيا فى صندوق وثائق متنوعة مصفف تحت اسمBohr Barra (كرتونة رقم ١٩) . ويرجع تاريخها الى عام ١٨٤٢ . وتوجد وثائق أخرى فى صناديق مدرجة تحت اسمMaia sanieh(مجلس الوزراء) أو عابدين (القصر) . وهناك مواد كثيرة متكررة ومزدوجة فى سجلات (أو دفاتر الرسائل) الأوامر العليا ، والخطابات والتلغرافات الصادرة والواردة . والمواد المتعلقة بأثيوبيا ليس من السهل تحديد مكانها . وقد اضطررت فى بعض الحالات الى الاشارة الى مقتطفات نشرها جى - دوين فى « تاريخ حكم الخديوى اسماعيل » دون أن أستطيع من التأكد منها .

وتعد سجلات الحفظ بالخرطوم أيسر مثالا ، كما أنه قد جرى فحص الوثائق من المهديةMahdia بصورة دقيقة على مدى العشرين عاما الماضية(٧) فالمراسلات بين الخليفة وجنرالاته من جانب ، ويوهانيس مينليك ، وأثيوبيين آخرين من جانب آخر ، تشمل عددا من الرسائل الاصلية باللغة الأمهرية والعربية الى الجانب الاثيوبى . وأهم سلسلة هنا هى المهدية ٥٥/١ ، وكانت من قبل برقم ٣٤/١ .

أما عن مجموعات المحفوظات التركية فهى هائلة . ولم اتمكن من الاطلاع الا على محفوظات وزارة الخارجية ، ومجلدات هاريس نيزراتى آرسيفى والمجلدات المصرية بمجموعةIrade فى محفوظات رئيس الوزراء ، وباسباكانليك آرسيفى جينيل ميديريليجى ، وكلاهما بالباب العالى فى استنبول ، والاول باللغة الفرنسية والاخير باللغة التركية .

وبالحكم من واقع ما وجدته هناك ، فان الوثائق عن اثيوبيا ليست كثيرة جدا ، اذ ينعكس ارتباط اثيوبيا حسب الادعاءات التركية بولاية جابشتان العثمانية ، وتصاعد الادارة الذاتية لمصر فى الشئون الخارجية ، فى الوسائل التى جرى بها تناول الوثائق المتعلقة بأثيوبيا . وعلى سبيل المثال ، هناك فى محفوظات وزارة الخارجية ، ملف الحبشة ، غير أن معظم الوثائق عن اثيوبيا موجودة مع ذلك فى سلسلة مصر .

وتنقسم الان محفوظات وزارة الخارجية الألمانية(Auswartiges Amt) بين المحفوظات الألمانية السياسية الألمانية الخارجيةPolitisches arshiv des auswartigen Amts بون ، والمحفوظات المركزية الألمانية فى بوتسدام . وكان جزء كبير جدا منها قد تم الاستيلاء عليه وتم تصويره على أفلام مصغرة فى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى قبيل اعادته الى ألمانيا الغربية (٨) . وكانت وثائق الادارة السياسية تحمل الرقم ١ ، ثم ١ ألف ، و ١ باء وواحد فما بعد الخ .

وبدأت ملفات الوثائق الأثيوبية فى ١٨٥٨ ، غير أنه من المؤسف ، ان أول مجلد لم يمكن تحديد مكانه فى المحفوظات الالمانية المركزية فى مارس ١٩٧١ بالرغم من وروده فى قائمة بعد الحرب العالمية الثانية على أنه محفوظ بها . وبدأت سلسلة جديدة للحبشة فى عام ١٨٧٢ تبعتها فى عام ١٨٨٦ سلسلة عن ايطاليا فى افريقياItalienische Besitzungen in وعن المحمية الايطالية الحبشية Italienisches protektorat uber Afrika,nassaua, A bessinien

(٧) بى . إم هولت ، محفوظات المهدية ، ملاحظات وسجلات السودان ، ٣٦ ، ١ (١٩٥٥) الصفحات ٧١ـ ٨٠ ، جى . إن . ساندرسون ، اسهامات من المصادر الافريقية فى تاريخ المنافسة الاوروبية فى الوادى الأعلى للنيل . جورنال التاريخ الافريقى ، ٣ ، ١ (١٩٦٢) الصفحات ٦٩ـ ٩٠ .

(٨) إف . إبشتاين ، دليل الوثائق الألمانية المستولى عليها (نيويورك ، ١٩٥٢) ، قائمة الملفات والافلام المصغرة لمحفوظات وزارة الخارجية الالمانية ١٨٦٧ ـ ١٩٢٠ (اكسفورد ١٩٥٩) ،iibersicht iiber die bestande des deutehen zentralarchivs potsdam (Berlin 1957)

فى عام ١٨٨٩ الخ . وهذه المواد موجودة فى سجلات محفوظات بون . ويوجد عدد آخر من المحفوظات هناك ، وفى بوتسدام وهى تضم مواد أثيوبية أيضا . ومقارنة بما فى بون وبوتسدام ، تعتبر المجموعات المحفوظة فى بونديز آرشيف ، كوبلينز ، وجيهامز ستات آرشيف ، وبرليندا هليم ذات أهمية ضئيلة فيما يتعلق بأثيوبيا خلال القرن التاسع عشر .

أما فى الأرشيف القومى النمساوى وهى الانOsterreichisches Staatarchiv بفيينا فإن أقدم الوثائق التى تشير الى بعثة اثيوبية فى عام ١٨٧٢ توجد فى الارشيف السياسى الثامن بانجلتراPolitisches A rchiv viii, England. فى الفترة من ١٨٨٥ حتى ١٨٩٠ وضعت معظم المواد فى ملفPaxxxi, A gyptenj, Italien in Roten Meer. وفى مسلسلات ايطاليا فيما بعد .

وفى عام ١٨٤٠ ، أسفرت اهتمامات القنصل البلجيكى الأول فى مصر ، ادوارد بلونديل عن انشاء ملف استعمارى خاص وملف لاثيوبيا فى مسلسل افريقيا4.- A f ، الحبشة بوزارة الخارجية البلجيكية ، واستمر وجود أول ملف عن الحبشة مع اضافة وثائق متقطعة حتى عام ١٩٠٢ . وتوجد وثائق عارضة فى ملفات Af الأخرى ، مثل « مصر والمستعمرات الايطالية » .

وتندرج المراسلات مع مصر وايطاليا والحكومات الأوروبية الأخرى بشأن المسائل الاثيوبية فى معظمها فى سلسلة « مراسلات سياسية » وثمة ملفات ذات أهمية خاصة ، وهى ملفات اتفاقيات بروكسل العامة.A cte general de Bruxelles حيث توجد وجهات نظر جميع الحكومات الأوروبية المعنية حول دعاوى ملكية المحمية الايطالية .

وتوجد أيضا وثائق هامة فى محفوظات القصر الملكى فى بروكسل عن « واقعة مينيليك » فى مؤتمر بروكسل وعن تأجير اريتريا المقدم لليوبولد الثانى بعد معركة عدوة .

ولا تختلف مشاكل تحديد مكان المواد الأثيوبية فى شتى المحفوظات بالرغم من أنها مشاكل كبيرة ، عن تلك المشاكل التى يواجهها المؤرخون عند رجوعهم الى المحفوظات ذات التنظيم الأقل الى حد ما بصفة عامة ولربما كانت درجة الاختلاط عالية الى حد ما ، اذ يبدو أن نسبة الرسائل التى اختفت أو وضعت فى غير مكانها أو صدرت ولم يتم الرد عليها كانت أكبر ، وفى بداية تلك الفترة ، كان ذلك يرجع جزئيا وعلى الأقل الى عدم انتظام هذه الاتصالات ، وفى النهاية ، كان من نتائج ذلك مطالبات ايطاليا فى أحقيتها فى معالجة وتولى العلاقات الخارجية الأثيوبية . وعلى سبيل المثال فان الموقف الذى اتخذته الحكومة البريطانية فيما يتعلق بهذه المسألة يفسر السبب فى عدم ورود الرد على رسالة أرسلها منيليك الى فيكتوريا فى عام ١٨٩٣ . أما عن السبب فى ظهورها دون ترجمة من اللغة الأمهرية بين « الرسائل الملكية للفترة ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ فانه أمر يصعب شرحه(٩) .

ولا يلى فى أهمية المحفوظات الحكومية سوى محفوظات شتى الجمعيات التبشيرية التى كان لها أنشطة فى اثيوبيا فى القرن التاسع عشر وهى :

(٩) محفوظات وزارة الخارجية ٧٣٣/٩٥ .

جمعية التبشير الكنسية (CMS) ، وبعثة الحج ، ومجمع البعثة (المجذوبين) ، والبعثة السويدية الانجليكية ، من بين أهم الجمعيات . وتعتبر سجلات محفوظات جمعية التبشير الكنسية غنية جدا ويسهل الاطلاع عليها ، أما عن بعثة الحج فان أفضل مجموعة هى C.FS pittler المحفوظة فى Staatsorchiv des kantons basel stadt[10] والى المجمع المسمى Socra privat Archiv 653 وجرى توجيه مراسلات بعثات الجذام الى مقارها الرئيسية فى فرنسا والى المجمع المسمى congregazione de propoganda fide فى روما حيث توجد مراسلات مبشرين كاثوليك آخرين وكذلك عدد قليل من الرسائل الأصلية من الحكام الأثيوبيين .

وكذلك تعتبر محفوظات البعثة الانجليكية السويدية ، المودعة لدى الأرشيف الحكومى باستكهلم ، غنية للغاية فى مادتها عن اريتريا بصورة خاصة . وثمة قدر هائل من المراسلات التبشيرية نشر فى صحف شتى المنظمات التبشيرية ، مثل (church Missionary record، السجل التبشيرى الكنائسى ، حوليات مجمع البعثة a nnales de la congregation de la nission, missionstidning) الخ ، ولكن هناك بالطبع أسئلة لا يمكن الرد عليها الا بالرجوع الى مواد المحفوظات .

صوت الأثيوبيين :

وفيما يتعلق بالتاريخ الافريقى ، تعد الروايات التقليدية الشفهية ، بديلا عن التقارير والتفسيرات المقدمة من القناصل والمبشرين والأوروبيين الآخرين الموجودين هناك ، ويهيىء واقع أن معظم زعماء أثيوبيا السياسيين والكنسيين كانوا متعلمين ، فرصة لدارس التاريخ الأثيوبى للتعرف بوضوح على حقيقة ما قاله ممثلى هذا الشعب الافريقى فى المفاوضات مع الاوروبيين .

والمشكلة الحقيقية بل والتحدى فى استخدام السجلات الدبلوماسية للمحفوظات الأوروبية لدراسة التاريخ الأثيوبى لا تكمن فى تحديد الوثائق أو فى اقرار توقيت نشرها كمطبوع سرى أو كوثيقة أصلية ، فمن السهولة بمكان فحص ومراجعة ترجمة مطبوعة لوثيقة بالأمهرية مع ترجمة غير مطبوعة ، وبالتالى التوصل الى اختلاف فى الترجمات أو التوصل الى وجود حذف ما ، وعلى أية حال ، فان محاولات البحث عن حقيقة مثل هذه الأمور قد توقفت كلية . ولم يكن من الضرورى القيام بذلك .. فلكى يمكن معرفة علاقات أثيوبيا بالقوى الأجنبية بشكل صحيح ، فمن المؤسف أن يتجاهل المؤرخون حتى وقتنا هذا وبشكل شبه كامل الأصول الأمهرية .

---

(١٠) واعرب عن امتنانى للدكتور دونالد كرومى والقس جوستاف آرين لاقتسامهما معى لمذكراتهما وأفلامهما المصغرة (ميكروفيلم) لمجموعة سيلتر ، ولمواد من Archiv der basler mission على التوالى ولمزيد من المعلومات عن المصادر التبشيرية ، انظر دونالد كرومى : « قس وسياسيون (اكسفورد) ، عام ١٩٧٢ ، الصفحات ١٥٢ - ١٥٦ ، و« مصادر تبشيرية واسهامها فى تفهمنا للتاريخ الأثيوبى ١٨٣٠ - ١٨٦٨ ، الريف الافريقى - ١١ (١٩٧٠) .

ويمكن استثناء اتفاقية ويهالى wichale لعام ١٨٨٩ لأنها حالة خاصة تعادل أهمية الوثائق فيها نصوص الاتفاقية ، إذ ان السياسيين لم يعترفوا بالنصوص الامهرية أو على الأقل عمدوا الى تجاهل الاختلافات فى الترجمات ، وفوق هذا كله اتخذ المؤرخون نفس الموقف . وهكذا فان النصوص الفرعية غير الأصلية التى استرشدت بها الحكومات الاوروبية فى القرن التاسع عشر فى وضع سياساتها والتى يمكن أن تعتبر فى حالات كثيرة أساسا مرضيا لكتابة التاريخ الاستعمارى الأوروبى . أصبحت المصدر والمرجع الأخير للمؤرخين الأوروبيين فيما يتعلق بالتاريخ الاثيوبى أيضا .

وقد كشفت لى احتكاكاتى الأولى بالأصول التى باللغة الأمهرية أن العديد من الترجمات غير مرضية ، بل وليس فى الامكان أن يطلق عليها فى بعض الحالات اسم ترجمة ما على الاطلاق . فسواء أكانت ترجمة لاثيوبيين من ذوى المعرفة الضئيلة بالانجليزية أو الفرنسية أو الايطالية أو ترجمات قام بها فى الغالب أوروبيون من ذوى الالمام الضعيف باللغة الأمهرية ، فهى ترجمات لم تضلل فحسب الحكومات الأوروبية آنذاك فيما يتعلق بمواقف وخطط وطلبات حكام أثيوبيا ، بل وضللت المؤرخين أيضا ، بل ويبدو حتى فى الحالات التى توجد فيها بالملفات الترجمة الصحيحة والترجمة غير الصحيحة ، فان المؤرخين كانوا يأخذون مأخذ التسليم بأن النص الذى تستخدمه الحكومة الأوروبية المعنية آنذاك لابد وأن يكون نصا صحيحا ، وهذا فى نظرى هو المجال الحقيقى الدقيق الوحيد حيث لا بديل فى الوقت الحاضر عن ملفات المراسلات الأصلية ، ولأن الوثائق الأثيوبية قليلة جدا مقارنة بجميع تقارير الجهات الأخرى الأجنبية ، ولأنها وحدها يمكن حقيقة اعتبارها مصادر أساسية لوجهة النظر الأثيوبية لذا فان من الضرورى بالتالى أن تدرج هذه الوثائق فى الاعتبار . وأملى أن تثبت هذه الدراسة فى جملتها هذه النقطة ، غير أنه قد يخرج عن النطاق فى هذا الصدد عدد قليل من الأمثلة .

وفى ١٨٢٨ وصل الانجليزى وليام كوفين الى لندن حاملا لرسالة من ديجاز ماتش سيبا جاديس الى جورج الرابع ، وكان يجرى دائما تقديم حاكم تيجرى هذا باعتباره من أوائل حكام أثيوبيا المتحدثين المتفتحين ذهنيا الى حد ما ، باعتباره الرجل المتعلم المستنير والذى سافر كثيرا وأنه الرجل الذى تجنب وابتعد عن « السياسات الدنيئة والخطرة » لوسط اثيوبيا تجاه الساحل ، وادرك ماقد يصيب الدولة بفتح بواباتها أمام النفوذ الخارجى[11] . وعلى كل فيجب مناقشة مدى صحة وجهة النظر هذه فى مكان آخر[12] . غير أن عبارة « آمل أن تحصل على ميناء ماسوين وأن تتخلى عنه لنا أو تحتفظ به فى حيازة جلالتكم . . » والتى يقال انها وردت فى الرسالة سالفة الذكر لا يمكن الرجوع اليها كدليل على أنه حاول بجدية لأول مرة فى العهد الحديث . . . أن يحطم حائط العزلة الموجود حول أثيوبيا وإقامة جسر يؤدى الى أوروبا المسيحية[13] .

---

(١١) سفين هـ . لونجزيج ، « التاريخ الموجز ، « التاريخ الموجز لاريتريا » (اكسفورد ١٩٤٥) ص ٨١ .

(١٢) انظر الصفحات ٥٨ ــ ٦٣ (من الأصل) .

(١٣) مورد خاى عبيد « اثيوبيا فى عهد الأمير » (لندن ١٩٦٨) ، ص ٣٥ نقلا عن محفوظات وزارة الخارجية ١/٢ ، الحافظة ١/٢ ، من سياجاديس الى جورج الرابع ، ٢٤ أبريل ، ١٨٢٧ ، نص كوفين .

فإن رسالة سيبا جاديس وهى الرسالة الوحيدة التى كتبها الى أى ملك أوروبى ، لم يرد فيها ذكر لمصوع ولا للساحل (١٤) . والعبارة تظهر فى وثيقة بالانجليزية موقع عليها من كوفين . وقد جرى تجاهل ترجمة سيئة ولكنها أمينة للخطاب الذى كان باللغة الأمهرية وهى ترجمة تمت فى عام ١٨٢٩ (١٥) .

وفى ١٨٤٩ ، قدم ولتر بلودين رسالة أصلية مختومة من ديجازماتش ويبى هايلى ماريام الى الملكة فيكتوريا . ومعها ترجمة بخط يد بلودين .

ويضيف القنصل كلمة « مؤخرا » فيما يتعلق باحتلال مصوع فى (١٥٥٧) على يد الاتراك ، ويعزز باصرار على أنه ما كان يتعين على الاتراك أن يطئوا تلك الارض الأم ، بل ويسلك فى حق الاتراك فى جزيرة مصوع نفسها ، دون ورود ذلك فى الرسالة الأصلية على الإطلاق (١٦) .

وتتكشف المشكلة بالنظر الى رسالة الامبراطور يوهانيس الى الملكة فيكتوريا بتاريخ ١٣ اغسطس ١٨٧٢ . اذ تكشف مقارنة النص فى « المطبوعات السرية » بالنص الذى باللغة الانجليزية فى المراسلات الأصلية للحبشة ، عن عدم وجود أى حذف ، بل وحتى ما أضيف فى نهاية الرسالة وهى عبارة « ترجم بمعرفة مترجم الملك الى الجنرال جيه سى . كيرخام . . . كان أيضا مترجما وليست هناك محاضر تشير الى أن الرسالة التى باللغة الأمهرية قد ترجمت على الاطلاق فى انجلترا . ولقد تم قبول النص بالانجليزية بصورة طبيعية وبنية حسنة بوصفها رسالة يوهانيس الى فيكتوريا . وعلى العموم كانت الترجمة لرسالة من اللغة الأمهرية عملية مكلفة للغاية .

كما أن الحكومة البريطانية لم يكن لديها آنذاك أدنى إهتمام باجراء مراسلات مع امراء اثيوبيين (١٧) . غير أن الترجمة الإنجليزية تحذف جزءا طويلا الى حد ما وهاما جداً ، وهو الذى جاء فى نهاية الأصل الذى كان باللغة الأمهرية ، والذى يتهم فيه يوهانيس المبشرين الكاثوليك بتحريض الشعب على عدم دفع الضرائب اليه ، على أساس أنهم كاثوليك وتحت حماية القنصل الفرنسى فى مصوع (١٨) .

وامثلة الإضافات وإساءة الترجمة والحذف ، عديدة ، وليست بالطبع قاصرة على الوثائق المحفوظة فى المحفوظات البريطانية ، بالرغم من أننى اخترت أمثلتى الثلاثة منها . وثمة تباينات من هذا النوع سيجرى تناولها فى النص أو فى الهوامش فى الفصول التالية . وأحيانا لا يكون لها وجود منها فى المراسلات أهمية ، لأن الأمور التى يجرى تناولها ذات أهمية طفيفة . واشد تلك

(١٤) محفوظات وزارة الخارجية ١/٢ ، الحافظة ٢٦ ، الأصل باللغة الأمهرية .

(١٥) نفس المرجع الحافظة ٩ ، ترجمة صامويل لى .

(١٦) محفوظات وزارة الخارجية ، حافظة ٣٠٠ ــ ٣١١ ، ويبى الى فيكتوريا انظر فيما يلى الصفحات ١٢٣ ــ ١٢٤ من الأصل .

(١٧) محفوظات وزارة الخارجية ١/٢٨ تحتوى على عدد من المحاضر فى هذا الشأن ، انظر الصفحات ٢٨٣ ــ ٢٨٤ من الأصل الانجليزى .

(١٨) محفوظات وزارة الخارجية ٩٥/٧٣١ ، رقم ١٤٣ ، ومحفوظات وزارة الخارجية ١/٢٧ ب ، الحافظة ٨ ــ ١٢ ، و ٥٧ ــ ٨ ، انظر فيما يلى الصفحات ٢٩٨ ــ ٣٠٠ من الأصل الانجليزى .

التباينات جدية هى تلك التباينات الموجودة ما بين النصوص التى باللغة الأمهرية والإنجليزية ، أو الفرنسية أو الإيطالية للمعاهدات .

وفى حالة معاهدة ويهالى wichale´ أصبح هناك نصين ، كما أصبح الإختلاف بين النصين باللغة الأمهرية ، والإيطالية للمادة السابعة عشر أمرا معروفا لدى الدارسين الأوروبيين المهتمين بالتاريخ الأثيوبى بشكل حقيقى منذ توقيع تلك المعاهدة . ولقد « حظيت تلك المادة آنذاك بالكثير من التعليق الذى اتسم بالدوافع السياسية . وظلت نقطة التباين تذكر بصورة مستمرة فى المؤلفات التاريخية ، غير أنه لم تبذل أى محاولات جدية حقيقية لسبر أغوار أهمية وجود نصين حتى ظهور مقالى فى عام ١٩٦٤ (١٩) . بعنوان « الفقرة التى جاءت عن المحمية بمعاهدة ويهالى . وفى جميع الحالات الأخرى ، تجاهل المؤرخون النصوص التى باللغة الأمهرية . وأيا كانت الاسباب التى دعت الى ذلك فان ذلك أدى الى تكون النظرة لما ينبغى للعلاقات بين اثيوبيا والحكومات الأوروبية أن تكون عليه ــ كانت نظرة غير دقيقة وغير متكاملة .

وفى هذا الصدد فان اتفاقية « روشيه ديريكور » مع ساهلى سيلاسى ، الشيوى فى ١٨٤٣ ، وما يسمى معاهدة هيويت لعام ١٨٨٤ ، وما سبق معاهدة ويهالى من معاهدات ــ كل هذه الاتفاقيات تشكل أهمية خاصة (٢٠) .

تقارير واقاصيص وذكريات لأوروبيين :

وقد قمت بمراجعة المراسلات والتقارير والأقاصيص والمذكرات الأخرى المنشورة فيما يتعلق بكثير من النقاط ، غير أننى بالتأكيد لا أدعى أننى استطعت تغطية كل شىء . وأود أن أذكر بصورة خاصة من بين مارجعت اليه من دوريات ، الدوريات التالية :

وكذلك نشرة الجمعية الجغرافية Mittheilunyen ons justus perthes geog-raphischer a nstalt von A. peterman. ودورية حول العالم Le tour du monde.

ولقد سبق أن ظهرت بعض المواد أولا فى الدوريات البحثية ، ودوريات البعثات ، وظهرت مرة أخرى فى صورة أقاصيص ومذكرات ككتب من جانب الكثير من الاشخاص الذين كانوا على مسرح الأحداث الأثيوبية أو جانب المراقبين لهذه الاحداث .

(١٩) سفين روبنسن « فقرة الحماية بمعاهدة وشاليه » ، ٧ (١٩٦٤) ، صفحات ٢٤٣ ــ ٢٨٣ من اجل دراسة الأدب أنظر صفحات ٢٥١ ــ ٢٥٨ ، أنظر أيضا المراجع التالية ، صفحات ٣٨٥ ــ ٣٩٤ .

(٢٠) سفين روبنسن « فقرة المحمية بمعاهدة ويهالى » جورنال التاريخ الافريقى مجلد ــ ٢ (١٩٦٤) ، الصفحات ٢٤٣ ــ ٢٨٣ . وللاستعراض للمطبوعات أنظر الصفحات ٢٥١ ــ ٢٥٨ مع المراجع . أنظر ايضا فيما يلى الصفحات ٣٨٥ ــ ٣٩٤ من الأصل .

ولا ريب أن قمة جميع هذه المصادر ، بما فى ذلك كتابة التقارير فى المراسلات الدبلوماسية ، تتفاوت الى حد كبير طبقا لاختلاف مدى معلومات ومعرفة المؤلفين وشخصياتهم وطبيعة ارتباطهم بأثيوبيا وطبقا للفرص التى أتيحت لهم لمراقبة الأحداث وكذلك تتفاوت باختلاف دوافع كتابتهم عنها [21] . وبالرغم من أن هناك كثيرا من حالات الخطوط الفاصلة بين شتى الفئات ، فإن من المفيد على الأرجح ملاحظة أن الاوربيين الذين كتبوا عن اثيوبيا فى القرن التاسع عشر كانوا ينتمون الى الفئات الآتية : ممثلين حكوميين ، ومبشرين ، مستكشفين . (علميين وتجاريين ، بما فى ذلك الهواة منهم) ، واخيرا اولئك الذين حضروا الى الدولة لبناء مستقبل لهم هناك ، دون أى التزامات عليهم تجاه أى أحد فى أوروبا .

وبصفة عامة ، فانه يمكن التعامل بشكل لا بأس به مع الممثلين الحكوميين باعتبارهم رواة ، مالم أو إلى أن يثبتوا أنهم غير ناجحين بطريقة أو أخرى أو اذا احسوا بالحاجة الى تغطية أو اللجوء الى تفسير يعمد الى استبعاد الحقائق غير السارة .

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع ، ابتداء من فشل هنرى سولت فى الوصول الى جوندر فى عام ١٨١٠ بالخطاب وهدايا لجورج الثالث ،[22] ومرورا بفشل الجنرال أوريست بارتريرى فى ضرب الجيش الأثيوبى فى عدوة عام ١٨٩٦ . وبالرغم من التواجد الدائم لعنصر الدفاع عن النفس ، فان هذا العنصر يصبح أكثر تعقدا مع تزايد عدد المراقبين ومخاطر انكشافهم ، ويبرز هذا بوضوح شديد من خلال تقارير ومذكرات بعض أسرى تاودروس الأوروبيين مثل « د . س » كاميرون و « هورمزد » وتصبح أكثر وضوحا فى حالة « هنرى بلان » ، ودبليو . اف . بريدو « اللذين كانت مواقفهما غير مكشوفة بنفس القدر[23] .

غير أن أوروبا كانت بعيدة جدا ، وكان هناك فى اثيوبيا كما فى أماكن اخرى من أفريقيا ، مجال واسع لمبادرة خاصة ، فالعديد من هؤلاء الذين مثلوا حكومات أوروبية كقناصل أو مبعوثين

---

(٢١) ليس من الممكن التناول فى هذه الدراسة لمقومات وتاريخ الأفراد الرواة الا فى حالات استثنائية ، ومن المسلم به أن هناك حاجة الى البحث بشأن الرحالة الذين تقل المعلومات عنهم ، على نحو ما هو موضح فى حالة « ادموند كومبيس وموريس تاميسير بقلم ريتشارد بانكهرست ، و « السيمونيون القديسون وأثيوبيا ، ومحاضر جلسات المؤتمر الدولى الثالث للدراسات الأثيوبية (أديس أبابا ، ١٩٦٩) ، الصفحات ١٦٩ — ٢٢٣ . وللتعرف على الرحالة الفرنسيين بصفة عامة ، انظر جورج ماليكون ، « الرحالة الفرنسيون والعلاقات بين فرنسا فى الفترة من ١٨٣٥ الى ١٨٧٠ . المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار الصفحات ٣٧ ، ١٨٢ ، و٢٧٩ — ٣٥٢ .

(٢٢) انظر الصفحات ٤٦ — ٤٨ من الأصل الانجليزى .

(٢٣) راسام . البعثة البريطانية ، هـ . بلان « قصة أسر فى الحبشة (لندن ١٨٦٨) . كاميرون لم ينشر أى مذكرات ، غير ان له تقريرا طويلا فى محفوظات وزارة الخارجية الحوافظ ٢٤٧ — ٢٥٣ ، أما عن تقرير بريد وعن البعثة فقد طبع فى س . آر . ماركهام « تاريخ البعثة الحبشية (لندن ١٨٦٩) . الصفحات ٩٠ — ١٢٧ .

خصوصيين كانوا أناسا ذهبوا اولاً الى اثيوبيا بمحض اختيارهم ، وقدموا خدماتهم بعد قيامهم باتصالات مع حكام أثيوبيين ، وكان هذا هو نفس الوضع على سبيل المثال . مع هنرى سولت ، وولتر بلودين من بين البريطانيين ، ومن بين الفرنسيين والإيطاليين النشطين دبلوماسيا ، كان هناك عدد ممن وصلوا بادىء ذى بدء الى اثيوبيا كأعضاء فى بعثات علمية مثل « انطوان داباری » ، « ويترو آنتونيللى وثيوفيل ليفابفير ، « سيباستيا نومارتينى » . وفى معظم الحالات ، لم يكن سلوكهم يختلف عن سلوك أولئك الاشخاص من الدبلوماسيين النظاميين ، وأبرز مثال على المسرح الأثيوبى ، الأوروبى الذى استغل التعيينات الحكومية لتعزيز المصالح الخاصة كان فيرنر مونذنجر فقد حضر إلى شمال أثيوبيا كدارس سويسرى مستقل ورجل أعمال ، وأنتهى به المطاف الى العمل حاكما عاما مصريا ، بعد عمله ممثلا قنصليا رسميا لكل من فرنسا وانجلترا فى مصوع[24] . وفى حوالى عام ١٨٧٠ كانت سلطته ونفوذه كبيرين الى درجة أن مبشرا سويديا كتب يقول من مصوع : انه كفرد وكاسم (فقط) يعنى الكثير هنا ، نعم لقد كان كشخص يفوق نفوذه أسماء ممثلى بعض الدول مثل انجلترا وفرنسا معا وهى نفس الدول التى كان يمثلها[25] .

وغنى عن القول بأن المعلومات الواردة من شخص له نشاط وتنوع مونذنجر لا يمكن تقييمه الا من زاوية كل حالة على حدة .

ونتيجة انغماس ممثلى الحكومات الاوروبية فى القضايا السياسية والدبلوماسية فهم بالتالى على قدر أفضل من المعرفة فى الغالب من المبشرين والأفراد ذوى الاهتمامات العلمية المحضة ولكن على الصعيد الآخر ، كان هؤلاء المبشرين والعلميين فى الغالب أكثر تجردا وأكثر موضوعية ازاء المعلومات التى كان بوسعهم تقديمها عن الأمور السياسية ، ومن الملاحظ أن العديد من المبشرين القياديين ، ولا سيما الكاثوليكيين جى دى جاكوبيس ، وجى سابيتو ، وجيه إم توفيير وجى ماساجا وكذلك البروتستانتيين مثل جيه إل . كرايف ، كانوا منغمسين بشكل كبير فى الشئون السياسية والدبلوماسية فى مناسبات عديدة[26] . وخلال ، فترة حكم تاودروس ، قبلت مجموعة من المبشرين ـ الحرفيين من كريتشونا العمل مباشرة مع الملك . وبالرغم من أنهم لم يكونوا بالتأكيد من المنتقدين لأعمال سيدهم ، فان من الصعب ادراك الفارق فى الموقف ما بين ثيوفيلوس فالد ماثير ـ من هذه الجماعة على سبيل المثال ـ وهنرى شتيرن مبشر الفلاشا[27] .

---

(٢٤) فيرنرموند بنجر ، (١٨٦٤) ، جيه فى . كيللر ـ زنشوك ، شافهاوزين .

(٢٥)أنظر أيضا الصفحات ٢٧٧ ـ ٢٧٨ بالأصل ، ٢٨٥ و٢٩٢ ـ ٢٩٧ بالأصل الإنجليزى .

١٢ ابريل أو ١٣ مايو ـ ١٨٧٠ .

(٢٦) تشمل الدراسات التى أجريت مؤخرا وتتناول هذا الموضوع ، كرومى ، « القساوسة » ، وآليمى إيشيتى la nission catholigue lazariste en Ethiopie (باريس ، ١٩٧٠ ، منسوخة) .

(٢٧)ثيوفيلوس ڤالد ماثير Theophilus woldmeier erlelinisse in a bessinien in den ahren 1858.bis 1868. (بازل ، ١٨٦٩ ، هنرى أ . شتيرن . المبشر الأسير : كتقرير عن دولة الحبشة وشعبها (لندن ١٨٦٨) .

ولأسباب واضحة ، كان مبشرو البعثة السويدية الانجليكية أقل المبشرين تدخلا . . وباعتبار أنه لم يكن لهم قنصل يزعجهم فانهم باشروا شئونهم بطريقة هادئة(٢٨) . وثمة جانب هام للمصادر البشرية وهى أن توزيع المبشرين فى أنحاء الدولة ، واقامتهم لسنوات كثيرة بها ومعرفتهم بلغات السكان من تقديم معلومات غير متاحة لرواة آخرين . وسواء كانوا قد ادخلوا أنفسهم فى الشئون السياسية أم لا ، فان كلا من المستكشفين الافراد والبعثات العلمية أوردوا فى تقاريرهم ورواياتهم الكثير من المواد ذات الأهمية التاريخية . وكانت تقارير أول رحالة عن اثيوبيا فى القرن التاسع عشر هى روايات هنرى سولت عن زياراته لتيجرى فى عامى ١٨٠٥ و ١٨١٠ على التوالى .

ونشر الأولى اللورد ڤالينتيا(٢٩) ، أما الثانية التى تصف فى الواقع بعثة رسمية فقد نشرها سولت نفسه(٣٠) . وتتيح التقارير المرسلة الى وزارة الخارجية وكذلك مجموعتان صغيرتان من الرسائل ضمن مجموعة أوراق ابردين A berdeen papers فى المتحف البريطانى ، وهما بصفة رئيسية رسائل من اثيوبيين الى سولت ، ورسائل بين ڤالنتيا وسولت ، وناتانييل بيرسى تتيح هذه الأوراق فرصا قيمة لمراجعة هذه الروايات والتأكد منها(٣١) .

يدخل فى فئة الرواة الهامين الأخرين العالم الألمانى المشهور ادوارد بيل الذى زار اثيوبيا فى ١٨٣٢ـ١٨٣٣(٣٢) ، والأخوان الفرنسيان ـ الايرلنديان انطوان وارنولد دابادى اللذان قضيا سنوات كثيرة (١٨٣٨ ـ١٨٤٨) فى هذه الدولة(٣٣) ، وتيوفيل ليفافير ، وبى . فى . فيريه ، وجيه ـ جى جالينير ، الذى ترأس بعثة علمية فرنسية فى الفترة ما بين ١٨٣٩ و١٨٤٣(٣٤) ، وسى . إف . اكس ديريكور الذى قام بجولتين أحدهما فى شيوا فى نفس الفترة تقريبا ، الرحلة الثانية جاءت فيما بعد

(٢٨) أ . ب وايلد ، من ٨٣ الى ٨٧ فى السودان (لندن ١٨٨٨) . المجلد الثانى الصفحة رقم ١ . وكان ويلد نفسه نائبا للقنصل البريطانى لمنطقة البحر الاحمر ، وانخرط فى الشئون الأثيوبية فى السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر .

(٢٩) فايكونت ڤالينتيا ، « رحلات وسفريات الى الهند وسيلان ، والبحر الأحمر والحبشة ومصر فى ١٨٠٢ ، و١٨٠٣ و١٨٠٤ و١٨٠٥ و١٨٠٦ (لندن ١٨٠٩) ، المجلد الثانى الصفحات (٤٥ـ٥١٠ ، المجلد الثالث ، الصفحات ١ ـ ٢٤١ .

(٣٠) هنرى سولت ، رحلة الى الحبشة (لندن ١٨١٤)

(٣١) المتحف البريطانى ، اضافات ، ١٩٣٤٣ و١٩٣٤٧ ، ويعطى سولت ، فيما عدا ما تمليه اهتماماته الخاصة من أمور غير ذلك انطباعا بأنه مصدر يمكن بصورة معقولة الاعتماد عليه . وتحريره لم يستبعد البيانات المتناقضة ولا بعض الأخطاء مثل ثمانية أيام فى الاسبوع أو عيد الفصح يوم الخميس (رحلة سولت ، الصفحات ٢٣٤ ـ ٢٥٧ و٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(٣٢) ادوارد بيل .

(٣٣) ارنولد دابادى ، ١٢ عاما فى اثيوبيا العليا (باريس ١٨٦٨) ولم ينشر سوى المجلد الأول مما كن مقررا أن يصبح عملا أكبر . أنظر روجر إزارن « وثائق ارنولد دابادى محاضر جلسات المؤتمر الدولى الثالث للدراسات الأثيوبية ، الصفحات ١٥٥ ـ١٦٨ ، للتوصل الى معلومات عن المواد المخطوطة .

(٣٤) ت . ليفى بفر وآخرون . « رحلة فى الحبشة تمت فى السنوات ١٨٣٩ ، و ١٨٤٠ ، و ١٨٤١ ، و١٨٤٢ ، و١٨٤٣ (باريس ١٩٤٥ ـ١٩٥١) ، بى فى فيريه ، وجيه جى جالينير ، رحلات فى أثيوبيا بأقاليم تيجرى ، وسامين ، وأمهرا . (باريس ١٨٤٧) .

وذهب فيها الى جوندر(٣٥) ، وهناك عشرات غيرهم ، وقد تم اختيار هذه الأسماء من النصف الأول من القرن ، اذ انه فى هذه الفترة تعد معلوماتهم ذات أهمية كبيرة نسبيا . وفيما بعد ذلك فان المحفوظات الدبلوماسية تضم فى معظم الحالات مواد كافية للتأكد من البيانات المشكوك فى صحتها .

وتتألف مجموعة الرواة الأخيرة ، وغير المتجانسة من هؤلاء الذين حضروا الى أثيوبيا دون أية التزامات تجاه أى أحد فى أوروبا ، أو الذين قطعوا الى حد ما صلاتهم ودخلوا فى خدمة الحكام الاثيوبيين ، أو استقروا بالدولة لكسب عيشهم بطريقتهم الخاصة ، وهم الذين يمكن تصنيفهم على أنهم مرتزقة ، أو « مستوطنون » ، أو « خبراء » . لانهم غالبا ما يمثلون وجهة نظر ذات طابع اثيوبى أكثر ، وهم يتمتعون بأهمية باعتبارهم وسيلة لموازنة وجهات النظر الأوروبية الأكثر تشددا ، فى المواد المرجعية بصفة عامة .

ويمثل أوائل هذه المجموعة ، ناتانييل بيرسى ، ووليام كوفين اللذان حضرا الى اثيوبيا مع هنرى سولت ودخلا فى خدمة راسى ويلدسيلاسى رئيس تيجرى . ولا يبدو أن بيرسى اتيح له قدر كبير من الاختيار . فعندما فر من رئيسه لينضم الى ڤالينتيا بموخا فى عام ١٨٠٥ ، كان طبقا لروايته هو نفسه بحارا يبلغ من العمر ٢٦ عاما وفى سجله عمليتى هروب من خدمة البحرية الملكية ، وعمليتى هروب من سفن الهند الشرقية ، والعملية الأخيرة للهروب فى موخا حيث صار مسلما . وقد كانت الفرص أمامه فى الهند أو انجلترا قاتمة للغاية ، وكتب بيرسى مذكرات ونشرت ذكرياته التى تغطى المدة من ١٨١٠ الى ١٨١٩ بعد وفاته فى ١٨٢٠(٣٦) .

وأسهم كوفين بفصلين عن حملة عسكرية جرى توجيهها نحو جوندر . ورغم أن روايته كانت مشوشة الى حد ما ، فان من المحتمل ان يكون قد رأى المدينة بالرغم من أنه لم يدخلها(٣٧) . وثمة مستوطن آخر فى وقت مبكر وهو ويلهيلم شيمبر عالم النبات ، الذى وصل فى الثلاثينيات واندمج بشكل كبير فى الشئون السياسية فى الاربعينيات(٣٨) ، وعاش هو وكوفين أكثر من اربعين عاما فى تلك الدولة .

وقد جرى بالفعل ذكر المبشرين المهنيين فى عهد تاودروس والذين يشتركون فى الكثير من الصفات مع « مجموعة المستوطنين » . وشمل ممثلو الدول فيما بعد أمثال الضابط البريطانى جيه .

(٣٥) سى اف . × . روشيه داريكور ، رحلة على الشاطىء الشرقى للبحر الاحمر فى دولة عادل ، ومملكة شوا (باريس ١٨٤١ ، رحلة ثانية على serond voyaze sur les rives de la mer rovge, dans le pays des a dals et le rayavme ele choo.

(٣٦) (إن . بيرسى) ، حياة ومغامرات ناتانييل بيرسى ، تحرير جيه . جيه هولز (لندن ، ١٨٣١) ، المجلد الأول ، الصفحات ١ / ٣٦ .

(٣٧) نفس المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحات ٢٣١ ـ ٢٤٦ .

(٣٨) أنظر الصفحات ١٠٢ ـ ١١٨ ، ١٢٥ فى الأصل .

س ، كيركهام ، الذى حضر الى أثيوبيا مع البعثة البريطانية فى ١٨٦٨ ، وتوفى وهو فى خدمة يوهانيس بعد ثمان سنوات ، وأشهر مستشار أجنبى لمينيلك كان المهندس السويسرى الفريد(٣٩)

أما عن تكييف الأشخاص المهتمين بعمق بالاحداث وأنه من الأمور العادية أن يقوم الاشخاص من ذوى الاهتمام بالاحداث بتعديل رواياتهم لكى تتفق مع مصالحهم الخاصة ، غير أنه قد يكون من الضرورى على الارجح ذكر كلمة أو أكثر عن كتاب الروايات أو الناقلين لما كتبه غيرهم . وبعض الحالات فى هذا الشأن سهلة للغاية . فالرحالة الفرنسى إيميل جونفو ، الذى يصف التجارب الشخصية فى أثيوبيا أثناء العام الأخير من حكم تاودروس لم تطأ قدمه أبدا أرض أثيوبيا . والواقع ، أنه يعترف بهذا فى عبارة متحفظة فى الكلمة الاستهلالية للقارىء(٤٠) . ومن ناحية أخرى يؤكد إف . هـ . آيل فى مقدمة لكتابه حول زيارة لجوندر فى ١٨٦٥ ، أنه لم يكتب أى كتاب (Kein Buch verfassen) وانه لم يتطلع الا الى تسجيل تجاربه(٤١) . وهو يروى محادثات أجراها فى جوندر مع الامبراطور ، وابونى سيلاما ، وكونسول كاميرون ـ والقس شتيرن بالرغم من أن الثلاثة الاخيرين كانوا سجناء فوق امبا ميكديلا على بعد ٤٠٠ كيلو متر(٤٢) ولما كانت هذه اللقاءات خيالية تماما فان قدرا كبيرا من المحتويات الاخرى بكتابه تعد صفحات منقولة من كتاب جيوم لوجان عن تاودروس(٤٣) .

بل وفى بعض الحالات استخدم الذين لهم صلة بالعلاقات الدبلوماسية تقارير بعضهم البعض دون بذل أى قدر من العناء فى إضافة الجديد اليها . فأوجست بارديل الفرنسى مثلا ، الذى حضر الى بلاط تاودروس واستخدمه الامبراطور كحامل بريد الى باريس فى ١٨٦٢ ، سلم الى الحكومة الفرنسية تقريرا من سبعين صفحة عن اثيوبيا ، يشمل « الوضع السياسى الفعلى » ، وهولم يكن سوى

---

(٣٩) سى كيللر ، الفريد ايلج a lfred elg, sein lebenund sein (فراونفيلد ١٩١٨) ولا وجود لقائمة مطبوعات عن كيركهام . أنظر الصفحات ٢٧٧ ، wirken ، ٣٠٠ ، و٣٣٢-٣٣٣ بالاصل فيما يلى .

(٤٠) ايميل جونفو « عامان فى افريقيا الشرقية » (تور ١٩٧١) أنظر جوزيف توبيانا « رحلة جونفو فى اثيوبيا : الآثار الحديثة لعملية تضليل قديمة » ، « جورنال التاريخ الافريقى » ، المجلد ٢ (١٩٦٣) ، الصفحات ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، فى الطبعة الانجليزية (لندن ١٨٧٥) ، وقد حذف اعترافه هذا .

(٤١) اف . هـ . آيل (زيوخ-١٨٦٦) . Drei monate in a byssinien and cr efangenschaft unter konig theodorus.

(٤٢) نفس المرجع ، الصفحات ١٥ ـ ١٨ ، ٦٥ ـ ٧١ ، ٨٠ ـ ١٠٠ .

(٤٣) قارن على سبيل المثال ، آيل Dreinonat الصفحات ١٩ ـ ٢٩ ، مع جى لوجان Theadore II. (Le Nouvel empried' Ablussimie باريس ، ١٨٦٥) الصفحات ١٩ ـ ٥١ . ويستمر الاعتماد على الغير حتى مخطوطات لوجات الخاطئة أحيانا عن بعض الأسماء والعبارات الأمهرية : Mene`ne - Mene`ne بدلا من Tzoobedje - Tsoobedje, .Menen Tewabie´co ، وكوانجول Coaungoul وكوكوباى Ookbie وبيرو Beurrou و وازوورو Oizoro الخ .

ترجمة لتقرير كتبه القنصل البريطانى ، وولتر بلودين(٤٤) منذ ٩ سنوات ، والنتيجة هى أن رؤساء مهزومين بل وموتى يظهرون كمتنازعين من أجل السلطة العليا ، بينما أن الامبراطور الذى كان مبعوثه بارديل ، لا يتم ذكره إلا مرة واحدة فقط وبشكل عابر كرئيس غير ذى بال أراد أن يطور جيشه تطويرا حديثا ، وفى تقرير ثان ، نفدت المادة التى تأتى أصلا من بلودين ، وقام بارديل بمحاولة لوصف حكم تاودروس حتى ذلك الحين . ويوضح هذا أن ذلك الفرنسى لم يكن لديه سوى أبهت الأفكار عن أحداث السنوات التى سبقت بعثته فقط ، ولم يستطع التمييز بين بعض الاقاليم المتباعدة مثل تيجرى ، وشيوا(٤٥) . ولربما أن بارديل قام بالنسخ عندما كان فى فترة ما يريد القنصلة أثناء فترة مرض خليفة بلودين . غير أنه كانت هناك أيضا تقارير تفيد أن رافائيل بارونى الوكيل الايطالى لبلودين فى مصوع قام بعد موت القنصل ببيع جميع مراسلات بلودين الرسمية مع حكومة صاحبة الجلالة الى ما يسمى بالقساوسة الفرنسيين . . .(٤٦) وبالرغم من أن بارديل كان مهملا على الارجح أكثر من معظم الرواة ، فإنه ليس من العسير التعرف على حالات أخرى للإقتباس فى تقارير كانت تسعى لان تأخذ شكل التقارير الأصلية .

عرض للأحداث حسب تسلسلها الزمنى :

ان وجود سجلات اثيوبية للأحداث طبقا لتسلسلها الزمنى يخفف من عدم توافر بل وندرة المواد الوثائقية من الجانب الأثيوبى فى بعض المجالات . وفيما يتعلق بالدراسة عن كتب للعلاقات الدبلوماسية فان مثل هذه المواد لا تعتبر ذات قيمة مباشرة ، سواء لأن المفاوضات مع الأجانب وضعت فى طى الكتمان أو لأن سجلات الأحداث المسلسلة زمنيا لا تعتبرها ذات أهمية كافية تتطلب التسجيل .

---

(٤٤) مذكرات ، ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس . افريقيا ٦١ ، الحوافظ ١٤١ ـ ٢١٠ بارديل . « التقرير الأول » ١٠ مارس ١٨٦٣ ، مقارنة بمحفوظات وزارة الخارجية ١/٤٠١ الصفحات ١٩٣ ـ ٢٢٨ بلودين ، « تقرير » ٩ يوليو ١٨٥٤ م

(٤٥) ذكريات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، افريقيا ٦١ ، الحوافظ ٢١١ ـ ٢٢١ ، بارديل « التقرير الثانى » ، ١٠ مارس ١٨٦٣م ، ويوضح هذا قدر الانتقادات التى من المتعين إجراؤها الى درجة أن آخر عمل فرنسى عن تلك الفترة وهو (ماليكو ، « رحالة » ، المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، المجلد ٥٨ ، ص ٣٢٧) يصف التقريرين بعبارة Te [Bardel re´dige e´zalement a` l'intention du ministre un bong et inte´ressant rapport sur l'e´tat de L'Ethiopie.] . (وهو يكتب أيضا معتزما تجميع تقرير طويل وشير من الدولة الأثيوبية ») .

(٤٦) أنظر فيما يلى الصفحات ٢٢٤ ـ ٥ . وفيما يتعلق بقصة بيع الوثائق أنظر محفوظات وزارة الخارجية ١٣/١ ، الحوافظ ١٨٧ ـ ٩٠ ، محاضر جلسات محفوظات وزارة الخارجية ١٧ مايو حتى ١٢ يونية ١٨٦٣ ، كيروان جويس الذى نقل ذلك كان بالتأكيد هو نفسه شخصية مشبوهة ، غير أن الحقيقة تظل باقية وهى أن بارديل كانت فى حيازته الأوراق .

أما فيما يتعلق بالدوافع المحتملة والكامنة وراء مواقف وأفعال الحكام الاثيوبيين ، فان هذه السجلات تعتبر مصدرا تكميليا هاما . بل هى فى كثير من الاحوال مصادرنا الوحيدة بشأن الأحداث على الجانب الأثيوبى من الحملات والمعارك ، وتهيىء فى حالات أخرى فرصا للتأكد من المصادر الأوروبية الثانوية .

ولقد كتبت سجلات الأحداث المرتبة تاريخيا عن فترة جوندرين باللغة الأمهرية القديمةGi.iz غير أن اللغة الأمهرية استحدثت فى عهد حكم تاودروس لهذا النوع من الكتابات .

ونظرا لأن مراكز السلطة السياسية والكنسية كانت تتنقل كثيرا أثناء هذا القرن ، فقد أمكن الحفاظ على عدد من التقاليد المختلفة والمتناقضة . فكان يتم نسخ هذه المخطوطات أو كثيرا ماكان يعاد نسخها . وتم اجراء بعض التعديلات الطفيفة . . وتسللت بعض الأخطاء . . ومع ذلك فان اعادة تحرير هذه المخطوطات لم تكن هى القاعدة المتبعة فى هذا الشأن . ونشر هـ ويلد بلومديل ، وكارلوكونتى روسينى سجلات الأحداث المرتبة تاريخيا عن فترة النصف الأول من هذا القرن . إذ نشر الأول أجزاء من مخطوطات المتحف البريطانى.Orient821 (الشرق ٨٢١) التى كتبها عدد مختلف من المؤلفين المختلفين وهى تغطى المدة من عام ١٧٦٩ حتى عام ١٨٣٠ ، ويليها الجزء الأخير من مخطوطات المكتبة العامة ، اثيوبيا ، ١١٨Ethio A ble.118 وتغطى المدة من عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤٠ (٤٧) .

ويشير كاتب الجزء الأخير من مخطوط الشرق ٨٢١ الى نفسه على أنه أبيجاز سى أونى من شيوا ، ويقرر أنه أنهى الكتابة فى عام ٧٣٤٤ بعد خلق العالم (١٨٥١/٥٢) (٤٨) .

ويغطى جزء المخطوطMS Ethio. A ll. 118 الذى نشره كونتى روسينى فى الفترة من عام ١٨٠٠ الى عام ١٨٤٠ (٤٩) . وفيما يتعلق بالسنوات العشر الأولى يعتبر المخطوط نسخة طبق الأصل من نفس العمل مثل مخطوط ـ الشرق ٨٢١ .M S. Orient. 821 ويلى ذلك تقرير مختلف وأكثر تفصيلا عن المدة من عام ١٨٠٩ وحتى عام ١٨٣٠ ، وبالرغم من أن ترجمة كونتى روسينىla cronanca Reale نشرت أولا ، فإنها تعتبر أعلى درجة من١٢شُغشم ەاقشةهەمث لويلد بلونديل من حيث الدقة . بل ويكشف الفحص الخاطف لهذا الأخير عن أن كثيرا من الأخطاء فيما يتعلق بالأسماء والتواريخ لا ترجع إلى السجل الأثيوبى للأحداث بل الى المحرر أو المترجم . وعلى سبيل المثال ، فإن من الأمور التى تثير الارتباك أن تجد أن ويلدى جبريل يشن حملة فى ١٨٠٠ فى الوقت الذى كان فيه قد توفى فى العام الأسبق ، وأن تجد « راسى » مارو يشارك فى معركة ديبرى أباى فى ١٨٣١ بالرغم من أنه سقط قتيلا فى معركة كوسيوبير فى عام ١٨٢٧ (٥٠) .

---

(٤٧) هـ . ويلد . بلونديل ، The Royal Chrnicle of Abyssinia 1769 - 1840كمبردج ١٩٢٢) .

(٤٨) نفس المصدر ، الصفحات ١٠٣ ، ٣٥١ .

(٤٩) كارلو كونتى روسينى ، : la cronace reale abisse´na dall’anno 1800 all’ama 1840 Rendiconti della Reale A ccademie dei jincei, ٥ ، ٢٥ (١٩٦١) الصفحات ٧٧٩ ـ ٩٢٣

(٥٠) ويلد بلونديل ، كرونيكل ، الصفحات ٤٦١ ـ ٤٦٢ ، و ٤٦٥ ، ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

ولذا فهذه الترجمات غير ضرورية أيضا ، حيث أن النص المنشور باللغة الأمهرية القديمة « الجى إيز » حتى لويلد بلونديل يحمل الأسماء الصحيحة ويلدى سيلاسى ، وماريى (٥١) .

ويطغى سرد الكثير من المكائد والمؤامرات والحملات السياسية للاقطاعيين من الملاك على تسلسل وترتيب الأحداث الواردة فى السجلات التاريخية . وبالرغم من كل التملق للأمراء المعنيين ، لم يتجنب كاتبو هذه السجلات التسجيل أيضا للجوانب السلبية فى حكمهم : « . . . لن نحذف ما قاموا به من تخريب للبلاد ، ونحن نسجل مآثرهم وأعمالهم الطيبة ، فالقاعدة لكل فرد هى أن ملاك الحياة يسجل أعماله السوية الطيبة وملاك الموت يسجل خطاياه (٥٢) . ومن الخطأ اعتبار سجلات عرض الأحداث وفقا لسلسلها الزمنى لجوندر بمثابة كتابات تعليمية محضة . وهناك الكثير من الأدلة على أن كاتبيها كان لديهم طموح الحفاظ على سجل صحيح سليم لجميع مواعيد البلاط مثلا . ولم يكن هذا أحيانا عملا هينا ، إذ يبدى ابيجاز سى أونى دهشته قائلا « نحن لا نعرف ماهى المواعيد التى عقدت ، لانه لم يكن هناك موعد واحد دائم . . » والى جانب ذلك ، كان البعض يحدد المواعيد دون أن تكون له سلطة لذلك . وفى أماكن أخرى يحذر هذا الكاتب قراءه ويحيطهم علما بأنه مجرد ناقل لمعلومات تلقاها عن آخرين ، وانه كان غائبا عندما وقعت بعض الأحداث ، أو أنه لم يكن هناك من يقدم له معلومات بسبب الإضطرابات بالبلاط (٥٣) .

والى جانب ،la cronanc reale ترجم كونتى روسينى ونشر بعض النصوص الأثيوبية الأخرى ذات الأهمية الكبيرة للنصف الأول من القرن التاسع عشر ، تحت العناوين الآتية :

Nuoui documenti per la storia d A bissinia mel secolo XIX vicende dell Ethiopia e delle missioni cattoliche ai tempi di ras Ali, deggiac u lieere teodoro secondo un documento aleissino.

وهذا النص الأخير الذى يغطى حكم تاودروس أيضا ، يعد نوعا مختلفا الى حد ما عن التسجيلات التاريخية فى ترتيبها (المسلسلة زمنيا) التى كتبها القس الكاثوليكى تيلكى هايمانوت كتاريخ منظم كبداية البعثة الكاثوليكية فى إطارها السياسى .

وفيما يتعلق بحكم تاودروس ، هناك ثلاثة سجلات تاريخية الترتيب ، جرى نشرها . ومنها ما يعزى الى ديترا زينيب وهو اكثر السجلات اثارة للاهتمام . وثمة مخطوط واحد معروف من هذا السجل التاريخى الترتيب (٥٥) . جلبه إلى أوروبا المبشر مارتن فلاد عقب سقوط ميكديلا مباشرة فى

---

(٥١) نفس المصدر ، الصفحات ١٨٤ و ١٩٨ .

(٥٢) نفس المصدر ص ٣٧٦ .

(٥٣) نفس المصدر الصفحات ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، و٤٧٨ .

(٥٤) المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٨ ، ٢ (١٩٤٧) الصفحات ٣٥٧ ـ ٤١٦ ، و Rendiconti della reale Accademia dei lincei, ٥ ، ١٥ (١٩١٦) ، الصفحات ٤٢٥ ـ ٥٥٠ .

(٥٥) المكتبة الجامعيةUniversitatsbililiothek Tilienyen,مكتبة Preussischer Staatsbkibkiathel السابقة ، مخطوط الشرق ، ٤٧٨

١٨٦٨ ، وسلم الى مكتبه برلين (٥٦) . ويوضح خط اليد والسمات الأخرى بجلاء اصله الأثيوبى . ولم يرد ذكر عن الكاتب فى هذا المخطوط . غير ان كلا من إينوليتمان الذى نشر النص فى ١٩٠٢ وتيودور بولديكى يقرران ان الكاتب هو زينيب وبصفة عامة تقبل هذا الرأى الدارسين الذين تناولوا هذه المسألة (٥٧) . فلقد كان زينيب معروفا لدى عديد من الأجانب ، إذ ذكره فلادFlad باعتباره سكرتير أو مستشار تاودروس وذكره راسامRassam باعتباره أمين المحفوظات الملكية وذكره المبشر فالد ماثير باعتباره صديقا (٥٨) . ويقول فلاد ، ان مخطوط برلين هو النسخة الوحيدة من عمل زينيب (٥٩) . وبعبارة أخرى كان من رأى فلاد أنه أخذ النسخة الوحيدة الموجودة ، خارج الدولة عندما غادرها وبالرغم من ان اليكا ويلدى ماريام ، وهو كاتب آخر للسجلات المرتبة تاريخيا ، كان يعرف زينيب شخصيا (٦٠) فلم تكن هناك تماثلات بين سجلاتها المرتبة تاريخيا تفيد بأنه قد أطلع على عمل زينيب ويبدو أيضا أن كتاب التاريخ الاثيوبى اللاحقين كانوا يجهلون أيضا محتويات هذا السجل المرتب تاريخيا عن تاودروس . ويعد تكوين سجل زينيب المرتب تاريخيا سجلاً حولياً النمط بصورة اكثر من نمط السجلات المماثلة فى أواخر الفترة الجوندريةGronderine وبصرف النظر عن الصفحات الإفتتاحية الأسطورية الى حد ما ، فان الأحداث يتم سردها مرتبة شهرا بشهر ، مع كثير من التواريخ المضبوطة ، ويشير كل شىء الى استنتاج أنها كتبت فى فترة قريبة العهد من الأحداث المسجلة ، ويعطى المسجل كل الانطباع بأنه على بينة جيدة ودقيقة من حقائقه ومن المؤسف أن السرد للقصة ينتهى عند نوفمبر ١٨٥٩ . واذا لاحظنا أى نوع من التميز فانه يكون لصالح تاودروس . وهو أمر نتوقعه فى سجل مرتب تاريخيا يقوم به سكرتير الملك .

ويمثل التسجيل المرتب تاريخيا لاعمال تاودروس الذى كتبه اليكا ويلدى ماريام تاريخ تاودروس كما هو محفوظ داخل الدولة . ولا شك فى أن نسخا كثيرة موجودة فى اثيوبيا ، غير أنه لم تجر أى دراسة مقارنة بصددها . وثمة نسختان متماثلتان فى كلماتهما ، جاء بهما س . موندون

(٥٦) ا . ديلمان Dil MandsChriften- Verxeichnisse der Kiniglichen Billiathek Zu Berlen (برلين ١٨٧٨م) ، دريتر باند ، ص ٢

(٥٧) (زينب) re-Teuodros tarik تحرير ونشر ا . ليتمان باللغة الأمهرية ، السجل التاريخى الترتيب للملك تيودور ملك الحبشة (برنستون ، ١٩٠٢) ، تيودرو نولديك Orientalische Skizzen (برلين ١٨٩٢) ، [ص ٢٨٠ ، وترجمة ايطالية لهذا السجل التاريخى الترتيب نشرها إم . إم . مورينو . La uronaca dire peodoro attribita al daltaraz ende, Rossegna di studi Etiopici (١٩٤٢) الصفحات ١٤٣ ــ ١٨٠ .

(٥٨) جيه . إم . فلاد Zwoll Zahre in A bessinien(ليزيج ١٨٨٧) المجلد الاول ، ص ٣١ ، محفوظات سيتلر D 3/Zفلاد الى جوبات ، ١٨٦١/١٢/٣ ، راسام « البعثة البريطانية » المجلد الثانى ص ١٩٢ ، فالدماير Erlelinisse ص ١٠ .

(٥٩) ديلمان .Hendschrifien - Verzeichnisseص ٦٩ .

(٦٠) ويلد ماريام « السجل المرتب تاريخيا لتاودروس الثانى ، ملك ملوك أثيوبيا ، طبعة موندون فيدايليهيه](باريس ١٩٠٤ » ص ٤٥) . وسأشير الى هذا السجل ، والى سجل زينيب أيضا ، حسب اسم المؤلف ، وتاودروس ، وأرقام صفحات النصوص المطبوعة باللغة الأمهرية ، الا إذا ذكر شىء آخر غير ذلك .

فيدايليهيه فى التسعينيات من القرن التاسع عشر الى أوروبا (٦١) وقد قام فيدايليهيه بنشر النص الذى كان باللغة الأمهرية وترجمتها بالفرنسية (٦٢) . ويتحدث المؤلف عن نفسه فى السجل المرتب تاريخيا باعتباره شابا من اقليم شيوا عاش مع ابونى سيلاما أثناء أسره على ميكديلا . كما يشير لنفسه بأنه هو الذى ساعد القمص فى اتصالاته مع مينيليك فى عام ١٨٦٧ (٦٣) . ويشير ويلدى ماريام أيضا بأنه قد كتب سجله المرتب تاريخيا فى عام ٧٣٧٣ بعد خلق العالم (١٨٨٠/١٨٨١) (٦٤) .

وتختلف الكثير من المواد فى هذا السجل عما فى سجل زينيب عن الفترة التى يغطيها كل منهما ، وهناك عدد من المتناقضات فيما بين الاثنين . وفيما يتعلق بالحقائق التى يمكن التأكد منها ، فان ويلدى ماريام لا يمكن الاعتماد عليه لنفس الدرجة مثل زينيب . فصياغة السجل ليست محكمة من حيث ترتيب الاحداث تاريخيا مثل سجل زينيب . والتواريخ غامضة وأحيانا غير صحيحة حتى فيما يتعلق بالاحداث التى يتوقع أن يكون كاتب من شيوا علم بها ، مثل وفاة الملك هايلى ميليكوت ، وفرار مينيليك من ميكديلا (٦٥) ، وأخيراً انحياز ويلدى ماريام بوضوح ضد تاودروس . ومع ذلك فان السجل المرتب تاريخيا يعد مصدراً هاماً فيما يتعلق بحكم تاودروس ، ولا سيما فيما يتعلق بالاحداث فى شيوا .

والسجل الثالث المرتب تاريخيا لتاودروس ليس سجلا من هذا النوع بمعنى الكلمة ، اذ انه بعيد كل البعد عن الأسلوب العادى للحوليات الذى اتسمت به السجلات الاثيوبية للاحداث المرتبة تاريخيا ، فالمادة فيها مرتبة حسب الموضوعات وليس حسب تواريخ الاحداث وكاتب هذا العمل

(٦١) المكتبة القومية ، باريس ، ٢٥٧ و ٢٥٨ . انظر ام . شين كتالوج المخطوطات الأثيوبية بمجموعة موندون [فيد ايلهيه (باريس ١٩١٣) ، ص ٤٣ لمعرفة التفاصيل . زار موندون فيدا يلهيه اثيوبيا مرتين فى الفترة ١٨٩١ ــ ١٨٩٧ ، وقضى فترة مجموعها خمس سنوات فى تلك الدولة . وكسب ثقة الامبراطور مينيليك ، ومنح الفرصة لتملك نسخة من جميع المخطوطات التى يريدها .

(٦٢) انظر ما سبق رقم ٦٠

(٦٣) ويلدى ماريام ، تاودروس ص ٤١ .

(٦٤) نفس المصدر ص ٦٤

(٦٥) نفس المصدر ، ص ١١ ، ٣٢ . ويذكر ان تاريخ وفاة هايلى ميليكوت هو الجمعة ٣٠ هيدار ــ غير ان هذا التاريخ (١٨٥٥/١٢/٩) لم يكن اولا وقبل كل شىء يوم جمعة ، وثانيا ، ثمة حادثة أخرى وقعت بعد موت هايلى ميليكوت ذكر ان تاريخها هو الأثنين ١٠ هيدار . والتاريخ الصحيح هو ٣٠ تيتميت (١٨٥٥/١١/٩م) الذى يذكره مسجل مينيليك چيرى سيلاس . والتاريخ الذى ذكر لفرار مينيليك هو ٢٤ سينى ٧٣٥٨ بعد خلق العالم ، أى ٣٠ يونية ١٨٦٦ وليس هذا بزلة قلم ، حيث ان الكاتب يذكر ايضا انجليليكى العلم ، مارك ، وهى صحيح فيما يتعلق بعام ٧٣٥٨ وتثبت المواد الوثائقية المعاصرة ، على اية حال ، ان مينيليك فر من ميكديلا عاما قبل ذلك ، انظر سفن روبسون ، ملك الملوك تاودروس ملك اثيوبيا(اديس ابابا ١٩٦٦) الصفحات ٥٣ ــ ٢١ ، ٨١ ، وآر . هـ كونى داركواه ، الامبراطور تيودور الثانى ومملكة شوا ، ١٨٥٥ ، ١٨٦٥ جورنال التاريخ الافريقى ، المجلد العاشر (١٩٦٩) ، الصفحات ١٠٥ ــ ١١٥ .

الذى قام بنشره لويجى فوسيلا فى ١٩٥٧ - ١٩٥٩(٦٦) ، شخص غير معروف وهو عمل متأخر الى حد ما ، فهو عمل حسبما يقول فوسيلا ولم يتم قبل حكم يوهانيس(٦٧) . والواقع أن هذا العمل تم بعد ذلك حيث أن مينيليك يطلق عليه اسم آتى ate(أى الإمبراطور)(٦٨) . والأرجح أن المؤلف كان من شمال أثيوبيا ، وكان يعرف اللغة التيجرانية اذ أنه أدخل مواد من أصل تيجرانى بشكل واضح (٦٩) . ولا ريب انه من الصعوبة بمكان تحديد ما اذا كان المؤلف شاهد عيان لأى من الأحداث المشار اليها ، حسبما يرى فوسيلا(٧٠) ، أم لا . والانطباع العام لهذا العمل هو فى نظرى انه لا يعكس رواية عن الاحداث بشكل مباشر ، بل أنه يبدو كأنه انطباع لجهد أدبى قام بتجميع مواده شخص اعتمد على الشفاهة أو تجميع الأحداث . وتكمن أهمية هذا العمل فى حقيقة انه قد حفظ بدرجة كبيرة مادة غير المعلومات التى قدمها زنيب ، ووبلد ماريام ، ولا سيما فيما يتعلق بالصدام مع الأجانب والأيام الأخيرة لتاودروس .

وتعد مصدر المادة الأثيوبية المنشورة عن فترة حكم كل من تيكلى جيورجيس ، ويوهانيس ضعيفة مقارنة بالمادة عن فترة تاودروس . وتجمع معظم السجلات المرتبة تاريخيا السابقة المعروفة فى المخطوط ٧٢ إم إس مجموعة موندون فيدايلهية(٧١) هذا وقد تم نشر الحوافظ من ٥٦ - ٦٢ والتى تحتوى على نص الأمهرية القديمة لسجل قصير تاريخى الترتيب ، تم نشرها بواسطة إم . شين مع ترجمة فرنسية لها(٧٢) . ويرجع تاريخ المخطوط الى عام ١٨٨٧ بالتقويم الأثيوبى ، والذى يوافق ١٨٩٤ / ١٨٩٥ فى التقويم الجورجانى . ويرجع بيان شين المؤرخ فى نفس العام والذى يتمشى مع انتهاء القسم المنشور ليوهانيس أى عام ١٨٨٧ بالتقويم الجورجانى(٧٣) ويرجع الى خطأ فى تغيير أحد التواريخ الى « التقويم الجورجانى ، وليس العكس » .

والى جانب التاريخ ، فان المقدمة والكلمة الاستهلالية للمخطوط تشير الى أسماء اثنين من المؤلفين : أليكا ليمليم وهو من منطقة مهديرى ماريام للاجزاء الأولى من المخطوط ، واليكازيوهانيس للأجزاء الأخيرة منه . ويقال ايضا أن اليكا ليمليم على الأقل كتب لحساب السيد

---

(٦٦) لوجى فوسيلا ، Yate´ Teuodrostarik (روما ١٩٥٩) ونشر هذا أولا مع ترجمة إيطالية . La cronaca dell' Imperctore teodoro II di Etiopia inunmanascitta omarice´ di Nojali, حوليات المجلد ٦ ـ ٨ (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) . وساشيد النص الذى نشر بصورة منفصلة باللغة الأمهرية لسنة ١٩٥٩ .

(٦٧) نفس المصدر ، الكلمة الاستهلالية .

(٦٨) نفس المصدر ص ١٣ .

(٦٩) نفس المصدر الصفحتان ٨ ، و١١ .

(٧٠) نفس المصدر ، الكلمة الاستهلالية .

(٧١) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ، ٢٥٩

(٧٢) إم . شين ، تاريخ حكم يوهانيس الرابع ، ملك أثيوبيا (١٨٦٨ ـ ١٨٨٩) المجلة السامية ٢١ ، (١٩١٣) الصفحات ١٧٨ ـ ١٩١ Rewie Semitique

(٧٣) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ـ ٢٥٩ . حافظة رقم ١ (أنظر شين كاتالوج ص ١٧٩) .

« موندون » بينما ان كلاهما أو أن اليكازيوهانيس على الأرجح كتب فى انتوتو intotto(٧٤) . وحيث أن المخطوط كان نسخة غير أصلية - إذ لا يوجد اختلاف بين الأجزاء التى تنسب الى ليمليم ، وزيوهانيس على التوالى ـ فان التاريخ والمكان قد يشيران الى النسخ وليس الى التأليف .

وسرعان ما تكشف الدراسة للنصوص بأننا نتعامل مع اثنين مختلفين من المؤلفين : مختلفان فى كل من الاسلوب الادبى وفى خلفيتهما .

ويضم الجزء الأول قسمين : تاريخ حكم تيكلى جيورجيس ، تتبعه ترنيمة حزينة (الحوافظ من رقم ٥ حتى ١٤ وتاريخ حكم يوهانيس ويتبعه ترنيمة حزينة أخرى (حوافظ ١٥ ـ ٤١)(٧٥) وبالرغم من أن العرض يسير على نسق مسلسل حسب التواريخ مع بعض التواريخ العديدة المقدمة بصورة دقيقة وان لم تكن دائما تواريخ صحيحة ، فان أسلوب كاتب الحوليات الذى يقضى بدء كل جملة أو فقرة بتاريخ ما لا ينطبق الا فيما يتعلق بالسنوات فقط .

وتشير المحتويات الى رجل ما من بيجميدير ، حيث تقع ماهديرى ماريام ، باعتباره المؤلف(٧٦) .

وفى القسم الخاص عن تيكلى جيورجيس ، يعطى الكاتب الانطباع بأنه كان مسانداً لهذا الحاكم ، وهو ما لا يمنعه من اظهار التعاطف أيضا لمنافسه وخليفته يوهانيس . والواقع ، أن المؤلف لابد وأنه كان قريباً من يوهانيس فى بعض حملاته وفى مجالس الدولة والكنيسة التى كان هذا الامبراطور يدعو الى عقدها من آن لآخر . وعلى صعيد آخر ، لا توجد شواهد فى عمل اليكا ليمليم عن تحيزه لصالح الامبراطور مينيليك ، كما ليست هناك شواهد أخرى تفيد أنه قد تم اعادة مراجعتها بحيث تتفق مع الأحوال السياسية الجديدة . وعلى النقيض من ذلك ، يقرر المؤلف صراحة ـ وهذا صحيح بصفة عامة ـ فى احدى الحالات أن مينيليك فر ، وفى حالة أخرى يقول أنه ـ أى مينيليك ـ طلب الرحمة من يوهانيس ، وفى حالة ثالثة أن أعماله أدت الى الصدام الجديد فى عام ١٨٨٨ وما شاكل ذلك(٧٧) .

وفى السجل التاريخى الترتيب لتيكلى جيورجيس يسمى يوهانيس « ديجازماتش كاسا » أما فى سجله هو نفسه فانه يدعى غالبا جانهوى (صاحب الجلالة) كما لو كان لا يزال يحكم ، ويدعى

---

(٧٤) المكتبة القومية ، باريس ، ٢٥٩ ، الحافظة رقم ١ .

(٧٥) يصف شين الثانى بأنه « تاريخ اعتلاء الملك يوهانيس للعرش ، وصفا لاحتفالات التتويج [(كتالوج ، الصفحات ٤٣ ـ ٤٤) بالرغم من أنه تقرير عن كل حكم يوهانيس .

(٧٦) ويشمل هذا تفاصيل ضئيلة فيما يتعلق بالتعريفات الجغرافية وهى على سبيل المثال ان الامبراطور منح الاراضى التى وراء نهر بيشيلو الى مينيليك (الحافظة ٢٤ ر) ومعلومات تفصيلية عن التعينات فى الوظائف الدينية فيما كان يعرف آنذاك بأنه أثيوبيا الوسطى (الحافظة رقم ٢٦) .

(٧٧) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ، ٢٥٩ ، الحوافظ ٢٣ (V) ، و ٩٩ (V) ، و٣٦ (V) .

مينليك نيجاس (ملك) وليس آسى (امبراطور) ولاجانهوى(٧٨) . وفى هذا الشأن يظهر اليكا ليملم حسا تاريخيا أكثر واستقلالاً أكثر مما يفعل المسجلين الأثيوبيين عادة . غير أن هذا المؤلف بشر أيضا جوانب مهمة أخرى . فهو يذكر عدداً من المقترحات نابعة من الايطاليين والمهديين عن طريق المراسلات أو المبعوثين ، والردود عليهما(٧٩) . والواقع ان احد اهم رسائل يوهانيس الى الملكة فيكتوريا ، منذ ١٨٨٧ منسوخ حرفياً تقريباً فى ذلك السجل المرتب تاريخياً(٨٠) . وحيث أن هناك أيضا نسخة منفصلة من هذه الرسالة فى مجموعة موندون فيدايلهيه بل وأن هذه النسخة أقرب الى الاصل ، فان من الواضح تماماً على ما يبدو ان ليمليم كان يوجد تحت تصرفه إما الأصل أو نسخة منه(٨١) .

ويحتوى الجزء الثانى من المخطوط على سجل اليكاز يوهانيس المرتب تاريخيا عن يوهانيس، اولا باللغة الأمهرية ، (الحوافظ ٤٥ - ٥٠) ثم باللغة الأمهرية القديمة (الحوافظ ٥٦-٦٢) . وهذا النص الذى باللغة القديمة هو النص الذى ترجمه ونشره ، إم . شين . وفيما بين النصين ، يوجد تقرير قصير منفصل عن الحرب مع المهديين حتى عام ١٨٨٧ (الحوافظ ٥٣ - ٥٤) . ويعتبر سجل زيوهانيس المرتب تاريخيا بسيط للغاية فى تكوينه ، فالأحداث مسجلة عاما بعام ، وفى كثير من الحالات يتم ذكر تاريخها طبقا للسنة التى يحكم فيها يوهانيس . وليست هناك تماثلات لغوية أو غيرها بين هذا السجل التاريخى الترتيب والسجل الأطول الذى يمكن استخدامه دليلا على العلاقة المباشرة . ويشير اسم كاتب هذا السجل ، زيوهانيس ، واتجاه عمله الى رجل من تيجرى ويعرف زيوهانيس على ما يبدو عن الحرب مع المصريين ما هو أكثر مما يعرفه عن الحرب مع المهديين ، ومما يلفت النظر أن نجد فى احدى التقارير التى تذكر اعداء اثيوبيا بوصفهم أبناء آمون ، وموب اب الإشمائيليين ، التاريخ المضبوط وهو ٧ هيدار ١٨٦٨ (١٨٧٥/١١/١٦ بالتاريخ الجورجانى) وكذلك المكان الصحيح وهو جونديت ، للمعركة الأولى للحرب المصرية . ومن المثير للدهشة فعلا أن نجد أن تأكيد كاتب السجل بأن الإمبراطور ، ظل بمجرد سماعه عن مقدم المصريين ، يصلى ويبتهل الى الله لمدة ثلاثة أسابيع قبل قيامه بعمل أى شىء آخر ، هذه التأكيدات تتفق مع معلومات عن مصادر مصرية ، وتفيد عن فترة تبلغ زهاء سبعة وعشرين يوما ما بين انزال قوة استكشافية للحملة عند مصوع وبين الفترة التى قام فيها يوهانيس(٨٢) بتعبئة جيشه ولابد وأن الأمر قد تطلب خمسة أو ستة أيام ليقطع رسول ما المسافة ما بين مصوع ، وعدوة ، حيث كان الإمبراطور يقيم آنذاك ولذلك ، فمن الصعب الاعتقاد بأن رواية

---

(٧٨) الحالة الوحيدة التى يدعى فيها مينيليكaac (إمبراطور) ، الحافظة ٢٥ ، هى بالتأكيد زلة قلم من المؤلف أو من الناسخ .

(٧٩) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ٢٥٩ ، الحوافظ ٣٠ ــ ٣٢ .

(٨٠) نفس المصدر ، الحوافظ ٣٣ ــ ٣٤ ، أنظر محفوظات وزارة الخارجية ٧٤٨/٩٥ ، رقم ١٩٤ .

(٨١) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ، ٢٨٢ .

(٨٢) المكتبة القومية ، باريس ، اثيوبيا ٢٥٩ ، الحوافظ ٤٦ ــ ٤٧ .

هذه الأحداث قد تم كتابتها بعد ١٥ ــ ٢٠ عاما من وقوعها ، ومن جانب آخر ، يشير سجل زيوهانيس بجلاء الى شواهد واضحة على تعديل أو ربما حجب المعلومات التى لم يعد من المناسب نشرها . إذ لم يكن مينيليك طوال السجل يدعى آس (امبراطور) فحسب ، بل ان المصادمات والمواجهات فيما بينه وسيده الأعلى كانت تعالج بحيث لا يقع لوم على أحد ، وعلى الأقل على مينيليك(٨٣) . وقد أدت مثل هذه المشاكل فى الاغلب الى اسقاط العامين الأخيرين من حكم يوهانيس وشطبهما تماما دون تسجيلهما .

وثمة مواد اضافية عن حكم كل من تاودروس ، ويوهانيس نجدها فى عديد من المخطوطات الأخرى ، والتى يوجد نسخ منها فى مجموعة موندون فيدايا يلهية . ويكفى أن نذكر المخطوطات إم إس إس الحبشةMSS. Ehiop) بالارقام ٢٤٢ ، و ٢٤٤ ، و ٢٦٠ . فهذه الثلاثة تمثل نسخا من نفس السجل التاريخى الترتيب لاثيوبيا حتى بداية حكم تاودروس ، أما عن الفترة ١٨٥٥ حتى ١٨٨٧ فإن المخطوط ٢٤٢ يحتوى على نص مختلف عن المخطوطات الأخرى وأقصر منها . وتمتدح هذه المخطوطات الامبراطور يوهانيس بعبارات توضح أن هذه الأجزاء كتبت أثناء حكمه ، وعلى عكس سجل يوهانيس الذى وضعه ليمليم فى المخطوط ٢٥٩ ، فان هذه المخطوطات لا تذكر العلاقات التى كانت غالبا متوترة بين يوهانيس ، ومينيليك . وهى بعبارة أخرى ، تختلف تماما عن السجلات المرتبة تاريخيا فى المخطوط إم إس ٢٥٩(.MS) (٢٥٩) إذ توضح محتوياتها بأن كاتبها أو كتابها من جوندر .

وفيما يتعلق بحياة وحكم مينيليك فقد كتب عنها جبرى سيلاسى مستشار الامبراطور وسكرتيره سجلا تاريخى الترتيب قام بتأريخها ، وقد نشر النص الرسمى لهذا العمل باللغة الفرنسية فى ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ موريس دى كوبيه الوزير المفوض الفرنسى لدى أثيوبيا ، كما نشره أيضا باللغة الأمهرية فى ١٩٦٦/١٩٦٧(٨٤) .

وقد تم العثور على نص اسبق للجزء حتى ١٨٩٠ ، فى مجموعة موندون فيدايلهية(٨٥) . ويكمن الفارق بصورة رئيسية فى أن موادا إضافية أدرجت فى النص اللاحق . وتشير ملاحظة قصيرة فى بداية مخطوط موندون أن « هذا التاريخ لملوك شيوا قد تم كتابته بناء على أوامر مينيليك نفسه ، وقام جيبرى سيلاسى بتسليمه الى موندون فيدايلهية فى عام ١٨٨٥ أى فى عام ١٨٩٢/١٨٩٣ بالتقويم الجورجانى .

---

(٨٣) نفس المصدر ، الحافظة 48V

(٨٤) جيرى سيلاسى Chronigue du Regne ale Me´nelik II ioi des ' rais d'Ethiopie, تحرير موريس دى كوبية (باريس ١٩٣٠ - ١٩٣١) جيرى سيلاسى ، Torike Zemeze - Dognani el'Ethiopie, Tarike ، (١٩٦٦/١٩٦٧ ، اديس أبابا)Minilik Nizuse Negestze - Ityopya. Zememzee-Dognawi Minilik, Nizuse Negestze-Ityopya

(٨٥) المكتبة القومية ،باريس ، ٢٦١ .

ولا يعد هذا المخطوط سجلا تاريخى الترتيب بقدر ما يعد سيرة كتبت بهدف واضح الا وهو محاولة تبرير ماقام به مينيليك من أعمال وامتداحها ، وهى ما ينظر اليه فى ضوء بعض النبوءات عن ارتقائه هو وشيوا الى مرتبة بارزة فى أثيوبيا . ومن الامثلة النموذجية فى هذا الشأن التقرير عن فرار مينيليك من ميكديلا فى ١٨٦٥ ، والذى ينتهى ببيان ان تاريخ مينيليك وتاودروس يتفقان تماما مع تاريخ ديفيد وساؤول [٨٦] ويقلل جيرى سيلاسى فى وصفه للعلاقات بين مينيليك ويوهانيس من إهمية التوتر والمنازعات التى سادت حكم يوهانيس ، فالعلاقات الخارجية لا تحظى سوى بالقليل من الإهتمام . وقد جرى ذكر إحاطة يوهانيس ، مينيليك علما بشأن بعثة السلام البريطانية المصرية فى عام ١٨٨٤ [٨٧] ، غير انه لم يجر ذكر شىء عن المفاوضات التى أدت الى عقد معاهدة ويهالى .

وتعد السيرة التى كتبها انيوبرك جيرى إيسوس عن مينيليك لا بأس بها فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية[٨٨] . فقد كان افيوبرك مثلا وهو طالب فى روما ، فى وضع يمكنه من ملاحظة بعثة راسى ميكونين الى ايطاليا فى ١٨٨٩ . وعلى أية حال ، فإن ما يكتبه فى هذا الشأن يتفق بقدر أكبر مع الذكريات الشخصية أكثر من كونه سجل رسمى تاريخى الترتيب [٨٩] .

وهناك عدد من التقارير الأخرى الاثيوبية المعاصرة الى حد ما وان كانت لم تنشر حتى الآن عن فترة مينيليك . ومن اهم ما تم نشره مخطوط يسمىye grallatarik كتبه آمى جيورجيس جيرى ميبه ويوضح موقفا ناقدا ازاء سياسات مينيليك [٩٠] .

ولاتزال هناك مخطوطات كثيرة أخرى تاريخية أو شبه تاريخية الى حد ما عن تلك الفترة ـ تحتاج الى دراسة . وتحتوى احدى مخطوطات مجموعة جيرى ميكائيل جيرمو ، التى حصل عليها مؤخرا معهد الدراسات الأثيوبية فى اديس أبابا ، على تقرير مفصل عن العلاقات الأثيوبية ـ الإيطالية أثناء العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر . وهى تعتمد بدرجة كبيرة على اساس مواد إيطالية . والأمر الاكثر اثارة للإهتمام من وجهة النظر الأثيوبية ، مخطوط صغير يخص « كيس باديمايااليو » الراحل ، ويغطى فترة حكم يوهانيس ومينيليك ، وقد نسخت فى ١٩٢٣/١٩٢٤ من احدى مخطوطات العالم الأثيوبى الكبير تايى جيرى ماريام الذى كلفه مينيليك بكتابة تاريخ أثيوبيا . وفيما يتعلق بالفترة التى تم الاشارة اليها والواردة فى الفصلين التاسع والعاشر وهما الفصلان الوحيدان الواردان فى المخطوط الذى شاهدته ـ فانه من الملاحظ أن اليكا تايى كان يستطيع التوصل الى الكثير من المعلومات الهامة . وقد كتب ما كتبه على ما يبدو دون الرجوع كذلك الى مصادر أوروبية خاصة فى الفقرات التى تتناول العلاقات الخارجية ، وعلى سبيل المثال عندما

(٨٦) نفس المصدر ، الحافظة رقم ٢٦ .

(٨٧) نفس المرجع الحافظةرقم.82R .

(٨٨) افيوبرك جيرى إيسوس ، Dagmauit Minilik (روما ، ١٩٠٩) .

(٨٩) نفس المرجع ، ص ٥٩ .

(٩٠) المكتبة القومية . اديس أبابا ، المخطوطة ٤٧ . وفيما يتعلق بالمعلومات عن آمى جيورجيس بصفة شخصية ، انظر هيروى ويلدى سيلاسىYe-Hiywet Tarik (اديس أبابا ، ١٩٢٢/١٩٢٣) ، ص ٥٥ .

يكتب عن الاتفاق بين يوهانيس وشخص يسمىyubet admeral, yeh, marveb djjazmachوالمعروف عند الأوروبيين باسم الادميرال البحرى السير / ويليام هيويت [٩١] . ومع مؤلفين مثل أفيوبرك ، وآمى جيورجيس ، وتايى فإن المصادر النموذجية للتاريخ الأثيوبى ، أى السجلات الحولية ذات الترتيب التاريخى للأحداث وذات الطابع التجريدى غير الشخصى ، والتى تكون فى الغالب مجهولة الكاتب هذه المصادر تختفى لصالح المواد والمؤلفات التاريخية الأكثر حداثة .

(٩١) فيما يتعلق بتايى جيرى ماريام أنظر مقدمة تاديسى تامرات لتايى جيرى ماريام ، Ye-ItyopyaHizb Tarik(اديس أبابا ، ١٩٧٢/٧١ ، الطبعة الثامنة) ولا سيما الصفحات أرقام ٢٠ ـ ٢٧ . والمخطوط الذى قمت بالاشارة اليه هو مخطوط اضافى للمخطوطات التى وصفها تاديسى تامرات ، وقد يكون صياغة سابقة للمواد التى اعتزم تايى ادخالها فى الفصول٣٢ ـ ٣٤ لعمله الضخم الذى لم يتم (أو الذى يكون قد فقدت منه أجزاء أو تم اخفاؤها) وهى Ye-Ityobya Tarik وهى مكونة من ٥٢ صفحة مكتوبة بخط يد بادينا يالو . رجاء ص ٢٥ فى هيويت .

ثانيا : الاحتمالات والاتصالات الأولى
مقدم عصر جديد

لم تكن اتصالات اثيوبيا الأولى بأوروبا فى القرن التاسع عشر نتيجة لمبادرات اثيوبية بل كانت نتيجة لمبادرات أوروبية . وقد كان من آثار الغزو النابليونى غير المتوقع لمصر فى عام ١٧٩٨ ، زيادة الوعى فى فرنسا ، وبريطانيا العظمى ، وروسيا ، والادراك للأهمية الاستراتيجية للشرق الأدنى والأوسط وهكذا ولد عهد جديد ، وصارت المنطقة على ما يبدو ببطء وبشكل حتمى ساحة يتصارع فيها المغامرين السياسيين والتجارين الأوروبيين ، والذين كانوا بمثابة القناصل المعتمدين فى القرن التاسع عشر .

وقد كانوا سواء بتأييد رسمى من حكوماتهم أو بدون ذلك كما كان عليه الحال فى الغالب ، يضعون خططهم ويمهدون السبيل للتدخل . وفى النهاية أدى الموقف الى قناة السويس ، وانهيار الامبراطورية العثمانية ، والسيطرة الأوروبية على معظم الشرق الأدنى والأوسط .

وكان من المؤكد أن اثيوبيا ستنزلق الى ما يجرى من أحداث ، وبالرغم من أنها لم تعد منذ عهد طويل قوة بحرية أو أمة تجارية مثلما كانت أثناء فترة اسكوم ، فلقد كان لها مصالح هامة يتعين الحفاظ عليها فى قطاعها من ساحل البحر الأحمر . وكانت كل تجارتها الخارجية تقريبا تمر عبر مصوع وعدد من الموانىء الأصغر والأقل أهمية فى أقاصى الجنوب مثل زيلا[1] . وأيا كانت الاتصالات الأخرى لاثيوبيا مع العالم الخارجى ، مثل البعثات لجلب الأساقفة من الاسكندرية ، والحجاج الى القدس ومكة ، والزيارات العارضة من أجانب يحملون أفكارا ومهارات جديدة الى تلك الدولة المعزولة ، فان كل هذه الاتصالات كانت تتم أيضا عن طريق ساحل البحر الأحمر أو عن طريق النوبة .

ولم يشارك الأثيوبيون أو أى شعب آخر فى منطقة البحر الأحمر فى أى تطور دولى كبير نظرا لتصادم المصالح البرتغالية والتركية هناك فى القرن السادس عشر . وكانت اثيوبيا حليفة للبرتغال فى هذا التصادم غير أنه مع التطورالتدريجى الذى بدأ الطرف الأوروبى يتحول من حليف عسكرى الى موجه روحى يهدف الى احلال الديانة الأورثوذوكسية بالكاثوليكية الرومانية فقد تمرد الشعب وتم قطع العلاقات .

---

(١) آبير ، Abir أثيوبيا ، الصفحات ٥ ــ ٢٦ ، ريتشارد بانكهيرست ، « تجارة شمال اثيوبيا فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين » « جورنال الدراسات الاثيوبية » المجلد الثانى ، ١ (١٩٦٤) الصفحات ٤٩ ــ ١٥٩ .

وكان تراث البرتغاليين ، أو الجيزويت الى حدما (الاسبان والبرتغاليين) يتمثل الى جانب الغليان الدينى ، فى صورة الشك والعداء تجاه جميع الفرنجة وهو الاسم الذى كان يطلق على كل من الأوروبيين الغربيين .

ومن جانب آخر ، اخفقت أيضا جميع المحاولات فى القرن السادس عشر لتحويل كل السكان الى الاسلام ولجعل شمال أثيوبيا احدى ولايات الامبراطورية العثمانية . وتم هزيمة الأتراك . وانسحبوا الى الشاطىء ، غير أنهم تمسكوا بجزيرة مصوع الصغيرة . وأدعو السيادة على منطقة أطلقوا عليها اسم حيش أو حبشستان(٢) . وبالرغم من أنهم فرضوا رسوما عند الميناء ، وكان لهم فى بعض الأحيان نفوذ فى المنطقة التآخمة لأركيكو على أرض القارة بتحالفهم مع مشايخ القبائل المحليين هناك ، فمع ذلك فان تواجدهم لم يكن عائقا للتجارة الأثيوبية بصورة حقيقية الا عارضا ، بل ولم يكن يمثل أى خطر على بقاء الدولة الأثيوبية(٣) وفقدت الحكومة العثمانية بالتدريج الاهتمام بالأطراف الجنوبية من الساحل الافريقى . وسميت الحبش رسميا من جديد باسم سواكن وجدة ، بالرغم من أن اسمها السابق بما ينطوى عليه من معان أوسع كان مستخدما أيضا(٤) . وتدهورت التجارة على الشاطىء ، ولم يعد الدخل من مصوع يبرر وجود حاكم عثمانى للجزيرة . وهكذا تم سحبه ، وتم الاستغناء عنه بنائب من أركيكو ، وهو رئيس قبيلة بيليو بالقارة والذى كان لعهد طويل تابعا إسميا للباب العالى وصار آنذاك حاكما بحكم الواقع لمصوع(٥) .

أما عن الاثيوبيين ، فقد عاشوا فى جهالة سعيدة بأى دعوى تقضى بأنهم من الرعايا العثمانيين ، ففى وجهة نظرهم عن العالم أنه ليس ممكنا على الاطلاق أن يكون ملكيتهم ، ملك الملوك تابعا لأى انسان آخر على وجه الأرض(٦) . والواقع أن استنبول وجوندر كانتا أبعد من أن يشتبكا فى أى صراع جاد ، كما كانت هناك مستويات كثيرة للسلطة فى الدولتين ، ولم يكن من المستطاع فى بداية القرن التاسع عشر تسمية أى منهما بأنها حكومة قوية . وعلى ساحل البحر الأحمر ، كانت المنازعات والمصادمات محلية ، محدودة تقريبا فى طبيعتها . وكان من المقرر أن تتحرك فى هذا الفراغ الأمم الأوروبية ومصر التى بعثت من جديد لتتحدى هذه الدول وجود الدولة الأثيوبية ذاته . فماذا كانت امكانياتها من أجل البقاء ؟

---

(٢) كان هذا الادعاء قاصرا بالتحديد على الاراضى الساحلية الافريقية المطلة على البحر الأحمر ، ولكن بما ان العرب اطلقوا على أثيوبيا اسم بلاد الحبش أو الحبشة ، كما ان الاثيوبيين انفسهم استخدموا اسم حبشة لدولتهم وشعبهم فان مجرد استخدام هذا الاسم كان يعنى او كان مفهوما انه يعنى دعاوى أكثر إتساعا .

(٣) تريمنجهام ، الاسلام ، الصفحات ٨٤ ـ ٩٨ ، آبير ، أثيوبيا ص ٢٦ .

(٤) سينجيز أورهونتلو « مصادر المخطوطات التركية عن أثيوبيا » ، IV congresso Internazionale di Studi Etiopia (روما ١٩٧٤) الصفحات ٤٥٥ ـ ٤٦٢ .

(٥) آبير ، أثيوبيا ، الصفحات ٥ ـ ٨ بى . إم . هولت . « تاريخ حديث للسودان » (لندن ١٩٦١) ص ٢٥ و Giglia, Etiopia - Mor Rosso. المجلد الاول ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٦) انظر الصفحات ٣٣ ـ ٣٤ فيما يلى (بالأصل) .

نظام الحكم الأثيوبى :

كانت أثيوبيا عام ١٨٠٠ من زاوية وجهات نظر كثيرة ، دولة ضعيفة تعانى من مشاكل داخلية خطيرة وكانت تبدو غير متماسكة . غير أنها على أية حال لم تكن مثل مناطق أخرى كثيرة بأفريقيا بل كانت مجرد وطن لمزيج من القبائل المندمجة بصورة وثيقة الى حد ما . فمئات السنين من الحياة الزراعية المستقرة فى المرتفعات الأثيوبية ، والتاريخ الطويل للملكية الأثيوبية ، والكنيسة المسيحية فى المنطقة ، قد أضعفت الهياكل القبلية ، أدت الى قيام مجتمع أكثر تنظيما اقليميا . وكان العنصر المهيمن سياسيا وثقافيا فى المنطقة ككل ، هو مجموعة السكان فى المرتفعات من المسيحيين الناطقين بلغات سامية الذين استزرعوا كثيرا من الهضبة ابتداء من المناطق الواقعة وراء منطقة مصوع تقريبا حتى المنعطفات الكبرى للاباى Hawash Abbay وبقيت فى هذه المنطقة هناك على أية حال عدة جيوب من قبائل « كوشيتيك اجيو Cushic Agew ، ومعظمهم جرى تحويلهم الى المسيحية غير أنهم لم يندمجوا لغويا .

وكانت هناك قبائل أخرى تفوقت على قبائل الكوشيتيك أجو من الناحية السياسية ألا وهى قبائل الأورومو Oromo أو قبائل الجالا ، الذين كان يطلق عليهم فى المؤلفات الأثيوبية والأوروبية دائما . وكانت غالبية هذه القبائل الكوشيتية Cushitic تعيش خارج الدولة الاثيوبية فى أوائل القرن التاسع عشر ، بيد أن بعض تجمعاتهم القبلية استقرت على سهول شيوا فى الجنوب ، وفى الجبال وسفوح المرتفعات على طول الجرف الشرقى . وبل ولقد تغلغل بعضهم الى أعماق أثيوبيا شرقى بحيرة تانا . ومع استقرارهم وتحولهم الى الزراعة بدأت عملية اندماج عن السكان الأسبق الناطقين باللغة الأمهرية . وظهرت طبقة نبلاء جالا حققت عن طريق توليهم مناصب فى الخدمة العسكرية وعن طريق الزواج المختلطة حققته هذه الطبقة نفوذا سياسيا على كل مستويات الدولة ، وبالرغم من أن معظم هؤلاء الجالا تقبلوا الاسلام بدلا من المسيحية .

وعلى طول الحدود الغربية ، خضع أيضا لسيطرة الامبراطورية الاثيوبية عدد من الجماعات السكانية شبه الزنجية الوثنية فى معظمها مثل جماعة الكوناما ، والباريا ، كما أنه كان هناك على طول ساحل البحر الاحمر وشرقى المرتفعات قبائل بدو مسلمة عاشت فى تكافل اقتصادى مع الاثيوبيين(٧) .

وبينما أسفرت عملية الاندماج والتاريخ الطويل المشترك عن قدر من الاحساس بهوية قومية ، ولا سيما فى المرتفعات ، كانت هناك أيضا قوى انقسامية تلعب دورها ، وهو ما يرجع بصورة مرجحة الى صعوبة الاتصالات فى دولة جبلية ، والى الطبيعة الاقطاعية للنظام السياسى بقدر يماثل أى عوامل عرقية محضة . وفى بداية القرن التاسع عشر ، كانت سلطة المؤسسات المركزية ، العرش ، والكنيسة عند أدنى نقطة لها . وكانت هذه هى الفترة التى أطلق عليها الاثيوبيون فى

---

(٧) لمزيد من المعلومات عن التقسيمات العرقية . واللغوية ، والدينية فى أثيوبيا ، أنظر E,Ullendorff « الأثيوبيون » (إكسفورد ١٩٦٠) ، الصفحات ٣١ ـ ٤٦ ، ٩٧ ـ ١٣٥ ، وتريمنجهام Triminigham « الاسلام » ، الصفحات ٥ ـ ٣١ ، و١٤٧ ـ ٢٢٤ .

تاريخهم اسم زامينى ما سافينت Zememe mesafint أو فترة عهد الأمراء (أو القضاة) وسمى كذلك لأنه « لم يكن هناك فى تلك الأيام ملك فى اسرائيل : اذ كان الجميع يعملون ما يرون أنه صحيح فى نظرهم[8] » .

وبدأت عملية الإقليمية والتفكك المتزايدين فى مركز السلطة وذلك حوالى منتصف القرن الثامن عشر . وكان تيكلى جيورجيس فيكيرسجيد آخر ملك الملوك الذى باشر سلطة ما من أى نوع من سلطاته . وقد قدر له أن يتم تنصيبه على عرشه وأن يخلع عنه ست مرات خلال الفترة من ١٧٨٩ حتى ١٨٠٠ ، وأن تنتهى حياته فى المنفى فى تيجرى فى عام ١٨١٧ . وجرى العرف الاثيوبى على تسميته Fissa me´nefist (نهاية الحكم) . وكان خلفاؤه ومنهم على سبيل المثال « يى إيدى ماريام » ، و « ايجوالى سيون (جوالو) » ، و « يوآس » ، وجيجاد ، وإياسو ، وساهلى وينجيل ، ويوهانيس ، مجرد العوبة فى يد الحكام والملاك الإقليميين .

وكان الملوك المخلوعون يعيشون مشتتين فى بلاط الأمراء الأدنى ، وفى الأديرة . واشترك بعضهم فى مؤامرات ومكائد للعودة الى العرش ، وبدا آخرون قانعين تماما بقضاء ما تبقى من سنوات عمرهم بعيدا عن مراكز السلطة[9] .

وكان لايزال الملك الحاكم والقاطن وفى القلاع المتهاوية بعاصمة جوندر القديمة .. الكثير عن المجد الاجوف ، اذ كان يمثل « مجد الملوك » التى كانت الملكية الأثيوبية تستقى منه الكثير من قوتها فى الماضى[10] . وباعتباره من سلالة سليمان وممن اصطفاهم الله فقد كان يعتبر مصدرا

---

(٨) القضاة ٢١ : ٢٥ .

(٩) فيما يتعلق بهذه الفقرة والفقرات التالية مباشرة لها ، انظر ضمن أعمال أخرى كونتى روسينى « السجلات تاريخية الترتيب » Rendiconti della Reole Acoeadenia dei fincei, 5XXV أو ولد بلونديل Chronile, Passim ، المكتبة القومية ، باريس ، اثيوبيا ، ٢٤٢ ، الحوافظ ٨٢ ـ ٨٣ ، و (بيرسى) . fiye, passim. ، رويل ، رايس (Reise) المجلد الثانى ، الصفحات ٣٦٩ ـ ٤٠٣ ، ودابادى Douze and ولا سيما الصفحات ١٣٧ـ١٥٩ ، وبالرغم من وجود اختلافات فى الرأى بشأن درجة التفكك وأسباب تدهور دولة جوندرين ، يؤكد الرحالة المعاصرون الكثيرون فى اثيوبيا الصورة القاتمة التى ترسمها السجلات التاريخية الترتيب ، وهذه المسألة معقدة للغاية ولايمكن معالجتها هنا حيث ان هدفى الوحيد هو اعطاء القارىء فكرة عامة عن الأحوال الداخلية كمقدمة لتوضيح الرد على التأثيرات الخارجية التى تعتبر موضوع هذا الكتاب . وتوجد أحدث الدراسات عن عهد الأمراء أو القضاة فى كتاب : .Abir, Ethiopia وفى كتاب Crummey, Priests حيث يركز الأول على الجانب الاقتصادى ويركز الاخير على الجانب الاقتصادى ويركز الأخير على الجانب التبشيرى والدبلوماسى . وأنظر أيضا Rubensan, Te´wodres الصفحات ١٧ ـ ٢٥ ، وديفيد ماثيو Ethiopia, the study of a pdity 1540 - 1935 (لندن ، ١٩٤٧) ، الصفحات رقم ٩٩ ـ ١٧٨ .

(١٠) س . بيزولد ، (ميونخ ١٩٠٥م) . Kebra Nagast : die Herrlichreit Ronige.

لكل سلطة بالدولة[11] . فمن الناحية النظرية ، كان له هو وحده سلطة منح الرتب ومناصب الحكام وسحبها منهم حسبما يشاء ، أما فى الواقع فكان لاحول له ولا قوة .

ومع حلول الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لم تكن لدى الإمبراطور قوات عسكرية ولم تكن له ايرادات تقريبا ، اذ حكم القصر وعاش على الدخل والغرامات المحلية والهبات ، والمكوس من تجار جوندر المسلمين والتى يقال انها وصلت الى ثلاثمائة قطعة من (الطالر) ريالا ماريا تيريزا (مايعادل أقل من ١٠٠ جك فى عام ١٨٣٢ . وقرابة عام ١٨٤٠ ، كانت المخصصات الملكية تبلغ حوالى ١٠٠ جنيه فى السنة ، ورسوم ضئيلة على جميع الزبد المستورد الى جوندر ، العاصمة[12] . ويتعين ربط ذلك بالتقارير القائلة بأنه بالاضافة الى القدر الكبير من الثروات الأخرى ، شملت ضيعة ويلدى سيلاسى أحد الاتباع التيجريين فى ١٨١٦ ، ٧٥٫٠٠٠ (طالر) ريال ماريا تيريزا وأن تابعت اسميا آخر يدعى الملك ساهلى سيلاسى ملك شيوا كان دخله فى بداية الاربعينيات من القرن التاسع عشر يتراوح ما بين ٨٠٫٠٠٠ ـ ٩٠٫٠٠٠ طالر وكانت مصروفاته لا تزيد عن ١٠٫٠٠٠ طالر مما أسفر عن اكتنازه لقدر كبير من الفضة[13] .

وكان هناك بالفعل فجوة مذهلة بين اسطورة « ملك ملوك جميع العالم اذا كان هذا البيان يسر » وهو ما كان صانعو الملوك يخاطبون تيكلى جيورجيس فى الماضى ، وبين المركز الحقيقى للملك الظل الموجود فى جوندر[14] . وثمة مشاعر بالغة الاستياء واليأس يبديها السجل الأثيوبى التاريخى الترتيب وهى :

كيف يتأتى أن تصبح المملكة محتقرة
من المراهقين والعبيد ؟
وكيف يتأتى أن تكون المملكة

---

(١١) ولا يعنى ذلك ان هناك أى نظريات جيدة التحديد عن أساس السلطة وتوظيفها . بل على العكس من ذلك يصل أرنولد دابادى Dauzeans، الصفحات (١١٠ ـ ١١١) ، بعد محاولة لشرح هذه المسألة التى اننا « نعرف .. ان الاثيوبيين يقولون ان من السخف دائما التطلع الى تحديد قيام السلطات الكبرى ، تماما مثل التطلع الى معرفة اللحظات التى تدخل فيها الروح جسد الانسان » .

(١٢) اس جوبان ، جورنال الاقامة لمدة ثلاث سنوات فى الحبشة ، (لندن ١٨٣٤م) ، الصفحات (٩١ ، ٩٦) . ورببيل Reis المجلد الثانى ، ص ١٧٤ ، الحافظة ٣/١ ، والحافظة ١٥٠ ملاحظات ايسنبرج بشأن وبى الى فيكتوريا ، بدون تاريخ ، من الأسعار فى جوندر آنذاك ، ٣٠٠ طالر تساوى تقريبا ٦٠ طنا من الحبوب (القمح أو التيف ، أو ٣٠ حصانا ، أو ٥٠ ـ ٦٠ بندقية من نوعية رديئة . أنظر ريتشارد بانكهرست ، « التاريخ الاقتصادى لاثيوبيا » (١٨٠٠ ـ ١٩٣٥م) (اديس أبابا ١٩٦٨م) ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(١٣) (بيرسى) Bife المجلد ٢ ، الصفحات ٩٥ ـ ٩٦ ، ودبليو . س . هاريس « مرتفعات أثيوبيا » (لندن ١٨٤٤ ، المجلد ٣ ، ص ٢٨) .

(١٤) ويلد بلونديل ، السجلات التاريخية الترتيب ، الصفحات (١٧١ و٤٤٧) .

أضحوكة لغير المتطهرين منذ نشأتهم ؟
وكيف يتأتى أن تكون المملكة صورة
لزهرة لا قيمة لها يقطفها
الأطفال فى أمطار الخريف (١٥)

وكان الحكام الحقيقيون لاثيوبيا هم الحكام الاقليميون ومن يسمون بالرؤساءRases ، وdejjazmaches لشتى الأقاليم . فقد حافظوا على ايرادات أقاليمهم وقادوا جيوشهم الخاصة بهم . وجعل أشدهم قوة مناصبهم وراثية ، غير أن شعبيتهم مع الجنود واتصالاتهم مع العائلات الاخرى كانت تمثل فى الغالب عوامل حاسمة فى الصراعات من أجل الخلافة على منصب الحاكم . وكان مطمح الحكام بالغى القوة هو أن يصبحوا راساRas للملكة ، أوRas bitwedded رأس بيتويديد (الدوق المفضل) وبالتالى وصيا لملك الملوك . ولقد أسفر الصراع من أجل هذا المنصب الأعلى ، والمحاولات الناجمة من جانب اللوردات الاقطاعيين على جميع المستويات لزيادة المناطق الخاضعة لنفوذهم على حساب جيرانهم ، أسفر عن حالة حروب صغيرة النطاق ومستمرة تقريبا ، واستمرت الرهبة التى تهيأت للأسرة السليمانية . وحالت لعشرات السنين محاولات اغتصاب العرش نفسه ، غير أن ملك جوندرين لم يكن لديه ما يقدمه أكثر من أنه رمز ومصدر للهوية القومية .

وزاد تفاقم الموقف بتطورات فى الكنيسة الأثيوبية . اذ لعبت سويا مع العرش دورا هاما كعامل موحد ووسيط فى النزاعات السياسية . وبالرغم من أن رجال الدين كانوا لايزالون يتصرفون فى كثير من الأحوال كوسطاء فقد اختفت الوحدة المذهبية والهيكلية للكنيسة ، واسفر التضخم المتنامى للنزاعات المذهبية ، وهى نزاعات كانت تدور بصورة أولية حول أصل تكوين طبيعة المسيح ، عن قيام فئات متحاربة تحالفت مع شتى الحكام الإقليميين ، وتقاتلوا فيما بينهم بوسائل روحية ودنيوية وجرى إحضار الأسقف أو الأبونabunمن الاسكندرية وكان له نفوذ شديد . غير انه فى اعقاب وفاة الأسقف يوساب فى عام ١٨٠٣ ، حدثت فترتى فراغ طويلتين .

ولم يكن كيريلوس (١٨٠٦ ــ ١٨٣٠) أو سيلاما الذى لم يصل الا فى عام ١٨٤١ قادرا على مجابهة الموقف . فقد اكتنفها الإضطراب المذهبى والسياسى مثلما كان عليه الحال مع ممثلى المنصب الأثيوبى بالغ القوة ، وهو منصب اتشيجى ichege (١٦) . وفى نفس الوقت ، أدت الحركة الوهابية الى احياء الإسلام فى منطقة البحر الاحمر ، وزيادة الوعى الدينى ، وتورط السكان المسلمين فى أثيوبيا وحولها . وما هو أكثر تأثيرا بصورة مباشرة ، أن دولة جوندرين تأثرت بظهور

(١٥) نفس المصدر السابق ، الصفحات (٤٦٩ ــ ٤٧٠) .
(١٦) كرومى ، القساوسة ، الصفحات ١٥ ــ ٢٦ .

قيادة جالا باليلاط ، حيث أن الرؤساء من الجالا كانوا غالبا ما يقلبون ظهر المجن لمؤيديهم من المسلمين لكى يظلوا فى السلطة (١٧) .

وكانت التقسيمات السياسية الرئيسية فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر هى ، تيجرى فى الشمال ، وسيمين ديمبيا (بيى ــ ماد وكيميس) وبيجمدير ، وأمهرا ، ولاستا ، وييجو ، وويلو فى الوسط ، وجوجام ، وشيلوا فى الجنوب .

ولم تكن كل هذه التقسيمات على مستوى واحد سياسيا ، كما لم تكن مستقرة جغرافيا . ففى الأرجاء الوسطى خاصة ، اسفرت حركات التمرد والتحالفات المتقلبة عن انتقال كثير من المناطق من يد الى أخرى ، أو كسب قدر من الحكم الذاتى لفترة من الوقت لتفقدها مرة أخرى بعد ذلك . ولقد لعبت ثلاث وحدات دورا حاسما فى الاتصالات مع القوى الأجنبية وفى النضال من اجل التوحيد والبقاء . وهى وحدات بيجمدير (امهرا) وشيوا ، وتيجرى (١٨) .

وادعى حاكم بيجمدير الأسبقية من بين الأمراء الإقليميين وحكم من مقره فى ديبرى تابور ، أراضى امهرا الوسطى ، وكانت جوندر العاصمة الامبراطورية أيضا داخل أراضيه ، وفى السبعينيات من القرن الثامن عشر ، ظهر أحد الرؤساء من أبناء ييجو الأقوياء وهو (على جوانجويل ، المعروف باسم « على الكبير ») ، كصانع ملوك وشخصية ذات نفوذ كبير فى اختيارهم وفى الوصاية عليهم ، وتبعه كرؤساء ستة من أفراد أسرته المسلمة أصلا والتى يقال انها من الجالا . إذ سيطروا باسم الإمبراطور على جميع المناصب العليا ، ولو نظريا على الأقل ، غير أن وضعهم بين السكان من الويلو والييجو والذين كانوا بدرجة كبيرة من الجالا والمسلمين ، ومسيحى جرجام ومنطقة بحيرة تانا بصفة عامة لم يكن سهلا ، ومع ذلك فإن راسى جوجسا (١٨٠٣ ــ ١٨٢٥) كان يمثل بلا شك وحدة الدولة الأثيوبية كما كانت عليه ، أكثر من أى أحد آخر أثناء الربع الأول من القرن ، بل وظل بعد وفاة ديبرى تابور يمثل مركزا سياسيا قياديا (١٩) .

(١٧) وللتلخيص المفيد لهذا الجانب ، انظر تريمنجهام ، « الاسلام » الصفحات ١٠٠ ــ ١١٤ .
(١٨) تستخدم كلمة بيجمدير وأمهرا كأسماء لاقاليم معينة ، ولجميع المنطقة الوسطى ولاسيما المنطقة الناطقة بالامهرية ، وليجمدير دلالة سياسية أوضح ، وهى الأقاليم التى يسيطر عليها ديبرى تابور مباشرة أو غير مباشرة ، ولا تشمل سيمين ، والتى وجدت مع تيجرى فى العقود الأخيرة من فترة الأمراء والقضاة . وسأستخدم مصطلح بيجمدير بصفة عامة ، حيث أن استخدام لفظة أمهرا تسبب مزيدا من الخلط وكانت شيوا ، وتيجرى أيضا لفظان استخدمنا لوحدات أصغر ولاقاليم أو ممالك فرعية كانا يمثلان جزءا منها . وما لم تجر الاشارة الى غير ذلك فإن المقصود هو الوحدة الأكبر .
(١٩) دابادى ، Dauze ans الصفحات ١٨٣ ــ ١٩٠ ليفى بفر ، Vayage المجلد الأول ، الصفحات ٣٥٦ ــ ٣٦٤ ، والمجلد الثانى ، الصفحات ١٢٢ ــ ١٣١ ، وبليو . س بلودين . Trovels in Abyssinia and the Gala country (لندن ١٨٦٨م) ص ٣٨ .

ويفيد ارنولد دابادى أن راسى على (الثانى) الولا ادعى فى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر أنه حل محل ملك الملوك (٢٠) وفى عام ١٨٤٩ ابرم مع بريطانيا العظمى معاهدة ، ووقع عليها باسم على ، نجوس حبشة ، غير أن هناك أسبابا قوية تدعو الى الإعتقاد بأن هذا قد تم لإرضاء القنصل بلودين وليس لأى شيء آخر (٢١) فى العرف الأثيوبى ، لم يحدث على الاطلاق أن أطلق عليه اسم نيجوس— Nigusf3

وكانت شيوا هى الإقليم الذى ارتقى الى أقصى درجات الحكم الذاتى . وكانت فى الواقع بمثابة مملكة مستقلة كان يحكمها سلسلة من الحكام ادعو بأنهم من الأسرة السليمانية حكموها منذ حوالى عام ١٧٠٠، فساهلى سيلاسى (١٨١٣ - ١٨٤٧) المعاصر لجوجا » ، و « على » الذى أعلن نفسه بصورة منفردة ملكا nizus ، ولم يكن هذا ليعنى بالضرورة أى مطالبة بالعرش فى جوندر ، ومع ذلك فقد كان ذلك مقبولا ضمنيا على ما يبدو من « على » على الرغم من أن ذلك كان محل إعتراض من جانب رجال الدين فى جوندر ، ويتفق جميع المراقبين على أن ساهلى سيلاسى كان يتمتع بسيطرة أكبر على أراضيه من أى حاكم آخر . واستطاع أيضا عن طريق أوساAwsa وتاجوراTajura اللتين ربطته بهما عادة علاقات طيبة ، أن يمارس التجارة الخارجية والإتصالات الأخرى مع العالم الخارجى بصورة مستقلة عن جوندر ، غير أن محاولاته لتأكيد استقلاله فى الأمور الكنسية ، أدت الى أزمة عميقة ثم الى حرمان الأسقف له من الكنيسة فى النهاية (٢٢).

وكانت الصلات فيما بين جوندر والوحدة الكبرى الثالثة ، وهى تيجرى ، وطيدة بصورة أكبر . فقد كانت طرق القوافل من أواسط اثيوبيا الى الشاطىء تمر عبر تيجرى مما حتم وجود قدر من التعاون ، وكان حكام تيجرى يعينون عادة من جوندر أو يسعون للحصول على موافقتها على مناصبهم . وكانوا ينغمسون بشكل أكبر من الحكام من أبناء شيوا فى المكائد السياسية والحروب الأهلية التى كانت تقع فى أواسط اثيوبيا . وفى تيجرى نفسها كان هناك قدر كبير من الإضطراب السياسى والحروب الصغيرة مع تصادم طموحات وادعاءات رؤساء العائلات الحاكمة من شتى الأقاليم الفرعية إذ كانت شيرى Shire ، ومنطقة عدوة وأكسوم (المعروفة أيضا باسم تيجرى) ، وتيبين ، وايندرتا ، وأجامى ، وهاماسين تتحالف وتتحالف من جديد فى محاولات للسيطرة على مناطقهم الشبيهة بالممالك . واعتبارا من أول القرن حتى ١٨١٦ ، حافظ الراسى وبلدى سيلاسى ، من تيمبن وإنديرتا على قدر من النظام ، وينطبق هذا نفسه على ديجازماتش سيباجاديس حاكم

(٢٠) دابادى Douze ans الصفحات ١٨٣ ــ ١٩٠ ، وانظر أيضا ص ٥٠٦ عن طموحات بيرو جوشو من جوجام فى هذا الصدد .

(٢١) الحافظة ١/٢/٩٣ . انظر فيما يلى بالأصل الصفحات ١٣٠ ــ ١٣١ .

(٢٢) فيما يتعلق بشيوا فى تللك الفترة ، انظر ، Abir « اثيوبيا » الصفحات ١٤٤ ــ ١٨٢ ، وكرومى « القساوسة » الصفحات ٤٦ ــ ٥٥ وليفى بفر (Vayage ، المجلد الثالث ، الصفحات ٢١٦ ــ ٢١٧) يقدم وصفا موجزا ودقيقا لحكم ساهلى سيلاسى ، وهاريس Hizhlands, Passim) أكثر توازنا ، وروشيه (Vayage ، الصفحات ٢٨٤ ــ ٢٨٦ ، و٣٦٣) حافل بالثناء .

أجامى من حوالى ١٨٢٢ حتى ١٨٣١ غير أن جار سيا جاديس عبر تيكزى ، وهو ديجازماتش وبى حاكم سيمين ، تحالف فى ١٨٣١ مع راسى مارى رئيس بيجمدير لسحق سيباجاديس ، ونجحا فى ذلك وسقطت تيجرى تحت وبى . ونظرا لغلظته وربما أيضا لانه هو نفسه لم يكن من أبناء تيجرى ، فإن وبى لم يكن محبوبا من النبلاء المحليين . وهكذا اندلعت أعمال تمرد متكررة فى الفترات التى كان يواجه فيها مشاكل فى أماكن أخرى . ومع ذلك ظل وبى حاكما لتيجرى حتى نهاية فترة الأمراء والقضاة (٢٣) .

كانت هذه هى حالة الدولة الأثيوبية التى كانت مطالبة بمواجهة التدخل والعدوان الخارجيين بالقرن التاسع عشر . ولم يكن هناك الكثير الذى يمكن عمله من أجل امكان اجراء منسق لصون الوجود المستمر للدولة الأثيوبية . وقامت بلا شك هوية قومية غامضة وغير ملموسة على نحو ما يتطلبه مثل ذلك المفهوم فى ظل تلك الظروف ، ويتكشف شيء من هذا فى الملاحظة السلبية ، التى تقول « انهم لايزالون يساورهم وهم بأنهم أمة . . . » (٢٤) ولا نعرف شيئا عن مدى قوة أو إنتشار الوعى بهذه الهوية آنذاك . وما نعرفه هو أن المؤسسات التى كانت تمثل فى الماضى الوحدة القومية ، وهى الأسرة السليمانية ، والكنيسة ، فقدت الكثير من رؤيتها واتجاهها بل ووحدتها الداخلية نفسها .

(٢٣) Abir « أثيوبيا » ، الصفحات ٣١ ــ ٣٧ ، ويجرى وصف الأحوال والأحداث فى تيجرى فى النصف الأول من القرن بتفصيل كبير على يد كثير من الرحالة ومنهم سولت ، وبيرسى ، ليفى بفير ، ولبريه ، وجالينير ، وكذلك فى العديد من التقارير من الوكلاء القنصليين ، والمبشرين .

(٢٤) الحافظة ١/٤٠١ ص ١٩٦ ، بلودين الى كلاريندون ، ٩ يوليو ١٨٥٤ .

فالينتيا واتصالاته مع ويلدى سيلاسى : استراتيجية أم تجارة أم مساعدة

وفى يوم ٢٤ مايو عام ١٨٠٤ وهو التاريخ الذى يعد ايذانا بفترة جديدة ، وصل السير جورج ايتسلى ، فايكونت فالينتيا ، الى مصوع لإستكشاف امكانات التجارة مع الحبشة[٢٥] . وكان قادما من الهند بزعم أن الهدف الرئيسى لرحلته هدف علمى : وهو جمع معلومات جغرافية ونباتية للنشر . ولم تكن رحلته لحساب الحكومة البريطانية بالرغم من أن آمالا خاصة راودته أن تكون هذه الرحلة ذات أهمية فى الصراع الكبير بين فرنسا وبريطانيا[٢٦] .

ويتضح من تقريره كله أنه كان يرنو بناظريه متطلعا الى فرص تجارية . وأنه لم يضع خططه إلا بعد وصوله الى الهند حيث حصل على تأييد وموافقة الحاكم العام للهند على « رحلة إلى البحر الأحمر . . . من أجل بحث واستقصاء الشاطىء الشرقى لافريقيا ، وإجراء التحريات اللازمة عن الوضع الحالى للحبشة » وشملت هذه التحريات آنذاك صراحة التحقق من وجود الفرص التجارية ، وهو ما يمكن توقعه فى مهمة حظيت بمباركة الحكومة البريطانية فى الهند[٢٧] .

وفى مصوع ، استُقبل فالينتيا بصورة طيبة من النائب ادريس « الشخصية الممتازة الى أقصى حد » . ووجد أن الباب العالى لم يعد يمارس أى سلطة مباشرة هناك . إذ كان يجرى تقاسم السلطة والدخل بين النائب وأخويه ، « سردار » الحامية فى مصوع و « دولة اركيكو » . وكانت التجارة فى نظر فالينتيا كبيرة ، بالرغم من أنها كانت تتضاءل[٢٨] .

وعندما زار فالينتيا مصوع للمرة الثالثة فى مارس ١٨٠٥ قرر ارسال سكرتيره ورسامه هنرى سولت الى داخل الدولة لإقامة علاقات مع البلاط الأثيوبى . والظروف التى تدور حول هذا الموضوع ليست واضحة . إذ يقول فالينتيا ان همزة الصلة له فى مصوع ، كان تاجرا هنديا يدعى

---

(٢٥) فالينتيا ، Voyage المجلد الثانى ، الصفحات ٤ ، و٤٧ .

(٢٦) أنظر ماثيو « أثيوبيا » الصفحات ١٠٩ ـ ١١٦ للتعرف بصورة وجيزة على النبيل الحريص ، الغامض ، غريب الأطوار « اللورد » ڤاليتيا ، وسكرتيره ورسامه الشاب ، هنرى سولت .

(٢٧) فاليتيا Vayage ، المجلد الثانى ، الصفحتان ٤ ـ ٥ .

(٢٨) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، الصفحات ٤٥ ـ ٤٧ ، ٩٥ ـ ٩٦ ، ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

كوروم تشوند الذى كان مرتبطا بالأعمال التجارية للنائب ، ذكر له مرارا أن حاكم إقليم تيجرى ، راسى ويلدى سيلاسى كان متشوقا الى الإستماع اليه . واستجابة لذلك أعطاه « فاليتيا رسالة ، طالبا منه وضعها فى صورة خطاب وإرسالها الى الراس(٢٩) .

ومن الصعب تحديد ما إذا كانت اهتمامات ويلدى سيلاسى حقيقية أو مدفوعة أو أنها محض خيال من كوروم تشوند . فقد سأل فاليتيا هذا الأخير فى شهر اغسطس من العام الأسبق عن احتمالات دخول اثيوبيا عن طريق مصوع . ويقال إن كوروم تشوند رد عليه بأنه مسئول عن ان يقدم النائب بترتيب وصول أى شخص فى حضرة الملك سالما تماما « كما وأن » تكلفة الحصول على جياد ، وبغال ، وحرّاس ... الخ قد تصل الى ٤٠٠ طالر(٣٠) . وكان هذا على الأرجح يمثل فى نظر كوروم تشوند فرصة عمل تجارى تحتاج الى تأهب واستعداد . ولابد وأنه كان يعرف أن هذا المبلغ المذكور ليس سوى جزء مما يتعين على فاليتيا ان يدفعه ليتم له ما يريد . وبعد أقل من عام واحد ، طُلب من سولت ١٠٠٠ طالر ، عدا تكاليف النقل ، والواقع أنه دفع ٥٠٠ قبل أن يحصل على وسيلة النقل حتى الى الجرف ، اى رحلة تستغرق يومين الى ثلاثة أيام فقط بدلا من الشهر او أكثر الذى تتطلبه الرحلة للوصول الى جوندر(٣١) .

ومع حلول مارس ١٨٠٥ ، علم فاليتيا أيضا أن إدريس واخويه لم يكن من السهل التعامل معهم ، ففى يناير طلبت منه دفع منحة نقدية تبلغ ٢٠٠ طالر بعد إهدائه للنائب بارودا للمدافع تبلغ قيمته ٥٠٠ طالر . أما عن « الدولة » فقد طالب بنصيبه الذى بلغ ١٠٠٠ طالر كرسوم لرسو سفينتى فاليتيا . وكان هذا بالإضافة الى الرسوم التى كانت « معتدلة بصورة عامة » . وكان رد فاليتيا هو أن السفن الحربية البريطانية لا تدفع أى رسوم رسو لا هنا ولا فى أى مكان آخر ، وأنه سيعبر ويدمر اركيكو حرقا ردا على هذه الإهانة(٣٢) .

وليس هناك لهذا ما يثير الدهشة فى أن فاليتيا بدأ يفكر فى التخلص من النائب أو تجاوز مصوع ، كبديل عن ذلك . فقد كتب فاليتيا فى تقريره أن كوروم تشوند « أصبح يتحدث الآن بحذر أقل عن الوضع السياسى لمصوع ، ويسلم بأن الأمور تقع تحت رحمة ملك الحبشة الذى بوسعه فرض ارادته بقطع جميع الإمدادات عن الأرض الأم .

ويواصل فاليتيا حديثه قائلاً « والواقع أن مصوع ليس لها أهمية إلا من ناحية أنها ميناء الحبشة . وأنه اذا تم تحويل التجارة الى أى مسار آخر ، فإنها ستصبح بلا أدنى أهمية وتغوص فى بحار النسيان . وكان اهتمامه منصبا بصورة رئيسية على خليج زولا الواقع جنوب مصوع والذى اطلق

(٢٩) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، ص ٣٣٦ ولا يقول فالنتيا شيئا عن مضمون تلك الرسالة .
(٣٠) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، ص ٩٦ .
(٣١) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، ص ٤٥١ .
(٣٢) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، الصفحات ٢٤٠ ـ ٢٤٧ . قام فالينتيا بهذه الزيارة فى سفينتين صغيرتين ، وضعتهما تحت تصرفه حكومة بومباى لإجراء مسح لساحل البحر الأحمر .

عليه اسمه هو أنيسلى : « ان التجارة التى تتدفق من الحبشة ، يمكن بسهولة احضارها الى آخر الخليج ... فالمسافة ستكون أقصر .. كما أن منشآت الشحن والتفريغ جيدة بصورة مماثلة(٣٣) .

وفى يونية عام ١٨٠٥ أحضر كوروم تشوند معه الى مخاMokhaخطابا يقال انه كان من ويلدى سيلاسى . ويفيد فاليتيا أن هذا الخطاب كان يحتوى على دعوة له هو أو نائبه للحضور الى تيجرى(٣٤) . وأبلغ ويلدى سيلاسى فيما بعد سولت أن مجيئه كان نتيجة لخطأ من كوروم تشوند ، وأنه حتى إذا كان كوروم تشوند قد تجاوز حدود اللياقة فى هذا الشأن ، فإن من الواضح تماما أن الراسى وافق على مجىء البريطانيين ، وأنه أعدّ الترتيبات لنقلهم ومرافقيهم على طول الطريق من أركيكو(٣٥) . وعلى الفور كتب فاليتيا الى ويلدى سيلاسى ليعلق مقدم هنرى سولت الذى أقلع بعد ذلك مباشرة الى مصوع مرة أخرى(٣٦) .

غير انه على أية حال لم يرسل اى خطاب الى النائب هذه المرة ، واحيط علما بخطته بعبارات مؤكدة تقول : ـ « حسنا جدا ـ بيد أن على صديقى أن يفهم اننى المنفذ الى الحبشة ، وأنه لا يوجد من يذهب إليها أو يعود منها الا عن طريقى » ، إن هذه البعثة سوف تمر من أجل عامل الصداقة ، وليس بسبب أنهم جاءوا بسفينة كبيرة . ولم يكن النائب متأثرا بسولت والمرافقين له على الإطلاق . فقد كانوا « مثل أطفال لا يفهمون » . (٣٧) . ومن المؤكد أن سولت قد واجه صعوبات مع النائب وانه لم يحظ بالإذن للتقدم إلا بعد مشاحنات طويلة حول المبالغ التى يتعين دفعها ، وبعد التهديد بدخول الحبشة عن نقطة أخرى على الساحل (٣٨) .

وفى ٢٠ يوليو غادر أركيكو مع رفاقه ، وقابله فى اليوم الأول مجموعة الحراسة الأولى والبغال المرسلة من ويلدى سيلاسى . وبالرغم من حديث سولت عن كثير من المشاحنات والتنافس بين رؤساء القبائل ، والحكام المحليين على طول طريقه . فقد تمت رحلته بيسر الى حد ما . وبعد أكثر من شهر قليلا ، أى يوم ١٨٠٥/٨/٢٨ وجد سولت نفسه فى أنتالوAntalo ، عاصمة ويلدى سيلاسى فى جنوب تيجرى (٣٩) .

(٣٣) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، الصفحات ٣٣٦ ، ٣٣٨ .
(٣٤) نفس المصدر ، المجلد الثانى ، ص ٤٠٦ ، وذلك الخطاب ليس محفوظا مع رد فاليتيا فى المتحف البريطانى ، بلندن ، الملحق ١٩٣٤٣ حيث يمكن العثور عليه .
(٣٥) فاليتيا Vayage ، المجلد الثانى ، ص ٤٧٥ ، و ٤٩٠ ـ ٤٩٣ ، والمجلد الثالث صفحة رقم ٥٦ .
(٣٦) المتحف البريطانى ، بلندن ، الضميمة ١٩٣٤٣ ، حافظة رقم ٣٨ (فاليتيا) الى ويلدى سيلاسى ، بدون تاريخ ، وهى مسودة باللغة العربية دون اسم فاليتيا ، غير ان من الواضح تماما من محتوياتها انها كانت الخطاب الذى ارسل لتقديم سولت .
(٣٧) نفس المرجع ، الحوافظ ٣٨ ـ ٣٩ ، إدريس الى فاليتيا ، دون تاريخ ، ورد فى ١٨٠٥/٨/٤ ، فاليتيا ، Vayage ، المجلد الثانى ، ص ٤٤٣ ـ ٤٥٠ .
(٣٨) المتحف البريطانى ، لندن ، الضميمة ١٩٣٤٣ ، الحوافظ ٥ ـ ٩ ، سولت الى فاليتيا ، ٣٠ يوليو ١٨٠٥ ، فالينتا ، Vayage ، المجلد الثانى الصفحات ٤٤٣ ـ ٤٥٠ .
(٣٩) فاليتيا ، Vayage ، المجلد الثانى ، الصفحات ٤٦٩ ـ ٥١٠ ، المجلد الثالث ، الصفحات ١ ـ ٣٦ .

فالينتيا ، تحسبا لاحتمال أن يكون الاصل قد فقد .

وسلم سولت للراسى نسخة من رسالة ، وشرح ان السبب وراء بعثه هو « رغبة متلهفة الى تعزيز أواصر الصداقة بين دولتين قويتين مثل إنجلترا والحبشة التى يعتنق سكانها نفس الدين وانه اذا كان الراسى يميل الى عقد هذه الصلة ، والى توضيح المدى الذى يمكن أن تؤدى فيه الى مصلحة دولته ، فإن هذا من شأنه « تمكين الراسى من تزويد نفسه بأى سلع قد يرغب فيها » دون دفع رسوم إضافية . ويقول سولت ان المحادثة انتقلت الى مسألة المكان الأنسب لتسليم البضائع . ولم يكن ويلدى سيلاسى يشارك سولت فى مخاوفه من ان يكون النائب بمثابة عقبة كبيرة ، غير انه عندما اقترح سولت بيلولBeylul البعيدة على أساس قربها من عاصمة الراسى ! عرض الراسى تحويل التجارة الى شبه جزيرة بورى التى تقع تحت سيطرته والتى تعد فى الواقع اقرب الى انتالو من مصوع[٤٠] . كما أن ويلدى سيلاسى احبط محاولة سولت لتكليف أحد رفاقه بإجراء عملية مسح للطريق الى بورى[٤١] ، وحاول سولت فى عدد من اللقاءات مواصلة مناقشة الأمور بصورة أكثر لكن دون أى جدوى . إذ كانت هناك مشاكل تتعلق بالمترجمين ودسائس وشكوك ، ولم يكن سولت يثق فى المترجم المرسل اليه ، وهو تاجر يدعى الحاج حماد ، واتهمه امام الراسى ، الذى أبلغ سولت بأن وكيله فى ترتيب هذه الزيارة وهو كورروم تشوند كان « يمارس الاعيا » بل وانه كتب يحذر الراسى من سولت وجماعته باعتبارهم « أشخاصا خطرين » . وينقل سولت أن ويلدى سيلاسى تساءل مرات عديدة عن دوافع مجيئه إلى أثيوبيا . وعند نقطة معينة كان من المتفق عليه أن يشرح سولت كل شىء كتابة ، غير أنه اذا كان قد فعل ذلك ، فإنه لم ينشر تلك الوثيقة فى تقريره عن تلك البعثة[٤٢] . وواصل سولت تأكيد المكاسب الاقتصادية التى تتحقق من وراء الارتباط مع انجلترا ، واعدا بتوريد جميع الواردات بنصف الاسعار السائدة[٤٣] وحتى اذا كانت اسعار السلع تبعا لما ذكره فالينتيا أكثر من الضعف بسبب الرسوم عند كل من مخا ومصوع ، وبسبب الأرباح العالية للتجار الهنود[٤٤] . فإن سولت لا يمكن أن يكون قد يؤمن بصورة جدية أن السيطرة البريطانية على التجارة قد تعنى ما قاله لويلدى سيلاسى .

ولعل سولت كان فى شرحه للمزايا التجارية للراسى أقل تأثيرا عن شرحه لها للجمهور البريطانى . فخطاب التقديم الذى ارسله فالينتيا الى ويلدى سيلاسى لم يذكر شيئا عن التجارة . ولكنه تضمن عبارات قوية عن الصداقة وعرضا لتزويد ويلدى سيلاسى بأى مساعدات قد يحتاجها ، كما ان الرسالة الحقيقية كانت تتضمن مناشدة شديدة للراسى ليحمى سولت ورفاقه وليقوم باعداد الترتيبات لهم لمقابلة الإمبراطور بأسرع ما يمكن[٤٥] .

---

(٤٠) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، الصفحات ٣٨ ـ ٤٠ .
(٤١) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، الصفحات ٥٧ ، و١١٤ ـ ١١٧ .
(٤٢) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، الصفحات ٥٢ - ٥٦ ، و٦٢ - ٦٤ ، و١٣٨ - ١٤٠ .
(٤٣) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، ص ١٤١ .
(٤٤) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، ص ٢٦٧ ـ الحافظة ١/١ ، والحوافظ ٤ ـ ١٢ ، فالينتيا ، ١٨٠٨/٩/١٣ « ملاحظات بشأن تجارة البحر الأحمر » .
(٤٥) المتحف البريطانى ، لندن ، الضميمة رقم ١٩٣٤٣ ، حافظة رقم ٣٨ (فالينتيا) الى ويلدى سيلاسى ، بدون تاريخ .

وكانت هذه فكرة لا يحبذها ويلدى سيلاسى . وكان على سولت التخلى عن جميع الأفكار بخصوص امكان التسلل الى البلاد عن طريق جوندر . فالإمبراطور الحاكم ، جوالو أو ايجوالى سيون لم يكن من اختيار ويلدى سيلاسى للعرش ، بل لقد كان خصمه اللدود ، راسى جوجسا هو الذى نصبه على العرش[٤٦] .

وأخيرا ، تمكن عبد الله باشا الوكيل التجارى لويلدى سيلاسى فى عدوة ـ الذى يقول عنه سولت انه كان زعيما لجميع المسلمين فى تيجرى وشخصية ذات نفوذ ـ تمكن من تحقيق نوع من التفاهم . وهكذا تم اعداد الرسائل والهدايا ، وفى ١٠ أكتوبر ١٨٠٥ بدأ سولت فى التحرك الى الشاطىء مرة أخرى[٤٧] . وحمل سولت بدلا من المقابلة وبدلا من خطاب حقيقى من الإمبراطور الى ملك انجلترا ، خطابا كتب فى أنتالو باسم الإمبراطور الذى كان لا يعرف عنه شيئا بالتأكيد[٤٨] . وقدم فالينتيا هذا الى الحكومة البريطانية ليوضع امام الملك كخطاب عن الامبراطور . وفى يناير عام ١٨٠٧ حظى بمقابلة الملك جورج الثالث تقديرا لأهمية بعثه[٤٩] . ولم يذكر فالنتيا فى تقريره المنشور سوى ان ذلك الخطاب تضمن طلبا من الامبراطور « لشخص . . . يفهم فى رفع المياه . وطبيب ، ونجار »[٥٠] . وذكر فالينتيا فى المناقشات مع وزارة الخارجية حول أحد الردود ، أن الامبراطور اعرب فى خطابه عن الأمل فى أن يساعده جورج الثالث فى تحقيق السلام فى ربوع اثيوبيا التى كانت ممزقة نتيجة حركات تمرد ، وأن « تقوم السفن البريطانية بالتجارة مباشرة معه دون التوجه الى مخاMocha أو مصوع » . وأخيرا كان هناك مطالب الاحتياج الى طبيب ، ونجار ، والى شخص يستطيع رفع المياه ونقلها من مكان الى آخر »[٥١] .

---

(٤٦) فالينتيا ، Vayages المجلد الثالث ، الصفحات ٤١ ـ ٤٤ .
(٤٧) نفس المصدر ، المجلد الثالث ، الصفحات ١٣٨ ـ ١٤١ ، و١٥٠ ـ ١٥٤ ، و١٧٦ .
(٤٨) نفس المرجع ، المجلد الثالث ، الصفحات ١٥٤ ، و٢٧٦ . لاحظ أن سولت يطلق عليه فى هذا التقرير لفظة « المسلم . . . . . من الراسى من رئيسه » . فالينتيا خطاب . . لملك بريطانيا العظمى من إمبراطور الحبشة « غير انه فى كتاب سولت نفسه فيما بعد ، خطاب ارسله الراسى » باسم إمبراطور (سولت Voyage ص ١٤٨) . غير ان فالينتيا تحدث عن ويلدى سيلاسى باعتباره « رئيس وزراء الحبشة » عندما أحس باحتياجه الى كل المكانة التى يمكن لهذه الرسالة ان تهيئها له . وذكر فى محاولة منه على الأرجح لتضليل وزارة الخارجية ، ان الخطاب جاء به الى مصوع « اليها رنبجاش أو حاكم ديكسانا » ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحافظة ٩ ، فالينتيا ١٨٠٨/٩/١٣) وفى النهاية يرى وزير الخارجية انه وارد من عاصمة جوندر « سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، حافظة ٤٩ ـ ٥٠ من كانينج الى فالينتيا ١٨٠٩/١/٦ .
(٤٩) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحافظة رقم ٣ ، محضر اجتماعات وزارة الخارجية ١٨٠٨/٩/١٣ ، الحوافظ ١٨ ـ ١٩ . فالينتيا (الى كانينج) ، ١٨٠٨/١٠/٢٠ .
(٥٠) فالينتيا ، Vayage ، المجلد الثالث ، ص ٢٧٦ .
(٥١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحوافظ ١٨ ـ ١٩ ، فالينتيا ١٨٠٨/١٠/٢٠ .

ويبدو طلب الاحتياج الى شخص بمكنه إنشاء طلمبة وقناة مائية كان احتياجا حقيقيا للغاية ، وذكر ڤالينتيا أيضا أن ويلدى سيلاسى وعد فى خطاب آخر بتوفير « قدر كاف من القرى » لتعزيز ولدعم الخبراء الثلاثة »(٥٢) .

ويعكس البرنامج ، من جانب آخر ، آمال ڤالينتيا وسولت وخططهما الخاصة . ومن المحتمل ان يكون مطلب المعونة العسكرية إذا كان قد طرح ، ليس إلا عرض المساعدات المقبول فى صورة إستيراد اسلحة نارية (٥٣) .

وذكر ڤالينتيا فى مذكرة الى وزارة الخارجية ان المساعدات المطلوبة لراسى ويلدى سيلاسى هى تزويده بالأسلحة والذخائر ، وأضاف اليها على مسئوليته الخاصة ، قطعا قليلة من المدافع الخفيفة وعددا قليلا من رجال المدفعية (٥٤) .

غير انه ليس من الواضح على الإطلاق ما إذا كان الأثيوبيون هم الذين طلبوا الأسلحة . ويقول بيرس ، فى كتابته من عدوة فى ١٨٠٩ ، أن الدولة كانت « مزودة بصورة جيدة » بالأسلحة النارية ، فكانت هناك ٨٩٠٠ قطعة فى تيجرى ، وما هو أكثر من ١٠٠٠ قطعة فى أقاليم أمهرا ، حيث « لم يكونوا » ، حسبما يقول بيرس بالحرف الواحد « يعشقون الـ Musquets البنادق القصيرة التى تستخدمها الفرسان . وكانت الأسعار قد انخفضت من ٦٠ ــ ٧٠ تالر لبندقية الفتيل قبل عامين الى ٣٠ ــ ٤٥ تالر . ويبدو هذا كما لو كان بيرسى يحذر سولت من جلب أى أسلحة وليس العكس . وثمة اشارة تفيد بأن الراسى كان يفضل بندقية ذات ماسورتين ولكن لا يمكن أخذها ماخذ الجد على أنها طلب لأسلحة نارية من حاكم لديه ٨٩٠٠ قطعة منها بالفعل فى أراضيه . بينما ان ماكان ويلدى سيلاسى يريده « بصورة خاصة » هو مرآة كبيرة لكنيسته (٥٥) .

وحاول ڤالينتيا بمجرد وصوله الى لندن فى ١٨٠٦ أن يكسب تأييد شركة الهند الشرقية لخططه الكبرى لزيادة التجارة البريطانية فى البحر الأحمر ، وليست هناك ثمة شك فى اهتمام ڤالينتيا الحقيقى بهذه الخطط التجارية . فقد جمع بمساعدة من سولت ، قدرا من البيانات القيمة وإن لم

(٥٢) نفس المصدر السابق ، كان من أسباب رغبة ويلدى سيلاسى فى الحفاظ على السلام فى الدولة ، حسبما يرى سولت انه استطاع رسم صور للكنائس (ڤالينتيا Vayage المجلد الثالث ، ص ١٤٥) .

(٥٣) لم أتمكن من التوصل الى الرسالة الحقيقية المشار اليها بمكتب السجلات العامة ، مكتبة وزارة الهند ، أو المحفوظات الملكية فى وندسور كاسل . وقد اشير اليه على أية حال فى رسالة الى جورج الثالث ، نشر فى مؤلف أ . أيبنال ، « المراسلات الاخيرة لجورج الثالث (كمبردج ١٩٦٢ ــ ١٩٧٠) المجلد الخاص ص ١٦١ ، وكذلك فى رد الملك جورج الذى تحفظ مسودة له باللاتينية مؤرخة ديسمبر ١٨٠٨م فى مكتبة وزارة الهند وسجلاتها ، بلندن . مسلسل متنوعات داخلية ، ٤٥٦] .

(٥٤) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحافظة ١٠ ، ڤالينتيا ١٨٠٨/٩/١٣ .

(٥٥) المتحف البريطانى ، لندن ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ٦٧ ــ ٧٤ ، بيرسى الى سولت ، ١٠ يونيه ١٨٠٩ . وبالرغم من ان أرقام بيرسى قد لا تكون صحيحة فإن هذه الرسالة تبدو واضحة لى . ولا يستبعد ذلك احتمال ان يكون ويلدى سيلاسى قد طلب من سولت شفاعة أسلحة فى ١٨٠٥م ، ولاسيما اذا كان يأمل فى الحصول عليها هبة ، غير ان هذا يوضح انه لم يكن فى احتياج الى اتصالات أوروبية للحصول على أسلحة .

تكن دائما بيانات متناسقة ، عن التجارة فى المنتجات ، وحجمها وأسعارها ورسوماتها وهوامش أرباحها الخ (٥٦) . وقدم بعض المقترحات بإمكان شراء جزيرة ديزى Dese (التى اطلق عليها اسم ڤالنتيا) من النائب مقابل مبلغ رمزى وتحويلها الى مستودع يمكن انزال البضائع منه فى زولا دون دفع أى رسوم الى النائب ، ولو تعاون هذا النائب لمنع الإنهيار الفورى لمصوع massowoh كدولة مستقلة ، غير أن قوتها ، كانت حسب ملاحظة ڤالينتيا كان مجرد قوة مصطنعة ، ولا تعتمد الا على القوات التى يمكنها الحفاظ عليها بالايرادات المتحصلة من التجارة . . . . كما أنها سرعان ما تصبح رمالا جرداء ، أو تغوص مرة أخرى فى إمبراطورية الحبشة » (٥٧) . ولو كان النائب قد رفض لما كان هذا يمثل مشكلة ما . فثمة واقعة حدثت أثناء زيارة ڤالينتيا الأخيرة الى مصوع كانت بمثابة مبرر كاف لنزع الجزيرة منه إذا لزم الأمر (٥٨) .

ومع ذلك فقد أحس ڤالينتيا على ما يبدو بالحاجة الى تبرير اهتمامه بالتجارة فى البحر الاحمر بالاشارة الى حوافز أخرى واسمى من المكاسب التجارية . وأكد كيفية استغلال التجار الهنود والسلطات المسلمة فى مخا ومصوع للأحباش برفع الأسعار على المستهلكين الأحباش بنسبة ١٢٠ ٪ دون داع (٥٩) . وأصدر تعليماته لسولت بوضع مسودة تاريخية للحبشة لادراجها فى كتابه . وأرجع سولت الفضل للأحباش فى « مقاومتهم فى الماضى للهجمات السافرة والشديدة من جانب المحمديين المسلمين وكذلك الهجمات الغادرة من الكنيسة الكاثوليكية ، واستطرد قائلا « وفى هذه الأونة كانت تزداد قوة قبائل الجالا والقبائل المسلمة حولها يوما بعد آخر ، فى الوقت الذى كان هناك انهيار وشيك للدولة وكذلك ديانتها ، وهناك من الأسباب ما يدعو الى خوف من أن يضيع فيما بينهم اسم المسيح نفسه » . ودعا سولت فى ظل ذلك الموقف توجيه بعض الاهتمام والمصاريف المخصصة لتمويل عقائد الوثنيين لتكون مخصصة لبعثة لانقاذ اثيوبيا المسيحية واختتم حديثه بالقول بأنه « . . . مقتنع تماما بانه ليس هناك مكان فى العالم يمكن فيه النفوذ الأوروبى أن يحقق آثارا مفيدة أكثر من الحبشة (٦٠) .

أما عن الحق فى التدخل ، فان ذلك كان فى تلك الأونة بمثابة أمر يتعلق بالعقيدة ، واختتم اللورد ڤالينتيا المذكرة التى نادى فيها « بدبلوماسية المدافع » واستخدام القوة وبالاحتكار البريطانى للتجارة ، وبهوامش ربح تصل الى ٤٠٠ ٪ بالمقولة الشهيرة الآتية : « ولا يسعنى سوى أن أضيف أن هذا قد يتم دون انتهاك لمبدأ واحد من مبادىء الحق ، بدون أى خسارة بل بأرباح ليست فى الحسبان (٦١) .

(٥٦) ڤالينتيا Cayages المجلد الثالث ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٩ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحوافظ ٤ ــ ١٢ ، ڤالينتيا ، ١٣ سبتمبر ١٨٠٨ .

(٥٧) ڤالينتياVayages ، المجلد الثالث ،ص ٢٦٢ .

(٥٨) نفس المصدر ، المجلد رقم ٣ ، الصفحات ٢٩٦ ــ ٢٩٨ ، سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة ،١/١ ، الحافظة رقم ١٠ ، ڤالينتيا ، ١٨٠٨/٩/١٣م .

(٥٩) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ، الحافظة رقم ٨ . ڤالينتيا ١٨٠٨/٩/١٣م .

(٦٠) ڤالينتيا Vayages ، المجلد الثالث ، الصفحات ٢٥٦ ــ ٢٥٨ .

(٦١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ، الحافظة رقم ١٢ ، ڤالينتيا ، ١٨٠٨/٩/١٣م .

ولمْ ير سولت وڤالينتيا على أية حال فى جيران أثيوبيا المسلمين مشكلة حقيقية أو خطرا على أثيوبيا . وينبع هذا بوضوح تام من مناقشتهما لمصوع والمنافذ الأخرى على الساحل . وكان الاعتبار الأهم هو النفوذ الأوروبى وأيها يتعين ممارسته فى الشرق الأوسط عامة :

ان هلال محمد (أى الاسلام) لم يعد فى الواقع ينذر بخطر على المسيحية ، ولكن النسور المنزعة بصورة متماثلة وهى نسور فرنسا الناهضة من جديد كانت تهدد المؤسسات القديمة بالدمار الشامل ، ومن الواضح ان قائدهم القوى قد وضع بصورة خاصة خططه ضد الامبراطورية الشرقية لانجلترا . وكان السعى لتحقيق هذا الهدف هو السبب وراء غزو مصر ، والمواصلة لتوطيد أواصر الصداقة مع القوى العربية . ولكن الحبشة كانت بالقطع أكثر أهمية من كل هذا ، ولكن فرنسا لحسن الحظ لم تكن تعرف أن الحبشة يسهل نيلها والاستيلاء عليها .

وأكد ڤالينتيا أنه حضر أولا ، وبالتالى فان انجلترا يجب أن تكون لها فرصة عقد علاقات مع الحبشة ، « التى ستعيد الى الابد الفرنسيين ، ولكن اذا فوتنا هذه الفرصة فانهم سوف يستفيدون من غبائنا . . . »[62] .

زيارة سولت الثانية :

وعندما أبدت شركة الهند الشرقية عدم اهتمامها بمشاريع ڤالينتيا ، لجأ الى شركة خاصة ، وهى شركة السادة دابليو وجاكوب اللذان كانا يرغبان فى ارسال سفينة الى مصوع ، واستطاع بتأكيده والحاجة على عدم استحسان زيارة سفينة بريطانية للحبشة دون جلب رد ما استطاع أن يحصل على رد من الملك جورج على الخطاب المرسل من « ملك الحبشة »[63] . واختار سولت ليحمل الرسالة . ووضع قائمة بالهدايا الملكية وجرى التشاور معه بشان شكل ومضمون الخطاب وكذلك التعليمات لسولت[64] .

وتضمنت التعليمات نقطتين هامتين : ضرورة استخدام المبعوث « أقصى ما فى جهده للوصول الى بلاط جوندر وتسليم خطابات صاحب الجلالة وهداياه الى امبراطور الحبشة شخصيا وأن يبذل بالمثل أقصى ما فى وسعه للتأكد من الحالة الحاضرة للتجارة الحبشية ، الكم والكيف وقيمة السلع التى استوردها الإمبراطور الخ . كما كان على - سولت تأكيد « رغبة صاحب الجلالة

---

(٦٢) ڤالينتيا ، Vayage ، المجلد الثالث ، الصفحات ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٦٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحوافظ ٢ ، ٢٦ ـ ٢٧ ڤالينتيا الى (كانينج) ، ٩/١٣ ، و٢٣/١١/١٨٠٨م

(٦٤) نفس المرجع ، الحوافظ ١٥ ـ ١٧ ، ٢٦ ـ ٢٧ ، ٤٢ ـ ٤٣ ، ڤالينتيا (الى كانينج) ، ٢ أكتوبر و٢٣ نوفمبر ١٨٠٨م ، ٤ يناير ١٨٠٩م .

الإستجابة لرغبات الإمبراطور ببدء تجارة ما بين الحبشة وأقاليم صاحب الجلالة سواء فى الهند او فى أوروبا » ، ومزايا الرسوم الجمركية المحددة التى تدفع عند انزال السلع الى البر فقط[65] .

وكانت الهبات كبيرة ، تصل الى ما قيمته ٢٠٠٠ جنيه استرليني . من السلع ، وتشمل مدفعين خفيفين وأسلحة وذخائر أخرى . وجرى تجاهل طلب طبيب ونجار وشخص لرفع المياه وفشلت فكرة ارسال المدفعين لفشل محاولات ڤالينتيا لإقناع ولو عدد قليل من رجال المدفعية للخدمة هناك أو لإجراء بيان علمى للتدريب على استخدامها على الأقل .[66] ويثير الموقف تجاه الحرفيين الدهشة فقد كتب بيرسى فى عام ١٨٠٦ أن ويلدى سيلاسى يريد نجارين وحدادين .[67] .

وبمجرد وصول سولت الى البحر الأحمر فى نهاية عام ١٨٠٩ تقريبا ، سرعان ما اكتشف أن زيارته السابقة مع ڤالينتيا لم تكن زيارة بدون نتائج . إذ انها أدت لا الى التسهيل للتجارة مع أثيوبيا ، بل الى تردى الموقف وزيادته سوءا ، إذ قرر شريف مكة أن يرسل مرة أخرى ممثلا للحكومة العثمانية الى مصوع - كما أن النائب ادريس وحاكمه التركى الجديد كتبا الى رؤساء القبائل الدنكلية Dankali حول انفيلا وطلبا منهم وقف جميع التعاملات مع الفرنجة وممثلهم ، وهو تاجر صومالى يدعى يونس بحراللى . ونصحت سلطات مصوع رؤساء القبائل بقتل أى شخص يصل ببضائع يملكها الفرنجة وتقسيم السلع فيما بينهم . ومات يونس فيما بعد فى ظروف مريبة وأرسل ادريس مركبان شراعيان عربيان مسلحين الى أنفيلا للإستيلاء على مركب سولت[68] .

وحيث أن طريق القافلة الرئيسية من إد Edd الى شمال أثيوبيا كان طريق يمشى بمحاذاة الشاطىء حتى خليج انفيلا ، فإن ذلك كان يعنى أيضا قطع الإتصالات عن إد Edd[69] .

ووجد سولت أن الرؤساء الدنالكة الذين كانوا موجودين حتى شبه جزيرة بورى Buri شمالا مستعدين لتجاهل تعليمات النائب . فعندما أبلغهم أنه يريد ادخال قافلة من خليج انفيلا ، كان

---

(٦٥) نفس المرجع ، الحوافظ ٥١٠ ، ـ ٢ ، مذكرة موقعة من ڤالينتيا ومسلمة إلى سولت فى ١٦ يناير ١٨٠٩م ، وفى مسودته الأولى أعرب ڤالينتيا عن رغبة الأمبراطور فى « تجارة حرة ومباشرة » . غير أن وزارة شئون الهند قررت ألا يكون الامبراطور محددا فى هذا الشأن (نفس المصدر ، الحوافظ ٣٥ ـ ٣٨ ، مسودة مذكرة ڤالينتيا ، بدون تاريخ ، الحوافظ ٤٠ ـ ١ . دونداس Dundas الى كانينج ، ٣ يناير ١٨٠٩) .

(٦٦) نفس المصدر ، الحافظة رقم ١٠ ، ڤالينتيا ، ١٣ سبتمر ١٨٠٨ الحوافظ ٢٨ ـ ٢٩ ، ڤالينتيا (الى كانينج) ١٤ ديسمبر ١٨٠٨م ، الحافظة ٣٠ ، نيفى الى هاموند ، ١٥ ديسمبر ١٨٠٨ الحافظة ٥٧ ، الخزانة الى هاموند ، ١٦ مايو ١٨٠٩م

(٦٧) المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ١١ ـ ١٤ ، بيرسى الى ڤالينتيا ، ٢٨ فبراير ١٨٠٦م .

(٦٨) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحافظة ١١٠ ، ادريس وعثمان الى رؤساء القبائل حول انفيلا ، بدون تاريخ ، (إبتداء من نوفمبر ١٨٠٩) الحافظة ١١٢ ، روندال الى سولت ، ٢٠ يناير ١٨١٠م الحوافظ ٧٨ ـ ٩٧ ، سولت الى سميث ٤ مارس ١٨١١م ، سولت Vayage الصفحات ١٣٨ ـ ١٤٢ .

(٦٩) سولت Vayage ، ص ١٣٩ .

واضحا أنهم كانوا أكثر إنشغالا بالأثار المحتملة المترتبة عن النزاع بين ويلدى سيلاسى وتابعه سياجاديس . وفوق ذلك كله كانوا مستائين من بيرسى الرفيق السابق لسولت ، الذى زار الساحل مؤخرا لتولى التجارة الى الداخل ، إذ ان بيرسى ، حسبما يقول المتحدث باسم رؤساء القبائل ، على جوفيتا ، لم يسلم الهدايا التى كان قد تم وعده بها كما أنه سبب له الكثير من الإزعاج لدى الراسى[٧٠] . أما رواية بيرسى فكانت مختلفة عن ذلك الى حد ما . فقد اعتبر المطالبات بالهدايا مطالبات غير معقولة ، وكان ثائرا للغاية لدرجة أنه أطلق النار على صديق أحد رؤساء القبائل وفر بالكاد قبل التعرض للقتل . وليس هناك ثمة شك فى أن الدخل كان ينتزع من التجار والمسافرين بشتى الطرق . غير أن بيرسى ناقض نفسه بإبلاغ سولت أولا كيف تعرض للنهب تدريجيا ، ثم يتباهى لدهشة رؤساء القبائل فى بلاط ويلدى سيلاسى إزاء الكم الكبير من السلع التى تُمكن من الوصول بها . وأنه باعها بربح طيب وكوفى ، بالإضافة إلى ذلك بمنزل وقطعة من الأرض من شقيق الراسى[٧١] .

غير ان تهور بيرسى او على الأقل عدم رغبته فى تقبل الإجراءات العرفية على الساحل نظر اليه على انه مسالة شخصية . ولم يكن سولت يواجه اى مشاكل فى الإتصالات بأنتالو من أنفيلا ، حتى بالرغم من إحجام بيرسى عن الحضور الى انفيلا لمقابلته .

وكان سولت غير متيقن بشأن الطريق الذى عليه ان يختاره ، غير أنه قرر فى النهاية اختيار طريق مصوع بسبب أن الحاكم التركى ، وليس النائب ، جرى الاستغناء عنه بشخص آخر أكثر مهادنة ، وقد أبلغ ويلدى سيلاسى وذلك بإرسال رفيقه ويليام كوفين برسالة الى بيرسى ، وعندما وصل الى مصوع يوم ١٠ فبراير ١٨١٠ ، كان أحد رؤساء القبائل الأثيوبيين وبيرسى موجودان هناك لمصاحبته الى الراسى[٧٢] . وبالرغم من أن السلطات فى مصوع كانت حريصة حسبما هو مفهوم على ألا يفلت منهما سوى أدنى قدر ممكن من التجارة فقد حاولت بالتالى ارهاب شيوخ القبائل على طول الساحل . وكان من الواضح أنها لم تكن تملك السلطة لمنع ويلدى سيلاسى من إجراء اتصال ما . وقد سجل سولت فى تقريره الى وزارة الخارجية نجاحه فى الدخول الى اثيوبيا عن طريق مصوع يعود الى « تخوف كبير من آثار الاستياء البريطانى »[٧٣] . ويوازى ذلك فى الأهمية أو يزيد عنه ، بالطبع ، الخوف من الإساءة الى حاكم تيجرى ، الذى رد طبقا لما قاله سولت على محاولة لاحتجاز بعض البضائع قبل فترة قصيرة آنذاك بعبارة وجيزة تقول : « ارسلوا البضائع والا سالحق

---

(٧٠) نفس المصدر الصفحات ١٤٤ ـ ١٤٩ ، و ٣٠٤ .

(٧١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحافظة ١٢٣ بيرسى الى سولت ، ١٨٠٩/١٢/٢٩ ، سولت Vayage ص ٣١٤ ـ ٣٢٠ ، أنظر ايضا المتحف البريطانى ، ضميمة رقم ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ٨٩ ـ ٩٠ ، بيرسى الى رودلاند ١٨٠٩/١٠/١٠ .

(٧٢) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحوافظ ٨٤ ـ ٨٦ ، سولت ٤ مارس ١٨١١م .

(٧٣) نفس المصدر السابق ، الحافظة رقم ٨٨ ، سولت ، ٤ مارس ١٨١١م

بكم فى غضون أيام قليلة » وهو تهديد سبب فزعا كبيرا «[٧٤] . وثمة شواهد كثيرة تفيد بأن النائب كان على الأقل أكثر حساسية تجاه الضغوط من الداخل عنها من البحر بل وخفف الرسوم بدلا من المخاطرة بالدخول فى صدام مع جيرانه الملاصقين له[٧٥] .

واعرب سولت عن دهشته إزاء عدم قيام الحاكم التركى بأى محاولة لمنع إدخاله للمدفعين الى الدولة . وفى مقابل الهدايا الخاصة الملائمة ، أعفيت جميع الهدايا الملكية من الرسوم ، وجرى أيضا ترتيب دفع رسوم منخفضة للسلع التجارية ، وللرسو[٧٦] . وفى ١٥ أو ١٦ مارس ١٨١٠ حظى سولت بترحاب حار فى بلاط ويلدى سيلاسى ، غير أنه أحيط علما بأنه لا رحلة الى جوندر مالم يكن مستعدا للانتظار الى ما بعد الأمطار (زهاء سبعة أشهر) ثم عليه مصاحبة الراسى نفسه فى حملة مخططة ضد جوجسا ، ولهذا فان سولت دون مبالاة قدم جميع الهدايا المخصصة للامبراطور الى الراسى . وكان منها صورة لمريم العذراء ، ومنضدة جميلة من الرخام ، ونافذة زجاجية ذات رسومات لكنيسة ، وهى هدايا اثارت قدرا كبيرا من الاعجاب . وكان منها أيضا المدفع[٧٧] .

وتحول اهتمام سولت عقب اخفاقه فى مهمته الأولى بعدم وصوله الى بلاط الإمبراطور ، الى مسالة الفرص التجارية المتاحة أمام انجلترا فى اثيوبيا . ونقل ان ويلدى سيلاسى كان يعلن دائما عن مدى حرصه على الحفاظ على علاقات ودية مع بريطانيا العظمى وعن رغبته الشديدة فى العمل بكل وسيلة فى وسعه على اقامة علاقات تجارية بين الحبشة ، وانجلترا أو الهند . وحسبما يقول سولت ، كان ويلدى سيلاسى أيضا هو الذى أبرز الصعوبات الرئيسية : وهى أن الحالة غير المستقرة بالدولة منعت من تداول المواد الذهبية والمواد الثمينة الأخرى ، بالاضافة الى الجهل والافتقار الى الإهتمام بالمعاملات التجارية من جانب الأثيوبيين المسيحيين ، وأخيرا عدم جدوى احتلال اثيوبيا للساحل حتى ولو كان تحقيق ذلك سهلا ، طالما سيطر المسلمون على الجزر والبحر . وكان هذا المسار الأخير من شانه فى الواقع أن يجعل أثيوبيا أسوأ مما كانت عليه من قبل . ونقل سولت انه وجد أن هذه المجادلات والأراء لا يمكن الرد عليها ، وانه لم تكن لديه أية تعليمات لاقتراح حل

---

(٧٤) سولت ، Vayage ص ١٤٧ .

(٧٥) انظر فالينتيا Vayages ، المجلد الثالث ص ٢٦١ و Passim

(٧٦) سولت Vayage ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، و ٢١٤ ـ ٢١٥ ، سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحافظة ٨٧ ، سولت ، ٤ مارس ١٨١١م . ولم تكن الهدايا أو الرشاوى مفرطة : اذ كانت ٢٠٠ طالر لكل من الحاكم التركى والنائب (سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ ، الحوافظ ١٥٨ ـ ١٦٧ ، تقارير سولت) .

(٧٧) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ الحوافظ ٨٩ ـ ٩٠ ، سولت ٤ مارس ١٨١١ ، سولت Vayage الصفحات ٢٦١ ـ ٢٦٦ . وطلب سولت من الراسى وبيرسى بمجرد نزوله الى الشاطىء ترتيب رحلته المتصلة الى جوندر ، (سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن١/١ ، الحافظة ١٠٢ ، سولت الى ويلدى سيلاسى ، ١٨٠٩/١٠/١٤م ، الحوافظ ١٠٤ ـ ١٠٧ ، سولت الى بيرسى ، ١٨٠٩/١٠/١٣م) . وأبلغه بيرسى فى مصوع انه لن يسمح له بالتوجه الى جوندر بسبب العداء بين ويلدى سيلاسى وجوجسا ، ولا يبدو وأن سولت قد ألح فى طلب إذن لذلك ، (سولت Vayage ص ٢٦٥) .

لها[٧٨] . ولم يكن من الممكن التوصل الى هذا التوافق على ما يبدو فى الآراء على عدم امكان عمل شىء ما ، اذا صدقنا سولت ، دون قيام نقاش حول ذلك ، فقد حث سولت ويلدى سيلاسى على عمل شىء ما بشأن الأحوال السياسية والادارية فى الدولة ، كما حثه على أن يحتل الساحل أو نقطة ما على الساحل آنذاك بعد تلقيه أسلحة وتأييدا معنويا من البريطانيين ، وطبقا لسولت فان ويلدى سيلاسى أبلغه الا يقلق بشأن الأحوال على البر ، بل كان القلق نتيجة السيطرة التركية على مصوع : « فليقم الانجليز بالاستيلاء على مصوع ، والسيطرة على البحر بسفنهم وسأحرص على أن يكون كل شىء على الشاطىء منظما جدا[٧٩] . وقد يكون فى هذا تعبير قوى أكثر من اللازم عن وجهات نظر ويلدى سيلاسى . وقد ذكر بيرسى أن سياسته هى : « ضرورة تسوية البريطانيين للحساب مع النائب بحرا ، وأن يقوم ويلدى سيلاسى بحماية بضائعهم برا[٨٠] .

وفى ٣٠ ابريل تم تزويد سولت برسالة كتبت باللغة الأمهرية القديمة من ويلدى سيلاسى الى ملك انجلترا ، قام بتسليمها الى وزارة الخارجية فور وصوله الى لندن[٨١] . وكانت ترجمة ذلك ، قد تمت من جانب أحد العلماء فى اسكتلندا : وهو الدكتور اليكسندر موارى ، الذى أوصى سولت بتوليه هذه المهمة باعتباره رجلا « ذى معرفة كاملة » بتلك اللغة[٨٢] . وكانت النتيجة محرجة لسولت . فلقد شكر ويلدى سيلاسى الملك جورج الثالث على ما تلقاه من هدايا . وذكر أن سولت لم يذهب الى جوند لأن الملك المقيم بها كان غير ممكن الاعتماد عليه . وأعرب عن أمله فى استخدام بعض هدايا ملك انجلترا لمحاربة الوصى على عرشه هو[٨٣] .

---

(٧٨) سجلات وزارة الخارجية .

(٧٩) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب العامة ١/١ ، الحوافظ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ، سولت ، « مقتطفات من ملاحظات أصلية ، ابريل ١٨١٠ » .

(٨٠) المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ٨٩ ـ ٩٠ ، بيرس الى روولاند ١٠/١٠/١٨٠٩م .

(٨١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحافظة ٧١ ، سولت لسميث ، بدون تاريخ ، (وردت ١٨١١/٢/٢٥) ، الحافظة ٧٣ ، ويلدى سيلاسى أنظر سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحافظة ٩١ سولت ، ٤ مارس ١٨١١م ، وسولت Vayage ص ٣٦٥ ـ ٣٧٦ ، وقد خلط سولت التواريخ بصورة سيئة . وفى تقرير وزارة الخارجية يذكر ٢٩ ابريل باعتباره تاريخ تلقى الخطاب ، ويصف سولت فى روايته المنشورة والتى تعتبر أكثر تفصيلا ، اليوم الأخير للصيام الكبير دون ٢٥ ابريل ، يليه عيد الفصح والمشاهدة يوم ٢٧ ابريل اللذين سلم الخطاب أثنائهما . وهذا مستحيل حيث أن هذا يجعل عيد الفصح يوافق يوم الخميس . والتاريخ الصحيح لعيد الفصح الأثيوبى فى ذلك العام هو ٢٩ ابريل يؤدى الى يوم ٣٠ ابريل للمشاهدة .

(٧٨) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحوافظ ٩٠ ـ ٩١ سولت ، ٤ مارس ١٨١١ ، سولت Vayage ، الصفحات ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٨٢) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحافظة ٧١ ، سولت الى سميث بدون تاريخ .

(٨٣) نفس المصدر ، الحافظة ٧٣ ، ويلدى سيلاسى الى جورج الثالث ، بدون تاريخ للترجمة أنظر الحافظة ١٥٥ ـ ١٥٦ .

واصدر سولت مذكرة بمحتويات الخطاب ، كتبها فى انتالو عقب شرح الخطاب مباشرة له ، مع قيام بيرسى بدور المترجم . وطبقا لهذا ، سلم ويلدى سيلاسى بأن هذه الهدايا « جرى تلقيها كامانة وفى الحفظ والصون » وأعلن انه لم يكن بوسعه السماح لسولت بالتوجه الى جوندر لانه كان فى حرب مع راسى جوجسا[٨٤] . وأبدى سولت تفسيرات أخرى ، قائلا « ان ويلدى سيلاسى أكد له اعتزامه الاحتفاظ بجوالو على العرش وتدعيمه شريطة أن يعود الى العقيدة الحقة وهو أمر كان محتملا حدوثه على مايبدو بشكل كبير ، أما عن الهدايا ، فإن « ماكان فيها للملك » فقد تم تسليمه الى ويلدى سيلاسى كوديعة أو أمانة . وكان أبسط التفسيرات هو أن الدكتور موراى إرتكب خطأ فى الترجمة . غير ان سولت يواصل حديثه متنقلا الى وضع جديد بسهولة ويسر بالغين قائلا : . . . وحتى اذا ساورتنى شكوك بشأن إخلاصه . . . ماذا كان يمكن أن أتبعه من مسارات أخرى ؟ فالوضع السياسى بالدولة قمت بايضاحه قبل مغادرتى انجلترا بوقت طويل ، ولم أتصور أبدا ، مالم يتغير وضع الأمور ماديا أن بوسعى الإتصال باى شخص آخر غير الراسى[٨٥] . . . ولقد نادى سولت فى روايته المنشورة بإنشاء مملكة تيجيرية منفصلة تحت ظل « فرع من الأسرة الملكية . . . على العرش فى أكسو » . ورحب بعد سنوات قليلة من ذلك بالأنباء القائلة بان ويلدى سيلاسى قام بتنصيب الإمبراطور المخلوع ، تيكلى جيورجيس ، على العرش فى أكسوم « وبالتالى تم استكمال احد الأهداف الكبرى التى تطلعنا اليها »[٨٦] . وعلى هذا فإما أنه كان غير مخلص وبالتالى فيبدو أن سولت لم يكن صادقا تماما عندما قبل تنفيذ التعليمات الصادرة اليه ، أو أنه كان يبرر فشله فى عدم الوصول الى جوندر . بيد أنه جرى فى نفس الوقت تغيير وزير الخارجية ، وبالرغم من أن ذلك استغرق وقتا كوفىء سولت فى النهاية لتصرفه « بجدية وغيرة[٨٧] ، إذ تلقى ٢٠٠٠ جنيه انجليزي ، وهو ما جعل تكلفة مهمته تصل الى حوالى ٧٠٠٠ جنيه انجليزي[٨٨] . وتم تعيينه فى عام ١٨١٥ قنصلا عاما بريطانيا فى مصر ، وفى أثيوبيا بقى الى جانب بيرسى ، بريطانى آخر وهو ويليام كوفير غير انه لم تبذل محاولات جادة لتوطيد العلاقات على مدى خمس عشرة سنة .

---

(٨٤) نفس المصدر السابق ، الحافظة ١٨٦ ، سولت ، مذكرة ، ٢٩ ابريل ١٨١٠م .

(٨٥) نفس المصدر السابق ، الحوافظ ١٨٠ ـ ١٨٥ ، سولت الى سميث ٢ ابريل ١٨١١ . وبمجرد رؤية سولت للترجمة ، كتب الى موراى وطلب منه مراجعتها وهو ما فعله موارى ولكن لم يتم ذلك فى الوقت الملائم الذى كان يسمح لسولت بأن تكون فى متناول يده عندما طولب بشرح الموضوع . والواقع ان المراجعة ، لم تغير البيانات الهامة ومع ذلك ، فإن سولت أطلع سميث عليها فيما بعد على أمل ، مفترض ، وهو أن تؤيد وجهات نظر موراى الخاصة بشأن الأحوال فى أثيوبيا ، ما قاله هو . أنظر جيه ، جيه . هولز ، « حياة ومراسلات هنرى سولت (لندن ، ١٨٣٤م) المجلد الأول ، ص ٢٤٦ ـ ٢٦٠ » .

(٨٦) سولت Vayage ص ٤٩٦ ، هولز ، « سولت » المجلد الأول ، ص ٤٣٧ ، سولت الى فالينتيا ، ٢٦ يسمبر ١٨١٦ .

(٨٧) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ١/١ الحافظة ٢١٧ ، ويلسلى الى كاتبح . ١٨١٢/٢/١٨م .

(٨٨) نفس المصدر ، الحافظة ٢٢٥ ، مذكرة ، ٩ ابريل ١٨١٢ .

وقد كانت زيارة سولت في عام ١٨٠٥ ، وفي عام ١٨١٠ ومفاوضاته فيها ذات أهمية من عدة جوانب . وكانا يمثلان الحس الكثير من القضايا والمشاكل التي أصابت علاقات أثيوبيا مع العالم الخارجي طوال ذلك القرن في هذه الاتصالات الأولى .

وعلى الجانب الأوروبي ، كان الحافز الرئيسي الكامن واضحا الى حد ما ولا يثير الدهشة الا وهو تشجيع التجارة مع أعلى قدر ممكن من الأرباح ، وياحبذا لو كان ذلك دون اشتباكات وحروب .

واذا كان ذلك يتطلب العمل على توحيد واقرار السلام في أثيوبيا واستئصال كل نفوذ تركي على الساحل ، فقد كان ذلك واجب ملقى على عاتق رئيس وزراء أثيوبيا ، راس ويلدي سيلاسي لعمل شيء ما في هذا الشأن . ويتضح هذا بجلاء أكثر من خلال الملاحظات الأصلية « لسولت ، حيث يعرب عن قناعته بأن ويلدي سيلاسي كان بوسعه اخضاع النائب في أي وقت يشاء ، ويواصل حديثه قائلا : « واذا ما تحقق ذلك ، فان مصوع أو بعض الجزر التي على الساحل تكون قد سقطت في يد البريطانيين ... (٨٩) .

وكانت الجوانب الاستراتيجية ثانوية من حيث أنها كانت ناجمة في النهاية عن القلق بشأن الامبراطورية التجارية بالهند ، فقد بدأت المنافسة بين فرنسا وانجلترا في هذا المجال تتطور ، كما أنها تلعب دورا حاكما طوال ذلك القرن ، أما عن ثالث القوى الدافعة في مجال انفتاح افريقيا وفي تقسيمها في النهاية ، وهو العامل الانساني أو التبشيري فقد جرى التعبير عنه بعبارة مكررة ومعروفة وهي أن « التجارة المشروعة ... سيكون لها تأثير هام جدا في انهاء » تصدير العبيد « وكنداء عام طلبا لمساعدة الكنيسة الأرثوذكسية بالدولة في منافستها مع الاسلام . وكخطوة عملية أبدى فالينتيا ، وسولت تأييدهما لمسألة جلب « أبونا أو أسقف جديد من مصر » ، « يخرج في ظل حماية بريطانية » (٩٠) .

وكان من الأمور ذات الأهمية الأكبر للنشاط التبشيري الأوروبي المستقبلي ، والاتصالات والتعاون اللذان أصابهما نموا كبيرا فيما بين الرحالة الأوائل الى أثيوبيا ، وجمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية (٩١) .

ومن المتعين أن نتذكر على أية حال ، أن موقف اللورد فالينتيا مع الحكومة البريطانية كان ينقصه الكثير ، كما أن الحكومة بل ومجلس إدارة وزارة الهند كانا على درجة كبيرة من الفتور ازاء المشروع الحبشي برمته . ولهذا فان من المفهوم تماما أن فالينتيا وسولت حاولا اثارة الاهتمام ،

---

(٨٩) نفس المصدر ، الحافظة رقم ٢٠٠ ، سولت ، ابريل ١٨١٠م ، (تأكيدي) .

(٩٠) فالنتيا ، Vayage ، المجلد الثالث ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ ، و ٢٦٩ ، توفي ابونا يوسف في ١٨٠٣م ، وخليفته ميركوريوس في ١٨٠٨م بعد أشهر قليلة بالدولة ، ولهذا كانت المشكلة ملحة في كل من زيارتي سولت ، انظر فالنتيا ، Vayage المجلد الثاني ، ص ٩٦ ، سولت Vayage ، ص ٢١٨ ، ويلد بلونديل Chronile ص ٤٧١ ، و ٤٧٦ .

(٩١) انظر ما يلي بالصفحة ٥٥ من الأصل .

وازالة الاعتراضات الفعلية للمشروع بتقديم أكبر قدر ممكن من عطاياهم في صورة بيانات وطلبات من الحكام الاثيوبيين ، وظل هذا وتطورات السنين التالية في الأغلب النمط السائد للعلاقات الأوروبية – الاثيوبية .

رسالة ويلدي سيلاسي الى جورج الثالث : أولوياته :

وكما شاهدنا ، هناك بعض الشواهد في تقارير سولت تفيد بأن ويلدي سيلاسي كانت له وجهات نظره الخاصة . وهناك على أية حال ، وثيقة واحدة فقط يمكن اعتبارها تعبيرا صادقا عن وجهة النظر الاثيوبية . ولقد جاءت في نهاية المفاوضات عندما أعدت مسودة سولت بأثرها . ومع ذلك ، فان خطاب ويلدي سيلاسي باللغة الأمهرية القديمة الى جورج الثالث ، صاغه الراعي وكاتبه ، وليس سولت وزملاؤه ، ومن ثم فانه يستحق تحليلا أكثر دقة .

(الأصل باللغة الأمهرية القديمة ص ٤٩ من الأصل الانجليزي للكتاب) وقد شرع ويلدي سيلاسي عقب شكره جورج الثالث على ما بعثه له من هدايا (دون ذكر لسلطانه هو نفسه ، أن سولت لم يذهب الى الملك لأنه « لا وجود لملك متمسك بشدة بعقيدته » ، وهو دافع ويلدي سيلاسي الى أن ينقلب ضد راس جوجسا الذي أعلن أنه ملك غير متمسك بديانته . وانتقل الى الهدايا مشيرا الى وجود هدايا للكنيسة وهدايا أخرى ذات طبيعة علمانية يمكنه بها تحقيق الانتصار على أعدائه ، وأكد أنه كان محاطا بوثنيين (« اريمي » وهي تشمل هنا بوضوح المسلمين) من كل جانب ، بما في ذلك الساحل ، وشكر جورج الثالث على فرص الاتصال التي تهيأت بوجود السفن البريطانية في البحر الأحمر . وشرع بعد ذلك ابانة بمولد المسيح ترابن . واتهم خصومه بمحاولة دفعه الى التخلي عن عقيدته ، رغم أنها تتفق مع ما في الكتب المقدسة ، المؤيدة لمذهب الطوائف الثلاثة . وكان هذا هو « الموضوع الهام » .

وانتهى الخطاب بطلب – واحد فقط – وهو أن يرتب جورج الثالث لسفر الأسقف الجديد الى ليجري (٩٢) .

ومن أبرز ملامح هذه الوثيقة غياب أي إشارة فيها الى التجارة . وعلى العموم ، فمن المفترض أن ويلدي سيلاسي اعرب في خطابه بتاريخ ١٨١٠ عن أمله في أن تتاجر السفن البريطانية معه مباشرة ، ويجري أيضا التأكيد في تعليمات سولت وربما أيضا في رد جورج الثالث ، على احتمالات التجارة . والى جانب ذلك ، فانه بالرغم من التقدير الذي لم التعبير عنه لما قامت به سفينة انجليزية لتسهيل الاتصالات فان افراد المسلمين على الساحل لم يكن ينظر اليهم باعتبارهم

---

(٩٢) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحافظة رقم ٧٣ ، من ويلدي سيلاسي الى جورج الثالث ، دون تاريخ ، الأصل باللغة الأمهرية القديمة الترجمة الانجليزية ، (الصحائف ١٥٥ – ١٥٦) نقلاه ذكرت ترجمة حرفيا ، وتفهم بالكاد في بعض الفقرات .

يمثلون مشكلة أكبر من « الوثنيين الآخرين المحيطين بالدولة . وليس هناك طلب للاحتلال البريطانى لمصوع كما لا توجد أى إشارة الى تفكير ويلدى سيلاسى فى القيام بذلك (٩٣) .

ومن الواضح تماما أن ويلدى سيلاسى لم يكن يرغب فى ازعاج التعايش السلمى الى حد ما بين شعبه ، وبين قبائل الساحل ، وبين السلطات التركية فى مصوع وكان على بينة بالتكافل ، وكان باعتباره الطرف الأقوى فى المثلث ، فانه لم ير مبررا لإجراء أية تغييرات أساسية ـ ولم تمنع المنازعات العارضة تدفق التجارة ، سواء كانت فى الأسلحة أو السلع الأخرى التى كان يهتم بها ويلدى سيلاسى والحكام الأثيوبيين الاخرين ووكلائهم التجاريين ، وكان بوسع البعثات السفر الى مصر لمواصلة الصلات مع البطريرك القبطى واستحضار أساقفة جدد الى أثيوبيا . وكانوا يخضعون احيانا غيرهم من الرحالة للابتزاز أو يستخدمون من أجل الابتزاز (٩٤) . غير ان طلب ويلدى سيلاسى للمساعدة فى ترتيب رحلة للأسقف من مصر ليس سببا كافيا لإثبات أن الاثيوبيين أحسوا حيقة بأن نقطة صلتهم الخارجية البالغة القدم والهامة للغاية من الناحية المؤسسية معرضة للخطر غير ان الأمر لم يصل أبدا الى حد مناقشة إحتلال بريطانى لمصوع والجزر الاخرى القريبة من الساحل ، ولهذاكان من الطبيعى أن يأتى رد ويلدى سيلاسى منسقا مع الخطوط التى ذكرها كل من بيرسى وسولت ، وهى بالتحديد ، ان الامر متروك كلية للبريطانيين أنفسهم .

ولم يكن هناك على مايبدو قدر كبير من التفكير بشأن الحدود الدولية فى الدولة الأثيوبية التى كانت قائمة فى اوائل القرن التاسع عشر . وهذا فى حد ذاته لم يكن شيئا جيدا على الاطلاق حيث أن الدولة كانت محاطة بقبائل أو شعوب شبه مستقلة الى حد ممن تتمتع بتنظيم سياسى وعسكرى أقل من أثيوبيا . وكانت الحدود التى تمثل أهمية هى ساحل البحر الأحمر ، حيث ألقت الزيارتين اللتين قام بهما سولت بعض الأضواء على الموقف قبيل تدنى واختلال التوازن النسبى . وبالرغم من أن تأثير زيارتى سولت نفسه كانت عابرة ولا يتعين المبالغة فيها ، فإنها تكشف عن المشكلة التى كان من المقدر أن تواجهها الدولة الاثيوبية باعتبارها احدى الجوانب الرئيسية لنضالها من أجل البقاء : إذ كان أمامها إما إحكام السيطرة على القبائل الساحلية أو التخلى عنها تماما .

ومن الناحية المحلية لم يكن هناك أى تساؤل بشأن السيادة على ميدرى باهير ، وهى « الارض الواقعة على البحر » (٩٥) . وكان يجرى حكم هذه الولاية الأثيوبية القديمة ولمدة قرن من

(٩٣) نفس المصدر ، الحوافظ ١٨ ـ ١٩ ، ڤاليتيا (الى كاينتج) ، ١٨٠٨/١٠/٢٠م وزارة الهند ، منوعات داخلية ٤٥٦ أ ، جورج الثالث الى جوالو ، ديسمبر ١٨٠٨م : « ويؤدى الى المكاسب الهائلة والتى لا تحصى للصلة الدائمة (أو التجارة) انظر ايضا ما سبق ، بالصفحتين ٤٤ ، و٤٦ من الأصل .

(٩٤) ويلد بلونديل Chranicle ص ٤٧٦ ، (بيرسى) lafe المجلد الثانى ، الصفحات ٥٤ ـ ٥٥ . وفى هذا المجلد الثانى ، يذكر بيرسى ان النائب طلب ٥٠٠ طالر كضريبة جمركية قياسية او اصلية على مرور البطريرك عبر مناطق نفوذه .

(٩٥) ڤاليتيا ، Vayages المجلد الثالث ، ص ١٥٥ و Passim

الزمان على الأقل قبل وصول سولت ، باعتبارها احدى الولايات الفرعية العديدة التابعة لتيجرى (٩٦) . غير ان ميدرى باهير شملت المرتفعات والمنخفضات كما أن الجرف الواقع على بعد ٤٠ ـ ٨٠ كيلو مترا من خط الساحل من مصوع الى آرافالى لم يكن مجرد حدود طبوغرافية دقيقة المعالم . إذ كانت القبائل القاطنة على طول الشريط الساحلى أكثر إعتمادا عادة على نائب أركيكو أكثر من اعتمادها على رؤساء الهضبة ، فعلى طريق القوافل الرئيسى مثلا ، كان ينظر الى ممر تارانتا حتى ديجسا على أنه نوع من الحدود (٩٧) . غير ان أثر ذلك كان يوازيه فى المقابل حقيقة ان النائب نفسه كان لعهد طويل معتمدا على راس تيجرى أكثر من اعتماده على سيده ، ومليكه الإسمى ، وهو الحاكم التركى للحجاز وكان هذا الحاكم يدعى تبعيته وولاء رؤساء قبائل أساويرتا والدناكل باقصى الجنوب على طول الساحل له ، غير انه لم يضع ذلك موضع التنفيذ . وبالرغم من أن ويلدى سيلاسى أحس بأنه قادر تماما على حماية التجارة فانه لم يستطع حسبما قيل أنه أبلغ سولت ، أن يرى أى جدوى أو فائدة من وراء حيازة ساحل قفر كان الشعب الذى يعيش على طوله لايطيق حتى زيارته (٩٨) . ولقد كانت مثل هذه السلوكيات واستمرارها لاريب عاملا من العوامل التى عرضت بقاء أثيوبيا للاخطار ـ كدولة مستقلة .

وابان زيارتى سولت ، كانت الصراعات الداخلية والسياسية بصفة رئيسية مع سماتها الدينية هى التى تهم الملاك الإقطاعيين بأثيوبيا (٩٩) . ولقد قلل سولت الى حد كبير من هذا باعتباره شيئا ملحقا بموضوعات رئيسية وردت فى خطاب ويلدى سيلاسى (١٠٠) . غير أنه لا شك فى أن الشاغل الملح لراسى تيجرى كان الصدام الداخلى الذى كانت رايته المرفوعة تمثل أنقى صورة من صور الارثوذوكسية . وفى السنوات التى أعقبت زيارة سولت الثانية وجه اليه ويلدى سيلاسى عدة خطابات ، ليس فى أى منها اشارة الى اتفاقيات بشأن التجارة أو المساعدات أو الشئون الخارجية من أى نوع (١٠١) .

ونظرا لأن الاتصالات الأولى كانت مبادرة أوروبية بالكامل ، فإن من الطبيعى ألا يحدد الطرف الأوروبى بصورة رئيسية محتوى ومضمون المفاوضات فحسب ، بل كان يحدد كذلك منهج وأشكال المفاوضات . وهيأ عقد المفاوضات فى اثيوبيا لسولت ميزة فى أن يتمكن من مراقبة الوضع السياسى

(٩٦) لونج زنج « اريتريا » ، الصفحات ٧٦ ـ ٨١ .

(٩٧) ڤالينتا Vayages ، المجلد الثانى ، ص ٤٨٩ ، المجلد الثالث ، الصفحات ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحافظة ١٠ ، ڤاليتيا ، ١٨٠٨/٩/١٣ م

(٩٨) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحافظة ٩١ ، سولت ٤ مارس ١٨١١م .

(٩٩) أنظر ما سبق ، الصفحات ٣٤ ـ ٤٦ من الأصل .

(١٠٠) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ـ حافظة رقم ١٨٦ ، سولت ٢٩ ابريل ١٨١٠م .

(١٠١) المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٣ ، الحوافظ ١ ـ ٤ ، و١٧ ، وقد ختم ثلاثة من هذه الخطابات بخاتم ويلدى سيلاسى ، وليس هناك سبب يدعو الى ظن أن الخطابين الآخرين ليسا أصليين . إذ تحتوى كلها على تحيات وبعض أنباء من الحبشة عن إحتياج للجراد ، ووباء الجدرى . انظر ايضا هولز ، سولت ، المجلد الأول الصفحات ٣٠٥ ـ ٣٠٦ و ٣١٧ ـ ٣١٨ ، و٣٥٠ ـ ٣٥٣ و ٣٨١ .

وتقييم خصمه فى المفاوضات فى اطار ما يحيط به من مناخات ، وعلى صعيد آخر فان ويلدى سيلاسى لم يحظ سوى بكلمات سولت وسلوكه الشخصى للإستمرار ، ولقد كان عقد المفاوضات فى أثيوبيا ، لفاليتيا وسولت فرصة قاما باستغلالها واستخدامها فى تقديم القضية الأثيوبية وعرضها أمام حكومتهم بالشكل الذى يتلاءم أكثر ما يمكن مع أهدافهما أو طموحاتهما الشخصية . وكان التركيز على مركز ويلدى سيلاسى بوصفه « الراس » و « رئيس وزراء » أثيوبيا ، بالرغم من وجود ستة آخرين من الرؤوس » . ونفس العدد من الأباطرة آنذاك (١٠٢) . يرجع الى تفكير ملىء بالطموحات وبالرغبة فى التأثير على الحكومة البريطانية أكثر من كونه يرجع الى الجهل بالمسرح السياسى الأثيوبى .

مشاكل الاتصالات ونتائجها :

كان ويلدى سيلاسى يعانى صعوبات فى توظيفه فهم وادراك حقيقة ڤاليتيا وسولت . ولم يكن خطاب ڤاليتيا لتقديم سولت ورفاقه كافيا لالقاء الضوء عليهم : فقد أطلق على أحدهما اسم « رئيس شرطة انجلترا » ، غير أن منصب سولت نفسه لم يذكر . علاوة على ذلك ، ماذا كانوا يريدون حقيقة فى أثيوبيا (١٠٣) ؟ .

وعندما وصل سولت للممرة الثانية ، كان يحمل هدايا مبهرة ورائعة كانت تتحدث عن نفسها ، غير أن أوراق اعتماده الرسمية كانت خطابا باللغة اللاتينية موجها الى جوالو ، امبراطور راسى جوجسا العميل فى جوندر . ولا ريب أن سولت قدم ترجمة لهذا الخطاب أيضا ، غير أن محتوياته ليست أمرا مؤكدا (١٠٤) . وكان على ويلدى سيلاسى أن يتصارع مع مسائل أساسية أكثر من مجرد أوراق اعتماد مبعوث ما ، وهذه المشاكل هى المشاكل الناجمة عن جانب من دسائس الأوروبيين ضد بعضهم البعض . ونقل بيرسى الى سولت أن يونانيا يدعى « نصر العلى » تسبب فى كثير من المتاعب بابلاغه ويلدى سيلاسى أن انجلترا دولة صغيرة تقع تحت حكم الاتراك » ، وأن البضائع التى جلبت قد صنعها فى الواقع يونانيون (١٠٥) وثمة سبب يدعو الى الظن بأن سولت لم يكن ناجحا بالقدر الذى كان يعتقده بنفى هذه التصورات السيئة ، وابلاغه الراسى عن « مدى مركز

(١٠٢) ويلد بلونديل Chrnicle الصفحات ٤٧٠ ـ ٤٨٤ .

(١٠٣) انظر ما سبق ، الصفحتان ٣٨ ، و ٤٠ .

(١٠٤) لم أتمكن من تحديد مكان أى نصوص لهذا الخطاب سوى تلك التى باللغة اللاتينية ، بالرغم من أن ڤاليتيا افترض ان خطاب الملك لابد وأن يكتب بالانجليزية مع ترجمة عربية . وثمة وثيقة شوهدت فى كنيسة بشيكيكوت فى ١٨٦٨م كانت على ما يبدو نسخة من هذا الخطاب بكتابة أثيوبية . انظر ت ، جه هولاند ، وهانش . إم هوزيار « سجلات بعثة الى الحبشة » (لندن ١٨٧٠) المجلد الأول ص ٤٢٢ .

(١٠٥) سولت Vayage ، الصفحات ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، وكذلك المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ٥ ـ ٩ ، بيرسى الى ڤاليتيا ، ٢٨ فبراير ١٨٠٦ .

وقوة انجلترا فى العالم . وفى الختام خاطب ويلدى سيلاسى جورج الثالث ، باعتباره « ملك الملوك . . وزعيم ملوك شعوب الهند » دون ذكر لانجلترا أو بريطانيا العظمى (١٠٦) .

ومن العسير تفهم المشاكل الفعلية لعمليات الاتصال بشكل أكثر ، غير أنها كانت بالتأكيد مشاكل كبيرة . واذا ما رجعنا الى الوراء بعد عامين من المفاوضات أثناء زيارة سولت الأولى فاننا نجد طبقا لما كتبه بيرسى « . . . عندما كان السيد سولت هناك قام بالترجمة خمسة أشخاص الى درجة أن الراسى لم يتمكن من فهم أى شىء على الاطلاق (١٠٧) .

وهذا أمر لا يتعين تناوله بحذافيره . فقد كان بيرسى يميل الى المبالغة أحيانا . غير أن المناقشات بين سولت وويلدى سيلاسى كان يجرى ترجمتها على الارجح مرتين ، باستخدام اللغة العربية كلغة وسيطة وبالرغم من أن سولت وبيرسي كانا يعرفان بعض اللغة العربية فان هذا لم يكن يكفى لاستئناف المفاوضات (١٠٨) . ولم يكن من بين مترجمى سولت نفسه من يعرف أى لغة أثيوبية .

وكان الوكيلان التجاريان ، سواء الباشا عبد الله ، أو الحاج حماد أو كلاهما يحضران المناقشات الهامة . وبالطبع كانا يعرفان بعض اللغة العربية وان كنت لم أجد أى اشارة الى معرفة ويلدى سيلاسى بها . وكان سولت ، وبيرسى يقدمان المترجمين ، حسب معطيات ذلك اليوم ونوع الدعاوى والحجج اللازمة فى التقارير ، باعتبارهم كما فى حالة عبد الله مستشار الراسى صادقين وأمناء ، ويصل ڤاليتيا الى نقطة اما بالتوصية بتعيينهم وكلاء بريطانيين . أو بالتوصية بأنهما يعملان لصالح النائب أو شريف مكة تماما ومن ثم لا ينبغى الثقة بهما ، أو أنهما لا يمكن الاعتماد عليهما وانهما ضد النائب وذلك بلغة بيرسى المفتوحة غير المعلنة مثل « إن باشا وعبد الله وغد ملعون لا يكن أدنى صداقة للنائب (١٠٩) .

وكان هناك من بين الاسباب الوجيهة الكثيرة لكى يبقى بيرسى فى تيجرى منها الأمل فى أن يتعلم اللغة وبالتالى يتمكن من استبعاد الوسطاء من المسلمين مستقبلا . ويقول سولت ، إن بيرسى كان ناجحا ، فقد تهيأت له فرصة دراسة اللغة التيجرية دراسة كاملة كما عرف اللغة الأمهرية أيضا . ولهذا فقد عمل مترجما لسولت طوال زيارته الثانية (١١٠) ، غير أن من الصعب تأكيد مدى اجادة بيرسى الفعلية لهذه اللغات ، وكان يتباهى دائما بتقدمه السريع فى مجال التقاطه اللغات قائلا

(١٠٦) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١/١ ، الحوافظ ٧٣ ، ويلدى سيلاسى الى جورج الثالث ، بدون تاريخ .

(١٠٧) المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الحافظة رقم ١٧ ، بيرسى الى أحمد شامى ، ١٨٠٧/١٠/٣م

(١٠٨) ڤاليتيا ، Vayages المجلد الثالث ، الصفحات ٦٢ ، و ٢٠٩ ، المجلد الثانى ص ٤٣٨ .

(١٠٩) نفس المصدر السابق ، المجلد الثالث ، الصفحات ١٣٨ ، و ١٤١ ، و ٢٧٠ ، سولت Vayage ، صفحة .

(١١٠) سولت ، Vayage ، الصفحة ٢٠٤ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/١ ، الحوافظ ٩٤ ـ ٩٥ ، سولت ٤ مارس ١٨١١ م

« . . . يمكنني ان أؤكد لك يا سيدى إننى لو لم يتوفر لى ذلك القدر من المعرفة باللغة التيجرية والامهرية لانتابنى قدر كبير من الخجل ، وتعلمتها بعد عامين من تركك لى [١١١] . . . . غير ان الطريقة التى استخدم بها الاسماء الاثيوبية فى مراسلاته تكشف الضآلة الشديدة لمعرفته بهاتين اللغتين . إذ أنه بعد عامين كان لا يزال يستخدم صيغة المؤنث لكلمة (وى لت) وتعنى ابنه بدلا من كلمة (ول اى) وتعنى ابن عند ذكره لاسم سيده [١١٢] .

وعلى أية حال تكمن المشكلة الجادة للغاية للاتصالات فى المحاولة الأولى لاقامة علاقات اوروبية أثيوبية تكمن فى التباين بين الهدف المعلن ، والغامض والذى يتسم مع ذلك بحب الغير (إنقاذ أثيوبيا المسيحية) . وبين الغرض المباشر الملموس (وهو جمع المال) والخاص بالطرف الذى أخذ زمام المبادرة بيده . وفى بادىء الامر أبلغ ويلدى سيلاسى مرارا وتكرارا سولت أنه لم تفهم الغرض من حضوره الى اثيوبيا وحتى أعوام من ذلك كان بيرسى يجد صعوبة فى شرح الأسباب التى دعت ملك انجلترا لارسال هدايا الى شخص ما لم يره على الاطلاق [١١٣] ، وقد جعل هذا ويلدى سيلاسى حذرا ، وظل كذلك بالرغم من العلاقات الشخصية الودية . أما عن فكرة أن الاثيوبيين كانوا يقابلون جميع الأجانب بتشكك فقد كانت فكرة مبالغا فيها بدرجة كبيرة ، على نحو ما سنراه فيها بعد . ومع ذلك فان مسألة دوافع الاوروبيين ظلت مشكلة أساسية فيما يتعلق بالحكام الاثيوبيين مع بدء احتكاكهم بمشاكل العلاقات الخارجية فى العالم الحديث . فبعد ثلاثين عاما من زيارة سولت ، أعرب أحد حلفاء ويلدى سيلاسى وهو دى جازماتش ويبى عن سخطه وتصميه على الا يتعرض للغش أو الخداع الذى كان غالبا ما يساور أذهان الحكام الاثيوبيين . وترجع الكلمات التالية المزخرفة الى الرحالة الفرنسى ـ الايرلندى أرنولد دابادى ، غير أن الروح روح اثيوبية .

واحذر ان تطأ أرض بلادى مرة أخرى . فالانجليز وأنتم تدخلون أرضا ملعونة ، وأنتم تتطلعون الى مناخنا الصحى : فهناك من يجمع نباتاتنا ، وآخر يقوم بجمع أحجارنا ، أننى لا أعرف ما تصبون اليه ولا أود أن تجدوا فى دولتى ما تصبون اليه [١١٤] .

---

(١١١) المتحف البريطانى لندن ، الضميمة رقم ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ٦٧ ـ ٧٤ ، بيرسى الى سولت ١٨٠٩/٥/١٠م .

(١١٢) نفس المرجع السابق ، الحافظة ١٧ ، بيرسى الى احمد شامى ١٨٠٧/١٠/١٣م انظر ايضا الحوافظ ١١ ـ ١٤ ، ٦٧ ـ ٧٤ ، فيما يتعلق بالأمثلة الأخرى عن الأخطاء التى من الصعب ان تقع من اى أحد يكون على معرفة جيدة تماما باللغة .

(١١٣) فالنتيا Vagage المجلد الثالث ص ٥٦ ، ٦٢ ، ١٣٨ (بيرسى) المجلد الأول ص ١٦٦ .

(١١٤) دابادى ، Dauzeans ص ٥٣١ . ولم يكن ويبى بالطبع يجهل أهداف وطموحات ضيوفه « وهو ما توضحه تلك المقولة » وقد نقل نائب القنصل الفرنسى فى أعقاب ذلك ان جميع الرحالة قاموا بإجراء أبحاثهم تحت ظل حماية فعالة من ويبى فيما عدا بيفير وأشقاء دابادى الذى كان منزعجا منهم لانهم ورطوا أنفسهم فى السياسات . أنظر Massouoh 1. ، حافظة ١٨ . دى جوتان الى جويزو ، ٣٠ يناير ١٨٤٢ ، وأنظر أيضا ص ٨٣ ، ٨٦ من الأصل الإنجليزى .

ثالثا ـ الضغوط المتزايدة ، والاستجابات المتقطعة نهاية العزلة

ولم يكن هناك طوال عشرين عاما تقريبا بعد زيارة هنرى سولت الثانية الى أثيوبيا أى مبادرات أو تطورات هامة فى العلاقات الاثيوبية الاوروبية .

فبمجرد انقضاء التهديدات الفرنسية فى العهد النابليونى وسلامة الهند البريطانية ، تضاءلت مرة أخرى الاهتمامات القليلة بالبحر الاحمر والحبشة التى تمكن ڤالنتيا وسولت من اثارتها فى الدوائر الرسمية . ولم يتبق سوى اهتمام علمى وتبشيرى الذى وجد متنفسه فى نشر أجزاء من الكتاب المقدس باللغة الأمهرية القديمة على يد جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية [١] .

واستمر الاتصال عن طريق سولت ، الذى عين قنصلا عاما فى مصر فى عام ١٨١٥ ، قائما مع بيرس الذى صار أول موزع غير مؤكد الى حد ما للكتب المقدسة المطبوعة فى اثيوبيا [٢] .

وبالرغم مما قد يبدو عليه من قلة نشاطه الذى كان بالتأكيد محدودا فإن هذا كان يمثل بداية المنهج التبشيرى الذى كانت له أهمية كبيرة عندما بدأ « الزحف الى داخل اثيوبيا » بحماس قرابة عام ١٨٣٠ .

وفى ربع القرن التالى تدفق على أثيوبيا أعداد كبيرة من الرحالة والبعثات الأوروبية من كل نوع . وكان أول من وصل ، قرابة العام الجديد عام ١٨٣٠ إثنين من جمعية التبشير الكنسى ، وهما صامويل جوبات ، وكريسيان كجلاد ، ونجار ألمانى يسمى كرستيان أبشنجر استخدمه كجلار لمصاحبتهما وتبعهما سى . دبليوايسنبيرج فى عام ١٨٣٥ وسى . هـ . بلوم هارد ، ج . ل . كرايف فى عام ١٨٣٧ [٣] .

---

(١) هولز ، Salt ، المجلد الاول ، ص ٣٢١ ـ ٣٣١ . وكدليل على وجود تلك الصلة يكفى ان نشير الى ان ڤالنتيا وسولت كانا عضوين باللجنة الفرعية للحبشة المنبثقة عن جمعية الكتاب المقدس .

(٢) نفس المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص ٤٠٥ ، ٤٧٩ (بيرس) life المجلد الثانى ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٧٣ ـ ١٧٥ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ .

(٣) س ، دبليو ، ايسنبرج ، ج . ل . كرايف ، The yournals of C.W Irenberg and 7.L. Krapf (لندن ، ١٨٤٣) ، (صامويل جوبات) « صامويل جوبات ، أسقف القدس ، حياته وأعماله » لندن ١٨٨٤) ص ١٠١ ، ١١٠

وكان أول من يصل من زملائهم الكاثوليك الرومان هو جيوسبى سابيتو الذى سافر مع أشقاء دبادى فى عام ١٨٣٨ [٤] . وبدأت بعثة الجوزام فى الحبشة رسميا فى أواخر العام التالى بوصول ثلاثة مبشرين إضافيين برئاسة جيوستينو إدى جاكوبيس [٥] .

وفى نفس الوقت زاد الاهتمام بالاستكشاف العلمى والتجارى لأثيوبيا وفتح هذا الطريق العالم الالمانى ادوارد رويل فى ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ وتبعه فى ١٨٣٥ - ١٨٣٦ الرحالة الشاب الاقل علما والاكثر إثارة إدموند كومبز وموريس تاميزى الذى كان ينتمى إلى حركة سان سيمون فى فرنسا [٦] . والرحالة الالمانى بارون أ . فون كاتى فى ١٨٣٦ ، وفرنسيان من مصر وهما لوى ريمى أوبيل روش ، وحول دوفى فى ١٨٣٧ ـ ١٨٣٨ ، وكانا يهتمان بصفة أولية باحتمال ومستقبل التجارة . وقرابة عام ١٨٤٠ وصل تدفق الاوروبيين ولاسيما الفرنسيين إلى ذروته بوصول انطوان وارنولد دبادى فى ١٨٣٨ ، والبعثات العلمية لتيوفيل ليفى بيفير ، وب . فيرى ، جج جالينى فى ١٨٣٩ و ١٨٤٠ على التوالى ، وعودة كومبس فى ١٨٤٠ لشراء ميناء والزيارتين فى ١٨٣٩ للقنصل الفرنسى بجدة سى . ف ، إكس روشيه درى كور الذى كان يأمل مثل العديد من الأخرين فى تمهيد الطريق للنفوذ السياسى والتجارى فى الدولة وفى نفس الوقت سافرت فى ١٨٤١ بعثة بريطانية رسمية الى شيوا تحت قيادة الكابتن دبليوماس ، هاريس لتعطيل خطط روشيه باركينز هناك كما أن القنصل البلجيكى فى مصر . إدوارد بلومنديل مد إستكشافه للفرص التجارية إلى شمال وغربى اثيوبيا [٧] .

وكان من بين الرحالة البريطانيين غير الرسميين الذين وصلوا فى أوائل الأربعينيات من القرن التاسع عشر ، جون بيل ، وولتربلودين ومانسفيلد باركيز . وكان للإثنين الأولين ادوارا سياسية هامة . حيث كان بلودين أول قنصل بريطانى فى أثيوبيا [٨] .

وعاد كثير ممن سبق ذكرهم الى أوروبا بعد استكمال مهامهم أو استنفاد اعتماداتهم وأموالهم ، غير أن منهم من بقى هناك ، وعلى سبيل المثال ، عالم النبات الألمانى فيلهيلم شيمبر فقد بقى فى سيمين وتيجرى حيث استقر ايضا كوفين ، وارنولد دبادى بصفة اساسية فى جوجام .

---

(٤) دبادى Dauze ans ص ١ ، ٥ ليفى بيفير Vayage المجلد الأول ص ٥٤
(٥) ليفى بيفير ، Vayage المجلد الأول ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ . اشترك دبادى فى اخراج هؤلاء المبشرين أيضا . أنظر سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة . لندن ٣/١ ، الحوافظ ٢٩ ، ٣٠ ، دبادى الى أكونيل ، بدون تاريخ ، ويحتمل ان يكون ٥ يونية ١٨٣٩ ، الحوافظ ٤٩ ، ٥٠ بالمرستون إلى كامبل ، ١٧ يونية ١٨٣٩ . انظر كرومى « Priests » ص ٢٩ ـ ٦١ . لمعرفة المزيد عن التبشيرية والمبشرين ومصيرهم .
(٦) إدموند كومبى وموريس تاميزى ,Vayaye en Abyssinieco D ans le py des Galla, de choo et el' I Jat (باريس ١٨٣٨م) انظر ماسبق ص ١٦ ، رقم ٢١ .
(٧) أ . دوشيــن Le Consul Blondeel en Abyssimie(بروكسل ، ١٩٥٣) . ويرد فى سجل المراجع الروايات والتقارير التى نشرها الرحالة الأخرون . ولم يترك كمبز على قدر علمى أى تقرير . منشور عن زيارته الثانية لاثيوبيا .
(٨) إم . باركينز ، Life in Abyssinia (لندن ١٨٥٣م) ، بلودين ، Trovels وفيما يتعلق بوصول بيل ، أنظر فيريه وماليتير Voyoge المجلد الأول ، الصفحات ٢٩٩ ، و٤١٥ ـ ٤١٦ .

وجون بيل فى بيجيدير . وظل المبشرون الكاثوليك باقين بالرغم من أن البروتستانت أجبروا على المغادرة ، أولا فى ١٨٣٨ ثم فى ١٨٤٣ [٩] .

ولا تشكل البعثات أو الأشخاص سالفى الذكر بأى حال من الأحوال قائمة كاملة . ففى ١٨٤١ قال القنصل البريطانى بالاسكندرية أن هناك أكثر من ٣٠ رحالة فرنسيا فى اثيوبيا آنذاك [١٠] ، والرقم الحقيقى لا يمكن أن يكون أقل من ذلك .

وكانت البعثات الفرنسية (رابادى ، وكوميز ، وليفى بفير ، وروشيه دريكو ، وفيريه ، وجالنيز ، لا تقف فى طريق البريطانيين فحسب ، بل وفى طريق بعضها البعض [١١] . ومن جانب آخر كانت البعثة البريطانية الى شيوا فى ١٨٤١ تتكون وحدها من أكثر من ٣٠ شخصا [١٢] .

وايا كانت دوافعهم سواء تبشيرية أو علمية ، أو احتمالات الفرص التجارية ، أو الميل الى المغامرة ، أو بمزيج من هذه العوامل كلها ، وسواء كانوا مكلفين من حكوماتهم أم لا فى الواقع ، فان الأمر انتهى بهؤلاء الاوروبيين كلهم الى انغماسهم فى السياسات الاثيوبية والسعى للتمتع بالنفوذ فى بلاط الحكام الأثيوبيين . ومقارنة بالعزلة عن أوروبا طوال ٢٠٠ عام سابقة [١٣] . التى لم يقطعها سوى وصول أحد الرحالة احيانا مرة فى كل جيل ، فإن ذلك كان يعتبر شيئا جديدا تماما . إذ بدأ زعماء المؤسسات السياسية والدينية والتجارية فى أثيوبيا فى تفهم أن الفرنجة كانوا مهتمين حقيقة ببلادهم . كما أن نفس تزايد الأعداد بسرعة يوضح أن الأبواب كانت فى الواقع وعلى ما يبدو مفتوحة تماما منذ البداية . وكانت المراحل الأولى من التغلغل الأوروبى لاتؤخذ على ما يبدو على أنها تمثل خطرا ما بأى حال من الأحوال ، بالرغم من استمرار التشكيك الكنسى الى حد ما وهو السمة التى كانت تمثل تراثا من المصادمات الدينية فى القرن السابع عشر .

وأسفرت نهضة مصر فى ظل محمد على ، وتوسعها فى شبه الجزيرة العربية ، ولاسيما فى السودان عن ضغوط من نوع مختلف وملموس بدرجة أكبر ، وكان « الترك » وهو الاسم الذى اعتاد الاثيوبيون اطلاقه على المسلمين خارج حدودهم ، هم الجيران الوحيدون والعدو الخارجى المحتمل الذى يحسب حسابه . وبالرغم من أن الترك لم يسببوا أى مشاكل جدية لأكثر من ٢٠٠ عام ، فان الاثيوبيين لم ينسوا لهم مساندتهم لشعار الجهاد الذى رفعه احمد جرانا فى القرن السادس عشر ضد المرتفعات الأثيوبية كما لم ينسوا محاولات الترك الفاشلة لاحتلال شمال

---

(٩) كرومى ، Priests الصفحات ٤٥ ، ٥٤ ـ ٥٦ .
(١٠) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، لندن ٣/١ ، الحوافظ ١٢٢ ـ ١٢٦ ، بارنيت الى باكهاوس ، ١٨٤١/٩/١٩ .
(١١) ذكريات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس .
(١٢) هاريس ، Hishlands ، المجلد الأول الصفحة VJJ .
(١٣) تريمنجهام ، Islam ، الصفحات ٩٨ ـ ١٠٨ أو ليندورن الأثيوبيين The Ethiopian الصفحات ١١ ـ ١٤ ، و٨، ـ ٨٣ .

تحت حكم المصريين بفتح محمد على للحجاز . واعتبارا أثيوبيا [14] . وسقطت مصوع واصبحت تحت حكم المصريين بفتح محمد على للحجاز . واعتبارا من ١٨١٣ فصاعدا كان ذلك الميناء يحكمه بصفة دورية أحد المصريين [15] . وفى بادىء الأمر لم يكن هذا يمثل ثمة اختلاف ما ولكن حدث بعد ذلك أن تم تنفيذ سياسة جديدة أكثر إيجابية . وقد ازدادت هذه السياسة تبلورا على طول الشاطىء فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبصورة أكثر بعد ١٨٤٦ وذلك عندما نقلت مصوع ، وسواكن من باتراليك الحجاز الى مصر ، وكان نقل سواكن ومصوع بلاشك نتيجة لرغبة مصر فى تنسيق حكمها فى السودان مع الادارة والحكومة المسئولة عن الساحل .

وكان ذلك معناه فيما يتعلق بأثيوبيا أن نفس هذه القوة التى يحتمل أن تكون معادية ، بوسعها ممارسة ضغوط سياسية وعسكرية على كل من جناحى شمال أثيوبيا . وظهرت الجيوش والمدراء المصريون على الحدود الغربية لاثيوبيا بعد الفتح المصرى للسودان فى ١٨٢٠ . وكان على الشعب الأثيوبى أن يواجه دولة مجاورة ذات طابع توسعى وجيدة التنظيم الى حد ما ، وهو أمر لم يكن مألوفا على مدى مئات السنين [16] . وسواء كان محمد على قد دبر أصلا أم لا فتح أثيوبيا ، وهو ما تناقلته شائعات فى القاهرة حتى قبيل فتح السودان ، فإن الوضع الجغرافى السياسى لاثيوبيا جرى تغييره بصورة جذرية . وكان من المحتم تقريبا أن تتعرض سلامة اراضى الدولة الاثيوبية بل ونفس وجود الدولة الأثيوبية إن آجلا أو عاجلا ـ للتحدى [17] .

واستغرق الأمر نصف قرن من الزمان قبل أن يؤدى الوضع الجديد الى صراع شامل من أجل السيطرة فى الاقليم . غير أن الضغط كان ملموسا على الحدود الشمالية . وأيضا ومن آن لآخر كان ملموسا فى السياسات الداخلية لاثيوبيا . ولقد اتجه الشعب الاثيوبى نتيجة تجاربه الماضية الى اقامة تحالف مع أوروبا المسيحية لمجابهة هذا الخطر . وصارت الاتصالات مهيأة لذلك لما شاهدنا بصورة متزايدة . وكانت التساؤلات هى متى أو الى أى مدى صارت السياسة الخارجية تمثل أولوية أثيوبية أثناء فترة الأمراء والقضاة ، وما هو الدور الذى لعبه الأوروبيون فى هذا الصدد .

---

(١٤) واعتبارا من نهاية حكم يوهانيس الرابع ، جرى النظر الى العدوان المصرى فى ضوء الصراع الدائر فى القرن السادس عشر . انظر سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة بلندن ٧٣١/٩٥ برقم ١٤٣ ، يوهانيس الى فيكتوريا ١٣ اغسطس ١٨٧٢م .

(١٥) آبير ، Ethiopia ، ص ٦ أنظر أيضا نفس المؤلف جذور مكلة الحدود الاثيوبية ـ المصرية فى القرن التاسع عشر ، جورنال التاريخ الافريقى ، المجلد الثامن ، (١٩٦٧) ، الصفحات ٤٤٣ ـ ٤٦١ .

(١٦) أنظر آبير ، Ethiopia الصفحات ٩٦ ـ ١١٦ ، ١٣١ ـ ١٣٢ .

(١٧) المتحف البريطانى ، الضميمة ١٩٣٤٧ ، الصفحات ٢١٨ ـ ٢٢٢ ، سولت الى بيرس ، ٢٩ يونية ١٨١٨م ، هولز ، سولت ، المجلد الثانى ، ص ١١٧ ، سولت الى مونتنورس ، ١٨٢٠/١١/٢م فقد صار فاليتيا بعد وفاة والده ايرل مونتنوريس ، أنظر . إم . صبرى . « L'empir E'gyptien seus Mohamed Ali et la Question d'orient »

(باريس ١٩٣٠) ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ، لمعرفة الاستنتاج المؤكد لمؤرخ مصرى : « إن محمد على ، رغبة منه فى السيطرة على جميع سواحل البحر الأحمر ، وجميع المجارى العليا للنيل ، ربما أنه قد كلف إرسالياته الافريقية باحتلال أثيوبيا كهدف أقصى لها .

بعثة سيباجادين وعلى / كوفين :

وفجأة ظهر فى مصر قرابة منتصف عام ١٨٢٧ ويليام كوفين بعد سبعة عشر عاما فى اثيوبيا . وكان فى طريقه الى لندن مبعوثا من ديجاز ماتش سيباجاديس ويلدو التيجيرى [18] .

وتعد هذه المهمة ذات أهمية باعتبارها أول مبادرة لاثيوبيا فى الشئون الخارجية لعشرات السنين [19] . وقد قيل أن سيباجاديس احتاج الى أسلحة نارية لا يمكن الحصول عليها الا بمساعدة أوروبية عن طريق مصوع وأنه كان أيضا مهتما بالمهارات الأجنبية [20] « بل يفترض أنه قد طلب من بريطانيا أخذ ميناء مصوع ، واعطاؤه لنا أو الاحتفاظ به » . وهكذا فانه ولأول مرة فى العصر الحديث يحاول حاكم أثيوبى أن يحطم بصورة جدية حائط العزلة حول اثيوبيا ويسعى الى اقامة جسر مع أوروبا المسيحية [21] . ولم يكن الاهتمام بالأسلحة النارية والمهارات شيئا جديدا بالطبع ، والجانب الهام هو ما سبب الاحتياج للأسلحة والحرفيين المهرة ، غير أن من المؤكد أن خطة الحصول على مصوع عن طريق التعاون مع بريطانيا كانت نقطة انطلاق جديدة وهو أمر لم يبد ويلدى سيلاسى كوفين إهتماما به عندما اقترحه عليه سولت [22] .

وثمة غموض يكتنف علاقات كوفين بسيباجاديس اذ كان سيباجاديس متمردا لسنوات كثيرة ضد ويلدى سيلاسى ، الذى كان بيرسى وكوفين يعملان فى خلدمته . وكان بيرسى وكوفين حتى وفاة الراسى وحتى فرار بيرسى من الدولة فى اكتوبر ١٨١٨ ، يعيشان تحت ظروف تسود فيها سيطرة منافسى وأعداء سيباجاديس [23] بمجرد أن تمكن سيباجاديس من السيطرة على كل تيجرى قرابة

---

(١٨) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ١٦٠/٧٨ ، محفوظات الحوافظ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ، من باركر الى دارلى ، ١٨٢٧/١٢/١ ، بعثة بازلر فى بازل ، مكتبة BV ، ٣١ ، جوبات الى شقيقته ، ١٨٢٧/١٢/١٤م هولز ، Salt ، المجلد الثالث ص ٢٧٠ . ويقرر هولز ان كوفين وصل قرابة شهر مايو ، ويجرى جوبات ان ذلك كان فى ١٥ يوليو ، ويكر يرى ان ذلك كان قبل عدة أشهر . ولم يكن سيباجاديس رأسا ، بالرغم من أن الأوروبيين يطلقون عليه بصفة عامة هذا اللقب ، ولعل ان ذلك يرجع الى انه قد صار من المعروف كلقب لويلدى سيلاسى . وكان اسمه ، فى الواقع ، جوبا جاديس ، غير ان جميع المؤرخين الاثيوبيين يكتبون سيبا جاديس ، Seba Gadis أو سيبا جاديس Sebagadis

(١٩) كرومى ، Priests ص ٢٩ .

(٢٠) نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

(٢١) آبير ، Ethiopia ص ٣٥ .

(٢٢) أنظر ص ٥٠ من الأصل .

(٢٣) (بيرسى) Passim , Life المتحف البريطانى ، ضميمة رقم ١٩٣٤٧ ، الحوافظ ١٥١ ـ ١٥٢ ، بيرسى الى سولت ، ١٨١٥/٩/٢٦ الحوافظ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، بيرسى الى مارنت نوريس ، ١٨١٩/١٢/١٨ .

۱۸۲۲ أصبح كوفين يعتمد عليه فى استمرار اقامته بالدولة ، واشترك كوفين فى عدة حملات . وقد أصيب ، وأسر أثناء العمليات حسب روايته خمس مرات بحلول عام ۱۸۲۳ ، ويبدو أنه قد مر بظروف سيئة للغاية ، وهيأ نفسه تدريجيا ليعيش حياة جندى فلاح أثيوبى عادى ، غير أنه تطلع الى مغادرة الدولة ، بشرط أن يصحب زوجته وأولاده معه [٢٤].

ولربما ان أحواله قد تحسنت فى الفترة ما بين ۱۸۲۳ و ۱۸۲۷ الى حد ما ، غير أنه من غير المحتمل على ما يبدو ان يكون قد استطاع اداء أى دور كمستشار لسباجاديس أو كصاحب المبادرة بارسال البعثة الى انجلترا [٢٥].

وفى مصر مكث كوفين مع صديقه القديم هنرى سولت الذى قدمه الى كوجلر مبعوث جمعية التبشير الكنسية والذى كان يستعد آنذاك للسفر الى اثيوبيا سويا مع جوبات ، وقرر كوجلر اصطحاب كوفين الى انجلترا أولا ، غير أنهما تعطلا ولم يتصل كوفين بوزارة الخارجية نيابة عن سباجاديس الا فى شهر يوليو من العام اللاحق [٢٦] . وقدم اليها وثيقتين : « خطاب باللغة الانجليزية مؤرخ « عدوة ، ٢٤ ابريل ۱۸۲۷ ، تستهله عبارة بأمر الراسى ، الوصى الأعلى ، الى صاحب الجلالة ملك بريطانيا جورج الرابع » وتختتمه عبارة « بأمر الراسى الوصى الأعلى ويليام كوفين ، وخطاب آخر بدون تاريخ باللغة الأمهرية ويحمل خاتما غير مقروء ، وفى اطار بسيط وضعت الكلمات « Dejj A zmaeh suba giyorgis silton »وفى الوثيقة التى باللغة الانجليزية يبدأ سباجاديس ، اذا كان من الممكن حقا اعتباره الكاتب ، بالاشارة الى زيارة قبل ستة عشر عاما والهبات التى جلبها لكنائس ويلدى سيلاسى ، ثم يذكر أربع كنائس له ، ويذكر أنه بعث أحد خدمه مع كوفين لاعادة أواصر العلاقة التى كانت قائمة من قبل : « ان بلدينا متباعدتان غير أن أدياننا واحدة . وتلى ذلك ثلاثة طلبات . أولها طلب مذهل وهو : « اذا استطعتم جلالتكم أن تبعثوا الينا بمائة من فرسانكم الخفيفة لمدة عام أو عامين ، حيث أن لدينا الكثير من الخيول ولكن ليس لدينا فرسان يجيدون ركوب الخيل وشجعان مثل ابن بلدكم الذى يعود حاملا هذا الخطاب ، » والطلب الثانى كان تقليديا بشكل أكثر ولكنه محدد جدا » : طبيب ، وعامل دهان ، ونجار أو أى تجار آخرين ، وبعض الدهانات والمناشير وعدد النجارين ، وبعض الرصاص لتشطيب الكنائس التى بنيتها . وكان الطلب الثالث طلبا مذهلا أيضا وقد سبق ذكره ، وهو أن ينتزع البريطانيون مصوع من

(٢٤) هولز Salt الصفحات ۲۲۲ ـ ۲۲۳ ، كوفين الى سولت ٢٨ مايو ١٨٢٣م ، المتحف البريطانى ، الضميمة رقم ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، بيرسى ١٨١٩/١٢/١٨ .

(٢٥) لم أجد دليلا يؤيد وجهة النظر القائلة بأن سباجاديس كحاكم لتيجرى « استفاد بصورة حصيلة من بيرسى (وهو لم يستفد بالتأكيد ، ومن كوفين » أنظر لونج ميج ، Esitrea ص ۸۱ .

(٢٦) هولز : Salt ، الصفحات ۲۷۰ ، ۲۷۷ ، محفوظات جمعية التبشير الكنسية بلندن ، التبشير الكنسى ٤٦ ، من كوجلر الى بيكر ستيستشن ١٢ ابريل ١٨٢٨ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ۲/۱ ، الحوافظ ٤ ، ۸ ، محاضر .

الأتراك ، وتصبح فى حوزتهم أو يسلمونها الى اثيوبيا ، « حيث أن دولتنا تضيق لفقدها وبسبب المسلمين على ساحل البحر الأحمر » . وتنتهى الوثيقة بقائمة من الهدايا الى جورج الرابع [٢٧] (صورة طبق الأصل من الخطاب باللغة الأمهرية) (ص ٦٠ فى النص الأصلى) وكان هذا الخطاب الأمهرى مقتضبا ، ويبدأ دون ديباجة بما يلى : « كانت هناك صداقة بين والدك وويلدى سيلاسى . فلنكن أصدقاء ، سويا على نفس النهج ، اننى مسيحى مثلك . وقد بعث والدك أشياء الى الكنيسة . فأرسل الى مثل هذه الاشياء بنفس الطريقة لاننى شيدت ثلاث كنائس . أرسل الى رصاصا . وارسل الى مائة فارس ، ونجار ، وبناء للكنائس ليبنى لنا بنفس الطريقة التى يبنون بها فى دولتك » .

ويلى ذلك قائمة الهبات والكلمات الموضوعة فى برواز . وبالرغم من أن اسم المرسل اليه يبدو فى غير مكانه فيما يشبه رسم خاتم ما فان جيورجيس سيلتان ، المسمى سيلتان جيدرجيس على ظهر الخطاب يمثل فى الواقع الملك جورج ، وفى أسفل الخطاب توجد عبارة أكثر أهمية وهى « إن على هو مبعوثى مع كوفين »[٢٨] .

وهناك بعض شواهد على التأثير التيجرانى فى اللغة . كما كان خط اليد ردىء للغاية . والفارق فى النوعية بين هذه الوثيقة وخطاب ويلدى سيلاسى باللغة الأمهرية القديمة بتاريخ ۸۱۰ فارق مذهل . وقد يكون مبعث هذا ان سباجاديس نفسه لم تكن لديه صلة سابقة بكنيسة أو بلاط ولم يكن يهتم باستخدام كاتب مناسب [٢٩] . وكان لا يعرف لا اللغة الأمهرية ولا العربية ، ولو لم يتعلم القراءة فى أواخر الثلاثينيات أو الأربعينيات لما كان قادرا على القراءة أو الكتابة على الاطلاق [٣٠] .

ومن المؤكد أن كوفين لم يكن على دراية باللغة الأمهرية بالقدر الذى يكفى ليكتب أو يملى رسالة ما . وقد أعرب لوزارة الخارجية عن اعتقاده بأن مادة الرسالة التى باللغة الأمهرية هى نفس مادة الرسالة بالنص الذى باللغة الانجليزية . وعند ايتمت ترجمة للرسالة التى باللغة الأمهرية ، وان

(٢٧) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ۲/۱ ، الحوافظ ١ ـ ٢ ، و ٦ . والوثيقة التى باللغة الانجليزية فى الملف يقال انها نسخة من ورقة احضرها كوفين . وبعد ثلاثة أعوام تقريبا ، سلم ماونتنوريس نسخة ثانية من نفس الوثيقة (نفس المصدر ، الحافظة ۸۳) وينتهى الجزء الرئيسى من النص بعبارة « بأمر الراسى الوصى الأعلى/توقيع/ويليام كوفين . وثمة قائمة هبات تشكل جزءا من النص فى نسخة أخرى وتأتى هنا كنوع من الملاحظات . وهناك بعض التباينات الطفيفة بين النصين ـ فى هجاء الأسماء الاثيوبية ، مثلا ـ غير ان الفارق الوحيد الكبير هو جملة عن الحبشة وانجلترا بأعتبار أن لهما نفس الدين وهى جملة مفقودة فى نسخة فالينتيا .

(٢٨) نفس المصدر ، الحافظة رقم ٦ .

(٢٩) لعب البلاط فى جوندرر دورا هاما فى الحفاظ على التعليم ، غير انه كان فى تدهور . انظر سولت Vayage ص ۳۳۲ . وجوبات Journal الصفحات ١٥٦ و٢١٧ .

(٣٠) (جوبات) Life ، ص ۱۰۹ (بيرسى) Life ، المجلد الثانى ص ١٤٥ . وكان جوبات متأثرا بشخصية سباجاديس ، وليس بالتأكيد بتعليمه . وكان يود الاتصال به غير انه وجد ان سباجاديس « كان يعرف التيجرانية فقط ولهجات شوهو » .

كان بها بعض الفترات، عن طريق جمعية التبشير الكنسية لم يكن كوفين قادرا على سد الفترات (٣٢) . على النهاية ، كان المبعوث هو على عمر ، الحاكم المسلم لمنطقة في التجري (٣٣) . وحسب تعبير كوبطر ... وجوبات ، فانه كان يتحدث اللغة الأمهرية « جيدا بصورة مقبولة » غير أنه لم يكن يفهم اللغة العربية (٣٤) . وبما أن على ، وهو من الساهو المسلمين لم يكن يستطيع قراءة أو كتابة اللغة الأمهرية الا بالكاد ، فان الكاتب كان على الأرجح شخصا رابعا . وثمة مرشح محتمل في هذه الظروف وهو بيبركي صهر كوفين الذى عاش في عدوة وتم استخدامه كرسول الى مصر من قبل سيباجاديس وذلك في ١٨٣٢ - ١٨٣٣ (٣٥) ، فليس من الممكن استبعاد احتمال أن يكون بيبركي ، اذا كان هو حقا الكاتب ، قد قام بالتواطؤ مع كوفين وتجاوز التعليمات الصادرة اليه في صياغة هذا الخطاب . ومع ذلك فان الطريقة التي ذكر بها على باعتباره « مبعوثا » بل وفي الواقع كان [illegible] ، ويتضح ان ذلك لم يكن من تعبير هذين الرجلين . وعلاوة على ذلك ، فان الخطاب الى جورج كان خطابا من جملة ثلاثة خطابات على الأقل أرسلت على أيدى على بالتحلى (٣٦) .

وكانت الرسائل الأخرى عبارة عن خطاب باللغة الأمهرية الى البطريرك بيتروس السابع وآخر باللغة العربية الى هيوج سولت (٣٧) . وكانا يحملان نفس الخاتم مثل الخطاب المرسل الى جورج الرابع ، وعلاوة على ذلك فان الخطاب المرسل الى البطريرك بنفس خط الخطاب المرسل الى ملك انجلترا وعليه نفس نوع « الخاتم » المرسوم كذلك . غير أن عليه كلمات « خاتم Dejj Azmach saba GADIS NIGUSE Alem يظهر الكلمتان الأخيرتان « ملك العالم » أيضا في الخاتم الحقيقي والذى يمكن قراءتهما في الخطاب الى سولت (٣٦) .

---

(٣٢) [illegible] ، الحافظة ٢ ، ٨ - ٩ ، محاضر وملاحظات [illegible]

(٣٣) [illegible] (Archiv der Basler Mission, Basel, BV) ٣١ ، جوبات الى [illegible] ، ١٢ ديسمبر [illegible] Reise المجلد الأول ، ص ٣٢٥ ،

(٣٤) [illegible] جمعية التبشير الكنسي ، ٤٦ ، [illegible] BV.31 Basel [illegible] ١٢ ديسمبر ١٨٣٢ ،

(٣٥) [illegible] Reise المجلد الثاني ، ص ٣٠٦ ، [illegible] المجلد الثاني ، الصفحات ٢٢٢ - ٢٢٣ ، [illegible] Journal ص ٤٧ ، [illegible] الحافظة ٢٩١ - ٢٩٢ [illegible]

(٣٦) [illegible] جمعية التبشير الكنسي CM/O [illegible] ١٨٢٩ [illegible]

(٣٧) المتحف البريطاني ، الضميمة ١٩٣٤٣ ، الحافظة 47R ، 48V [illegible] الى سولت ، ٢٢ ابريل ١٨٢٧ ،

(٣٨) [illegible]

ويعد الخطاب المرسل الى البطريرك قطعة فنية من التملق والانتقاد الشديد في نفس الوقت . وبمجرد تقديم سيباجاديس احتراماته لبيتروس كوالد ومعلم « خامس الانجليكيين الأربعة وثالث عشر الحواريين ، والمريد الثالث والسبعين » ، يقرر أنه مفوض في أن يكون صريحا . وأن المشكلة هي أبونى كيريلوس ، فأثيوبيا لم يكن لها أبدا مطرانا مثله فهو شخص اعتاد السكر ورجل يتسم بالقسوة كان يعذب خادمه الى حد أنه قتله ، ومن المفترض أنه قد تم ارساله لكي يرسم القساوسة ، ويكرس الكنائس ، غير أنه بدلا من ذلك يحاول ابتزاز الأموال من هؤلاء الذين قطعوا مسافات طويلة لكي يتلقوا تكريما ويحرمهم ويلعنهم لعدم رضائه عن دخل اسلافه . هل كان من المتعمد اختيار بيتروس لمثل هذا الرجل ليكون مطرانا في اثيوبيا ؟

وهل أرسله لأنه كان يكره اثيوبيا ؟ كانت هذه هي تساؤلات سيباجاديس وكان الرد الذى يبغيه هو مطران جديد يمكنه أن يغفر للناس ويحرم كيريلوس بدلا من ذلك من الكنيسة . وطالب سيباجاديس من البطريرك تحديد الثمن الذى يطلبه لذلك (٣٨) ولعل أن سيباجاديس قد بالغ في ابراز سوء سلوك وجشع هذا الأبون (٣٩) . وعلى أية حال ، فان النقطة المهمة ليست السلوك الفعلي لكيريلوس ، ولكن تصميم سيباجاديس على تشويه سمعته تماما في محاولة يائسة لجلب مطران آخر .

ويبدأ سيباجاديس خطابه الى سولت بالتعازى بمناسبة وفاة زوجته ، ثم يذكر سولت الأيام التي التقيا فيها لأول مرة وصارا فيها أصدقاء وليقى الصلة . ونظرا لهذه الصداقة والمساعدة التي قدمها الى سولت ، طالب سيباجاديس ببعض الهدايا للكنائس ، بل وطلب لنفسه بعض الهدايا وذكر أن كل ما تلقاه كان صورة غير مرضية للعذراء . وهو يذكر سولت بالهدايا التي أحضرها فيما سبق الى ويلدى سيلاسى من أجل كنائسه ، ويطلب منه أن يظهر حسن نيته بارسال شيء من هذه الهدايا مع كوفين وعلى عند عودتهما . وفي مقابل ذلك فانه أى سيباجاديس سوف يرسل اليه ما قد يرغب فيه من اثيوبيا (٤٠) . وكان هذا الى حد ما خطابا خاصا . ولم يطلب من سولت باعتباره ممثلا لبريطانيا

---

(٣٨) نفس المصدر السابق ، الحوافظ رقم 47R - H6V ولم يصل هذا الخطاب الهام الى غايته أبدا غير انه انتهى به الأمر الى أن يكون من بين رسائل سولت الأثيوبية الأخرى في بحوث ابرفين المحفوظة في المتحف البريطاني ، وكان من المعتقد في وقت ما انها كانت موجهة الى ملك انجلترا ، وهى على الأرجح لم تترجم ابدا حتى الآن فيما عدا السطر الأول .

(٣٩) كان كيريلوس بالتأكيد شخصية لا يعوزها الجدل ، وتشير معظم المصادر الى ان العداء الذى قابله كان عداء أوقعه على نفسه غير ان كثيرا من افعاله وتصديره النهائي كذلك يلفها الغموض ، انظر ابير Ethiopia الصفحات ٤١ - ٤٢ والمصادر التى نقلنا عنها ، كرومى Prisa ، ٢٦ ، وفى عهد بعثة كوفين على أن قرابها مباشرة فان كيريلوس فى ايبرى ، Archiv der Basler Mission, Basel, BV ٣١ ، جوبات الى بلومهارت ٢٩ يناير ١٨٢٧) ، ويقول كوبطر انه مات فى مايو ١٨٣١ ، غير انه لا يذكر أين مات . (سجلات جمعية التبشير الكنسي ، CM/46 كوبطر الى كوالز ، ١٠ يوليو ١٨٣١) .

(٤٠) المتحف البريطاني ، الضميمة ١٩٣٤٣ ، الحافظة رقم ٤٢ .

العظمى فى مصر عمل أى شىء لمساعدة كوفين أو على فى مهامهما ، وهكذا فان سياجاديس وجه لكل من هؤلاء الثلاثة خطابات كل على حدة بشأن المشكلة التى كان يريد من كل واحد منهم أن يحلها له .

وكانت أهداف بعثة ١٨٢٧ ، على نحو ما جرى ذكره فى الخطابات الثلاثة ، واضحة محددة للغاية : مطران جديد (من البطريرك) ، صورة للسيدة مريم العذراء وأشياء أخرى ملائمة لتزيين الكنائس سياجاديس الجديدة (من سولت) ، ورصاص للاسقف وعامل ماهر أو عاملين يمكنهما استكمال العمل بالكنائس حسب الأسلوب الانجليزى (من جورج الرابع) .

ولم يكن هناك أى شىء يشير الى الرغبة فى الحصول على ميناء ما أو تزويده بأسلحة نارية . وكان الطلب الوحيد ذو الطابع العسكرى هو طلب ١٠٠ فارس ، وهو الطلب الوحيد الذى تم حشره بصورة غريبة بين طلبات الرصاص ، والعمال المهرة . ومن المشكوك فيه بشكل كبير أن يكون سياجاديس كان على علم بأى شىء عن هذا الطلب الاخير واذا كان أى طلب فى الخطابات صدر من كوفين نفسه ، فانه لا ريب أنه هذا الطلب بالتأكيد . وفى ١٨٢٣ كان قد كتب الى سولت يقول : « لو نهيا لى خمسمائة جندى من مواطنينا لدانت لنا كل الدولة التى كان الراسى يحكمها من قبل (٤١) . ويبدو ان كوفين أو مستشاريه كانوا على علم بأن هذا الطلب يحتاج الى حجج مؤيدة : « ... لدينا خيول كثيرة ولكن ليس لدينا فرسان شجعان وممتازين مثل مواطنكم (كوفين) ... » (٤٢) .

ومن المستحيل معرفة بصورة دقيقة متى قامت بعثة كوفين / على أو كيفية تغيير طبيعتها وكيف تم ذلك . ومع حلول عام ١٨٢٧ كان كوفين قادرا بالكاد على الاعراب عما فى نفسه باللغة الانجليزية (٤٣) . وكانت المذكرة التى قدمها الى وزارة الخارجيةRas superguardias قد صدرت فى مكان ما بمساعدة من واحد من صديقيه القدامى أو بمساعدتهما معا وهما سولت ، وقاليتيا (٤٤) .

غير أن الحقائق كانت دامغة . فالمذكرة كانت مؤرخة فى عدوة بعد حوالى شهرين من مغادرة البعثة لذلك المكان (٤٥) . وفى القاهرة قرر كوفين بناء على احتجاجات على أن يتوجه الى إنجلترا

---

(٤١) هولز Salt ، الصفحات٢٢٢ ــ ٢٢٣ ، كوفين ٢٨ مايو ١٨٢٣ .

(٤٢) انظر ما سبق ص ٥٩ من الاصل .

(٤٣) يعترف سولت انه تحير بسبب لغة كوفين فى ١٩٢٣ وكتب خطابه قبل ارساله الى قاليتيا . أنظر هولز ، Life ، المجلد رقم ٢ الصفحات ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ، وكذلك سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة لندن ٣٤٣/٧٨ ، الحوافظ ٢٨٤ ــ ٢٨٦ ، ايسنبرج عن كوفين فى تقريره الكبير الى كاميل فى ١٨٣٨ .

(٤٤) ليس هناك وجود حتى لسطر واحد يكون قد كتبه كوفين فى ملف وزارة الخارجية بشأن مهمة كوفينتفسه .

(٤٥) الخطاب الذى باللغة العربية الى سولت يحمل تاريخ ٢٢ فبراير والمفكرة تحمل تاريخ ٢٤ ابريل . وانتقل كوفين وعلى من مصوع الى جدة فى شهر مارس على نفس السفينة مثل رويل ، (Reise ، المجلد الاول ص ٣٢٥) .

بدونه (٤٦) . وعندما أفضى سولت وكوفين إلى كوجلر بما فى نفسهما كانت تعليمات سياجاديس لاتزال محددة على أنها : أولا التقدم بطلب من أجل مطران ، ثانيا جلب رصاص من أجل سقف ، ثالثا أخذ خطاب إلى انجلترا . وكان البند الأول فى هذا الخطاب عبارة عن طلب بأن تقوم الحكومة البريطانية « بتحصين منطقة امفيلا الموجودة على الساحل البحرى من منطقته لتكون مكانا للتجارة (٤٧) . كذلك ذكرت عبارة « الحماية على يد البريطانيين » الى جانب عبارة جنود ، ونجارين ، وبنائين الخ » (٤٨) . ومات سولت فى أكتوبر ١٨٢٧ (٤٩) . وفى الاغلب لم يتم الاستغناء عن انفيلا بميناء مصوع المعروف بصورة أفضل الا عند وصول كوفين إلى انجلترا .

وبالرغم من الدعم من ماونتنوريس ، فقد وجد كوفين صعوبات كبيرة فى التأثير على الحكومة البريطانية بأى حال من الاحوال . ولا يبدو أن هناك من أحس بالقلق إزاء مجيئه دون على أو إزاء التباينات بين مذكرته وخطاب سياجاديس ، غير ان القضايا الرئيسية ، وهى الاستيلاء على ميناء ما والفرسان المطلوبين بل والحرفيين كان من المتعين التخلى عنها دون أى جهد ومجادلة . وركز كوفين وماونتوريس جهودهما على تلقى رد رسمى على خطاب سياجاديس بشأن الهدايا لتى تقدم الى الكنائس وبشأن الأسلحة (٥٠) . وظهرت كل انواع سوء الفهم وكان الافتراض السائد فى وزارة الخارجية هو أن كوفين وكان مبعوثا من جمعية التبشير الكنسى يتوق الى الحصول على « كتب مقدسة وصور لكنائسه » بينما كان خطاب الراسى يصف المخزونات العسكرية بأنها الهدايا المقبولة للغاية (٥١) . ولكن ذلك كان مناقضا تماما للحقيقة .

ودحض ماونتنوريس الفكرة القائلة بأن كوفين كان مبشرا . وأكد أن سياجاديس كان بالتأكيد مهتما بصور لكنائسه . لذا فانه يتعين إرسالها على أن تكون مماثلة تماما لتلك التى اصطحبها سولت الى اثيوبيا فى ١٨١٠ . وفى صمت ، أغفلت مسألة من ذا الذى يطلب امدادات عسكرية . وأشار

---

(٤٦) سجلات جمعية التبشير الكنسى CM/046 ، كوجلر الى بيكرتيث ، ١٢ ابريل ١٨٢٨ ، 281/028Ca من جوبات وكوجلر الى كوراتز ، ٢١ مايو ١٨٢٩ ، وتبعا لما يقوله رويل Reiseالمجلد الاول ص ٣٢٧ عهد سياجاديس باعتمادات البعثة وقدرها ٢٠٠٠ تالر الى على وليس الى كوفين . ولا يعرف شىء عما حدث لهذه الاعتمادات ، فقد ترك الاثيوبيان دون وسيلة ما وقد تعرضا للغش والسرقة حسبما يقول أحد التقارير (جوبات) ، Life ، ٨٨ التى تخفى صلة على وكوجلر بكوفين وذلك بعدم ذكر اسم هذا الاخير بعثه الى انجلترا على الاطلاق .

(٤٧) سجلات جمعية التبشير الكنسى CM/046 كوجلر الى برات ، ٨ أكتوبر ١٨٢٧م كوجلر الى بيكرتيث ١٢ أبريل ١٨٢٧ ، وكان رويل (Reise المجلد الأول ص ٣٤٠) . يظن أن سياجاديس تقبل خطة كوفين بمنح البريطانيين خليج أنفيلا ليكون مستعمرة تجارية وعسكرية مقابل « قوة اضافية من ٤٠٠ من المشاة (الا الفرسان) وكما كبيرا من الأسلحة والذخائر » غير ان هذا لا يعنى أن رويل ، الذى لم يقابل سياجاديس على الاطلاق تقبل ما جاء به كوفين نفسه مباشرة أو غير مباشرة على انه معلومات يمكن الاعتماد عليها . Archiv der Basler missian بازل BV ، ٣١ ، جوبات الى شقيقته ١٨٢٧/١٢/١٤ .

(٤٩) هولز Salt المجلد الثانى ص ٢٧٧ .

(٥٠) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ، ٢/١ الحوافظ ١٥ ــ ١٦ ، ٣٨ ــ ٣٩ ، ماونتنوريس الى ابردين ١٨٢٨/١٠/٢٧ و ١٨٢٩/١١/١٩ .

(٥١) نفس المرجع السابق الحافظة ٣٦ ، ابردين الى قاليتيا ، ٢٦ سبتمبر ١٨٢٩ .

ماونتنوريس بدلا من ذلك الى أن الأمر لن يكلف شيئا اذا أرسل الى سيباجاديس « بضع آلاف من قنابل الاشتعال الموجودة فى المخازن والتى لا نفع فيها لنا » حيث أن أثيوبيا تحتاجها بشدة لمجابهة القوة المتنامية لجارتها الجديدة ، مصر محمد على . والى جانب ذلك كان لدى انجلترا من الأسباب مايدعوها الى أن تكون مهتمة تجاريا بأثيوبيا ، وأن تكون حريصة على ألا ترفض إقتراحات سيباجاديس (٥٢) . وبعد أشهر قليلة ، أضاف ماونتنوريس دعوى أن الاحباش سيستخدمون الأسلحة النارية لوقف تجارة المسلمين فى الرقيق بالمنطقة (٥٣) ، وفى يونيو ١٨٣٠ قدمت الحكومة البريطانية منحة قدرها ٢٥٠ جنيها انكليزيا ثمنا لرصاص ، وصور ، ومواد أخرى للكنائس ، كما قررت تحمل مصاريف كوفين فى انجلترا ومصاريف رحلة عودته (٥٤) . غير ان كوفين لم يسافر . وفى العام اللاحق أثار ماونتنوريس مسألة الاسلحة مرة أخرى . واقترح أيضا أن يقوم مجلس ادارة الهند بتعيين كوفين (مندوبا) مقيما له فى الحبشة (٥٥) . وتم اسقاط هذا الطلب فى صمت غير أنه تمت الموافقة آنذاك على ارساله شحنة من الأسلحة من المخازن فى الهند (٥٦) .

وفى يونية ١٨٣٢ ، أعلنت حكومة بومباى أخيرا أنها شحنت ١٨٥٠ قطعة سلاح وكانت معظمها من البنادق القديمة والذخائر ، الى مخا حيث تكون تحت تصرف كوفين (٥٧) . وجاهد ماونتنوريس من أجل الحصول على رد لسيباجاديس من الملك ، غير ان بالمرستون ظن أن هذا « قد يكون غير مناسب فى تلك الحالة الحاضرة » . وكتب هو نفسه ردا به قائمة مفصلة للهدايا المرفقة (٥٨) .

الصور الثلاث للعذراء مع طفل ، طبات معلقة للكنائس ، نصف دستة من السيوف وبندقية ذات ماسورتين وأخرى ذات ماسورة واحدة . وأدرجت بالقائمة أدوات وطواحين شتى ولكن لم يدرج بها رصاص للأسقف . ولم يرد فى أى مكان فى الرسالة لسيباجاديس أى ذكر عن الإسلحة النارية التى يبلغ عددها ١٨٥٠ قطعة . وتشير وثائق أخرى ان المقصود من ذلك كان تقديمها منحة للحاكم الأثيوبى . غير أنه لم يكن هناك شىء يمنع كوفين من تقديمها على انها بضاعته الخاصة به ولربما كان عليه أن يسدد الأموال الذى تلقاها عند مغادرة البعثة لأثيوبيا فى صورة بضائع شريطة أن يكون قد
.

---

(٥٢) نفس المصدر السابق . الحوافظ ٣٨ ـ ٣٩ ، ماونتنوريس ، ١٨٢٩/١١/١٩م أنظر ، آبير ، أثيوبيا ، ص ٩٨ .

(٥٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة لندن ١/٢ الحافظة ٤١ ، ماونتنوريس الى ابردين ، ٢١ ابريل ١٨٣٠ .

(٥٤) نفس المصدر السابق ، الحافظة رقم ٥٤ ، مذكرة ابردين ، وباكهاوس ١٥ يونيو ١٨٣٠ .

(٥٥) نفس المصدر السابق ، الحافظة ٦٢ ، ماونتنوريس الى استيل ، ١٩ مارس ١٨٣١ .

(٥٦) نفس المصدر السابق ، الحوافظ ٨٥ ـ ٨٦ (باكهاوس) الى فيلبير ٢٧ يوليو ١٨٣١ .

(٥٧) نفس المصدر ، الحافظة رقم ١٥١ حكومة بومباى الى مجلس ادارة الهند الشرقية ٥ يونيو ١٨٣٢ .

(٥٨) نفس المصدر ، الحوافظ ٩١ ـ ٩٢ مانتنوريس الى بالمرستون ، ٢٦ سبتمبر ١٨٣١ ، الحوافظ ٩٥ ـ ٩٦ ، باكهاوس الى مانتنوريس ، ١٩ ديسمبر ١٨٣١ ، الحوافظ ١١٢ ـ ١١٤ ، بالمرستون الى سيباجاديس ، ٦ فبراير ١٨٣٢ .

أخذها فعلا من على (٥٩) . ومع هذا فإن هذه الأسلحة كانت لا ريب تمثل ثروة لكوفين . وعند عودته الى اثيوبيا بعد خمس سنوات من مغادرته لها صحبه جراح ، و « استاذ فى الرسوم » والى جانب رسمه فى الكنائس . فان هذا الشخص عمل سكرتيرا لكوفين (٦٠) .

وفى الوقت الذى وصل فيه كوفين الى مصوع قرابة نهاية ١٨٣٢ ، كان سيباجاديس وعلى عمر قد ماتا (٦١) . وكان على قد عاد الى اثيوبيا قبل ثلاث سنوات . ولم يعرف عنه انه جاء بأى رسالة من البطريرك . ومن المرجح أنه لم يحمل أى رسالة على الإطلاق ، وحيث أن كوفين وسولت توليا أمر رسالة سيباجاديس الى البطريرك . فإنها لم تصل أبدا الى المرسل اليه (٦٢) . ونظرا لوفاة سولت ، فان على لم يتمكن من جلب أو رد أى هدايا منه . غير أن المبعوث صحب معه جوبات وجوجلر ، وايشنجر ، الذى اتيح لكوجلر اختياره للعمل معه أثناء زيارته القصيرة لأوروبا . وبالرغم من أن سيباجاديس لم يطلب مبشرين ، فانهم سويا مع على كانوا على ثقة بأنهم سيكونون محل ترحاب بسبب مهارات ايشنجر ، وبسبب معرفة كوجلر الطبية (٦٣) . ولقد ثبت أنهما كانا على صواب فى هذا الإفتراض . فقد كان سيباجاديس سعيدا للغاية على ما يبدو بلقائهم ، اذ سرعان ما كان يناقش مسألة مبانى الكنائس وزخرفتها مع المبشرين ، كما أن ايشنجر الذى صار ذو حظوة خاصة عند سيباجاديس اتجه ليعمل بكنائسه (٦٤) .

وظل على محل حظوة عند سيباجاديس ، وسرعان مابحث أمر ارساله فى بعثة الى مصر لجلب (آبون) مطران ما . وكانت هناك خطط تقضى باعادة كيريلوس الى مصر ، غير أنه مات قبل حدوث ذلك . ويقال ان سيباجاديس طلب من كل أسرة مسيحية فى تيجرى أن تسهم وتتبرع بتالر واحد فى مصاريف جلب مطران جديد (٦٥) .

ولم يكن سيباجاديس الحاكم الأثيوبى الوحيد الذى حاول حل المسألة المتعلقة بزعيم جديد للكنيسة فى الدولة كما ان عليا لم يكن العميل والوكيل الوحيد لسيباجاديس . وعندما وصل على

---

(٥٩) أنظر ما سبق ص ٦٤ (رقم ٤٦) .

(٦٠) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة لندن ١/٢ ، الحوافظ ١٤٣ ـ ١٤٤ باكهاوس الى باركر ، ٧ مايو ١٨٣٢م . والواقع ان ايسنبرج يذكره فى تقريره عام ١٨٣٨ الى كامبيل باعتباره سكرتيرا لكوفين ، غير انه يقرر ايضا انه مات فى عدوه فى ١٨٣٣م ، ولم يسمع أى شىء عن الطبيب .

(٦١) جوبات ، Journal ، الصفحات ٢٨٦ ـ ٢٨٩ ، و٣١٨ ـ ٣١٩ .

(٦٢) وهذا واضح من حقيقة أنها موجودة سويا مع رسائل سولت الأثيوبية الأخرى فى بحوث ابردين المحفوظة فى المتحف البريطانى .

(٦٣) محفوظات جمعية التبشير الكنسية ، CM/046 ، كوجلر الى برات ، ٨ أكتوبر ١٨٢٧م (a) CM/1028 ، جوبات وكوجلر الى كوآتز ٢١ مايو ١٨٢٩ ، BV , Archiv der Barler mission, Basp ، ٣١ ، جوبات الى بلومهاردت ، ٣٠ نوفمبر ١٨٢٩ م .

(٦٤) سجلات جمعية التبشير الكنسية ، (a) CM/028 جوبات وكوجلر الى كوآتز ١٩ فبراير ١٨٣٠م CM/046 جورنال كوجلر ٢٥ فبراير ـ ٢٤ ابريل ١٨٣٠م .

(٦٥) سجلات جمعية التبشير الكنسية ، CM/046 كوجلر الى كوآتز ، ١٠ يوليو ، و٦ أغسطس ١٨٣٠م .

وكوفين إلى مصر فى ١٨٢٧ كانت هناك بالفعل بعثة يقودها راهب من ديمبيا اسمه « ويلد جيورجيس » (٦٦) . الذى كان مبعوثا من جانب مجموعة من أقوى رؤساء القبائل فى وسط أثيوبيا وهم راسى جمام رئيس بيجمدير ، وراسى هايلى ماريام رئيس سيمين ، وديجاز ماتش مارو رئيس ديمبيا .

وكان ويلدى جيورجيس يأمل أن يتمكن من تجنيد مطران امريكى ، إذ يقال أن كيريلوس كان قد فقد كل ثقة القبط . وأفهم جوبات بأن سياجاديس هو عدو رؤساء القبائل الثلاث بوسط أثيوبيا وانه يحمى كيريلوس . وأخفق ويلدى جيورجيس فى إيجاد مرشح ارمينى مناسب . وعلم أيضا أن هايلى ماريام قد مات (٦٧) . وفى ضوء ذلك قرر العودة إلى أثيوبيا ، بيد أنه بدلا من التوجه مباشرة إلى جوندر ، توجه الى تيجرى ، ولربما كان ذلك لانه توصل الى الحقيقة بشأن العلاقات بين سياجاديس وكيريلوس (٦٨) . وفى الوقت الذى وصل فيه على والمبشرون الى أثيوبيا ، كان ويلدى جيورجيس فى مهمة جديدة الى البطريرك مع أحد كبار رجال الكنيسة فى تيجرى ويسمى جابرى ماريام (٦٩) . وأثناء غياب هذه البعثة مات كيريلوس ، وقرر سياجاديس ارسال على فى بعثة جديدة الى البطريرك .

غير ان عام ١٨٣٠ كان عاما يتسم بالإضطراب بصفة خاصة فى أثيوبيا . فقد تشكل تحالف بين من قام بخلافة هايلى ماريام ، وهو ديجازماتش وبى ، وسياجاديس ضد ماريبى Mariyye الذى جاء لتولى منصب راسى بيجمدير بعد وفاة بيمام فى يناير ١٨٢٨ . غير ان رؤساء الشمال اخفقوا فى تنسيق اعمالهم بصورة مناسبة . وعندما بدأ سياجاديس ، بعد حملة فى ١٨٢٩ ، التفاوض بشأن اتفاق مع ماريبى وظل غير نشط الى حد ما فى تيجرى فان حليفه وبى هزم فى معركة فى يونية ١٨٣٠ (٧٠) . وعدل وبى من تحالفه لسخطه بسبب أن سياجاديس لم يهب شخصيا لمساعدته (٧١) . وعبر مع ماريبى ، تيكيزى وهزم سياجاديس عند دير دبى يوم ١٤ فبراير ١٨٣١ .

---

(٦٦) وهو « جيورجيوس) الذى ورد بالتقارير التبشيرية ـ أنظر Basel,BV.31 ، جوبات الى بلومهاردت ٢٢ اغسطس ١٨٢٧ ، محفوظات الجمعية التبشيرية الكنسية CM/046 ، ويلدى جيورجيوس الى جمعية التبشير الكنسية أول أكتوبر ١٨٣٠ .

(٦٧) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/028 (a) جوبات الى بيكرستيث ٢٦ يناير ١٨٢٧م ، Basel, BV.31 جوبات الى بلومهاردت ، ٢٩ يناير ١٨٢٧م ، انظر ايضا كرومى Priests ص ٢٦ .

(٦٨) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/028 (a) جوبات الى بيكرستيث ٢١ فبراير ١٨٢٨ ، عاش ويلدى جيورجيوس وعلى مع مبشرى جمعية التبشير الكنسية فى مصر وعلموهم اللغة الأمهرية والتيجرانية ويتحدث المبشرون عنها بود كبير ، وظل على بصفة خاصة صديقا مواليا جدا .

(٦٩) Based, BV.31 من جوبات الى شقيقه أول يناير ١٨٣٠م ، BV.39، كوجلر الى بوشلين ، ٧ اغسطس ١٨٣٠ .

(٧٠) Basel, BV.31 . جوبات الى شقيقه ، ٢٤ يونية ١٨٣٠ ، جوبات Journal الصفحات ٥٢ ـ ٦٨ ، ٧٩ ، ١٢١ ، و٢٠٥ ، و٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، كونتى روسينى ، كروناكا ، Rendicenti della Reale Accademia elei Jincei ، ٥ ، المجلد الخامس والعشرين ، الصفحات ٩٠٤ ـ ٩٠٨ .

(٧١) BN أثيوبيا ، صفحة ٢٥٩ .

وكانت معركة ذات نتائج بعيدة المدى . فقد سقط ماريبى فى المعركة وتم أسر سياجاديس ، وأعدم فى اليوم التالى . وتسلم وبى رئيس سيمن ، تيجرى من خليفة ماريبى ، وجعل نفسه تدريجيا حاكما لكل منطقة شمال أثيوبيا حتى البحر الأحمر (٧٢) . وتأجلت فى البداية البعثة التى كانت موجهة إلى مصر لاحضار المطران ، ثم الغيت .

وكان على أثيوبيا أن تنتظر ١٠ سنوات من أجل خليفة لكيريلوس . وفيما يتعلق بالجوهر ، من العسير حقيقة ادراك أى فارق بين العلاقات الخارجية لسياجاديس ، وويلدى سيلاسى . فعلى الجانب الأثيوبى كانت المسألة الهامة هى مسألة القيادة والزعامة الكنسية . ومن المستحيل التمييز بين الدور الذى لعبته الاعتبارات الكنسية والسياسية فى المبادرات التى اتخذت فى هذا السبيل . غير أن من الواضح أنه على ما يبدو كانت هناك رغبة قوية فى جوندر وتيجرى للحصول على مطران جديد والقيام ببداية جديدة . وكانت الرغبة الثانية ترتبط بتطلعات سياجاديس الى أن يكون ندا على الأقل لويلدى سيلاسى كمؤسس للكنيسة . وليست هناك شواهد على أن سياجاديس احس بأى احتياج الى مساعدة اوروبية أو رغبة فيها ، فى علاقاته مع حاكم مصوع أو مع النائب . فقد كان مبعوثيه يمرون دون صعوبات ما . وكان يعطى تعليماته للنائب بمن يسمح له بالمرور أو لا يسمح له بذلك ، كما نصحه بعدم فرض رسوم على المبشرين (٧٣) . وكان النائب على ما يبدو قادرا تماما من جانب آخر على حل مصادماته مع الحاكم التركى دون مساعدة خارجية ، مثلما يوضح النزاع حول مرتبات جنوده (٧٤) . واذا كانت أى من الإعتمادات التى حملها على فى ١٨٢٧ مخصصة لشراء أسلحة نارية ، فإن سياجاديس كان يعتمد بشكل كبير على مقدرة على فى المرور عبر مصوع .

أما عن كوفين ، فإنه من جانب آخر أثار نفس القضايا التى آثارها فالينتيا وسولت عقب زيارتهما الى ويلدى سيلاسى : « ميناء مسيحى » فى انفيلا أو مصوع لتسهيل التجارة واقامة علاقات مع أوروبا ، واسلحة نارية لحماية أثيوبيا من الخطر الإسلامى ، وجاءت طلباته هذه اضافة الى التماس للمساعدة من الحكومة البريطانية ضد حصار وخطر اسلاميين لا وجود لها ولم يكن الأثيوبييون قد أحسوا بهما حتى ذلك الحين . والشىء الذى كان يريده حقيقة هو إجراء بريطانى ما يمكنه أن يستفيد منه ويستثيره ، وجنود بريطانيون أو أسلحة بريطانية كان يرى أن عن طريقها بوسعه أن يجعل أثيوبيا مركز قوة . ولم يستطع كوفين أن يتحدث بالنيابة عن سياجاديس . بل لقد كان على هو المبعوث لسياجاديس ، أما كوفين فلم يكن سوى مرافقه بالرحلة . غير ان هذه لم تكن مجرد

---

(٧٢) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/028 (a) ، جوبات الى كوآتز ، ٢٤ فبراير ١٨٣١ جوبات Journal الصفحات ٢٨٥ ـ ٢٨٩ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، رويبل المجلد الثانى ، الصفحات ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، كونتى رروسينى ، Rendicenti Reise Cromaca della Reale Accademia deiLinci المجلد ٢٥ ، الصفحات ٩٠٩ ـ ٩١٠ .

(٧٣) Basel BV.31 من جوبات الى شقيقه ، ١٩٢٧/١٢/١٤ أو ١٨٣٠/١/١م ومن جوبات الى بلومهاردت ، ١٨٢٩/١١/٣٠ ، و١٨٣٠/٢/١٨ ، ومسجلات فى جمعية التبشير الكنسية CM/028 (a) جوبات الى كوآتز ، ١٨٣٠/٢/١٩ .

(٧٤) رويبل Reise ، المجلد الأول ، ص ١٨٩ .

مسالة شكليات . فالهوة بين طموحات وتطلعات الأمير الأثيوبى وبين تطلعات الأوروبى الذى عين نفسه كمتحدث باسمه قد نتج عنها بزوغ « سياسة خارجية أثيوبية » مختلفة .

وبى ، مبشر وجمعية التبشير الكنسية ، ورجال الأعمال الفرنسيين فى عدوة :

واقترب خليفة سيباجاديس ، وهو ديجازماتش وبى كثيرا من نقطة التورط الحقيقى ، وذلك بصفة أولية بسبب الاتصالات المتزايدة والإصرار المتنامى بين الأوروبيين المعنيين على أن يتقبل حكام أثيوبيا خططهم ومشاريعهم وأن يساندونها . وكان من الملامح الجديدة فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر هو تغلغل ممثلى المصالح الأوروبية الى ما وراء تيجرى . وأسفر وجود أوروبيين بالعديد من مراكز السلطة السياسية فى وقت واحد عن نشوء شكوك جديدة ، إذ انها هيأت فرصا لتدخل فعلى فى صراعات السلطة الداخلية .

وسيطر ديجازماتش بحصوله على كل تيجرى إضافة الى سيمين ويلكايت اللتان « ورثهما » عن والده ، على اقليم أكبر مما كان لسيباجاديس فى أى وقت . غير ان الأمر إستغرق عدة سنوات قبل أن يسحق المعارضة ضد حكمه للتيجريين عامة وأبناء سيباجاديس خاصة .

ولا توجد شواهد تفيد بأنه استفاد من مغادرة جوبات فى ديسمبر ١٨٣٢ أو من زيارة روبيل فى ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ لإرسال أى رسائل إلى مصر أو أوروبا .

غير انه بعث فى مايو ١٨٣٥ شخصا أرمنيا يدعى بيت لحم فى مهمة الى مصر . وكان بيت لحم من مواليد تيفليس بجورجيا ومن ثم فقد سافر كثيرا ووصل فى النهاية الى أثيوبيا من يافا . وكان يعرف بعض الإنجليزية والعربية وأعلن أنه مهتم بالشئون الكنسية . وطبقا لما يقوله المبشرون وغيرهم من الأجانب كانت اهداف هذه المهمة أو البعثة هى جلب مطران لأثيوبيا والحصول على تعليمات تقضى بالإفراج عن الأسلحة التى جلبها كوفين وأودعها فى مصوع بحيث يمكن لوبى الحصول عليها (٧٥) . وكانت مهمة بيت لحم غير ناجحة ، إذ يقال ان محمد على رفض استقباله ، وأن القنصل العام البريطانى ، العقيد بى . كامبيل لم تكن له أى صلة باستيراد أسلحة الى أثيوبيا حيث أنها لم تكن لتسفر سوى عن زيادة إراقة الدماء بها ، وان البطريرك لم يكن ليفعل أى شىء بشأن مطران جديد مالم يتلق ٦٠٠٠ تالر نظير ذلك التعيين . ولم تكن مهمة بيت لحم ذات طابع

(٧٥) Basel, BV.77 ايسنبرج الى بلومهاردت فى ٣٠ مايو ١٨٣٥ ، سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035 ايسنبرج الى كراتز ١٣ يونية ١٨٣٥م ، روبيل Reise المجلد الثانى ، ص ٢٩١ ، كومبيز ، وتاميزيير Vayage المجلد الأول ، الصفحات ١٩٦ ـ ١٩٧ ، ٢٥١ ـ ٢٥٢ . وكان كومبيز وتاميزيير قد تعرفا على بيتليميم فور وصولهما الى عدوه فى مايو ١٨٣٥م وكانا موجودين بمعسكر وبى عندما غادر بيت لحم فى مهمته .

رسمى مثلما كان يدعى . ويقال انه ذكر انه فقد رسائل كان يحملها من وبى أثناء سفره (٧٦) . والواقع أنه لا دليل على أنه كانت معه أى من هذه الرسائل على الاطلاق .

ولا يعنى هذا بالطبع ، أن هناك أى سبب يدعو الى الشك فى اهتمام وبى بحل المسألة الكنسية أو فى رغبة فى حيازة أسلحة كوفين . فجلب مطران ما ، كان من شأنه أن يعزز سمعته كبطل جديد للمسيحية . أما عن الأسلحة ، فان مجرد توفرها ووجودها على هذه المسافة القصيرة ، وخطر وقوعها فى يد كاسا (كاساى) سيباجاديس أو أى من منافسيه الآخرين كانا سببين كافيين يدعوان وبى الى محاولة وضع يده عليها ، غير انه كانت لديه وسائل أخرى لتحقيق ذلك غير المبادرات الدبلوماسية ، وهى ممارسة الضغط على كوفين وشركائه أو شن هجوم مباشر على اركيكو (٧٧) . وعلاوة على ذلك فليست هناك أى شواهد على انه أحس بأى حاجة الى هذه الأسلحة ليدافع عن نفسه ضد هجمات مصرية . فقد كانت المصادمات الداخلية هى التى تهيمن على المسرح السياسى : الصراع من أجل السيطرة على تيجرى وحملة فى النهاية قام بها وبى ضد راسى على رئيس بيجمدين (٧٨) .

ومع ذلك ، فلقد كانت الانشطة المصرية على الجبهة الغربية لإثيوبيا تسبب قلقا متزايدا . ففى ١٨٣٠ نقل حاكم سفارSimmarانه سيضطر الى الإغارة على الغضارف ، وكلابات ، وعاطش لزيادة ايراداته . وعبر الساخطون ، والمتهربون من الضرائب إلى أثيوبيا وتعقبتهم القوات المصرية . وكان المصريون مصممين بصورة خاصة على القبض على ميك نمر الشرير الذى قتل اسماعيل بن محمد على فى ١٨٢٢ ووجد ملاذا مع كثير من رجاله فى أراضى الحدود الشمالية الغربية لأثيوبيا حيث جمع الساخطين الآخرين من أجل شن غارات مضادة فى المناطق التى يحتلها المصريون (٧٩) . ولابد وأن وبى قد أحس أيضا بهذا الضغط . وقام نمر بعملياته ضد المصريين من ويلكايت ، وقرابة نهاية ١٨٣٥ كان بعض قوات وبى نفسه مشتبكة ضد القوات المصرية التى كانت تشن غارات انتقامية على ويلكايت (٨٠) .

ولقد شكل التوسع المصرى خطرا بالغا حينما وصل الى منطقة كلابات ذات الاهمية التجارية والواقعة على طول الطريق الى جوندر نفسها والتى تقع فى أقصى الجنوب وبالتالى وقعت مهمة ضد

(٧٦) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035 ايسنبرج الى كراتز ، ١١ يوليو ١٨٣٦ ونظرا لحريات التصرف التى اتخذها كثير من مبعوثى الحكام الأثيوبيين فى تلك الفترة ، لدى احساس بأن الشكوك أكبر مما يسمح بأى استنتاجات .

(٧٧) Basel, BV.77 ايسنبرج الى بلومهاردت ، ١٨٣٦/٩/٢٦ . انظر ايضا كومبيز ، وتاميزيير ، Vayage ، المجلد الأول الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٧٨) كومبيز وتاميزيير Vayage المجلد الأول ، ص ٢٥٢ ، أ . فون . كاتى ، Reisena byssinien شتوتجارت ، وتوبينجين ، ١٨٣٨ ، الصفحات ٧٩ ، ٨٥ .

(٧٩) أنظر ريتشار هيل Egypt in the Sudan 1820 - 1881 (لندن ١٩٥٩م) الصفحات ١٥ ـ ١٧ ، و ٤٠ ، Abirآبير Ethiopia الصفحات ٩٧ ، و ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٨٠) أنظر آبير ، Etthiopia ص ١٠١ .

المصريين على عاتق ديجازماتش كينفو هايلو رئيس ديمبيا . ووصلت الأمور فى قطاعه الى ذروتها فى ١٨٣٦ _ ١٨٣٧ . إذ واجه أحمد غاشم ، الملقب « بكاشف » الخضاريف ، ورشيد واجه مشاكل بشأن ترسيخ سلطته على الحدود . فقد قام كينفو بعد نكسة له فى البداية بتعبئة قوة كبيرة والتقى بأحمد عند وادكالتابو حيث حقق انتصارا ضخما فى أبريل أو مايو ١٨٣٧ . وأثار ذلك الكثير من الذعر . وطلب الحاكم العام للسودان على خورشيد تعزيزات من القاهرة وتلقاها . وتقدمت القوات المصرية حتى متيما على الأقل وهى التى كانت تعتبر آنذاك أرضا تابعة للكنفو ، غير ان تلك العملية لم تتم والغيت فى ذلك الحين [٨١] .

وكان الإفتراض القائم دائما هو أن الانسحاب المصرى فى ١٨٣٨ كان نتيجة للتدخل الدبلوماسى البريطانى و أو الفرنسى بناء على طلب أثيوبيا[٨٣] . ومن المؤكد أن القنصل العام البريطانى قد نقل أنه قدم مذكرات إلى محمد على وتلقى تأكيدات بأن مصر ليس لديها خطط لغزو أثيوبيا [ع٣٢٨] . غير أن أسلوب الرد كان مختلفا تماما عن الرد فى ١٨٣٣ عندما قيل أن محمد على أكد لكاميل « بطريقة واضحة تماما ولا لبس فيها بانه ليست لديه أية نية من أى نوع للتدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى أثيوبيا بالرغم من أنها واردة فى قائمة باشوات الإمبراطورية العثمانية الممنوحة لإبراهيم باشا . وحتى اذا كانت لديه أى من هذه النوايا فإنه قد أعرب علاوة على ذلك ، انه سيتخلى عنها على الفور بناء على إقتراح الحكومة البريطانية [٨٤] . ومن ناحية أخرى فى أكتوبر ١٨٣٧ فان محمد على باتهامه الأثيوبيين بغزو أراضيه ومهاجمتها بطريقة غادرة ، أوضح بشكل غير مباشر بان لديه ما يبرر معاقبتهم . والواقع أنه أعرب عن اعتزامه ذلك قبيل الانسحاب [٨٥] . وعلى أية حال ذكر كاميل أنه بعد شهرين أبلغه نائب الملك بان محمد على يود السلام مع الاثيوبيين وأنه « سيكون قانعا بتعويض واعتذار طفيفين للغاية من جانبهم [٨٦] .

---

(٨١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ٣٢٠/٧٨ ، الحوافظ ١٠٥ـ١١٤ ، كاميل الى بالمرستون ، ٢ اكتوبر ١٨٣٧م ، مع المرفقات ، ريتشارد هيل ، (إكسفورد ١٩٧٠) of is lan الصفحات ١٥ ـ ٢١ ، المكتبة القومية باريس On the All 179, Eviof -Abn Rendicanti della dei limcei-5 المجلد الخامس عشر ، ص ٩١٣ ، أنظر ابر Ethiopia الصفحات ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٨٢) اضافة الى المصادر الواردة فى الهامش رقم ٨١ أنظر كذلك ، دابادى Dauze cns الصفحات ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

(٨٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، ٣/١ الحوافظ ٧ ـ ٢ ، كاميل الى بالمرستون ٣/١٠ و ١٨٣٧/١٠/٢٣م مع المرفقات ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، Egypte رقم ٦ ، الحوافظ ١٤٠ـ١٤١ ، من ليسى الى مولى ، ١٨٣٧/١٠/٧ .

(٨٤) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ الحوافظ ٥ ، كاميل الى بالمرستون ١٨٣٣/١٠/٢٠ .

(٨٥) نفس المصدر السابق الحوافظ ١٩ ـ ٢٠ من آرتن الى بوغاس ، ١٨٣٧/١٠/٢م ، وربما ان المعلومات غير الصحيحة التى نقلها ديليبس (مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، Egypte ، الحوافظ ١٤٠ ـ ١٤١ الى مولى ١٨٣٧/١٠/٧ وهى ان الشيخ كينفو رئيس القبائل المسلمة يعادى قبائل أثيوبيا المسيحية ، كانت معلومات تهدف الى تضليل الأوروبيين فى القاهرة .

(٨٦) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحوافظ ٢٣ ـ ٢٤ ، كاميل الى بالمرستون ١٨٣٧/١٢/١٤ .

وسعى كاميل للحصول على هذا التنازل بالكتابة الى كوفين ومطالبته باستخدام صفته الرسمية فى أثيوبيا ، للحصول على هذا التنازل من الأثيوبيين بالتهديد بأن « أى افراط فى السلوك أو أى تصرفات لا تسودها الاعتدال من جانبهم سوف ينظر اليها من جانب صاحبة الجلالة بانها اجراء غير ودى وبالتالى فقد تحرم أثيوبيا من الدعم القوى والفعال الذى منحته حكومتنا لها بكل قوة ودون غرض » . وصدرت الى كوفين التعليمات بأن عليه أن يبلغ كاميل « دون أى مضيعة للوقت » بالخطوات التى اتخذت ونتائجها [٨٧] . ويبدو ان هذا كان بمثابة ممارسة ضغوط على الأثيوبيين أكثر منه ممارسة ضغط على المصريين . ولم يرد أى ذكر لأى رد على هذا الخطاب .

ولربما كان صحيحا أيضا أن المذكرات البريطانية قد لعبت دورا ما فى تجنب وقوع هجوم مصرى . ومن المحتمل أيضا أن محمد على قد أثرت فيه تهديدات كينفو بأنه سوف يزج بحوالى ٦٠ر٠٠٠ رجل فى ساحة القتال اذا لزم الأمر ، أو أنه من المحتمل أيضا أن تكون لدى محمد على آنذاك رغبة فى السلام ليمكنه الحصول على المزيد من التجارة الاثيوبية عن طريق السودان ، وبالتالى وافق على مقترحات السلام التى قدمها الأثيوبيون أنفسهم ، وفى يناير ١٨٣٩ نقل القنصل البلجيكى العام فى مصر ادوارد بلونديل الذى كان يؤكد عزم محمد على يوما ما أن يضم الحبشة لتصبح تحت سيطرته ، نقل أن نائب الملك أرسل مبعوثا اليها يحمل « كلمات السلام والتحالف » [٨٨] . والذى تظهره تلك الرسالة بوضوح هى أن كاميل لم يتصرف فى ١٨٣٧ على أساس مناشدات أثيوبيا طلبا لمساعدة بريطانية .

وعلى أية حال فيبدو أن حكام اثيوبيا فى ١٨٣٨ أصبحوا أكثر ادراكا للخطر ، وبدأوا فى التفكير فى ايجاد حلفاء لهم ويعتبر هذا أمر غريب إلى حد ما خاصة فى أعقاب الانتصار الذى تحقق فى كينفو ، مالم تكن بالطبع مخاوف القنصل البريطانى العام بأن تصعد مصر أنشطتها قد نقلت بطريقة ما الى أذهان الحكام الأثيوبيين .

وقد تم ذكر مبادرتين لكسب التأييد الأوروبى ضد مصر ابتداء من ١٨٣٨ وهما : مناقشات ويبى مع مبشرى جمعية التبشير الكنسية فى يناير ، والنداءات من جوندر فى شهر مايو والتى نقلها انطوان دابادى إلى أوروبا .

وفى منتصف شهر فبراير ذكر سى بلومهاردت بأنه تم ابلاغ المبشرين فى ١١ يناير بأن ويبى قد قرر أن يبعث بعثة دبلوماسية الى ملك انجلترا تطلب منه حماية الحبشة ضد هجمات من مصر . وبعد أيام قليلة أبلغهم ويبى أن أحدهم سيصاحب بعثة التمثيل الدبلوماسية غير انهم ـ حسبما يفيد بلومهاردت ـ قرروا عدم التدخل والتورط فى الشئون السياسية ، وقاموا بابلاغ ويبى بانهم لا يستطيعون الإنصياع لطلبه ، وهكذا تم صرف النظر عن ذلك المشروع [٨٩] . وفى ٩ مارس أى بعد

---

(٨٧) نفس المصدر السابق الحوافظ رقم ٢٥ ـ ٢٦ ، كاميل الى كوفين ١٨٣٧/١٢/٨ ، (نسخة مصورة) ويلاحظ مدى اختراع كاميل بيسر « لصفة رسمية » لكوفين عند اللازم . وقد دون بالمرستون على خطاب كاميل يوم ١٨٣٧/١٢/١٤ من هذا المسئول ، وتحت رئاسة من يعمل هذا المسئول ؟

(٨٨) محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل .

(٨٩) Based BV.144 بلومهاردت ، فبراير ١٨٣٨م .

أقل من ثلاثة أسابيع من كتابة بلومهاردت لهذا الخطاب صدرت الأوامر الى المبشرين وأصدقائهم الالمان ، وأحد الضباط ويدعى ليكماير . . بمغادرة البلاد[٩٠] . ولم يرد على الاطلاق ان لهذا الرفض الفعلى للتعاون فى مسألة البعثة الدبلوماسية كان له أى دور فى عملية الطرد . والواقع ان ايسنبرج يحكى قصة مختلفة فى تقريره الرسمى الطويل الى كامبيل عن الظروف والملابسات المحيطة بالطرد وهى مختلفة تماما عن مسألة التعاون هذه ، اذ يقول ايسنبرج ان كاهنا يدعى ويلدى ميكائيل ، كان يعلن دائما الصداقة مع « البيض » وكان محل احترام كبير من أوبيه ، اتصل به يوم ١٣ يناير بشأن رغبة وبى فى « عقد صداقة مع الحكومة البريطانية ، لتمنع هذه الحكومة المصريين من دخول الحبشة » ووعد ايسنبرج عقب التشاور مع أصدقائه بالمساعدة فى هذا الشأن . وبعد يومين جرى استدعاؤهم الى مجلس وبى على كتابة خطاب طبقا لهذه السياسات ليرسل مع رسالة وبى نفسها . وفى أعقاب ذلك استدعاهم وبى مرة أخرى وطلب أن ينضم أحدهم إلى مبعوثيه إلى انجلترا ، وهو « طلب استجاب له السيد / بلومهاردت ! »[٩١] .

ويوضح هذا التناقض أن المبشرين كانت لهم آراء مختلفة بشأن مسار الأمور ، فقد كان بلومهاردت حريصا على تأكيد تفرغهم فقط لمهمتهم الدينية ، وكان ايسنبرج يتطلع الى اظهار أنه قد فعل كل شيء ممكن لاسعاد وبى فى وقت كان كل وجود البعثة يتعرض للخطر . غير أن تقرير ايسنبرج يكشف عن ارتباط أشد من مجرد الرغبة فى خدمة لوبى . ومن الطبيعى أن يحاول الإستفادة من الفرصة لتحسين مركز البعثة تجاه خصومها المحليين الأقوياء والزعيم الكنسى الكبير اليكاكيدان ماريام ، ورئيس الجمارك زينو باشا[٩٢] . والأمر الاكثر أهمية هو أنه لم يكن بوسعه أن يرى فى كيدان ماريام مبعوثا مناسبا ، بالرغم من أن هذه البعثة الدبلوماسية كان من المقرر أن تشمل أيضا ويلدى ميكائيل سالف الذكر والصديق القديم للبعثة اليكاهايتى سيلاسى وفوق ذلك كله فانه أوضح لوبى « إن مطالبة أوبرت ودوفى » بالاضطلاع بنفس الرسالة الى حكومتها فى فرنسا هو أمر غير مناسب ، وقد كشف هذا حسبما يقول ايسنبرج عن « مدى قلة فهم الأمراء الأحباش للسياسات » . وقد رد وبى بأن ذلك أمرا غير ذى بال وأجل الموضوع . وبعد أسابيع قليلة ، عندما عاد وبى من مهمة الى آجامى ، استفسر ايسنبرج عن إرسال البعثة الدبلوماسية غير انه جرى تحذيره من إثارة هذه المسألة مع وبى[٩٣] .

---

(٩٠) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/0/3 بلومهاردت الى بلومهاردت ٢٦ ابريل ١٨٣٨م CM/035 . ايسنبرج الى كوآتز ، ٢٦ ابريل ١٨٣٨ .

(٩١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحوافظ ٢٥٣ ـ ٢٩١ ايسنبرج الى كامبيل ،دون تاريخ غير انه عقب وصول المبشرين الى مصر . والقسم المقتبس من التقرير هو الحوافظ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٩٢) زينو كان إبن عبد الله باشا ، انظر ما سبق ص ٤١ .

(٩٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحوافظ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ من ايسنبيرج الى كامبيل ، دون تاريخ .

والأرجح أن ايسنبرج كان على صواب تماما فى قوله إن وبى لم يفهم السياسات ، اذا كان هذا يعنى ادراك ان المواجهة بين بريطانيا وفرنسا ، والمواجهة بين البروتستانتية والكاثوليكية هى الاطار الوحيد الذى يمكنه فى حدوده ارسال خطاب الى زميل أوروبى . ولربما أن وبى قد أحس بحيرة أكثر منها اساءة نتيجة لانتقادات ايسنبرج . ما هو الضرر الذى يقع نتيجة مطالبة كل من فرنسا وانجلترا بالتدخل لدى محمد على . وهل طلب من فرنسا أن تفعل ذلك ؟

كان ارتباط وبى بأفراد أجانب ، وليس مع حكومات أوروبية أو مجالس ادارات بعثات . وكان ما شاهده هو أعداد متزايدة من المهاجرين الأوروبيين ، وأناس ذوى أهداف غامضة وسلوك غير طبيعى أحيانا ، كل هذا من وجهة وبى على الأقل . وكان معظم هؤلاء قد جاء من مصر ودخل طريق مصوع برسائل بتوصية من محمد على[٩٤] . وأسفر هذا بالطبع عن النظر بالارتياب فى أن يكونوا جواسيس مصريين بالرغم من تحذير الكثيرين فى نفس الوقت من تنامى النفوذ الاسلامى . وفى اثيوبيا لم يكونوا يعبأون على الأطلاق بتصاريح السفر أو المصاحبين ، وقد تجاوزوا نقاط الجمارك كلما أمكنهم ذلك ورفضوا فتح أمتعتهم أو دفع الرسوم ، وتعرضوا للمتاعب مع الحكام الفرعيين التابعين لوبى . واذا جاز لنا أن نصدق تقاريرهم ، فان بعضهم استخدم نفس نوع اللغة متجولا حافى القدمين فى المرتفعات الاثيوبية تماما مثلما فعل ڤالينتيا مع النائب من سفينته فى البحر الأحمر ، وقد أعلن كومبيز وتامبيز وهما عندما وقعا فى ورطة بسبب أن مترجمهما أصاب شخصا عن غير قصد بالرصاص « إننا باعتبارنا من البيض ، لا نعترف بسلطة اى أحد » . وبلا شك لم يكونا من هؤلاء الذين يبالغون فى التظاهر بالشجاعة ، غير ان من الأهمية بمكان الاشارة الى أنهم نصحوا الأوروبيين الأخرين الا يظهروا كمتحمسين فقط بل وأن يكونوا أيضا أفظاظا غلاظا فى تعاملاتهم مع الأثيوبيين لأنهم حتى كبارهم كانوا دائما أكثر ميلا نحونا عندما نسيء معاملتهم عما لو بدأ أننا ننصاع لرغباتهم[٩٦] . وقد لجأ البارون ڤون كاتى الى حيلة ماكرة ، فعندما طلب منه دفع ١٠٠ تالر الى ديجازماتش هايلو تويلدى ميدهين ، رئيس هاماسين قال : هل تعرف . . . إننى انجليزى ، وهناك فى مصوع سفينة انجليزية ، ويعرفون اننى قد سافرت ، واذا لم تكن هناك أى أنباء عنى فى غضون أيام قليلة ، فسيخرج الجنود بحثا عنى ، واذا عرف كيف جرت معاملتى ، فان كل شيء سوف يدمر ويقتاد السكان ليكونوا عبيدا[٩٧] .

ولم تكن الأمور تسير دائما على ما يرام مع الأوروبيين . اذ انخدع هايلوا قبل حوالى شهرين واستقبل الدكتور چى . وولف من جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود على أنه المطران الجديد وقدم اليه هدايا بهذه الصفة . والآن فقد تعرض البارون الألمانى للسرقة ولم يتلق ولم يستعد سوى

---

(٩٤) كومبيز وتامبيز ، Vayage المجلد الاول ، الصفحات ٨٧ ـ ٨٩ ، كات Reise ص ٣ ، مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس 13A fique الحوافظ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ اوبرت الى ديليسبس ، أكتوبر ١٨٣٩ م .

(٩٥)

(٩٦) كومبير تاميبير Vayage ، المجلد الأول ص ١٨٢ ، المجلد الثانى الصفحات ٧١ ـ ٧٢ ، و٣٤١ .

(٩٧) كاتى ، Reise ، ص ٣٤ .

جزء من ممتلكاته . وقد شكى أمره الى ويبى ، غير أنه قرر أن يتخلى عن ذلك ، بالرغم من تدخل ويبى لتسوية الأمر[٩٨] .

وكان كومبيز وتاميز وكذلك البارون فون كاتى أنفسهم رواد جماعة المغامرين ، المضاربين والرجال « ذوى النظرات الثاقبة الجريئة » الذين رأوا أنهم يتحولون الى اثيوبيا لتوحيدها مع بقية العالم[٩٩] . وكان أول اثنين لهما خلفية تجارية واضحة هما أوبير ودوفى ، وكيلى الشركة الفرنسية المسماة Etienne Rolland et cie بالاسكندرية[١٠٠] . وقد حصلا على بعض المساندة الرسمية والمساعدات المالية من القنصل الفرنسى العام ، فرديناند ديليبس ، وذلك بالتعهد بدفع دية الدم عن اثيوبى يقال انه قتل فى هالاى قبل فترة غير طويلة على يد فرنسى يدعى ادريان ديبرون[١٠١] . وحسب رواية أوبير نفسه ، فانه هو ودوفى وصلا الى مصوع فى يونية ١٨٣٧ غير أنهما سرعان ما اكتشفا أنه لم يحدث أن قتل أو أصيب أحد من الأثيوبيين . وقد نقل على أية حال انهم أنفسهم تعرضوا للنهب وسوء المعاملة من جانب كاسا سيباجاديس ، رئيس آجامى قبيل الوصول الى المناطق الداخلية حيث أبرموا فى النهاية بعض الاتفاقيات التجارية فى عدوه فى يناير ١٨٣٨ . ثم تقدم دوفى الى ديبرى تابور وأنكوبر بينما سافر أوبير الى مصر وفرنسا[١٠٢] . وهناك من الأسباب ما يدعو الى الظن بأن أوبير لم يكن أمينا وصادقا امامها فيما يتعلق بكل من نتائج التحقيق وفيما يتعلق بدوفى وتجربته هو نفسه مع كاسا . وعلى أية حال ، يبدو أن الاثنين قد دفعا ١٠٠ تالر تعويضا الى الاقارب من هالاى و ٣٠٠ تالر الى كاسا ليصدر شهادة بأنه لم يحدث قتل لأحد[١٠٣] . ولهذا الغرض ، وتغطية لمصروفاتهما هما فقد اعتمدا على حاكم مصوع ، وربما كان ذلك دون

(٩٨) نفس المصدر السابق ، الصفحات ٢٩ ـ ٣٠ ، و٣٥ ـ ٣٦ ، و٨١ ، و٨٦ ـ ٨٧ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحافظة رقم ٢٥٩ ايسنبرج الى كاميل بدون تاريخ وفيما يتعلق بالاعتقاد بأن الدكتور وولف مطرانا ، انظر سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035 ، ايسنبرج الى كوآتز ، ١١ يوليو ١٨٣٦م .

(٩٩) كاتى ، Reise ص ١٣٥ ، كومبز وتاميز Vayage المجلد الاول ص ٢٣ .

(١٠٠) ال . آر . أوبير « اتصالات تمت بجمعية الجغرافيا . . » نشرة جمعية الجغرافيا ، ٢ ، المجلد الثالث عشر (١٨٤٠) الصفحات ٢٨٠ ـ ٢٩٠ محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل .

(١٠١) مراسلات تجارية ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس Alexandria ٢٧ ، الحافظة ٨١ ـ ٩٣ . ديليبس الى مولى ، ٤ ابريل ١٨٣٧ ، مع المرفقات ، الحوافظ ٩٥ ـ ٩٦ ، ديليبس الى أوبير ودوفى ، ٢ ابريل ١٨٣٧ .

(١٠٢) أوبير « اتصالات » نشرة الجمعية الجغرافية ، ٢ ، ١٣ الصفحات ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ، انظر ايضا ماليكو Vayageurs المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار المجلد ٥٨ ، الصفحات ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(١٠٣) مراسلات سياسية ، ومراسلات سياسية للقناصل محفوظات وزارة الخارجية باريس . Egypte ٦ ، الحافظة ١٥٥ ، من كاسا الى ديليبس عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ / ١٨٣٨م) ، المكتبة القومية ، N.A.F (٢١٣٠١ ، الحوافظ ١٤٠ ، سجلات وزارة الخارجية مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحوافظ ٢٦٥ ، ايسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ ديرون وصاحبه هوى (؟) إيلفن بالغى الغموض من بين الرحالة الفرنسيين الى أثيوبيا . ولا يذكر أوبير ولا ماليكو أسماؤهما . ويفيد ايسنبرج انهما من أبناء سان سيمون .

تفويض لهما بذلك . ووجد خليفته ديليبس أن هناك « خلطا فى هذه المسألة كلها الى درجة أننى أرى الانتظار لتعليمات فى هذا الشأن »[١٠٤] .

وكان أهم جانب فى الأنشطة الختامية لأوبير ودوفى فى عدوة هو أنهما تزامنا تماما مع مناقشات ايسنبرج ـ ويبى ، وأسفرا حسبما يرى ايسنبرج عن التقدم بطلب الى الحكومة الفرنسية للحصول على تأييدها ضد محمد على . ولم يكن هذا هو الموقف على الاطلاق . فبالرغم من أن أوبير يستفيد الى أقصى حد ممكن من « معاهدة التجارة » التى أبرمها مع كبار تجار الحبشة الذين تجمعوا كلهم فى معسكر ويبى ، كان من الواضح ان هذه تمثل اتفاقية تجارية خاصة وليست معاهدة صداقة بين دولتين[١٠٥] ومن الواضح أن اثنين من الفرنسيين كانا يريدان بيع أسلحة وذخيرة[١٠٦] وكانا على الأرجح وليس ويبى ، هما اللذان أخذا زمام المبادرة فى هذا الشأن . ومن المحتمل ، بل والمرجح أيضا أنهما طرحا عرضهما فى اطار مختلف على المبشرين ، وعلى كل من ليس له صلة مباشرة بالتعاملات التجارية المقترحة . وهذا يفسر خطأ ايسنبرج ، فربما كان علاوة على ذلك متحيزا ضد أوبير ودوفى لانهما كانا فى نظره غير حصيفين سياسيا ، وغير ملتزمين شخصيا عند زيارتهما لعدوة فى سبتمبر ١٨٣٧[١٠٧] . ولقد كان من الطبيعى ان مجرد احتمال ابرام اتفاق بين ويبى وهذين الرجلين باعتبارهما ممثلين لفرنسا أمر يثير المخاوف والشكوك والرغبة فى التصدى لنفوذهما ، بين المبشرين وأصدقائهما الألمان[١٠٨] . وتحت مثل هذه الظروف ، فلربما أن أحدا من هؤلاء بدأ فى الحديث عن النوايا البريطانية الحسنة وعن التدخل المحتمل ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى اقتراح ويبى . وعلى أية حال ، لا يمكن أن يكون ويبى جادا بشكل كبير بشأن طلب المساعدة من بريطانيا اذ إنه صرف النظر عن الأمر بسرعة شديدة[١٠٩] .

(١٠٤) مراسلات تجارية ، سجلات وزارة الخارجية ، باريس . Alexandrie ٢٨ ، الحوافظ ٢٥ ـ ٢٨ ، من كوشيليه الى مولى ، ٢٢ يوليو ١٨٣٨ .

(١٠٥) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ الحوافظ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، ايسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ ، أوبير ، « Communication » نشرة الجمعية الجغرافية ، ٢ ، ١٣ ، ص ٢٨٥ ، ويفيد كل من ايسنبرج وأوبير ودوفى انفصلا عن عدوه يوم ١٧ يناير (ماليكو ، Vayageurs المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٥٨ ص ١٤٨) ، وهو ما يترك فترة تتراوح ما بين ٤ ـ ٦ أيام فقط منذ أول اشارة الى بعثة الى بريطانيا ، والتخلى عن الفكرة .

(١٠٦) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس .

(١٠٧) سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035 ، ايسنبرج الى كوآتز ١٨٣٧/١٠/٣ ونقل فيما بعد القنصل الفرنسى بمصوع (مراسلات سياسية ، ومراسلات سياسية للقناصل ، سجلات وزارة الخارجية ، باريس ، مصوع ، ١ الحوافظ ٧٥ ـ ٧٦) انهما فشلا فى كسب احترام ويبى بادعاء انهما ابن لويس فيليب (دوفى) ورئيس وزراء فرنسا (أوبير) .

(١٠٨) كان المبشرون كلهم من الألمان غير انهم كانوا هم والالمان الآخرين مرتبطين بإنجلترا . انظر دعوى أ . فون كاتى ص ٧٢ سالفة الذكر . انظر ايضا دابادى Dauze ans ص ٥٥١ .

(١٠٩) (أثيوبيا ، ص ١٠٤) يوصى أوبير بأن ويبى قد أعاد التفكير فى الأمر كله ، وقرر الغاء البعثة الدبلوماسية لان وقوع هجوم مصرى ضد على قد يكون فى صالحه . وفى نظرى . ان هذا التفسير بعيد الاحتمال ، فإذا كان ويبى يتوقع

والواقع أن وبى كان واقعا تحت ضغط شديد ، ولا سيما من جانب أغلبية رجال الدين ، وعلى رأسهم اليكا كيدانى ماريام ، لطرد المبشرين من عدوة . فلقد أخذ عددهم فى التزايد أكثر من اللازم . وعمدوا الى شراء أراضى ، وأظهروا ملامح باعتزامهم للبقاء ، وتحويل الناس الى عقيدة أجنبية[١١٠] .

ولعل أن وبى قد يضحك من اتهام هذين الرجلين بأنهما كانا يشيدان معقلا لملكهما ونفقا سريا يصل الى الساحل لجلب الأسلحة والجنود البريطانيين[١١١] . والواقع أن البعض رفضوا أن تخضع أمتعتهم للفحص ، وكان سخاؤهم بالهدايا أقل من ثروتهم الواضحة المطلوبة وكانوا يحاولون اقامة وترسيخ امتيازات كان زينو باشا رافضا الى أقصى حد منحها لهم[١١٢] . ولهذا كان من المعقول الارتياب فى أنهم كانوا يخططون لادخال أسلحة ما . وعلى العموم فان كيلماير الذى وصل فى مايو ١٨٣٧ كان ضابطا يبحث عن عمل[١١٣] . وفى أوائل نفس السنة ، رتب كوفين والنائب لوصول ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ من البنادق القديمة الى كاسا . وقام البعض من أمثال أوبير ودوفى ببث ونشر اشاعات عن عملاء مصريين ودسائس مصرية . غير إنه يقال أن وبى رد بابلاغهما بأن النائب قد كتب اليه عن اشاعات على الساحل بأن فرنسا ، وبريطانيا وألمانيا تعتزم غزو الحبشة[١١٤] . ولعل المهمة المعلنة لأوبير ، ودوفى كانت سببا فى حد ذاتها لهذه الشائعة

حقيقة هجوما مصريا على جوندر ونجاح هذا الهجوم فلابد وان يدرك ايضا ان أرضه هو ستكون مفتوحة أمام هجوم آخر يماثل الهجوم ضد قلب اراضى على ، انظر سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحافظة ٢٧٧ ، ايسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ ، والى جانب ذلك لايمكن استبعاد احتمال ان عليا ومستشاريه المسلمين حاولوا الاتفاق مع المصريين على حساب وبى .

(١١٠) انظر ، ضمن المراجع الاخرى ، سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/013 بلومهاردت الى كوآتز ، ١٨ مايو ، و ٢٢ يوليو ١٨٣٧ ، بلومهاردت الى بلومهاردت ، ٢٦ ابريل ١٨٣٨ سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035 ايسنبرج الى كوآتز ، ١٨٣٧/١٠/٣ . وكذلك كرومى Priestsص ٤٣ .

(١١١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحافظة ٢٦٢ ، أيسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ ، وجيه الـ كرايف Tranels'researches andnissiamary balours during an Egyhten years'residencein Eastern Africa (لندن ، ١٨٦٠) ص ١٩ ، باركينز ، lifeالمجلد الأول الصفحات ١٥٠ ـ ١٥١ مفهوم الممرات السفلية والانفاق تحت الارض تأكد فى الفلكلور والأدب الأثيوبى .

(١١٢) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحوافظ ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، أيسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ دابادى ، Dauze ansالصفحات ١٧ ، ٥٥١ ، وسجلات جمعية التبشير الكنسية CM/035ايسنبرج الى كوآتز ، ٣ أكتوبر ١٨٣٧ .

(١١٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ الحوافظ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ايسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ .

(١١٤) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، Afrique ، ١٣ الحوافظ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ أوبير الى ديليس أكتوبر ١٨٣٩ . ومن الواضح تماما أن المصريين لابد وانه كان لهم عملاء فى أثيوبيا آنذاك ، ولمرجع آخر عن زينو نفسه على سبيل المثال ، أنظر كونتى روسينى Redicontidella Reale Accadmia dei fimcei ٥ ، ٢٥ الصفحات ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

بالذات[١١٥] ، والواقع أن وبى كان لديه من الأسباب ما يدعوه الى الارتياب بالرغم من أن ما وصل الى مسامعه ليس الا جزءا من وجهات نظر وتصريحات أناس مثل كوميز ، وفون كاتى وتاميتز واضافة لذلك كان أيسنبرج قد أعماه احساسه هو بالتفوق الى درجة أنه لم ير ما كان أمامه واضحا كالشمس ، حتى أثناء مقابلته الأخيرة مع وبى يوم ٢٥ فبراير ، وكان يرى أن وبى كان جادا عندما سأل عما اذا لم يكن المبشرون هم السادة ، وأنهم هم أنفسهم العبيد وعندما أنصت ، موافقا على ما يبدو الى تناول عنصرى لما يسمى نظرية هام ـ جافيت[١١٦] .

وكانت الأزمة الختامية فيما يتعلق ببعثة جمعية التبشير الكنسية ناجمة عن الوصول غير المتوقع يوم أول مارس لاثنين آخرين من الأجانب الى عدوة : وهما ارنولد وابادى وجيوسى سابيتو . وسرعان ما أخذ ايسنبرج على عاتقه التصرف باعتباره حام لهما وذلك بمنع مندوب زينو من تفتيش امتعتهما والتى كانت على أية حال لاتذكر حيث أن انطوان دابادى تخلف فى مصوع مع معظم الأمتعة . وتساءل هايتى سيلاسى والأمير تيلكى جيورجيس اللذان كانا صديقين للمبشرين منذ وصول جوبات أول مرة ، تساءلا عن السبب فى تزايد الأوروبيين فى عدوة وعن سبب حضور الرجل الأبيض الجديد ، ومن الواضح أن تيكلى جيورجيس لم يعد بوسعه حماية المبشرين ، وطلب باسم وبى ، تفسيرا كاملا لذلك . ورد المبشرون بأنهم لا صلة لهم بمقدم أناس جدد وعلى أية حال فإن ايسنبرج إنتهز الفرصة ليضيف انه كان قلقا بشأن ارتياب وبى والسلوك السيىء المتزايد للحبشيين تجاه الأجانب ، واختتم ، باعترافه هو ، تعليقاته بتهديد قائلا « اننى أعبر عن مخاوفى أن يكون لحماقة إعتقادهم وتصديقهم لكل قصة تنتشر عنا بصفة خاصة وعن البريطانيين والفرنسيين بصفة خاصة ، أسوأ العواقب[١١٧] . وقد يبدو هذا تفسيرا كافيا لقرار وبى التصرف ضد الجالية الاوروبية فى عدوة .

وقد يكون من الممكن ان يكون الموقف قد زاد سوءا بوصول خطاب كاميل الى كوفين ، طالبا منه الضغط على الأثيوبيين للإعتذار الى المصريين عن معركة واد كالتابو . وقد أرسل أصل هذا الخطاب عن طريق حاكم مصوع ونسخة منه عن طريق بعض الرحالة الأوروبيين وهم فى الواقع أشقاء دابادى[١١٨] . ولم تتم الاشارة الى وجود كوفين فى عدوة بعد وصولهم . غير أنه لا يمكن استبعاد احتمال استحواذ شخص ما على الأصل أو الصورة ، وتسريب المحتويات الى

---

(١١٥) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣٤٣/٧٨ ، الحافظة ٢٦٥ ، ايسنبرج الى كاميل ، دون تاريخ حيث يجرى ربط مهمة الرجلين الفرنسيين بقناصل فرنسا وبريطانيا ، والنمسا .

(١١٦) نفس المصدر السابق ، الحافظة ٢٧٧ ، أيسنبرج الى كاميل ، بدون تاريخ .

(١١٧) نفس المصدر السابق ، الحافظة ٢٧٨ ، سجلات جمعية التبشير الكنسية CM/013 ، بلومهاردت ، ٢٦ ابريل ١٨٣٨ ، انظر ايضا دابادى ، Dauze ens الصفحات ١٣ ـ ١٦ ، /يوسبى سابيتو Viaggioe missione cattatica Irai mense efli Holde (روما ١٨٥٧) ، الصفحات ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(١١٨) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحوافظ ٢٣ ـ ٢٤ ، كاميل الى بالمرستون ، ١٨٣٧/١٢/١٤ ، أنظر ما سبق ص ٧٠ .

وبى (١١٩) . ولربما ان مجرد مخاطبة كوفين باعتباره « الوكيل البريطانى فى الحبشة » كان سببا فى الإرتياب وعدم الارتياح . وهناك أيضا إحتمال أن يكون كوفين قد التقى مع وبى فى آجامى ونقل اليه رسالة كامبيل .

وأيا كان الأمر ، فإن الأوروبيين الستة فى عدوة ، وثلاثة مبشرين و ٣ ألمان آخرين ، صدرت اليهم جميعا الأوامر بمغادرة البلاد فورا . وغادرها الجميع عدا شيمبر يوم ١٢ مارس ١٨٣٨ (١٢٠) . وكانت المعارضة الكنسية الأورثوذكسية ضد عمل البعثة هو أهم عامل وراء عملية الطرد ، غير أنه كانت هناك أيضا بوادر كراهية أعم للأجانب (١٢١) .

وكان هذا أول إنذار بأن الأوروبيين لن يستقروا فى أثيوبيا الا فى ظل الشروط التى يضعها الأثيوبيون لهم . وكان وبى قد أظهر قبل ذلك أنه لايكن أى ضغينة ضد الاوروبيين . وكما أظهر أيضا أنه لا يريد أن يظل يستمع الى الأوصاف التى لا تنتهى عن عظمة الشعوب الأوروبية (١٢٢) .

وتوضح أحداث الفترة ما بين ١١ يناير و١٢ مارس مدى عدم إهتمام حاكم تيجرى بعقد علاقات وثيقة مع أوروبا ، وذلك فى ضوء ما إذا كانت هذه الإتصالات معوقة وتمثل تهديدا للمصالح الأخرى المباشرة بصورة أكبر ، مثل دعم حكمه فى تيجرى .

مهمة انطوان دابادى :

كان وصول سابيتو وأشقاء دابادى ، فرصة لوبى لكى يعيد التفكير فى ارسال بعثة دبلوماسية مرة أخرى غير أنه لم يفعل ذلك . بل سمح لأرنولد باحضار شقيقه والأمتعة من مصوع والمضى الى جوندر للقيام بالاكتشافات والبحوث التى ذكر الشقيقان أنهما حضرا الى اثيوبيا للاضطلاع بها . ووصل الاخوان الى جوندر يوم ٢٨ مايو ، وسمعا عما يحدث من ابتزازات فى كينفو من الجانب الأثيوبى كما وجدا ان الجميع كان يتحدث عن الثأر الذى كان يعد له محمد على (١٢٣) . ولما كان

(١١٩) نقل روير (مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس) Afrique ١٣ ، الحوافظ ٢٥٢ ــ ٢٥٣ ، الى ديليسس ، اكتوبر ١٨٣٩) أن جميع بريده هو ود وفى آنذاك كانت تجرى مراقبته .

(١٢٠) جمعية التبشير الكنسية CM/013بلومهاردت الى بلومهاردت ، ٢٦ أبريل ١٨٣٨ .

(١٢١) لا أساس فى التقارير الأولى للمبشرين فيما يتعلق بالاتهامات واسعة الانتشار بأن سابيتو وأشقاء دابادى تسببوا فى طرد البروتستانت بالدس ضدهم . وكما شاهدونا فقد كان مجرد وصولهم هو الذى أثار أو أسهم على الأقل وبدرجة كبيرة فى الأزمة الأخيرة . وكان هذا هو كل ما قاله المبشرون من جمعية التبشير الكنسية . غير ان هذا فهم أو فسر فى أوروبا على أنه دسيسة بابوية للقضاء على المنافسة ، ويظهر هذا فيما بعد مثلا فى مؤلف كرايف Tranelsص ١٩ ، انظر أيضا كرومى ، Priestsالصفحات ٤٥ ــ ٤٦ حيث تسمى قصة الدسيسة « إختلاقا » .

(١٢٢) كاتى Reise ص ٨٣ .

(١٢٣) المكتبة القومية بباريس ، ضميمة ٢٧٩ ، حافظة ١٩ ، و ٢٥ ، و٣٢ ، و ٣٣ و٣٨ و٤٣ ، دابادى ، Dauze ans الصفحات ٤١ ــ ٤٤ ، انظر ماليكوت Vayageurs المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٥٨ ، الصفحات ١٥١ ــ ١٥٢ لمعرفة مقدمة وجيزة عن أسرة دابادى .

الضغط المصرى على الحدود الغربية قد اختفى بحلول مايو ١٨٣٨ ، فإن هناك من الأسباب ما يدعو الى الشك فى أن يكون أنطوان وأرنولد قد بالغا فى ابراز هذه المخاوف أو أنهم انفسهم اختلقوها . ففى غضون أسابيع قليلة غادر انطوان جوندر فى مهمة الى باريس ولندن ليحضر على ما يبدو المزيد من المعدات العلمية ولطلب المساندة ضد المصريين (١٢٤) وكان لانطوان . أهدافا طويلة الأمد أيضا . فقد كان مهتما بإقامة بعثة كاثوليكية فى أثيوبيا مثلما فعل القس سابيتو العازرى الذى سرعان ماعمل الى التوصل الى اتفاق مع اليكا كيدان ماريام فى عدوة بل دفع بعض رجال الدين هناك الى الإتصال بالبابا لاعلان خضوعهم له (١٢٥) . بصورة ما . واصطحب معه أيضا الى أوروبا اثنين من الأثيوبيين وأبلغ أحدهما وهو راهب يدعى ويلدى كيروس ، البابا بأن المتعلمين بأثيوبيا يريدون ان يكون البابا صديقهم وأباهم » . وفى نفس الوقت طالب الأثيوبى بالدعم والتعليم لنفسه (١٢٦) . وتوضح وتشير ملاحظات دابادى السابقة عن الشئون التجارية وعن انشطته فى باريس أنه كانت تراوده تطلعات فى أن يعمل فى مجال الأعمال القنصلية أو الدبلوماسية (١٢٧) . غير ان مهمته باسم البلاط فى جوندر هى الأمر الهام باعتبارها تعبيرا محتملا عن السياسة الخارجية الأثيوبية .

وقد تبدو البعثة التى اضطلع بها انطوان دابادى فى عام ١٨٣٨ بمثابة أهم الإتصالات الدبلوماسية فى تلك الفترة . ولقد ذكر جوبات أن هناك أناسا فى جوندر كانت لديهم الرغبة فى تدخل بريطانى من أجل مساعدة أثيوبيا فى مشاكلها (١٢٨) . غير أن بعثة دابادى كانت قضية ملموسة بشكل كبير . ولم يزعم انطوان دابادى أنه حضر كمبعوث من أحد من الحكام الإقليميين فى أثيوبيا

(١٢٤) دابادى ، Dauze ans الصفحات٤٣ ، و٤٥ ز ٥٢٣ ، ٥٥٣ ــ ٥٥٤ ، آبير (أثيوبيا ، ص ١٠٥) قد لاحظ ان طلب المساعدة كان غريبا حيث ان الازمة « كانت قد حلت بحلول شهر مايو » وان انطوان دابادى يحتمل ان يكون هو نفسه قد ألح بفكرة دعوة القوى لدعم أهميته . . » ومع ذلك ، فإنه يقبل ان يكون الامبراطور والنبلاء فى جوندر هم الذين كتبوا الخطابات وبعثوا دابادى .

(١٢٥) مجمع البعثة (دار العذريين بباريس) « رسائل مخطوطة للسنيور ديجاكوبيس » المجلد الثانى ، رقم ٤٢٣ ، سابيتو الى إتيان ، ١٨٣٩/١٢/١٠م ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ، ١٣/١ ، الحوافظ ٢٩ ــ ٣٠ ، انطوان دابادى الى أوكنيل ، دون تاريخ فى ١٨٦٨م ، عندما كتب أنطوان دابادى عن رحلته الى أثيوبيا ومنها فى ١٨٣٨ ، وأكد رغبته فى تأسيس بعثة كاثوليكية وذكر انه أحضر رسائل من سابيتو الى جورجى السادس والعشرين ، غير انه لم يذكر شيئا عن التكليف أو الرسائل من البلاط فى جوندر . انظر انطوان دابادى « الحبشة والملك تيودور The cathobic World ، ٧ (١٨٦٨) ، ص ، ٢٧٥ ، انظر ايضا سابيتو ، Viaygis ، ص ١٠٦ ، كولبو ، Coulbeaux , Histoire المجلد الثانى ، ص ٤٠٣ ، كرومى ، Priests ، ص ٥٩ .

(١٢٦) مراسلات سياسية ، ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، 61 massouah alyssinie الحوافظ ٢٢ ــ ٧٤ « Rapport sur Quelque Voyages en » ٦ مارس ١٨٤٢ (القسم الخاص عن دابادى يبدأ بالحافظة ٥٦) المكتبة القومية ، بباريس ، أثيوبيا ، ضميمة ٢٧٢ ، حافظة 17r ، ويلدى كيروس الى جريموريباس الـ ١٦ ، دون تاريخ ، مسودتان .

(١٢٧) المكتبة القومية ، بباريس ، أثيوبيا ، ضميمة ٢٧٩ ، الحوافظ ١٦ ، و٢١ ، و ٣٩ أنظر أيضا فيما يلى الصفحات ٨١ ــ ٨٢ من الأصل .

(١٢٨) جوبات ، Journal الصفحات ٢٠٨ ، ٢٥٦ .

ولا أن بعثه كان موجهة نحو دولة واحدة فقط من دول أوروبا ، وكانت الخطابات التى يحملها الى فيكتوريا ولويس فيليب قد كتبها الإمبراطور ساهلى دينجيل وراسى على أو قد تكون قد كتبت نيابة عنهما وبالنيابة عن كل المؤسسة السياسية والكنسية بالدولة (١٢٩) .

وبالرغم من أنه كان من الممكن السفر من أثيوبيا الى انجلترا فى غضون شهرين أو ثلاثة أشهر فان دابادى لم يفاتح الحكومة البريطانية حتى مايو ١٨٣٩ ، أو الحكومة الفرنسية حتى شهر يوليو من نفس السنة (١٣٠) .كان آنذاك قد رتب بالفعل العودة مع ثلاثة من المبشرين ، وأحد علماء النبات وساما ، وكان شاغله الشاغل والرئيسى فى لندن هو تحقيق تدخل الحكومة البريطانية لدى محمد على حتى يتمكن من العودة بأمر الى حاكم مصوع يقضى بأن « يمر عبر أرض تابعة للنائب دون دفع أى رسوم أو تقديم أى هدايا » ، « وطلب أيضا اصدار الأمر الى طراد بريطانى بالبحر الأحمر ليصل الى مصوع فى اللحظة المناسبة » لإفزاع النائب . وأخيرا ، طلب ارسال رد على خطاب ملك وأمراء الحبشة (١٣١) .

وقد سلم هذا الخطاب الى بالمرستون يوم ١٨ مايو ١٨٣٩ فى صورة ترجمة انجليزية ، وكانت ترجمة الخطاب بخط يد دابادى ، وتحمل تصديق يقول « تم ترجمته وكتابته فى ١٨ مايو ١٨٣٩ بمعرفة أ توموسن دابادى وتكشف الصياغة القديمة للخطاب ولاسيما الإفتتاحية غير التقليدية عن أصله :

« إن كلمات الأسى والكد هذه تأتى من الملك ساهلا دونجول ، الانتشجاى مهاتزنتا ميكايل سيد وزعيم جبل ليباتوس ، وراسى على ورؤساء قبائله وفاتحو الداد جازماتش أوبى ، وداد جاز ماتش كونفو ، الى الملكة فيكتوريا التى تحكم الإنجليز والهنود ، وجزر المحيط » .

وينهى الخطاب ببيان أن اليكا استيفانوس ، واليكاسيدالو « صاغا ذلك الخطاب » وهو نوع من المعلومات لم يرد على الإطلاق فى المراسلات الأثيوبية الملكية فى القرن التاسع عشر .

ويرد فى النص ذاته أن الخطاب قد تم تحريره نتيجة لوصول أشقاء دابادى الذين أبلغونا بأن نبعث اليكم عن محتنا وأضاف انطوان ملحوظة هامشية الى هذه العبارة موضحا أن « حكام الحبشة كانت لديهم الرغبة فى ارسال جندى واحد الى انجلترا يحمل رسالة شفهية حسب التقاليد فى أثيوبيا ، غير أنه قيل لهم أن من الأفضل ارسال خطاب . ثم يصف الخطاب الهجمات المصرية ـ

---

(١٢٩) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٦٩٠/٩٥ رقم ١٤٠ ، ساهلى دينجل وآخرون الى فيكتوريا ، بدون تاريخ ، ذكريات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس 13 Afrque ، الحوافظ ٧ ـ ٨ ، دابادى الى سولت ، ٨ يوليو ١٨٣٩ .

(١٣٠) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن . ٣/١ ، الحافظة ٣٢ ، أوكتيل الى بالمرستون ٨ يونية ١٨٣٩م ، الحافظة ٤١ ، باكهاوس الى دابادى ١٧ يونية ١٨٣٩ ، ذكريات ووثائق محفوظات وزارة الخارجية ، باريس Afrique ١٣ ، الحافظة ٧ ـ ٨ دابادى الى سولت ، ٨ يوليو ١٨٣٩م .

(١٣١) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحوافظ ٢٩ ـ ٣٠ دابادى الى أوكتيل ، دون تاريخ ، الحافظة ٣٤ ، دابادى الى بالمرستون ٨ يونية ١٨٣٩م .

والكنائس التى أحرقت ، والناس الذين ذبحوا أو اقتيدوا عبيدا ، والوضع الجديد على الحدود ، حيث يحتل الأتراك ، سنار وميتيما اللتان تخصان مليكنا .

ويجرى مطالبة ملكة انجلترا بأن تكتب لتبلغ محمد على بأن يستدعى القوات المصرية .

ويبدو شىء من التأثير الأجنبى على النص نفسه فى عدم قبول ما أعلنه محمد على عن عدم دخول قوات مصرية الى الأراضى الأثيوبية(١٣٢) . ولم يكن بوسع البلاط فى جوندر معرفة شىء عن هذا الإعلان سوى عن طريق أشقاء دابادى .

ومع ذلك ، فإن التركيب اللغوى وحده فى هذا الخطاب يثبت أنه ترجمة لنص أثيوبى ما ومن المؤسف أن دابادى قد أخفق على مايبدو فى تسليم هذا النص بالرغم من أنه كان قد طلب منه كتابة أن يقوم بذلك (١٣٣)فان الجملة الإفتتاحية تبدو مناسبة بشكل أكثر كمقدمة لرسالة شفهية نقلتها مجموعة من الناس . ويتفق هذا فى الواقع مع ما ذكره أرنولد بأن مجلسا إنعقد وقرر فيه الملك ، الإنتشيجى والنبلاء ، تقديم الإلتماس . ولو أن أرنولد يقول بأن الخطاب قد تم تسليمه باعتباره « خطابين باسم الأمة »(١٣٤) .

وكما شاهدنا ، فإن انطوان يشرح للحكومة البريطانية أنه فضل أن يحمل رسالة مكتوبة عن أن يصاحبه مبعوث ، وربما أن استفانوس وسيدالو قد تلقيا تعليمات لتسجيل الرسالة كتابة (١٣٥) والمشكلة فى اعادة صياغة هذه الرسالة هى أن انطوان نفسه ناقض ذلك عندما سجلها يوم ٢٨ يونية فى يومية رحلته الأولى .

فقد أبدى فى ذلك التاريخ ملاحظة أنه سمع أنباء جديدة عن تقدم مصر عن متيما نحو جوندر ، وواصل حديثه قائلا :

« وفى مناقشة طويلة عقدتها هذا المساء مع انشيجى أبلغته أننى كنت وراء كتابة خطاب من أجل تدخل من جانب قبطان سفينة انجليزية وأن هذا فى رأيى لن يؤدى الى شىء على الاطلاق .. وتحدثت عن الأسلوب شبه الرسمى للسيد / باورينج وعملت على حث القس البارز لارسال شخص ذى مرتبة عالية بالاتفاق مع راسى على . وقد رفض ذلك غير انه وافق فى النهاية على كتابة

---

(١٣٢) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ، ٦٩٠/٩٥ رقم ١٤٠ ساهلى دينجيل وآخرون الى فيكتوريا ، بدون تاريخ .

(١٣٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحافظة ٤١ ، بلاكهاوس الى دابادى ، ١٧ يونيو ١٨٣٩ ، ويحمل هذا الطلب نفس تاريخ رد فيكتوريا على ساهلى دينجيل ، وخطابين الى كامبيل كان من المقرر أن يحملهما دابادى ، والراجح أن دابادى تلقى هذه الوثائق دون تسليم الأصل الذى من أثيوبيا . وقد كان من المستحيل على الأقل تحديد مكانه بمكتب السجلات العامة أو المحفوظات الملكية فى وندسور كاسل .

(١٣٤) دابادى ، Dauze ans ، ص ٤٥ .

(١٣٥) كان اليكا استفانوس رجل دين مهم وواحد من أفضل أصدقاء جوبات فى جوندر فى ١٨٣٠م ويقال أنه سأل المبشر عما اذا كان البريطانيون لديهم رغبة فى مساعدة أثيوبيا ولا سيما الملك والأسرة المالكة فى ظروفها الصعبة ، وأنه لقى تعنيفا من الانتشيجى لتحدثه بأجنبى بسهولة على هذا النحو . أنظر جوبات Journal ، الصفحات ١٠٠ ، و١١٤ ـ ١١٥ ، و٢٠٠ ـ ٢٠١ ، و٢٠٨ .

خطابين ، خطاب لملك فرنسا والآخر لملك انجلترا . وردا على استفساري (وبناء على طلبي) قيل لي أبلغني الملك أن مبعوثا من بلاط أو آخر سوف يتم استقباله استقبالا حسنا ، وان قنصلا مقيما سينظر اليه بعدم ارتياح لأنه سيدفع الى تغيير دين الدولة [١٣٦] .

وكان انطوان هو الذي يحاول اقناع الانتشيجي في أحاديثه الخاصة بارسال مبعوث عنه وعن راسي علي . ولكن الأنتشيجي يرفض هذا الاقتراح ، غير أنه يوافق في النهاية على كتابة خطابين كان انطوان يريدهما كبديل لذلك .

وكانت أهمية الحماية الأوروبية ، وقضايا المبعوثين ، والقناصل ، والمبشرين جزءا من مناقشة طويلة . وثمة شك فيما اذا كان الانتشيجي قد أبلغ أى شخص آخر على الاطلاق . اذ يقال أن الخطابات قد كتبها خمسة من كبار شخصيات أثيوبيا أو قد كتبت نيابة عنهم . ولم يكن بين هؤلاء الشخصيات وبي ولا علي (ولا حتى مينين وهي والدته ذات السلطات القوية) في جوندر أثناء اقامة انطوان القصيرة هناك ، ولا حتى في كينفو على الأرجح .

وعلاوة على ذلك ، فان الخطاب لو كان موجودا ، فليس من المحتمل أن يكون الانتشيجي قد شارك في توجيه أى نداء طلبا للمساعدة من الأوروبيين [١٣٧] . ويصل هذا بنا الى ساهلي دينجيل ، الامبراطور الدمية الذي خلع مرتين وعاد الى عرشه ، والذي ربما يكون قد عرف أو لم يعرف [١٣٨] . كما يصل بنا ذلك أيضا الى السؤال عما اذا الانتشيجي النبيل قد وافق على كتابة الخطابات باسم رؤساء القبائل الغائبين شريطة أن يظل ذلك سرا ، أم أنه لم ير على الاطلاق أو يوافق على النصوص الفعلية ، اذ كان من المستحيل تعقب الخطاب الاصلي الذي تم كتابته الى الملكة فيكتوريا أو الى لويس فيليب [١٣٩] . ومع ذلك فان النص الذي كان باللغة الأمهرية ، كان محفوظا في نصين متماثلين تقريبا في احدى مفكرات انطوان حيث تم وضعهما بعد خطاب من ويلدي كيروس الى البابا ، والذي كان من الواضح انه قد صيغ بعد وصول المجموعة الى روما [١٤٠] . ومن المستحيل

---

(١٣٦) المكتبة القومية بباريس ، أثيوبيا ، الضميمة ٢٧٩ ، الحافظة ٤٣٧ 43V(هذا التأكيد من جانبي) .

(١٣٧) دابادى ، Dauza ans الصفحات ٤٤ ــ ٤٥ ، و١٥٩ ، و١٨١ ، و١٩٣ و١٩٦ .

(١٣٨) نفس المصدر ص ٢٢١ ، ويذكر الكاتب الكاثوليكي تيلكي هايمانوت (كونتي روسيني) Rendicnti , 0 « Vicende´ » della Reale Accademia dei fincei, ٢٥ ، ص ٤٤٩ أحد أقارب الإمبراطور ، تيكلي سيلاسي ، بإعتباره الذي إستهل النداء الى الملك الفرنسي ولم يوقع سوى الإمبراطور والاينشيجي ، ودون أى اشارة عن خطاب الى الملكة فيكتوريا .

(١٣٩) من المؤسف انني لم أتمكن من الوصول الى الشكل الذي قدمت به رسالة ساهلي ودينجيل الى الحكومة الفرنسية . ولا توجد نسخة من ترجمة ما له في أى ملف من ملفات وزارة الخارجية . ومن الطبيعي ان يكون الأصل قد قدم الى لويس فيليب شخصيا ، غير ان Conte de Perisابلغني في مارس ١٩٧٢م انه لا أثر له في محفوظات الأسرة كما أبلغني أمناء محفوظات المحفوظات القومية انه لا توجد خطابات باللغة الأمهرية بين الأوراق المحفوظة .

(١٤٠) المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ، الضميمة ، ٢٧٢ ، الحوافظ ١٧ ــ ١٩ ، وهذه ليست المفكرة التي تحتوي على مداخل يوميات لأول رحلة لأنطوان الى أثيوبيا ، ولكنها مفكرة لاحقة . وفي هذه النصوص لا تذكر العبارة الافتتاحية سوى ساهلي دينجيل ، وماشيتو وعلي ككاتبين ، مع ذكر وبي وكينفو باعتبارهما التابعين الرئيسيين لعلي .

تحديد ما اذا كان النصان قد نسخا من الرسائل الأصلية التي دبجها استفانوس وسيدالو ، أو من مسودات وضعها انطوان وصحبه من الاثيوبيين بعد وصولهم الى روما . وعلى أية حال فمن الممكن القول بصورة مؤكدة أن هذه الرسائل جرى اصدارها تحت عين وبصر انطوان . فهجاء أحرف كلمة فيكتوريا مثلا لا يمكن أن يصل اليه اثيوبي يكون قد سمع توا هذا الاسم . وفي كل المراسلات اللاحقة يبدو هذا الاسم في صور مختلفة الهجاء وبالأمهرية [١٤١] .

وبينما يبدو اصبع دابادى واضحا في كل مكان ، فانه ليس هناك بالتأكيد سوى القليل جدا من المبادرة الأثيوبية بل حتى التعاون في النداء من بلاط جوندر الى ملوك أوروبا . ولم يكن لدى انطوان دابادى تكليف من حكام أثيوبيا وهو الشيء الذي ادعاه لنفسه . وقد كان راسي علي ــ وليس ساهلي دينيجل ــ هو رئيس أى حكومة مركزية كانت من كانت لأثيوبيا وكان دابادى يعرف ذلك . والافتراض هو أن يكون وبي قد أضيف لانه كان أفضل المعروفين من الحكام الأثيوبيين ، وكذلك كينفو لأن الدفاع عن الحدود الغربية كان أساسا هو مسئوليته ، وبهذا الأسلوب في العمل ، ترك دابادى انطباعا بأنه كان مبعوثا يمثل كل اثيوبيا في قضية قومية هامة وملحة . وكان هذا انطباع زائف ، فالزعماء الأثيوبيون السياسيون لم تعترضهم المشكلة المصرية كقضية قومية ملحة في عام ١٨٣٨ . ولم يكن لديهم سبب يدعو الى ذلك . وقد نشأت بعثة دابادى من رغبة الأوروبيين في التدخل وليس نتيجة رغبة الأثيوبيين في طلب المساعدة ، وقد نسى دابادى بمجرد تلقيه التكليف أيا كان أى شيء يتعلق بالخطر المصري وركز على كيفية استغلال الخطابات لفائدته الخاصة ، فقد ذكر القنصل بلونديل ، على سبيل المثال أنه علم من دابادى عند مروره بمصر في يناير ١٨٣٩ انه يحمل خطابا من وبي الى ملك فرنسا ، « وعلى مفضض » خطابا الى ملكة انجلترا ، وأنه سيوجه ذلك الخطاب الى ملك بلجيكا بدلا من ذلك اذا استطاع بلونديل أن يؤكد له أنها ستكون محل اعتبار كامل [١٤٢] . وبالطبع ، وربما كان بلونديل غارقا في تفكير واهم ، ففي ضوء جميع الأدلة الأخرى ، يبدو محتملا تماما أن يكون انطوان دابادى قد أحس بأنه حر تماما في الكتابة الى من يود أيا كان ــ باسم الأمة الأثيوبية ، فالبعثة كانت بعثته ، ليتصرف فيها حسبما يشاء .

وكان لدى دابادى من الأسباب ما يدعوه الى الاحساس بالرضا عن نتيجة زيارته للندن ، فقد صدرت في منتصف يونية تعليمات تقضي بأن على أى طراد تابع لشركة الهند الشرقية موجود في البحر الأحمر ان يظهر بالقرب من مياه مصوع في الوقت المناسب ، وصدرت الأوامر الى كاميل في رسائل منفصلة حملها دابادى نفسه ، بالاتصال بمحمد علي بمجرد وصول دابادى ليحصل منه على أمر الى النائب بتقديم كل عون ومساعدة « الى دابادى وصحبه ، واستخدام مساعيه الحميدة في أول لحظة مناسبة » بغية العمل على وقف الأعمال العدائية من جانب الباشا ضد الأحباش [١٤٣] .

---

(١٤١) ومثال الحرف الأمهرى المعين (١) الوحيد في البداية الذي أعرف عنه موجود في النص الأمهرى من المعاهدة الأنجلو ــ أثيوبية لعام ١٨٤١م التي صدرت تحت إشراف كرايف بل وحتى هنا ينتهي الأسم بأحرف أخرى .

(١٤٢) محفوظات وزارة الخارجية ، والتجارة الخارجية ، بروكسل ، ٢/٢٠٤٢ ، بلونديل الى ثيمي ٢٥ يناير ١٨٣٩ ، و٢٦ يناير ١٨٤٠ .

(١٤٣) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحافظة ٣٩ ، كاميل الى باكهاوس ، ١٤

وهكذا فان عرض الأحوال لم يكن ليعوق طلب امتيازات خاصة . والى جانب بعض العبارات غير الملزمة بشأن المتعة التى يتيحها للملكة لتستخدم مساعيها الحميدة ، تركز الرد على الخطاب الأثيوبى على :

« . . المكاسب التى لابد أن تنجم وتعود على جلالتكم ، وعلى مناطق سيطرتكم وعلى رعاياكم ، نتيجة لتوسيع تلك التجارة القائمة بالفعل فيما بينهم ورعايا جلالتكم الأوروبيين والأسيويين ، عن طريق زيارات السفن البريطانية والهندية للسواحل المتاخمة للحبشة . . . » .

ويحدو الملكة كل أمل . . . .

. . . فى أن فخامتكم ستقدمون كل حماية ممكنة وكل تشجيع للرعايا والتجار البريطانيين فى الحبشة ، وأنكم بهذا تقدمون الى جلالتها الدليل بالغ الاقناع والرضا على مدى صداقتكم لبريطانيا العظمى [١٤٤] .

وفى باريس لعب دابادى فى الشهر اللاحق بالمشاعر الوطنية الفرنسية وكان أكثر افصاحاعن طموحاته الخاصة . اذ أبدى أسفه لتنامى وزيادة النفوذ والتجار البريطانيين فى البحر الأحمر واقترح تقديم فرنسا لحمايتها للدول القائمة هناك من أجل منع انجلترا من الاستيلاء على أماكن أخرى بنفس الطريقة التى احتلت بها عدن ، واقترح بصفة خاصة أن تعين فرنسا وكيلا سياسيا بمرتب جيد فى مصوع وأن يتم اعتماده لدى الأمراء الأثيوبيين . وان تكون مهمته هى اقامة دولة صديقة مستقلة فى المناطق الداخلية ومنع القوى الخارجية ، وهى بريطانيا العظمى وروسيا من التوغل فيها ومداهمتها . وفى هذه المرة يستخدم هذا الخطاب من الامبراطور وكبار زعماء أثيوبيا كدعوى لاقناع الحكومة الفرنسية بالرغبة الكبيرة لهؤلاء الناس فى الخروج من العزلة والاستفادة من المساعى الحميدة والمشورة الفرنسية .

وقد لاحظ دابادى فى أحاديثه مع كاسا سياجاديس فى أغسطس ١٨٣٨ ، مدى اهتمام هذا الرئيس بالسياسة الخارجية ، كما أن الشخصين الاثيوبيين اللذين صاحبا دابادى الى أوروبا قدما اليه باعتبارهما من ذوى النفوذ فى بلادهما . وأدى عرض هذه المواصفات و « الحقائق » والمؤهلات التى أبدى دابادى ضرورة أن يتمتع الوكيل بها ، الى الايحاء بأنه أى دابادى قد يكون راغبا فى تقبل هذه الوظيفة ، وهو ما أعرب عنه بالفعل [١٤٥] وسرعان ما اكتشف دابادى أن من الضرورى اضافة

يونية ١٨٣٩م ، الحوافظ ٤٧ ــ ٥٠ ، بالمرستون الى كامبيل ، ١٧ يونية ١٨٣٩ ، « منفصل » ، ونفس التاريخ رقم ١٨ .

(١٤٤) نفس المصدر السابق ، الحوافظ ٤٣ ــ ٤٥ ، بالمرستون الى ساهلى دينجيل ، ١٧ يونية ١٨٣٩م ، ويشير هذا الخطاب الى « ملك الحبشة » الى « الذى وجهته فخامتكم وأمراؤك الى صاحبة الجلالة ، وهو موجه بوضوح الى ساهلى دينجيل ، ولبس الى وبى ، مثلما يقرر ماليكو (Voyageurs) المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ٥٨ ، ص ١٥٤ .

(١٤٥) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، ١٣Afrique ، الحوافظ ٧ ــ ٨ دابادى الى سولت ، ٨ يوليو ١٨٣٩م .

عنصر الربح الى العناصر السياسية ، وخرج بما قيمته (٢٠٠٫٠٠٠) تالر أو أكثر من مليون فرنك من السلع والذهب مع قافلة أكتوبر السنوية الى مصوع فقط [١٤٦] . واقترح دابادى عند سؤاله عن الأمراء الذين يتعين ارسال هدايا اليهم ، جميع الزعماء السياسيين ذوى الأهمية وبالنسبة للهدايا اقترح أيضا مدفعين لكاسا سياجاديس ، ذكر انه سبق أن وعده بها . وكان هذا يهدف بوضوح الى موازنة بنادق كوفين القديمة التى سلم قسط منها فى اغسطس ١٨٣٨ بحضور دابادى نفسه [١٤٧] .

احتفاء كومبيز وليفيفير بوبيى :

وفى نهاية المطاف خسر دابادى ما كان يسعى اليه ليكون وكيلا سياسيا فرنسيا أمام أدموند كومبيز ، وهكذا تم ارساله يحمل فقط ردا لى ساهلى ونيجيل [١٤٨] . وكان كومبيز قد أقام علاقات مع دوائر الاعمال الفرنسية الهامة ودوائر الملاحة البحرية وادعى انه قد رسخ نفوذه بالفعل فى اثيوبيا . وتحدث عن البعث الوشيك للحبشة وعن المساعدات التى طلبها حكامها مرارا فى هذه العملية من الحكومات الأوروبية وقد كانت الجزائر بمثابة مثال يثبت أن فرنسا هى الدولة المناسبة للوفاء باحتياجات أثيوبيا . اذ كان من شأن التجارة أن تفتح الباب أمام التمدن كما تنشأ على الفور مستعمرة جيدة نتيجة فتح سلمى [١٤٩] . وتشكلت شركة فرنسية وملكية أثيوبية بغية شراء واحتلال « زبيلا أو ميناء آخر وتأسيس مركز تجارى هناك ، بلغت الشركة ٦٠٠٠ بندقية وأنواع أخرى شتى من الأسلحة الصغيرة كسلعة رئيسية لشحنتها الأولى ، ووافقت فى مقابل ذلك التنازل عن قطعة الأرض التى تمتلكها الى الحكومة الفرنسية مقابل الثمن المدفوع . وكان الغرض هو مصاحبة قوة عسكرية لحماية الممتلكات الجديدة ومستعمرة العمال المتوقع سفرهم على أول سفينة ، غير أن الحكومة الفرنسية رفضت الالتزام الى هذا الحد . وعلى أية حال فلقد تم اعلان الشركة تقع تحت مظلة الحماية الفرنسية الرسمية [١٥٠] . وجرى تزويد كومبيز برسائل وهدايا من الحكومة الفرنسية

---

(١٤٦) نفس المصدر ، الحوافظ رقم ٩ ــ ١٠ دابادى الى ديسوجير ، ١٤ يوليو ١٨٣٩ وحتى فى أحسن السنين كان يعتبر مبالغة . أنظر بانكهرست ، Ecohmic Hstory الصفحات ٣٦١ ــ ٣٦٣ .

(١٤٧) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس Afrique ، ١٣ ، الحوافظ ١١ ــ ١٢ ، دابادى الى ديماج ، ١٦ يوليو ١٨٣٩ ، الحوافظ ٧ ــ ٨ ، دابادى الى سولت ، ٨ يوليو ١٨٣٩ م .

(١٤٨) نفس المصدر ، الحافظة ١٣ ، سولت الى كروشيليه ، ١٧ أغسطس ١٨٣٩ ، الحوافظ ٧٠ ــ ٧٣ ، مفكرة ، ٦ أغسطس ١٨٤٠ ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، مصوع ١ ، الحوافظ ٢٢ ــ ٧٤ ، Repports ، ١٦ مارس ١٨٤٢م ، وتضم الحافظة ٥٩ نص خطاب لويس المؤرخ ١٨ اغسطس ١٨٣٩ ، وقد تمت مخاطبة كل من ساهلى دينجيلى وعلى هنا باسم « ملك الملوك » .

(١٤٩) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، ٦١ Afrique ، الحافظة ١٠ ، كومبيز الى ديموجير ، اغسطس ١٨٣٩م ، الحوافظ ١١ ــ ١٤ ، كومبيز الى مولى ، دون تاريخ ، ١٣ Afrique ، الحافظة ١٥٠ ، كومبير الى سولت ، ٩ يوليو ١٨٣٩م ، أنظر بانكهيرست ، « سان سيمونيان » ، وقائع ، الصفحات ١٩٢ ــ ٢١٨ ، وماليكو « المسافرون » ، المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٥٨ ، الصفحات ١٦٥ ــ ١٧٣ لمعرفة تقارير مفصلة عن مؤسسة كومبيز فى ١٨٣٩ ــ ١٨٤١م .

(١٥٠) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، ١٣ Afrique ، الحوافظ ١٥٦ ــ ١٥٨ بابا وبالجير الى سولت ، ٢٥ أكتوبر ١٨٣٩ ، ومذكرة عن كيفية الرد على هذا الخطاب ، الحافظة ١٦٢ ، كومبيز الى سولت ، ٩

الى كل من كاساى ، وويبى ، وعلى ، وساهلى سيلاسى ، ولابد وانه كان من الواضح لكل من يهمهم الأمر أنه كان من المقرر أن يعمل كوكيل للحكومة الفرنسية وأن ينظر اليه على هذا الأساس . وفى القاهرة ادعى فى شهر ديسمبر أنه قد تم عرض منصب القنصل بمصوع عليه ، وأنه تلقى تعليمات بشراء « زيلا » أو « انفيلا » . وطلب أن تزوده الحكومة المصرية بنقل مجانى وأن تقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعفائه من جميع الرسوم[١٥١] . ومع ذلك فإنه يبدو بأنه ترك دون أى تعليمات واضحة وعندما بدأ فى خلط الأمور برمتها تنكرت له وزارة الخارجية[٢٤٢] .

وبعد محاولات فاترة لمعرفة ما إذا كان من الممكن الحصول على زيلا أوتاجورا أم لا بدأ كومبيز يلتفت الى مهمته الثانية . ففى منتصف ابريل ١٨٤٠ كان بمصوع فى طريقه الى ويبى لتوقيع معاهدة تجارية معه . وأعلن بثقة أن من الممكن تحقيق هذا بسرعة ، وأن هذه المعاهدة يمكنها بفضل مركزه أن تصبح سارية المفعول على الفور[٢٥٢] . وقد تبدد هذا التفاؤل الذى لم يكن قائما على أى أساس عند وصوله الى معسكر ويبى فى ماى تالو فى سيمين . فقد سلم كومبيز الخطاب الذى حمله معه فى الحكومة الفرنسية وسلم صورة زيتية للويس فيليب ، بعد أن كان قد ترك جميع الهدايا الأخرى فى مصوع . وكان هذا أقصى ما استطاع احرازه من تقدم فى عمله . وقد تم الطعن فى أوراق اعتماده ، ثم فى ٢٠ مايو تفجر التوتر . ففى ذلك اليوم ، وصل أشقاء دابادى أيضا واندلعت مشاجرة عنيفة ، حسبما يقول أرنولد ، عندما انكر كومبيز أنه استعمل نشوقا بينما أصر ويبى على أن جميع الأوروبيين يستخدمونه . واتهم ويبى الأوروبيين ووصفهم بأنهم « هؤلاء الأقباط الذين يظنون أنهم رجال عظماء » ووصفهم بأنهم كاذبون ويعمدون الى تدبير الدسائس ، وأعرب عن أسفه لسماحه لهم بالدخول الى أثيوبيا لإستغلال جهلنا والإستحواذ على إرادتنا الطيبة وهدد أرنولد بانه سيقطع له لسانه ويديه وقدميه . ورأى الفرنسيون الثلاثة أن من الأفضل ارحيل الى الساحل على الفور ، وبالرغم من أن كومبيز لم يعترف بأنه رحل مغضوبا عليه فمن المؤكد أنه لم يحمل معه أى معاهدة[١٥٤] . ومرة أخرى اتخذ ويبى إجراء سريعا ضد بعض الأوروبيين فى نفس اللحظة التى

نوفمبر ١٨٣٩ ، الحوافظ ١٦٣ ــ ١٦٤ ، بابا وبالجير الى سولت ١٨٣٩/١١/١٠ ، الحافظة ١٧١ ، سولت الى بابا ، وبالجير ، ١٨٣٩/١٢/٦ .

(١٥١) نفس المصدر السابق ، الحوافظ ١٧٢ ــ ١٧٤ ، كومبيز الى كوشليه ، ١٨٣٩/١٢/١٧م انظر أيضا ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، « مصوع » ١ الحوافظ ٢٢ ــ ٧٤ Roprat » ، ١٦ مارس ١٨٤٢م ، والجزء الذى يتناول بعثة كومبيز فى هذا التقرير هو الحوافظ ٢٣ ــ ٤٣ .

(١٥٢) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس Afrique ١٣ ، الحوافظ ١٨٩ ــ ١٩٠ ، مذكرات عن كومبيز الى تير ٢٢ ابريل ١٨٤٠ ، الدائرة لا تعرف سوى أنه مكلف بهذا الأمر (زيلا Zeyla) . وقد أصر على عدم اعطاء أى صفة رسمية للسيد/ كومبيز . ترى ما هى التعليمات الشفهية التى تلقاها للإعراب بكل ثقة عن كل هذه الهواجس . انظر أيضا الحوافظ ٥١ ــ ٦٠ ، مذكرة عن رحلة السيد/ ليفيفر فى الحبشة . (٩ يونية ١٨٤٠ والحوافظ ارقام من ٧٠ ــ ٧٣ ، مذكرة بتاريخ ٦ أغسطس ١٨٤٠ م

(١٥٣) نفس المرجع السابق ، الحوافظ ١٩١ ــ ١٩٢ ، كومبيز الى كوتشليه ، ٢٠ ابريل ١٨٤٠م الحوافظ ١٨٩ ــ ١٩٠ ، كومبيز الى تير ٢٢ ابريل ١٨٤٠م .

(١٥٤) نفس المرجع السابق ، الحوافظ ٢٢٧ ــ ٢٣٢ ، كومبيز الى جويزو ، ١ سبتمبر ١٨٤١م ، المكتبة القومية بباريس Ethiop ضميمة ٢٦٥ ، الحوافظ ١٩ ، و٢٥ ، دابادى ، Dauze ansالصفحات ٥٢٦ ــ ٥٣١ .

كان من المفترض أن يسعى فيها الى التعاون . ومع ذلك فإن ويبى ، أيا كان ما أتهم به ، لم يكن رجلا حاد المزاج . ولا شك فى أنه أحس بأن لديه من الأسباب ما يدعوه الى طرد هؤلاء الثلاثة[١٥٥] .

ومن المؤكد أنه كانت هناك مؤامرة أو مكيدة ما ، اذ أن كومبيز وانطوان دابادى اتهما فيما بعد فى نصين مختلفين تماما طرفا ثالثا بالعمل على قلب ويبى ضدهما . ويشير انطوان مباشرة الى أول رفيقين لليفيفر وهما بيتى ، وديلون[١٥٦] ، باشارته الى « بعض الرحالة الفرنسيين ممن كانوا قد توفوا » غير أن من الواضح أن ويبى كان أكثر انشغالا بشأن تورط أشقاء دابادى فى السياسات الاثيوبية من انشغاله بدسائس الفرنسيين بعضهم ضد البعض الآخر وكان ارنولد هو هدفه الرئيسى .

وقضى ارنولد دابادى عاما ونصف العام فى منطقة تانا وذلك بصفة أساسية بالبلاط وفى معسكر ديجازماتش جوشو رئيس جوجام . وخلال تلك الفترة أفلت جوشو بالكاد من مواجهة شاملة مع راس على بالدخول فى تحالف عائلى مع الراسى بزواج ابنه بيرو من شقيقة على . ومات ديجازماتش كينفو ، وقرر على حرمان أبناءه صغار السن من أراضيهم وإعطائها بدلا من ذلك الى بيرو . وترك لبيرو وجيشو تنفيذ قرار على بأنفسهما وهو ما فعلاه عن طريق معركة كوينزيلا ، او ، دينجيل بيرو يوم ١٨٣٩/١٠/٤ . وكان من الطبيعى أو يؤدى هذا الى ظهور مشاعر سيئة بين زعماء المعارضة المسيحية ضد على فى منقطقة تانا والأمر الذى قلب ولو مؤقتا كل خطط ويبى لزيادة نفوذه الخاص باعتباره زعيم جبهة متحدة ضد راسى على هناك[١٥٧] .

وكان أرنولد يعتبر رجل جوشو وبيرو . وقد شارك فى معركة كوينزيلا ، غير أنه على أية حال ، لم يكن جنديا عاديا مثل بيرسى وكوفين ، بل كان رجل ادعاءات غير عادية من ذوى السمعة المشبوهة الى حد ما ، ولم يتردد فى أن يعلن نفسه لاحقا وعلى الأقل رئيسا[١٥٨] . وعندما عبر

---

(١٥٥) انظر أيضا Congre´gation de la mission جمعية البعثة (دار القدريين) باريس ، دى جاكوبيس ، Giornale Abissina المجلد الثانى ، الصفحات ١٤٩ ــ ١٥٤ للإطلاع على تقرير مبكر عن هذه الواقعة .

(١٥٦) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، Afrique ، ١٣ ، الحوافظ ٢٢٧ ــ ٢٣٢ ، كومبيز الى جويزو ، ١ سبتمبر ١٨٤١ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ١/٤٠١ ، الصفحات ٨٤ ــ ٨٦ ، أنطوان دابادى إلى بالمرستون ٥ أغسطس ١٨٥٠م ، وفيما يتعلق بليفيفر ــ وأدلة أخرى عن التسمية أنظر فيما يلى ص ٨٥ ــ ٨٩ .

(١٥٧) دابادى ، Duze ans ، الصفحات ٣٨٧ ــ ٣٩٠ ، و٤٠١ ، و٤٠٦ ــ ٤١١ و٤٣١ ــ ٤٤٤ ، كونتى روسينى Cronca Rendicanti della Reale accademia beilimcei الجزء الخامس ، المجلد ٢٥ ، ص ٩١٤ .

(١٥٨) دابادى Dauze ans الصفحات ٤٥٦ ــ ٤٥٧ ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس . مصوع ١ ، الحوافظ ٦ ــ ٧ ديجوتان الى جويزو ٨ سبتمبر ١٨٤١م ، المكتبة القومية بباريس Ethiope ضميمة ٢٥٤ ، و ٢٥٦ يحتويان على عدد من خطابات معظمها دون تاريخ من أثيوبيين الى راسى ميكائيل (الاسم الثانى المعطى لأرنولد كان ميكائيل ، وعدد قليل من مسودات رسائله هو نفسه الجهة المرسل اليها ، غير أن من المستحيل تقرير ما اذا كان قد استخدم هذا اللقب منذ البداية ، « ت . توبيانا » (جزءان غير محرران من الجزء الثانى من عامان فى أعالى أثيوبيا لأرنولد دابادى) ووجد روزنيك أوريتالبسترنى (وارسو) ، ٢٥ ، ٢،

معسكر وبى فى طريقه للقاء انطوان بمصوع ، كان هناك تحفظ من الجانبين . فوبى لم يذكر حتى كويتزيلا وكذلك فعل ديجازماتش جوشو [١٥٩] . وعند عودته مع انطوان ، سئل ارنولد عن خططه ، ورفض حسب اعترافه هو نفسه عرضا بالعمل فى خدمة وبى قائلا بغطرسة « إن لى سيدا أفضل » وقد غير ارنولد رأيه فيما بعد ، ولكن وبى لم يقبله على الفور [١٦٠] .

وكانت أنشطة انطوان مثيرة للريبة أيضا ، فعندما غادر أوروبا فى ١٨٣٨ زار كاسا سياجاديس ، وشهد وصول دفعة من أسلحة كوفين الى هذا التابع لوبى ، بل انه هو نفسه وعد بتقديم أسلحة اضافية [١٦١] . وفى أعقاب ذلك قرر وبى أنه عانى بما فيه الكفاية من التمردات المتكررة لكاسا ، فقام بأسره وسجنه فى سيمين [١٦٢] . وكانت هذه الاتصالات من جانب انطوان مع كاسا سببا يدعو الى عدم الارتياح ، غير أن من الواضح من رواية أرنولد أن الشغل الشاغل لوبى كان هو ما فعله انطوان فى أوروبا . ويكتب انطوان يقول ان وبى أراد احتكار الاتصالات مع أوروبا لنفسه وان من المحتمل أن يكونا قد أبلغا وبى بأن انطوان أوقف العدوان المصرى غير أنه لم يكن يحمل أى رسائل الى أى من الأمراء الآخرين [١٦٣]

وبالطبع لم يكن ذلك صحيحا إذ إنه حمل رسائلا من بالمرستون ولويس فيليب الى ساهلى دينجيل . وقد أبلغ انطوان بالمرستون لاحقا بأنه طلب من وبى ارسال خطابات الى ساهلى دينجيل غير أن وبى رفض ذلك [١٦٤] .

وبالتأكيد لم يكن هذا صحيحا لأن وبى لم يكن لضيع فرصة وضع يده على الرسائل حتى اذا لم يكن يعتزم ارسالها . والواقع على أية حال هو أن انطوان لم يسلم خطاب بالمرستون على الاطلاق . وعندما منعه المقيم البريطانى فى عدن ، الكابتن ستافورد هاينز فيما بعد من الدخول الى

(١٩٦١) ، الصفحات ٢٧ ــ ٨٥ أحد الأمثلة(ص ٤٩) التى نقل فيها أرنولد عن جوشو أستخدامه لهذا اللقب فى ١٨٤٢م غير انه لم يظهر فيما عدا ذلك فى مخطوطات أرنولد بالفرنسية .

(١٥٩) دابادى Dauze ans الصفحات ٥١٦ ، و٥٥٤ ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، مصوع ١ ، الصفحات ٦ ــ ٧ ديجوتان الى جوزو ، ٨ سبتمبر١٨٤١م ، ١٨٤١م ، Evanglisehe Heidenliote ، الصفحات ١٢ ــ ١٣ ، أنباء من كرايف نقلها ايسنبيرج .

(١٦٠) المكتبة القومية باريس ، أثيوبيا ، ضميمة ٢٥٦ ، وحافظة ٥١٠ ، ارنولد دابادى الى ساهلى سيلاسى ، دون تاريخ ، الحافظة ٥١١ ، أرنولد الى وبى ، دون تاريخ ، كتب أول هذه الخطابات فى الأشهر الأولى من ١٨٤١م وربما كان الثانى قد كتب فى نهاية تلك السنة .

(١٦١) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية Afrique ١٣ الحوافظ ٧ ــ ٨ ، دابادى الى سولت ، ٨ يوليو ١٨٣٩م .

(١٦٢) دابادى Dauze ansالصفحات ١٨٨ ، ٥٥٤ ليفيفر Vayaye ، المجلد الأول الصفحات ٨١ ــ ٨٢ ، مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس Afrique ، ١٣ ، الحوافظ ٤٠ ــ ٤٨ ، ليفيفر الى ثيير ، ٣ يونية ١٨٤٠م ، باركينز life الصفحات ١١٨ ــ ١٢٠ .

(١٦٣) دابادى ، Dauze ans ، الصفحات ٥٥٣ ــ و٥٥٥ .

(١٦٤) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة ، بلندن ١/٤٠١ الصفحات ٨٤ ــ ٨٦ ، أنطوان دابادى الى بالمرستون ، ٥ أغسطس ١٨٥٠ .

أثيوبيا عن طريق بربرة أو تاجورا ، أعطى انطوان للمقيم البريطانى فى عدن الخطاب لتوصيله بقدر المستطاع . وفى النهاية تم التخلص من هذا الخطاب بعد ثلاث سنوات فى جوجام لأن الرحالة البريطانى تشارلز بيكى ظن أن من الخطر حمل هذا الخطاب [١٦٥] .

وكان أشقاء دابادى قد عادوا آنذاك الى وسط أثيوبيا . ولم تكن حالتهم أكثر سوءا لأنهم لم يكونوا يحملون أى خطابات من الملكة لتوصيلها . وعندما يتذكر المرء أن الخطابات الأصلية المرسلة الى انجلترا وفرنسا كان من المفترض ادعاء أنها كتبت باسم وبى نفسه ضمن آخرين ، فان هناك قدر من المنطق فى هذه النهاية التى اصابت رد بالمرستون .

بل وحتى اذا أراد وبى القيام باجراء اتصالات أجنبية ، فانه كان بوسعه تخطى أشقاء دابادى وكومبيز . وسواء كان مركز كومبيز كممثل رسمى للحكومة الفرنسية محل تساؤل أم لا فان هذا لم يكن ليلعب أى دور هام بالنسبة لوبى ، إذ انه لو كانت لكومبيز سفينة ما قادمة تحمل أسلحة نارية أو سلعا أخرى يريدها وبى لكان فى استطاعة وبى شراءها دون أى معاهدة . والواقع أنه بعث أحد وكلائه التجاريين الى مصوع عندما ، وصلت السفينة « أنكوبر » غير أنه لم يتم عمل أى تعاقدت لأى عمل تجارى لأن السلع كانت كما يقال قد جرى اختبارها دون مراعاة للاحتياجات الأثيوبية أو ما يفضله الأثيوبيين [١٦٦] . ولربما كان السبب الرئيسى عو أن وبى توقع تلقى بعض الأسلحة من فرنسا مجانا عن طريق ليفيفير الذى توجه الى فرنسا لهذا الغرض بالذات قبل نصف عام من وصول كومبيز .

وكان ليفيفير قد حضر الى أثيوبيا مع مرافقين له فى مايو ١٨٣٩ واستقر أولا فى عدوة مع سابيتو وشيمبر [١٦٧] . وكانوا مؤهلين للقيام ببحوث علمية . ورد لفيفير عندما ساله وبى وفى أول اجتماع لهما ، بأنه قد حضر لمقابلته وليطلع بنفسه على عادات شعبه ، رد وبى كما نقله ليفيفير [١٦٨] هو « وماذا يعود عليك من نفع من جراء ذلك ؟ هل نضبت تربة بلادك ؟ أو ليس لك أى أصدقاء ، حتى تحضر على هذا النحو لتخاطر بحياتك فى أرض أجنبية ؟ وتلقى هؤلاء القادمين الجدد اذنا بالبقاء غير أن وبى أو مستشاريه لم يكونوا بسطاء كما كانوا يبدون ففى المرة الثانية التى

---

(١٦٥) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، الحوافظ ١٠٣ ــ ١٠٦ ، هاينز إلى اللجنة السرية ، ٩ ديسمبر ١٨٤٠ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٢/٤٠١ ، الصفحات ١٩٤ ــ ١٩٦ بيكى الى راسيل . ٢٢ يوليو ١٨٦٥ .

(١٦٦) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، افريقيا ، ١٣ ، الحوافظ ٢٢٧ ــ ٢٣٢ كومبيز الى جويزو ، ١٨٤١/٩/١ فيريه وجاليير Vayage ، المجلد ٢ ، الصفحات ٤٤٠ ــ ٤٤١ .

(١٦٧) ليفيفير ، Vayage المجلد الاول الصفحات ٥٣ ـ ٥٤ ، ولمعرفة وجيزة عن أنشطته ولاسيما علاقاته السيئة مع معظم الرحالة الفرنسيين الآخرين ونائب القنصل الفرنسى فى مصوع ، أنظر ماليكو Vayaguro أنمجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٥٨ ، الصفحات ١٥٧ ــ ١٦٥ .

(١٦٨) ليفيفير Vayage المجلد الاول ، ص ٦٩ ، وفى السنة التالية أبدى الضابطان العاملان فيريه ، وجاليير (Vayageمجلد ١ ص ٤٢) أن السبب لديهما هو الرغبة فى التعرف على أشقائهما فى المسيح والبحث عن أعشاب طبية .

يلتقون فيها ، يقال ان وبى ذكر أنه كان يريد اختبار مدى علم أصحاب ليفيفير الطبيين . فقد كان هناك آخرون يحذرون من تزايد الأجانب الذين قد يتحمسون لحساب محمد على تحت ستار الدراسة (١٦٩) .

وفى اجتماع ثالث فى سبتمبر ١٨٣٩ ظهرت مشكلة الأسلحة والتجارة فحسبما يقول ليفيفير ، كان وبى يود أن يعرف ما اذا كان سيتلقى باعلانه نفسه صديقا للملك الفرنسى ، بنادق من فرنسا مثلما حدث مع انجلترا عن طريق كوفين . ورد ليفيفير بالإيجاب غير أنه ألمح الى المزايا التجارية التى يمكن توقعها فى المقابل . ويقال ان وبى سأل ليفيفير بعد أيام قليلة عما إذا كان راغبا فى العودة الى فرنسا بخطاب الى الملك الفرنسى يعرض فيه الصداقة ومعاهدة تجارية . وانتهز ليفيفير الفرصة ليطلب انفيلا لتكون مركزا تجاريا فرنسيا . ويقال ان وبى وافق على هذا ووعد باحتلال انفيلا وتسليمها الى فرنسا ، ووضع هايتى سيلاسى خطابا يجسد هذا الإتفاق قام بترجمته الى الفرنسية سابيتو . وتم توقيعه كى « يبدو أكثر توثيقا » من كل من دى جابوبيس وصاحبيه اللذين وصلا مؤخرا . ويقال انه عندما أوشك ليفيفير على السفر ، قرر وبى ارسال مبعوثين أثيوبيين أيضا ، ووافق ليفيفير على ذلك حيث أن هذا سيضفى على مهمته طابعا رسميا أكثر ، بل وأضاف الى ذلك أثيوبيين آخرين ، منهما خادم جوبات السابق والطالب جيرى ماريام كسكرتير لهذه البعثة الدبلوماسية (١٧٠) . وينطوى هذا التقرير من جانب ليفيفير بوضوح على أن وبى أخذ زمام المبادرة فى الحصول على الأسلحة مباشرة من أوروبا ، ووافق ليس فقط على أن يتخلى عن انفيلا الى فرنسا بل وعلى أن يحتلها عسكريا مقدما ليؤكد حقه فى هذا الشأن .

وهذا عكس مايقال عن أنه كان الاقتراح المزعوم لسياجاديس . إذ يقول سابيتو ، انه هو وليس ليفيفير ، الذى لعب دورا رئيسيا على الجانب الأوروبى : فقد كان المتلقى لاقتراح وبى . وهو الذى أبرم معاهدة الصداقة مع وزراء وبى . . . وقد تم توقيع أو وضع الخاتم على المعاهدة ، يوم ١٨٣٩/١٢/٦ على يديه . ولربما كان فى الواقع المفاوض الرئيسى حتى ولو جعله ليفيفير يبدو مستشارا ومترجما ، ومن الأمور المثيرة للاهتمام ما قاله سابيتو من أن هذه الإتفاقية كلفته شهرا ونصف الشهر من العمل الشاق وكذلك المواقف الحرجة . وهو ما يوحى ببعض المساومات العسيرة التى اجتازها ليفيفير فى صمت . وكان هدف سابيتو بالطبع هو تأمين الحصول على اذن للبعثة الكاثوليكية وتأمين حمايتها ، وهو ما يرى أن تلك المعاهدة قد كلفته « بصورة دائمة » شريطة أن تقبلها الحكومة الفرنسية . وفيما يتعلق بأهداف وبى لا يذكر سابيتو شيئا عن الأسلحة ، إذ ان الأمير كان يريد ، فى نظره حماية فرنسا وحماية بعض الحرفيين . وفى مقابل ذلك ، وعد بالتنازل عن « جزيرة انفيلا » ، وتمويل جميع التجارة من مصوع الى المؤسسة الفرنسية الجديدة هناك ، وحماية الفرنسيين الذين استقروا فى الحبشة (١٧١) .

---

(١٦٩) ليفيفير Vayage المجلد الأول ص ٨٥ .

(١٧٠) نفس المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحات ١٠٠ ـ ١٠٩ ، و ١٣٩ ، أنظر أيضا ، مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، افريقيا ١٣ ، الحوافظ ٤٠ ـ ٤٨ ، ليفيفير الى ثير ، ٣ يونيو ١٨٤٠م .

(١٧١) جمعية البعثة (دار العذريين) ، باريس ، مخطوطات رسائل السنيور ديجاكوبيس المجلد الثانى رقم ٤٢٣ ،

ووجد ليفيفير عند وصوله الى باريس أن حكومته غير متحمسة بشأن ذلك المشروع كما كان يتوقع مما دفعه هو ومؤيديه الى المبالغة ليس فى القيمة التجارية لأنفيلا فحسب بل وكذلك فى التزامات وبى : « ان الملك وبى اقترح تقديم جنود لحماية المستعمرة الجديدة » ، وأنه قوى بما فيه الكفاية « للحفاظ على أن تظل انفيلا فى قبضتنا » والى جانب هذا جعل ليفيفير الأمر يبدو كما لو أنه قد استقطع على مضض وقتا من بحوثه العلمية ليصحب المبعوثين ليعمل مترجما (١٧٢) .

ولم يكن هذا هو الواقع على الاطلاق . فعندما خطط الضابط البحرى ليفيفير لبعثه فى ١٨٤٨ كان يضع فى ذهنه بالتحديد قيام مؤسسة تجارية وسياسية على ساحل البحر الأحمر ، وكانت الأسلحة البريطانية التى ارسلت الى سياجاديس ، والخطط البريطانية المزعومة من إجل مؤسسة فى خليج انيسلى جنوب مصوع ، وخطر احتمالات فوز بريطانيا العظمى بمستعمرة جديدة ، أكثر ثراء ، وقوة من الهند ، فى الوقت الذى كان فيه من واجب فرنسا بدلا من ذلك نقل الصناعة والتجارة والحضارة والمدنية الى افريقيا مثلما بدأت تفعل فى الجزائر ، كل ذلك كان واضحا فى العرض الذى قدمه ليفيفير لمشروعه (١٧٣) . ولم يكن ليفيفير بأى حال من الأحوال هو الشخص الوحيد الذى ينادى بالاستقلال التجارى لأثيوبيا طبقا لهذه الخطوط ، ففى يناير ١٨٣٩ على وجه التحديد وأثناء مرور ليفيفير عبر مصر فى طريقه الى مصوع (وكان انطوان دابادى فى طريق عودته الى فرنسا) ، بدأ القنصل العام البلجيكى فى مصر إدوارد بلونديل ، فى حث حكومته على الدخول فى السباق من إجل الحصول على ثروة أثيوبيا . وكان مرتبطا مع رولان إى سى

سابيتو الى اتيان ، ١٨٣٩/١٢/١٠ ، مراسلات سياسية ، ومراسلات سياسية للقناصل محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، مصوع ، الحوافظ ٢٠٥ ـ ٢١٧ ، مذكرة من سابيتو ٢٤ يناير ١٨٥٨ سابيتو Viaggio ص ١٠٨ . وأنظر ايضا ج . سابيتو .Ethiopia Natizie Raccabte dal prof-Giuseppe Sapeto (روما ، بدون تاريخ) الصفحات ٢٨٨ ـ ٢٨٩ وانظر ايضا ليفيفير Vayage المجلد الأول ، الصفحات ٨٤ ـ ٨٦ ، و٩٠ ، ١٠٣ ـ ١٠٥ المعرفةدور سابيتو والسهولةالتى قيل ان كل شىء سوى بها . فلدى جاكوبيس« مخطوطات رسائل » ، المجلد الثانى رقم ١٦٢ ، الى اتيان ، ١٨٣٩/١٢/٦ يؤيد بطريقة غير مباشرة تقرير سابيتو بأن المفاوضات استغرقت وقتا ، ويوصى بكل من ليفيفير وسابيتو لغيرتهما وتفانيهما فى العمل .

(١٧٢) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، افريقيا ١٣ الحوافظ ٥١ ـ ٦٠ مذكرة عن رحلة السيد / ليفيفير فى الحبشة الحافظة ٥٠ ، جووان الى ثير ، ٩ يونية ١٨٤٠م الحوافظ ٦٢ ـ ٦٤ ، روسان الى ثير ، ٢٤ يونية ١٨٤٠ ، الحوافظ ٦٨ ـ ٦٩ ليفيفير الى ثير ٣٠ يولية ١٨٤٠ ، انظر ايضا ليفيفير Vayage المجلد الأول ، الصفحات ١٤٧ ، و ١٥١ ـ ١٥٧ وقد كانت هناك أسباب عامة ومحددة بصورة اكبر للتردد الفرنسى ، فالعزلة التى وجدت الحكومة الفرنسية نفسها فيها بشأن علاقات محمد على مع سلطانه فى استنبول أملت الحرص والحصافة . فارنولد دابادى الذى تشاجر معه ليفيفير عندما كانا على وشك بدء رحلتهما الأولى الى اثيوبيا فى ١٨٣٧م (ماليكوت Vayageurs المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار ، ٥٨ ، ص ١٥٢) قد كتب ان انفيلا كانت لا قيمة لها وانها الى جانب ذلك كانت تخضع للسلطان المصرى وليس للتيجرى (مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، افريقيا ١٣ ، الحوافظ ٧٠ ـ ٧٣ ، مذكرة بتاريخ ٦ أغسطس ١٨٤٠) .

(١٧٣) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، افريقيا ، ١٣ ، الحوافظ ٢١ ـ ٢٥ ، ليفيفير الى لويس فيليب ، ٢٧ مايو ١٨٣٨م .

شممشتي ثف مهث الذى بعث بدوفى ، وأوبير . ودعا القنصل الى اقامة مؤسسة بلجيكية بالتحديد فى أنفيلا للإستحواذ على تجارة أثيوبيا ، وكردفان ، ودارفور وتفادى جشع النائب . . . وجمارك مصوع (١٧٤) .

وبهذا يكون من الواضح تماما أن الإلهام لهذه الفكرة جاء من ليفيفير وتلك هى ايضا الكيفية التى تقدم بها دى جاكوبيس الذى كتب عدة رسائل لتأييد المشروع ، الى رؤسائه (١٧٥) . أما عن موافقة الأمير الأثيوبى فى هذه الحالة على ارسال بعثة دبلوماسية وأمله فى نيل بعض الأسلحة أو الحرفيين عن هذا الطريق فإن ذلك أمرا مرجحا للغاية . والسؤال يدور حول ما اذا كان يعرف أى شىء عن العروض التى من المفترض أن يقدمها ، فقد كان ليفيفير كما سبق إيضاحه ، منشغلا بشأن الشكوك المثار حول ما يتعلق باعتماد والتصديق على بعثته . فقد ذكر ليفيفير أن رئيس الوزراء ادولف ثير طلب فى اجتماع معه يوم ١٢ مايو ١٨٤٠ « رؤية الخطاب الذى كتبه وبى الى ملك الفرنسيين » . ومن المؤسف انه لا يذكر ماهو الشىء الذى قام باطلاعه عليه (١٧٦) . والنص الوحيد الذى يوجد فى محفوظات وزارة الخارجية هو وثيقة غريبة باللغة الفرنسية . يدعى فيها « الملك وبى » ، الى جانب مناطقه الخاصة أنه سيد جميع المسالك التجارية بالحبشة وأنه يمارس نفوذا على جزيرة ميرو وعلى شعوب جالا . ويبدو هذا مريبا إلى حد ما . ثم « يطلب تحالف فرنسا عارضا كثمن للصداقة التى يود أن يبرمها خليجا على البحر الأحمر واحتكار التجارة بالاقليم الغنى الذى يحكمه » . وهذا هو كل مايمكن استخلاصه كتقرير عن محتوى المعاهدة ، ثم يتولى ليفيفير الأمر ويشرح أن وبى يود الحصول على اسلحة وذخيرة من دولة قوية غير انجلترا أو القضاء على نفوذ العرب والأثيوبيين المسلمين بانتزاع التجارة منهم (١٧٧) ، أما عن السبب وراء عما جاء فى هذه الوثيقة عن « خليج على البحر الأحمر » ، فى الوقت الذى لدى سابيتو جزيرة أنفيلا ، وانفيلا دى جاكوبيس ، وجزء كبير من الساحل ، فإنه سر غامض ، ولاسيما فى ضوء حقيقة أن ليفيفير أطلع القنصل الفرنسى فى مصر على خطاب وبى بغية الحصول على أموال . وهو الخطاب الذى يتردد أنه حدد الأراضى المتنازل عنها باعتبارها خليج انفيلا (١٧٨) .

---

(١٧٤) محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، ٢/٢٠٢٤ ، بلونديل الى ثير ، ١٦ يناير ، و٢٥ يناير ١٨٣٩م ، ونقل دوشيشن مواد المحفوظات البلجيكية بتفصيل كبير فى « القنصل بلونديل كما يقتبس منها ، ومن المؤسف ان افتقار دونتشين الى المعرفة بمسرح الأحداث الاثيوبى قد منعه من أى إنتقاد لتقارير بلونديل الخيالية الى حد ما .

(١٧٥) جمعية البعثة (دار العذريين) باريس « مخطوطات خطابات » المجلد الثانى رقم ١٦٢ الى اتيان ، ٦ أو ٧ ديسمبر ١٨٣٩م رقم ١٦٣ ، الى جوارينى (؟) ١٨٣٩/١٢/٨ دى جاكوبيس « جيورنال ابيسينو » Giornal Abissino ، المجلد الأول ، الصفحات ١ ـ ٣ .

(١٧٦) ليفيفير ، Vayage ، المجلد الأول ، ص١٤٨ .

(١٧٧) ذكريات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، أفريقيا ١٣ ، الحافظة ٦١ . وتبدو هذه الوثيقة كملحق لمفكرة (الحوافظ ٥١ ـ ٦٠) بشأن بعثة ليفيفير وضعت فى وزارة الزراعة والتجارة على أساس اتصالات ليفيفير الأولى بعد وصوله وقدمت الى ثير يوم ٩ يونية ١٨٤٠ .

(١٧٨) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، مصر ٩ ، الحوافظ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ كونتشيليه الى سولت ، ١٣ مارس ١٨٤٠م « مخطوطات خطابات » المجلد الثانى رقم ١٦١ ،

واستغل ليفيفير وجود « السفراء » الاثيوبيين لتضخيم أهمية بعثته وللقيام بضغوط للتأثير على وزارة الخارجية الفرنسية ، غير أنهم لم يكونوا بأى حال من الأحوال رجالا بارزين ، كما لم يكن لهم دور مستقل يمكنهم أن يقوموا به كمبعوثين عن وبى . وكان هناك واحد وربما اثنين على الأرجح ممن كانا فى الواقع يعملون لدى ليفيفير (١٧٩) . ولم يظهر أى منهما فى مكان آخر من تاريخ هذه الفترة الا كخادم أو أمينا لسر الأجانب .

وتلقى ليفيفيرفى النهاية ١٤٠٠٠ فرنك لشراء هدايا ومدفعا ، واثنا عشرة بندقية وعددا مماثلا من المسدسات . غير أنه لم يتلق على ما يبدو أى رد ، مكتوب لوبى بشأن اقتراح المعاهدة الذى تردد أنه أبداه (١٨٠) . وقد كتب ليفيفير بلا تهيب وبصراحة من مصوع يشير الى ان وبى سيضع قوات تحت تصرفه حتى يستطيع الاستحواذ على انفيلا باسم فرنسا (١٨١) . ولكن ما أن وصل ليفيفير الى معسكر وبى فى « ماى تالو » حتى التزم الصمت تماما بشأن انفيلا والاحتكار . ثم انتشرت أنباء فيما بعد فى مصوع بأن وبى وعد فقط بعدم التدخل اذا اشترى الفرنسيون انفيلا من مالكها (١٨٢) وكان المفروض أن الأمير الأثيوبى له وجهات نظر لا تتفق مع مشاريع ليفيفير الكبيرة . ولابد وأن محاولات كومبيز لحصد ما بذره ليفيفير . قد حيرت وبى ولاسيما اذا لم يستطع تحقيق الوعود التى تردد أنه بذلها لليفيفير واذا كان كومبيز محتالا بالرغم من الخطاب الذى حمله من ملك الفرنسيين ، فمن يكون ليفيفير اذن وهو الذى جاء دون أى خطاب ؟ وطلب نائب القنصل الفرنسى أ . بدجوتان من بلونديل أن ينقل رسالة من كومبيز الى وبى وأن يتشفع لدى الأمير عن مومبيز ويدافع عنه غير أن القنصل البلجيكى رفض على أساس أن ذلك أمرا ذو خطورة .

وكانت البلاد تعج بشائعات عن « غزوات ، وفتوحات ، ومؤسسات » . ما هو الرد الذى بوسعه أن يقدمه اذا سأله وبى ، « ولكن اذا لم يكن هؤلاء الوكلاء الفرنسيون يريدون الاستحواذ على بلادى ، فما الذى يريدوه اذن (١٨٣) .

دى جاكوبيس ٤ ديسمبر ١٨٣٩ ، رقم ٤٢٣ سابيتو ، ١٠ ديسمبر ١٨٣٩ ، ولازال ما يحتويه الأصل الذى باللغة الأمهرية ، اذا كان له وجود على الاطلاق أمرا مجهولا . ومع ذلك فإن وجود « معاهدة » ذات التزامات

(١٧٩) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية ، بباريس ، افريقيا ١٣ ، الحوافظ ٦٨ ـ ٦٩ ، ليفيفير الى ثير ، ٣٠ يوليو ١٨٤٠ ، مراسلات سياسية ، ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، مصوع ١ ، الحوافظ ٢٢ ـ ٧٤ ، Rapport ،١٦ مارس ١٨٤٢ م وتتضمن تقريرا بقلم ديجوتان ، ١ مارس ١٨٤١ ، بالحوافظ ٥٤ ـ ٥٥ ، مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية بباريس ، افريقيا ، ١٣ الحافظة ٩٢ ، تقرير عن كونين ـ جريدين الى جويزو ، ١٩ أغسطس ١٨٤٢م .

(١٨٠) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، افريقيا ١٣ ، حوافظ ٧٠ ـ ٧٣ مذكرة ٦ أغسطس ١٨٤٠ ليفيفير ، Vayage المجلد ١ ص ١٥٨ .

(١٨١) مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ١٣ ، حوافظ ٧٦ ـ ٧٧ ، ليفيفير الى كونين ـ جريدين ، ١ فبراير ١٨٤١م .

(١٨٢) مكتب وسجلات وزارة الهند بلندن ، رسائل سرية من عدن ٢٦ ، الصفحات ١٦٩ ـ ١٧٨ ، كريستوفر الى هاينز ، ٧ مارس ١٨٤٢ .

(١٨٣) محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، ٢/٢٠٢٤ بلونديل الى ديجوتان ، ٢٩ ابريل ١٨٤١ .

ولم يعد ممكنا عدم ترديد هذا السؤال الجوهرى فى تيجرى وفى بلاط ويبى . فالموقف لم يتحسن عندما انقلب على ليفيفير الأثيوبيين الثلاثة الذين صاحبوه الى باريس متهمين اياه كما تردد بان فى جعبته خطط طموحة ، وباحتفاظه ببعض الهدايا الملكية مع شكواهم فى نفس الوقت من عدم الإكتراث الذى عوملوا به فى باريس وذكروا الخطاب المفقود من لويس فيليب . ولم يؤيد ليفيفير سوى جيبرى ماريام ، وعندما بدأ آنذاك فى مقارنة شعبه بالأوروبيين وذكر ان « أمراء الحبشة ليسوا سوى متسولين ، وأن دولته لا يسكنها سوى متوحشين عاجزين عن أى شىء سوى قطع الطرق والتسكع » . وان كل شىء فى أثيوبيا يوحى « بالتردى العميق للإنسان » كان ويبى قد تلقى ما فيه الكفاية مرة أخرى . فقام بنفى جيبرى ماريام ، أما ليفيفير فقد تم ابلاغه بأنه لايستطيع التنقل فى سيمين (١٨٤) . ومع ذلك ، لم يكن هناك تخوف أو فزع بشأن وجود أجانب ، فقد سمح ليفيفير بالبقاء فى تيجرى ، حيث كان من المتوقع أن يتنح هو وضابط مدفعية وهو شاب يدعى شافنر باردوا لويبى (١٨٥) .

الصدام بين ويبى وعلى فى ١٨٤٢ : ارثوذكسية ام اسلام ، تيجرى ام يجو :

لم يكن الشاغل الرئيسى لويبى فى ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ هى العلاقات مع القوى الأوروبية ومستقبل الساحل ، بل كان الصراع من أجل السلطة داخل الدولة الأثيوبية ، فقد صارت الظروف لتحدى راسى على اكثر ملاءمة من أى وقت مضى ، فالتقارب بين على ومينين من جانب وبين جوشو وبيرو من جانب آخر والذى تمثل فى التحالف العائلى وحرمان أولاد كينفو من الميراث ، هذا التقارب لم يدم طويلا . ومن المرجح ان عليا لم يكن يضع فى حسبانه على الاطلاق ان يحصل بيرو على ثمار هزيمة ابناء كينفو (١٨٦) ، وبحلول منتصف ١٨٤٠ قام على بحرمان بيرو من وظيفته الجديدة كحاكم وأعطاه لأمه هومينين ، وكانت قد تزوجت ابن آسى تيكلى جيورجيس وبالتالى كان دخولها المظفر الى جوندر يعنى ان ساهلى دينجيل قد عزله فى أغسطس ١٨٤٠ مرة أخرى ، وفى هذه المرة لصالح زوجها يوهانيس الثالث (١٨٧) .

---

(١٨٤) ليفيفير Vayage المجلد الأول ص ٢٢٨ ـ ٢٣٨ ، والاقتباس على ص ٢٣٦ ، أما عن وجود جيبرى ماريام هنا معبرا عن وجهات نظر ليفيفير فهو موضح بتقييم الاخير النهائى لاحتمالات الأثيوبيين : إن الله قد كتب على حياة بعض الشعوب « لن تتقدموا أكثر من ذلك » (المجلد الثالث ، ص ٢٣٧) . ولم تكن الاتهامات ضد ليفيفير باحتجازه بعض الهدايا دون أساس « فقد اودع بعضها لدى القنصلية فى مصوع وكان مستعدا بوضوح لاستخدامها وذلك فقط اذا أمكنه الحصول على انفيلا مقابلها » . انظر مذكرات ووثائق محفوظات وزارة الخارجية باريس ، افريقيا ١٣ حوافظ ٩٣ ـ ٩٤ ، كونين جريدين الى جويزو ، ٢١ سبتمبر ١٨٤٢م ويعنى هذا ايضا انه لم يتلق عرضا مؤكدا من ويبى وهو ما كان يدعى عندما كان فى باريس حصوله عليه .

(١٨٥) ليفيفير ، المجلد الاول ، ص ٢٦١ ، سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ . حوافظ ١٦١ ـ ١٦٢ ، بارنيت الى ابردين ، ١٨٤١/١١/٢١ .

(١٨٦) دابادى ، Dauze ans الصفحات ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

(١٨٧) كونتى روسينى Cronaca, Rendicanti della Reale Accadenia dei lincei ٥ ، ٢٥ ، صفحة ٩١٥ ، دابادى ، Dauze ansص ٥٣٥ .

وهيأ هذا التطور لعلى سيطرة مباشرة على مناطق كان يحكمها بصورة غير مباشرة من قبل غير أن هذا التطور مهد السبيل أيضا لتحالف بين ويبى وبيرو بهدف الإطاحة بعلى .

وكان ويبى يحتاج من أجل النجاح فى هذا السبيل الى توحيد أكبر قدر ممكن من السكان المسيحيين خلف رايته . وكان من وسائل ذلك تشجيع الشائعات القائلة بأن عليا كان مسلما سرا .

وظل هذا على ما يبدو سائدا لفترة طويلة فى كل انحاء الدولة (١٨٨) . وثمة إجراء إيجابى آخر كان من المقرر أن يشبع رغبة الناس فى الحصول على مطران جديد ، وهو ما تقاعس على عن القيام به . ففى أوائل ١٨٤١ كان ويبى قد مهد السبيل مع القاهرة وجمع الأموال اللازمة ، وعين بعثة دبلوماسية ضخمة وفعالة بقيادة هابتى سيلاسى ، وكان آنذاك على كل من ليكى كاهفات تيجرى ، وآبا جيبرى ميكائيل ، وريس ديبرو يلدو أن يذهبوا الى مصر ويحضروا مطرانا . وانضم دى جاكوبيس أيضا الى هذه البعثة الدبلوماسية وذلك بصفة رئيسية على أمل ان يكفل حضوره السفر الأمن ، والاستقبال المناسب فى مصر (١٨٩) .

وإذا كان يأمل فى التأثير فى تعيين المطران بأى حال من الأحوال ، فان توقعاته لابد وأن تكون قد أصيبت بخيبة الأمل ، فالمطران الجديد ايونى سيلاما كان قد تلقى جزءا من تعليمه من مبشرى

---

(١٨٨) دابادى ، Dauze ansص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، فيريه وجالينير ، Vagage المجلد ١ ص ٤٨١ ، مجلد ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ ، دوشينى ، بلونديل ، ص ١٣٧ ، و ١٤٠ ، جون ج . بيل ، « مقتطفات من صحيفة رحلات فى الحبشة ، فى السنوات ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ » ، متنوعات مصرية (١٨٤٢) ص ١٤ ، كونتر روسينى Vicende Reendiconti della Reale Accademia dei lencei ٥ ، ٢٥ ، ص ٤٥٠ ، وكانت أكثر التقارير تحديدا بأن عليا قد اعتزم فعلا اعلان نفسه أو قد اعلن نفسه مسلما قد صدرت من شيوا . ونقل روشيه ديركور (اكتوبر ١٨٣٩) ان ساهلى سيلاسى أبلغه بأن شقيق على وصل ليبلغه نيابة عن على بانه قد قرر اتخاذ هذه الخطوة (Vayage ص ١٤٨ ، ١٨٦ . ونقل هاريس ذلك (يناير ١٨٤٢) كحقيقة مؤكدة (أبير ، أثيوبيا ، ص ١١٥) .

(١٨٩) أنظر كونتى روسينى « Vicende » Rendiconti della Reale Accodemia dei ، ٥ ، ٢٥ ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٧ ، جمعية التبشير الكنسى CM/045(a) كروز الى كوآتز ١ يوليو و ٥ أغسطس ١٨٤٠ ، المكتبة القومية بباريس ، اثيوبيا ، ضميمة ٢٦٧ ، حافظة ١٣٤ ، إنريكو سيروللى « أثيوبى فى فلسطين » (روما ١٩٥٤ ـ ١٩٥٧م) المجلد ٢ صفحات ١٩٦ ـ ١٩٧ ، فيريه و جالينير (Vagage مجلد ١ ص ٤٨١ ـ ٤٨٣) يرى انهم تقابلوا مع دى جاكوبيس فى أكوم (أو عدوة) يوم ١٠ يناير ١٨٤١م ، وانه اتجت مؤخرا بالاتفاق العام ليكون مرشد البعثة الدبلوماسية الى مصر . ولم ينقل ليفيفير الذى قابل دى جاكوبيس بعد ذلك مباشرة سوى ان المطران كان فى طريقه الى فرنسا سعيا وراء أموال لبناء كنيسة (مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، افريقيا ١٣ ، حوافظ ٧٦ ـ ٧٧ ، ليفيفير الى كونين جريدين ، أول فبراير (١٨٤١) . وادعى ليفيفير فيما بعد (Vayage مجلد ١ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧) انه سمع عن دور دى جاكوبيس عندما وصل الى مصوع يوم ١ يناير ١٨٤١م ، ووجد ان ذلك غير عادى . ويتعين ان ينظر الى ذلك فى ضوء رقم ١٦٦ ، ٢٨ فبراير ١٨٤٠) بأن ويبى طلب من ليفيفير ان يلح من أجل مطران جديد عندما يمر بمصر وهو فى طريقه الى أوروبا ولكن دى جاكوبيس اقنع الأمير بالتخلى عن الفكرة وبحث فكرة الحصول على مطران كاثوليكى لاثيوبيا . انظر ايضا كرومى ، Priesis ص ٦٦ ، و ٨٦ ، لمعرفة تقارير دى جاكوبيس نفسه عن مشاركته .

جمعية التبشير الكنسى فى القاهرة ، وتنوع فيما بعد وتباين موقفه تجاه المبشرين البروتستانت ، غير انه ظل دائما عدوا لدودا للمبشرين الكاثوليك ولاسيما دى جاكوبس .

وكان من الواضح ان ويبى كان حريصا على استخدام جميع السبل الممكنة لتأمين مطران . ولقد وضح ذلك من خلال ظهور ويليام كوفين مرة أخرى كمبعوث دبلوماسى ، ففى أعقاب سقوط كاسا فى نهاية ١٨٣٣ أو أوائل ١٨٣٩ ، أدرك كوفين نهائيا أن فترة وعهد سياجاديس قد انتهت ، وقبل منصب حاكم صغير من ويبى مقابل جزء على ما يبدو مما بقى من امدادات الأسلحة التى كان قد جلبها من قبل الهند (١٩٠) . وفى يونية ١٨٤١ وصل الى عدن فى طريقه الى لندن بخطاب وبعض الهدايا من الملكة فيكتوريا ، وكانت مهمته « للسعى الى كسب الصداقة البريطانية والنصح للرئيس ويبى الذى كانت لديه شكوكه فيما يتعلق بنوايا الفرنسيين العديدين الذين وصلوا الى اراضيه (١٩١) .

وفى هذه المرة بذلت محاولات مع كوفين لكى يعدل عن التقدم الى ما هو أبعد من القاهرة ، غير انه وبمساعدة ممن هو اكثر كفاءة منه فى اللغة الإنجليزية ، أسهب إسهابا بالغا فى ابراز الاخطار على النفوذ البريطانى من جانب كثير من الرحالة الفرنسيين الذين كانوا يحاولون الاستقرار وادخال مصانع الى تيجرى ، بل قرر أيضا ان ويبى يود ان يعرف ما اذا كانت الحكومة البريطانية يسعدها « ان يشجع مثل هؤلاء الإجانب » . وبالطبع ابلغة كوفين بان المؤسسة الفرنسية « لن تكون أمرا مستساغا من انجلترا التى كانت دائما حامية للحبشة حليفا لها » . وهكذا فإن ويبى قرر الاعراب عن رغبته فى ان « تواصل انجلترا صداقتها وحمايتها لتمكينه من منع استيطان أى اشخاص ليسوا انجليز فى بلاده وأن تبعث « شخصا ما فى شكل سفير أو بعثة قنصلية » مع كوفين لدى عودته (١٩٢) .

وبالرغم من احتمال أن يكون كوفين قد ناقش بعض هذه الأمور مع ويبى وتلقى تعليمات شفهية فيما يتعلق بمهمته ، فان هذا الانجليزى يكشف نفسه فى هذا التقرير . فحتى ذلك الحين لم يكن ويبى قد أبدى فعلا تفضيلا لجنسية أوروبية على أخرى . وفى غضون ٦ أشهر تقريبا قبيل مغادرة كوفين جرى الاستقبال والسماح بالبقاء فى الدولة للفرنسيين : فيريه ، وجالنير وروجيه ،

(١٩٠) ليفيفر ، Vayage المجلد ١ ص ١٣٣ ــ ١٣٤ ، دابادى ، Daauze ans ، ص ٥٥٤ مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية ، باريس ، مصوع ١ ، ص ١٠٩ ديجوتان الى جويزو ، ١٨٤٣/١٢/١٠ .

(١٩١) سجلات وزارة الخارجية ــ مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، حافظة ١٣٥ ، هاينز الى أمين حكومة بومباى ، ٢٢ يونية ١٨٤١ .

(١٩٢) نفس المصدر السابق ، الحافظة ١٦٥ ، كوفين الى باكهاوس ، ١٨٤١/١١/١٩م ، أنظر ايضا الحوافظ ١٢٢ ــ ١٢٦ ، بارنيت الى باكهاوس ، ١٨٤١/٩/١٩ ، الحافظة ١٢٨ ، كوفين الى باكهاوس ١٨٤١/٩/٢٠ ، الحوافظ ١٣٩ ـ ١٤١ ، وكابنيج الى كوفين ، ١٨٤١/٩/٣م والى ديجوتان الى جويزو ، ٣٠ يناير ١٨٤٢ ، وكان غرض بعثة كوفين هو عرض انفيلا على بريطانيا العظمى ، بل انه ادعى معرفة ان الملكة فيكتوريا رفضت هذا العرض . ونقل بلونديل (محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية بروكسل ٢/٢٠٢٤ الى ليبو ، ١٧ مارس ١٨٤١ . ان كوفين قضى على سمعة ليفبفير والثقة به عند ويبى .

والانجليزي بيل ، والبلجيكى بلونديل بالاضافة الى صاحبه الإيطالى كونتاريبى ، وإن لم يخل هذا من بعض التردد . ويقال ان ويبى أبلغ بلونديل بانه آخر من يستقبلهم ، وأوضح بلونديل الذى لم تكن معه فى الواقع هو نفسه اى هدايا ، وأن كراهية ويبى المتزايدة للأجانب كانت ترجع الى الوعود المبالغ فيها التى بذلها أناس من أمثال ليفيفير ولم يستتبعها الوفاء بها (١٩٣) . ويفيد القنصل الفرنسى ان عروض ليفيفير شملت احدى بنات لويس فيليب غير ان هذا يتعين اخذه على أنه إشارة الى مستوى التقارير ومحاولة الاساءة وتشويه السمعة وليس اى شىء آخر (١٩٤) .

وكان يتم التعامل مع الأوروبيين على أنهم أفراد من الفرنجة . وكان سخاؤهم وتبصرهم ومدى فائدتهم لويبى ، وكذلك القدرة على البقاء بعيدا عن المتاعب وعلى سبيل المثال مع رجال الدين كان كل هذا هو الذى يقرر مصيرهم ، وكانت فكرة طرد جميع الفرنسيين لصالح مستعمرة للانجليز فكرة غريبة بالتأكيد على تفكير ويبى بقدر ما كانت فكرة طبيعية إلى حد ما فى نظر كوفين بمجرد بدئه للتباحث مع المسئولين البريطانيين فى عدن (١٩٥) .

ولقد ظهر بوضوح الشغل الشاغل لويبى وذلك فى الخطاب الذى بعث به باللغة الأمهرية الى فيكتوريا ، فقد أعرب أولا عن رغبته فى أن يتلقى ردا من الحكومة البريطانية . وقد أوضحت الإشارات إلى العلاقات البريطانية مع ويلدى سيلاسى وسياجاديس وكذلك الهدايا المرسلة نوع الرد الذى يرغب ويبى فى تلقيه . ويظهر الانتقاد فى مقارنة النشاط الفرنسى بالصمت البريطانى لسنوات كثيرة . وكان غرض خطاب ويبى على أية حال هو مطالبة الحكومة البريطانية بتسهيل مهمة بعثه الكنسية الى القاهرة والتى كان يخشى ان تواجه صعوبات مع السلطات المصرية ، وقد تحول ويبى الى البريطانيين بالرغم من أن الفرنسيين أكدوا له أنهم يملكون القوة ، وفى ذلك يقول « نحن نقول ان البريطانيين أقوياء ، وأنهم مهابون فى المناطق التى تمتد حتى مصوع (فى عهد) راسى ويلدى سيلاسى ، فعليكم بالتالى أن تكشفوا عن قوتكم ، فالله يعرف اننا جميعا مسيحيون (١٩٦) .

(١٩٣) فيريه ، وجالينير ، Vayage المجلد الأول صفحات ٤١٥ ــ ٤١٧ دونشيسن Blandel ص ١٢٨ ــ ١٢٩ مذكرات ووثائق ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، افريقيا ١٣ الحوافظ ٢٢٧ ــ ٢٣٢ ، كومبيز الى جويزو ، ١٨٤١/٩/١ ، وكان هناك ايضا ايطالى يدعى فاليرى مع ويبى آنذاك ، انظر ايضا فيريه وجالينير ، Vayage المجلد الثانى ص ٤٠ ــ ٤٦١ .

(١٩٤) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية باريس مصوع ١ حوافظ ٧٥ ــ ٧٦ ، ديجوتان الى جويزو ، ١٨ مارس ١٨٤٢ .

(١٩٥) وصل كوفين الى عدن بعد ابحار بعثة هاريس مباشرة الى شيوا من تاجورا (١٥ مايو ١٨٤١) لتعطيل الفرنسيين بلاط ساحلى سيلاسى ، انظر فيما يلى الصفحات ١٥٠ ــ ١٥٤ .

(١٩٦) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ ، حافظة ١٤٧ ، ويبى الى فيكتوريا ، دون تاريخ ، ويعتبر خط وإملاء هذه الوثيقة بصفة عامة سيئان غير انهما لا يهيئان اى دلائل توضح من هو الكاتب . وهى مختومة بأسد مستدير مع نقش باللغة الأمهرية « ديجازماتش ويبى ، بى ـ ديجاماتش هايلى ليج ، وليس دادج أزماتش أوبى ، ودادج آزماتش هيلى (ماريام ؟) على نحو ما يفترضه المترجم إيسنبرج ، ولم أجد سببا للارتياب فى صحته ، وعلى أية حال ، فإن كوفين لم يكن مسئولا عن انتاجه وهو الشىء الواضح من المتاعب التى واجهها كروز بضرورة اجراء الترجمة فى القاهرة . أنظر CM/045كروز الى كوآتز ، ١٨٤١/٩/١٥ .

وقررت الحكومة البريطانية تجاهل بعثة كوفين وخطاب ويبى ، الى أن تعرف على الأقل نتيجة بعثة هاريس الدبلوماسية الى شيوا (١٩٧) .

وفيما يتعلق بتعيين مطران جديد ، لم يكن التدخل ضروريا على ما يبدو ، فمع حلول نهاية شهر مايو ، وفى غضون شهر من وصول البعثة تم اقامة قداس تكريس من ابا سيلاما وفى منتصف شهر نوفمبر وصل سالما الى عدوة (١٩٨) وكان ويبى قد أعد خططه بالفعل ، ولم تتح لسيلاما الفرصة لبحث أى مسار آخر غير مساندة طموحاته ليصبح رئيسا لكل الحبشة وفى ١٨٤١/١٢/١٢ غادر ويبى عدوة بقواته التيجرية ، وصاحبه سيلاما فى هذه الحملة الى جوندر وديبرى تابور (١٩٩) .

وعقب قدر من التردد ، انضم بيرو جوشو الى جانب ويبى فى ماريام ويها جنوب شرق جوندر ، وزحفا سويا الى ديبرى تابور (٢٠٠) . وبدا « على » غير مستعد ولا راغب فى القتال ، وعندما وقعت المعركة يوم ٧ فبراير ١٨٤٢ ، كانت معركة يسودها الاضطراب والارتباك ، فقد هزم جيش على فى البداية ، وفر الى الأمان فى وادلا ، وفى نهاية ذلك اليوم تمكن أحد أقارب على وتابعيه وهو بيرو اليجاز ، حاكم ييجو ، ووادلا ، من تجميع بعض أبناء الجالا وتمكنوا من أسر ويبى وحاشيته ، ورأى بيرو جيشو ما يحدث ، وفر الى جوجام واستغرق الأمر عدة أيام للعثور على « على » والتمكن من العودة الى عاصمته ، وتفاوض ويبى بسرعة وبشكل غير متوقع ، وبمساعدة من سيلاما ، تفاوض حول الافراج عن نفسه واستعادة كل أراضيه (٢٠١) . وأثارت نتيجة المواجهة فى ديبرى تابور الحيرة حتى فى التاريخ الأثيوبى المسلسل للأحداث والذى اعتاد على التغيرات المفاجئة فى المصادمات التى لا تتوقف :

(١٩٧) سجلات وزارة الخارجية ، مكتب السجلات العامة بلندن ٣/١ حوافظ ١٥٤ ــ ١٥٥ إيلينبورو الى ابردين ، ٢٣ أكتوبر١٨٤١ .

(١٩٨) السجل التبشيرى الكنسى ، ص ١٨١ ــ ١٨٢ ، كروز ، ٢٠ مايو و١٧ يونية ١٨٤١ . فيريه وجالينير ، Vayage ، المجلد الثانى ، ص ٦٧ ــ ٧١ ليفيفير Vagage المجلد الاول ، ص ٢٩١ ، و٢٩٦ ــ ٢٩٧ و٣١١ .

(١٩٩) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية باريس ، مصوع ١ ديجوتان الى جيزو ، ١٨٤١/١٢/٢٤ ، انظر كونتى روسينى . Rendiconti della Reale Accademia dei lincei « Vicende » ٥ ، ٢٥ ص ٤٦١ ــ ٤٦٢ حيث يضع المؤلف الكاثوليكى أباتيكلى هايمانو المسئولية عن الحملة على سيلاما ولابد وان يكون ذلك جزءا من التحيز ضد سيلاما فى هذا الشأن حيث ان اندلاع الحرب كان متوقعا منذ عهد طويل فى كل انحاء اثيوبيا .

(٢٠٠) فيريه وجالينير ، Vayage ، المجلد ٢ ص ٤٥٨ ــ ٤٦٠ . محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية بروكسل ، ٢/٢٠٢٤ بلونديل الى لويو ، ٢ فبراير ١٨٤٢ .

(٢٠١) كونتى روسينى ، « وثائق جديدة Rendiconti della Accademia Nationale dei lincei مجلد ٢ ، ص ٣٨١ ، نفس المصدر السابق . Rendiconti della Reale Accademia dei lincei «Vicende» ج ٥ ، مجلد ٢٥ ، ص ٤٦٣ ــ ٤٦٤ محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، ٢/٢٠٢٤ ، بلومنديل الى لويو ، ٢٠ يونية ١٨٤٢ ، فيريه وجالينير Vayage مجلد ٢ ص ٤٦١ ــ ٤٧٢ . ولا خلاف بين المصادر الأثيوبية وروايات فيريه وجالينير وبلونديل فيما يتعلق بالحقائق الأساسية سالفة الذكر . ومن بين الرحالة الأوروبين الكثيرين ، ومنهم كرايف ، وليفيفير ، وماركيتز وبلودين الذى نشر روايات عن ثلاثة احداث ، كان فيريه

وكان العالم كله مذهولا من سخاء راس على . اذ كان ما حدث فى ديبرى تابور شىء مذهل يقرب من الاعجاز ، على أية حال ، فالله يحكم كل العباد (٢٠٢) .

وتعتبر معركة ديبرى تابور معركة بارزة لا لأنها أسفرت عن أى تغيرات هامة ، مثلما أسفرت معركة ديبرى أباى فى ١٨٣١ ولكن لكشفها عن الوضع السياسى آنذاك ، فقد كان الهدف الأولى لويبى محددا بشكل واضح : هزيمة راسى على وعزله وانتزاع مركزه . ولا يعرف ما اذا كان يطمح فى مرتبة ملك الملوك أيضا أم لا (٢٠٣) .

وكان المطران سيلاما يود بوضوح ترسيخ نفسه فى جوندر على أنه السلطة الكنسية العليا على كل الاثيوبيين . وأسفر هذا عن التحالف بين الاثنين . وبالرغم من أن رؤساء القبائل التيجرية لم يكونوا يدينون بالولاء لويبى ، فمع ذلك كانوا منقسمين على بعضهم البعض . ولم يكن لدى ويبى ما يخشاه منهم طالما أن هذه الحملة كانت ناجحة (٢٠٤) . وكان « على » فى موقف أكثر صعوبة ، فقد تحداه بيرو جوشو بشكل علنى . وكانت مينين تعانى بعض المشاكل فى تهدئة بعض ارجاء سلطانها الجديد ، لم يكن فارسFaris رئيس لاستا ، أو بيرو اليجازBirru Aligaz رئيس ييجو ملتزما . وقد تم ايقاف « على » فى العام السابق لمعركة ديبرى تابور ، بواسطة اتباعه هو من الجالا المسلمين وذلك عندما حاول المرور عبر ويللو / لمهاجمة ساهلى سيلاسى (٢٠٥) .

ومن جانب آخر ، اخفقت بصورة سيئة محاولة ويبى ليجعل من حملته حربا صليبية ضد الاسلام . ولم يكن لاعلان سيلاما حرمان كل من على ومينين من حقهما الكنسى أى تأثير على ما يبدو وفيما عدا بعض التأثير على يوهانيس ، الامبراطور الاسمى ، الذى فر هاربا من جوندر للانضمام الى ويبى (٢٠٦) . وامتنع ابرز أميرين مسيحيين خارج سيمين ، وتيجرى ، وهما ساهلى

وجالينير الأقرب مكانا وزمانا ، وقد حدد المعركة على ما يبدو متأخرة اسبوعين حوالى ٢٢ فبراير . وذكر بلونديل ٦ فبراير وتيكلى هايمانوت فى « Vicende » ايكانيت (= ٧ فبراير) ويذكر هذا التاريخ الأخير أيضا أنطوان دابادى (المكتبة القومية ، باريس ، أثيوبيا ، ضميمة ٢٦٥ حافظة ١٠٥) . وفى عديد من التقارير الأوروبية ، ينقل عن ويبى انه دفع فدية ، وتتراوح الأرقام ما بين ٢٠٠٠ طالر فى تقرير فيريه وجالينير الى ٤٠٠٠٠ فى تقرير ليفيفير Vayage مجلد ١ ، ص ٣٦٢ .

(٢٠٢) كونتى روسينى ، وثائق جديدة .Rendiconti della Accademia Nationale dei lince ج ٢٨ مجلد٢ ص ٣٨١ .

(٢٠٣) فيريه وجالينير Vayage مجلد ١ ص ٤٨٠ ، مجلد ٢ ص ٧٨ ليفيفير Vaayge مجلد ١ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، و٢٩٢ ــ ٢٩٣ ، أنظر ما سبق ص ٣٥ لمعرفة وجهة نظر ارنولد دابادى وهى ان عليا وبيرو جوشو راودتهما طموحات امبريالية بصورة أو باخرى . وعلى أية حال فإن الدليل غير مقنع لأى من الأمراء الثلاثة .

(٢٠٤) ليفيفير ، Vayage ، مجلد ١ ص ٣١٧ ــ ٣١٩ ، مجلد ٢ ص ٦ ، و ٤٥ .

(٢٠٥) كونتى روسينى ، وثائق جديدةRendiconti della Accademia Nazionale dei lincei ج ٨ مجلد ٢ ، ص ٣٨٠ ، بيل « مقتطفات » متنوعات مصرية ، ١٨٤٢ ، ص ١٤ ، و ١٩ ، ايسنبرج وكرايف ، Jaurnals ص ٣٢٤ ، و ٣٢٨ ، و ٣٣٥ . بلونديل (دونشيسن ص ١٣٦) على ما يبدو قد اقترب من الحقيقة عندما كتب فى ١٨٤١ ان الغيرة بين أتباعه هى فقط التى تفسر ضآلة قوة على .

(٢٠٦) ليفيفير ، Vayage المجلد الأول ص ٣١٩ ، و ٣٥٧ ــ ٣٥٨ . كونتى روسينى وثائق جديدة -Rendicon

سيلاسى أمير شيوا ، وديجازماتش جوشو أمير جوجام ووالد بيرو ، عن الاشتراك بالرغم من نزاعهما الخاص فى الفترة السابقة مع « على » . وكان هناك ، علاوة على ذلك رؤساء قبائل مسيحيين حقيقيين ممن حاربوا فى صف « على » . وكان أحدهم أخ ويبى نفسه غير الشقيق ، ديجازماتش ميرسو ، الذى كان قد حكم فى فترة قريبة متأخرة تيمين كمنطقة تابعة له (٢٠٧) . وكذلك ديجازماتش بيرو اليجاز الذى قرر نتيجة المعركة لصالح « على » . والواقع ان اتباع على المسلمين من ويللو اظهروا على ما يبدو اهتماما أقل بهذا الصراع عما أظهره ميرسو وبيرو اليجاز . وكان اقليم داوينت الذى كوفىء به بيرو عقب المعركة قد تم الاستيلاء عليه بالتالى ، دون تشاور مسبق من رئيس القبيلة المسلم القيادى ، ابن عم على ، الامام ليبن اميدى رئيس ويرى هيمينو (٢٠٨) .

ومن ثم فان من المغالاة فى التبسيط على الأقل النظر الى المواجهة بين ويبى وعلى ، باعتبار أنها بصفة أولية صراع بين المسيحية والاسلام ، فالرابطة الموحدة فى معسكر « على » لم تكن رابطة الاسلام . ولكن كانت الرغبة فى الحفاظ على أسرة ييجو فى السلطة فى وسط أثيوبيا فبيرو اليجاز ، وميرسو من ناحية والدته ، كانا ينتميان الى أسرة الحكام من ييجو ، وفيما يتعلق بميرسو شخصيا ، كانت الحرب تعنى احتمال الاطاحة بويبى والخلافة على أراضى والده . وعقب الانتصار على ويبى ، تلقى ميرسو أيضا سيمين وتيجرى وذهب الى هناك ليضع يده عليهما . . غير أن عليا أفرج آنذاك عن ويبى ، وعندما تكشف أن هذا الأخير غير قادر على استعادة سيمين ، توجه على شخصيا لمساعدته . وهزم ميرسو ، وفر أولا الى منطقة ملاجىء والديبا ثم الى انتشيجى بيت فى جوندر (٢٠٩) . ثم عرض عليه على « لاستا » اذا تمكن من انتزاعها من أخى بيرو ، فاريس اليجاز الذى كان يعتبر أشد منافسى على فى بيجميدير منذ صار علي رئيسا فى ١٨٣١ (٢١٠) . وما ان نجح ميرسو فى تحقيق ذلك حتى تحول على ضده مرة أخرى وقام بسجنه ، أما عن بيرو اليجاز فقد أسره على قبيل نهاية العام وجرده من كل أراضيه وسلمه وشقيقه الى ويبى كأسرى للدولة ، وعندما

---

tidella Accademia Nazionale dei lincei. ج ٨ مجلد ٢ ، ص ٣٨١ ، بيل « مقتطفات متنوعات مصرية ، ١٨٤٢ ، ص ٢٥ ، فيريه وجالينير Vayage مجلد ٢ ص ٢٤٨ .

(٢٠٧) لبفيفر ، Vayage ، مجلد ١ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢٠٨) ايسنبرج وكرايف ، Journale ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٨ فيريه وجالينير Vayage المجلد الثانى ، ص ٤٦٩ ، يذكر ان شقيق بيرو ، فارس هو الذى تلقى داونيت ، بينما تلقى بيرو مناطق أخرى . والمصادر النابعة من ويللو شحيحة جدا ، وقد حظى كرايف أثناء سفره عبر هذا الاقليم بعد حوالى شهر من المعركة ، باستقبال ودى مرتين من الامام ليبن . وكانت بعض قوات الامام قد اشتركت فى المعركة ، غير انه لم يكن هناك على ما يبدو حديث عن الحرب مع ويبى . وبالرغم من ان كرايف يشير مرارا الى تعصب ويللو المسلمة ، فإن تجاربه الخاصة ببلاط ليبن « ممثل السلطة المحمدية فى الحبشة . . المحمدى كما يطلقون عليه بصورة بارزة تكمن وراء هذه ، التصريحات Journals ص ٣٤٢ ، ٣٤٧ .

(٢٠٩) كونتى روسينى « وثائق جديدة ، Rendicnti della Accadmia Nazinale dei lincei ج ٨ ، مجلد ٢ ص ٣٨١ ، فيريه وجالينير ، Vayage مجلد ٢ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٤ .

(٢١٠) كونتى روسينى Rendiconti della Reaie Academia dei lincei « romace » ج ٥ مجلد رقم ٢٥ ، ص ٩١١ ـ ٩١٢ .

حلى لويبى الافراج عنهما قام بذلك ، وأفرج أيضا عن ميرسو مرة أخرى ، وتم منحه منطقة جوجام حيث كان عليه ان يقاتل بيرو جوشو بالاصالة عن على (٢١١) .

ويستمر ذلك فى عهد الامراء والقضاة ، واذا كان هناك ثمة نمط ما على الاطلاق ، فهو نمط الحرب الاقطاعية ، والتى كانت العلاقات فيها بين أصحاب الأراضى والأتباع لا تعمل الا اذا تعرضت الوحدات الكبرى للخطر ، وبمجرد اجتياز الخطر مثلما حدث فى ديبرى تابور ، تطفو على السطح مرة أخرى الصراعات داخل تلك الوحدة . وعلى هذا المستوى أيضا وداخل المملكة الفرعية لبيجميدير ، لعب التوتر بين المسلمين والمسيحيين دورا . غير أنه ليس هناك دليل على أن معاملة على السيئة لاتباعه المسيحيين كانت تقوم حقيقة على أساس تمييز دينى ، وكان التفسير السائد هو أن هناك احساس بأنهم أكثر خطورة على مركزه من اتباعه المسلمين وبالتالى يتعين الابقاء عليهم فى تشاحن فيما بينهم .

ويقال ان عليا طلب من المطران سيلاما قبيل معركة ديبرى تابور التوسط وأعلن أنه يود من المطران اعادة تعميده « اذا كان يرتاب فى مسيحيته ، ويقال إنه أقسم بعد المعركة على أنه لم يذبح ثور فى معسكره على الاطلاق الا بعد التسمية عليه باسم الاب والابن والروح القدس (٢١٢) . وتعرب القصص التى من هذا النوع عن قلق الأثيوبى العادى واهتمامه بالنقاء الشعائرى ، وقد اظهر على فى هذا الصدد دون شك عدم التحيز ، والتسامح تجاه العشائر الاسلامية (٢١٣) .

بل إن مجرد استخدامه لاسم مسلم لا يعتبر دون مغزى ودلالة . غير أن من العسير الظن بأنه اعلن عن نفسه بأنه مسلما على الاطلاق أو بحث بصورة جدية عمل ذلك (٢١٤) . وكان على ومستشاروه يعرفون أنه يعتمد فى مركزه على الأقل على ولاء رعاياه المسيحيين بنفس قدر اعتماده على ولاء مؤيديه من المسلمين ، أما عن ميول على الشخصية فلازلنا لا نعرف الا القليل عنها بل ان المؤرخ الذى لم يخش فى إحدى الفترات عن مقارنة على بأحمد جران نجده يلخص المناقشة لعقيدة على قائلا « الله وحده يعلم (٢١٥) .

---

(٢١١) كونتى روسينى « وثائق جديدة ، Rendiconti della Accodmia Vazienale dei lincei ج ٨ ، مجلد ٢ . ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، ليفيفير ، Vayage المجلد ٢ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢١٢) فيريه وجالينير ، Vayage مجلد ٢ ، ص ٤٦٣ ، ٤٧٠ .

(٢١٣) وأثناء الصوم الكبير ١٨٤١م أبدى بيل (مقتطفات ، متنوعات مصرية ١٨٤٢ ص ١٤) . ملاحظة أن جوشو صام غير أن عليا لم يصم ، ومن ثم أعتبر مسلما .

(٢١٤) وتلك هى وجهة نظر فيريه وجالينير Vayage مجلد ٢ ص ٨٠ اللذان يبدو انهما نظرا بموضوعية أكبر الى الوضع السياسى الاثيوبى مما نظر معظم الرحالة الاوروبين الآخرين ، وقد يكون اختلاف نظرة روشيه ، وهاريس (أنظر ما سبق ، ص ٩٠ رقم ١٨٨ ، وابير ، أثيوبيا ص ١١٥) فإن ذلك قد يكون مرجعه الى ان الانباء والاشاعات عن على مرت عن طريق ويللو المسلمة فى طريقها الى شيوا .

(٢١٥) كونت روسينى ، « وثائق جديدة ، .Rendiconti delle Accademia Nazionale dei ٨ مجلد ٢ . ص ٣٨٢ ، ٣٨٩ .

غير ان موقف على الشخصى والتوازن الدقيق بين التأثيرات المسيحية والإسلامية فى بجميدير ، وويللو ليست سوى بعد واحد من مشكلة أثيوبيا مع الإسلام آنذاك ومع أن الضغط المصرى على حدود أثيوبيا الغربية تناقص بصفة مؤقتة فى ١٨٣٨ (٢١٦) ، فإن التغلغل المصرى والعربى لم يتوقف . بل إن الادعاءات العثمانية الغامضة بالسيادة على الحبشة اخذت تتضح بصورة أكبر وأدت رغبة محمد على فى اقامة دولة مصرية مستقلة تماما أدت الى حرب مع السلطان فى عام ١٨٣٩ . وعندما كانت مصر ناجحة عسكريا ، تدخلت عدة قوى أوروبية تتصدرها بريطانيا العظمى لصالح السلطان وفرضت تسوية يتخلى محمد على بمقتضاها عن كل أراضيه الأسيوية تقريبا ، بما فى ذلك الحجاز مقابل مغنم محدود الا وهو الولاية على مصر بالوراثة (٢١٧) .

وفى أكتوبر ١٨٤٠ ، وبينما الحرب لاتزال دائرة ابلغ على رضا باشا فى بغداد الوكيل البريطانى هناك « بأنه رشح من الباب العالى ليحكم الجزيرة العربية وملحقها المعتاد الحبشة ، وتصميمه على ارسال نائبه الى جدة فى أسرع وقت ممكن . . . » (٢١٨) .

وكان باشا الحجاز أسبق من ذلك بخطوة ، إذ أرسل بالفعل وكيلا هاما يدعى محمد البصراوى لزيارة بلاطى وبيى ، وعلى . والتقى ارنولد دابادى به وتحدث معه فى مصوع فى اغسطس ١٨٤٠ ثم مرة أخرى فى جدة قرابة عام بعد ذلك (٢١٩) . ويقال إن عثمان الحاكم تحدث فى اللقاء الثانى مع ارنولد حول المطالبات العثمانية بالسيادة على أثيوبيا ، ويبدو أن محمدا كان متفتحا جدا بشأن اهداف بعثه الى راسى على ، فقد أبلغ ارنولد أنه صدرت اليه التعليمات بنقل هدايا الى على ، ومحاولة كسبه الى صف الإسلام ، ووعده باسم السلطان بالمال ومدفع ، وجنود ليتمكن من إخضاع كل شمال الحبشة حتى الساحل وإجبار الشعب على اتباع الإسلام (٢٢٠) .

وكما سبق ان شاهدنا فإن هذا النوع من البرامج كان غير واقعى الى حد ما فى ضوء الوضع السياسى الفعلى فى أثيوبيا ، ولا أحد يعرف بالطبع ما اذا كان هذا الوضع متطرفا فعلا مثلما ذكر ارنولد دابادى أم لا . ومن جانب آخر ، لم يكن محمد البصراوى المبعوث الوحيد من جيران اثيوبيا المسلمين . فان حتى محمد على نفسه كان مشغولا بشئون أخرى ، وعلى وشك فقد السيطرة على سواكن ومصوع ، وظل هو ، أو على الأقل حاكمه فى السودان ، أحمد أبو ودان ، يراقب عن كثب التطورات فى اثيوبيا عن طريق التجار المسلمين والوكلاء الأخرين ، والواقع أن أحمد باشا كان له ما يشبه الممثل الدائم لدى راسى على منذ حوالى ١٨٤٠ ، وهو الشيخ على بن محمد (٢٢١) . ولربما

(٢١٦) أنظر ما سبق ص ٦٩ ــ ٧٠ ، ٧٧ .

(٢١٧) أنظر P.M.Holt ، مصر والهلال الخصيب ١٥١٦ ــ ١٩٢٢ ص ١٨٦ ــ ١٨٧ م

(٢١٨) سجلات الخارجية ـ السجلات العامة بلندن ٣/١ حافظة ٦١ ــ ٦٤ تايلور الى اللجنة السرية ١٠/١٠//١٨٤٠م (تأكيدى) .

(٢١٩) دابادى Dauzenas ، ص ٥٥٨ .

(٢٢٠) الفاتيكان كارت دابادى ، صندوق ١٦ ، ص ٩ ــ ١٠ .

(٢٢١) المحفوظات القومية ، القاهرة ، بحربرة ، كارتونة ١٩ ، رقم ٤٣ ، على الى محمد على ٧ يونية ١٨٤٤م .

كانت احدى مهامه محاولة إثارة اهتمام على بالعقيدة الاسلامية والشريعة الإسلامية . غير ان الإشاعات والتقارير لم تتناول تحول على عن دينه فحسب ، بل وكذلك عن النداءات طلبا للمساعدة وتحالف فيما بينه وبين المصريين (٢٢٢) .

وقد تحدث على فى خطابين كتبا فى يونية ١٨٤٤ الى محمد على ، والى احمد مانيكلى وهو خليفة أحمد أبو ودان ، عن صداقتهما مستخدما الأسلوب المعتاد « إن جنودكم جنودى وجنودى جنودكم » ، و « عدوكم عدوى ، وعدوى عدوكم » (٢٢٣) . وحيث ان عليا قد أشار الى أن صداقته مع أحمد أبو ودان استمرت اربع سنوات فإن من الواضح على ما يبدو أنه يحدد تاريخها اعتبارا من وصول على بن محمد . ولكن سواء كانت هذه الإتصالات قد تطورت الى أى نوع من أنواع التحالف قبيل معركة ديبرى تابور . . أم لا فان هذا يعتبر امرا مختلفا كليا .

وقد نقل القنصل بلونديل ، الذى زار عليا فى يونية ١٨٤١ ، وقضى بقية تلك السنة مع جوشو وبيرو فى جوجام ، أن عليا بعث رسولا الى محمد على طلبا للمساعدة ، عارضا احتمال حبشة مسلمة مستقبلا مقابل ذلك ، ونقل ان الوالى المصرى بعث برد متعاطف مصاغ بنفس الاسلوب سالف الذكر . ومع ذلك ، يتردد أيضا من جوندر بعد نصف سنة انه لم يكن هناك أى أساس للإشاعات عن اعتناق على الإسلام ونقل من الخرطوم بعد وصوله اليها ان صديقه جوشو نفس بطل المسيحية فى منطقة تانا ، رجاه أن يقنع احمد باشا بالعدول عن الرد على عروض على التحالف وأن يقبل عروضه هو بدلا من ذلك (٢٢٤) ، وهذه التصريحات مثل كثير من مثيلاتها من القنصل البلجيكى لا يتعين أخذها مأخذ الجد . وما كان يهمه حقيقة هو أن تؤمن حكومته بأنه كان يجرى ابلاغه من باب الثقة فيه ، بالخطط السرية للحكام الإثيوبيين وبأنه كان مستشارهم والناصح لهم وأنه تلقى عروض ابرام معاهدات ، وتحالفات ، وتنازلات عن أراضى :

والآن أجد نفسى المستشار الحميم بالإكراه لاتيجى مينين ، والإتشيجى مثلما كنت فى ديبرى تابور ، وفى ديمتشا ، وفى ديما ، وفى جوديرا مستشارا للراسى لجوشو ، وبيرو ومستشارا للملك السجين وكانت محصلة مؤتمراتنا السرية هى . . . . » (٢٢٥) .

ومن الأمور ذات الدلالة أن راسى على فى خطابه الى محمد على بتاريخ ٧ يونية ١٨٤٤ ، ابلغ الوالى المصرى بمعركة ويبر تابور كما لو كان لم يبعث بأى معلومات خلال فترة تزيد عن عامين

(٢٢٢) أنظر آبير ، إثيوبيا ١١٣ ــ ١١٥ .

(٢٢٣) المحفوظات القومية ، القاهرة ، كرتونة ١٩ رقم ٤٣ على الى محمد على ١٨٤٤/٦/٧م رقم ٤٤ . على الى أحمد مانيكلى ، ٧ يونية ١٨٤٤م والاقتباسات مأخوذة من الخطاب الثانى ، ويستخدم عليا أيضا التحيات الاسلامية بإفراط فى بداية رسائله وربما كان ذلك ليعطى الانطباع بأنه تابع حقيقى للنبى .

(٢٢٤) محفوظات وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، ٢/٢٠٢٤ ، بلونديل الى ليو ، ٢٣ يوليو ١٨٤١ ، ١٥ ــ ٢٥ يناير و ٢٠ يونيو ١٨٤٢ . وكان جوشو من بين الأمراء الاثيوبيين مقربا الى نفس بلونديل ، وبصورة اكثر اخلاصا الى أرنولد دابادى .

(٢٢٥) نفس المصدر السابق ، بلونديل الى لوبو ، ١٥ ــ ٢٢ يناير ١٨٤٢ ، دوتشيسن ، بلونديل ، ص ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ــ ١٧١ .

مرت منذ تلك الحرب . والى جانب ذلك فإن كل الهدف من الخطاب وكذلك من الخطاب المرسل إلى احمد مانيكلى بنفس التاريخ كان الإستفسار عما حدث فيما يتعلق ببعض الهدايا التى كان على قد تم افادته بأنه سيتلقاها . وكانت هذه الهدايا عادية تماما :

أسراج مطرزة ، أوعية للقهوة ، أكواب ، وسائد قطيفة وملابس ثمينة أخرى ، ويبدا أنها احتجزت فى الخرطوم بسبب وفاة ابو ودان فى أكتوبر ١٨٤٣ ، وفى ضوء جميع الطلبات من الأسلحة النارية والهدايا منها والتى تناولها الأوروبيين ، فإن من الأهمية ملاحظة انه ليست هناك إشارة الى أى أسلحة بين الهدايا أو أى احساس بخيبة الأمل ازاء ان المصريين لم يساعدوا عليا فى الحرب الأهلية (٢٢٦) .

والواقع ان القوات المصرية قامت بعمليات فى أراضى الحدود الأثيوبية فى الفترة من ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ .

بيد أنها كانت ترمى الى أهداف أخرى عملية بصورة أكبر من مؤازرة راسى على فى صراعه مع ويبى ، ويبرو ، ففى الشمال ، كان احمد أبو ودان مصمما على اخضاع قبائل البيجا ، فى جاش السفلى ، وتأسست نتيجة لحملته فى ١٨٤٠ كسلا ثم تطورت لتصبح مركزا عسكريا واداريا رئيسيا لشرقى السودان ، ثانيا كان أحمد لديه مشاكل مع رؤساء القبائل السودانيين الذين ساروا على منوال مبيك نيمر الذى عمد الى الفرار من الحكم المصرى ومن الضرائب المصرية الى المستنقعات الحبشية حيث تعقبه أحمد .

وثالثا كان أحمد مشتبكا (فى الفترة ١٨٤٠ ـ ١٨٤١) بالتحديد فى غارات واسعة من أجل الحصول على عبيد على طول الحدود الممتدة حتى جنوب كورموك (٢٢٧) .

وحكمت مينين والدة على ـ باعتبارها حاكمة (ديميا) . واقاليم الحدود الممتدة من ارما شيهو فى الشمال حتى اجيوميدير فى الجنوب ، أى معظم المناطق المتاثرة ، وفى ظل هذا الوضع ليس من المحتمل ان تكون مينين قد دعت للقوات المصرية الى دخول أراضيها . بل على العكس من ذلك ، فقد شكت بمرارة الى أحمد ما نيكلى من المداهمات والغارات من أجل العبيد من جانب تابعه كاش . « وطلبت منه اعادة ٧٠٠ من رعاياها الذين جرى استعبادهم واقترحت تعاونا لاحلال السلام بمناطق الحدود بعد اضطرابات العام أو الاعوام الأخيرة من حكم أحمد أبو ودان ، غير انها لم تشر فى أى مكان الى اى رغبة فى الماضى أو فى المستقبل للحصول على مساعدة مصرية فى المصادمات فيما بين ابنها على ومنافسيه (٢٢٨) . وربما يرجع ما نقله المبشر الكاثوليكى تويجى جونتورى على سبيل المثال بخلاف ذلك ، الى رغبة المبشرين الكاثوليك فى عودة ويبى اليهم . . . .

---

(٢٢٦) المحفوظات القومية ، بالقاهرة ، بحربرة ، كرتونة ١٩ ، أرقام ٤٣ ، و ٤٤

(٢٢٧) انظر هولت ، التاريخ الحديث ، ص ٥٥ ـ ٥٨ ، هيل ، السودان ، ص ٧٠ ـ ٧٢ .

(٢٢٨) المحفوظات القومية ، القاهرة ، بحر برة ، كرتونة ١٩ رقم ٥٦ ، مينين الى احمد مانيكلى ، دون تاريخ ، ولا يمكن تحديد تاريخ هذا الخطاب بدقة غير انه بالتأكيد قد كتب إما فى يونية ١٨٤٤م عندما كتبت خطابات على ، أو

مشروعات بلونديل :

لم يلعب أحد لعبة الاستعمار القديم بحيوية بالغة وتردد ضعيف على الساحة الاثيوبية أكثر من القنصل بلونديل ، فقد اقترح على حكومته قبل ذهابه الى اثيوبيا انه سيسعى لاستقطاب من ٢٠٠ الى ٣٠٠ رجل من خلال التحالف مع ويبى وذلك بهدف تدمير القبائل الموجودة على الساحل والعمل على تقسيم أراضيهم (٢٣٠) ، أما فى مصوع فقد كانت الصورة مختلفة ، حيث قرر بلونديل انه حصل على عرض من الملاك الحقيقيين بشراء انافيلا بمناطقها الواقعة خلف الساحل وكذلك سهول الملح الذى يمتلكها ٢٠٠٠ من جنود المشاة ولكن لسوء الحظ فانه لم يستطع ان يقبل هذا العرض ، بسبب افتقاره للمال والقوة التى تمكنه من تحدى ليفيفرLefebvre فى ذلك الوقت . على الرغم من أن هناك ما يثبت ان العرض كان حقيقيا فعلا كما أشار ، وان ويبى باع أوسعى لبيع فرنسا ما لا يملكه (٢٣١) . ويمكن القول ان وجود مثل هذا الموقف فى الشمال كان أمرا على قدر كبير من التعقيد والخطورة ولهذا فقد رفض بلونديل ان يشترك فى أى مفاوضات مع ويبى (٢٣٢) . وبمجرد ان وصل الى اثيوبيا الوسطى ، لم يكن هناك شىء بعيد المنال أو يحتاج للمناورة بالنسبة للقنصل البلجيكى فيما يتعلق بأسلوب التغيير السياسى وكذلك التحالفات والتنازلات . فقد شجع ديجازما تشى جوشوDijjazmach Gashu فى جوجامGojjam والذى كان يواجه صعوبات جمة فى الدفاع عن اقليمه ـ ضد ابنه وعرض عليه ان يقدم له كل ما يحتاجه للسيطرة على كل اثيوبيا .

وقد استجاب جوشو بالفعل وحدد له احتياجاته كالآتى : ـ « بمائة بلجيكى ليس هناك شىء لا استطيع عمله ، ومع ذلك ، ففضلا عن مساعدة البيض ، فاننى احتاج الى ١٠٠,٠٠٠ طالر (العملة المحلية فى اثيوبيا) و٧,٠٠٠ جندى مشاة » (٢٣٣) .

واذا كانت هذه المحادثة قد تمت فعلا وكانت جادة ، فان هذا معناه ان الـ ١٠٠ بلجيكى هم ما يستطيع ان يقدمه بلونديل وان جنود المشاة والعون المالى هما مايرغب جوشو فى الحصول عليه .

فى أعقاب ذلك . ولم يجر ذكر اسم الشيخ على بن محمد الذى كان ببلاط مينين فى جوندر فى يونية ١٨٤٤م (توبيانا ، /دجزءان Roczmir Orlentalistyczny وارسو) مجلد ٧٥ ، ج ٢ ص ٤٨ ، فى خطابهما مثلما فى خطابات على فى ذلك الشهر .

(٢٣٠) بلونديل الى ثيو و الجزء الثانى ٢/٢٠٢٤ ، بروكسل A/E فى ٢٥ ابريل ١٨٤٠ ، وليتز الى ليو ١٤ أغسطس ١٨٤٠م ، يبدو أن الحكومة البلجيكية وجدت ان هذا أمرا يتضمن مخاطرة كبيرة ، وان على بلونديل الا يلجأ الى استخدام القوة .

(٢٣١) Duchesne Blandeel RP 110, 118 - 210

(٢٣٢) AE Brussels بلونديل الى ديجوتين ٢٩ ابريل ١٨٤١ . اذا فعل ذلك رغم وجهات النظر المتضمنة فى هذا الخطاب فليس هناك سجل يتضمن هذا الاتفاق أنظر Duchesne, Blandell ديوشين ـ بلونديل ص ١٢٨ ـ ١٢٩ . P.P 128 - 9

(٢٣٣) AE Bnussels 202 4 II بلونديل الى ليوه ، ١٨٤١/٩/٢٠م . الاستشهاد مستخلص من جزء من الرسالة المكتوبة بالشفرة ، فى النص الأصلى لا يوجد نص واضح بين المادتين Duchesne يبدو انه استخدم نسخة

وقد نصح جوشو بتقديم طلبه كتابة الى الامبراطور البلجيكى ، وبالفعل تم كتابة الخطاب وتم ارساله فى حقيبة بلونديل الدبلوماسية فى ٢٠ سبتمبر ١٨٤١ ، وقد احتوى الخطاب على ثلاث نقاط ، أولها اذا حصل جوشو على بعض السلاح والمال فان هذا سوف يضع نهاية للحروب الاهلية فورا ، وان البلجيكيين سوف يطردون الاتراك من مصوع عن طريق الهجوم عليهم من البحر ، واذا اتى القنصل ، فانه سيتم استقباله وحمايته كصديق . ومن ناحية أخرى فقد أضاف بلونديل بانه لا يريد الكشف عن أى من افكاره الخاصة ، وعلى هذا فانه لم يذكر أى بديل لطرد الاتراك من مصوع ولم يطلب من جوشو أى مقابل فى حالة موافقة ليوبولد على التحالف (٢٣٤) ، بيد أن القنصل حدد فى ذهنه الثمن بالضبط ومع ذلك فقد شعر بالاسى لعجزه عن الدخول فى اتفاقات ملزمة خاصة وانه كان من السهل الحصول على كل التيجرى من جوشو مقابل ١٠٠٫٠٠٠ طالر . والـ ٧٫٠٠٠ جندى مشاة ، وقد انشغلت عقليته المبدعة بدلا من ذلك بكثير من الاحتمالات منها شراء « انافيلا » مقابل مبلغ يتراوح بين ١٫٠٠٠ الى ٥٫٠٠٠ طالر وشراء « اجامى »من وبيى (بدون ثمن واضح) وشراء كل « التيجرى » من على الذى يبغض وبيى والذى لا يملك أكثر من ١٫٠٠٠ طالر تحت امرته (وذلك فانه يمكن أن يبيع ارخص من جوشو) . كما انشغل بلونديل بتقديم المساعدة لحاكم اجامى وهو جواجسويل سيباجاديس Gwanguil Sebagadis الذى قبل ان يتنازل سعيدا عن اقليمه مقابل الثأر من عدوه اللدود وبيى (٢٣٥) . . . الخ . ومن المثير للملاحظة ان بلونديل سجل « طلبا واحدا عاديا » من جوشو وهو : امارسال عدد قليل من الفنيين البلجيكيين المهرة أو اعطاء الفرصة لبعض الافراد من قبيلته للذهاب الى بلجيكا لتلقى التعليمات هناك وقد طرح بلونديل اقتراحا بديلا وهو الاعتماد على البعثات التبشرية الكاثوليكية للقيام بهذه المهمة وقد قام جوشو بالتالى بكتابة الخطاب الذى طلبهم بمقتضاه (٢٣٦) . وفى أعقاب ذلك بأيام قليلة ، حاقت بجوشو

اخرى غير الملحقة بالرسالة الأصلية وكذلك الاستشهادات « لكن دون مساعدة » وبالنسبة لى فإن الاعادة بالقول (ليس فى) بمعنى (ولكن) كانت هذه الاعادة أو التغيير شيئا مقنعا وعلى أية حال فمن المثير للسخرية الاعتقاد ان جوشو أو اى رئيس أثيوبى آخر سوف يعتبر الـ ١٠٠ جندى أوروبى « من ناحية و ٧٠٠٠ بندقية و ١٠٠٫٠٠٠ طالر من ناحية اخرى » بحكم اعتبارها وكأنهما بدائل متعادلة أو متوازنة .

(٢٣٤) AE Brussels 2024, II بلونديل الى ليبو ١٨٤١/٩/٢٠م من المستحيل ان نحدد بدرجة من الدقة هل كان خطاب جوشو ترجمة صحيحة جدا لوثيقة أمهرية أو لرسالة أو حديث . فلا توجد وثائق أمهرية ضمن أوراق بلونديل وقد قرر القنصل السابق انه فقد أوراقه فى حطام سفينته فى ١٨٧٦م . FO401/2P.P 836 - 8 Blandell to) Scalet 120c¾, 1867 (لكن يبدو انه من غير المحتمل ان يحتفظ بالخطابات الأصلية المرسلة الى مليكه لفترة تصل الى ١٥ سنة .

(٢٣٥) AE Brasselt 2024/II Blandeel to lebeau 24 Sep 1841.

(٢٣٦) Ibid هذا الخطاب أيضا نسخ فى رسالة بلونديل . والنسخة الايطالية موجودة فى SRC , APF وافريقيا الوسطى واثيوبيا . انظر ايضا 6 - 154 .Duch esn, Blandeel P.P حاول ارنولدى ابادية اثارة اهتمام جوشو بالارساليات الكاثوليكية ولكنهن لم يكن ينوين أساسا القيام بمهامهن فى جنوب جالاسى بآبى (BN, Ethiop Abb 254 Fol.1 Coshn to Gregrieus XVI, n.d) سنوضح أصل هذا الخطاب فى الملاحظة الهاشمية فى الترجمة الفرنسية .Letre Inspiree et dictee au punce par M.Arnauld d'Abbadie

هزيمة منكرة على يد ابنه بيرو Birru وقد قام بلونديل بزيارة الطرف المنتصر والذى يزعم انه تحدث مع القنصل البلجيكى عن بعض الاسرار والشئون الداخلية الهامة ، ولذا فلا يجب ان يندهش المرء من ان هذه الأمور قد تم تضمينها فى معاهدة مع بلجيكا وقد اعترف بلونديل بأنه تم الوصول لهذه المعاهدة مع جوشو ، وان الاتصالات تمت عن طريق حقيبة ٢٠ سبتمبر ، وان كل ما حدث كان مجرد تجديد للاتفاق مع بيرو على أسس وشروط أوضح وبذلك كان من السهل عليه التوصل الى اتفاق آخر مماثل مع على ، « الا انه كان طفلا فى ذلك الوقت ، ولم يكن من السهل الا يصمت ». ويمكن القول ان الدليل الوحيد الملموس على حدوث مفاوضات مع بيرو كان الخطاب المرسل من جوجام يطلب ارسال من يعلم القبائل فى جنوب جالا فى آبى تعاليم المسيحية (٢٣٧) ولكى يتفادى بلونديل احتمالات الراسى اذا طرأ فى رأسه شىء ما . . فان بلونديل استطاع ان يقنع والدة على بأن تضع أمام ملك بلجيكا طلبا لعقد اتفاق ينص على التنازل عن آجامى وانتالو مقابل ١٥٫٠٠٠ طالر ، ٣٫٠٠٠ جنود مشاة يتم دفعها خلال ستة شهور بعد ان تتسلم بلجيكا المناطق التى تم التنازل عنها ، وقد رأى بلونديل أن هذه المعاهدة الدفاعية والهجومية مقبولة ، ولكنه شعر انه لا يستطيع ان يضطلع بمسئولية تنفيذها وذلك لأنه ليس هناك من يستطيع أن يتنبأ بنتيجة المعارك التى قد تنشب نتيجة لذلك وعلى أية حال فان بلونديل أكد مرارا حرصه على الاحتفاظ بكل الابواب مفتوحة خاصة وان هذا يتيح لبلجيكا اختيار حلفائها بدقة ، فقد كانت بلجيكا تتصرف كدولة مستعمرة بدون أى اتفاقات تنظم علاقاتها بالمناطق التى كانت تستعمرها وقد قال بلونديل « اننى دائما حريص على أن يكون دورى قاصرا على تقديم النصيحة بامكان اقامة تحالف مع أو الحصول على حماية مليكى بدون تقديم وعد بأى شىء »(٢٣٨) .

وما سبق بالفعل يمكن اعتباره خلاصة ملائمة وصالحة لمنهج بلونديل يوضح كيف يفكر وعن ماذا يتحدث . ولم يكن القنصل البلجيكى فى هذا المجال استثناء على الاطلاق ، ولكن كان هناك جانب آخر تفوق فيه على زملائه ، فعلى الرغم من أنه حدد احتياجاته لدى حكومته ، فانه بدا كما لو أنه محجم تقريبا عن تحديد طلباته لدى الرؤساء الاثيوبيين كما انه لم يعدهم بأى شىء ، ولا عجب اذن ان مفاوضاته كلها باءت بالفشل وان معاهدات واتفاقاته التى تم صياغتها لم يتم التوقيع عليها ابدا . ولم يمثل مثل هذا الوضع أى أهمية لبلونديل ، ففى تقريره العام وبعده أيضا ، استشهد برغبة الرؤساء الاثيوبيين فى الحصول على حماية كمؤشر على سهولة هزيمة اثيوبيا وكذلك سهولة حكمها كلها أو حكم المناطق التى ترغب بلجيكا فى تحويلها الى محمية وقد كانت بالنسبة لبلونديل شراء انافيلا وتحويل تجارة مصوع بمثابة الخطوات الأولى والوحيدة المؤدية لاقامة مستعمرة بلجيكية واسعة وفتح سوق لها قوامه ٢٠ مليون نسمة وهكذا كان بلونديل طموحا يبنى قصورا فى الهواء ، الى درجة انه حتى لم يقم بزيارة انافيلا (٢٣٩) .

---

(٢٣٧) AE Brunels 2024, II, Blondell to Lebeau, 22 Nov 15-25 Jan 1842 APF, Sec, Africa central, Ethiop ecc... 4, Fol 254, Crummey. أن الاستشهادات المستخلصة من خطاب جوشو كانت خاطئة .

(٢٣٨) AE Brussela 2024/11, Blandeel to Lebeau, 2 Feb and 15-25 Jan, 1942.

(٢٣٩) Duchessne, Bloneel P.P 181-7, 199 من الصعب فهم حماس Duchenne لمشروعات

ان ما فعله رجل مثل بلونديل بيجدمير وجوجام يستحق التأمل . وقد وجد جوشو انه امر مسل ، على الأقل ان بلونديل كان يطلق عليه لقب الملك ، فى الوقت الذى كان يلقب الملك ليوبولد أحيانا بالامبراطور وأحيانا ديجازماتش (٢٤٠) . وقد ادرك جوشو الاختلافات جيدا . فقد كان حفيد عائلة هايك الشهيرة فى جوجام كما كان النبيل البارز فى الاقليم . وكان يرغب لسنوات طويلة فى الوصول لرتبة الراسل وذلك قبل حصوله عليها من الامبراطور ساهلى دينجل عام ١٨٤٨ (٢٤١) .

ورغم أن الامير الجوجامى كان لديه الراس الفرنسى ، وهو ارنولد دابادى ضمن اتباعه ، فان ذلك لم يؤد الى شعوره بمزيد من الاحترام لمبعوث الديجازماتشى البلجيكى ، وعلى اية حال فانه اذا كان بلونديل فعلا المح لشراء كل أو جزء من التيجرى من جوشو أو من على أو منين فانه ليس من المرجح على الاطلاق أن يكونوا قد اخذوا هذه المقترحات بحرية . ومع ذلك ، فان بلونديل لاريب انه كان يمثل شخصية ما جاءت الى اثيوبيا واثرت فى تاريخها لمدة قرن من الزمان ، وامتدادا لمقترحات بلونديل الفجة ، فقد ظهرت كثير من المحاولات الاوروبية لكسب موطىء قدم فى اثيوبيا من خلال التدخل عندما تصاعد التوترات والصراعات الداخلية وفى نفس الوقت فقد قام كثير من الرحالة بجمع معلومات سياسية هامة واقاموا اتصالات على كل المستويات وبعد نجاح غزو اثيوبيا فى بداية الاربعينيات انتهت مشكلة ابقاء المراقبين الاوروبيين بعيدا عن منطقة الجوندر حتى فقدان اهميتها السياسية ، ولعدة سنوات اخرى ، مارس الاوروبيون مزيدا من الضغوط على التيجرى بالدرجة الاولى وكذلك على اراضى الحدود الشمالية . ومن ناحية اخرى كان هناك التوسع المصرى الذى كان يمثل التهديد الاكبر لبقاء اثيوبيا .

الصراع المتزايد فى الشمال :

عندما رحل وبيى الى بيجدمير فى ١٨٤١ ، ترك التيجرى فى قبضة بعض مستأجرى الاراضى ، الا ان النقطة الاكثر اهمية فى ذلك كانت تمثيل بلاجادا ارايا سيلاسى ديمسو Balgada Araya Sillase Dimsu لمزاعم بيت ويلدا سيلاسى . فقد ظهر بلاجادا كمناصر لاستقلال التيجرى (٢٤٢) ، وذلك بعد ورود انباء هزيمة وبيى ، واستعد على الفور ليفيفر لاستئناف نشاطاته السياسية ، ففى ١٧ فبراير ١٨٤٢ ، ارسل تقريرا عن تزايد الفرص التجارية وازدهارها وعرض القيام باحتلال انافيلا فور تلقيه تعليمات بذلك (٢٤٣) .

بلونديل equel sens des realtis Ibid P.4, ar of C.J Jaen بلونديل : المحاولة البلجيكية لاستعمار اثيوبيا ، 18 .African off ains LVC 1956 P.P 214 ان مهمة بلونديل البارزة هى التفاوض للتحالف مع رؤساء القبائل فى اثيوبيا . إن المسح السابق يوضح انه لم يتم الوصول لأى تحالفات .

(٢٤٠) Duchessne, Blondeel PP 142 - 3

(٢٤١) Duchessne, Blondeel PP 142 - 3 Duchessne, Blondeel PP 142 - 3

(٢٤١) Conti Rassini, Nouvi docunenti, AANL, 8,11,P.395

(٢٤٢) Le febue, Vayage, val.1,P.P. 320, 352 - 3,

(٢٤٣) AEMD, Afrique 13, fols 86 - 91

وبعد ذلك بأيام قلائل قام بزيارة ارايا سيلاسى وطلب منه الحصول على ميناء باسم الملك الفرنسى ، وقد كان القنصل ديجوتين Degoutin لا يتوقع أن اريا سوف يوافق على منحه ذلك ، واضاف ان حاكمه أ, مالكه انافيلا عليه ايرو استسلمت واصبحت خاضعة للسلطات (٢٤٤) . وبعد ذلك بشهور قليلة عزز ارايا مركزه . وانفتحت شهية ليفيفير Lefebure وتخيل انه رجل ذو اهمية سياسية عظيمة لدى بلاط ارايا وانه جدير باستلام اقليم هاماسين الهام بدلا من انافيلا وقد ذكر ديجوتين ان المكتشف الفرنسى على وشك رفع العلم الفرنسى على هذه المستعمرة الجديدة عندما وصلته تعليمات من باريس بوقف كل الانشطة السياسية والتركيز على مهامه العلمية (٢٤٥) ، وكما كان متوقعا ، فان كوفن كان حاضرا ايضا واشترك بدوره فى محاولة هزيمة ليفيفير Lefebure وفى الاستيلاء على هاماشين من البريطانيين (٢٤٦) . الا انه لم يكن هناك دليل حقيقى على أن ارايا تخلى عن اقليمه للأجانب فقد كتب للقنصل الفرنسى ليعلم انه أصبح الآن يعتبر حاكم التيجرى وانه يرغب فى اقامة علاقات ودية مع القوى الاجنبية ، وفى الخطاب الذى كتبه بيده والذى غالبا تمت صياغته بوساطة شيمبر Schimper لم تكن هناك أى اشارات عن اعتراضه عن منح اراض أو حتى طلب اراضى تحت أى شكل (٢٤٧) .

وبدلا من المخاطرة بعقد اجتماع مع وبيى بعدما اقام علاقات مع آرايا عن عمد ، قرر ليفيفر ان يهرب الى شيوا عبر لاستا ، واذا اعتقدنا فى صدق روايته ، فانه اعطى آرايا درسا فى الانتهازية السياسية ، اذ قال له : « فضلا عن ذلك ، عليك بان تظل صديقا للاوروبيين ، ولكن ليس على طريقة وبيى ، لكى تحصل على البنادق وبعض الاشياء الأخرى النادرة ، ولكن لأن بمساندتهم فسوف تتمكن بلا شك ذات يوم من حكم كل اثيوبيا . وحذار من اظهار الشك تجاه الاجانب الذى يكون نابعا من خوفك من انهم قد يرغبون فى غزو ارضك ليس بسبب ان ذلك غير محتمل الحدوث ولكن لأنك لن تتمكن من منعهم لو ارادوا ذلك . واليوم من المعروف ان بلادك تعد خصبة ونافقة وانها المفتاح لافريقيا الداخلية ، فان أى دولة اوروبية لابد وان تفكر فى ان تحتلها ومن المحتمل قريبا كل اثيوبيا فورا فاغتنم الفرصة لصالحك ، وكن ودودا مع الغزاة الذين سوف يقدرونك جيدا عندما يجدون انك اداة موالية ونافعة فضلا عن ذلك ضع فى ذهنك ان بلادك سوف تعرف كيف تتخلص من الفوضى من خلال حماية اكثر الشعوب استنارة (٢٤٨) . بافتراض ان

---

(٢٤٤) AECP, Massouah, fol 75 - ŏ Degoutinto Guizot.

(٢٤٥) ACEP, Massouah, fol 77, Guizot to Degoctin, 4 June 1842.

(٢٤٦) BN,NAF 22430, fol. 221, Djicobis to Antoine d'Abbadie, I August 1842والخطابات السرية من عدن .

(٢٤٧) BN, Ethiop. 184, fol. 64, Araya Sillaseto Deegoutim, 20 Jul. 1842. هذا أصل خطاب آريا ومختوم بختم الأسد باسم بال جادا آرايا وأيضا الخطاب مكتوب بالفرنسية بجانب ختمه بتوقيع شيمبر . ومن غير المحتمل التاكيد على وجود ترجمة أمهرية للخطاب . ولا شك أنه مكتوب بناء على تعليمات أرايا . وعندما أرسل ديجوتين نسخته إلى باريس حلف منه التاريخ وإمضاء شيمبر .

(٢٤٨) Lfebur, voyage, vd II SPP. IVO-1 Cf above PP 89-90. عبر جده ماريام عن بعض وجهات نظره بصورة وقحة فى مواجهة وبيى .

ليفيفيرLefebure لم يكن صريحا كل الصراحة مثلما ظهر من حديثه السابق ، فان حديثه هذا اوضح امام الرئيس الاثيوبى على الاقل فى بداية عام ١٨٤٠ البدائل فى المستقبل وطرق التكيف والمقاومة .

وبعد زيارة قصيرة الى حد ما الى شيواShewa عبر ليفيفيرLefefure بيجديمير وتيجرى بسرعة وغادر اثيوبيا فى اغسطس ١٨٤٣ (٢٤٩) . وكان كلا من فيريت وجالتير قد تركا قبل ذلك بعام (٢٥٠) . وقد قام ايزنبرج وكرايف بمحاولة للعودة لاثيوبيا الشمالية فى ابريل ١٨٤٣ ، وعلى الرغم من موافقة ويبى المبدئية ، فان المعارضة كانت قوية للغاية (٢٥١) . ولم يكن كوفين مقبولا مرة اخرى بسبب رفضه التخلى عن الـ ٤٠٠ بندقية الباقية لويبى وايضا بسبب اتصالاته باربابا سيلاسى . ولم يجرؤ ، على العودة لتيجرى لكن بقى فى مصوع (٢٥٢) .

اما دى جاكوبيس وشيمبرDejacobis, Schimpir اللذين انضما للكنيسة الكاثوليكية فقد كانا « سعداء بالسيطرة على اقطاعية كوفين السابقة انتيشو وكان لديهما نية تحويلها الى مستعمرة كاثوليكية ذات حكم ذاتى (٢٥٣) . وقد اصبح دى جاكوبيس لسنوات قليلة الشخصية الرئيسية التى تجرى اتصالات ويبى مع اوروبا . وقد كان هدفه النهائى ان تصبح اثيوبيا كاثوليكية ، اما اهتمامه الفورى فقد كان اقامة موطىء قدم ثابت للبعثات فى تيجرى ، وقد كانت وسائله لضمان ابراز حسن نواياه امام ويبى والشخصيات القوية الاخرى هى ان يعمد الى تقديم الهدايا بسخاء بما فى ذلك الاسلحة والذخائر واساسا ٨٣ قطعة من اسلحة متنوعة و ٥٫٠٠٠ خرطوشة والتى لم يقبل كومبس التخلى عنها وبالتالى كان المنهج المتواضع مختلفا للغاية عن اتجاه ايزنبرج المتغطرس والعنيد (٢٥٤) .

اما بالنسبة لويبى وجماعته التجارية فى عدوةAdwa فان اقامة علاقات جيدة بينهم وبين بعض الاجانب كان بمثابة امر هام ، ففى استضافة وحماية الاوروبيين فى التيجرى ، فان التجار الاثيوبيين والمسافرين الآخرين توقعوا على سبيل المثال بعض المساعدات ، من القنصل الفرنسى فى موضوع تعاملهم مع الادارة التركية او المصرية فى مصوع Massawa كما كانت هناك ايضا

---

(٢٤٩) .Lerebure, uayzqe, vol II, P.341 ثلاثة اعضاء فى بعثة ماتوا فى أثيوبيا ، واحدهم ترك البلاد قبل ليفيفير ومات وهو فى طريقه لاوروبا .

(٢٥٠) . Lenet and Galene, uoyage, vol II, P.S 31

(١٥١) AECP, Masouah 1, lobs 86-7, Degoutn to Guzot, 20 PM. 1843, Lrqnf, Tauls PP 408-10.

(٢٥٢) AECP, Masouah, lol. 110, Deqoutin to Guzet 10 Dec 1843. Marston Cpntoun,s Jumpenal pets P.124. قال انه طرد بسبب عدم رضا الراسى اوباى عنه لفشله فى الحصول عن رد على خطابه (أنظر ص ٥٢) . لكن ويبى كان اكثر اهتماما بالبنادق ، واكثر صحة .

(٢٥٣) GML, de Jacabis « Giornale Abussino, Vol II, PP zacobi to unknwn, 4 Oct, 1843 cestead » fol 121 Degrdun to Gusct.

(٢٥٤) .AECP, Massouah 1, fols 83 - 84, De Jacobis to untnoun, to Feb, 1843

اسطورة تقول ان فرنسا قامت بانقاذ اثيوبيا وحافظت عليها من الغزو المصرى . وعلى الرغم من ان جاكوبيس اعتبر ذلك امرا جديرا بالذكر وهو ان الاثيوبيين ، وخاصة المقيمين فى التيجرى ، خلصوا الى ان التدخل الفرنسى هو الذى حماهم ، فانه ــ اى دى جاكوبيسDejacobis رحب بالخطأ على انه عمل من اعمال العناية الالهية (٢٥٥) ، وقد اعطاه هذه الفرصة لاثبات المصلحة النهائية لفرنسا فى رعاية وفى رفاهية ويبى ورعاياه خاصة فيما يتعلق بالصراع الخطير الاول حول مصوع فى القرن التاسع عشر .

فى يوليو ١٨٤٣ ، قام عدد قليل من الجنود الاتراك من مصوع (٢٥٦) . بدعم القوات الموالية للنائب يحيى زعيم اركيكوNa'ib Yahya .

فى غزوة هامامسين وقاموا بحرق احدى القرى ، وبخطف الاطفال لبيعهم كعبيد كما استولوا على بعض الماشية (٢٥٧) . وقد انتقم سكان المناطق المرتفعة بالاغارة على قطيع الماشية الخاصة بالنائب . وقد كانت الغارات المتبادلة المحدودة النطاق نوعا من النشاط العادى كما كان الخطف ، طبقا للقنصل الفرنسى ، « عملا طيبا فى نظر مسلمى هذا البلد (٢٥٨) . بيد ان غارات ١٨٤٣ والتى قادها محمد يحى ابن النائب شخصيا كانت اوسع نطاقا من الغارات العادية . وفى كل الاحوال يبدو ان ويبى قرر الاستفادة من هذه الحادثة لتسوية بعض الحساب مع النائب والحاكم التركى فى مصوع . وطبقا لما ذكره القنصل الفرنسى فان ويبى قام بتوجيه انذار الى النائب طالبا منه تسليم كوفين وكذلك تسليمه كل الاسلحة الباقية التى قد سبق تخصيصها منذ مدة طويلة لسلفه وذلك فضلا عن ٣٫٠٠٠ رأس ماشية يتعين اعادتها وكذلك اعادة حوالى ٦٠٠ طالرالى التجار المسيحيين الذين ارغموا على دفع رسوم عالية جدا ، وقد اجاب النائب انه كمسئول رسمى للحكومة العثمانية ليس لديه سلطة على الاوروبيين وانه رفض السماح لكوفين ان يورد السلاح الى اثيوبيا (٢٥٩) . وقد شعر ديجوتين بالقلق ، فقد قدر ان ويبى سوف يرسل ١٠٫٠٠٠ رجل للاغارة على الساحل ، بينما لن يتمكن النائب من تعبئة اكثر من ٣٫٠٠٠ على أقصى تقدير و ٣٠٠ بندقية فقط . الا انه كانت هناك صعوبة ، بل كان من المستحيل بالنسبة لويبى الحفاظ على نفسه والبقاء مدة طويلة فى الاراضى

---

(٢٥٥) AECP,Mamouah 1,Fols 94-5 مذكرة من دى جاكوبيس موجهة لقنصل فرنسا والمشرف على اللازريون فى جارلس ربيع ١٨٤٤م .

(٢٥٦) نتيجة للتسوية بين محمد على والسلطان محمد ١٨٤٠ ، تحولت مصوع أسمية الى الحكم العثمانى فى الحجاز ، ولكن على لمستوى الفعلى كانت السيطرة للنائب See Abir, Ethiopia P.119

(٢٥٧) AECP, Mamooah 1, Fols 96-101 مقتطفات من الخطابات القادمة من دى جاكوبيس فى ٤ أكتوبر ١٨٤٣ وشيمبر فى ٢٤ سبتمبر ١٨٤٣م ، وهذا ملحق بالمذكرة السابقة فى ربيع ١٨٤٤م

(٢٥٨) ,Ibid, Fols 123 - 4, Degautin to Gujol, 4 sep 1844 بالنسبة للتصدير البريطانى عن الخطف أنظر المكتب الهندى ، والخطابات السرية من عدن ٢٦ ، صفحات ٣٦٥ ــ ٧٢ ، كريسترو الى ساندرز فى ١٢ أكتوبر عام ١٨٤٢ .

(٢٥٩) . AECP, Mamouah 1, Fol 109 Degoutin to Guyat 10 Dec 1843

المنخفضة (٢٦٠) . وفى ديسمبر تردد أن ويبى عبر حدود أراضى النائب (٢٦١) . وبدلا من مهاجمة اركيكو ومصوع فانه اعتمد على النتائج المترتبة على المقاطعة التجارية والمفاوضات المستمرة . وهكذا تم ايقاف القوافل فى عدوة وتحولت التجارة تجاه السودان وتاجورا (٢٦٢) .

وجرت نقاشات ومحاولات قوية ، وبحلول شهر مارس جمع النائب مبالغ ضخمة شملت حسب ما يقال مرتب شهر واحد من كل افراد قواته وقام بارسالها الى ويبى . وكان من المنتظر وصول التعزيزات من جدة من أجل القيام بهجوم مضاد ، لكن حاكم جدة عثمان باشا اعطى اوامره بتعديل تعريفة الرسوم وازالة المعوقات والمساوىء التى أعاقت تجار اثيوبيا عن التجارة من خلال مصوع (٢٦٣) . الا أن سوء الظروف فى ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ اعاق تحقيق هذه الاهداف وقد علق كثير من المراقبين الاوروبيين على فرض رسوم اضافية على التجار . وقد قال فيريب وجالبيير اللذان عبرا مصوع فى طريقهم الى فرنسا فى اغسطس ١٨٤٢ أن الرسوم التى يدفعها الاثيوبيون الاتراك تعد بمثابة غنائم (٢٦٤) .

ولقد دفع تسلم ويبى الاتاوات وكذلك الوعد بتحسين الظروف الى وقف مقاطعة مصوع تجاريا . وقد توجه الجزء الاكبر من جيشه نحو بوجوس ليفرض الاتاوات هناك ولربط هذا الاقليم بصورة أوثق بها ماسين والتيجرى والذى كان يعد أحد روافدهم فى الماضى (٢٦٥) .

ومن الصعب ان نعرف ما هى النوايا النهائية لويبى عندما هدد بالهجوم عن اركيكو فى ١٨٤٣ . فان شكواه ضد النائب ورغبته العامة فى النهب والسلب تذهبان أبعد من تفسير أعماله ، كما أن الحلول الوسط التى تقبلها ويبى لم توضح انه كانت هناك خطط نهائية لغزو واحتلال الشاطىء فى مواجهة مصوع فى بداية ١٨٤٣ (٢٦٦) . ومع ذلك كانت هناك مؤشرات على أن

---

(٢٦٠) Ibid, Fol, 110, Degoutin to Guzot, 10 Dec 1843 (الرسالة الثانية بهذا التاريخ) . ربما كانت أرقام قوات النائب حقيقية على الرغم من انها تبدو أقل من المقدر بـ ١٠،٠٠٠ فى عام ١٨٤٢ . (Ibid, Fols 19-20, Degoutin to Guyot, 20 Feb 1843) عندما أراد القنصل الفرنسى اقناع حكومته بالعدول عن احتلال أنافيلا . قارن ايضا تعديل بلونديل بـ ٥٠٠ رجل فى ١٨٤١ (Duchesne P.122) ان التقدير الأكثر محافظة لجيش ويبى قبل معركة ديرى تابور كانت من ١٨،٠٠٠ الى ٢٠،٠٠٠ (Fenet and Gslmer Voyage) Vol II P.461. ولذا من الممكن ان يهاجمه اركيكو ومصوع بـ ١٠،٠٠٠ رجل منهم الاف قليلة من حاملى الأسلحة النارية .Schunper (AFCP, Mamouah 1) Fol, 101, 24 Sep 1843 هدد فليس أقل من ٢٠،٠٠٠ .

(٢٦١) AECP, Mamsouohi, 101, 112 , Degoutin to Guzot 4 Jan 1844.

(٢٦٢) الجزء الثالث ص ١٠٥ .

(٢٦٣) أنظر ص ١٠٥ الجزء الثالث .

(٢٦٤) Fenset and Galinie, Voyage, Vol II P.447 هؤلاءاثنين من الرحالة الذين لم يشتركوا شخصيا فى أى مشروعات تجارية ويمكن القول بصفة عامة انهم أكثر اعتدالا من الاوروبيين الآخرين .

(٢٦٥) أنظر ص ١٠٦ الجزء الثالث .

(٢٦٦) (Abir (Ethopia P.120 ومع ذلك اقر ان « طلبات ويب المستحيلة تعد حجة لغزو الساحل أو جزء منه .

انسحاب ويبى كان مشروطا وكان نتيجة أنشطة دى جاكوبيس وشيمبر على الاقل بصفة جزئية ، اذ ان كلاهما دافعا عن مصالح ويبى واحتجاجا على أعمال الخطف بصفة عامة وعلى غارات يوليو ١٨٤٣ خاصة وفى البداية فقد وضح أنهما اعتقدا ان القنصل الفرنسى له نفوذ كاف عن السلطات التركية لتنحية كلا من حاكم مصوع رستم اغا والنائب يحيى وكل اتباعه من مناصبهم (٢٦٧) . وبعد ذلك بوقت قصير ، تقدم دى جاكوبيس بطلب رسمى باسم ويبى ـ ولكن ليس بالضرورة بناء على تعليماته ـ الى قناصل فرنسا فى الشرق والى رئيس مجمع بعثة باريس . وطبقا لذلك ، أعرب ويبى عن أمله ان تأخذ فرنسا فى اعتبارها الاختلافات بين النائب وبينه . وأعلن انه لن يهاجم اركيكو ومصوع حتى يقتنع ان فرنسا لن تتدخل ولذلك فانه سوف يعمل على ايجاد الحل بنفسه وقد صرح دى جاكوبيس ان ويبى لم يستول على كل من أركيكو ومصوع فى ابريل ١٨٤٤ (٢٦٨) .

وقد كان ديجوتين أكثر تفاؤلا بصدد أمن وسلامة الجزيرة على الاقل ، ولكن بالدرجة الأولى على أساس ان ويبى لن يخاطر بالدخول فى حرب مع تركيا (٢٦٩) . ورغم مغامرته بنفسه ، فانه مع ذلك لم يكن قلقا ازاء الصراع . ولكنه كان يخشى أيضا من أن البريطانيين يمكن ان يستغلوا الموقف لكى يشتروا مصوع من الاتراك وبعد ذلك ذكر ان الضابط البريطانى وليام كريستوفر قام بمحاولة فاشلة للحصول على مصوع مقابل ٣٠٠،٠٠٠ طالر (٢٧٠) . وعلى الرغم من ان القنصل كان يقدر محاولات شيمبر ودى جاكوبيس فى زيادة التأثير والنفوذ الفرنسى والكاثوليكى فى التيجرى فانه كان يشك صراحة فى امكان نجاح ذلك (٢٧١) حتى ان الاخبار التى جاءته بان اقليم انيتشو وقع فى ايدى شيمبر ودى جاكوبيس لم تبهره (٢٧٢) . فلم يكن يثق فى ويبى ، وهكذا لم يظهر أى رغبة

---

(٢٦٧) أنظر الجزء الثالث .

(٢٦٨) Ibid, Fols 44-5, memair by de Jarnalis ming 1844, 101 121, Degautin to Guzat, 20Jul. 1844 AEMD, opqie 13, Fols 319 - 24, Sclmpei to Guzat 15 Oct 1844. CML, De Jacobis . كان حيرة الباتوس المستشار فى بلاط ويبى على صلة بـ دى جاكوبيس فى ذلك الوقت Giornale Abwna Vol III, Leter mse´ted 27 AM 1844. لكن لم يكن هناك دليل ان الاعلان نبع من البلاط .

(٢٦٩) انظر ص ١٠٦ الجزء الثالث .

(٢٧٠) عرض من ٣٠٠،٠٠٠ تالر مقدم للأتراك فى مصوع فى ظروف غير ملائمة خاصة وان البريطانيين حتى ذلك الوقت عارضوا كل المزاعم التركية بالسيادة على الجانب الافريقى للبحر الاحمر ولم يعرضوا الكثير على القادة المحليين . See Fo 78/13818s, Fola 185.7 Cannig to Aberdun IA ug 1843, Fols 195 - 200 cotton and shephed to spion, 21 Sep, 1843, Fols 220 - 4, Hodson to Abedeem 15 May 1844.

(٢٧١) AECP, Mamouah 1, Fols 117 - 18 Degutin toCuzot 25 AM. 1844. كان هناك أسباب للاعتقاد أن العلاقة بين دى جاكوبيس وويبى ليست وثيقة كما أشارت خطابات الارساليات لأوروبا ، ففى خطاب رقيق لويبى فى أواخر ١٨٤٤ ، التمست الارسالية السماح لهم بشراء قطعة أرض تستخدمه كقبر فى جوالا لدفن أحد الرهبان المسيحيين .

(٢٧٢) أنظر ص ١٠٧ الجزء الثالث .

فى ان يتورط فى صراع وان يقف بجانبه ومع بدايات سبتمبر ١٨٤٤ ، بدأت الهجمات تثور مرة أخرى . وكان السبب المباشر أو الفورى لذلك ما جرى بالنسبة لحالة خاصة للخطف ، اذ تم خطف ابن أخت القائد المسيحى لهماسين واسمه ويلدى جابر وتم ترحيله الى اركيكو ، ورغم كل الاحتجاجات فقد تم بيعه فى مصوع ، فقام القائد بشبه غارة على المناطق الاسلامية انتقاما لذلك وطبقا لما تردد فقد قتل فيها ٢٠ شخصا وتم الاستيلاء على ٢٫٠٠٠ رأس من الماشية . وكان هناك توقع لهجوم فورى من جانب ويبى على الساحل ، ولذا فقد سافر الحاكم التركى الى جدة ليحصل على تعزيزات من هناك [٢٧٣] ، بيد ان ويبى تردد مرة أخرى . وبدلا من الهجوم بدأ المفاوضات مع النائب [٢٧٤] . وقد واجهت حاكم التيجرى مشاكل أكثر خطورة وهى ان مصالحه تتطابق بالفعل مع مصالح النائب .

وقد أدت اقامة كسلا وخضوع بنى عامر الى خلق قاعدة ثالثة للضغط المصرى التركى على اثيوبيا فضلا عن كالابات ومصوع ، فقد كانت القبائل والاتحادات القبلية القاطنة فى الاجزاء الواقعة فى أقصى الشمال من اراضى اثيوبيا المرتفعة ومنخفضاتها عن الساحل الشمالى لمصوع وبلين (بوجوش) وقسمين من ماريا ومنيسا وحباب (أو بيت اسجيدا) كانت معرضة لغزوات وغارات عدائية من جهة الغرب . على الرغم من ان حكامهم كانوا فى الماضى اتباعا للملك الاثيوبى ، فقد أصبحت الروابط فى ضعف متزايد . وقد خفف الاحساس بالترابط بصورة كبيرة مع عملية ازدياد دخول الاسلام الأمر الذى استمر حوالى عشرين عاما بدءا من عام ١٨٢٠ فما فوق ، وهكذا تحول معظم أهل ماريا وحباب الى مسلمين رغم استمرارية احتفاظهم بالاسماء المسيحية وكذلك بيوم الاحد ، اجازة اسبوعية .

وفى الاربعينيات من القرن التاسع عشر أصبحت حباب خاضعة للنائب حاكم اركيكو . لكن موقعه كحاكم كان غير واضح ، وقد عبر القنصل الفرنسى عن الروح الحقيقية للاستعمار الاوروبى بقوله فى الواقع فان هذا البلد ، لا ينتمى الى أى أحد وهو فى ذلك مثله مثل انتماء نيوزيلندا الى الهمجيين الذين يقطنونها ، ولذا فانه سوف يصبح ملك أى دولة تتقدم أولا للحصول عليه [٢٧٥] .

على الرغم من ان تفكير ديجوتين قام على أساس الاحتلال الاوروبى ، فان مصر كانت أول من اظهر اهتماما بأثيوبيا ، فأراضى ماريا وحباب وبيلين ومينيسا لم تكن ذات قيمة لذاتها فقط ، بل أيضا لانها تشكل حجر عثرة وعقبة فى طريق أى تقدم مصرى من كسلا الى مصوع . وقد رغبت الادارة المصرية فى ان تسترد سيطرتها على سواكن ومصوع . وكانت هناك محاولات غير ناجحة من جانب مصر للوصول الى اتفاق مع الباب العالى فى عام ١٨٤٣ [٢٧٦] فى هذا الاطار فامتداد اقليم تاكا ليشمل كل المناطق المرتفعة المحيطة بمصوع كان لاريب سوف يقوى مركز مصر فى مواجهة

(٢٧٣) أنظر ص ١٠٧ الجزء الثالث .
(٢٧٤) أنظر ص ١٠٧ الجزء الثالث .
(٢٧٥) أنظر ص ١٠٧ الجزء الثالث .
(٢٧٦) أنظر ص ١٠٨ الجزء الثالث .

الباب العالى ، وبالنسبة لاثيوبيا فان نتائج مثل هذا الوضع كانت يمكن ان تكون مرعبة . فاندماج مصوع فى الاقليم المصرى السودانى كان شيئا مختلفا جدا عن حكم الحجاز لها بأسلوب نظرى وشكلى فى الوقت الذى كانت ستكون واقعة تحت رحمة النائب من الناحية الواقعية وفى الحقيقة كانت ستكون تحت رحمة رأس التيجرى . فى نوفمبر عام ١٨٤٤ ، اكتسح الجيش المصرى المكون من ٥٫٠٠٠ الى ٦٫٠٠٠ رجل اكتسح حباب وأصبح على حدود اقاليم ويبى بمسيرة ثلاثة أو اربعة أيام من مصوع [٢٧٧] . وكان من غير الممكن تحديد ماذا فهم ويبى من مغزى هذا الموقف ، وهل يقرر القيام باستعراض للقوة فى اتجاه كسلا باعتباره أفضل استراتيجية أم أن يقوم ببساطة بالمخاطرة بجمع غنائم من السكان الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم . وعلى أية حال لم يقم ويبى بالهجوم على مصوع فى عام ١٨٤٤ وبدلا من ذلك قام بالاغارة على بوجوس والسكان القاطنين فى الاراضى الواطئة فى اتجاه كسلا ، وأراد ويبى أن يحل القضية المعقدة مع اركيكو ومصوع من خلال المفاوضات ، وفى فبراير ١٨٤٥ قام بمحاولة مع النائب الذى كان قد تم تعيينه من قبل جدة عندما مات يحيى فى اكتوبر [٢٧٨] . لكن عندما لم يرض ويبى باستجابات حسن ، قام باختيار محمد بن يحيى كنائب بدلا من حسن وقد أخبر الحاكم رستم اغا بذلك وطلب من القنصل الفرنسى أن يؤيد مطلبه بالتغيير ، وقد تم احالة المسألة الى عثمان باشا حاكم جدة وانتشرت شائعات بأن رستم بالاضافة لكتيبة من القوات ، تلقى تعليمات بأن يوقف الدفع (أكثر من ١٫٠٠٠ طالر شهريا) الى اركيكو ، وان يرسل بعثة الى ويبى ليوقع معه اتفاق سلام واتفاقية تجارية الأمر الذى اضعف بل عمل على محو المركز القوى للنواب [٢٧٩] ، ان الغاء مؤسسة النواب كان حلا راديكاليا لكثير من المشاكل فقد كان حكمهم يتم نتيجة طول مدة بقائهم وبمجرد وصول هذا الاقتراح لويبى ، فلابد انه ادرك ان نية الاتراك كانت مبيتة للسيطرة على الدولة كلها .

وقد اتجه ويبى الى القنصل الفرنسى وضغط من أجل الموافقة على طلب تعيين محمد ، وذكر بشكل عام بأنه سوف يتم السماح فقط بدخول البلاد للاشخاص الذين يأتون من أجل اقامة علاقات عمل ودية [٢٨٠] . وقد أجاب ديجوتين ان المسألة كما يجب أن يعلم ويبى تحتاج الى اجراء من عثمان باشا وبالنسبة لرستم ، فانه أكد للقنصل صداقته المخلصة لويبى وأعرب عن أمله فى الحصول على اجابة مبكرة ومرضية ، كما اضاف ديجوتين رأيه بان حاكم مصوع لن يجرؤ على الوقوف فى وجه رغبة ويبى ، حيث ان ويبى كان قد أغلق الطريق ولم يسمح لأحد بأن يضع قدمه على الشاطىء طالما كان - أى ويبى - على قيد الحياة . ولذلك فقد نصح ويبى ان يكون صبورا وان يسمح للقوافل بأن تمر حتى تتم تسوية المسألة [٢٨١] . فقد كانت التجارة وليست السياسة هى محل

(٢٧٧) أنظر ص ١٠٨ الجزء الثالث .
(٢٧٨) أنظر ص ١٠٨ الجزء الثالث .
(٢٧٩) أنظر ص ١٠٨ الجزء الثالث .
(٢٨٠) Ibid,Fols 135,anbe to Degoutin, April 1845 ونسخة من خطاب ويبى بالعربية هذا ربما يكون الخطاب الذى اشار اليه شيمبر عندما كتب ان ويبى استلم رسالة غامضة من الحاكم ، ولم يعرف هل هى عدائية أم ودية وقد رد بنفس الأسلوب .
(٢٨١) أنظر ص ١٠٩ الجزء الثالث .

اهتمام ديجوتين الاساسى ، وقد اشار بدون أى انفعال الى مراسلاته مع وبى واستمرار وصول سفينة بريطانية وارسال مبعوث وبى ليعيد كوفين لمنصبه كحاكم انتيشو مما يعنى ان البعثة الكاثوليكية كانت سوف تفقد هذه القاعدة ، كما انتشرت شائعات تقول (ان البريطانيين ينوون اقامة تحالف مع وبى لكى يستطيعوا ان يتفاوضوا مع محمد يحيى حاكم اركيكو (٢٨٢) . أما بالنسبة لدى جاكوبيس وشيمبر فقد كان الوضع مختلفا كلية . فقد شعرا بالحاجة الى اجراء سياسى ليكون وبى مدينا بالشكر لفرنسا ، وفوق هذا كله ، العمل على منع البريطانيين من كسب نفوذ لديه . ولم يحظ نداء دى جاكوبيس عام ١٨٤٤ بتقديم الدعم المعنوى واللجوء الى التحكيم فى الصراع حول اركيكو بأى استجابة أو بالقليل منها ، كما ان طلب شيمبر المباشر للحكومة الفرنسية فى اكتوبر ١٨٤٤ بارسال عدة مئات من البنادق لاستخدامها كهبة لوبى ولتسليح كتيبة صغيرة تحت قيادته مباشرة فلم يتم الاستجابة له (٢٨٣) .

ولذا فقد كان لابد من عمل شىء كبير فى هذا الصدد . فى مايو ١٨٤٥ وتحت التهديد الفورى بفقدان انتيشو لصالح كوفين مرة اخرى ، وافق شيمبر أو فلنقل تطوع للسعى بالحصول على الحماية والمساعدة الفرنسية ضد الاتراك . وقد كان الوجه الأخر للعملة ان الطلب الرسمى الذى قدمه وبى يتعين النظر فيه فى باريس بوصفه طلبا لوضع محمية تحت اشراف فرنسا ومن ثم فقد أثار الموضوع اهتمام الحكومة الفرنسية .

محمية شيمبر ودى جاكوبيس :

وصل شيمبر فى ٢١ مايو الى جوالا واخبر دى جاكوبيس ان وبى يريد منه ان يحصل له على « حماية ملك فرنسا ضد الاتراك » وقد قاما معا بكتابة مسودة الخطاب باسم وبى وعاد شيمبر بالوثيقة ليحصل على خاتم الامير عليها وبعد اسبوع ، عاد الى جوالا مرة اخرى ومعه الخطاب المختوم وعندئذ فقط تم ابلاغ القنصل الفرنسى بما تم ، وطلب منه ان يحضر الى (هدلاى) للتشاور حول هذا الموضوع (٢٨٤) .

وكان للوثيقة التى اعدت للعرض على ملك فرنسا نصان مكتوبان بالامهرية والفرنسية ويحملان خاتم الاسد المربع الذى يحمل وبى (٢٨٥) . ولم يذكر فيها شىء عن المشاكل الملموسة فى اركيكو ومصوع التى كان وبى قد طلب من ديجوتين ان يساعده فى ايجاد حل لها . وبدلا من ذلك احتوت هذه الوثيقة على اجمل عبارات عامة تشير الى الصداقة والحماية الامر الذى ربما يتم تفسيره بانه طلب لفرض الحماية :

---

(٢٨٢) أنظر ص ١٠٩ الجزء الثالث .

(٢٨٣) Cnl, De, Jacobris, Goanalr Abusina Vol III PP 519 - 201 Atcp, Monouah, Flts 1845 لم يتم ارسال نسخة من هذا الخطاب الى باريس وتم ارساله مع مراسلات أخرى فى ابريل ١٨٤٩ من جلة ، وان العلاقات بين شيمبر ودى جاكوبيس من ناحية وديجوتين من ناحية اخرى أدت لتأزم المبادرة .

(٢٨٥) أنظر ص ١٠٩ الجزء الثالث .

« انى ارسل لك هذا الخطاب بسبب الصداقة التى بيننا لكى تقوم بحماية اثيوبيا وكذلك حمايتى ، فالاتراك قد استعدوا على كل من الجانبين من سنار والبحر الاحمر لمساعدة كل المسلمين الذين يعيشون فى اثيوبيا لتدمير المسيحيين . وعن نفسى ، فاننى سوف احمى بكل المحبة كل رعيتك من الموجودين او الذين سوف يحضرون الىّ (٢٨٦) » .

وعلى الرغم من ان وبى وافق على نص صياغة بهذا الشكل ، الا انه كان هناك مبرر لبعض الشك فى حقيقة الوثيقة التى تم ارسالها الى اوروبا فعلا ، وبمجرد ان عاد شيمبر ، ذكر دى جاكوبيس فى خطاب مبدئى فى يومياته احتمال ارسال نسخة من الوثيقة لشخص ما فى البعثة (اتيان) ، وان ما تم ارساله من جانبه بعد ذلك بشهر كان نسخة أخرى للوثيقة (٢٨٧) . وثانيا ، فان الترجمة الفرنسية لم تتم حتى ٢٩ يونيو ، عندما تم عقد الاجتماع أخيرا مع القنصل (٢٨٨) . وقد بدا مستغربا ان يؤجل كل من شيمبر ودى جاكوبيس هذا العمل حتى اللحظة الاخيرة الا اذا كانا قد احسا بأن لديهما مبررات لادخال بعض التعديلات على النص اذا لزم الامر وعلى اية حال فان الانطباع المطروح الذى كان يقوم على ان موافقة وبى على الوثيقة المكتوبة بلغتين يعد مضللا ، فاذا كان دى جاكوبيس قد خلص الى انه من الافضل له ارسال صورة من النسخة المختومة عن طريق المقر الرئيسى للبعثة وان هناك وثيقة واحدة فقط ، واذا كانت فكرة النص الفرنسى الرسمى جاءت متأخرة ، او اذ كانت التغييرات مرغوبا فيها فلا احد كان يستطيع ان يمنع شيمبر من صُنع الختم البدائى للغاية الذى تم استخدامه وهو الختم الذى ظهر أسفل الوثيقة هذه المرة فقط وكان مختلفا تماما عن الاختام التى استخدمها وبى قبل وبعد هذه المناسبة ، ومع ذلك ، فالاهتمام الاساسى لم يكن ما اذا كان الخطاب قد تمت اعادة كتابته ام لا . وحتى اذا كان هذا قد حدث ، فان دى جاكوبيس شعر بانه ملتزم باعادة كتابة النص الامهرى بصدق ، فلقد كان هو الذى قام بصياغة هذه الوثيقة كما اعترف بذلك صراحة . وقد كانت مسألة الاشارة بأن الاتراك سوف يساعدون المسلمين الاثيوبيين للقضاء على المسيحيين (٢٨٩) . تغطى اهتمام وبى الأساسى بالاضافة الى التطورات كانت تحدث فى اركيكو وسيمهار وحباب والمناطق الحدودية الاخرى ، وقد كانت القضايا الهامة هى هل كان وبى أم الاجانب هم الذين سعوا فى الحقيقة لطلب الحماية ، ومعنى الحماية فى هذا السياق ، ولقد كانت الاجابة على الشق الاول من هذا التساؤل أمرا سهلا لأن دى جاكوبيس حرص فى المقام الاول على التأكيد بان شيمبر بوجه خاص بذل فى المقام الأول جهدا شاقا لاقناع وبى

---

(٢٨٦) ترجمة عن النص الأمهرى ، وقد كانت الترجمة الفرنسية أساسا نفس الشىء رغم مزيد من الاسهاب والتحذير « ولذلك فإننى أطالب اليوم من جلالتك كلا من الصداقة والحماية الفورية ضد أعدائى ، المسلمين ، الذين يعدون أنفسهم للهجوم على اثيوبيا المسيحية فى اتجاه سينار والبحر الأحمر وإستقطاب المسلمين فى بلادى لجانبهم » .

(٢٨٧) Cncl, De Jacolis « Cviorde Abusina » Vol III, P.532. Betiez manus csites Vol II خطاب وبى ملحق برقم ٢٢٦ ، من دى جاكوبيس الى اتيان فى ١٠ يوليو ١٨٤٥م ، ان الترجمة الفرنسية هى نفسها الموجودة فى AECP Masaah 1. Fol 141 والاختلافات فى الترجمة الأمهرية غير هامة .

(٢٨٨) أنظر ص ١١٠ الجزء الثالث .

(٢٨٩) أنظر ص ١١١ الجزء الثالث .

« بان يطلب ــ بدلا من الحماية الانجليزية ــ الحماية الفرنسية وذلك بهدف تحسين موقف البعثة الكاثوليكية واللازرية[٢٩٠] ، فى اثيوبيا ولقد ظهر ما تم عمله فى هذا الشأن ، من خلال ما اشار اليه دوجتين بان المبشرين نجحوا فى بث ونقل مخاوفهم الى وبى مما جعله يقرر طلب الحماية الفرنسية ، واستطاعوا توصيل الذعر والهلع الى الامير وبى وبذلك حققوا مآربهم[٢٩١] . كما لعب الوعد بتقديم مزيد من الهدايا دورا مساويا ، وقد أولى دى جاكوبيس أهمية عاجلة لهذا الموضوع فى اوائل يونيو[٢٩٢] ، وبدا من الواضح تماما ــ على اية حال ــ انه لم يكن وبى ، بل شيمبر ودى جاكوبيس كانا هما اللذان سعيا فى طلب الحماية فى المقام الاول ، بيد ان ما تعنيه « الحماية » للاطراف المشتركة فى الموضوع يعد امرا بالغ التعقيد ، وقد كان اهتمام شيمبر ودى جاكوبيس الاساسى يدور حول الحماية فى مواجهة كوفين وأبونى سلامة وأى شخص آخر يريد طردهم او حرمانهم من ممتلكاتهم والفرص والتسهيلات الممنوحة لهم من قبل ، وجاءت هذه الحماية من وبى الذى كان وعد بالعمل على حماية الرعايا الفرنسيين فى بلاده مستقبلا[٢٩٣] ، وفى مقابل ذلك ، لابد أن تقوم صداقة بين الملك الفرنسى ووبى ، وان يعمل الملك على حماية وبى من الهجوم التركى . . . وهكذا كان المطلب المقابل فى خطاب وبى ولكن من المؤكد انها لم تكن الغاية النهائية لشيمبر ودى جاكوبيس ، إذ كانا يهدفان فى النهاية الى اعلان الحماية الفرنسية على أراض وبى وبالتالى استبعاد اى تأثير أو نفوذ بريطانى أو بروتستانتى فى المستقبل على هذه المناطق تماما ، كما يمكن استخدام هذه الحماية فى مواجهة الزعماء الدينيين . والسياسيين الاثيوبيين اذا لزم الامر وربما كانا على علم بان خطاب وبى لم يطلب فرض الحماية ، ولذلك أكدوا على أن طلب وبى قد أخذ شكله القانونى وفقا للقانون العام للامم[٢٩٤] ، وقد اعترف شيمبر ان وبى يفتقر بشكل كاف ومعقول الى وسائل تقدير أهمية طلبه ، والالتزام والاعباء التى سوف يتحملها نتيجة لذلك اذا قبلت الحكومة الفرنسية مثل هذا الطلب برمته ، ولكن شيمبر توقع بأن يضمن هذا الطلب بعد أخذ شكله القانونى على الأقل وافضليته على نفوذ أى دولة أخرى[٢٩٥] .

وقد رأى دى جاكوبيس وشيمبر ضرورة طرح مسألة هذا مع وبى ولو أن من المستحيل معرفة الى اى مدى كانا صرحاء وصادقين معه عند طرحها ذلك . وبعد المقابلة فى هيلاى أعرب ديجوتين عن اسفه بأن دى جاكوبيس لم يستطع تقديم الموضوع برمته كتابة خاصة وانه كان سيمكنه من ان يكون اكثر قدرة على شرح رأيه من كل سكرتير وبى وهو فى هذه الحالة دى جاكوبيس وشيمبر ولقد

---

(٢٩٠) أنظر ص ١١١ الجزء الثالث .
(٢٩١) أنظر ص ١١١ الجزء الثالث .
(٢٩٢) أنظر ص ١١١ الجزء الثالث .
(٢٩٣) لم يكن شيمبر ولادى جاكوبيس رجالا فرنسيين ، وكان هذا مواز للانجليزى الالمانى المطرود من عدوة فى ١٨٣٨م ، ان التميز الهام كان الدين ولذا فإن شيمبر الالمانى تغير من رجل انجليزى الى رجل فرنسى عندما اعتنق الكاثوليكية .
(٢٩٤) ص ١١١ الجزء الثالث .
(٢٩٥) ص ١١١ الجزء الثالث .

تم ابلاغ القنصل شفاهة بأن وبى طلب نصيحة دى جاكوبيس الذى قام بشرح حالة تاهبتى والمحميات الاخرى وجاء رد وبى كالاتى :

انه لا يرغب فى التخلى عن حقوقه السيادية على تيجرى وسيمين أو أى مكان آخر على الجانب الآخر من جبال اركيكو وسيمهار (على سبيل المثال فيما وراء الجبال المارة بمحاذاة المرتفعات التى يمكن رؤيتها من الساحل) لكنه يقبل طوعا التخلى عن طريق اركيكو ، والاراضى التجارية (وبالتحديد اركيكو والمناطق المحاذية لها حاليا والمقابلة لمصوع) الى فرنسا مقابل الحماية التى سوف يحصل عليها وتتضمن منع الاتراك من احتلال اثيوبيا[٢٩٦] .

وقد بدت وجهات نظر وبى مقنعة . فقد علم بأن الاتراك قد دفعوا ببعض الجنود فى اركيكو ولكنه تجاهل ذلك بهدف تسهيل التوصل الى حل سلمى[٢٩٧] . وقد رغب وبى فى احداث تغيير فى اركيكو بما يمنع الاتراك والمصريين من احتلال ساحل البحر أو استخدام النواب لمد نفوذهم للاراضى الداخلية . وقد امتنع عن اللجوء للحل العسكرى مرتين وحاول كما رأينا استخدام نفوذ القنصل الفرنسى لدى الحاكم التركى للوصول لحل سلمى ، وبالتأكيد كان وبى على وعى برغبات الاوروبيين فى الحصول على موطىء قدم على الساحل . فالانشطة الأولى ، (ليفيفير وكومبس وبلونديل وكوفين) اتجهت أساسا الى السعى للحصول على (انافيلا) والسيطرة عليها ، بيد أن التجارة كانت مركزة أساسا وبكثافة فى اركيكو ومصوع .

وقد أدت سنوات الحكم المصرى لبروز أهمية مصوع كما قللت من الأهمية السياسية للتيجرى الشرقى خاصة بعد تولى وبى الحكم . واذا لم يكن الباب العالى يرغب فى بيعها ، فانه كان لا يمكن الحصول على مصوع الا بالاحتلال الفعلى رغم ما يحمله ذلك من مخاطر وما ترتب عليه من نتائج وردود فعل دولية ولم تكن أى من لندن أو باريس مستعدة لأى شىء من هذا القبيل .

وكانت الطريقة الحاذقة الماكرة هى السيطرة على اركيكو حيث « ان التنازل الطوعى عن جزء من الأراضى الرئيسية المؤدية لاركيكو ـ حيث تنساب من هذه النقطة كل تجارة البلاد ـ كان سيؤدى الى ان يجد الاتراك الذين يسيطرون فعلا على جزيرة مصوع فقط أنفسهم مجبرين على التخلى عنهما إن آجلا أم عاجلا »[٢٩٨] بيد ان موافقة وبى عن ذلك ـ كان أمرا ضروريا ـ اذا أريد تجنب خيار قطع انسياب التجارة . وقد كان هذا واضحا . وبالنسبة لوبى فقد كان التعاون مع مؤسسة أوروبية له مزاياه وهذا ما كان يبدو على الاقل . وعلى الرغم من انه نجح بنفسه فى استبعاد قوة النواب ، لكنه لم يكن يأمل ان يجعل التجارة تمر بالاتراك فى مصوع بدون التعاون مع بعض القوى

---

(٢٩٦) Ibid fols 138 - 40, Degoutin to Cuzct. 17 al 1845 فى تقرير ديجوتين ظهركما لو ان دى جاكوبيس قابل وبى وناقش موضوع الحماية معه . مع ان يوميات المهمة تستبعد احتمال حدوث اى اجتماع قبل ١٢ مايو ، وتبادل وجهات النظر يمكن ان يكون قد حدث من خلال شيمبر او فى اى وقت مضى .
(٢٩٧) الجزء الثالث ص ١١٢ ــ ١١٣ .
(٢٩٨) الجزء الثالث ص ١١٢ ــ ١١٣ .

الأخرى التى لها تجارة فى البحر الاحمر ولها اهتمام بسياسته ، هذا لا يعنى بالضرورة ان ويبى كان يقدم عرضا قاطعا بالتخلى عن اركيكو وما يحيط بها من أراضى فى ذلك الوقت لفرنسا ، كما وعد باضافة الاحتلال الواقعى للسيادة الشكلية وذلك لكى يتمكن ببساطة من التخلى بشكل قانونى وواقعى عن هذه الاراضى لفرنسا ، وربما يكون قد قرر عدم مقاومة الاحتلال الفرنسى هناك كما حدث مع العثمانيين ، مع تفضيل ان يكون الفرنسيون جيرانه أكثر من الاتراك . وربما لا يكون قد تمت مناقشة هذه المسألة . ولكن حقيقة انها لم تذكر فى رسالة ويبى وانها ظهرت فى رسالة ديجوتين كل ذلك يشير الى ان الخيار الثانى كان أفضل لشيمبر ودى جاكوبيس .

وقد وضح ذلك عندما شعرا انهما ملتزمان بالاعتراف ان ويبى رفض حقيقة قبول فرض الحماية لما يعتبره هو أنها بلاده بصورة لا مراء فيها .

ومن ثم فان ويبى لم يكن هو الذى يسعى لخداع الحكومة الفرنسية ، ولكن الأوروبيين هم الذين شعروا على الفور انهم يحتاجون لتأكيد حقوق ويبى السيادية على اركيكو وسيمهار لكى يكون تنازله عنها لفرنسا أمرا مقبولا . فضلا عن ذلك ، اذا افترضنا ان تناول وجهات النظر مع ويبى عن المحميات قد حدث كما قيل لديجوتين ، فان الاطراف الاوروبية الثلاثة لا ريب ادركت ان ويبى رفض فى مقابل الصداقة والحماية السماح بانتهاك سيادته على أراضى اثيوبيا العليا وكذلك القطاع الساحلى ، وقد عرفوا أيضا ان الجيش المصرى فى حباب عاد للسودان من فترة طويلة وان ٥٠٠ جندي تركي فى مصوع لن يتمكنوا من غزو هذه الاراضى المرتفعة . ورغم كل ذلك ، فقد وافق القنصل على خطة تقضى بقيام البعثات والارساليات ببث الخوف فى نفس ويبى مما يجبره على طلب حماية فرنسا [٢٩٩] . وقد ختم ديجوتين تقريره الطويل بسؤال واحد وهو : هل الحكومة الفرنسية ستقبل حماية اثيوبيا أم لا ؟ [٣٠٠] .

وقد كان هناك جوانب مشتركة ومتطابقة بين سلوك دى جاكوبيس وشيمبر من ناحية وسلوك انطوان دى ابادى فى ١٨٣٨ [٣٠١] لكنهما كانا أكثر تقدما من سلفهما . . . فعلى الرغم من زيادة المهارات الدبلوماسية لدى كلا الجانبين ، فقد كان هناك اهتمام بالامور الشكلية فقد كان طلب ويبى للحماية هو المكون الاساسى عند التعاون مع مينليك بعد ذلك بخمسة واربعين عاما :-

فقد تضمن وهما مختلقا لطلب المساعدة بالحاح وبصفة عاجلة وكانت هناك الوثيقة المختومة التى تلزم الطرف الاثيوبى وكذلك كان هناك قرار الجانب الاوروبى للحكم على الأمور بصورة سليمة - بقراءة واكتشاف ما هو غير مكتوب فى الوثيقة [٣٠٢] .

---

(٢٩٩) الجزء الثالث ص ١١٢ - ١١٣ .

(٣٠٠) AECP, Mabouah, fols 113 - 40, 146 - 7 Pegouten to Guz at. 1 ful 2 sep 1845.
ان الغياب الكامل لتحليل الوثائق الفرنسية جعل حسابات دوين وجيجليو فى المفاوضات غير مرضية .

(٣٠١) ص ١١٣ الجزء الثالث .

(٣٠٢) ص ١١٣ الجزء الثالث .

اذا كان وزير الخارجية جيزو سياسيا أقل اعتدالا وحرصا آنذاك لكان من الممكن اعلان الحماية الفرنسية على شمال اثيوبيا فى عام ١٨٤٥ بدون أى ضجة . بيد أن رد فعل جيزو الفورى كان سلبيا بقوله « عليكم بكبح جماح حماس هؤلاء السادة (دى جاكوبيس وشيمبر) » [٣٠٣] . وبالنسبة لانشطة كومبس وليفيفير قبل ذلك لسنوات ، أعلن ان فرنسا معنية ومهتمة فقط بأسلوب الحصول على الاراضى بطريقة سلمية تماما . وهذا يفترض ان ويبى لم يسع لطلب الحماية ما دام لا توجد أى اخطار بحدوث أعمال عدائية .

فضلا عن ذلك فقد كان جيزو ساخطا ومستاء من الاساليب المستخدمة من قبل الدبلوماسيين الهواة الموجودين على ساحل البحر الاحمر ومن ابرزها سفارة ليفيفير ذات السمعة السيئة ، والمحاولات غير المخولة للاستيلاء على انافيلا ، وسعى كوبيس لأن يغش حكومته بالاستيلاء على ٩٠,٠٠٠ فرنك منها عن طريق كتابة عقد بيع لشركةEdd وكان هذا الثمن يزيد عن القيمة الحقيقية عشر مرات فضلا عن الاستحواذ على المكان من شخص آخر لم يكن يملك ذلك لانه لم يكن يمتلك هذا المكان [٣٠٤] ووصلت التعليمات لديجوتين بأن يبلغ ويبى بأن الحكومة الفرنسية تستطيع ان تتدخل دبلوماسيا لدى اسطنبول والقاهرة لصالح أى بلد مسيحى يحتاج لمثل هذه المساعدة ، ومع ذلك فقد كانت مسألة قبول الحماية مقابل تقديم تنازلات اقليمية مسألة مختلفة تماما ، واذا كان هذا السؤال قد طرح مرة أخرى من خلال ويبى أو باسمه ، فان الاجابة كانت بالنفى ، ففرنسا لا ترغب فى الحصول على أى محميات أخرى . وعلى ذلك لابد من ابلاغ دى جاكوبيس بذلك لكى يلتزم بعمله المخول له ولا يتدخل فى السياسة [٣٠٥] وقد تجاوز ديجوتين التعليمات المعطاة له وأخبر ويبى من خلال شيمبر ان الحكومة الفرنسية اتصلت فورا بحكومات اسطنبول والقاهرة وأبلغتهم بأن أى هجوم على جزء أو كل اثيوبيا يعد عملا معاديا لقانون الأمم ، وان فرنسا سوف تحمى كل المناطق المسيحية فى اثيوبيا . وان أى عدوان سوف ينظر اليه بمثابة اعلان لحالة الحرب [٣٠٦] وقد صدرت أوامر لحاكم مصوع من الحجاز بضرورة تهدئة روع ويبى وتم تعيين محمد يحيى فى منصب النائب . وعندما فشل حاكم مصوع فى الحصول على المنحة المتوقعة نتيجة هذا التعيين ، قام بمحاولة للحصول عليها بالقوة من سكان اركيكو ، ولكن هزم ، وقد تم الافراج عنه - طبقا لقول القنصل الفرنسى - بعد ان وعد بألا يرسل أى جندى تركى الى البلاد مرة أخرى . ومن ثم فان فرعى أسرة مملكة النائب تصالحا معا رسميا واعلنا أركيكو دولة مستقلة مع بداية عام ١٨٤٦ . ولكن هذا الوضع استمر لمدة أقل من شهرين . وعندما وصل الحاكم الجديد لمصوع ، سدد كل المتأخرات منذ فترة حكم رستم وتمت اعادة الوضع القديم للاقليم [٣٠٧] .

---

(٣٠٣) ص ١١٣ الجزء الثالث .

(٣٠٤) ص ١١٤ الجزء الثالث .

(٣٠٥) AECP مصوع ١ ، العدد ١٤٨ ، جيزو ديحوتين ، ١٥ نوفمبر ١٨٤٥م ، مصر ١٧ ، العدد ٢٠٣ ، جيزو الى باروت ، ١٤ نوفمبر ١٨٤٥ .

(٣٠٦) AECP مصوع ١ ، العدد ٢١٣ - ٢١٤ ، ديجوتين الى سكيمبر ، ٢٨ فبراير ١٨٤٦ ، أنظر أيضا GML ، دى جاكوبيس « الجريدة الحبشية » ، الجزء ٤ ، صفحة ١ .

(٣٠٧) AECP مصوع ١ العدد ١٤٩ ، ١٥١ - ٥٤ ديجوتين الى جيزو ، ١٠ ديسمبر ١٨٤٥ ، ٢ يناير و ٢٤ فبراير ١٨٤٦م . أنظر أيضا مونزينجر « دراسات شرق افريقيا » صفحات ١٦٥ - ١٦٦ .

وعلى الرغم من نصيحته السابقة لويبى لكى يكون صبورا ، فان القنصل اعتقد ان ويبى يستطيع بل وكان يجب ان يبسط سلطانه على اركيكو فى بداية يوليو أو أغسطس ، الا أن الفرصة فاتت فى الوقت الذى كان ينتظر فيه وورود الرد من فرنسا ، وقد اقترح دى جاكوبيس وشيمبر اللذان كانا لهما نفس الرأى ـ اقترحا بأنه اذا كانت فرنسا تخشى حدوث أى مشاكل أو تعقيدات مع النواب ، فانه يمكن لويبى أن يتنازل عن بوجوس بدلا من ذلك . ولكن لم يكن محتملا بدرجة كبيرة ، وليس هناك دليل على ان هذا الامر تمت مناقشته ، وفى كل الاحوال فان الاقتراحات أوضحت الى أى مدى كان دى جاكوبيس وشيمبر يرغبان فى تدخل الحكومة الفرنسية وقد علق ديجوتين على ذلك بأنه متأكد من ان ويبى سوف يرضى بوعد بالحماية الفرنسية ، وانه لن يتكلم مرة أخرى عن التنازلات الاقليمية اذ لم يمارس دى جاكوبيس وشيمبر عليه ضغوطا فى هذا الشأن . وقد وصلت التعليمات لدى جاكوبيس وبدأت الأمور تهدأ الى حين [٣٠٨] .

موطىء قدم مصرى على الساحل : رد فعل ويبى

لم يعد امتلاك مصوع امرا مغريا للحكومة العثمانية كما كان من قبل وعلى هذا اصبح من الصعب التمسك بخرافة ان حكام اركيكو كانوا أتباعا للحكومة العثمانية ، يحكمون الجيش بالنيابة عن الباب العالى . فهم قد طلبوا الرسوم التقليدية من مصوع ولو انهم فضلوا اعتبار هذه الأموال كنوع من انواع الاتاوة وليس مجرد مرتبات لقواتهم [٣٠٩] ، وقد اوضحت الصراعات فى نهاية المطاف ان مصوع لابد ان تعتمد على القوات العثمانية لحمايتها وان الحجاز لابد ان تتحمل النفقات ، وقد قلت التعويضات المتدفقة فى شكل رسوم جمركية على السلع المعاد تصديرها ـ على الامبراطورية العثمانية بدرجة كبيرة ١٢ ٪ مقابل ٥ ٪ للبضائع من الاقطار الاجنبية (كما اشترط فى اتفاق ١٨٣٨ بين الباب العالى وعديد من الاقطار الاوروبية) بسبب رفض الحكومة البريطانية الاعتراف بالبضائع القادمة من مصوع أو أى موانىء اخرى على ساحل البحر الأحمر باستثناء موخا باعتبارها من الصادرات من الاراضى العثمانية ومن ثم اصبحت عرضة لرسوم جمركية أعلى عند وصولها الى جدة ، ولم يظهر اى تحد لملكية الحكومة العثمانية لميناء مصوع . ولكن مالم يكن مقبولا هو السيطرة العثمانية على اى منطقة يمكن ان تعد منفذا ملاحيا ، اما على الجانب العربى فان المسائل لم تكن بسيطة تماما . الا فيما يتعلق بالحبشة ، فالمسألة يمكن أن تبدو وكأنها امر يمكن التخلص منه بشكل مرض ، فالحكومة التركية لم تقم فى أى وقت ومنذ زمن بعيد بممارسة أى سلطة من أى نوع سواء فيما يتعلق بتعيين الحكام أو اى شىء آخر» [٣١٠] ، ففى مصوع كان

(٣٠٨) AECP مصوع ١ ، ملفات ١٤٦ ـ ٧و و ١٥٥ من ديجوتين الى جيزو فى ٢ سبتمبر عام ١٩٤٥م وفى ٥ مارس عام ١٩٤٦م .

(٣٠٩) شرحه ـ ملفات ١٣٨ ـ ٤٠ من ديجوتين الى جيزو فى أول يوليو ١٩٨٥ ـ ملفات من ١١٩ ـ ٢٠ من ديجوتين الى جيزو فى ١٥ مايو ١٨٤٤م .

(٣١٠) ملفات وزارة الخارجية ٣١٨٥/٧٨ ـ من ١٨٥ ـ ٧ ، من كانينج الى ابردين فى اول أغسطس ١٨٤٣ ـ ملفات ١٩٥ ـ ٢٠٠ من كوتون وشيرد الى ريبون فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٨٣ ـ ملف ٢٢٠ ـ ٤ من هود سوف الى ابردين فى ١٥ مايو ١٨٤٤م .

القنصل الفرنسى يقوم بالتمييز والتفرقة بين منتجات الساحل الاسلامى الذى كان على استعداد لتقبل رسوم تصل الى ١٢ ٪ والمنتجات الواردة من الحبشة التى ستطبق عليها رسوم تصل الى ٥ ٪ بيد أنه كانت توجد مشاكل دائمة حول تطبيق التعريفة بما فى ذلك النداءات التى توجهها باريس لاسطنبول ، وفى أواخر ديسمبر عام ١٨٤٦ ، ذكر ديجوتين ان القوافل الحبشية فى تلك السنة تم ارغامها على سداد ٢٠ ٪ بدلا من ٥ ٪ كرسوم على الرغم من انهم تلقوا تأكيدات من خلال الوكيل نفسه قبل مغادرة (جوندر) بأنهم سوف يحظون بمعاملة عادلة [٣١١] . وعلى الرغم من انه لم يكن هناك شك فى صافى الربح من الجمارك فى مصوع رغم كل الاختلاسات [٣١٢] . فان هذه المشاكل اسهمت فى قرار السلطات بالموافقة على طلب محمد على فى عام ١٨٤٦ بوضع سواكن ومصوع تحت الادارة المصرية مرة اخرى [٣١٣] .

بالطبع هذا لا يعنى انهما خرجا من نطاق كونهما أرضا عثمانية أو ان السيادة المزعومة على اثيوبيا قد سقطت . بل على العكس من ذلك فانه قد تم اخبار السفير البريطانى فى اسطنبول فى ١٨٤٨ ان مصوع وسواكن هما دون ادنى شك ـ اجزاء من الحبشة وبالتالى فهما من ممتلكات الامبراطورية العثمانية . ومع وصول الحاكم الجديد اسماعيل حقى الى مصوع فى مارس ١٨٤٧ فانه تم تطبيق سياسة أكثر نشاطاً على الساحل مرة أخرى .

فقد صدرت التعليمات للادارة باكتشاف الساحل مما دفع ديجوتين لطلب تعليمات عما يجب عليه أن يفعل ازاء ملكية فرنسا الغامضة لأدEdd وقد كانت القضية الحيوية كالعادة هى سيمهار وهى المنطقة المقابلة لمصوع . وكان ويبى متورطا فى صراع جديد مع على وفى غيابه ، قام حكام اركيكو بالاغارة على المرتفعات المسيحية باسم محمد على [٣١٦] .

ومرة إخرى وصل الصراع والتوتر السياسى فى اثيوبيا الوسطى الى الذروة . فى عامى ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧ . وترجع القلاقل ـ الى حد ما ـ الى تعنت ابونى سلامة ازاء بعض المسائل العقائدية .

وفى يونيو ١٨٤٦ قام بطرده من جون الى تيجرى كل من مينين وايهيجى ماهيتوIehege Mahsentuوقد كان السبب الفورى لطرد سلامة هو علم رغبته فى رفع الحرمان الكنسى عن سهلا سيلاسى وشيوان . وقد كانت النتيجة ان على ومينين وايهيجى صبت عليهم اللعنة مع اتباعهم .

(٣١١) AECC مصوع ١ ـ ملف ٦٦ ـ ٧ ، ديجوتين الى جيزو فى ١٨ نوفمبر عام ١٨٤٤ ملف ٧٢ ـ ٣ ، من جيزو الى ديجوتين فى ٢٨ يونيو عام ١٨٤٥ ، ملف ٧٦ ، و ٨٠ ـ ٨١ من ديجوتين الى جيزو فى ١٩ مايو و ٢٤ ديسمبر ١٨٤٦ .

(٣١٢) شرحه ـ ملف ٦٨ ـ ٩ من ديجوتين الى جيزو فى ١٠ يناير ١٨٤٥ ، AECP مصوع ١ ، ملفات ٢٧٣ ـ ٤ من رولاند الى كوكوفيل فى ١٥ أغسطس ١٨٤٩ .

(٣١٣) دوين اسماعيل جزء رقم ٣ و ١ ، ص ٢٣٨ اثيوبيا ص ١٢٣ .

(٣١٤)

(٣١٥)

(٣١٦) AECP مصوع ١ ، ملفات ١٧٢ ـ ٣ من ديجوتين الى جيزو فى ١٥ مارس عام ١٨٤٧م .

وفى هذا الوقت قرر ويبى ربما بتحريض سلامة اطلاق سراح عدد من المسجونين السياسيين منهم بيرو اليجاز الذى سلمه له على . الا انه لا يوجد دليل انه خطط لاى حملة وعندما قام على فى يناير ١٨٤٧ بشن هجوم ، ظل ويبى فى موقف الدفاع على مواقعه فى الجبل فى سيمين حيث كان آمنا هناك . وبعد ان قام بسلب (واجير) ، عقد على سلاما مع ويبى ، والتفت ليواجه المشاكل الاخرى الكثيرة مثل بيرو وجوشو فى جوجام ، وبيرو اليجاز فى لاستا ، وكذلك المتمرد الجديد الصاعد كاسا هايلو فى كوازا والذى كان سيصبح تاودروس مستقبلا [٣١٧] ، وبالمقارنة بعام ١٨٤٢ فقد كانت هذه أزمة صغيرة ، بالنسبة لويبى . ومع ذلك فانها لم تمكنه من توطيد سلطته فى الحدود الشمالية فى اللحظة الحرجة . وفى أوائل ابريل ، كتب ويبى الى اسماعيل حقى ورحب به كحاكم ولكنه أشار فى نفس الوقت الى هيمنته على اركيكو . ولما كان ويبى هو الذى قام بتنصيب محمد كنائب فقد اعتبره كتابع له [٣١٨] ، وكانت المشكلة ان محمدا غير موقعه وانحاز للجانب الأخر ، وهكذا نشبت الاعمال العدائية بينه وبين ويلد جابر فى هامسين فضلا عن ذلك ، فان القوات التركية كانت موجودة بالفعل فى اركيكو . وقد خول ويبى شيمبر ان يقوم بتسوية أى مشاكل قد تنجم عن ذلك ، ان شيمبر وديجوتين لم يكن لهما أى وزن لدى اسماعيل . فقد رفض الحاكم استلام خطاب ويبى لانه كان باللغة الامهرية كما انكر محمد يحى أن لويبى أى فضل فى تعيينه [٣١٩] . وفيما اعتبره القنصل بمثابة رد هجومى للغاية ، فقد تم ابلاغ ويبى بأنه اذا كان لديه أى مطالب ، فان عليه أن يحسم ذلك باستخدام جيشه . وعلى الرغم من ان ديجوتين كان كارها لهذه اللهجة ، الا انه وافق عليها من ناحية المضمون ، فالارض المتنازع عليها تنتمى قانونا وواقعيا للسلطان [٣٢٠] . وبالنسبة لويبى ، فقد عبر ديجوتين عن اسفه انه لم يكن قادرا على ترتيب فصل الحدود لسيمهار واركيكو كما أراد ويبى . ولكنه نصحه بعدم القيام بأى محاولة لاستخدام القوة فى ذاك الوقت وبدلا من ذلك فانه من المستحسن أن يكتب ويبى ـ باسلوب مباشر لمحمد على ، لأنه من الممكن الا يكون الحاكم الجديد على دراية بما كان يجب أن يستولى عليه ، اما ديجوتين فقد جدد ايضا وعده بالاحتجاج رسميا باسم الحكومة الفرنسية اذا اقترب حاكم ماساوا من المناطق المسيحية . وقد تعرض القنصل بالتالى للتوبيخ بسبب هذا التأكيد فى البرقية التى وصلته بعد ذلك من باريس [٣٢١] . ومع شيمبر كان ديجوتين صريحا ، فالحاكم لديه أوامر واضحة لاحتلال الارض حتى ولو بقوة السلاح اذا واجه اى مقاومة ولو بسيطة .

---

(٣١٧) كونت روسينى - الوثائق الجديدة ، RANL رقم ٨ الجزء الثانى صفحات ٣٨٥ ـ ٩٣ فانسين RANL الجزء ٢٥ صفحات ٢٧٦ ـ ٨١ ايضا راجع اثيوبيا ص ١٢٧ ـ ٩ روبنسون ، كتاب تاوضروس ص ٣٧ ـ ٩ .

(٣١٨) ص ١١٦ الجزء الثالث .

(٣١٩) ص ١١٧ الجزء الثالث .

(٣٢٠) AECP, Mamouahl, gol. 176, Degutin to Cuzot 23 AN. 1847 اكتشف ديجوتين مؤخرا ان الخطاب الذى كتبه محمد بناء على تعليمات اسماعيل لم يتم ارساله ، وان جوهر الرسالة وصل لويبى .

(٣٢١) أنظر ص ٣٢١ ـ ٣٢٢/٨٩ الجزء الثالث .

ولقد قدرت القوات المصرية النظامية من بربر الى مصوع بحوالى ٢٠٫٠٠٠ رجل . وكان يجب على ويبى أن يتحرك بسرعة ولكن الوقت كان قد فات [٣٢٢] . الا انه من الصعب القول ان نصيحة ديجوتين قد لعبت دورا ما ، فقد كان ويبى على اية حال غير قادر على الحركة وشبه مقيد نتيجة وجود جيش على فى واجيرا . وفى نفس الوقت فان اسماعيل قضى على الاستقلال الذاتى الذى كان يتمتع به النواب وبلا شك فان الذى ساعده على ذلك التنافس القائم بين محمد وحسن ، فقد أمر اسماعيل احدهم أن يقود عملية غزو هامسين ، وأن يأخذ معه بعض الجنود المصريين . وعندما فشل القائد المختار فى حشد القوات الضرورية ، استخدم اسماعيل كنائب للسيطرة على كل من النائبين والقادة الآخرين واحضارهم الى مصوع . ومن ثم فقد حشد قواته وحرق اركيكو تماما فى ١٦ يونيو ١٨٤٧ [٣٢٣] . وقد رفض السكان قبول الحكم التركى وفروا الى المرتفعات حتى فى الاقاليم المسيحية . وتم بناء حصنه فى الموقع واستقرت الحامية المصرية هناك [٣٢٤] . وقد احتفظ محمد بسلطة اسمية كنائب . ولكن الجزية أو الدعم ـ وهى فى الواقع كانت نصيب النائب فى الضرائب على التجارة ـ تم الغاؤها ، وهكذا اصبح محمد دون سلطة [٣٢٥] . وجاء الدور على ديجوتين ، فقد اعتقد ان التجارة الاوروبية سوف تستفيد من تغيير الادارة [٣٢٦] . الا انه اكتشف على الفور ان حريته فى الحركة سواء من الناحية الفعلية أو التجارية كانت مقيدة بشدة . وفى ديسمبر ١٨٤٧ ، أدت الصراعات حول التعريفة الجمركية واحتكار التجارة وحرية الاوروبيين فى الدخول والخروج كما يحبون ـ أدت الى حدوث ازمة ، وقال ديجوتين « ان الاسقف (بعد ذلك الكاردينال) ماساجا قد قبض عليه وان منزله فى مينكولا فى الاراضى الرئيسية تعرض للقصف . وبينما طلب من باريس أن تحتج لدى القاهرة ، فانه اعلن انه اذا قبل الحاكم مطالبه بصدد التجارة وحرية الحركة فقط فانه لن يعمد الى الشكوى مرة أخرى بالنسبة لنهب واضطهاد التجار المحليين [٣٢٧] .

---

(٣٢٢) ملفات وزارة الخارجية البريطانية

(٣٢٣) شرحه ملفات ١٧٨ ـ ٩ ديجوتين الى جيزو فى ١٨٤٧/٥/٢٠م و ١٧ يونيو ١٨٤٧م مكتب الخارجية الهندية (١٠) خطابات سرية من عدن ٣٠ صفحات من ٣٨٥ ـ ٣٨٨ من آدامز الى لوفى ٤ سبتمبر ١٨٤٨ . انظر ايضا بلودين ـ رحلات ، صفحات ٣٥٤ ـ ٣٥٦ ، ودراسات افريقية ـ مونزينجر ص ١٦٦ .

(٣٢٤) AECP مصوع ١ ملفات ١٨٢ ، ديجوتين الى جيزو فى ١٥ يوليو ١٨٤٧م ، وزارة الخارجية البريطانية ملفات ١/٤٠١ صفحات ٢٤ ـ ٢٥ من بلدوين الى بالمرستون فى ١٦ أغسطس ١٨٤٨م لاحظ ان ملفات ١/٤٠١ تتضمن فى الحقيقة سلسلتين من الوثائق وان الصفحات من ١ ـ ٢٥ تظهر مرتين بالتالى ، وأول سلسلة قصيرة هى : « المراسلات المبدئية بالنسبة لملابسات التى أدت الى انشاء قنصلية فى مصوع » . ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧ ، سوف يشار اليها بوصفها وزارة الخارجية البريطانية ملفات ١/٤٠١ (مبدئية) ، أما السلسلة الثانية فسوف يشار اليها كوزارة الخارجية البريطانية ملفات ١/٤٠١ فقط .

(٣٢٥) ملفات وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٢٦ و ٢٧ من بولدين الى بالمرستون فى ١٧ سبتمبر ١٨٤٨ .

(٣٢٦) AECP مصوع ١ ملفات ١٥٦ ـ ١٥٩ ـ من بلودين الى جيزو فى ٢٤ ديسمبر ١٨٤٦ .

(٣٢٧) AECC مصوع ١ ملفات ٨٢ ، ٩٠ ـ ٩٢ من ديجوتين الى جيزو فى ١٥ مارس ، و ١٥ يوليو ، و ٢٥ اغسطس ١٨٤٧م ، AECP مصوع ١ ، ملفات ١٨٦ ـ ١٨٧ من ديجوتين الى جيزو فى ٢٠ ديسمبر ١٨٤٧ ، المحيط الهندى ٤٣/١٠ ليفيير الى مونتلليو فى ١٨٤٧/٩/٢٧ .

وعندما وصل والتر بلودين Walrerplowden الى مصوع بصفته القنصل البريطانى فى الحبشة فى اغسطس عام ١٨٤٨ (٣٢٨) . وجد ان استبعاد النائب لن يساعده بالتأكيد وانه يجب فرض الرسوم على البضائع القادمة من اثيوبيا ، طبقا لرغبة مايراه الحاكم فان هذه الضرائب والرسوم كانت تصل فى بعض الاحيان بما فى ذلك الرسوم والهدايا غير المنتظمة الى ٢٥ ٪ أو ٣٠ ٪ من قيمة هذه الاشياء . وفى كل الاحوال وعلى قدر معرفتى ـ فيما يتعلق بالسلع ـ فان الحبشة كانت بمثابة اقليم تابع للحكومة المصرية (٣٢٩) .

وبعد وصول ديجوتين فى ابريل ١٨٤٧ ، والاحداث التى تلتها فان وبى أدرك ان القنصل الفرنسى لن يساعده على حل مشاكله على الحدود الشمالية وعلى استخدام مصوع كميناء لاثيوبيا . وأن من الواضح ان الملك الفرنسى لم يكن معنيا او مهتما بسلامة ورفاهية الحبشة كما اكد دى جاكوبيس له ذلك .

وقد كانت عودة أبونى سلامة الى التيجرى فى ١٨٤٦ والقلاقل التى قام بها خصوم وبى بينما كان مشغولا نتيجة حصاره فى سيمين بجيش على ، كل هذا جعل من الصعوبة بمكان بل وليس من الحكمة السياسية أن يحمى البعثة الكاثوليكية ، وقد زاد على ذلك وجود اسقف كاثوليكى واحد ـ وهو ماساجا الذى وصل فى نوفمبر ١٨٤٦ ليبدأ عمل الارسالية الكاثوليكية فى جالا وظهور مشروع مونتورى لوضع شخص آخر رومانى كاثوليكى على رأس الكنيسة الاثيوبية فى سهلا سيلاسى « وفى اراضى على ، كل هذا ساعد على تشدد المعارضة وعمل على تقويتها . وقد طرد ماساجا من تيجرى فى نوفمبر ١٨٤٧ وفى السنة التى تلتها ، تم اجبار وبى على الاختيار بين سلام ودى جاكوبيس . وعن طريق شيمبر ، تم ابلاغ دى جاكوبيس بضرورة ترك اقاليم وبى . وفى اكتوبر انسحب من جويلا الى مينكولا (٣٣٠) :

ومما لاشك فيه ، فان وبى شعر ان كلا من الارسالية والقنصل الفرنسى قد خذلوه فى قضيته وينطبق ذلك ايضا على النائب محمد . ولم يعد هناك اى مخففات للصدمة بين حاكم مصوع وحاكم التيجرى . وقد تردد ان وبى طلب بدوره ان يقوم المصريون بالجلاء عن اركيكو ومينكولا خلال ٤٨ ساعة وأن يتم تسليم النائب ، كما يجب دفع ٢٠٠٠ طالر سنويا كنصيب وبى فى الضرائب التى يتم تحصيلها على التجارة . وقد رفض الحاكم ذلك ، ومن ثم هاجم الجيش التيجرى ، والذى

---

(٣٢٨) ملفات وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ ص ٢٢ من بلودين الى بالمرستون فى ١٥ أغسطس ١٨٤٨ .

(٣٢٩) شرحه صفحات ٢٩ ـ ٣٠ ، و٣٣ ـ ٣٤ من بلودين الى بالمرستون فى ٢٩ أكتوبر و ١٠ ديسمبر عام ١٨٤٨م .

(٣٣٠) AECP مصوع ١ ، ملفات ١٥٦ ـ ١٥٩ و١٨٨ ـ ١٨٩ ، من ديجوتين الى جيزو فى ٢٤ ديسمبر ١٨٤٦م وفى ٢٠ ديسمبر ١٨٤٧ ، ملفات ١٩٣ ـ ١٩٤ من ديجوتين الى باسير فى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨ ، دى جاكوبيس « الجريدة الحبشية » بلد رقم ٤ ، صفحات ٥٦ ـ ٥٧ و ٨١ و٨٣ و ٩٤ ـ ٩٨ ، كونت روسينى , Vincende RRAL ه ، مجلد ٢٥ صفحات ٤٨٣ ـ ٤٨٧ انظر ايضا كتاب « القساوسة » من تاليف كرامى صفحات : ٧٠ - ٧١ .

يقدر قوامه بـ ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ رجل وبقيادة القائد اللواء كوكيو (قائد وبى) واثنين من ابنائه هاجموا اركيكو ومينكولا . وقد تم حرق القرى ونهبها فى اوائل يناير ١٨٤٩ بما فيها ممتلكات القناصل والارسالية الكاثوليكية . ولم تكن هناك أى محاولات جادة لاخراج الحامية المصرية من الحصن أو العبور الى مصوع (٣٣١) . وبعد ذلك تردد ان الحاكم دفع فدية قدرها ١٢٠٠٠ طالر (٣٣٢) . وهذا القدر من المال هو نفس ماكان النواب يحصلون عليه كل عام ، وهو يعادل تقريبا ثلث صافى الربح السنوى للميناء فى ذلك الوقت (٣٣٣) . وربما كان من المبالغ فيه القول بان عدد القتلى بلغ (١٠٠٠ ـ ١٢٠٠) والاسرى (٧٠٠ ـ ٨٠٠) ورؤوس الماشية المستولى عليها (١٠٠٠٠) (٣٣٤) . رغم التأكيد بان هذه أرقام لاشك فيها . بيد أن الغارة كانت على أية حال تذكرة أو رسالة خطيرة بان وبى غير مستعد لأن يفقد نفوذه والعوائد التى سببها الاحتلال المصرى لاركيكو واستبعاد النائب .

وبالنسبة لاثيوبيا ـ وكذلك للاطراف الاخرى المتورطة فى الصراع حول مصوع ، فانها ـ أى مصوع ـ انتقلت مرة اخرى من الحكومة المصرية الى الباب العالى فى ١٨٤٩ (٣٣٥) . وفى الحقيقة فالقضية لم تكن قضية سيادة ولكنها كانت قضية دخل وايرادات ، وخلاصة القول فان المسألة كانت تدور حول كيف يتم اقتسام ايرادات وارباح التجارة المتنامية ، أولا بين الاثيوبيين والعرب والهنود والاوروبيين من التجار وثانيا بين الحكومات الاثيوبية والمصرية والتركية فوبى لم يكن لديه رغبة خاصة فى حكم أو ادارة مصوع طالما أن التجار الاثيوبيين لا يتعرضون للنهب سواء بسبل قانونية أو غير قانونية ، وطالما أنه يحصل على نصيب عادل من الايرادات التى يتم تحصيلها . ولمدة عقد من الزمان على وجه التقريب ، ناور ديجوتين بين وبى والادارة المصرية التركية ، التى كان معتمدا عليها ، وحاول منع وقوع صدام عسكرى بين الاثنين ، بينما سعى لتعزيز مركزه كوكيل

---

(٣٣١) AECP مصوع ١ ملفات ٢٠٣ ـ ٢٠٧ من ديجوتين الى دروين دى ليهى فى ٥ يناير و ٦ يناير و ١٠ يناير ١٨٤٩ - وثيقة ٢٠٧ (الورقة الثانية من الوثيقة بنفس الرقم) والوثيقة ٢٠٨ من شيمبر الى فرينديل فى ٥ فبراير ١٨٤٩ ، مع ملاحظات من فريزنيل ، الوثائق أرقام ٢٣٧ ـ ٢٤٤ من أرنولد الى باستير فى ٦ فبراير ١٨٤٩ ، CML دى جاكوبيس : « الجريدة الحبشية » المجلد رقم ٤ ص ١٠٤ ملفات الخارجية البريطانية ص ٣٢ من هيتز الى أمين عام حكومة بومباى فى ٢٨ يناير ١٨٤٩ .

ولما كان ديجوتين يعيد تكرار اعداد القوات الاثيوبية مشيرا الى انها من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ رجل وهى التى نزلت اركيكو وهاجمتها لذا فإن الارقام العالية التى ذكرها هيتز (٨ آلاف الى ١٢ الف رجل) لابد وانها تضم اعداد القوات التى كانت قريبة من المنطقة ولكنها لم تشترك فى الهجوم على اركيكو .

(٣٣٢) مكتب الخارجية الهندية ـ المكاتبات السرية من عدن ٣٠ ، صفحات ٤٥٧ ـ ٤٥٨ من هيتز الى ماليه فى ١٦ فبراير ١٨٤٩ .

(٣٣٣) ملفات الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٣٣ ـ ٣٤من بلودين الى بالمرستون فى ١٠ ديسمبر ١٨٤٨ .

(٣٣٤) AECP مصوع ١ وثائق ٢٣٧ ـ ٢٤٤ من أرنولد الى باسيد فى ٦ فبراير ١٨٤٩م أنظر الوثائق الجديدة للكونت روسينى ،RANL ٨ ، رقم صفحات ٣٩٧ - ٨ عن ملاحظة أثيوبية عن الرحلة .

(٣٣٥) ملفات الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحة ٣٥ من موراى الى بالمرستون فى ١٨ مارس ١٨٤٩ .

قنصلى داخل مؤسسة قوية محليا . الا انه لم يستطع لا هو ولا دى جاكوبيس أن يحصلا على أى تشجيع ذى بال من الحكومة الفرنسية ، وهكذا فشلا تماما فى وضع أسس لاقامة حماية فرنسية على اثيوبيا الشمالية . ولعل المناخ السائد الذى كان يعمل فيه هؤلاء الرجال هو الذى دعا ديجوتين الى ان يعزو وقوع أحداث يناير ١٨٤٩ الى التآمر البريطانى وليس بسبب فشل سياسته .

ولقد اعلن ديجوتين انه اكتشف أمرا مرعبا فالقنصل بلودين وكوفين ليفيفر (١) . خططوا لمدة ثلاثة أشهر للهجوم الاثيوبى وعملوا على توجيه المختصين بالقيام بشكل محدد بنهب المستوطنة الكاثوليكية الفرنسية الصغيرة فى منيكولا [٣٣٦] . الا انه من الصعب اثبات حقيقة هذه الاتهامات التى رددها بلودين ايضا[٣٣٧] ، ولقد كانت الضربة القاصمة فى الحقيقة هى بالطبع ، تعيين قنصل بريطانى فى الحبشة ، ووصوله فى نفس الوقت الذى أصبحت فيه المسائل أكثر صعوبة لاسباب أخرى .

بلودين وروولاند : خيبة امل وبيى ، واللامبالاة من جانب على :

قضى والتربلودين اكثر من ٣ سنوات يتجول فى وسط اثيوبيا كما قرر أن يعمل كمبعوث لراس على لدى لندن فقد وصل الى مصوع فى اكتوبر ١٨٤٦ . وعلى الفور تقدم بطلب الى وزارة الخارجية البريطانية يرجوها تحول رحلته لكى يستمر فيها ويستطيع شراء [٣٣٨] . بعض الهدايا ويسحب معه مبعوثا بناء على رغبة الراس على من باب الشكليات ومرت بعض الشهور قبل وصول التمويل ، وقد غادرت البعثة مصوع من ابريل فقط ووصل بلودين الى لندن فى اغسطس ١٨٤٧ . وقد تأخر المبعوث واسمه اليكاديسنا فى القاهرة بزعم انه كان خائفا خوفا شديدا من تحطم السفينة فى البحر الاحمر لدرجة انه رفض ان يستمر فى الرحلة . ومن الواضح ان بلودين لم يعتبر وجوده شيئا ضروريا . ولم يحمل بلودين خطاباً من على كما ان الهدايا لم تكن كثيرة حتى قبل حطام السفينة ، فقد كان هناك غموض بصدد الغرض من البعثة : « ولا يفترض ان الراس كانت لديه ايه

(٣٣٦) AECP مصوع ١ ، وثائق أرقام ٢٠٦ ـ ٢٠٧ من ديجوتين الى دوين دى لهى فى ١٠ يناير ١٨٤٩ ، وثائق أرقام ٢٣٧ ـ ٢٤٤ ، من أرنولد الى باستيد فى ٦ فبراير ١٨٤٩ ، وقد عاد ليفيفر الى اثيوبيا فى منتصف عام ١٨٤٧م على رأس بعثة لاختيار عمال لجزيرة بوربون ، وقد فشل تماما فى هذه المهمة ، ولكنه مكث فى هذا البلد وعمل كمزارع وكتاجر محلى ، وكانت علاقته سيئة للغاية مع ديجوتين فى عام ١٨٤٨ وقد يفسر ذلك إدراج القنصل اسمه فى القائمة . راجع SOM المحيط الهندى ٤٣/١٠ ، ليفيفر الى مونتيللو فى ٨ اغسطس ١٨٤٧ ، والبرقيات التى تبعت ذلك ، وكذلك مصوع ١ وثائق ١٩١ ـ ١٩٢ من ديجوتين الى لامارتين فى أول يوليو ١٨٤٨م .

(٣٣٧) وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ ص ٣٧ بلودين الى بالمرستون فى ٢٨ يناير ١٨٤٩ ، كتاب رحلات بقلم بلودين ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

(٣٣٨) وزارة الخارجية ١/٤ ملف ١١ من بلودين الى بالمرستون فى ١٥ اكتوبر ١٨٤٦ ملف ١٩ ، من بالمرستون الى موراى فى ١٠ ديسمبر ١٨٤٦م نقلا عن كتاب رحلات بقلم بلودين صفحات من ٣١٥ ـ ٣٥٣ ، وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ ص ٢٣ حسابات بلودين فى ١٥ اغسطس ١٨٤٨م باسم المبعوث .

رؤية لاحراز أى نتيجة نهائية ومحدودة سوى قيام نوع من تبادل المجاملات والتسهيلات الناتجة عن ذلك وكذلك الحماية التى يمكن ان يقدمها للمسافرين الانجليز[٣٣٩] .

ولم يكن هناك أى ذكر عن الاسلحة أو مساعدات فى أى شكل آخر ، كما لم يكن هناك أى ذكر لتنازلات اقليمية أو مزايا تجارية . ومن الصعوبة بمكان معرفة ما اذا كان على أو بلودين هو الذى أخذ المبادرة لارسال هذه البعثة . ولكن كل شىء يشير الى ان الرجل الانجليزى (بلودين) وليس الراس هو الذى اتخذ هذا القرار . واذا كان بلودين اراد ان يقنع وزارة الخارجية البريطانية بأنه يقبل على مضض ورغما عنه حمل الهدايا ، فان ذلك لا يعنى ان نستبعد احتمال انه عمد الى ذلك بأخذ زمام مبادرة القيام بالبعثة لكى يستطيع السفر لانجلترا ويعود محملا ببعض الهدايا كل ذلك على حساب الحكومة البريطانية .

وفى البداية فانه أكد على رغبته فى الحفاظ على اثيوبيا مفتوحة لرجال العلم والبعثات والارساليات المتحمسة ، لكنه ما كاد يصل لندن حتى اتجه الحديث الى فرص التجارة[٣٤٠] وفى النهاية عقد اتفاقية فى هذا الشأن فقد اجتمع مع ليفيفر وتحدث معه فى طريقه ، وفى لندن كان من المعروف ان روشيه دى هيدكورت سوف يعود لاثيوبيا ليضع المعاهدة التى وقعها مع سهلا سيلاس منذ ثلاث سنوات موضع التنفيذ[٣٤١] . وقد وصل بلودين فى اللحظة المناسبة عندما كان تشارلز بيكى وآخرون يلحون فى القيام باتخاذ اجراءات فى اثيوبيا ، فقد كان اسم بيكى مطروحا للوكالة القنصلية فى مصوع فى أوائل نوفمبر ١٨٤٦ ولكن تم اسقاطه . وفى غضون الايام العشرة التى اعقبت مذكرة بلودين الأولى التى فسرت مهمته ، اتخذ بالمرستون قراره « اننى سوف أعين السيد بلودين كقنصل فى مصوع وكان يجب تجهيز صيغة اتفاقية له لكى يتم توقيع الامبراطور عليها وكذلك الراس . وانه لا يجب ان تتم اية محاولات للحصول على ملكية أى أرض »[٣٤٢] .

وبلا شك فان هذا القرار الاخير كان يشير الى اقتراح بلودين بان تعيين قنصل فى مصوع لحماية التجارة الاثيوبية ـ أمر مفيد ، « لكن احتلال هذه الجزيرة ان أمكن بوساطة الانجليز سيكون الوسيلة الاكثر فاعلية لاقامة تجارة دائمة وذات قيمة مع كل هذا الجزء الداخلى من افريقيا . وقد اقترح بلودين أيا من بديلين : إما ارتباط المؤسسة البريطانية فى انافيلا بمعاهدة مع وبيى يتم بمقتضاها تحويل التجارة لهذا الميناء أو التفاوض مع النائب ـ الذى ما زال يتمتع بالسيادة الفعلية على الاراضى الرئيسية ـ لشراء أركيكو[٣٤٣] وفى تناوله لهذه الاشكالية التى طال النقاش بصددها

(٣٣٩) وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ (إبتدائى) ، صفحات من ٧ ـ ١٠ ، مذكرات من السيد بلودين فى ١٢اغسطس ١٨٤٧ .

(٣٤٠) ص ١٢١ الجزء الثالث .

(٣٤١) ص ١٢١ الجزء الثالث من ٣٤٠ ـ ٣٤٥ .

(٣٤٢) الجزء الثالث ص ١٢١ — 543:340

(٣٤٣) ص ١٢٢ الجزء الثالث من ٣٤٦ ـ ٣٥١ .

حول السيادة وموقف النائب ، توصل بلودين الى انه ، يظهر لى أن هذا التشوش بالنسبة للحقوق والمزاعم غيرالمحددة سوف تحل نفسها على كل الجهات فى اطار الحقائق البسيطة للقوة والملكية ، الا انه من وجهة نظر بلودين فان الحقوق التركية فى جزيرة مصوع لن تكون محل نزاع كبير ، وهى وجهة نظر لا تتقبلها وزارة الخارجية البريطانية ومن الواضح ان بلودين فضل ان يرتكز على الارضية البريطانية ويناقش موضوع انافيلا مرة أخرى ، لكن بالمرستون تمسك بأن ، كل ما نريده هو التجارة ، والارض ليست ضرورية للتجارة ، (٣٤٤) وفى النهاية ، تم تعيين بلودين قنصلا فى الحبشة وليس فى مصوع وهكذا تم تجنب الاعتراف الصريح بالسيادة التركية وجعل من الممكن له ان يستقر حيثما يفضل عن الساحل وان يذكر انه يقيم على أرض اثيوبية (٣٤٥) .

ولقد اضعفت كل هذه المناقشات عن الساحل والتى زادها تعقيدا الانباء بنقل مصوع الى مصر ، وكذلك الانشطة (التى بولغ فى تجسيدها) للحاكم الجديد ، أضعف كل هذا وقلل من شأن مسائل الهدايا والاتفاقية ففى يناير ١٨٤٨ . تلقى بلودين مهام وظيفته والتعليمات وكذلك خطابا الى راس على موجه باسم سمو راس تيجرى ، كما تسلم صيغة مشروع اتفاقية يتم التوصل اليها مع الامبراطور بدون أى تغييرات ذات بال وقد تم تخصيص ٤٠٠ جنيه استرلينى للهدايا ، بينما تم استخدام ٩٠ جنيها استرلينيا للسلاح وما يعنيه ذلك من رغبات محدودة وقليلة للاستخدام الشخصى للراس وبعض قادته (٣٤٦) .

ان التغييرات التى حدثت فى مصوع أو اركيكو فى غياب بلودين جعلت من غير المحتمل ان يكون بلودين قادرا على العمل هناك كحام لاثيوبيا وكعنصر فعال يمكنه ترويج التجارة البريطانية . وعلى الفور قام بزيارة الى انافيلا واقترح الاقامة هناك فى ظل رفيقه الايطالى بشرط ان تعد الحكومة البريطانية بحمايته . وقد تمت زيارات حديثة خاصة بكل من ليفيفر وانتونى دى ابادية لاظهار الحاجة للعمل (٣٤٧) . الا ان اهتمام بلودين الاساسى كان اقامة علاقة مرضية - ان امكن - مع ويبى ومن ثم يتابع مسيرته ومهمته لجوندر ، وديبرى تابور . وقد كان ويبى سعيدا لسماع ان بلودين سوف يقدم حماية أفضل للتجار الحبشيون فى مصوع ، كما أعلن أيضا البريطانيين (٣٤٨) . ولا ريب أن اعادة انتيهوا الى كوفين (فى اغسطس ١٨٤٨) وطرد دى جاكوبيس (فى اكتوبر ١٨٤٨) ، كانت دلائل على تغير اتجاهات ويبى على الرغم من ان اتهامه بأن وصول القنصل البريطانى قد أدى الى طرد البعثة الكاثوليكية أمر يصعب تبريره بهذه الطريقة (٣٤٩) ، كما انه كانت هناك علامات أخرى عن تغيير المناخ أيضا فروشيه لم يذهب لشيوا ولكن سبق بلودين عبر مصوع الى جوندر فى محاولة لكى يحصل الفرنسيون على ما كان سيحصل عليه البريطانيون ، وفى طريق عودته للشاطىء ، زار ويبى فى سيمين . وعلى الرغم من انه استقبل استقبالا ودودا ، الا انه لم يتسلم الخطاب المعتاد الذى يشير الى الصداقة والرغبة فى الحصول على مساعدات (٣٥١) . وبعد النقاش مع التجار المسيحيين البارزين ، سافر بلودين مع نيجرد راس كيدانى ماريام حاكم جوندر وبعد أول مقابلة مع ويبى فى

---

hg-.‘ hgehge 221.P (153–643)

يناير ١٨٤٩ ، وكان هذا قبل زيارة روشيه مباشرة ، شعر بلودين انه من السهل التكهن بتصرفات معينة وهى ان التجار ربما يطلبون الحماية البريطانية من خلال راس على ، وان ويبى ربما يطلب الحماية البريطانية ضد الهجمات التركية على أراضيه ، وقد أعرب القنصل عن أمله فى ان تستجيب الحكومة البريطانية لأى نداء من ويبى مع تأكيدها ان استجابتها هذه لا تعنى سعيها لاحتلال جزيرة مصوع على الساحل ، واذا حدث هذا ، فسوف يصبح بمقدور ويبى اعادة تعيين أحد النواب والذى قد فر من مصوع - لكى يحكم الساحل نيابة عنه (٣٥٢) ، ومن الواضح ان هذا كان سياق العمل الذى كان يلائم ويبى كان ، أيضا يتوافق مع الاتجاه البريطانى المبكر نحو المزاعم العثمانية وكذلك المصالح التجارية البريطانية .

ومن وجهة النظر هذه ، فقد كان هذا مؤشرا هاما بالنسبة لأولويات الامير الاثيوبى والذى كان طلبه الأول والواضح الحصول على رجال ملتزمين يتراوح عددهم ما بين ثلاثة أو خمسة وكان يرغب ان يستقروا فى بلاده مع الوعد باعطائهم ما يريدون من أرض وأجر (٣٥٣) . وقد أضاف القنصل الذى وصله الخطاب ، ان ويبى يريد هؤلاء الاشخاص لبناء الكنيسة . وأوصى بأن يضم هذا العدد مهندسا معماريا ويفضل أيضا من له خبرة فى بناء الكبارى فضلا عن أربعة بنائين ونجار (٣٥٤) . وقد تم التعبير عن اهتمام بلودين الخاص بشأن الطلب الرسمى للحماية والصداقة البريطانية ضد الهجمات التركية فى الخطاب الثانى الذى أرسله الى الملك ، زكتوريا ، والذى كان اقرب ما يمكن الى اسم الملكة الشهيرة وقد شرح ويبى انه فى الايام الماضية كانت مصوع فى ايدى اجداده ، لكن الاتراك أخذوها ، عندما حاربنا بعضنا ضد بعض ، . ومنذ عامين ، اتخذ الاتراك خطوة جديدة بارسال الجيش واحتلال منيكولا وبوابة دى هونو (والتى تسمى أركيكو اليوم) ، وقد توقفت الجزية التى كان يدفعها النواب بصفة منتظمة فى الماضى ولذلك فان ويبى ارسل جيشه وطارد الاتراك حتى مصوع ولان فيكتوريا تعد ملكة مسيحية قوية ، فان ويبى سعى لصداقتها ، وان جيش المسلمين لم يأت ويأخذ بلدنا منا وينهبنا ، (٣٥٥) ورغم ان هذا الكلام كان موحيا به من بلودين ومكتوب بوساطة أحد الاثيوبيين الملازمين له بصفة دائمة (٣٥٦) ، فانه يمكن القول ان هذا الخطاب كان فعلا تعبيرا عن وجهات نظر ويبى خاصة فى تقويمه لاحداث الماضى لكنه كان أكثر غموضا فى طلبه للمساعدة ضد الاتراك ، وقد كان الطلب أكثر من مجرد بيان لحقائق معينة أو مفترضة فقد كان طلبا لمساعدة محددة ، أنت أمير مسيحى ، لذلك من الطبيعى ان تتحالف معى ضد المسلمين وأنت تكره

---

(٣٥٢) ص ١٢٣ الجزء الثالث . وكان هذا هو النائب محمد الذى حل محله حسن مرة أخرى وقد كان زميل وثيق لكوفين وكان يعد نفسه للحصول على المنصب فى ظل ويبى أكثر من مرة .

(٣٥٣) الخطاب مكتوب على النمط الاثيوبى وغير مختوم .

(٣٥٤) ص ١٢٣ الجزء الثالث .

(٣٥٥) ان هذا الخطاب مكتوب بايدى أخرى بخلاف خطاب ويبى لبلودين وقد كان ختم الأسد مشابه تماما للمستخدم فى ١٨٤١ .

(٣٥٦) يبدو أنها نهاية منصفة ، لأن الخطاب من على لفيكتوريا تم كتابته بعد عدة شهور وأرسل من خلال بلودين باليد .

الاتراك ، لذا أنت لا تريدهم ان يحصلوا على أى أراض أو عوائد على حسابى ، أنت تحب الاثيوبيين وهذا مرض » ، ان المقارنة بالترجمة الانجليزية تكشف ان القنصل اراد أكثر قليلا من ذلك أما فى الترجمة الأمهرية ، فالبيانات المعلنة عن مصوع اشارت بوضوح للموقف قبل وبعد الحروب الاهلية والاحتلال التركى فى القرن السادس عشر ، وجاءت الترجمة كالآتى « وحديثا ، عندما اختلفنا فيما بيننا ، استطاع الاتراك امتلاك مصوع » ، وفى الجملة التى عبر فيها ويبى عن رغبته فى منع الاتراك من توسيع ممتلكاتهم فقد ذكرت مصوع مع اضافة « على الرغم من انهم ليس لهم هذا الحق » ومن الواضح ان بلودين اراد اقناع لندن بأن ويبى يطالب بمصوع باعتبارها أحد الممتلكات التى فقدها حديثا ولقد كان طلب ويبى حتى فى صيغته الانجليزية محدودا بشكل حقيقى فى اصراره على ما جاء فى المضمون التركى من امتلاكهم جزيرة مصوع بدون ان تطأ .

أقدامهم الاراضى الرئيسية أو التدخل مع النائب الذى قمت بتعيينه فى اريكيكو وفى الساحل . وكان هذا كافيا بالنسبة لبلونديل لأن يعرف ما عرفه فالنتيا منذ اربعين سنة مضت(٥٨) وهى ان مصوع ليست لها اى قيمة سوى انها ميناء الحبشة . ولذلك فقد أوصى بالقيام بعمل دبلوماسى . حاسم .

« اننى اثق فى ان سموك تنتهز هذه الفرصة لايجاد حل للمشكلة بين حاكم الاحباش وحاكم مصوع لصالح الأول وهو الأمر الذى يتيح لنا حرية اختيار الميناء الملائم لتجارتنا ودخول الحبشة . اذا قمت سموك بترتيب هذا الامر ، بحيث لاتعمد الحكومة التركية الى الادعاء بطلب اى شىء يتجاوز جزيرة مصوع فيمكنك أن تترك ما تبقى لى وسوف أتصرف حياله بطريقة مناسبة اننى واثق من ان سموك سوف يساعدنى لأبعد حد ممكن وفى اسرع وقت ، لان مثل هذه الفرصة السانحة لن تتكرر قبل فترة طويلة ، كما انه لايوجد اوروبى له هذا القدر من النفوذ على هذه الدول مثلى . وهذا كان اقصى ماوصل اليه بلودين ، فانه كان يعلم جيدا القيود التى تحيط بالتعليمات الصادرة اليه ، كما كان يدرك رغبة ويبى الواضحة بأن يرى الاخير دليلا على النوايا الحسنة للبريطانيين مثل الالتزام امامه بأى نوع من التعاون . وبالإضافة لذلك ، فان الأولوية لدى بلودين كانت التوصل الى توقيع المعاهدة مع على ، وكان عليه توجيه اهتمامه بهذه المسألة دون أدنى تأخير وقد قدم هذا للوكلاء الفرنسيين الفرصة الاخيرة لكسب ثقة ويبى ومنع قيام وجود بريطانى ناجح على الشاطىء . وقد قرر خليفة ديجوتين وهو نائب القنصل الفرنسى فى مصوع ايوجين رونالد بانه لاتوجد دبلوماسية تجعل ويبى يقبل ان يكون للاتراك أى حقوق فى الاراضى الرئيسية ، ففى هذه القضية فان الموقف الفرنسى لم يكن مشكوكا فيه مثلما كان الموقف البريطانى فى الماضى .وقد اقترح رونالد بانه اذا اظهر ويبى تفضيله للبريطانيين ، فانه يمكن تهديده بالاتراك أو بامكان تزويد منافسه ارياسيلاسى بالسلاح . ومهما كانت نتائج المفاوضات المتحددة ، فانه يجب ان يتم احتلال انافيلا أو(اد) كقاعدة للنفوذ والتجارة الفرنسية . وكما فضل ديجوتين من قبل ، فان رونالد استهجن غياب السفن

الجزء الثالث P.R24 357-360

الحربية الفرنسية . وعلى الرغم من ان الاثيوبيين احبوا الفرنسيين ومقتوا البريطانيين ، فانهم خشوا من الاخيرين لانهم لم يرغبوا فى المخاطرة بأن يكونوا تحت رحمتهم . فطبقا لرونالد فان فرنسا تستطيع بجهد قليل ان تصبح مالكة او حامية البلاد ككل كما تستطيع الاستيلاء على التجارة التى تقدر بـ ٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك خلال سنة أو سنتين(٣٦٠) .

وقد اتخذ دى جاكوبيس وشيمبر اجراءات للاعداد لاجتماع بين ويبى ورونالد ، وعلى الرغم من عدم تلقى رونالد أى رد من باريس ، فقد ترك مصوع فى ١٦ سبتمبر متجها الى معسكر ويبى فى هاوزن ، وقد شرع جاكوبيس فى العودة الى جويلا قبل ذلك بأيام قليلة ، ولكنه تلقى تعليمات من وفد ويبى والذى شمل هابتا سيلاس وليفيفر بان يترك تيجرى فورا مرة اخرى(٣٦١) ، ومن الواضح ان ويبى لم يكن مستعدا لتقديم اى تنازلات اساسية للبعثة الكاثوليكية . ومع ذلك فقد فسر رولاند الاستقبال الودى كاشارة بان ويبى يشعر باحتياجه للفرنسيين وان هذا يعود من وجهة نظر رولاند اساسا الى انشطة بلودين الذين تآمر بدوره مع ابونى سلاما وارياسيلاس ضد ويبى ، وفى نفس الوقت عمل على اثارة ويبى لكى يشن هجوما على مصوع مما يوفر فرصة لعلى أن يغزو تيجرى ، وللبريطانيين أن يحتلوا الساحل(٣٦٢) ، وفى الواقع لم يكن هناك أى مخاطرة بأن على سوف يقوم بهجوم فى هذا الوقت لانشغاله بمشاكله مع بيروجوشو فى جوجام(٣٦٣) . وقد كانت المشاكل بين ويبى وابونى سلامة تتوقف بصفة عامة « على قبول ويبى النهائى لوجود البعثة الكاثوليكى وكان ويبى قد أوضح انه لن يخاطر بموقعه فى تيجرى فى سبيل هذه القضية(٣٦٤) وبخصوص الساحل ، فقد ضايقت ويبى النشاطات المصرية التركية وليست النشاطات البريطانية ، وقد كان هذا سببا غير اساسى جعل ويبى يفضل المساعدة الفرنسية على البريطانية فى هذه المسألة ، ولكن لايوجد دليل على انه فعل ذلك . يظهر هذا بوضوح تام من تحليل الوثائق الثلاث التى حصل عليها رولاند كدليل على نجاح مهمته : نوع التفويض الشرعى من الرئيس الفرنسى لكى يتفاوض بصدد الانسحاب التركى من الاراضى الاثيوبية الرئيسية ، والمعاهدة التى كانت تنتظر تصديق الحكومة الفرنسية عليها والتى كان قد تم توقيعها من كل من ويبى ورولاند ، وخطاب لرولاند يشير الى أن ويبى يأسف على الهجوم الذى وقع على منزل القنصل الفرنسى فى مينكوللو ، وقد كتبت الوثائق باللغة الامهرية والفرنسية وقد صدق ليفيفر وشيمبر على صحة الترجمة الفرنسية وصحة ختم ويبى : وقد قرر رولاند ان يحتفظ باصول الوثائق فى مصوع وقام بارسال نسخ هذه الوثائق والتى صدق هو عليها - الى باريس(٣٦٥) .

(٣٦١ - ٣٦٣) P.125 الجزء الثالث

(٣٦٤) قبل دى جاكوبيس حل وسط : وهو السماح له بالاقامة التينا وساندرولاند فى باريس . انظر الباقى 125 الجزء الثالث

(٣٦٥) AECP 1899 ان هذه الوثائق تعد نسخة ثانية . حملت مذكرة تقول ان الوثا_ الأولى فقدت فى حطام السفينة . وقد شهد رولاند انهم نسخوها فى ٢٠ ديسمبر عام ١٨٤٩ من الأصول المودعة بالقنصلية . وان اصل خطاب ويبى لرولاند حصل عليه القنصل ليجان ، وقد أثبت اشتراك ليفيفر وشيمبر وصحة ختم ويبى على الوثائق على الأقل . ولم استطع تتبع اصول الوثيقتين الأخريين الهامتين .

وفى ظل هذه الظروف ، فانه من المستحيل التأكيد على صحة هذه الوثائق او عدم صحتها . واذا لم تكن كذلك فان هذا يعنى ان النتيجة الاساسية لمهمة رولاند كانت هى أنها اعطت ويبى الفرصة للتأكيد بان دى جاكوبيس قد قبل فرض قيود على حركته بيد انه توجد دلائل على ان ويبى وافق بالفعل بطريقة ما على صيغة هذه الوثائق[٣٦٦] ، فمن ناحية ، اللغة البسيطة للغاية ، والجمل المفتوحة غير العادية ، والتواريخ غير الصحيحة واسبقية توقيع النص الفرنسى على امهرى بيوم واحد واستخدام عبارة « نوجوس » أى ملك كتوقيع ويبى فى وثيقتين ، كل هذا يشير الى انه كان هناك كاتب اجنبى للنصوص الامهرية . وقد خاطب الكثير من الرحالة الفرنسيين - وخصوصا ليفيفر - ويبى بالملك فى مراسلاتهم ، ولكن لايوجد وثائق يمكن ان نجد فيها بشكل قاطع وبدون أدنى شك أن ويبى كان ينظر الى نفسه بوصفه ملكا . ومن ناحية أخرى ، فان نص المعاهدة ، والذى كان بالطبع اكثر اهمية والذى كان قد تم عمل نسختين منها كان يتضمن ويبى بوصفهDejjazamach او حاكم . . . » وذلك فى النص الامهرى ، وكان يستخدم عبارة Oubie Voidu أو ملك . . . وذلك فى النص الفرنسى . وقد كانت الاختلافات جوهرية وعلى درجة كبيرة من الأهمية . وتحدد الترجمة الأمهرية للتفويض الشرعى المناطق التى على الساحل والتى تنتمى لويبى باسم Shi ho (أو ساهو) ، وآدال وايلال وحباب بينما كان الفرنسيون يتحدثون فقط عن انتهاء الخلافات التى تتعلق بملكية البحر الأحمر وفى اللغة الامهرية ، طلب ويبى انسحاب الاتراك بشكل اختيارى وعن طيبية وذلك حتى « لاارسل جيشى ، ولكى لاتراق دماء » ويختتم بقوله « وارسل هذه الرسالة لان ما تقوله انت هو ما اقوله أنا » (تمت كتابة عبارات بالامهرية ترجمتها بالفرنسية كالاتى :

« نحن نعلن اننا نقبل بدون مشاورات ومقدما ماسوف تقوله الحكومة الفرنسية فى هذا الصدد (بخصوص الساحل) وسوف نلتزم بقرارها سواء كان لصالحنا أم لا »[٣٦٧]

ولم تكن هذه ترجمة فقط بل استخدمت لغة قانونية ، ولقد أوضح التأكيد على قول ويبى المسبق لقرار الحكومة الفرنسية أيا كان ، أوضح ما كان يريده رولاند . ولا يوجد سبب يوضح لماذا لم يظهر هذا فى النص الامهرى الا اذا افترضنا انه قد تم طرح هذا النص امام ويبى او انه قد تمت قراءته عليه . واذا قبل المرء ذلك فان النص الامهرى يعد تعبيرا حقيقيا عن افكار ووجهات نظر ويبى ، ومن الواضح ان حاكم التيجرى كان مستعدا تماما لقبول أن يكون الرئيس الفرنسى متحدثا باسمه لدى اسطنبول ، لكن كان من الواضح ايضا أن شرط الوصول لتسوية سلمية هو الانسحاب التركى ، ومن المؤكد أن ويبى لم يعط الحكومة الفرنسية كارتا ابيض أو موافقة على كل شىء ، وكشفت ترجمة المعاهدة عن نفس النوع من الأزدواجية ففى النص الفرنسى افترض ان ويبى سيلزم نفسه باعطاء فرنسا الحق فى اقامة محمية وطرد كل الأمم الاخرى والوجود الدائم لفرنسا فى الاماكن الموجودة على الساحل التى تلائمها . وطبقا للنص الامهرى فان الفرنسيين سوف يقومون بحماية

الجزء الثالث.P. 366 – 367 P.126

البلاد ضد دخول اى عدو اجنبى وهذا بعد سماح ويبى للفرنسيين وليس لأى أجانب آخرين أن يقيموا منزلا أو منازل على الساحل[٣٦٨] . وهنا يظهر الاختلاف مرة أخرى بين الالتزام المجرد بعيد المدى وهوفرض الحماية الاوروبية على الساحل بكل ما يترتب عليها من نتائج ، وبين ما يمكن توقعه بشكل معقول من حاكم تيجرى . بالنسبة لويبى ، كانت القضية راسخة وواضحة فقد احتفظ الفرنسيون بهدوئهم عندما احتل الاتراك اركيكو ومينكوللو . ونتيجة لذلك فقد شاهد ديجوتين منزله فى مينكوللو قد تم تدميره فى بداية العام . واذا انتصر الفرنسيون على الاتراك واجبروهم على اخلاء الاراضى الرئيسية ، فان ويبى كان سوف يسمح لهم ببناء منازل جديد هناك . ومن اجل ١٠٠٠ جندى مشاة ومدفعين جبليين ، وعدهم ويبى بانه لن يسمح لأى اجنبى آخر أن يقاسمهم المكان[٣٦٩] ، وهذا يعنى على سبيل المثال بلودين وكوفين . ولكن هذا لم يكن يعنى أن ويبى كان تعاطفه قد تحول مرة أخرى ، وفضل رولاند على بلودين ، أو فرنسا على بريطانيا العظمى ، بل واكثر من ذلك فان هذا لايعنى ان ويبى لم يخول القنصل الفرنسى الحق فى منع دخول الاجانب الأخرين اثيوبيا . بالنسبة لويبى كان التأكيد على العدو وليس على الأجنبى . وبالتأكيد فقد قرر ويبى ان يحدد بنفسه من هم اعداؤه واصدقاؤه . ومن المحتمل ان ويبى نظر الى مهمة رولاند بجدية تامة

ومع عام ١٨٤٩ كان ويبى قد اصبح له خبرة اكثر من عشر سنوات مع الارساليات الرسمية وشبه الرسمية . ولم تنفذ أى واحدة من هذه الارساليات ما وعدت به . فقد سبق أن استمرت مهمة ليفيفر عشر سنوات ، كما استمرت مهمة شيمبر ودى جاكوبيس خمس سنوات . وباستثناء بعض الهبات والمنح فان هذه المهام لم تسفر عن شىء وقد تكرر حدوث نفس الشىء مرة اخرى فقد فقدت رسائل وبرقيات رولاند الاولى . وقبل أن يصله اى ردود ، تشاجر مع السلطات التركية فى مصوع وتركها للقاهرة . وقد استعرضت الحكومة الفرنسية الحالة المرتبكة لعروض ويبى للموانى والمزايا وقررت انه لم يحن الوقت بعد للتصرف . ولم يسمع ويبى أى شىء عن مبادرة رولاند وعندما حاول ليفيفر مرة أخرى ان يعود فى مهمة بعد ذلك باربع سنوات رفض حاكم التيجرى لأنه لم يحصل على اى رد[٣٧٠] .

وفى وقت زيارة رولاند ، كان ويبى مازال ينتظر ردودا من لندن ولان اقامة بلودين مع على كانت بهدف الوصول لمعاهدة تجارية بينهما ، فقد استغرق وصول رد الى ويبى بشأن طلباته حوالى عام تقريبا وفى النهاية جاءت الردود بالسلب . وقد كتب بالمرستون يقول ان الملكة ستكون سعيدة ان تفعل اى شىء يكون مقبولا لديك فى هذا المجال اذا كانت ظروف الحالة تساند دعواك ، لكن سلطان تركيا هو أيضا صديق للملكة . . .[٣٧١] وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية ظلت تردد ولمدة ١٨ شهراً ان تدخل محمد على حتى فى سواكن ومصوع كان بمثابة اعتداء على الحبشة[٣٧٢] ، فقد اعتقد بالمرستون ان التدخل امر غير مفيد الآن . وبالنسبة للعمال اليدويين فان

(٣٦٨ - ٣٧٢)الجزء الثالث P.127

بلودين تلقى تعليمات تعمل على ابعاد ويبى عن فكرة الحصول على مساعدة العمال الانجليز، والتفكير فى استخدام العمال الهنود[٣٧٣] . وقد كان رد فعل ويبى مميزا، ويمكن التنويه عنه كالأتى : ـ

ان هذا الخطاب من الملكة فيكتوريا يعد خطابا مهذبا لكن جوهره يكمن فى ثلاث كلمات هى : اننا لا نريد مساعدتك . فانكم تقولون انكم اصدقاؤنا واصدقاء لدينا، ولكننى لا ارى ذلك حتى الان . فانتم تقولون انكم اقوى من المسلمين (أى من المحمديين) ومع ذلك فانكم لم تثبتوا ذلك، فقد مرت سنوات كثيرة منذ بدأت مراسلات عديدة مع الدول الاوروبية على أمل مساعدتى فى نقطتين : الأول حماية تجار بلدى، والثانية انهاء تجارة العبيد فى مصوع بالتعاون مع الراس على والفرنسين على الساحل . وقد اعلنت اننى سأسعد اذا رأيت مصوع فى أيدى المسيحيين، واننى املك القوة للاستيلاء عليها ولكننى لا استطيع ان احتفظ بها ضد السفن والمدافع، وسوف نرى مع الوقت اذا كنتم ايها الانجليز سوف تساعدوننا . . ام انكم مثل الباقين . . . [٣٧٤]

ومن الواضح انه لا يمكن استبعاد ما كتبه بلودين، فعلى سبيل فيما يتعلق بالقضاء على تجارة العبيد، ومصوع، فهذه قضايا ربما وجد بلودين انه من المفيد التأكيد عليها ومن ناحية أخرى فان ويبى أظهر قلقه بصدد خطف الأطفال المسيحيين وبيعهم فى سوق العبيد فى مصوع وبخصوص امتلاك مصوع فان اتجاه ويبى كان معقولا فى ظل الظروف السائدة ولا تختلف كثيرا عن موقف رأس

ويلدى سيلاسى من اربعين عاما مضت . فضلا عن ذلك، فان بيان ويبى كان تعبيرا عن خيبة الامل والوهم فلمدة ١٥ سنة، اتصل بحاكم التيجرى أولئك الاوربيون الذين تحدثوا عن الايمان المشترك والمشاعر الودية وعظمة بلادهم وقوة ملوكهم ورغبتهم فى مساعدة المسيحيين ضد المسلمين والتعاون مع الحكام الاثيوبيين فى تطوير نموذج للتجارة اكثر ربحية للاثيوبيين . ولقد قدموا من تلقاء أنفسهم وطرحوا وعودهم بل على الاقل اثاروا وانعشوا بعض الامل . وفى كل هذا، كان هناك رنة عدم رضاء . فالمسألة الوحيدة التى بدت أنها اغضبت ويبى، كانت هى رفض ارسال عدد قليل من العمال للمساعدة فى بناء كنيسة كما لو انه لا يستطيع ان يؤمنهم ويحميهم . [٣٧٥]

ولقد كان عقد صداقة مع ويبى أو ادخال تحسينات فى مصوع أو خلق منفذ بديل لها فى المناطق المجاورة هو الهدف الواضح لأى شخص يرغب فى الاستفادة والربح من التجارة مع أثيوبيا بصفة عامة واقاليمها الشمالية بصفة خاصة فبالنسبة للقنصل بلودين ووزارة الخارجية البريطانية، كان ذلك أمرا ثانويا، وقد دفعت الظروف بلودين الى عقد صداقات مع راس على والمجتمع الذى يعمل فى مجال التجارة فى منطقة جوندر . وكان من الواضح أن بلودين من الاشخاص الذين يعتمد عليهم

الجزء الثالث P.128 .373 - 375

راس على وهو رئيس لوبى ـ اكثر من الاشخاص الاوروبيين الآخرين[٣٧٦] ولذلك ففى خطة بلودين للعمل، كانت فكرة ان يكون له مركز قوى فى جوندر هدف أولى . وكانت السيطرة التجارية هناك والتى دعمتها معاهدة التزام لصالح على لكى يتم اعفاء التجارة من أى رسوم جمركية على أى سلع تدخل وتخرج من جوندر، كانت ستوفر الفرصة للاستيلاء والسيطرة على كل الامور حتى منطقة الساحل وكان هذا التبرير واضحا فى كل من تعليماته وفى شروط المعاهدة التى قدمها بلودين الى راس على لكى يوقع عليها فأولا، كانت المعاهدة يجب ان تكون موجهة باسم الامبراطور او بالاسماء المشتركة للامبراطور والراس، وكان يجب أن توقع باسم الاثنين[٣٧٧] وثانيا، فان رسم الاستيراد الوحيد الذى كان المفروض ان يتم دفعه هو ٥٪ من القيمة المقدرة للسلع فى السوق بجوندر . وبمجرد أن يتم دفع ذلك لجلالة ملك الحبشة، فان الرعايا البريطانيين يصبحون احرارا فى التصرف فى بضائعهم فى أى مكان أو اماكن داخل اراضى الحبشة دون حاجة الى تصريح أو بدون اى تحريم أو قيد أو أى رسم أو ضريبة من أى نوع تفرض على المشترى، وبالتالى فقد تم الغاء رسوم التصدير ايا كانت[٣٧٨] . وقد دخلت مفاهيم الدولة الأولى بالرعاية والتبادل، لكن هذا الجزء الاخير يتضمن الى ٥٪ المقترحة للتعريفة . ثالثا، تم تضمين التزام كلا الطرفين بالحفاظ على هذا الانفتاح وضمان تدفق العوائد بين الساحل والحبشة، كشرط غير تبادلى يمنح للقنصل البريطانى فحسب اختصاص الفصل فى المنازعات بين الرعايا البريطانيين أو بين الرعايا البريطانيين ورعايا الحبشة أو بين الرعايا البريطانيين ورعايا أى دولة أجنبية أخرى .[٣٨٠]

وليس من الصعب ان ندرك ان هذا الاتفاق المقترح يمكن ان يصبح أداة قوية للغاية فى يدى أى قنصل نشيط .

فى اثناء غياب بلودين الطويل عن منطقة وسط اثيوبيا، وضع على نهاية لصراعه مع يبى . وكان على وشك التصالح ايضا مع زوج ابنته الطموح كاسا هليلو بصدد مستقبل تيودوز الذى سبب له مشاكل كثيرة لاكثر من عامين . وظلت المشكلة الوحيدة المستمرة هى تمرد بيرو جوشو فى جوجام[٣٨١] .

وقد قام روشيه دى هيركورت بزيارة لجوندرو ديبرى تابور بعد الامطار عام ١٨٤٨ فى ذروة التمرد الثانى الذى قام به كاسا، وقد باءت بالفشل محاولاته لاقامة علاقات دورية متكافئة بين الطرفين، وعلى الرغم من استقبال على له استقبالا وديا، فليس هناك أى مؤشرات حتى فى رواياته تشير الى انه تمكن من اقتناع الراس فى الدخول فى اى معاهدة تجارية[٣٨٢] . وقد تفادى بلودين المرور عبر المنطقة الواقعة تحت سيطرة كاسا، ووصل بسلام الى ديبرى تابور بما يحمله من هدايا

(٣٧٦) وجه بالمرستون خطابه الى سمو راس التيجرى وقد كان هذا بمثابة أمر مربك وحتى لو هو بالفعل اربك نفسه فالفكرة من وراء ذلك ان رئيس الوزراء للحبشة قد عرف راس ويلد سيلاس من خلال صولت قبل ذلك بسنوات عديدة .

الجزء الثالث P. 129 (383 - 377)

من الحكومة البريطانية وكان على سعيدا بالهدايا وحاول مكافأة القنصل بمنحه قريتين مقابل ذلك(٣٨٣) بيد ان الراس لم يبد اى اهتمام بالمعاهدة ، وقد اجل بلودين المسألة على أمل ان يتمكن بيل من مساعدته فى اقناع الراس فيما بعد(٣٨٤) ومن وجهة نظر بلودين فان من اسوأ صفحات « على » الشخصية كراهية اى عمل جاد واللامبالاة لأى شىء لا يعنيه فى التو واللحظة ، وبالتالى اللامبالاة ازاء اى شىء يتعلق بأوروبا . وفى الحقيقة يمكن للمرء اكتشاف أمثلة لعدم حماس على ولامبالاته فى التعامل مع قضايا وشئون الدولة بيد أن مغزى بيان بلودين يوضح مدى الموقف السخيف واللامعقول لكثير من المبعوثين الاوروبيين فى ذلك الوقت . فبسبب النتائج السياسية والاقتصادية المترتبة على انشطتهم ، فان مقترحاتهم استحقت ان تؤخذ بجدية ، ومع ذلك كان من السخف منهم ان يتوقعوا من الحكام الاثيوبيين ان يعتبروا الوثائق التى تؤمن مصالحهم كحفنة قليلة من الاجانب موضوعا أهم واكثر خطورة من قمع تمرد أو من شراء حصان جديد وبعد اكثر من ثمانية شهور ، انفق الراس مبالغ ضخمة على حملته لجوجام ، وتمكن اخيرا بلودين وبيل من الحصول على توقيع « على » على معاهدة ٢ نوفمبر عام ١٨٤٩ . ولقد أوضح وصف بلودين التصويرى لمراسم التوقيع كيف كان الحاكم الاثيوبى حتى تلك اللحظة غير مستعد لهذا النوع من الاتصالات الاجنبية .

« وطبقا لذلك ، ففى صباح ما ، ذهبت الى خيمته الداخلية ، وقرأت عليه المعاهدة المكتوبة بخطى ، وبعد كرم الضيافة الاساسى ، تحدث معى عن Shoomeree المفضلة ، عن الحصان الذى كان مقيدا بالخيمة ، والذى رفسنى بقدميه اكثر من ٦ مرات . (كنا نجلس كلنا على الأرض بما فينا الراس) وعندما سألنى عن بعض المسائل التافهة ، نبهته مرة أخرى الى الموضوع الذى كان يقرأ على مسامعه وقد وافق على ذلك . . . وتثاءب بشدة واخيرا انتهت القراءة بعد توضيحى لبعض النقاط التى كانت تحتاج الى تفسير ، وقد قال الراس انه لا يرى اى ضرر فى الوثيقة ، بل على العكس انها ممتازة ، لكنها من وجهة نظره فانها ليست ذات أى فائدة ، لانه لا يفترض طبقا للقواعد فى الحبشة أن أى تاجر انجليزى قد يستطيع أولا يستطيع ان يدخل الحبشة خلال عشر سنوات(٣٨٧) » .

ولم يترك اى نقاش جرى اى آثار على المعاهدة الموقعة . وقد تطابق النص الانجليزى مع المسودة ، وكانت الترجمة الامهرية التى تمت بواسطة سكرتير بلودين وكاتبه ، ترجمة ـ امينة ، ولكن كان يوجد جزء واحد فقط ، تمت اساءة ترجمته وهو الجزء الذى يمنح الاختصاصات القنصلية فى اثيوبيا الى « القنصل الذى يمثل ملك الحبشة ، واذا كان هذا ليس زلة قلم ، فان بلودين نفسه أو بلودين وسكرتيره كانا قد قررا ببساطة ان لا يخاطرا وذلك بأن يجعلا هذه الجملة تبدو مقبولة وذلك من خلال خلط الأمور كما لو كان بلودين ومن سيخلفوه فى وظيفته سوف يعتمدان على الحكام الاثيوبيين فى تعيينهما وفى منحهما سلطتهما(٣٨٨) .

الجزء الثالث P. 130 384 - 388

وكانت المشكلة الوحيدة التى تواجه بلودين تكمن فى ان تلقى التعليمات يستلزم الحصول على توقيع الامبراطور الى جانب توقيع الراس ولكن بلودين قرر ان تستغنى حكومته عن ذلك والا تفعل شيئا مثل هذا حتى لا تثير غيرة الراس . (٣٨٩) وقد وقع الاخير على انه « على » ملك الحبشة . ولان عبارة « جلالة ملك الحبشة » (التى من المفترض ان تعنى الامبراطور) فى النص الانجليزى كانت قد تم ترجمتها « نيجوس الحبشة » فى كل كلمات المعاهدة ، فان معنى ذلك ان « عليا » كان فى الواقع هو الطرف المتعاقد . (٣٩٠) ومع ذلك فقد تم توضيح ختم ثان زعم انه يمثل موافقه الامبراطور غير المحدد فى اسفل الوثيقة جنبا الى جنب مع ختم على ، وقد جعل هذا الاجراء القضية مربكة ومحيرة بشكل كبير لانها سمحت بان يكون هناك اكثر من تفسير واحد للوثيقة . وعندما ادرك بلودين انه لم يستطع التأثير الا بشكل ضئيل على « على » ، من خلال دبلوماسيته ، فقد أوصى بارسال التصديق على المعاهدة الى الراس « لابهاره والتأثير عليه بحقيقة ما تم تحقيقه من تعامل »(٣٩١) . وعندما تم ذلك ، اكتشف ان النسخة الاولى للوثيقة قد سرقت من بلودين ومن ثم فان على تلقى التصديق فى اول مارس ١٨٥٢ فقط(٣٩٢) .

ولقد كان واضحا ان على لم يفهم تماما معنى معاهدة ١٨٤٩ . فقد رأى انها محاولة غير ضرورية لتأمين الحماية للتجار البريطانيين فى جوندر ، وهى غير ضرورية لانه يحضر منهم احد على اية حال ، لانه يمكنه تأمين حمايتهم بدون معاهدة اذا حضروا ، واذا اراد هو . وان اى تاجر أثيوبى يسعى للاستفادة من البنود (فى المعاهدة) التى تضمن حرية الحركة ومن المزايا التجارية لهم فى بريطانيا العظمى سوف يكونون بعيدا عن سلطته . وفى خطاب الشكر عن الهدايا التى ارسلتها له بريطانيا مع بلودين ، طرح على مسألة حماية وتأمين التجار الاثيوبيين فى مصوع حيث انه لايوجد شرط واضح فى المعاهدة بذلك . (٣٩٣)

كما كان لعلى طلب خاص بعيدا عن المسائل المتعلقة بالمعاهدة .

الجزء الثالث P. 131 389 - 392

المبعوث الاثيوبي : القدس والقاهرة

يحتاج الحجاج الاثيوبيون للاراضي المقدسة للحماية وكذلك جماعة الرهبان الصغيرة التي تعيش في دير السلطان وقبل وصول بلودين ، طرح الراس على هذه المسألة مع جوبات الاسقف الانجيليكاني للقدس من ١٨٤٦[٣٩٤] . وفي نفس الوقت تقريبا الذي وقعت فيه المعاهدة ، كتب على لجوبات مرة اخرى ، وطلب من بلودين ان يسانده في طلبه[٣٩٥] ، بيد أن محاولة جوبات والقنصل جيمس لمساعدة الاثيوبيين على السيطرة على كنيستهم في دير السلطان فشلت ، وفي عام ١٨٥٢ ، تعاون القادة السياسيون والفرنسيون في اثيوبيا في محاولة للوصول لافضل تسوية ممكنة[٣٩٦] . وقد كتب كل من على ووبي رسائل متطابقة تقريبا للملكة فيكتوريا يطالبانها بالتدخل . « كيف يمكن ان نفقد ميراثنا وانت موجودة كصديقة ؟ وفي الوقت الذي يعيش فيه كل شخص آخر في سلام مع ميراثه فانني قد تم انتزاعي وحرماني من ميراثي . »[٣٩٧] ومن المثير للدهشة ملاحظة ان القنصل البريطاني رغم انه كان موجودا مع الراس على حتى بداية عام ١٨٥٢ عندما تمت كتابة الخطابات الاخيرة ومع ذلك فانه لم يلعب أي دور فيما تم في مجال ارسال هذه الرجاءات الى مليكته . اذ لم يذكر القنصل هذه القضية في أي من برقياته ورسائله للندن ويبدا من

---

393) Fo 116, Fol. 71, Ale to victorian.d. Nou 1849)

قد عبر على عن قلقه من أن هداياه القيمة التي كان أهمها سن فيل الاربع لم تكن مناسبة للملكة فيكتوريا ومع ذلك ألمح الى أنه سيكون سعيدا بالحصول على المزيد ، وخاصة بعض المال الذي منه يستطيع ان يدفع مرتبات جنوده . وقد وافقت الحكومة البريطانية على أدراج ٥٠٠ طالر وبندقيتين و ٦ مدافع ، وقبعات وخوذ وبعض الملابس في الهدية التالية ولكن بلودين امتنع عن ارسال المال لانه غير ضروري . كما كان لعلى طلب خاص بعيداً من المسائل المتعلقه بالمعاهدة .

(٣٩٤) الجزء الثاني .P.B (395) Fo 401/1,P.P96, 101- 2,fun to palmerstion 30 Nou and 9 Dec 1850

(٣٩٥)في الحقيقة كتب بيل لجوبات في ٢٨ ديسمبر ١٨٤٨ ان بلودين تسلم خطابات من فيكتوريا عن هذه المسألة في ١٨٤٨ . واذا كان كذلك فقد تشل في ارسالهم .

انظر AECP,Manauah, Yals 273 - 4 Rolland Tocquewble, 15 Aug 1849

هناك تقرير ان بلودين كان يحظى بمساندة مثيرة من بريطانيا في هذه المسألة .

(٣٩٦) الجزء الثالث P. 132 (397) Fo1/7 fo.79, AG. to Vietoria got. 80, wibe ta Victsia m.a.

(٣٩٧)خطاب وبى مختوما بنفس الختم المستخدم في خطابه لفيكتوريا في ١٨٤٩ . وقد حمل خطاب على ختما مختلفا عن الأول المستخدم في ١٨٤٩ وكذلك التصديق في مارس ١٨٥٢ . يبدو ان خطاب وبى كان منقولا من خطاب على .

غير المحتمل ان يكون قدقام بتوجيه هذه الخطابات للقدس بدلا من لندن اذا كان قد تم تكليفه بذلك . وقد يكون من المحتمل ان يكون بيل قد عرض ارسال خطاب على الأول لجوبات في ١٨٤٨ لكي يمنع روشيه دي هيركور من الحصول على تفويض بطلب الحماية الفرنسية للحجاج[٣٩٨] .

وهذا لايستبعد احتمال او امكانية ان المبادرة الأولى جاءت من رجال الكنيسة الأثيوبيين[٣٩٩] ، والذين يأتي في اولويات قائمة اهتمامهم سلامة الحجاج وحقوق الدير الاثيوبي . وعلى اية حال لم يكن هناك اى مساع قنصلية ضرورية واضحة ، وان مصير « الميراث » في القدس لم تكن مسألة يمكن ان يتناولها القناصيل ، ولكن كانت امرا يناقشه السلوك والاساقفة . ولم يكن هناك حاجة لمبعوثين آخرين اكثر من الرهبان والقساوسة والاتقياء من الاثيوبيين الذين كانوا يسافرون من القاهرة للقدس لقرون طويلة مضت[٤٠٠] .

وقد كان مبعوث على لجوبات في عام ١٨٥٠ Ichegeاسمه السابق جبره ماريام - والذى طبقا لبلونديل كان محل ثقة في جوندر وذلك في عام ١٨٤٢ واراد ان يصاحب القنصل البلجيكي للقاهرة ليطلب منه استدعاء ابيون سلامة[٤٠١] . هذا لايعني بالضرورة انه كان متعاطفا مع الكاثوليك ، لكن في طريقه للقدس قام بالفعل بزيارة دي جاكوبيس في مينكولا (في اواخر نوفمبر عام ١٨٤٩) واطلعه على خطاب باسم على وطلب منه ان يسانده في قضيته[٤٠٢] ، وفي القاهرة ، اتصل بديجوتين أوقد يكون ريجوتين سعى بالاتصال به . وقد اسفر ذلك عن خطاب من القنصل السابق الى بلونديل القائم بالاعمال في اسطنبول اقر فيه ان جبره ماريام قد وصل ومعه خطابات من الراس على للملك البلجيكي يعرض التنازل عن اجاما كما طلب بلونديل منذ ثماني سنوات مضت . وقد كان السبب المقترح لتبرير هذا التأخير الطويل هو معارضة ابيون سلامة لكن الاسقف الان كان قد تم طرده من جوندر ، وبالتالي فان الاتفاق اصبح ممكنا عقده[٤٠٣] . بيد ان القنصل الفرنسي الجنرال أ . بي مويان لم يأخذ مهمة جبره ماريام بجدية[٤٠٤] ، على خلاف بلونديل الذي قام بتنبيه بروكسل واوصى باتخاذ اجراءات عملية مع بعضها في نفس الوقت - فعلى سبيل المثال اقترح ان يتم التصديق على « المعاهدات السابقة » مع جوشو مع قبول العرض الذى اقترحه على ، كما حاول اقناع زميله النمساوى بالاشتراك معهم في استعمار جاما . لكنه لم يتمكن من الوصول للقاهرة

---

٣٩٨ - ٣٩٩P.132الجزء الثالث

(٤٠٠)بيد ان وزارة الخارجية وجدت ان اللائحة غريبة

See Fo 401/1,P.124P Minite by Ham mand, 7 Jal 1852

Duchesne, Blandeel, PP 166 - 188,173 (401)

وقد ظهر جبره ماريام باعتبارمِماتلت لفترة قليلة من الوقت وتبعهMah!antu Mikadوقد اثار الاثنين ارتباكا كبيرا من المؤلفين ، لكن Mahsentuكان في والدا في فبراير ١٨٤٢ عندما نصح بلونديل جبره ماريام في جوندر .

See Hinuy Welda Sillase, Wagema CAddis Abeba, 1928 - 211 P. 113. وصف كزومى لاناستوفع بانه قريب من الكاثوليك وربما يتحول الجزء الثالث P.133 (408 - 402)

او القدس فى وقت يمكنه من مقابلة جبره ماريام(٤٠٥) . ولذا فقد اضطر بأن يقنع بانتهاز الفرصة بارسال بعض الخطابات مع احد اتباع جبره ماريام من الحجاج حيث ان جبره كان لايزال فى القدس مشغولا بموضوع الدير الاثيوبى . وقد كتب بلونديل الى على وجبره ماريام ودى جاكوبيس ، وطلب من الاخير ترجمة وارسال الخطابات الى الاثيوبيين الاثنين ومارس ضغوطا للحصول على اجابة على خطاباته . وقد تم ابلاغ على بضرورة تفسير عروضه بوضوح وتم اسداء النصح له ليطلب رجالا وسلاحا وليس اموالا(٤٠٦) .

وعلى الرغم من عدم وجود اتساق فى كل هذا ، فان هدف بلونديل النهائى كان واضحا . فدور واهداف جبره ماريام كانت متناقضة وغامضة ، فقد تردد انه حمل رسائل لملك بلجيكا وعرض ان تذهب الى اسطنبول وان يقوم بتسليمها الى بلونديل ولكنه لم يفعل ذلك ، ولم يسع لعمل اى ترتيبات لكى يضمن تسليم هذه الرسائل الى البلجيكى (بلونديل) بوسيلة اخرى ولذا فان ماحمله جبره ماريام - اذا كان قد حمل شيئا - الى ملك بلجيكا يبقى غير معروف وحتى بلونديل اعترف لاحقا ان ماحمله جبره ماريام قد لايعدو ان يكون مذكرة عادية لاتحمل أية التزامات(٤٠٧) ومع ذلك ، فان ديجوتين على ما يبدو رأى ايضا ان هناك فرصا جديدة كبيرة متاحة ومتوافرة ولذا فقد اشترى شركة مقابل ٢٠,٠٠٠ فرنك من شركة ناتو بوردليز التى ادعت ملكيتها على اساس شراء كومبس لها منذ عشر سنوات مضت ، وحاول اعادة بيعها للحكومة الفرنسية مقابل ٤٠٠,٠٠٠ فرنك تحت تهديد انه قد يدع البريطانيين يحصلون عليها - اذا لم توافق الحكومة الفرنسية على الشراء(٤٠٨) . ويمكن النظر الى ان الاتصالات التى قام بها جبره ماريام مع دى جاكوبيس وديجوتين وبلونديل دليل على وجود قلق فى الدوائر الكاثوليكية الفرنسية ازاء انشطة بلونديل . لكن لا يوجد شىء يظهر أن على كان متخوفا من المعاهدة التى وقعها مع بلودين اما اذا كان جبره ماريام متخوفا ، فان الاسباب التى دعته الى متابعة الامور مع السلطات الفرنسية فى مصر أو فى فلسطين تحتاج الى تفسير وكذلك أيضا الاسباب التى دعته لابلاغ القنصل البريطانى العام فى سوريا عن المسألة برمتها وذلك بمجرد وصوله فلسطين(٤٠٩) .

وفى الواقع ، فان سلوك جبره ماريام بدا وكأنه محاولة لمحاكاة وتقليد بعض المبعوثين الاوروبيين فى اثيوبيا . ولكن ألم يسافر استاذه وناصحه بلونديل نفسه لمقابلة رئيس تلو الأخر فى اثيوبيا ، وألم يحصل على الضيافة ، وطالب بمرافقين لحمايته -كل ذلك بحكم موقعه وألم يقم هو نفسه بتقديم مقترحات لرئيس بعد آخر وفى النهاية لم يلزم نفسه بأى شىء أمام أى أحد ؟ولقد كان العذر الذى قدمه بلونديل انه ليس لديه فى الحقيقة السلطة لتقديم أى التزام بأى شىء وفى كل

الجزء الثالثP.133 (408 - 402)

الجزء الثالث P. 133 (408 - 402)

Dushesne, Blondeel P 207(٤٠٩)

لم يعرف ماريام ان الحكومة البلجيكية فى ذلك الوقت تطلعت تجاه لندن طلبا للارشاد اكثر من باريس .

الاحتمالات فلا ريب أن ماريام كانت سلطاته أقل من ذلك فمهمته الحقيقية كان محورها موضوع الدير فى القدس ، اما باقى مهمته فلم يكن ذا اهمية ، ولكن ربما كان فى حدود تقديم بعض الحماية والمساعدة المالية فى بلد اجنبية .

ولقد كانت مشكلة اثيوبيا هى ان الاوروبيين كانوا جادين ، على الاقل بالنسبة لأهدافهم . وهكذا فانه فى يوم ما وتحت ظروف معينة يمكن أن يسقط اثيوبى فى الفخ . وقد اودع بلونديل فى القنصلية البلجيكية فى القاهرة اعلانا لجبره ماريام لكى يوقعه اذا عاد مرة اخرى الى القاهرة .

« باسم الاب والابن والروح القدس . . . ، أعلن أنا جبره ماريام ، ichegeاثيوبيا باسم سمو الراس على حاكم اثيوبيا ، اننى تنازلت لجلالة الملك ملك بلجيكا ليوبولد الاول وسلالته بالسيادة الكاملة على اقليم اجاما ككل من اديجرات حتى البحر(٤١٠) .

وقد جاء فى نفس الوثيقة ان كل التجارة يجب أن تتجه فقط من خلال الاراضى البلجيكية الجديدة . وفى المقابل سوف يحصل « على » على معاهدة صداقة تمنحه المساعدة العسكرية المتبادلة . ويظل السؤال حول موضوع ما اذا كان ichegeالسابق قدتم اقناعه واغراؤه بالتوقيع على الوثيقة ام لا سؤالا مفتوحا . وعندما عاد ماريام للقاهرة فى مهمته الثانية فى يونيو عام ١٨٥٣ ، كان القنصل البلجيكى العام قد ادرك أن حكومته غير مستعدة لاتخاذ قرار ولذلك امتنع عن طرح المسألة وهكذا استقر الامر . ولم يظهر جبره ماريام أى بوادر بان لديه تعليمات أو أى رغبة شخصية للتفاوض للوصول الى اتفاق مع بلجيكا ايا كانت الشروط(٤١١) ومثلما كان فى ١٨٤٩ - ١٨٥٠ ، فان مهمة ماريام لم تكن لها سوى علاقة ضئيلة أو لاعلاقة لها بانشطة القناصل الاوروبيين فى اثيوبيا .

كما انه كان لابد ان يعود للقدس على أمل أن يتمكن جوبات - وهو مسلح بخطابات من على ومن بيى الى الملكة فيكتوريا من مساعدته بتغيير القرار الذى كان فى غير صالح الدير ولقد . إختار البطريرك القبطى من كل الاوقات وقت ذروة هذا الصراع وارسل الى اثيوبيا داود رئيس دير القديس انطونيوس ليتوسط بين ايبون سلامة وخصومه ولكى يمنع أو يحد من تعاطف البعثات الكاثوليكية وتعليمهم المتزايد(٤١٢) . لكن البطريك كان ايضا يريد المال . فقد كانت التعليمات لداود أن يقوم بابلاغ ويى وعلى واى احد معنى بالامر ان عرض القضية على القضاء فى القدس كلف البطريرك مبالغ ضخمة وهم يدينون بها للبطريرك وأنه أنفق أيضا مبالغ ضخمة سنويا على سفر واطعام ودفن الحجاج الاثيوبيين وقد تم تحديد المبالغ المنصرفة . « واذا لم يستطع الاثيوبيون دفعها كلها ، « . . . . فعليك أن تجعلهم يرسلون لنا جزءا منها »(٤١٣) وفى اثناء إقامة داود فى اثيوبيا ، تم ارسال جبره ماريام فى مهمته الثانية للقدس وعموماً فان مسألة هل قدم اى شىء للبطريرك أم لا ، مسألة مازالت غير مؤكدة . وبمجرد وصوله للقاهرة ، توفى بطرس السابع فى ٥ ابريل عام ١٨٥٢ بعد بقائه فى منصبه ٤٣عاما(٤١٤) وقدم المبعوث

الجزء الثالث p. 135 (421 - 413)

لنائب الملك المصرى ١٢ حصانا هدية من الراس على . وقد تأكد هذا الأمر من الخرطوم(٤١٥) ، ويمكننا القول بأن الاثيوبيين كانوايبحثون عن حليف ليساندهم فى معركتهم للحصول على حكم يغيّر وضع الدير(٤١٦) .

وقد كانت وفاة البطريرك جبره ماريام فرصة غير متوقعة لممارسة الضغوط . فقد ارسل خطابات لجويات وظل هو فى القاهرة(٤١٧) . ولم يكن مرشح الأغلبية للكرسى البابوى الخالى سوى داود الذى تم انتخابه بالفعل . ولكن ماريام بذل كل جهده لتغيير هذا القرار واتهم البابا الجديد بسلوكه اللاأخلاقى اثناء اقامته فى اثيوبيا كما اتهم بأنه سعى الى تحريض الحكام الاثيوبيين لمهاجمة مصر . وقد تأثر عباس باشا بدعاوى ماريام وبدأت التحقيقات حول هذا الموضوع . ولقد استغرق الأمر عامين حتى تولى داود الكرسى البابوى باسم كيرلس الرابع(٤١٨) . وفى ذلك الوقت تغير الموقف السياسى فى اثيوبيا تماما ، فقد تم استبعاد الراس على وقد ابلغ الامبراطور الجديد تاودروس نائب الملك بأنه لايعترض على صعود داود(٤١٩) .

ولقد كشفت مهام جبره ماريام فى اعوام ١٨٥٠ و ١٨٥٢ كيف استطاع الاوروبيون أن يحددوا تماما اتصالاتهم الاجنبية مع الاثيوبيين على اساس مبادراتهم ومصالحهم ، وقد أصابت البريطانيون الدهشة عندما ادركوا أن على ووبى قد تخطيا قناصلهما أما البلجيكيون فقد رأوا فى ظهور جبره ماريام فى القاهرة محاولة لاتباع نهج مشروعات بلونديل الاستعمارية بالاساس ، أما الفرنسيون فقد كانوا شبه مذهولين ومندهشين لرؤية مبعوث أثيوبى لم يسع الى طلب نصيحتهم ، وفى عام ١٨٥٠ ، تكلم لى مويان باستخفاف عن وهم جبره ماريام وشكك ، فى ان مهمته كانت ذات أهمية حقيقية ، مشيرا الى أن هذه المهمة لم تكن الا السعى للحصول على المساندة البلجيكية لاسقاط الامبرطور(٤٢٠) . وفى عام ١٨٥٢ ، اعتقد لى مويان أن المبعوث قد جاء ليطلب من مصر اعادة بعض المناطق لاثيوبيا تحت التهديد بغزوها اذا لم يتم ذلك .(٤٢١) وفى نفس الأثناء كان القنصل فى القاهرة بى . اتش ديلابورت مندهشا من ان هذا « الوزير الاثيوبى » كانت لديه الشجاعه ليتحدى انتخاب البطريرك وان يعرض المسألة أمام السلطات العلمانية . وجدير بالذكر ان الفرنسيين لم ينصحوا ماريام بذلك . وقد توصل القنصل الى ان ماريام كان آداة لمؤامرة قام بها القنصل البريطانى العام والبعثات الكاثوليكية فى مصر ، والتى كانت تهدف الى زيادة النفوذ البريطانى فى اثيوبيا على حساب فرنسا .(٤٢٢) وقد كان رئيس الإرسالية اللازرية فى الاسكندرية على إدراك أفضل : فجبره ماريام - وليس داود هو الذى كان مواليا ومتعاطفا مع الكاثوليك وقد قام بمحاولات لتأمين الحقوق الاثيوبية فى دير السلطان لان هذا سيفيد البعثة فى اثيوبيا(٤٢٣) وفى هذه النقطة فان ديلابورت كان على ما يبدو يأمل أن يستمر الاقباط فى التأييد والتمسك بانتخابهم لداود لان ماريام كان سوف يقنع على بقطع علاقاته بالكنيسة القبطية تماما حينذاك ، ويتقبل أن يصبح دى جاكوبيس اسقفا على

(٤١٣ - ٤٢١) P.135 الجزء الثالث

اثيوبيا وهكذا لا يصبح هناك منافسين للنفوذ الفرنسى على كل اثيوبيا(٤٢٤) . وقد كان هذا تفكير غير وارد خاصة على مستويات عديدة . فلم يكن جبره ماريام ichege ولم يكن كذلك لسنوات عديدة ، وكان مدى نفوذه مشكوك فيه .(٤٢٥)

وقد كان على ودودا ومتسامحا ، لكن غير ملتزم . وعندما نظر دى جاكوبيس الى الوراء والماضى رأى أن سلوكه منذ ١٨٥٠ كان غير مبشر بالخير(٤٢٦) وعلى اية حال ، فلم يعد على قادراً حتى على تسليم بيجامدير اذ ان « كل » أثيوبيا لم تكن ابدا فى قبضة يده وتحت سيطرته .

نهاية زيمين ميسافينت : مسالة اثيوبية :

أقترب زيمين ميسافينت من نهايته بسرعة خاطفة ، ففى غضون عامين من المناورة واربع معارك رئيسية : جورامبا فى ٢٧ نوفمبر ١٨٥٢ Gur Amba وجورجورا بيشين فى ١٢ أبريل ١٨٥٣ Gorgora Bichin وايشال Ayshal فى ٢٩ يونيو ١٨٥٣ ، وديرسيج Deresge فى ٩ فبراير ١٨٥٥ ، وقام Dejjazmach كاسا حاكم كوارا باستبعاد هؤلاء الذين كانوا يمثلون القيادات السياسية فى وسط اثيوبيا وشمالها على مدار ربع قرن ، وقد سقط جوشو من جورامبا وكذلك بيرو اليجاز وكبار الاقطاعيين التابعين للراس على فى جوجورا بيتشين ، وقد هُزم كلا من على وبيرو جوشو ووبى وتم استبعادهم من على الساحة السياسية ، وقد استعد ملك الملوك تاودروس والحاكم السابق لاقليم الاراضى الواطئة الغربية لبذل كل ما يمكنه من جهود لتغيير مسار التاريخ الاثيوبى(٤٢٧) .

وفى اثناء الكفاح من أجل وضع نهاية للزيمين ميسافنت ، فان الاسهامات الأجنبية سواء جماعية أو فردية كانت غائبة بأسلوب لافت للنظر .

وليس معنى ذلك أن الوجود الأجنبى كان قد اختفى . ولكنه ببساطة كان غير ذى أهمية فى اطار المواجهة الحاسمه ، وقد كان جون بيل يعيش بالقرب من ديرى تابور وقد كان يعمل مستشارا ، وهمزة الوصل والاتصال بينه وبين بلودين . وبعد معركة جور أمبا ، قرر القنصل ان هناك أشياء كثيرة تعتمد على استمرار اخلاص ويبى أو حباده ولكنه خلص الى أنه « فى الوقت الحاضر فإن مركز

(٤٢٢ - ٤٢٤) الجزء الثالث P. 136 (424- 422)

(٤٢٥) Conti Rossini Nuovi decumenti, &, PP 3&3 409, Panim. (425)

تيودون فون هيجلين الذى سافر مع جبره ماريام من الخرطوم الى متمة فى ديسمبر ١٨٥٢ عندما عاد الاخير لاثيوبيا وتكلم بصفته رجل كنيسة بارز وليس ichege see kis Rasen in Nasd ost Afrika.

(Catha 1857) pp. 4,SS.

(٤٢٦) 72 ...TES,IX 1,P.8 « Une ambanade » Aleme ان الآمال مازالت معقودة على الكاثوليك فى ذلك

(٤٢٧) الجزء الثالث P.137 (434 - 428) الوقت فيما يتعلق بخلفية كاسا وظهور القوة .See Rubensan, Tewodros PP 15 - R5

الراس وسلطته فى خطر»(٤٢٨) . وقد استمر فى وضع كل آماله على النفوذ البريطانى المتنامى من أجل الحفاظ على الوضع الراهن ، مع وجود على كحاكم أعلى وكذلك وجود وبى بوصفه تابعه المثير للمتاعب والذى يجب ممالئته أيضا(٤٢٩) . وحتى بعد أن هزم كاسا الجيش الذى ارسله له على ووبى فى ابريل ١٨٥٣ ، فإن بلودين قرر أنه كان يتفاوض مع الراس على أعلان انشاء القنصلية ، والنقاط الاساسية للمعاهدة التى سوف نوقعها معه » ولكن بنهاية العام ، اعترف ان المعاهدة مع على اصبحت لاغية(٤٣٠) . ومع ذلك لايوجد دليل على أن على طلب أو قدمت له المساعدة من أى نوع من الصراع . واقترح ان يتم السماح له بانفاق من ١٠٠ - ٢٠٠ جنيه استرلينى على مسئوليته اذا ارسل على يطلب « الأموال والمدافع أو البارود »(٤٣١) وعموما فإن الكمية المقترحة اظهرت » أنها كانت مجرد مساعدة رمزية للحفاظ على النوايا الحسنة ، وبالتالى فإنها لم تستخدم على الاطلاق .

وبالنسبة للكاثوليك فى بيجامدير ، فإن الاختيار كان سهلا ، فقد قام على بحمايتهم خاصة وأنهم كانوا يخشون من تحمس كاسا للارثوذكسية(٤٣٢) . لكن اذا كان على يتوقع أى دعم ذى ثقل ووزن ، فإن أمله لاريب كان قد خاب ، وقد حذر زميل دى جاكوبيس ، السيد / بيانشرى Biancheriالقنصل الفرنسى الجديد فى مصوع والذى كتب فى تقرير له بعد عشرة ايام من توليه منصبه أن ثورة كاسا تمت بتحريض من بلودين وتمويل بطريرك القاهرة ، وقد أخذت هذه المعلومات المضللة فى الاعتبار فى باريس على أنها شىء مهم للغاية . ولكنها لم تكن تعنى شيئا فى اثيوبيا(٤٣٣) . إذا أن على كان قد تم ازاحته وابعاده .

وقد كان البديل فى ذلك الوقت هو العمل على مساندة وبى ودعمه بطريقة ما ، لكن فى ابريل ١٨٥٤ ، ارغمه سلامة على طرد كل البعثات الكاثوليكية من تيجرى ، وفى المقابل ، وطبقا للقنصل الفرنسى ، فقد حصل وبى على وعد من سلامة بانه سيصدر قرارا بحرمان كاسا كنائسياً ولكى يتواءم مع رغباته فان القنصل تنبأ بأن كاسا سوى يهزم وبى وسوف يرسل الأسقف لكى يقيم باحدى الاديرة ، وحينئذ ستصبح البعثة الكاثوليكية أكثر قوة عن ذى قبل فى اثيوبيا(٤٣٤) .

وقد كان هذا بمثابة فكرة مناسبة ومريحة لاتتضمن أى مساندة ولا أى التزام مسبق ، بيد أن افتراض ان سلامة سوف ينقلب ضد كاسا الذى دعاه إلى جوندر بعد قضاء ثمان سنوات فى المنفى بعيدا عن العاصمة ، كان افتراضا غير واقعى على الاطلاق .

وقد سبقه دى جاكوبيس فى محاولة لتأمين ما أحرزته البعثة من مكاسب حتى الآن ، لكن كاسا الذى رأى ضرورة تحقيق الوحدة الكنسية ، اختار التعاون مع سلامة بدلا من احتماله ومسامحته(٤٣٥) .

الجزء الثالث P.137 (428–434)

(٤٣٥)الجزء الثالثP.148 (435)

وبأساليب عديدة ، فإن وبى كان فى موقف أفضل من على أوكاسا - للسعى من أجل الحصول على التأييد . وعندما فشل بلودين فى الحصول على الحرفيين المرغوبين ، فإن عالم النبات شيمبر كان مشغولا ببناء كنيسة جديدة لوبى فى دير سيجى ، وفى ١٨٥٢ - ١٨٥٣ ، عاش هو والرسام الألمانى سى . إى . زاندر هناك بالقرب من الأمير النيجيرى(٤٣٦) . وفى فبراير - مارس ١٨٥٣ ، عندما كان ابنه يعد العدة للهجوم على كاسا ، قام القنصل النمساوى رايتز K.Reitzبزيارة لوبى فى الخرطوم ومعه سكرتيره تيدوروفون هيجلين الذى حضر عن طريق جوندر للتفاوض حول اتفاقيات التجارة مع وبى وعلى ، ومن الاتجاه الآخر ، اتجه ليفيفر وكوفين لرؤية وبى بصدد بعض المسائل ، وقد كان الأمير مريضا ورفض أن يرى أيًا منهما . وقد بذل شيمبر أقصى جهده وقام بابعاد الممثلين النمساويين ومعهم بعض الوثائق ، لكن الحقيقة بانهم لم يطلب منهم أن ينتظروا حتى يشفى وبى يدل على أن اهتماماتهم لم تكن كبيرة جدا(٤٣٧) ، بيد أنه بعد انتصار كاسا فى ابريل ويونيو ، كتب وبى وطلب من بلودين استيراد اسلحة نارية . وكان وبى مستعدا لشرائها الا أن تأثير بلودين على الحاكم التركى لم يكن كافيا حتى يمكن أن تمر هذه الاسلحة عبر مصوع ، ولذلك توجه الى حكوته بنداء قال فيه : من غير المعقول توقع أى شىء من الرئيس الاثيوبى دون حصوله على شىء فى المقابل وكذلك لن يستطيع ديجاج اوباى ان يفهم كيف اننى من ناحية أطلب أوحتى احصل على صداقته ومن ناحية أخرى أرفض ببساطة طلبه(٤٣٨) . ولايوجد مؤشر على أن بلودين نجح فى هذا الجهد . ومع ذلك فقد كان وبى على أية حال اكثر المتنافسين تسليحا ، وقد استطاع بلودين بادراكه الكبير بحقائق السياسات الاثيوبية ، أن يكون علاقات وثيقة مع أبيون سلامة مهما كانت تغييرات الرؤساء أو سلالة الحكامّ والملوك ، فان ابونا البابا سوف يتمتع باحترام وتبجيل الشعب وحكامهم(٤٣٩) ، ولم يستطع بلودين أن يبدأ بالترحيب بامكان سيطرة كاسا على السلطة الا بعد أن استطاع سلامة تثبيت مركزه فى جوندر فى يونيو ويوليو ١٨٥٤ وقد كان هذا فى نوفمبر قبل أن يرسل كاسا رسالة مجاملته الاولى الى القنصل(٤٤٠) .

واذا كان على ووبى لم يستفيدا الا القليل او لم يستفيدا نهائيا من صلاتهم الطويلة مع الأوروبيين ، فإن كاسا لم يكن لديه صلات بهما تقريباً وبإستثناء دى جاكوبيس ، فإن الارساليات الكاثوليكية فضّلت البقاء بعيداً عنه(٤٤١) . وفى عام ١٨٤٨ تردد أن كاسا تصادم مع ورشيه دى هيركور بشأن مسألة تدور حول قليل من البنادق والمسدسات والذى كان الرجل الفرنسى ينوى أصلا

---

(٤٣٦)الجزء الثالث P.138 (436)

الجزء الثالث P.138 (437)

لايوجد ترجمة (438) Fo 401/1 ,P.157 wibe Ta Plowden mid, Plowden to clavenden 20 Oct 1823– Fo 117 امهريه لنص المراسلة فى

الجزء الثالث P.138 (439)

الجزء الثالث P.138 (440)

(441) Heuglin (Nord Ost Africa P.s1) اكد أنه لايوجد اجانب فى جوندر عندما وصل هناك فى يناير ١٨٥٣ .

اعطاءها لعلى بينما كان كاسا يريدها(٤٤٢) . وبعد ذلك بخمس سنوات فسر كاسا اتجاهه المعادى لفرنسا إلى هيجلين ورايتز بإنه نتيجة للزيارة التى قام بها الرجل الفرنسى المتبجح والذى قال أنه سوف يعود من باريس مباشرة راكبا بالونا . وطبقا للرواية ، فإن كاسا قام بالاستيلاء على أسلحة الرجل الفرنسى وممتلكاته الأخرى ولكنه وعد بان يعيدهم عندما يعود روشيه فى البالون(٤٤٣) .

ومع ذلك فقد كان كاسا حريصاً على اقامة علاقات ودية مع الأجانب ، ففى فترة حرجة وهى الفترة التى تلت معركة جورامبا ، رحب بشدة برايتز وهيجلين اللذين استغلا الفرصة للحاق بجبره ماريام فى طريق عودته إلى اثيوبيا عبر الخرطوم ، لكن بدلا من ارسالهم إلى الخرطوم ليحصلوا على السلاح من أجل استمرار الحرب فقد تحدث عن الخطط الطويلة الأجل للحصول على الصناع المهرة الأوروبيين ، أو ارسال أناس من عنده لاوروبا للتدريب .

ولم يبد حنقه على أن المبعوثين كانوا فى طريقهم لاعدائه ، بل لقد قام بمساعدتهم فى رحلتهم إلى هناك(٤٤٤) . ولقد مروا مرة أخرى عبر معسكره فى طريق عودتهم للسودان . وقد تركهم هيجلين بعدها باسبوع واحد قبل نشوب معركة جورجورا بتيشين الكبيرة فى ١٢ ابريل(٤٤٥) ومن الواضح ، انه لاهو ولا أى من الأوروبيين الأخرين كانوا موجودين فى ذلك الوقت ، أو أنهم قادوا جيش كاسا وبالنسبة للتسلح ، فقد وصف هيجلين التصنيع البدائى للبارود والكرات والذى طبقا لتقديرات كاسا من ٨٠٠ - ١,٠٠٠ بندقية(٤٤٦) ، وهو عدد لايعتبر كبيرا بالنظر إلى اهتمام كاسا الكبير بالسلاح الحديث ، وبالنظر إلى أنه كان حاكم الاقاليم الواقعة على حدود السودان لسنوات عديدة . وقبل ذلك بعشرين عاما قام كوفين باحضار ضعف هذه الكمية من الأسلحة لمصوع فى شحنة واحدة(٤٤٧) .

وهكذا أصبحت المسألة الوحيدة الباقية هى مصر واحتمالات تدخلها وكما كان مطروحا ، فإن الهدف الاساسى لمهمة جبره ماريام فى عام ١٨٥٢ ، كان بحث على عن حلفاء اجانب يساعدونه بالدرجة الأولى ضد كاسا(٤٤٨) ، وفى الحقيقة ، فانه من المشكوك فيه القول ان كاسا اعلن تمرده قبل مغادرة جبره ماريام(٤٤٩) . وفضلا عن ذلك فان كاسا وليس على هو الذى وقف بمفرده فى الصراع وذلك لأنه لم يوجد مبرر لعلى ان يشك فى أنه يحتاج للمساعدة الأجنبية ، لكن بصفة

الجزء الثالث.P.139 (443 – 442)

(Theadere II,P,135) Lejean 1,43,48–9 – 40 (Ilid, P.P4,34 (444) وحكى ليجان قصة غريبة عن المعاهدة التى تم التوصل اليها بواسطة تاودروس فى هذه المناسبة والتى تم تمزيقها بعد ذلك بعشر سنوات . ولم أجد دليلا يؤيد هذه القصة .

الجزء الثالث .P.139 (448 – 445)

الجزء الثالث.P.139(445)

Conti Ronini, Nuovi documenti Ranl,8II,PP 401–3 (449) وقد وقع تمرد كاسا فى نفس الوقت اللذى سعى فيه مورسو أن يجد ملجأ فى [Ichege Bet]فى عيد القيامة .

عامة ، فإن مهمة جبره ماريام دعمت الصداقة بين على ونائب الملك ، اذ انه عند عودته كان معه مرافق يحمل الهدايا بالمقابل الى على ، وعندما استأنف رايتز وهيجلين رحلتهما عبر متيما إلى جوندر ، على الرغم من الاخبار التى شاعت عن معركة جورامبا ، قرر جبره ماريام والمصرى تجنب المرور فى المنطقة التى يسيطر عليها كاسا(٤٥٠) .

وفى الوقت نفسه انتشرت أنباء انتصار (كاسا) وبلغت الخرطوم ووصلت بعثة للتهنئة الى كازا ، حاملة الهدايا التى شملت بعض الخزائن الحجرية الضخمة من اسماعيل حقى الحاكم العام(٤٥١) . ويعد هذا برهانا كافيا على أن علاقات كازا مع المصريين لم تكن أسوأ من علاقاتها مع رجال على ، بالرغم من أنه قاتلهم بنفسه بينما لم يفعل على ذلك قط . وفى داباركى - فى ١٨٤٨ - عانى كاسا من هزيمته الخطيرة فى مهمة مبكرة على أيديهم ، وكان انشغاله بالمدفعية ورغبته فى تدريب جنوده نابعين من تلك المواجهة(٤٥٢) .

وعلى الرغم من الغارات ، والغارات المضادة على حدود غير محددة أو ضعيفة التحديد ، فان كاسا كان لابد أن تكون له تعاقدات ودية مع جيرانه الاتراك ، فقد ارتبط بصفقة كبيرة مع المسلمين فى المناطق الحدودية الناطقين باللغة العربية ، وربما حاول كازا أن يتكلم مثلهم بل وأن يدرب قواته بمساعدة بعض الجنود الأتراك(٤٥٣) ، وكان العديد من حكام المناطق الحدودية لديه من المسلمين بما فيهم شيوخ الدكرورى ، كما أرسى نوعا من السيادة المزدوجة على (قالابات) وسوق (متمة) الهامة(٤٥٤) .

وفى أوائل ١٨٥٣ ، تسبب ظهور جيش مصرى عند(متمة) فى سريان شائعات حول مجىء الاتراك لمساعدة كاسا فى الحرب ضد على . وقد ثبت زيف تلك الشائعات ولكن حقيقة سريانها تشير الى احتمال تصديقها(٤٥٥) ولم يكن هناك اى دليل على استعداد المصريين لتوريط أنفسهم على الجانب الآخر أما الاثيوبيون فقد حاربوا معاركهم الخاصة (منذ ١٨٥٢ حتى ١٨٥٥) . ولم يكن هناك أى الزام أجنبى حاد أو قوى للتأثير على نتائج تلك المعارك بأية طريقة متوقعة .

ان ربع قرن من السنوات لم يكن كافيا لاظهار أبطال اوروربيين ضد الاتراك ، او بريطانيين ضد الفرنسيين ، أو كاثوليك ضد البروتستانت فى الصراع الحاسم للقوة الاثيوبية .

نشاة وقيام اريتريا

ازداد نفوذ القوى الاجنبية فى اوائل الخمسينيات وذلك فى المنطقة الواقعة فى مصوع ومنطقة بوجوس ، وقد سادت الدعاوى والمزاعم المتناقضة والتوتر فى مصوع بين ويبى والحاكم التركى ، وفى الشهور الاولى من عام١٨٥٠ ، أصر ويبى على مطالبه الرسمية لدى الحاكم بالنسبة للجزية السنوية والتى كان يأخذها فى الماضى من خلال النائب ، وقد حاول الحاكم الوصول لحل وسط ،

الجزء الثالث.P. 140(450–455)

فارسل بعض الهدايا وأرسل فى طلب بعض التعزيزات من جدة ووصلته ، وقد استخدمت اساسا للاغارة على حباب الذى رفض ان يدفع الجزية وقاتل قوات ويبى . وقد ظل موقف الاتراك على حافة الخطر فى الاراضى الرئيسية(٤٥٦) .

وفى أواخر ديسمبر ١٨٥٢ ، كان الهجوم الرئيسى متوقعا على مصوع لكن بدا كما لو ان ويبى لم يكن مستعدا على الاطلاق لاتخاذ الخطوة الاخيرة(٤٥٧) فربما كان يأمل فى الوصول لحل سلمى لصالحه من خلال التدخل الفرنسى أو البريطانى . وعندما وصل خليفة رولاند ، وهو المهترل ديلايا فى ١٨٥٣ بعد ان عمل فى القنصلية لمدة ثلاث سنوات ، تلقى تعليمات بابلاغ ويبى ان الحكومة الفرنسية قررت عدم التصديق على الاتفاقات التى عقدها رولاند فى عام ١٨٤٩(٤٥٨) ، وقد كان هذا القرار قد سبق اتخاذه قبل اعلانه بثلاث سنوات(٤٥٩) ، ومع ذلك فخوفا من النتائج المترتبة على احساس ويبى بخيبة أمل قرر ديلايا الا ينفذ التعليمات وحصل على موافقة رؤسائه فى باريس على ذلك(٤٦٠) . وعلى الرغم من ان بلودين ربما بالغ فى تقدير تأثير نفوذه على ويبى ، فلا يوجد سبب للشك فى صدق نصيحته اثناء هذه السنوات : « ونتيجة لاحترام اوباى لجلالتها ، ولتمثيلى ، فإنه امتنع عن اتخاذ أى اجراءات قريبة من الحرب لى المناطق المجاورة لمصوع ، ورغم أنه لم يستطع تنفيذ الغزو الدائم فقد كان من السهل له الضغط على الباشا ليستجيب لطلباته ، اننى ادافع عن هذه السياسة بدافع انسانى لتأمين القبائل الموجودة على الحدود من نتائج الغزو التى لم يقوموا من جانبهم باثارتها ، والتى سيكونون هم الطرف الرئيسى الذى سيعانى منها حيث ان الحاكم التركى وجنوده سوف يقومون بالاحتماء فى القلعة الحجرية أو الاحتماء فى الجزيرة مع أول انذار بالغزو(٤٦١) .

ومن ناحية اخرى ، فإن القنصل البريطانى أصرّ باستمرار على ان الاتراك ليس لهم حقوق فى الاراضى الرئيسية ، وقد ساندته حكومته فى هذا الموقف ، فقد رغب ان يرى الاتراك يخرجون من مصوع تماما ، لكن فى مرة اخرى دافع بلا جدوى ، عن تطوير انافيلا أو بعض الاماكن الأخرى الملائمة لكى تكون ميناء بريطانيا(٤٦٢) ، وكان رد فعل الحكومة التركية ان قامت بمد سيطرتها المباشرة . ولقد تم تأجيل القيام بحملة فى فبراير ١٨٥٣ للتأكيد على سلطة السلطان على أنافيلا فى اللحظة الأخير لأن قبائل الساهو المحلية أظهرت عداءاً ضخما(٤٦٣) . وفى نفس الوقت ، فإن الاثيوبيين لم يخسروا فقط الايرادات والنفوذ فى مجال التجارة بصفة عامة ، بل ان مصوع اصبحت أيضا مغلقة امام استيراد الاسلحة فى بعض الاحيان ، ولقد اتضح الى أى مدى تغيرت الأمور بشكل كبير منذ أيام ويلاسيلاسى عندما تبين حقيقة ما حدث لشحنة من المدافع قام صولت باستيرادها ولم يسمح لها بالمرور رغم تعليمات بلودين(٤٦٤) . واخيرا فكان لابد على بلودين أن يطلب من لندن أن تسمح بمرور اشياء ليست ذات قيمة مثل مرور من ٨ - ١٠ بنادق لويبى شخصيا(٤٦٥) . وعندما أصر بلودين على الحاجة لميناء بديل ، فقد كان يحركه بلاشك فى ذلك الرغبة فى تعزيز التجارة التى كان ستستفيد منها بأسلوب مباشر أو غير مباشر . لكن ، وكما اوضحت التطورات اللاحقة ، فإن

الجزء الثالث P.141 (456-464)

هذا لم يدحض وجهة نظره بان الحاجة لميناء بديل هى احدى الصعوبات الكبرى التى كان لابد لحكام اثيوبيا فى المستقبل ان يتغلبوا عليها(٤٦٦) . وكأن ليس من الكافى فرض ضرائب على صادرات اثيوبيا ووارداتها ، فقد بدأت الادارة التركية فى الطمع فى مصدر آخر للعوائد ، وهى عوائد سهول الملح فى تيلتال Tiltal والتى كانت تمتد من ٧٠ - ٨٠ كيلو مترا داخل انافيلا .

وقد كانت هذه السهول ذات اهمية عظيمة للاثيوبيين ، وليس فقط لانها جزء من تاريخهم عندما كانت معظم سلعهم تأتى من تيلتال لكن لان قضبان الملح كانت المصدر الرئيسى للعملة للبلاد(٤٦٧) ، وان احتلال تيلتال سيمكن الاتراك من التدخل وفرض ضرائب على التجارة الداخلية فى اثيوبيا كذلك . ولحسن الحظ بالنسبة لاثيوبيا ، فإن حاكم مصوع كان يفتقر الى الموارد العسكرية الضرورية للاحتلال ، ولقد اظهرت مزاعمه الوقحة التى أرسلها فى خطاب قام بتوجيهه مباشرة لويبى والذى يقول فيه ان سهول الملح تعد ملكا لسيده السلطان ، اظهرت الاتجاه الذى بدأت تتجه اليه الامور(٤٦٨) .

وجدير بالذكر ، فإن أيا من انافيلا او تيلتال لم تكن اساسا بمثابة قضية اقليمية لحكومات اثيوبيا وتركيا والحكومات الاوروبية ، وحقيقة لم يكن أى طرف خارجى مهتم بحكم الساهو أو تيلتال(٤٦٩) . بيد انه بالنسبة لغرب مصوع فإن الموقف كان مختلفا . وهنا لايمكن تطبيق نظرية انه لاتوجد منطقة عثمانية فى الاراضى الافريقية . بل لقد كانت المشكلة هى تحديد الحدود الشرقية للسودان المصرى ، وفى اربعينات القرن التاسع عشر ، رد ويبى على هجمات المصريين بما وصفه ديجوتين فى ١٨٤٤ بانه أرض ليس لها صاحب ، وذلك بارسال جيوشه للاغارة على منطقة الغرب حتى كوناما(٤٧٠) . وقد كانت النتيجة النهائية ان الغارات ، والغارات المضادة فى هذا العقد كانت فى معظمها تتركز فى القبائل المسلمة فى الاراضى المنخفضة فى شمال وغرب مصوع وعلى وجه الخصوص قبائل الحباب ، وبنى عامر والذين خضعوا للحكم المصرى ، بينما اندمجت منطقة بوجوس بالقوة فى الاراضى التابعة لويبى ، بيد أن الموقف كان معقدا وغير مستقر . فدفع الجزية لم يكن يضمن بالضرورة الحماية ضد الغارات من الجانب الأخر كما لم تكن لتضمن حتى قيام حكومة منظمة .

ولذلك فكان لابد على بعض القبائل ان تدفع الجزية فى اتجاهين أما الآخرون الذين لم يدفعوا الجزية على الاطلاق فقد عانوا من غارات عارضة وغير منتظمة . وقد تقلصت منطقة الارض غير الأهلة المتنازع عليها ، ومع ذلك فلم تتم محاولات للتوصل الى اتفاقات متبادلة حول الحدود(٤٧١) .

وقد دللت غارة مصرية أولى على بوجوس فى عام ١٨٥٠ على أن حاكم تاكا ليست لديه نية لوقف هجومه قبل الهضبة . ولما عاد مرة أخرى فى غزوة كبرى فى يناير ١٨٥٤ ، وحرم القرية

الجزء الثالث .P. 142 (465-471)

الرئيسية موجاريه وسبى حوالى ٣٥٠ سيدة وطفلا واستولى على ١٨٠٠ رأس ماشية وارجعهم لكسلا ، كان أقوى رد فعل على ذلك ليس من ويبى او من المحافظ فى هامسين لكن جاء من رئيس البعثة اللازرية جيوفانى ستلا ومن القنصل بلودين(٤٧٢) . ولقد كان تفكير ستيلا الذى اسس البعثة فى بوجوس فى ١٨٥٢ يبدو من الوهلة الاولى انه لا ينصب على انه يمثل الجماعة الكاثوليكية فقط بل يمثل محمية أو مستعمرة أوروبية أيضا . اذ اكد ان شعوب بوجوس ومينسا هى شعوب مستقلة ، وأنهم نتيجة استقلالهم وعقيدتهم الكاثوليكية سوف يسعون لطلب حماية الحكومة الفرنسية ضد غزوات النائب وحاكم تاكا . واذا حصلوا على هذه الحماية ، فإن كثيرا من القبائل المجاورة لهم مثل بنى عامر وباريا وكوناما سوف تحذو حذوهم(٤٧٣) . وقد علق بلودين - من ناحية أخرى - على ان قادة بوجوس اعلنوا ولاءهم ، وقاموا بدفع الجزية لويبى ولكنه لم يستطع حمايتهم ضد الهجمات المصرية بسبب ارتباك الأوضاع فى اثيوبيا . ولذلك ، فقد كانوا يودون ان يقوم القنصل ببناء قنصلية وان يرفع العلم البريطانى فى بلادهم . ولم يكن يرغبون تحت أى ظرف من الظروف اعتناق الاسلام وقبول الحكم المصرى(٤٧٤) .

ولقد حاول بلودين ان يحصل على اطلاق سراح الاسرى بشكل فورى من حاكم كسلا ولكنه فشل ، ولكن الاحتجاجات التى اعرب عنها القنصل البريطانى العام فى القاهرة أدت الى اجراء تحقيق فى هذا الموضوع وفى النهاية الى عودة الاسرى وعزل الحاكم وعقابه من قبل الحكومة المصرية(٤٧٥) .

وبينما كانت الأزمة الاثيوبية تقترب من ذروتها ، ظل ويبى مرابطا فى سيمين وقد تقمص بلودين بشكل واضح دور حامى الاثيوبيين فى اراضى الحدود الشمالية ولم يتم تفويت فرصة على الاحتجاج ضد الانتهاكات فى هامين ومينسا وبوجوس والتى اقترفها حاكم مصوع . وبدأت تظهر اجراءات مشتركة من جانب ممثلى الحكومة الفرنسية والانجليزية(٤٧٦) . وقد دعا ستيلا بلودين للتدخل بالنيابة عن مينسا وان يساعد فى توحيد قبائل بوجوس لأنهم لايريدون أن يستمعوا لأحد سواك(٤٧٧) . وقد اكد بلودين مرارا على الحاجة الى وجود حدود محددة بوضوح بين الاقاليم الاثيوبية والمصرية . ورأى أن هذا الأمر يُعَد مسئولية الحكومات الاوروبية(٤٧٨) . ولادراكه ان حكومته ليست مهتمة بالمطالب الاقليمية فإنه لم يدع ان بوجوس ومينسا شعوب مستقلة ، كما فعل ستلا فى ١٨٥٣ ، كما أنه لم يقترح أى شكل من اشكال الحماية الرسمية لهم ، بيد أن الخلاف لم يكن جوهريا ، فالقنصل رأى أن افعاله وتصرفاته مؤقتة ، ، فمن حيث الاهتمام بالمستقبل اكثر من الحاضر ، فإن هذه الاقاليم لا يجب ان يتم نزعها من الحبشة حتى ذلك الوقت الذى تسمح فيه جلالة الملكة بالنظر فى افضل الوسائل لتوفير الامن الدائم لها ضد جيوش المسلمين ، لأن الغزو هنا سوف يعنى التحول الى دين جديد(٤٧٩) . وفى نفس الوقت ، فإن الانشطة الناجحة التى قام بها

الجزء الثالث P.1430 (472–477)

الجزء الثالث P.1440 (478–479)

القنصل واعمال اللازريت حولت اهتمامات السكان بشكل كبير الى الحاجة للاجانب للحماية والارشاد . وقد تصرف الأخير باسم المصالح الأثيوبية ، ودافع عن حقوق اثيوبيا فى اراضى الحدود . ومع ذلك ، فقد بدأ ولاء السكان بتغير ببطء وبشكل لايمكن ادراكه . وعلى الرغم من عقود البيع والمعاهدات الزائفة التى عقدها ليفيفر وكومبس وبلونديل وآخرون اعطت بعض الاوربيين انطباعا بانهم قد اصبح لهم حقوق على الساحل الاثيوبى للبحر الاحمر ، فإن التطورات التى حدثت فى بوجوس وفينيسا فى خمسينيات القرن التاسع عشر خلقت مناخا مواتيا لقيام مشروعات استعمارية فى المستقبل . وقد القت بوجس فى خمسينيات القرن التاسع عشر بظلالها على بوجس فى سبعينيات نفس القرن . وهكذا تحقق قيام أريتريا حينذاك .

الوعد المبدئى لشوا

بينما وقعت مصادمات مستمرة بين حكام تيجرى وبدرجة أقل بين بيجمدير والأوروبيين فى شكل أو آخر اثناء الفترة من ١٨٣٠ - ١٨٥٥ فان الهجوم على شوا اقتصر بالدرجة الأولى وتركز فى خمس سنوات من عام ١٨٤٩ الى ١٨٤٣ . ومع ذلك ، ومن النظرة الأولى ، فقد كانت عملية ناجحة للغاية أدت الى عقد معاهدة صداقة وتجارة مفضلة بين بريطانيا العظمى وشوا ، كما أدت ايضا الى معاهدة أخرى قصيرة ولكن ذات أهمية سياسية بين فرنسا وشوا(٤٨٠) . بيد انه لم يحدث ان تطورت هاتان المعاهدتان الى قيام العلاقات الدبلوماسية والتجارية . وعلى الرغم من أن المعاهدة الاثيوبية الانجليزية كانت حقيقة لامراء فى ذلك ، وقدتم التصديق عليها ونشرها من قبل الحكومة البريطانية ، فإنها لم تلعب أى دور يذكر . وقد كان هناك اعتراف بهذا الوضع وبدا تقريبا كما لو أن أحدا لم يكن يتوقع ان تكون لهذه المعاهدة أى دور ، ومن ناحية اخرى ، فإن المعاهدة الاثيوبية الفرنسية رغم عدم تصديق الحكومة الفرنسية عليها وكذلك عدم نشرها حتى ١٨٨٨ فإنها نوقشت فى ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر على أنها اساس لاقامة مستعمرة ابوك جيبوتى

معاهدة الصداقة والتجارة Fo 93/49/1 (480)

١٦ نوفمبر ١٨٤١ (النص الانجليزى) ١٨ نوفمبر ١٨٤١ (النص الامهرى) AED Traites, Ethiopia, Traite Politique et Commercail –1 June 1843.

قد تم تحليل المعاهدة البريطانية ونشر نصها الامهرى فى الفاكس عن طريق المعاهدة الانجليزية الاثيوبية الأولى) E. Uilendorf and C–F–Bekin qham Tss,TX (1954) P.P.187– 990

كلا ترجمتى المعاهدة بالفرنسية تم نشرهما لكن بدون تاريخ او توقيع ، بواسطة ورشيه هيروكور نفسه . Secand) Uoyage P.P.375–8)

ميلكوت إعادت كتابة النص الفرنسى بدون الاشارة للاصل . وفى النهاية فان النصوص الامهرية لكل من المعاهدات الفرنسية والانجليزية أصبحت فى حضرة التاريخ عندما طبعها Blattengeta Hinuy Welde Sillase– فى وقت نشوب الحرب الايطالية الاثيوبية فى ١٩٣٥ . توقفت الطباعة وكان هناك نسخ قليلة غير كاملة . وقد استخدمت نسخة . Qas Badima Yalow والتى احتوت على ١١٢ صفحة مطبوعة و١٤ منسوخة . وفى هذا العمل استشهدت بـHinuy وطارق . وتم طبع المعاهدت على صفحات ٣٣ - ٣٤ . وقد تم ادخال اصلاحات قليلة فى معاهدة هاريس ، بينما تم ادخال تعديلات لغوية على معاهدة روشيه ، شملت التاريخ والمكان والاطراف الموقعة .

كما تم استخدامها لرفض الاعتراف بأى حقوق خاصة لايطاليا بمقتضى معاهدة ويشلا Wichale[481] وطبقا لاحد الكتاب ، وان اشباع وتحقيق مشاعر ومصالح دولتين باسلوب جيد يظل الميثاق الحقيقى للصداقة الفرنسية الاثيوبية »[482] .

وأيا كانت أهمية هاتين المعاهدتين مستقبلا وهما المعاهدتان اللتان تم التفاوض بشانهما بين سهلا سيلاس من ناحية ، وهاريس وروشيه دى هيركورت على التوالى من ناحية اخرى ، فانهما طرحتا بعض المسائل الهامة وهى : هل النجاح الواضح كان يعود لمستوى المهارة العالى الذى يتمتع به كلا من هاريس وروشيه بالمقارنة بما كان يتمتع به معاصريهم مثل ليفيفر وكومبس وبلونديل . الخ أم أن هذا النجاح يعود الى أن سهلا سيلاس كان اكثر ادراكا لاهمية تنظيم علاقاته بالحكام الاجانب ورعاياهم من وبيى وعلى وجوش؟ وعلى الجانب الاوروبى ، فإن القضية العامة كانت وضوح الانشطة المترتبة على المعاهدات : فالاحتلال البريطانى لعدن عام ١٨٣٩ وانسحاب محمد على من على سواحل البحر الاحمر أدى الى حدوث تنافس حاد بين بريطانيا وفرنسا على المنطقة ، وخاصة حول باب المندب ، وقد كانت محاولات كومبس للحصول على زيلا وتاجورا ، والاجراءات التى اتخذتها بريطانيا لحصارهم ، كل ذلك كان جزءا من هذه التطورات ، ويدخل فى هذه التطورات أيضا المهام والزيارات التى قام بها هاريس وروشيه دى هيركورت لشوا[483] ، وعلى الجانب الاثيوبى ، فقد كان من المفترض ان ما يدفع سهلا سيلاس لذلك هى رغبته فى تحديث مملكته والحصول على السلاح ولذلك فقد بادر بنفسه بالتعاون مع البعثات . لكنه اذا كان سهلا سيلاس له مصلحة حقيقية واستراتيجية كبيرة سوف تتحقق من اتصالاته الاجنبية[485] ، وهو امر كان يلائم الخطط الفرنسية والبريطانية لاستغلال تجارة شوا ، وسيظل السؤال : لماذا اغلق سيلاس الباب فى وجه كل الاجانب بمجرد ما أن وقع على أول معاهدتين دوليتين لاثيوبيا الحديثة .

ومن وجهات نظر متعددة ، فإن سهلا سيلاس كان حليفا طيبا ، أوعلى الأقل شريكا تجاريا اكثر بكثير من الحكام الاثيوبيين الأخرين الذين تعاون معهم الاوروبيون فى ثلاثينات واربعينات القرن التاسع عشر . فلم يكن مركزه محل اعتراض من أى أحد فى شوا ، وكانت كلمته هى القانون الذى يحكم البلاد . وقد عبر بعض الزائرين عن كراهيتهم لاستبداده لكن الكل اتفق على أن الشوانيين أصبحوا أكثر رخاء او امنا من بقية الاثيوبيين[486] . وقد مثلت عوائد التجارة بين شوا والساحل نسبة كبيرة من دخل الملك[487] . وقد كانت هذه التجارة مربحة لرؤساء العفر Afair كذلك . وهكذا ظهرت مصلحة مشتركة وحددت القادة السياسيون والجماعات التجارية فى الاراضى المرتفعة والمنخفضة[488] .

---

145 .P (482 – 482) الجزء الثالث

الجزء الثالث P.145 (481)

الجزء الثالث P. 145 (482)

الجزء الثالث P.146 (486)

الجزء الثالث P.146. (488)(487)

وفى حوالى ١٨٤٠ ، فان نهر حواشى كان بمثابة حدود ، بالمعنى العام ، بين أراضى سهلا سيلاس وأراضى عادل وهو الاسم الذى يطلق على أراضى العفر . وقد كان على طول طريق القوافل الرئيسى للساحل ، نقاط ادارة فعالة على حدود المدن تقوم بجمع الرسوم والعوائد الجمركية فى شيو وفير وهما على بعد حوالى ٢٠ - ٣٠ كيلو مترا من انكوبر[489] . وهكذا انفصلت شوا عن الساحل بمنطقة واسعة يسكنها قبائل رعاة مستقلين . بيد أن الاستقلال الاقتصادى ، وهيبة سهلا سيلاس الضخمة كحاكم مهدت له الفرصة لممارسة نفوذ ضخم على حكام القبائل وكذلك التاجورا على الساحل نفسه[490] . وقد أصبح هذا واضحا تماما من خلال موقفه ازاء المحاولات الاولى للاوروبيين للاقامة فى شوا .

فبسبب السيطرة الصارمة لسهلا سيلاس على حكامه ومحافظيه اصبح من الصعب على أى أجنبى أن يدخل شوا بالمقارنة بأى جزء آخر من اثيوبيا وبدون امر صريح من سهلاسيلاس ، لايمكن لاحد من الأوروبيين دخول[491] المملكة أو الخروج منها وبصفة عامة ، فقد أصبحت هناك قناعة بان فرصة الأفراد ذوى المهارات المفيدة فرصة ضئيلة فى الحصول على اذن بالخروج ، بمجرد أن يعرف الملك مدى قدراتهم[492] ومع ذلك فقد قام العديد من الفرنسيين بزيارة شوا بين أعوام ١٨٣٥ و ١٨٣٨ والخروج منها مثل كومبس وتاميسير ودوفاى وقد خرج كومبس وتامسير على اساس انهم لايمارسون حرفة نافعة[493] . اما دوفاى فقد تم السماح له بالخروج لانه وعد بالعودة بسرعة[494] ، اما مارتن بريزكا الالمانى والذى كان يعمل لدى روبيل كصياد فقد بقى لبعض الوقت[495] . ولا يوجد اى دليل على أن سهلاسيلاس حقيقة قام بدعوه اى من هؤلاء الاوروبيين كما عارض السماح بدخولهم فلم يكن هناك دعوة لروشيه دى هيركورت عندما وصل لاول مرة فى ١٨٣٩ .

وقد كانت أول مبادرة قام بها سهلا سيلاس لجلب الأوروبيين لشوا هى دعوته لبعثات الارساليات الكاثوليكية فى ١٨٣٧ ولكن هذه الحقيقة موثقة باسلوب غير مباشر ، وقد كان بالطبع مدركا ادراكا جيدا لعمل البعثات فى المنطقة الشمالية باثيوبيا ، وقد كان هبة سيلاس من شوا وكان معروفا بشكل جيد للملك اذ كان قد سلمه نسخة مطبوعة من الاناجيل الأربعة من جوبات فى بداية

---

(489)Rachet d,Uenicourt,Vayage,P.P.125,127, 269.264–S,Hanis, Hqintands, Vol.T P.P.323– 4, 335–334, 341, VoI PP.228– 31,Vol. PP. 209,251– 2,Tohnston, Trquels, Vol T, PP. 480

ان هذه القطع وعدد آخر تشير الى أن كلا من مفهوم وموقع حدود التى بلاشك يمكن تحديدها بقدر اكبر من التحقيق . ولكنها لم تلعب نفس الدور فى الصراع مع المصريين والاوربيين فى المستقبل لمناطق حدود شمالية غربية .

الجزء الثالث P.146.(490)

الجزء الثالث P–492 P.146 –491

اصر هاريس على ان معاهدته مع سهلا سيلاس ستضع نهاية للمبادىء الوطنية البائدة وهى « ان يجب عدم السماح للغريب الذى دخل ذات مرة بأن يخرج من الحبشة . »

الجزء الثالث P.147. (495–493)

١٨٣٠[٤٩٦] . ومع ذلك فان دعوة سهلا سيلاس لم تكن تلقائية تماما وذلك لأن بريزكا كان هو الذى كتب الخطابا [٤٩٧] والقول بأن طلبات سهلا سيلاس كانت محددة تماما يعدّ على قدر كبير من الأهمية لفهم الأحداث التالية لذلك ، فقد طلب كما قيل ادوية وكذلك ميكانيكى او ربما يكون قد طلب بُناء الكنائس آيتشينجر والذى وصلت شهرته الى مسامع سيلاس . وكان آيتشينجر قد سافر الى اوروبا وقد ارسل ايزنبرج مخطوطا لاهوتيا مكونا من ٩٦٣ صفحة بدلا من آيتشينجر وفى رسالته الثانية ، طلب سهلا سيلاس دواء وبنادق وبنّائين . . . وبعد أن ايزيبزج وكرايف الى شوا فى مايو ١٨٣٩ بعد قيام وبى بطردهم وبعد زيارتهم للقاهرة ، طلب منهم الملك أن يثبتوا أنهم اطباء ومعماريين وفنانين[٤٩٩] .

وقد سألهم ما اذا كانوا قد كتبوا كتبهم وقاموا بتجليدهم بأنفسهم ، وعما إذا كانوا قد صنعوا البنادق التى سوف يقدموها للملك وعما إذا كانوا يعرفون كيفية اعداد السكر ، الخمور او ان يطبعوا الدولارات[٥٠٠] . وعلى الرغم من انهم لم « يكونوارا‌غبين او قادرين على ارضاء توقعات سهلا سيلاس فقد سمح لهم أن يظلوا أو يبدأوا عمل بعثاتهم . وقد ساعدهم الملك ومع ذلك كان يبدى اهتماما ضئيلا بانشطتهم[٥٠١] .

ومن خلال مراسلاته ومحادثاته المبكرة مع البعثات ، كشف سهلا سيلاس بوضوح عن دوافعه لدعوتهم . فقد كان الملك - طبقا لكن زواربلاطه - مهتما باسلوب عاطفى وجاد بالفنون والحرف وبناء المدن والكبارى والاجهزة الميكانيكية والانتاج المحلى لانواع من السلع المتدفقة لشوا من الساحل[٥٠٢] ، وقد حوت تقارير المحادثات المبكرة اقتراحات بشأن اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية وكذلك بشأن استيراد السلاح على نطاق واسع . وعلى الرغم من زيارة روفاى فى يونيو ويوليو من العام الذى قبله والمحاضرة المتميزة التى ذكر انه القاها على سهلا سيلاس حول فوائد التجارة الدولية بما فيها السلاح على نطاق واسع عشرات الألاف ، فمن الواضح ان الملك استمر فى نظرته للاجانب بانهم بالاساس موظفين فى بلاطه فقط وأنهم يحملون قليلا من الهدايا يدخل فيها دائما بندقية جميلة أو بندقيتين كوسائل لكسب وده وقد[٥٠٣] مرت سنوات عدة قبل أن يدرك الحكام الاثيوبيون الحقيقة بان معظم زائريهم من اوروبا الغربية لديهم طموحات وتطلعات اكثر من مجرد الدخول فى خدمتهم .

---

(496) Gobat,Jaurnal PP82,151,195

بعد طرد الارساليات التابعة التبشيرية ،من علوة فى ١٨٣٨ ، اتجهت الدعوة الى سابيتو بيلا منها ولكن لم يستلمها بسبب المرض.Pee Cumney,Prients P. 72

الجزء الثالث .P.147 (497 - 502)

(503) Dufey and Aubert -Reche « Abysseme,RO (Paris)I,PP.319-20.

حتى الاسلوب الذى غادر به دوفاى بلاط شوا أكد هذا الاتجاه . فقد وعد بالعودة من موكها فى خلال ٥٠ يوما بدواء لسهلا سيلاس . (Tbid P.327)

ومنح ٣٠٠ طائرة لتكاليف الرحلة Aachret d Hericourt) Ueyage p,140) وقد مات فى طريقه لمصر ولم يصل الى البحر الاحمر لاستكشاف طريق التجارة . وقد تم التحفظ على أوراقه وتوصيلها لاوبرت - روشيه - وقد استشهدت المقالة ببعض اوراقه .See Malecat ,Uoyogcurs, RFHO,LVITT P.150

روشيه وكرايف فى بلاط سهلا سيلاس

كان تشارلز فرانسوا أكفسير روشيه بحق الرجل المناسب فى المكان المناسب فى عديد من المجالات عندما وصل لبلاط سهلا سيلاس فى اكتوبر عام ١٨٣٩ . فقد كان يجيد الصباغة وكان كيميائيا ماهرا وقد انفق سنوات عديدة من عمره فى مصر يحاول جمع ثروة طائلة من خلال تصنيع صبغة النيلة لمحمد على[٥٠٤] . وبالاضافة لما حوته حقائبه من قليل من البنادق والمدافع ذات الاسطوانة المزدوجة ، فانها شملت ايضا ادوات متنوعة وطاحونة بارود[٥٠٥] . وكان يتطلع الى عبور افريقيا من الساحل الى الساحل ولكنه كان مسافرا بدون أى التزام بأى شىء لأحد ، وكان يستطيع أن يتوقف حيثما يريد[٥٠٦] . وقد بدا انه تقبل بدون أى أسف مسألة ايقاف سهلا سيلاس له فى شوا . وقد ناقشا عظمة فرنسا ، وحكومتها وجيشها ، ومواردها وصناعتها خاصة تصنيع السلاح وقد طلب من روشيه ان يبدأ فى استخدام طاحونة البارود فى عمله كما بدأ أيضا فى تصنيع السكر تحت اشراف الملك نفسه وقد ذكر بدورى لسهلا سيلاس انه وجد فحما فى شنو وقد أدى هذا بدوره الى محادثات طويلة حول التعدين[٥٠٧] ، ومن الواضح انه كسب ود الملك وبدلا من الاستمرار فى رحلته الى داخل افريقيا ، قرر العودة لفرنسا ومحاولة اقامة علاقات وثيقة بين شوا وموطنه . وكون روشيه فعل ذلك بمبادرة شخصية منه ، توضحها روايته وقد عارض الملك قراره بالرحيل . ولكن روشيه أصرّ ، وطُلب منه « على الاقل » ان يطلب من ملك فرنسا منح سهلا سيلاس صداقته وأن يعود مرة أخرى الى شوا[٥٠٨] وفى ٣ مارس ١٨٤٠ غادر روشيه البلاد لفرنسا وبنهاية العام ظهر فى باريس ومعه خطاب وبعض الهدايا للويس فيليب . وكان هذا الخطاب قد قام سهلا سيلاس باملائه بنفسه فى وجود روشيه[٥٠٩] . لكن لسوء الحظ فان الأصل الامهرى غير معروف ما اذا كان موجودا أم لا . والمتاح فقط الترجمة الفرنسية والتى شهد عليها ليفيفر وتم تأريخها فى الاسكندرية فى ٢٧ اكتوبر ١٨٤٠ وهى موجودة فى أرشيف وزارة الشئون الخارجية الفرنسية وقد شملت الرسالة قائمة بالهدايا وبعض التعبيرات عن الصداقة وطلب عودة روشيه مرة أخرى بالمعلومات بما يريده الملك الفرنسى من اثيوبيا ، وقد ذكرت الرسالة أن روشيه هو وكيل لسهلا سيلاس بشكل مطلق وبدون شروط محدودة . . انى أقول ان روشيه هذا شخص يحمل افكارى[٥١٠] ، ولقد دلّت

الجزء الثالث ‎...4 - 508) P.148

الجزء الثالث ‎...) P . 149.

الجزء الثالث ‎... - 511) P.149

المناقشات التى دارت حول عودة روشيه لشوا على انه طلب منه بعض المشتريات ، ولكن هذه المهمة كانت محدودة النطاق ، اذ طُلب منه شراء ثمان بنادق ذات ماسورة مزدوجة(٥١١) فى الحقيقة نحن لا نعرف شيئا مؤكدا عن أهداف سهلا سيلاس وتوقعاته فى الوقت الذى سافر فيه روشيه(٥١٢) .

وكما فعل اوبورت وكومبس وليفيفر قبله ، لخص روشيه المستقبل الباهرللعلاقات التجارية والسياسية التى تنتظر فرنسا فى اثيوبيا وخاصة فى شوا : - فهناك سوق به على الأقل مليون مستهلك غير مستثمرين ، وثروات ملكية تقدر على الاقل بحوالى ٣٠ مليون فرنك لا يعرف الملك كيف يستخدمها وكذلك فرص للسيطرة على شوا ومن خلالها على كل اثيوبيا ومن خلال اثيوبيا السيطرة على مصر ففى رأى روشيه انه لاشىء يمكن ان يوقف جيش الجيشة والجالاز من غزو مصر بنجاح . ولكى يتم اقامة علاقات وثيقة بين فرنسا وشوا ، ومن أجل البدء فى احداث هذه التطورات طلب روشيه مدفعين صغيرين ، ومن ١٥٠ - ٢٠٠ بندقية من أنواع مختلفة وبعض السيوف والبنادق الأخرى وسلع أخرى يمكن أن يقدمها كهدايا لسهلا سيلاس كعينات للصناعة الفرنسية(٥٣٣) . وقد وضح ان روشيه نجح فى خلق انطباع جيد ومودات لدى المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس وبالفعل منحوه كل ما طلب(٥١٤) . ولو ان منحه وسام الاستحقاق والشرف استغرق بعض الوقت لاقناعهم بذلك ، لانه شعر بانه يحتاج مثل هذا الوسام كى يحتفظ بثقة سهلا سيلاس له وكذلك احترامه خاصة وأن من وجهة نظره فان ليفيفر كان سيحصل على هذا الوسام(٥١٥) . فى غيبة روشيه ، بدأت القوى المعادية لفرنسا فى العمل فى شوا وقد كانت الشخصية الرئيسية فى هذه الانشطة هى كرايف . وقد حدد فى مذكراته المنشورة انه تم استدعاؤه من انكوبر الى انجوليلا فى ٢٧ يونيو ١٨٤٠ . وفى اليوم التالى تلقى تعليمات من سهلا سيلاس أن يترجم خطابا لشركة الهند الشرقية(٥١٦) . وقد اعرب سهلا سيلاس فى هذا الخطاب عن اسفه ان الفنون والعلوم مازالت غير

---

512) ان مسألة صحة هذا الخطاب لم تطرح على حدّ معلوماتى .

ولا يمكن الرد عليها بدون الاصل ، ان المقارنة بين نسخة AEMD

وترجمة روشيه المنشورة اوضحت ان روشيه كان مترددا

(Voyage p.p 317 -18

وقد غيرّ الجملة الافتتاحية للراس ، واضاف سهلا سيلاس ملك شوا للتوقيع أسفل الوثيقة . وان ظهور ليفيفر كمترجم كان غريبا . فقد وصل الى الاسكندرية من فرنسا فى ٢٧ اكتوبر

Lefebvre, voyage vol. I P . 199

وقد حصل روشيه على الترجمة .

الجزء الثالث

513 - 514) P. 149

الجزء الثالث

515) P. 150

١-

516) Tsemberg and Kvayf journals, pp 250

وأصر كرايف على ان سهلا سيلاس اقتنع بفكرة ارسال الخطابات والهدايا لشركة الهند الشرقية .

متطورة حتى الأن فى بلاده ، وطلب المساعدة بتقديم بعض البنادق والمدافع والاشياء الاخرى التى لا تجدها بلاده(٥١٧) .

وقد اعطى الخطاب انطباعا بأنه حقيقى تماما حتى فى ترجمته الانجليزية . وفضلا عن ذلك كان من غير المحتمل افتراض ان كرايف فى موقعه سوف يخاطر بمحاولة خداع السلطات البريطانية فى عدن وبومباى . ولكن هذا لا يعنى أن المبادرة صدرت عن سهلا سيلاس فقط ، أو أن كرايف كان مجرد مترجم فحسب .

وقد اسرعت بعثة الارساليات الكاثوليكية الى شوا قبل ذلك بعام واحد وذلك لكى تمنع الفرنسيين (وكذلك الكاثوليك) من كسب النفوذ على سهلا سيلاس ومن خلاله على كل اثيوبيا(٥١٨) . وقد تم اجباره على ترك تيجرى بعد ثلاثة اشهر واراد ان يؤمن موطىء قدم له فى اثيوبيا الجنوبية . ولم يكن معنيا بالمسائل العسكرية أو النفوذ السياسى لمجرد ذلك وبينما كان روشيه مهتما ببناء مركزه فان كرايف ركز على التدريس وعلى العمل اللغوى . وتوقع المساعدة وقد كان الضابط الالمانى كيلمير الذى شارك فى مصير البعثات فى عدوا فى ١٨٣٨ - فى طريقه من القاهرة بصحبة اثيوبى شاب اسمه صمويل جيورجوش ، ابن مبعوث سيبا جاديس ، صديق جوبات ، على عمر . لكن فى ٢٧ مايو ، تلقى كرايف أنباء تفيد بأن كيلمير قدمات فى صحراء دنقلة . وبعد ذلك بايام قليلة وصل صمويل ومعه مزيد من الاخبار(٥١٩) . ويبدو ان هذا أزعج الرجل . فقد عرف أن كيلمير تفاوض مع الوكيل البريطانى فى عدن الكابتن هانز لتقديم « معدات عسكرية اذا نجح فى تنفيذ أهدافه العسكرية فى شوا وان هانز ارسل طلبه هذا الى حكومة بومباى . ولذلك فقد اعتقد انه يستطيع التحدث قليلا عن هذا الموضوع مع الملك(٥٢٠) » . وكان هذا السبب الاساسى لخطاب سهلا سيلاس الى بومباى وطلب الملك اولا من كرايف ان يكتب خطابا بالانجليزية لصمويل لكى يأخذه ، لكنه قبل اقتراح كرايف بالكتابة بنفسه . ولم يكن فى عجلة من أمره ولذلك أجّل المسألة اسبوعين أو ثلاث . وفى نفس الوقت اخذ كرايف المبادرة بتقديم النصيحة

---

517) P. 150 F... 1486 c

الجزء الثالث

وكانت الخلافات بالدرجة الأولى فى الصياغة وليس فى المعنى . ولم أستطع أن أعثر على الاصول الامهرية التى كانت فى ارشيف الهند .

518) P. 150.

الجزء الثالث

519) P. 150.

الجزء الثالث

520) F0.... 1840

ان هذا الخطاب والموجود فى نسخ هاريس بلندن كان تاريخه ٢٢ يوليو ولكن من الواضح أن هناك خطأ فى شهر وانه كان مكتوبا ٢٢ يونيو .

لهانز بأن كمية صغيرة من مواد الحرب ، وبعض الاشخاص المؤهلين تأهيلا عسكريا جيدا الذين يمكن استخدامهم لهذه المواد بشكل مرضى للملك يمكن أن يمنعوا روشيه من النجاح فى خططه ويمكن أن تحافظ على المصالح البريطانية كما يمكن بذلك تقرير السياسات بصفة عامة فى شوا ، ويفتح المجال امام اكتشاف وسط افريقيا بحضارتها وتجارتها(٥٢١) .

فى ضوء نصيحة كرايف ارسل سهلا سيلاس رسالته الى « الشركة الانجليزية الكبيرة فى الهند . » وقد ارفق ذلك بخطاب كتبه الى هانز . وتم ترجمة الاثنين الى الانجليزية بمعرفة كرايف(٥٢٢) . وقد أبدى رجل الارسالية أسفه من انه لم يتمكن من أخذ الخطاب بنفسه وقد تمت الموافقة على أن يعود صمويل ومعه الخطابات . . وقد كشف كرايف عن قلقه ازاء خطط روشيه فى عديد من الخطابات التى تم ارسالها مع صمويل(٥٢٣) . وطبقا لكرايف فان روشيه أخبر سهلا سيلاس انه – لكى يصبح حاكم كل الجيش فان الملك يجب أن ينظم جيشه بنفس أسلوب تنظيم الجيش الفرنسى : كما عرض عليه أن يذهب ويحضر له الاسلحة الضرورية من فرنسا . ولكن روشيه أخبر كرايف أيضا انه ينوى استخدام القوة الأولى المكونة من الألف جندى والذى قام بتدريبهم فى عزل سهلا سيلاس ويتولى هو نفسه منصب حاكم اثيوبيا فكما أن هناك الهند البريطانية ، فلتكن هناك الحبشة الفرنسية « ولكى يحقق أهدافه ، كان روشيه قد أعد نفسه لتوحيد قبائل جالا واستخدامها ، وفى وجود جيش جالا الذى يتكون من ٢٠٠,٠٠٠ جندي فانه يمكنه ان يوحد الحبشة الفرنسية مع الممتلكات الفرنسية الموجودة على نهر السنغال وبذا يجعل افريقيا قارة تتمتع فيها فرنسا بمطلق الحرية والتصرف(٥٢٤) .

ويبدو ذلك درب من الخيال بحيث يمكن تصديقه ، لانه من الصعب مقاومة الشعور بأن قصة كرايف كانت مليئة بالمبالغة والمغالاة . ومن ناحية أخرى فاذا كان روشيه استطاع أن يقول فى تقرير خطير للحكومة الفرنسية بان القوات الاثيوبية يمكن أن تقهر مصر ، فلا يوجد سبب يدعو للتفكير بانه لم يقم بسرد قصصا خيالية لكرايف عن السنغال . وفضلا عن ذلك فقد اعتقد كرايف ان قبائل جالا لها صلات تجارية مع الساحل الغربى لافريقيا(٥٢٥) . وباستثناء الزعم بان روشيه كان يعد لثورة ضد الملك الشرعى والمبجل(٥٢٦) فان اقتراحات كرايف والأسباب التى طرحها كمبرر لها كانت مماثلة بشكل كبيرلافكار روشيه . فيجب امداد سهلا سيلاس بالمعدات العسكرية والأفراد للتقوية وتحديث جيش شوا لكى يستطيع قمع واخضاع كل الحبشة ووضع نهاية للحروب الأهلية . ويمكن أن يتبع ذلك اصلاحات أخرى كنتيجة للاصلاحات العسكرية . وهكذا « فربما تستطيع انجلترا حماية شعب الحبشة من الابادة الكاملة » ، وثانيا ، فان كل شرق ووسط افريقيا سيكون مفتوحا امام البريطانيين . « ان الأصدقاء المهتمين بالتجارة والاكتشافات ونشر الحضارة لن يشعروا بخيبة أمل بمجرد أن تفتح انجلترا وسط افريقيا من خلال شاوا » وثالثا : وهذا هو الجانب الآخر للعملة فقط . . « أنه يمكن تدمير الخطط الثورية للسيد روشيه وللنفوذ الفرنسى فى شرق افريقيا من جذورها(٥٢٧) .

الجزء الثالث P.151 (521-526)

ومن الصعب القول ما اذا كان كرايف توقع حقيقة أى نجاح لروشيه . كما عبر ايضا عن مخاوفه من ان يكتشف سهلا سيلاس بسرعة طموحات روشيه الشخصية ويغلق شوا امام كل الاجانب بما فيها الارساليات(٥٢٨) .

وعلى أى الأحوال ، فبمجرد أن بدأ كرايف هذا الأمر ، اظهر اهتماما كبيرا بان « هذا المخطط يجب أن ينفذ من خلال(٥٢٩) الحكومة الانجليزية فى الهند قبل أن يصل السيد روشيه من فرنسا » وهذا يفسر لماذا نصح سهلا سيلاس أن يكتب للهند وليس لانجلترا . وفى خطاب جديد فى اغسطس ابلغ هانز « انه اياً كان من سيحضر أولا : الفرنسيون أو الانجليز ، فسوف يكون من يحضر أولا له تأثير اكبر على الملك(٥٣٠) . وفى منتصف سبتمبر وصل صموئيل لتاجورا(٥٣١) . وقد شاركت كرايف فى قلقه السلطات البريطانية فى عدن وبومباى . وفى ديسمبر تم ابلاغ بالمرستو بأن حكومة بومباى أوصت بانشاء بعثة بريطانية فى شوا(٥٣٢) . وفى نفس الوقت خطط هانز لانشاء سفارة كبيرة وعلى نطاق واسع ، واقترح تقديم الهدايا بكرم بالغ ليس فقط لسهلا سيلاس ولكن أيضا لحكام عفر على طول الطريق(٥٣٣) .

وقدتم منع كومبس والاخوة دى ابادى من التحرك للداخل من خلال تاجورا أو أى ميناء آخر فى المنطقة . وسواء كان هذا يعود كله الى الترتيبات التى قام بها هانز أم لا كان غير مؤكد ولكنه بالتأكيد عاملاً غير مساعد(٥٣٤) .

الجزء الثالث .P.152 (527-533)

الجزء الثالث P.152 (534)

المعاهدة الاثيوبية والانجليزية :

فى ابريل ١٨٤١ صدرت التعليمات للكابتن دبليو . س . هاريس بأن يذهب لشوا ، وأن يقوم بكل ما يمكنه من مهام واكتشافات علمية وتجارية وان يدرس موضوع تجارة العبيد وان يحصل على توقيع سهلا سيلاس على معاهدة من شأنها أن تؤمن « تبادلا تجارياً حراً دون قيود مع شوا[٥٣٥] .

أن أول خبرة اكتسبها هاريس من مهمته هى أن النوايا الحسنة والحميدة لرؤساء قبائل العفر ، لم يكن يجرى التحكم فيها من عدن . وقد زعم الكثيرون بطرق متنوعة انهم مفتاح الطريق للحبشة[٥٣٦] وعلى الرغم من أساليب التخويف والارهاب وكذلك الهدايا السخية ، فقد قتل ثلاثة من اعضاء البعثة فى هجوم ليلى قرب بحيرة « اسال » وهى على بعد مسيرة يوم من الساحل ، كما تكررت التهديدات فى كيليلو الواقعة تقريبا فى وسط الطريق بين الساحل وهواش بأن على اعضاء السفارة أن يعودوا على اعقابهم أو أن يواجهوا الموت[٥٣٧] ومع ذلك فقد استمر هاريس فى مسيرته ليكتشف عندما وصل لحدود شوا فى يوليو بانه غير مرحب به على الاطلاق . ولذا فقد انتابه الشك فى أن حاكم أراضى الحدود ويلاسما محمد ، والمسئولين الآخرين من شوا والذين يشرفون على التجارة والجمارك ونيابة عن الملك قد تأثروا ضده . وربما يصدق هذا التخمين لانهم بالفعل شعروا ان التجارة الأوروبية ستمثل مصدر تهديد لمصادر دخلهم وقد ساهم هاريس فى زيادة هذه الشكوك برفضه السماح لمسئولى الجمارك أن يتقربوا من الكمية الضخمة من السلع التى حملتها قافلته بيد ان الود الذى يستقبل به سهلا سيلاس الاجانب يجعل من الصعب الاعتقاد بأنهم تم حجزهم لمدة اسبوعين فى منطقة عاليا امبا التى تعتبر قريبة من بلاط الملك ، دون صدور أوامر منه[٥٣٨] . واخيرا فقد سمح لهم أن يتقدموا للملك بهداياهم وهى مجموعة فريدة ولاتضارع من الشيلان والايشاربات والساعات والصناديق الموسيقية وسجادة بلجيكية الصنع . . ، واخيرا مدفع و ٣٠٠ بندقية . وقد اصر هاريس على أن تكون التحية باطلاق المدافع ، كما أصر على الدخول فى حضرة الملك وهو راكب الخيل مع مرافقيه . وقد كان هذا انتهاكا غير عادى وصارخ للبرتوكول والمراسم[٥٣٩] . واذا كان الناس قد اعتقدوا أن هاريس هو ملك المصريين كما كتب جراهام بعد اسبوع من الاستقبال[٥٤٠] ، فان المبعوث قام من جانبه بالمساهمة فى خلق هذا الانطباع .

الجزء الثالث .P.153 (535–537)

(538). Ibid, PP.318.323 –34,365,371–397

انظر روشيه (الرحلة الثانية ص ١٤٣ اذا كان قد وصل خطاب ارنولد دى ابادى من تاجورا إلى سهلا سيلاس ، فانه ربما يفسر بعض التردد ويوضح لماذا كان هناك شك كبير حول المؤامرات البريطانية .

وقد تأثر سهلا سيلاس بالهدايا لكن لم يسعد بتفاخر وتكبر ثلاثين من الاجانب المفروض أنهم الآن فى قبضة يده فهم يمثلون نوعاً ثالثا من الأوروبيين وهو نوع مختلف تماما عن الحرفيين أو الوكلاء الملتزمين ، وهى الفئة التى ينتمى اليها روشيه ايضا والارساليات التى تبدى احيانا رغبة يمكن فهمها رغم عدم الارتياح لها . فى التعليم والتبشير . وقد تكلم هاريس وزملاؤه كثيرا عن الفنون والعلوم وعلى سبيل المثال استخدام الانوال[٥٤١] لكن من الواضح انهم لم يجيئوا بقصد تنفيذ الاعمال بأنفسهم فعلى الرغم من انهم ضباط وجنود ، وصاحبوا الملك فى حملته ضد قبائل جالا ، فإنهم لم يحاربوا بشكل مرض للشوايين ، واتهموا بانهم اكلوا من خيرات الملك ولكنهم يدمروا أياً من أعداد الدولة[٥٤٢] .

وكان كل ما طلبه سهلا سيلاس ، أو ما عرضه كرايف عندما كتب للهند ، ليس الا السلاح والفنيين ، اما هاريس فان ما يطلبه الآن مقابل السلاح هو التوقيع على معاهدة يمكن لرجاله بمقتضاها أن يدخلوا شوا ، ويخرجوا منها كما يريدوا وان تترك التجارة حرة فى المناطق التى تكون تحت سيطرة الملك وما يتجاوزها وان يقوموا بادخال بضائعهم الى داخل شوا ولايدفعوا عليها الا ٥٪ فقط رسوم جمركية ، وان يصدروا ما يرغبون بدون أى رسوم جمركية : وفى منتصف نوفمبر ، استطاع هاريس بمساعدة كرايف ان يقنع سهلا سيلاس بالتوقيع على معاهدة تتضمن هذا كله[٥٤٣] . وقد كشفت المقارنة بين النص الانجليزى والامهرى للمعاهدة بوضوح على أن النص الامهرى كان مجرد ترجمة للنص الانجليزى[٥٤٤] . وأن هناك ١١ مادة من ١٤ مادة تهدف الى تأمين مسار التجارة حرة وغير مقيدة وهذا طبقا لتعليمات هاريس ، اما المواد الثلاث الباقية (الثالثة والتاسعة والخامسة عشر) فكانت مجرد محاولة لاظهار أن كل الحقوق والالتزامات بين الطرفين متبادلة على سبيل المثال أن من حق الرعاية الشوايين أن يتنقلوا فى بريطانيا العظمى وأن يتمتعوا بنفس المزايا التى يتمتع بها الرعاية البريطانيون فى شوا ، فيما يتعلق بالحركة والتجارة . ويمكن القول انه من المشكوك فيه القول بان سهلا سيلاس فهم الالتزامات والانعكاسات من وراء توقيعه على معاهدة دولية » وفى الحقيقة فلقد اعترف أحد أعضاء السفارة بالقول : « بأن الملك لم يدرك أولم يكن على معرفة بطبيعة وفحوى الأوراق الذى وقعها ، وانه ادرك فقط المسئوليات الجديدة الذى سوف يتحملها من خلال خطاب تفسيرى تضمن لهجة حادة وذلك فى مناسبة جاءت بعد توقيع المعاهدة[٥٤٥] ، وعندما يذكر هاريس رغبة الملك فى أن تكتب بعض المواد التى تم الموافقة عليها على ورق خاص من البرشمان وتقدم له للتوقيع ، فقد كان هذا يعكس فقط رغبة المفاوض الأوروبى فى تقديم الطرف الاثيوبى على أنه اكثر حماسا ، ومن ثم تكون مسئوليته مسئولية اكبر بالنسبة

الجزء الثالث .P.153 (539 541)

الجزء الثالث .P. 154 (542–543)

(Tveaty 775,IX PP187–93 (Ullendosff,Beck ingham (544) والذى فحص النص الأمهرى والذى تم اعتباره

ترجمة مبدئية للنص الختامى من المعاهدة See also Hruy, Tarik P.34

الجزء الثالث .P.154 (545 – 546)

للاتفاقية وبالتالى اكثر مراعاة لتنفيذها بشكل اكثر مما تتطلب الظروف ، وقد كان كرايف اكثر صراحة ومباشرا ، وقد تحدث عن « اقناع » سهلا سيلاس بالموافقة على شروط المعاهدة ، كما تحدث عن جهود هاريس التى اتسمت بالاستمرارية والحرص والحزم للوصول لهذا الهدف(٥٤٦) .

وقد بذل كرايف جهدا فى الاقناع يتجاوز أى جهد بذله أى شخص آخر ، لانه عمد الى تحديد مستقبل الارسالية فى شوا بشكل كامل وربطه بنجاح السفارة البريطانية ، فقد كان مصرا على تأمين موطىء قدم فى الحبشة بأى وسيلة ممكنة ، ولقد كانت التهديدات المستترة ضمن الاساليب التى استخدمها للاقناع فى هذا الصدد وفى سبتمبر ، وقبل شهرين من توقيع المعاهدة ، كتب لزميل له فى الارسالية فى القاهرة يقول « اذا لم يوقع الملك الاتفاقية ، فسوف يلقنونه درسا ، كما فعلوا مع الباشا »(٥٤٧) . ولذا فليس هناك أدنى شك فى أن الطرف الأوروبى هو الذى اقترح المعاهدة وصاغها وقام بتقديمها ، ولكن لماذا وافق سهلا سيلاس على التوقيع ؟ هذا سؤال ليس له اجابة قاطعة فلربما وقع بسبب ما حصل عليه من سلاح وهدايا أو اقتناعا منه بأن توقيعه سيضمن له دوام السلاح والذخيرة والسلع الأخرى التى يريدها ، ولكن من المؤكد أنه كانت هناك عوامل أخرى .

ولقد تم التوقيع فى ذروة وقوع ازمة كنسّية خطيرة فى شوا . فقد أكد سهلا سيلاس على استقلاله فى المسائل الكنسية فى جوندر عن طريق تعيين (Tewahid)وشخص من قبيلة تواهيدو ليرأس الكنيسة فى شوا . ونتيجة لذلك ، فقد وجد نفسه فى صراع مع كل من Ichegeورأس على وكذلك مع الأقسام القومية من رجال الكهنوت فى شوا نفسها ، وفى نفس الوقت فان وصول ابونى سلامة كان نذيرا بصدام جديد فى الشمال ، وبحدوث تغييرات كهنوتية محتملة فى جوندر . فى هذا الموقف فان كلا من سهلا سيلاس وقادة تواهيدو فى شوا - والذين كانوا على علاقات أفضل مع كرايف اكثر من الطرف المضادYe– Seggalij كانوا يأملون فى أن اقامة صداقة مع بريطانيا سوف تسهل اقامة علاقات ودية مع سلامة ، التلميذ السابق لزملاء كرايف فى القاهرة . لكن فى النهاية استسلم سهلا سيلاس للضغوط . وبعد اسبوع من توقيع المعاهدة تم استبعاد قادة تواهيدوTewahid . وقد بقيت شوا بعيدا عن الحرب التى كانت تدور بين وبى وعلى . وعندما حاول سلامة بعد معركة ديبرمى اعادة تعيين ممثل التواهيدو مرة اخرى كان سهلا سيلاس عنيدا بدرجة متزايدة عن ذى قبل كما كان عنيدا مع I chege وبالنسبة لكرايف والسفارة البريطانية ، فان تحديد مصالحهم لتتمشى مع مصالح سلامة أصبحت مسئولية وليس ميزة(٥٤٨) .

وقد كان الاهتمام الكبير لاخراج وثيقة جميلة عبارة عن ورقة واحدة مقاسها ٣٢×٧٥سم باللغة الامهرية والانجليزية وفى عمودين متوازيين على قمتهما رسوم للاسلحة الملكية البريطانية وللتمثيل الاثيوبى الثالوثى بالالوان ، وبالاضافة الى التوقيعات واختام الشيلاك الأحمر ، وكذلك المراسم التى تمت كما سجلها هاريس(٥٤٩) . كل ذلك كان يشير الى أن المبعوث البريطانى اراد التأثير على

الجزء الثالث .P.155 (547-550)

الجزء الثالث

(547–550)P.1SS

سهلا سيلاس واقناعه بأهمية ماكان يفعله ، وفى هذا السبيل ، فقد حقق نجاحا جيدا ولكن الى حد ما(٥٥٠) . ومع ذلك كان من الصعب الاعتقاد ان ملك شوا اعتبر أن هذا الاتفاق ملزم وغير قابل للنقض على وجه الخصوص ، وان أى اتفاق جاد يتم بين الأمراء الاثيوبيين كان يسمى« كيدان » أو « كال كيدان » ان هذا المصطلح تقريبا يماثل المضمون الدينى لكلمة عهد وميثاق Convenant ولقد كان العقاب الدينى المترتب على مثل هذا الاتفاق وهو فى أغلب الاحيان قسم يتم أمام ممثل الكنيسة وهذا يجعله اتفاقا غير قابل للنقض(٥٥١) . ولم يكن هناك أى ذكر لأى قسم بين سهلا سيلاس وهاريس . وقد كانت ترجمة . . « المعاهدة »التى تعنى اتفاق وتفاهم تعنى اتفاقا اقل رسمية واقل هيبة من كيدان Kidanأو مصطلح ..Wil والذى أصبح يستخدم مؤخرا مرادفا لكلمة معاهدة الدبلوماسية الاثيوبية وعلى مستوى الشكل والجوهر ، فان معاهدة عام ١٨٤١ كانت من أفكار وابتكار كل من هاريس وكرايف . سواء كان هذا النمط من الاتفاق الاوروبى كان يمكن تطبيقه على الوضع الاثيوبى أم لا ، فالتجربة وحدها هى التى يمكن أن تثبت ذلك .

ولم يكن لدى هاريس ولا كرايف ثمة أوهام كبيرة فى هذا المجال . ومن ثم ، فقد بقى هاريس فى شوا . وقد اشترك اعضاء سفارته فى تصميم الرسومات والاشراف على بناء قصر جديد للملك(٥٥٢) فضلا عن ذلك كان هناك أيضا الهدايا التى كانوا فى حاجة لها لاطعام رجالٌ أنجلومانياً Anglomanier فى شوا(٥٥٣) وكانت مهمة وضع الاتفاق مع سهلا سيلاس موضع الاختبار الأول تقع على عاتق كرايف وقد انتظر اثنان من زملائه فى الارسالية هولر وموهليشين ـ ارنولد بعض الوقت لدخول شوا من خلال تاجورا . وعندما سمع كرايف عن فشلهم للمرة الثانية فى الدخول ، قرر أن يذهب ليساعدهم(٥٥٤) وقد ترك شوا فى مارس عام ١٨٤٢ ، ووصل مصوع بعد شهرين تقريبا بعد ما تمت سرقته من قبل رئيس جالا فى ويلو ، والذى كان يفترض أنه صديق لملك شوا(٥٥٥) . وقد بدا أن كرايف قد تلقى صدمة شديدة والقى ببعض اللوم لما أصابه من سوء الحظ على سهلا سيلاس أوعلى الاقل طلب من الملك أن يعيد له ما فقده من حاجات . وقد أغضب هذا سهلا سيلاس ، ولم يكن ذلك أمرا غريبا(٥٥٦) . ولما كان كل من مولر وموهليشين قد رجعا الى القاهرة ، وكان كرايف يريد الذهاب لمصر لمقابلة زوجة المستقبل ، فقد تم ارجاء محاولة العودة لشوا من خلال تاجورا لعدة شهور قليلة(٥٥٧) . ونتيجة غضب كرايف من تجاربه فى رحلته الى مصوع ، ونتيجة ملاحظته مرة أخرى للوجود الفرنسى والكاثوليكى فى تيجرى(٥٥٨) فان كرايف كان

---

(٥٥١) ن الكلمة المستخدمة لوصف العهد القديم والجديد هى كيدان وأيضا الزواج الملزم يسمى كيدان .

Lefelure (Voyage Vol I,P.314

وقد ذكر ليفير كلمة كيدان ليصف الصلة بن وبى وسلامة قبل حرب ١٨٤٢ ضد على ، وفيريت وجالينيز .

الجزء الثالث 552 -555) P. 156.

الجزء الثالث 556) P.156.

الجزء الثالث 557 - 558) P. 156.

ثائرا وخرج عن طوره فى التمسك باهداب السلاح الروحى . ومن ثم فقد طالب بفرض السيطرة البريطانية على الحبشة مما تطلب ذلك من اجراءات لتنفيذ ذلك ، ونبه الى أن المعاهدة الجديدة توفر ذريعة للقيام بعمل فى هذا الصدد . . مشيرا الى « أن أية انتهاك أو مخالفة أو تجاوز يجب أن يقابل بعمل عسكرى »(٥٥٩) وفى خطاب لبازل كانت توجهات كرايف ببساطة أن الحبشة سوف تصبح قريبا بريطانية . وكان من رأيه أن تتخذ انجلترا الاجراءات لمنع فرنسا من ربط الجزائر بمصر وأثيوبيا وبالتالى اضعاف وتدمير المصالح البريطانية فى البحر المتوسط ، والبحر الأحمر والمحيط الهندى ، مضيفا الى انه فضلا عن الجوانب السياسية فهناك أيضا الفرص المزدهرة للتجارة(٥٦٠) لكن كرايف كان مخطئا ، ففكرة اخضاع شوا لكى تقبل المعاهدة رفضت فى بومباى(٥٦١) لأن ذلك يمكن أن يكون أمرا مطلقا للغاية ، ولم يحدث أن تأثرت السلطات البريطانية بالمستقبل التجارى الداخلى مثلما تأثر الفرنسيون . وفيما يتعلق بمهمة كوفين عام ١٨٤١ ، فان مكتب الهند عبر عن رأيه كالاتى :

لا يوجد أى احتمال فى أن أى فائدة سوف تتمخض عن التدخل سواء فى شوا أو حتى فى تيجرى ، التى سوف تقوم باعادة تسديد نفقات البعثات والوكلاء . واذا لم تكن الحكومة الفرنسية قد أظهرت نوايا للتدخل فى هذه الاقطار ، فمن الافضل الا يتم اتخاذ أى اجراء أو أى شىء لهاتين المنطقتين.(٥٦٢) .

وفضلا عن ذلك فان الحكومة البريطانية فى عهد سيرروبرت بييل ولورد ابراردين حاولت اعادة الوفاق الفرنسى الانجليزى الذى تأثر « بالمسألة الشرقية » بشدة من ١٨٣٩ - ١٨٤٠ ولاريب ان هذا من شأنه أن يخفف حدة التنافس فى الحبشة ايضا ، وكان الشرط بطبيعة الحال هو أن توافق فرنسا على البقاء بعيداً . ومن خلال النظر من أفق عدن ، فان هذا يعنى منع روشيه والذى كان فى طريقه منذ بداية العام الجديد ١٨٤٢(٥٦٣) من انزال جنوده والعودة لشوا . وبعد خبرات الرحالة الفرنسيون الآخرون بما فيهم الاخوة دى ابادى ، وكومبس ، فان وزارة الخارجية فى باريس لم تتوقع على الاطلاق أن يصل روشيه ويدخل تاجورا والتى كان من المعتقد خطأ انها بيعت للبريطانيين وتم احتلالها احتلالا دائما(٥٦٤) . وعندما وصل روشيه هناك فى أوائل يونيو ، لم يجد الوضع كما توقعه . ومع ذلك مُنع من انزال بضائعه وطبقا لتقريره فقد تم اخباره أن سلطان تاجورا يتصرف بناء على الأوامر الصادرة اليه من عدن .

وقد أرسل روشيه رسالة لسهلا سيلاس وعاد الى موكوها ينتظر الرد(٥٦٥) وفى أوائل سبتمبر عبر مرة أخرى ، ليجد سهلا سيلاس قد رد على رسالة وكتب للسلطان كذلك يخبره الا يعود روشيه اذا كان لا يريد أن يرى رعاياه فى شوا مكبلين بالقيود(٥٦٦) بينما كانت هناك صعوبة فى التأكد من أن الرءوساء على الساحل كانوا يتصرفون طبقا لأوامر هانز أو سهلا سيلاس ، أو ـ وهو أمر محتمل ـ

الجزء الثالث

559 - 566) P. 157

يتصرفون بناء على مبادرة من أنفسهم فى منع الأوروبيين من الدخول الى داخل الأراضى(٥٦٧) ، فقد وضح تماما من هو حقيقة الذى يملك « مفاتيح الحبشة » على تلك الجبهة . وفى هذه المسألة كان واضحا أن سهلا سيلاس استطاع أن يملى ارادته على رؤساء الساحل . وقد غادر روشيه المكان لشوا ، وعندما وصل كرايف مع زملائه فى نوفمبر ، أبلغهم سلطان تاجورا بان لديه أوامر مكتوبة من ملك شوا بالايسمح لأى أجنبى ماعدا روشيه بأن يتقدم للداخل(٥٦٨) وذهب كرايف الى زايلا على أمل أن يتمكن من التحرك من هناك ، وكتب الى سهلا سيلاس ، كما كتب هاريس الى الملك يرجوه فيه بالنيابة عن كرايف السماح للاخير بالدخول الى داخل البلاد ، ولكن الطريق الى شوا كان مغلقا تماما بالنسبة لكرايف وزملائه(٥٦٩) ولم يكن غريبا ، أن يلقى كرايف باللوم على روشيه لرفض سهلا سيلاس الدخول مرة أخرى الى شوا(٥٧٠) . كما حدث فى عدوة قبل ذلك بخمس سنوات(٥٧١) ، فان العامل الحاسم فى هذا الأمر كان من الواضح انه المعارضة الكهنوتية وربما الشعبية ، وقد كتب هاريس فى تقاريره أن اجتماعات تمت فى كنائس العاصمة وانه تم ارسال وفود الى الملك تطلب منه بالا يسمح بعودة ايزينبرج أو كرايف ، واخيرا دعا الملك هاريس واخبره انه لن يسمح لا يزنبرج وكرايف بالعودة تحت أى ظروف : واستشهد بالمعارضة الشعبية ، وقال انه يواجه صعوبات كافية حول مسائل مذهبية فى مملكته ، ولا يرغب فى مزيد من المشاكل الإضافية بسبب هذه الارساليات . وقد اعترف هاريس بانه لجأ الى التهديدات والوعود ، ولكنه لم ينجح فى التأثير على الملك(٥٧٢) . وفى الواقع ، فقد وضح أن اقامة هاريس فى شوا تقترب من نهايتها وكانت مسألة هل تم اخباره بضرورة ترك المكان أم لا ، مسألة غير هامة(٥٧٣) ومع عام ١٨٤٣ ، كان لابد وان يكون قد أدرك ان المعاهدة التى وقعها أصبحت عديمة الفائدة وليس لها قيمة وانه لا يستيع أن يفعل أى شىء فى هذا السبيل عندما غادر المكان تم اغلاق الابواب خلفه ، ولم يدخل أى من الرعايا البريطانيين أو الأوروبيين الذين تحميهم بريطانيا الى شوا لعدة عقود بعد ذلك(٥٧٤) . وبعد ذلك بثلاثين عاما ، اعتذر مينيليك عن الطرد غير المهذب للسفارة(٥٧٥) . على حد اعتقاده .

أفاد روشيه كرايف فى ابريل ١٨٤٠ أن سهلا سيلاس أمر السلطان ان يغلق الطريق وقد انكر الملك صحة هذا التقرير

567) See FG 113, Fol 52 - 6, rirapf to Haimes, August 1840.

568) P. 158.

الجزء الثالث

569) M. 1843, Iv, PP 45 - 54 , krayf, Sapr, 1843 quoting Hamis to krayf, 1 Mar 1843.

انظر أيضا كرومى حيث محاولات كرايف للعودة ، وهى مشروحة فى المواد الموجودة بمكتب الهند وتشمل ترجمة أمر سهلا سيلاس غير المؤرخ للسلطان ليمنع الجميع ماعدا روشيه من دخول البلاد .

الجزء الثالث

570 - 571) P. 158

572) P. 158.

573)

وفى روايته المنشورة ، قرر هاريس البقاء فى شوا والقيام باعمال البعثة والرجوع للهند خلال ستة شهور ولكن من المشكوك فيه ان هاريس كان يتمتع بأى شعبية اكثر من الآخرين .

(٥٧٤) وقد حدد كرايف أن هاريس كان قانعا بالنجاح الاسمى لمهمته . ولم يهتم بتنفيذ المعاهدة لأنه لم يكن يؤمن بإمكانيات قيام تجارة مربحة

الجزء الثالث

575 - 576) P. 129.

احتيال روشيه

وكان لدى كرايف أمل فى ان السفارة ، من خلال بقائها فى شوا ، سوف تستطيع الحد من المشاعر المعادية للبريطانيين والارساليات وبالتالى يبقى الباب مفتوحا له لكى يعود . وقد احتفظ سهلا سيلاس بهاريس لانه اراد على الأقل أن يستخدمه الى حد ما ليكون فى مواجهة روشيه[٥٧٦] . وبمجرد أن حدثت هذه المواجهة ، وهى لم تكن مواجهة ودية كما وصفها روشيه[٥٧٧] أصبح على البريطانيين أن يرحلوا ويتركوا البلاد . وفى نصف فبراير حصل روشيه على شريك اكثر ملاءمة على المستوى السياسى . فقد وصل ليفيفر فى اللحظة الحرجة مرة أخرى . وبناء على توصية روشيه ، فان سهلا سيلاس سمح له ولرفيقه الدكتور ايه . بيتيت أن يعبرا الحدود بين ويلو وشوا[٥٧٨] . وقد كان روشيه فى موقف قوى بالمقارنة . فقد احضر هدايا قيمة كالهدايا التى أحضرها هاريس ، وافترض أنه شخص موثوق فيه ومحبوب على عكس البريطانيين الذين كانوا غير موثوق فيهم وغير محبوبين ، وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو أن روشيه كان يسافر بدون المظاهر والحرس والبهرجة ـ وهى الأمور التى أدت الى الشك فى هاريس[٥٧٩] وعلى الرغم من أن روشيه لم تكن لديه تعليمات محددة للتفاوض حول اى معاهدة[٥٨٠] ، لكن هذا كان طموحه هو . ولكون هاريس كان قد توصل الى معاهدة تتضمن بنودها مزايا تجارية ضخمة لبريطانيا العظمى ، فكيف يرضى روشيه بأقل من ذلك ، وعلى الرغم من انه نشر نص المعاهدة ، فان ما قاله عن الاتفاق فى روايته انه حصل على معاهدة تجارية . . « يتضمن مزايا بعيدة المدى قام بوضعها سهة سيلاس لصالح بلادنا[٥٨١] » وقد كان لدى ليفيفر اكثر من ذلك ليتحدث عنه وفى ١ مايو ١٨٤٣ استشاره سهلا سيلاس فى المسألة ، فقدم النصح للملك ـ والذى أعلن اسفه للتوقيع على المعاهدة مع انجلترا ـ بان عليه أن ينفذ التزاماته بمقتضى هذه المعاهدة ، ولكن بالمقابل عليه أن يمنح فرنسا وأى دولة أخرى نفس المزايا التى منحها لبريطانيا ، وأن هذا يُعد أفضل حماية له ضد أى اعتداء . . . وقرر الملك التوقيع على معاهدة روشيه وفى اليوم التالى زار روشيه ليفيفر ليناقش معه بعض النقاط الاساسية فى المعاهدة ، ثم عرضها على الملك الذى رأى أنها مرضية دون أى تعديلات . ولذلك طبقا لليفيفر فان ما بقى كان مسألة اعادة نسخها لتكون جاهزة لتوقيع سهلا سيلاس عند وداع ليفيفر وبيتيت لروشيه فى انكوبر ، ثم اصطحب الملك لانجلوليلا ، ورحل الى جوجام فى ١١ مايو[٥٨٢] وقرر روشيه العودة عبر تاجورا ، وذهب الى عليا امبا ليقوم باعداد قافلته الانه رجع ليودع سهلا سيلاس فى انجوليلا . ومن المفترض أن تكون المعاهدة قد تم توقيعها فى زيارته الأخيرة[٥٨٣] . وفى هذا الصدد ، ذكر روشيه المعاهدة فى روايته وفضلا عن ذلك ، فقد كانت المعاهدة مؤرخة باللغة الفرنسية فى ٧ يونيو ١٨٤٣ . وفى هذا الوقت كان ليفيفر قد وصل بالفعل Mahdere Maryam الى منطقة ماهدير ماريام[٥٨٤] ويشير نص المعاهدة الى ما كان روشيه يريده من سهلا سيلاس والى ما كان مستعدا لتقديمه فى المقابل وهو : وضع الدولة الاولى بالرعاية فى ضوء أى مزايا مستقبلية يتم منحها للآخرين ، و٣٪ رسم استيراد (مقابل ٥٪ فى المعاهدة الانجليزية الشوانية) وحق الفرنسيين فى التجارة فى كل انحاء شوا ، وبيع وشراء المنازل والأراضى . ولم تكن هذه الشروط تبادلية ، لكن بدلا منها فقد وعد روشيه ان تقوم فرنسا بحماية الرعايا الشوايين فى رحلتهم للحج للقدس ، واعطى سهلا سيلاس الانطباع والأمل أنه « فى حالة قيام حرب بين شوا والمسلمين أو أى أجانب آخرين فان فرنسا سوف تعتبر اعدائه هم اعداؤها[٥٨٥] ولقد طرحت الوثيقة التى قدمها روشيه للحكومة الفرنسية العديد من التساؤلات . وقد كان طول الوثيقة التى كانت مكتوبة على ورق البرشمان حوالى ٧١ سم فى عرض ١٥٫٥ الى ١٧٫٥ سم[٥٨٦] . وقد ظهرت النصوص الأمهرية والفرنسية بجانب بعضها البعض ، كما كان فى معاهدة هاريس . لكن لم يكن هناك أى صور فى اعلى الوثيقةولا اية أختام اسفل الوثيقة . وقد كانت الترجمة الامهرية محاولة لترجمة النص الفرنسى ، لكن الاسلوب كان سيئا للغاية وكان صعب

577) Rochet d'Hericoust, second Voyage pp 140 - 161 248.
لم يذكر هاريس عودة روشيه أو المساعدة المالية التى قال روشيه انه سيعطيها للسفارة البريطانية لكى تترك المكان وان التعامل المالى حدث بلا شك .

See Manoriah, Voyageuvs, RFHO, IV II P. 296
الجزء الثالث
578 - 579) P. 159
بصفة عامة كانت هناك تعليمات لروشيه ليحصل على تراخيص للتجارة الفرنسية
580)
(AECP, Manoriah 1,301,70 Rapport 16 Mar 1842)
ولكننى لم اجد اى نسخة لهذه التعليمات ومن الواضح انه تم تحديدها بعد عودته وانه تصرف بدون سلطات ملائمة من التوقيع على المعاهدة.

(AEMD, afmqie 13, ILo 306..7,Cuyot lo Helovis, jerelle 8 Apr 1849)
الجزء الثالث
581 - 583) P. 160

584) Lefebvre, voyage, vol Hp. 305.
الجزء الثالث
لا ارى مبررا لقبول بيان ميلكوت
(Voyageuro) RFHO, LVTLL, P 298)
فالمعاهدة وقعت قبل ان يترك ليفيفر وبيتيت انجونيلا فى ١١ مايو . وفى النص يشير الى أن روشيه استشارميلكوت فى النص المنشور . وقد ظهر التاريخ ٧ يونيو ١٨٤٣فى .
Recueil des Trautes l'Ethiopie et les convoitisee allemendes paris 1977) D 125 - 6
ومن ناحية أخرى فمن الممكن القول أن ليفيفر قام ببعض التحرير فى ١١ مايو قبل ان يغادر البلاد . وقد كتب التاريخ الامهرى فى يوم yahamis عام ١٨٤٣ وكان خليط غريب من الاثيوبيين والاوروبيين وهذا اليوم قد يكون ٤ أو ١٢ أو ٢٧ .
585) P. 160
الجزء الثالث
586)
حدث تلف لجلد الرق بسبب الزيت ومن ثم أصبح من الصعب قراءته فى أماكن عديدة فضلا عن التاكل الذى حدث على كلا الجانبين .

الفهم فى بعض المواضع ، على سبيل المثال فى الديباجة وفى المادة الثالثة وقد تكون هذه المعاهدة هى نتاج لاملاء من اجنبى الى اثيوبى يقوم بالكتابة وكان هناك عدد من الاخطاء فى استخدام آخر الكلمات مما يشير الى التأثير التيجريانى . وهذا كله يشير الى ليفيفر الذى ساعد روشيه فى الاسكندرية قبل ذلك بثلاث سنوات ولا يعود الى أى من الموظفين الاثيوبيين من الشمال[٥٨٧] وقد كان الخط المكتوب باليد جيدا ، وتمت كتابته بقلم حبر اثيوبى بواسطة كاتب اثيوبى باستثناء السطر الاخير وهو توقيع سهلا سيلاس . فقد كتب بخط أدق كما لو كان مكتوبا بقلم أوروبى معدن . وقد كان هناك بعض الحروف التى تبدو من الصعب قراءتها أيضا ، وهذا يقودنا الى أن نشك أنها كتبت بأيد أوروبية واخيرا والامر الاكثر أهمية فان اسم الملك فى التوقيع مبقه حرف جر فبدلا من (سهلا سيلاس) وجدنا : (من سهلا سيلاس) أو بواسطة سهلا سيلاس وذلك فى النص الامهرى ، ووجدنا عبارة الى سهلا سيلاس فى النص الفرنسى . ومهما كان تفسير ذلك فقد استبعد امكانية توقيع سهلا سيلاس على الوثيقة إذ من المعروف انه لا يحدث أن يضع شخص حرف جر قبل توقيعه ـ فى العادة . واذا كانت هناك فكرة بأن يقوم احد رجال بلاطه بالتوقيع بالنيابة عنه فان الهيكل التنظيمى يستلزم بالتالى (أمر) أن تكون هناك كلمات (مثل بأمر . . فلان) فى نهاية الجملة ، على ان يليها توقيع سكرتير الملك أو وزيره . وكل هذا غير موجود ولقد كان التوقيع التالى لروشيه نفسه[٥٨٨] .

وفى الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر ، رأت الحكومة الفرنسية الاشارة الى المعاهدة التى وقعهًا روشيه ، وقد عمدت الى ذلك لحماية مصالحها التجارية فى اثيوبيا . وقد اعترفت الحكومة الاثيوبية بجهلها بمحتوى المعاهدة وطلبت النسخة الامهرية[٥٨٩] ولقد ظلت مسألة هل تسلم الاثيوبيون نسخة أم لا ، مسألة غير مؤكدة . ولكن فى ١٩٣٥ حصل وزير الخارجية الاثيوبى بلاتينجاتا هيروىBlatlengeta Hiruy على نسخة . وليس معنى ذلك انه اخذها من مطبوعات روشيه حيث انها تشمل التوقيع . وفضلا عن ذلك فان التشابه اللفظى مع الاصل الامهرى يثبت انها ليست مترجمة عن النص الفرنسى . فضلا عن بعض المحاولات غير الناجحة لتحسين التاريخ ، فان النص المنشور بواسطة هيروى كانت له احدى الملامح غير العادية فهو ينتهى بتوقيع روشيه ، وخاتم سهلا سيلاس ملك شوا . . وأخيرا ختم . . . للمعاهدة[٥٩٠] . . . ! وبذلك عليه الوصول إلى نتيجة لامفر منها وهى ان المعاهدة الفرنسية السودانية الموقعة فى ١٨٤٣ كانت مزيفة ، وعبارة عن مخادعة واحتيال . فقد كانت مجرد مسودة صاغها روشيه وليفيفر ، ومذيلة بتوقيعات وتواريخ ، ومكتوبة من نسختين بما يجعلها تشبه المعاهدة الرسمية . وعندما وصل روشيه الى فرنسا

---

587) see abone P. 149
لم يزعم روشيه انه يعرف اللغة الأمهرية كما فعل ليفيفر .
الجزء الثالث
588 - 589) P.161 .

(490) Hiruy, Tarik, P 34 وكان التوقيع موجودا فى المادة ٧ من المعاهدة والتاريخ كامل جينوتب ٣٠ وهو تقريبا ٧ يونيو وأن العام الاثيوبى كان ١٨٣٦ وليس ١٨٣٥

بعد تركه شوا بعامين وقدم اخيرا « معاهدته » قامت وزارة الخارجية بمناقشة موضوع صحة هذه الوثيقة[٥٩١] . ولم تكن الاسباب التى ثارت لطرح هذه المسألة تتعلق بموضوع ما اذا كان سهلا سيلاس وافق على بنود المعاهدة أم لا . وبدلا من ذلك ، فقد كان مجال المناقشة ينصب حول : اولا صعوبة تنفيذ الالتزامات الواردة فى المادة ، والمتعلقة بحماية الحجاج الاثيوبيين ، وثانيا فان روشيه وقع على المعاهدة بدون السلطات اللازمة والضرورية لذلك . وعلى الأرجح كما يرى الكاتب ، فان هذه الحقيقة لم تغب عن بال سهلا سيلاس . وهذا يفسر لماذا ينقص المعاهدة بعض علامات المصداقية التى كانت موجودة فى المعاهدة الشوانية الانجليزية ، وفى الحقيقة ، فلقد استمر النقاش ، اذ لم يكن من الواضح ، هل اعتبر سهلا سيلاس الوثيقة معاهده رسمية أم نوعا من الوعد بالدخول فى اتفاق . وعلى الرغم من ان الحكومة الفرنسية كانت غير راغبة فى الزام نفسها كما لو أن المعاهدة صحيحة وسليمة ، لكنها وجدت أن من الحكمة التصرف باسلوب يمكنها من الاستفادة من المعاهدة فى المستقبل[٥٩٢] . وباختصار ، فقد تم اعتبار المعاهدة صحيحة وملزمة للطرف الاثيوبى الذى رفض قبولها والتوقيع عليها ، لكن ليس للطرف الاوروبى الذى قام وكيله بصياغة المعاهدة واقترحها وتظاهر بانها قد تم توقيعها .

بيد أنه يوجد فى هذا التعامل نوع آخر من الازدواجية أيضا الذى سوف يتكرر فى حالة عمل معاهدات اوروبية مع اثيوبيا فى المستقبل وقد كان روشيه على علم بأنه طلب مزايا ضخمة للرعايا الفرنسيين ولأنشطتهم التجارية . ولا ريب انه كان على علم ودراية بمعارضة الجماعة التجارية المسلمة والتى يمثلها رجل مثل ويلساما محمد[٥٩٣] . ومن اجل الوصول الى هدفه ، لم يكتف روشيه بعرض الحماية الفرنسية للحجاج الاثيوبيين فحسب ، كما ذكر ، لكنه عرض أيضا ما يمكن القول عنه بانه يصل الى تحالف عسكرى وسياسى يمكن أن تكسب اثيوبيا كثيرا من ورائه ولا تخسر شيئا . وبعد افتراض أن الفرنسيين والاثيوبيين لهم نفس العقيدة والايمان ، فان المادة الاولى فى الترجمة الامهرية قالت أيضا : « اذا تعرض اى أعداء آخرين سواء أوروبيين أو مسلمين لملك شوا ، فان ملك فرنسا سوف يحاربهم (المعنى الحرفى كان أنه سيكون عدائيا نحوهم) ان هذا أمرا سيسعد ملك شوا »[٥٩٤] .

وكانت الترجمة كالاتى :— « ان ملك شوا يغامر على أمل أنه فى حالة الدخول فى حرب مع المسلمين أو اى أجانب آخرين ، فان فرنسا ستعتبر أعداءه أعدائها[٥٩٥] ومن الواضح تماما ان

(161–162).P (590–593) الجزء الثالث

الجزء الثالث (161–162) .P (591–593)

(594) AED, Traite..
أكد روشيه من البداية على أهمية عدم السماح للشوايين باكتشاف الاختلافات بين عقيدتهم وعقيدة الفرنسيين .
(Rahet, Voyage, PP.141,144–26,189–96)
لكن من غير المحتمل القول بان كرايف سمح لهذا الجهل ان يسود ان النظرة التى تراها هذه المقالة صحيحة وهى . أن سهلا سيلاس اعترف بان شوا قبلت رسميا العقيدة الكاثوليكية الرومانية .
تأكيد منى (595)

روشيه - فى النص الامهرى - عرض على سهلا سيلاس بعض الأشياء الذى يدرك أنه لايستطيع تقديمها ، وفضل ألا يفسر ذلك فى النص الفرنسى وبخصوص سهلا سيلاس ، فان حتى هذا العرض كان غير كاف لحمله على التوقيع وكانت هذه من وجهة النظر الاثيوبية ، حقيقة مثيرة وهامة . ويبدو أن الملك ادرج فى اعتباره بعض اعتبارات مختلفة فى معارضته للاتفاق . فهو لم يشعر ان جيرانه المسلمين يشكلون تهديدا له ولربما سمع عن خطط روشيه من كرايف ، وعن خطط هؤلاء البريطانيين من روشيه ليقرر انه كلما قلل من علاقاته بانجلترا وفرنسا فان هذا أفضل(٥٩٦) .

ولقد كانت الحجج التى استخدمها ليفير لاقناع سهلا سيلاس لتوقيع المعاهدة مع فرنسا بالتأكيد غير مطمئنة وهى خرق المعاهدة مع بريطانيا العظمى وما يمثله ذلك من خطورة على شوا ، فالطريق الذى استخدمه احمد جيران يمكن استخدامه بسهولة من قبل أى جيش أوروبى(٥٩٧) . ومن الواضح ان فكرة انه سوف يحسن موقفه بالتوقيع على معاهدة أخرى لم تراق لملك شوا . فبالاضافة الى ان سهلا سيلاس لم يعد يثق فى روشيه شخصيا وقد ارتكب الرجل الفرنسى (روشيه) خطأ بسفره كحامل الهدايا الملكية وكتاجر فى نفس الوقت ، ولقد جعل هذا سهلا سياس يشك فى أنه تعرض لعملية غش ، وانه دفع ثمن بعض الأشياء التى كانت مفروض أن تكون هدايا(٥٩٨) .

وأخيرا فقد كان هناك اختلاف جوهرى فى الرؤية فلم يكن سهلا سيلاس يهتم كثيرا بالعلاقات الأجنبية وهو لم يكن معزولا تجاريا ولم يكن مقتنعا بفائدة تغيير اسلوب التجارة المتبع . وهو مثل حكام الشمال ، يكن لم يكن لديه اعتراضات على الاوروبيين كأفراد . فهو يحب هداياهم واستخدام مهارتهم ومستعد لمكافأتهم ايضا ولكن الفكرة التى اصابت ملك شوا بالحيرة ، ولم يهضمها هى أن الاوروبيين كفئة يجب أن يحصلوا على وضع شرعى خاص بهم فى بلاده . وعلى حقوق ومزايا تجارية تنتهك احتكارته ، بينما هم أنفسهم الذين لم يرهم يعتبرون فى حماية من أية انتهاكات بواسطة الملوك . وبالتالى لم تكن بهرجة هاريس ولا عبقرية ودهاء روشيه كافيين لاحداث

---

(596)فى كتابه الأول كان روشيه ايجابى تماما(تجاه « السيد الممتاز كرايف » (Uoyage .P.319) لكن بعد ذلك كرر القصص التى رؤيت عن مؤتمرات كرايف ضده ومن ناحية آخر أتهم كرايف روشيه بالافتراء . (mm,1843 Iv,PP.42-5,Krayf 22 Jan 1643 Travets P.108) See alsa Cavti Roisini « Vicende » RR AL,S,XXV,P.466-

الجزء الثالثP.163 (597)

(598) AECP,Manovah 1, Jd. 85, Pegoutine To Gugot,ISA,V,J 43. طبقا لروشيه نفسه ، فقد تلقى تعليمات ان يشترى أشياء معينة للملك والملكة . وسلمها بشكل منفصل وحصل مقابلها على ١٤٠٠ طالر (Second Voyage PP 127-8-133) ان الاكثر اهمية فى هذه الادوات كانت ثمان(٨) بنادق ذات ماسورة مزدوجة وضع فيها روشيه حوالى ٢٠ طالرا لكل واحدة و١٦٠ طالرا للبنادق كلها . وقد حصل روشيه على ٥٠٠ طالر عندما ذهب لاوروبا(Voyage.319) وقد دهش سهلا سيلاس عندما طلب منه السداد . ولكن هذا لم يمنع روشيه من محاولة الحصول على ٢٠٠٠ فرنك من الحكومة الفرنسية للمهمة (AE,ND,Afrique 13,fol. 309,Rochet Ta Soult,May 1847)

هذا النوع من التغيير . ولم يكن سهلا سيلاس اكثر علما - ربما أقل من زملائه فى شمال اثيوبيا - وادراكا للحاجة لتنظيم علاقته مع الملوك والحكام الاجانب .

ولم تتحول المعاهدة الاثيوبية الانجليزية الى خطاب ميت بسبب نجاحات روشيه . فمعاهدته ايضا لم تر النور . ومن المهم ملاحظة انه ذكر فى كتاباته ان مزايا المعاهدة ستكون فى المدى البعيد ، وانه لاهو ولا ليفيفر رجعوا الى شوا ، على الرغم من أن كلاهما عادا الى اثيوبيا مرة أخرى(٥٩٩) . ولاريب أن التفسير التقليدى الذى يبرر عدم متابعة المعاهدات هو ان مستقبل التجارة كان محدودا وطريق القوافل كان غير آمن ، هو نصف الحقيقة فقط على أقصر تقدير والحقيقة أن سهلا سيلاس هو الذى أغلق الحدود امام الأوروبيين ، ولقد قام بذلك فعلا ليس بسبب خيبة أمله فى عدم الرغبة الواضحة لدى البريطانيين والفرنسيين فى متابعة المعاهدة لكن لرغبته هو نفسه فى عدم المتابعة للمعاهدة(٦٠٠) .

الجزء الثالثP.163 (599-600)

اسطورة الشك فى شوا :

تكررت الاتصالات من الجانب الاوروبى أثناء زيمين ميسافنت ولكنها لم تؤد الى شىء . وقد زار المبعوث اللازارى لويجى مونتيورى شوا فى عام ١٨٤٦ لاثارة اهتمام سهلاسيلاس بموضوع تعيين أسقفا كاثوليكيا بدلا من ابونى سلامة وقد بدا مونتيورى مقتنعا بأن كلا من سهلا سيلاس وعلى ، كانا مؤيدين لخططه لكنه لم يكن قادرا على توصيل حاسه واقناع الفاتيكان ولذلك لم يتم اختبار التزام على وسهلا سهيلاس على الاطلاق[٦٠١] . ولأن سهلا سيلاس كان معتبرا خارجا عن الكنيسة بواسطة سلامة ، فقد يكون قد عبر عن بعض المساندة للفكرة (الاحلال) ولكن هذا لايدل على أنه كان مستعدا لفتح شوا لمثل هذا النوع من النفوذ التجارى والسياسى الذى كان يسعى اليه كل من روشيه وهاريس .

وتوفى سهلا سيلاس عام ١٨٤٧ . بيد أن المشاعر المعادية للأوروبيين والتى كان سببها أساسا ارسالية هاريس - استمرت فى شوا اثناء حكم ابنه هيلا ميلكوت[٦٠٢] . ولقد تمت محاولة لاعادة الاتصال ببريطانيا العظمى ، ولكن من الغريب أن نتيجة هذه المحاولة كانت تقوية الشعور بمزيد من الشك والرغبة فى الابتعاد ، وفى مايو عام ١٨٤٩ قدم اثيوبى بنفسه الى القنصلية البريطانية فى القاهرة مذكرة مختصرة وغير موقعة من ملك شوا ، بيشاه وايراد موجهة الى ملكة الفرنجة[٦٠٣] . وقد كان اسم بيشاه وايردBeshah Wired يستخدم اكثر من الاسم الملكى هيلاميلكوت وربما يعود ذلك ببساطة الى حقيقة ان الملك كان معروفا لكرايف والاجانب الأخرون قبل تقلده المنصب وباسمه السابق .

ان مسألة مخاطبة الملكة فيكتوريا بوصفها ملكة الأوروبيين كانت مسألة ذات مغزى هام الى حد ما ، فهى تشير للانطباع الضئيل الذى تركه التنافس الفرنسى البريطانى ، كيف كان هذا أمرا عارضا .

وقد كانت النقطة الاساسية فى الخطاب تدور حول لوم الملكة لكونها لم تعر موت سهلاسيلاس أى اهتمام ومنحها فرصة اصلاح هذا الخطأ والاهمال عن طريق ارسال هدية مع كرايف[٦٠٤] . وكانت هناك هدايا مرسلة للملكة ومكونة من ٢٦ ناب فيل و ٣١ قرن خرتيت وفى طريقها اليها عن طريق عدن طبقا للمبعوث ، وقد تم ابلاغ القنصل البريطانى العام ـ الذى اخضع

الجزء الثالثP.164 (601-605)

المبعوث لعديد من الاسئلة ، واقتنع بان الخطاب صحيح ـ بان الملك يريد بعض الحرفيين الأوروبيين ممن يمكنهم صنع تاج له ، ويستطيعون صنع مدافع ، ورسم صور وبناء قصور[٦٠٥] .

وقد تم الاتفاق على ان الاثيوبى الذى كان ذاهبا للحج فى القدس ، يجب أن يعود عن طريق القاهرة للحصول على الرد . ويبدو أنه لم يرجع مرة أخرى . وجاء الرد من لندن ومعه صندوق يحتوى على ٣٠٠ جنيه ذهبيا (وهو مايعادل ١,٥٠٠ طالر) وارسلت الهدايا الى عدن حيث تم تسليمها الى مندوب وممثل هيلاميلكوت التجارى الحاج ابراهيم شيهام . وقد سادت دهشة كبيرة فى عدن عندما عاد الصندوق برسالة من الملك تقول بانه لايريد المال الذى اختبره ووجد أنه ليس ذهبا ، وقد قال الوكيل ان هيلا ميلكوت أصيب بخيبة أمل لانه توقع شيئا على غرار هدايا مهمة هاريس[٦٠٦] . والامر الاكثر احتمالا أن الملك قد تم منعه من قبول الهدية عن طريق نفس القوى المعادية والمناوئة للاوروبيين ، والتى اجبرت كرايف وهاريس على ترك شوا ومغادرتها[٦٠٧] .

ومهما كان السبب ، فان الحدث اوضح مدى صعوبة بناء الثقة واقامة أى شىء مشابه لعلاقات دبلوماسية عادية وبعد ٢٥ سنة من بعثة هاريس ذكر ميلنيك ان البريطانيين غادروا البلاد بعد أن فقدوا الحظوة لدى الملك بسبب وجود نبوءة تقول بأن هناك أناسا سوف يأتون من بعيد ويدمرون شوا[٦٠٨] .

وفى هذا الجزء من اثيوبيا ، بدأ الشك يزداد عمقا مع بداية تدفق الأوروبيين .

الخلاصة

لايقل تعقد الموقف الاثيوبى السياسى عن التنوع الكبير فى دوافع الاوروبيين ، ألا وهو الحرص تجاه اى محاولات لتعميم الاتجاهات والتطورات اثناء هذا الربع من القرن والذى يفصل ارسالية على / كوفين / عام ١٨٢٧ عن نهاية زيمين ميسافنت . ومع ذلك لايجب المبالغة فى عدم اتساق الاحداث . اذ يمكن استخلاص واكتشاف نماذج معينة من وراء المبادرات المنعزلة والمتصارعة وكذلك ردود الافعال .

الجزء الثالثP.164 (601-605)

الجزء الثالث(601-605)146.p

(606) Fo 401 ,1, p.44...Nov 1851 —

اننى غير قادر على العثور على اصل خطاب ١٨٥٠١ من الملك شوا فى موقعه ان التاريخ وتركيب الجمل مثير للشك وربما كتب بالعربية بواسطة شخص مسلم ، ان استخدامه الختم العربى ليس غريبا ، ولكن الغريب تصميم الاسئله التى طرحها الملك .

(Io Abymunia Original Conerpondimce 3, pp.92– 7, Aby Bakin To Minilik nid)

الجزء الثالث(608-607)

اول تلك الملاحظات :

يجب التأكيد على أن الاتصالات الاثيوبية الأوروبية طوال الفترة نبعت أساسا من مبادرات أوروبية ، فالاوروبيون هم الذين كانوا يحتاجون الى اثيوبيا ويريدون منها أشياء . ومثلما كانوا يحتاجون الى بقية العالم : مراكز النفوذ والتأثير ، قواعد استراتيجية تخدمهم فى صراعاتهم ، اسواق لتسويق فائض سلعهم ، وصادر للمواد الخام ، ومجالات للتبشير ، وأراضى ومنازل جديدة ، ان ايجاد المبررات لوجود الاستعمار تم تماما بالنسبة لمصر ومنطقة البحر الاحمر فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر :

يبدو من قانون الطبيعة ان الامم المتحضرة سوف تغزو وتملك الأقطار البربرية ، ومن خلال وسائل وطرق قد تبدو غير منطقية ولايمكن تبريرها لأول وهلة ، تصل وتمتد خيرات وبركات المعرفة والصناعة والتجارة الى الأمم الغارقة فى اعماق الجهل المشوب بالخرافة[٦٠٩] .

الا ان وجهة النظر هذه لايمكن التسليم بها دون معارضة أو تحد فاحتلال عدن على سبيل المثال ، دفع كاتبا مجهول الهوية الى ادانة هذا الاحتلال : « . . . ان الجنوح السياسى والاخلاقى لنظام طالما اتبعناه بأن نعتبر مسألة رضا المالك السابق كأمر مسلم به ، وأن نتملك القلاع والجزر أو قطعة من الأرض كانت أصلا ملكا لدولة أخرى غير متقدمة بشكل كاف بحيث يمكن أن يكون لها ممثلين فى مؤتمر فيينا ، طالما أن ذلك يتوافق مع أفكارنا[٦١٠] . وبصفة عامة فان الحكومات فى لندن وباريس لم تكن تفضل الاستيلاء على المناطق الواقعة على ساحل البحر الاحمر ، وبصورة أقل لاتفكر فى تملك الأراضى الاثيوبية الداخلية .

ان استجابة جيزو لاقتراح دى جاكوبيس وشيمبر فى عام ١٨٤٥ ولتعليمات بالمرستون الى بلودين بالتركيز على « التجارة وليس الأرض » ليس الا نوعين من التعبير تجاه السلوك والاتجاه السلبى نحو فكرة الاستيلاء وتملك الأرض بالقوة بذاتها[٦١١] ويمكن استخدام تعبير « عبء الرجل الابيض » تستخدم كحجة اذا لزم الامر ، لكن القادة السياسيين الاوروبيين بالطبع لم يعتبروه التزاما حكوميا عليهم أن يقوموا بالدفاع عنه ، فلقد كان هذا هو مهمة المستكشفين والرواد من الشركات التجارية والمجتمعات التبشيرية وقد كانت المشكلة تكمن فى أنه رغم احساس وكلاء « الحضارة » الأوروبية بالثقة فى تفوقهم فضلا عن غطرستهم وعجرفتهم واذا بهم يكتشفون أنهم فى الحقيقة ضعفاء ومكشوفين ومعرضين للاختراق . وفى هذا الموقف ، عمدوا الى وضع سفنهم الحربية بالقرب من الساحل والى تعيين وكلاء حكوميين لهم ، الى توفير الحماية العامة للقناصل وللمعاهدات ، وقد كان المضمون الواضح فى هذا الاجراء هو الاتجاه الى أسلوب التخويف . وفى النهاية كان الحل هو الاحتلال وحكم الأوروبيين فى شكل أو آخر . وفى حالة اثيوبيا ، فان النتيجة

(6 9 p.lpp...jun 1837.

ان هذه الدراسة لا تقد اسهاما فى المناظرة حول دوافع التوسع الاوروبى وحكم افريقيا وآسيا ، انها اساسا مشكلة التاريخ الاوروبى

الجزء الثالث(610-613)

p.166(610-613)

وما حدث هو أمر مسلم به فى مرحلة مبكرة للغاية وعلى سبيل المثال من جانب كومبس وليفيفر وكرايف[٦١٢] وقبل ذلك ، سبق أن اقترح البارون فون كيت بانه كان يمكن لأوروبا أن تسيطر على الحبشة ببضعة آلاف قليلة من البنادق وعدة مدافع قليلة مع بعض الضباط القادرين من وجهة نظره كان من السهل للغاية واقامة مستعمرة أوروبية فى تيجرى[٦١٣] .

وكما يوضح التحليل السابق بما تم من اتصالات مابين أعوام ١٨٢٧ و ١٨٥٥ فان الأوروبيين ممن كانوا فى هذا المجال ، حاولوا سد الفجوة بين سياسات حكومتهم بعدم التورط أو سياساتها التى تعتمد على « انتظر لترى » وبين أهدافهم ومصالحهم من خلال تقديم هذه الأهداف والمصالح وكأنها « طلبات » و « عروض » من الحكام الاثيوبيين . وبمعنى آخر ، فان المبادرات الأوروبية جرى اخفاؤها بشكل مخادع وكأنها مبادرات أثيوبية[٦١٤] . وهذا ينطبق على قضايا سياسية عديدة مثل طلب الحماية ضد الاتراك أو المصريين (ايزنبرج وانطوان دى ابادى فى ١٨٣٨ ، ودى جاكوبيس (شيمبر فى ١٨٤٥ ، والدعوة لاحتلال مصوع (كوفين فى ١٨٢٧) ، والتنازل عن انافيلا وعن اركيكو وكل مدن الساحل وأجامى ، أو كل تيجرى (ليفيفر عام ١٨٣٩ ــ وبلونديل عام ١٨٤١ ــ ١٨٤٢ ، ودى جاكوبيس/شيمبر فى ١٨٤٥ وورلان فى عام ١٨٤٩) ، ومن الواضح أنه يدخل فى ذلك أيضا طلب تطبيق وضع المحمية ــ كل هذا يتضح من خلال بعض الاتصالات والمراسلات التى تمت .

وفى هذه الحالات ، وعن وجود الخطابات الأصلية للحكام الأثيوبيين فانها نادرا ماكانت تؤيد مزاعم الأوروبيين ، بل كانت أحيانا تتناقض مع هذه المزاعم بشكل واضح . وبخصوص المعاهدات ، فان أول اتفاق بريطانى تم توقيعه (هاريس/سهلاسيلاس) لم يؤد الى فتح شوا بل على العكس أدى الى اغلاقها أمام الأجانب ، أما الاتفاق الثانى (بلودين/على) فقد وقعه الطرف الأثيوبى على افتراض أنه لن يترتب عليه أى التزام أو نتائج . وقد كان الفرنسيون أقل نجاحا ، فلقد قام روشيه بتزويد اسم سهلاسيلاس لكى يظهر بمظهر من حقق نجاحا ، أما ليفيفر وشيمبر وورلاند وبعد عشر سنوات وبعد تقديم « عروض » كثيرة فقد قاموا بحذف ماجاء فى طلباتهم بشأن قيام محميات على الساحل من النص الامهرى « لمعاهدتهم » الموقعة فى عام ١٨٤٩ مع ويبى . أما بخصوص القضايا الرئيسية التى تتعلق بالتنازلات الاقليمية ، وبالالتزامات التى ربما تحد من الاستقلال أو حرية العمل بالنسبة للحكام الاثيوبيين أو تلك التى تتعلق بالتأثير الفعلى على الشئون السياسية للبلاد ، فان الربع الاول من القرن الملىء بالضغوط والمكائد ، لم يغير شيئا ذا بال فى هذه القضايا كلها .

وفى المجال التجارى لم يكن الأثر كبيرا أيضا . فالتجارة كانت قد بدأت تصل الى ذروتها قبل أن يبدأ الأوروبيون فى الاهتمام بالمنطقة بشكل جدى فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر . وقد كان المستقبل يبدو ورديا كما شاهدنا وكما رسمه الرحالة والمسافرون واحدا بعد الآخر . وحتى تكون الأمور مجزية للأوروبيين كان لابد من ادخال واقتراح بعض التغييرات المطلوبة وقد كانت الخطوة

الجزء الثالثp.166 (614)

الاولى هى تقييد أو الغاء الضرائب على التجارة والتى كان يفرضها الاتراك والمصريون ، وقد تم بذل معظم الجهود فى هذا المجال ، أما الخطوة الثانية والتى تمثلت فى عدد من المقترحات فكانت العمل على السيطرة على تجارة القوافل المارة فى الطرق الرئيسية الداخلية . وقد ظهر هذا فى معاهدات هاريس وروشيه وبلودين بشروطها عن ضمان حرية حركة التجارة وتسديد رسوم جمركية تصل من ٣٪ الى ٥٪ولمرة واحدة فقط ، ومن باب المقارنة ، فانه ربما يمكن ذكر تقرير ليفيفر فى عام ١٨٤٢ والذى جاء فيه أن التجار الأثيوبيين فى العادة استطاعوا مضاعفة رؤوس أموالهم فى كل رحلة من جوندرالى مصوع على الرغم من مراكز الرسوم الجمركية الاثنى عشرة وصعوبات أخرى كثيرة فى مصوع ــ وذلك اكثر مما استطاع التجار الأوروبيون[٦١٥] . وثالثا ، وكما أشار هاريس ، فان التجارة يمكن أن تزداد بسرعة من خلال تعليم السكان الاصليين الاندفاع الى طلب أشياء لم يكونوا يريدونها أصلا بزرع الرغبة فى طلبات غير حقيقية[٦١٦] وقد حرم سهلاسيلاس هاريس من فرصة البدء فى تنفيذ هذا البرنامج التعليمى ولكن ظل التهديد كما هو . وعند قرب نهاية زيمين ميسافنت ، اقترح بيكى بان يتم منح اى شخص (يقرأ بنفسه) ٥,٠٠٠ جنيه استرلينى (حوالى ٢٥,٠٠٠طالر) سنويا ولمدة عشر سنوات لاقامة مركز تجارى بريطانى على حافة هضبة التيجرى [٦١٧] وبسبب إحدى البنود لم تكن هناك حاجة لزرع « حاجيات اصطناعية » وبلاشك كانت هناك رغبة فعلية فى الحصول على اسلحة بين الامراء البارزين واتباعهم أو منافسيهم ولقد كان بند الاسلحة هو اكثر البنود التى جاء ذكرها فى مراسلاتهم مع الحكام الأوروبيين ومع ذلك فان الوثائق لم تؤيد هذا التركيز القوى على « طلب الأثيوبين »للسلاح ، وفى هذه الحالة أيضا كانت المبادرة أوروبية وعلى الرغم من ان صولت عرض ما يمكن الحصول عليه أوروبا ، فان سياجاديس لم يرسل كوفين عام ١٨٢٧ ليشترى من أوليجو ويتوسل الى انجلترا لاعطائه اسلحة .

وعندما عاد كوفين بعد خمس سنوات ب١٨٥٠ بندقية فقد استغرق توزيعهم اكثر من عشر سنوات وقد كان لدافى ولاوبرت علاقات باحدى شركات توريد السلاح لمصر وكذلك كان بلودين أيضا فقد كانوا يسعون لفتح اسواق جديدة وقد اشترى روشيه طاحونة مسحوق البارود عندما حضر لأول مرة الى شوا ، أما كيلمير فقد قام بعمل ترتيبات للحصول على السلاح فى شوا قبل أن يطرح كرايف المسألة على سهلاسيلاس ويستعين ببعثة هاريس وأخيرا قام كوفين بشراء شحنة مكونة من ٦٠٠٠ بندقية ومعها اسلحة صغيرة أخرى ولكنه اضطر لاعادتها مرة أخرى الى فرنسا[٦١٨] وحقيقة الأمر أن الأوروبيين كانوا يفرضون السلاح على الأثيوبيين فى معظم الوقت ، وهذا أمر لا يثير الدهشة بالنظر الى مصالح صناعة الأسلحة ولكن هذه الحقيقة اغفلت ، لأن الكثيرين كانوا قد قاموا بتغليف انشطتهم بحيث تبدو وكأنها مطالب واحتياجات اثيوبية ، وفى الحقيقة كانت الاستجابة

الجزءالثالث p.167 (615–616)
1855 Iul 31... Io (615–616)حصل القنصل بلودين على ٥٠٠ جنيه استرلينى سنويا أثنا منصبه .
(Fo 461/1)p.s palmenton to
(plowden, 3 Nov .1848)
الجزء الثالث p. 18 (618)

الأثيوبية فى هذا المجال بطيئة باستثناء واضح وهو الترحيب بتبادل الهدايا وفى فترة عشرين عاماً فان الأسلحة النارية المقدمة تضاعفت حتى وصلت إلى ١٠٠٠٠ قطعة كلهم أونصفهم قام بشرائهم كوفين بمفرده .

وقد كان من المستحيل معرفة نصيب الأوروبيين فى التجارة الخفية[٦١٩] . كما أن أى محاولة للتخمين القريب من الصحة عن جملة عدد الأسلحة النارية التى كانت موجودة فى البلاد فى نهاية الفترة - هى عملية من الصعب التوصل اليها[٦٢٠] . لكن الأمر المؤكد هو أن الأسلحة النارية لا تحدد نتيجة النضال والصراعات الكبرى ، فقد خسر سيا جاديس فى ١٨٣١ ، وخسر وبى فى عام ١٨٥٥ ، وقد استطاع تاودروس أن يصل للعرش بالقوة رغم ضعف وتدنى مستوى أسلحته النارية . ولم يكن الوقت آنذاك فى اثيوبيا قد حان لأن تكون الاسلحة النارية عاملا حاسما بعد ، ان المجالين الوحيدين الذى يمكن اكتشاف أن هناك طلبات اثيوبية للمساعدة هى مجال حماية الاثيوبيين المسيحيين المسافرين أو المقيمين فى أراضى المسلمين أما المجال الثانى فكان هو استيراد التكنولوجيا ، والمجال الأول يتضح فى الاصرار على الحماية فى مصوع ، والالتماسات المتعلقة بدير السلطان ومن المحتمل أيضا علاقة دى جاكوبيس بالبعثة الكهنوتية فى القاهرة فى عام ١٨٤١ ، أما المجال الثانى فهو موّثق بالنسبة لاتصال بعد اتصال بدءا من طلب سياجاديس فى ١٨٢٧ لنجار لوضع سقف من الرصاص للكنيسة ، وطلب وبى فى ١٨٤٩ لبعض الرجال للقيام بطلاء بناء كنيسة فى دير يسجيه . وقد كان سهلا سيلاس مهتم اساسا بآيتشنجر وليس بايزنبرج ، وبروشيه ككيميائى وليس كتاجر أو كسياسى . وفى هذا المجال كان هناك استمرارية بالنسبة لطلبات ويلدا سيلاس للحصول على نجاّرين وحدادين وطبيب ، وشخص يفهم فى عملية رفع المياه[٦٢١] . وكان هناك ايضا استمرارية فى معظم الطلبات على الحرفيين - والتى لم يُستجب لها ولم يُلتفت اليها وباستثناء الاساليب المتطورة فى انتاج مسحوق البارود ، لم يكن هناك سوى تركيز ضئيل على المواد الحربية ويبدو ان صناع السلاح من الحرفيين اليونانيين والأرمن استطاعوا سد خانة الاحتياجات فى هذا المجال[٦٢٢] .

---

619)
دافع بلودين عن نفسه ضد الهجوم
(FO 401/1 P.105, plowden te palmereton 10 Mar 1851.

وربما كانت المهمة الصعبة هى دراسة تجارة السلاح فى البحر الأحمر والتى مازالت تحتاج لجهد .

620 - 621) P. 168
الجزء الثالث

620 - 621) P. 168
الجزء الثالث
622) see BN, thiop, Abb 254, jol. 162 Amon to wibe n,di 256, jol 213, Dereo to wihe n,d.
عند نقطة ما ، تعرض وبى لضغوط ليدعو شخص ما للحضور وتصنيع المدافع . وماذا تم فى ذلك هو أمر لم يتأكد وقد تم الاشارة لهذا الشخص فى خطاب العميل التجارى لوبى ديريس ، والذى فى أغلب الظن كان الايطالى فاليرى الذى قام باصلاح أحد المدافع التى احضرها صولت . وقد اضطر للمشاركة فى معركة ديْرى تابور ضد رغبته .

See lenet and galinier, voyafe vol pp 40- 461.

وعلى وجه العموم ، فان خيبة الامل والوهم كانا متبادلين ، ومن غير المحتمل القول بان الحكام الاثيوبيين ادركوا تماما المضامين التى وراء نشاط ليفيفر وبلونديل وهاريس وروشيه . لكن بعض ما تم اتخاذه من خطوات يبين بل ويشير الى انهم لم يكونوا سُذجا . وبالاشارة الى انشطة روشيه وبلودين ، كتب ديجوتين فى عام ١٨٤٨ ان الامراء السود رغم وحشيتهم ، لكنهم يبدون اكثر مكرا ودهاء وحنكة من الأوروبيين الذين كانوا فى النهاية دائما ضحايا هذا المكر والخداع[٦٢٣] ومن وجهة نظر راوية وبى ، فان الأمر يبدو مختلفا قليلا فالحقيقة أن الاثيوبيين كانوايتعلمون بسرعة ، وقبل ١٨٣٠ ، سافر عدد قليل جدا من الاثيوبيين الى القاهرة والقدس ، وفى بلاط سيبا جاديس ومعاصريه لم يكن هناك أحد يعرف الفرنسية أو الانجليزية . وقد بدأ جوبات فى جلب شباب الاثيوبيين الى أوروبا للتدريب ، وقد اتبعّ اللازريون نفس الشىء ، وقد سافر الاثيوبيون الأخرون « كسفراء » مع انطوان دى ابادى وليفيفر وآخرين وقد زار معظم رجال الكنيسة البارزين روما مع دى جاكوبيس فى عام ١٨٤١ . وهناك البعض الذين اكتسبوا الرؤية والبصيرة من خلال الاتصالات المتشعبة التى جرت بينهم وبين الأوروبيين فى اثيوبيا . ونتيجة لذلك ، فقد تردد أن بلودين كان لديه فريق كامل من الشباب الاثيوبى الذى تلقى تعليمه بالخارج[٦٢٥] ، ولقد دخل بعض هؤلاء الذين سافروا وعملوا مع الأوروبيين - أثيوبيا فيما بعد وأصبح لديهم معرفة لغوية ومعلومات عن انشطة الأوربيين الذين دخلوا فى خدمة حكام اثيوبيا وادخلوا معهم هذه المعرفة والمعلومات الى البلاط الاثيوبى .

وقد كان كل من بن على عمار ، وصمويل جيورجيس وأبناء اخ كوفين غير الشقيق كانوا يمثلون جيل الوسط أو الجيل الثانى . الاول تعلم وتم تعميده على أيدى ارسالية البعثات التبشيرية . وقد سافر لمصر وسوريا والهند ، وصحب كيلمير وبيكى الى شوا ، وعندما قابله رسام فى بلاط تاودروس وفى ستينيات القرن التاسع عشر ، حكم عليه بانه أفضل معرفة من أبناء بلدته باستثناء هؤلاء الذين تعلموا فى مالطة وبومباى « وفضلا عن ذلك ، فقد كان مفكرا ومثقفا يتجاوز فى هذا المجال كل الاثيوبيين الذين قابلتهم »[٦٢٦] ، أما هبت سيلاس فقد كان يتمتع بخلفية مختلفة وعلى الرغم من انه كان وثيق الصلة بالارسالية التبشيرية CMSوالكاثوليكية على السواء فانه لم يعمل مع اى أجنبى وقد كان تاريخه المهنى الطويل كوسيط ومستشار الجانبين لابد وأن مكنه من مساعدة وبى فى رسم خططه ، وفى النهاية فانه كسب ثناء وتقريظا على هذا السلوك بوصفه الوطنى الخلاق المنفتح على التأثير التقدمى - مع ذلك فقد ظل دائما محافظا على استقلاليته[٦٢٧] .

وقد اعتمدت اتجاهات صغار الرؤساء والشعب بصفة عامة على عنصرين : الأول هو الأوامر الفعلية من السلطات العليا ثانيهما سلوك المسافرين الأوروبيين أنفسهم . وبصفة عامة فقد تم مراعاة قوانين الضيافة ازاء الغرباء ، فاحد المبعوثين التبشريين مثل جوبات استطاع العثور على اصدقاء فى كل مكان ، ورغم ذلك فان احتياجاته كانت متواضعة للغاية . أما المسافرين الأخرون الذين كانوا

الجزء الثالث 623 - 627) P. 169

على استعداد لدفع قيمة ما يرغبون فيه ، فنادرا ما واجهوا صعوبات ، بيد ان التجارب اختلفت . وقد اكتشف فيريت وجالينير أن الاغنياء من الناس وكذلك متوسطى الحال كانوا دائما كرماء ، بينما كان الفقراء يغلقون الابواب ولقد تقبلوا هذا على أنه أمر طبيعى ، لأن الفقراء ليس لديهم ما يقدموه - حتى للبيع[٦٢٨] وقد وجد بارون فون كيت انه لابد من أن يدفع للاقامة فى احدى القرى وخلص الى أن الارساليات تطرى على ضيافة هى فى الحقيقة غير موجودة على الاطلاق[٦٢٩] وبعيدا عن الطرق والمراكز الرئيسية ، فان كثيرا من المسافرين الأوروبيين قاموا بتقديم أنفسهم أو أن خدمهم قاموا بتقديمهم على أنهم أحد الأساقفة أو أنهم أخوة للأسقف[٦٣٠] . وفى النهاية فقد تم اكتشاف هذا النوع من الخداع وهكذا فقد الرجل الأبيض جزءاً من أهميته ونفعه .

وقد كان يُنظر الى الأوروبيين الذين جاءوا فى مهام رسمية من أى نوع واقاموا اتصالات مع الحكام ، وسافروا باذنهم ، باعتبارهم ضيوف الحاكم ولقد صدرت الأوامر لرؤساء الاقاليم والقرى بان يقدموا بأن لهؤلاء قطعاناً من الحيوانات وكذلك كميات من المؤن[٦٣١] وفى شوا على وجه الخصوص حيث كان هناك نظام ، فان هؤلاء الاجانب المسافرين كانوا يحصلون على ما يحتاجونه ومن ناحية اخرى ، فلم يكن من الممكن الحصول على أى شىء هناك حتى لو تم سداد ثمنه بدون موافقة الملك[٦٣] . وفى أماكن أخرى كان يمكن أن يحدث أن يقوم الرئيس باختيار ثور ثمين لأحد الأجانب من أقرب قطيع موجود دون استشارة أحد ، وربما بدون معرفة المالك . وقد ذكر هذه الروايات فيريت وجالينير عن آريا سيلاسلاس الذى كان فى ذروة شعبيته[٦٣٣] . وسواء كان هذا الأمر منظما أويجىء بدون ترتيبات ، فالعبء يقع فى النهاية على الفلاحين .

فالحاكم . . يستطيع أن يطلب منهم تبرعات باكثر من خمسين حجة ومبرر فهو سوف يذهب لحملة ، أو أنه عائد من حملة ، أو أنه فقد حصانا ، أو تزوج امرأة ، أو أن النار التهمت أملاكه ، أو أنه خسر كل ما يملكه فى معركة ، أو أنه يريد تأدية واجب مقدس لجنازة ما ، كل هذه الامور لا يمكن ان تتم بدون مساعدة الفلاحين[٦٣٤] .

وقد اكتشف الأوروبيون بسرعة من خلال زيارتهم مدى السخط الذى يحمله الفلاحون تجاه هذه التبرعات الاضافية . وقد سمع ليفيفر ان شعب شوا قد مقت البعثة البريطانية بسبب الضرائب المتزايدة التى تقوم بفرضها عليهم[٦٣٥] وقد قال بلونديل أنه وجد قرى منهوبة وشعباً غاضباً عندما سافر فى اعقاب ليفيفر . ورأى أنه مما يقلّل احساس الأوروبى بالكرامة أن يقبل ضيافة يكون من شانها أن تجعل الاثيوبيين الفقراء يمقتون البيض[٦٣٦] ورغم أن كرايف يستفيد من هذه الضيافة فقد انتقد هذا النظام ايضا : اولا لأن رؤساء القرى كانوا يصدرون الأوامر الى الفلاحين باخراج مؤونة تكفى أصلا لتغطية احتياجات بيوتهم لأيام عديدة وثانيا بسبب ما كان يتوقعه الرؤساء دائما من هدايا مقابل هذه المؤن ، ولما كان الفلاحون لا يقتسمون معهم أيا من الهدايا لذا فقد أصبح اهالى القرى

الجزء الثالث 628 - 635) P. 170

الجزء الثالث 636 - 639) P. 171

يكرهون الغرباء لانهم يأكلون طعامهم ، وعلى حسابهم[٦٣٧] . وعلى مستوى آخر ، فقد وجهت انتقادات للقوميين والوطنيين فى بلاط سهلا سيلاس بأن الاجانب كانوا يأكلون خبز الملك ولا يفعلون شيئا من أجل تدمير أى أحد من أعداء الدولة[٦٣٨] .

ومع ذلك فاستمرار الاتصالات لمدة ٢٥ سنة جعل العلاقات أسهل من عدة نواح ، وأصبحت شروط الحوار والتعاون متاحة بصورة أفضل . ومع ذلك فقد ظل الشك والوهم سائدين . وقد استطاع قليل من الأوروبيين أن يروا أنفسهم ، من خلال عيون الأفارقة والأسيويين وقد شرح ذلك مونزينجر Mun 3 inger قائلا : « عندما نصل الى أراضى أجنبية ، ربما نحظى باستقبال ودى فى أول مرة . لكن بعد الأيام الثلاثة المقدسة للضيافة ، فان كلا من الضيوف والمضيفين يرون بعضهم البعض عن قرب ، وحينئذ يمكن القول بأن قليلا جدا من الناس من الذين يعرفوننا سوف يستمروا فى الاحساس بالسعادة بزيارتنا . . »

وبحلول عام ١٨٥٢ ، كان الفحص الدقيق قد بدأ ، فالاثيوبيون الذين .رأوا فى الأوروبيين أنهم مسيحيون ورفقاء ، وبالتالى فهم حلفاء طبيعيون ضد الاتراك ، لم يكونوا متسرعين فى معارضتهم للتقدم الأوروبى .

ان التطور الوحيد الذى يمكن أن يمثل تهديدا خطيرا لبقاء اثيوبيا واستقلالها كان على الحدود الشمالية ، وقد كانت البعثات الكاثوليكية وكذلك القناصل اكثر قلقا تجاه الحفاظ على السلام اكثر من الاثيوبيين أنفسهم ، وقد اسهموا بدورهم فى اقامة رأس جسر تركى مصرى فى الاراضى المقابلة لمصوع ، نفس الوقت فإن أنشطتهم المعنية بحماية السكان المحليين ضد الهجمات والنجاح النسبى للارسالية فى عملها فى الاقاليم الشمالية ، كل هذا أدى الى خلق ظروف مواتية للحركة الشعبية والتى لم تكن مسلمة موالية للمصريين ، ولم تكن أورثوذكسية موالية للاثيوبيين ، ولكنها كانت كاثوليكية وموالية للأوروبيين . ومقارنة بهذا ، فان المشتريات الأوروبية أو معاهدات التنازل عن جزر صغيرة أو الحصول على الموانى من السلاطين المحليين كل هذا كان أقل أهمية ، رغم ان هذه المشتريات أو المعاهدات ساعدت على أن يسود وجهة النظر التى تشير بان هؤلاء الناس يستطيعون أن يتخلصوا من الأراضى الصغيرة بمحض رغبتهم ، وبالتالى يضعفون الروابط التقليدية مع الأراضى الأثيوبية النائية الموجودة فيما وراء الساحل .

رابعا : « التوحيد والسياسة الخارجية النشيطة »

تاودروس : رجل التوحيد ، والاسترجاع ، والتطوير الحديث

كان تتويج ديجازماتشوكاسا رئيس كوريا « كملك الملوك تاودروس » فى فبراير ١٨٥٥ يعنى انتهاء « الزمن الماضى » وبداية عصر جديد فى التاريخ الاثيوبى ، لقد كانت هذه هى المرة الأولى - عبر أجيال متعددة - التى تتوحد فيها السلطة العليا فى الدولة الاثيوبية والقوى العسكرية والسياسية الحقيقية تحت قيادة شخص واحد . وحينما كان على تاودروس أن يختار بين أن يخلف رأس على كحارس للامبراطور الضعيف وبين اغتصاب العرش لنفسه ، لم يتردد فى الاختيار الثانى ، فباختيار اسم تاودروس ، كان يستند الى شرعية الاسطورة السائدة حيث كان هذا اسم الأمير الذى ينتظره الاثيوبيون بشغف لوضع حد للمحن والاضرابات التى التى يعانى منها الشعب ، ولحكم العالم بالحق والعدل والسلام والرخاء[١] . ولكى تتم الموافقة على طلب الحاكم الجديد بقبوله تاودروس ، كان هناك تعهد قوى وأصيل بأهداف الاسطورة : حكومة كهنوتية يحكمها نوع من التنسيق والتحالف المكون من : ملك وأسقف . ولقد اقترب تاودروس من الماضى الى حد كبير مستلهما التجارب ، لقد كان يركز على اعادة التوحيد واعادة التجديد واعادة البناء فى معظم ما قاله وفعله . وهذا لايعنى ان سياساته من وجهة نظر التاريخ الاثيوبى كانت سياسات رجعية . فالى جانب النضال لاستعادة السلطة الملكية ونوع ما من الوحدة الوطنية ، تزايد الوعى بالأخطار الخارجية التى تهدد اثيوبيا وكذلك بالحاجة الى العصرية . وحاول تاودروس انشاء جيش قومى وتعيين ضباط برواتب . ومع انه كان شخصيا رجلا متدينا للغاية ، فقد حاول تقليص النفوذ الروحى الى المسائل الدينية فقط وتقليص الاراضى التى تملكها الكنيسة بصورة عنيفة ، وقد شجع استخدام اللغة القومية الأمهرية على حساب لغة الكنيسة « الجيز » ، كما ركز على انشاء الطرق اكثر من بناء الكنائس والقصور التى كان يقتنيها ويهتم بها كل من « سيباجاديس » ، و« وبى » و« سالى سيلاس » .

ومن الواضح ان معظم هذه الامور لم تكن بمثابة عودة الى الماضى ولكنها كانت مجرد محاولة لمواجهة تحديات المستقبل . ولقد كان هناك اكثر من اعتقاد بأن تاودروس كان عليما بمفاهيم الدول الأوروبية بعد الاصلاح والحكومات الاستبدادية . وكما كان متوقعا فقد أثرت

---

(١)انظر « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٤٦ - ٥١ مع مصادر مذكورة . وكذلك « ماثيو » (أثيوبيا) صفحة ٢٠٦

شخصية تاودروس القوية وايمانه بقدرته فى استعادة عظمة أثيوبيا فى مواقفه تجاه الأجانب والحكومات التى يمثلونها[2] .

وفى تعامله مع الاوروبين والمصريين تميز تاودروس عن أسلافه : فأولا ، ازدادت المعرفة بأوروبا والاوروبين فى بلاده ، وثانيا : كان لدى تاودروس الكثير من المبررات اكثر مما لدى أسلافه للتحدث باسم اثيوبيا كلها . وقد أقر ذلك القنصل « بلدودن » وكذلك « دى جاكوبس »[3] واعترف بهذا أيضا معظم المسيحيين فى اثيوبيا لأن تاودروس استطاع تحقيق مصالحه بين « ابونا سيلاما » و« التشيجى » فى « جوندر » ، وقد قام الاسقف بتتويجه دينيا بعد انتصاره على « ويبى » فى فبراير ١٨٥٥[4] .

ومع ذلك فمن الاهمية بمكان ان نتذكر ان تاودروس لم ينجح فى توحيد أثيوبيا . فبعد تتويجه اتجه جنوباً فأخضع « ويللو جالا » واستولى على « مجديللا » التى اصبحت فيما بعد سجن الدولة ومقر وزارة ماليته وملجأه الأخير ، وهزم جيش « الشيوان » . ولقد توفى الملك « هيلى ميليكوت » قبل المعركة الفاصلة فى « بريكيت » فى التاسع عشر من نوفمبر ١٨٥٥ ، ولكن الابن الثانى « لسالى سيلاس » وهو هيلى ميكايل » وافق على ان يتولى منصب « حاكم شيوا » تحت اشراف « تاودروس » وتولى حكم وادارة الاقليم بولاء لمدة ثلاث سنوات . ومع ذلك فقد واجه تاودروس فيما بعد عصيانا مسلحا فى « شيوا » . وقام تاودروس بسحق تمرد بقيادة « سيفو » أخى « هيلى ميكائيل » فى عام ١٨٥٩ . كما قام بحملات أقل نجاحا فى اعوام ١٨٦٢ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ضد «أتو بيزابيه » الذى أوكل له الاقليم فى عام ١٨٥٨ . وحينما فر « مينيليك » الابن الأصغر « لهيلى ميليكوت » من « ميكديلالا » فى يونيو ١٨٦٥ خسر تاودروس « شيوا » بصورة نهائية ولم يحاول ان يخضعها بعد ذلك [5] .

وكان الوضع فى الأقاليم الأخرى متشابها ان لم يكن أسوأ ، ففى الواقع لم يهدأ اقليم « ويللو » أبدا رغم أن تاودروس استخدم قدرا ضخما واستثنائيا من وقته وجهده للوصول الى هذا

---

(٢) « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٥٢ - ٧٠ « رونالد كرامى » ، (تاودروس) كمصلح وعصرى « مجلة التاريخ الافريقى » .JAH العاشر ، ٣(١٩٦٩) صفحات ٤٥٧ - ٤٦٩ شخصية وسياسات تاودروس مثيرة للجدل لذلك لا يمكن معالجتها فى هذه الدراسة (فيما عدا السياسات الخارجية) وتعتبر مقالة « كرامى » تحليلا ممتازا للسمات الحضارية لسياسات تاودروس - وتركز « مارجريت مورجان » (الاستمرارية والتقاليد فى التاريخ الاثيوبى . استقصاء حول حكم تاودروس اثيوبيا اوبزرفر ، ١٢ ، ٤ (١٩٦٩) صفحات ٢٤٤ - ٢٦٩) ، تركز الكاتبة على الاستمرارية التى سادت فى النظام الاجتماعى والاقتصادى رغما عن تاودروس .

(٣) حول « دى جاكوبس » انظر « كرامى » - القسيس - صفحات ٦٥ - ٨

(٤) « روبنسون » ، (تاودروس) صفحات ٤٤ - ٥

(٥) نفس الكتاب صفحات٥٢ -٣ ، ٧٧ - ٨ ، ٨٠ - ١ انظر كذلك عرض« هيرو طارق » صفحات ٣٨ - ٤٣ لمجموعة جيدة - مع أنها متميزة لحد ما -من تلك الاحداث مبنية اساسا على تسلسل زمنى مؤرخ من « جبر سيلاسى » وأيضا « اسمى جيورجس » .

الهدف ، وفى « جوجام » أعلن تيدلا جوالو العصيان بالفعل وهو من العائلة الحاكمة القديمة ، وذلك حين قام تاودروس بحملته الأولى على « شيوا » ورغم تعدد هزائمه فانه كان يهرب دائما ثم يعود للقتال مرة أخرى . وقد عين تاودروس فى اقليم « تيجرى » حاكمين آراميين وذلك ضمن من عينهم هما « أرايا سيلاس ديمو » « وكاسا سيياجاديس » وكانا منافسين لويبى لمدة طويلة ، وكان البعض اكثر ولاء ، والآخرون أقل ولاء ولكن الخطر الحقيقى فى الشمال خلال الخمس سنوات الاولى من حكم تاودروس كان ينحصر فى الأخوين « نيجوسى » و« وتيسيما ويلدى ميخائيل » اللذين كانا يطالبان بأن يرثا عمهما « ويبى » سياسيا . وقد قام سيمين -أو اجيونيجوسى كما كانوا يسمونه بسبب أصل أبيه « الاجيو » - بقيادة المقاومة ضد حكم تاودروس . ووجد حلفاء ومؤيدين حتى أقصى الجنوب فى « ديميا » و« واج » وأصبح مركز المبادرات لانشاء مملكة كاثوليكية شمالا مستقلة تماما عن « جوندور - ديبرى تابور » وفى حملتين رئيسيتين فى بداية عامى ١٨٦٠ ، ١٨٦١ أضعف تاودروس « نيجوسى » و« تيسيما » ثم قضى عليهما أخيرا - وبعد سنة أو ستين من انتصاره على « نيجوسى » وصل نجاح تاودروس الى الذروة فى مجال السيطرة العسكرية على الدولة - ولكن الاساليب المتزايدة فى العنف التى استخدمها أخفقت فى تهدئة روح المطالبة بالاستقلال كما أخفق فى القضاء على التمرد . وفى عامى ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ظهر قادة متمردون جدد : « تيسو جوبيزى » فى « ويلكاتيت » و« واجشوم جوبيزى جبر ميدهين » وفى « لاستا »[6] .

وفى النهاية ترك تاودروس اثيوبيا منقسمة كما وجدها . وعلاوة على ذلك فحين انتحر فى « مكديللا » عام ١٨٦٨ كان هناك جيش أجنبى يرابض وسط البلاد . والسؤال هو ما هى اذن اسهاماته او اسهام معاصريه فى العمل على استمرار بقاء اثيوبيا مستقلة ؟ . فى الواقع فان الاجابة الواضحة قد تبدو : انهم لم يفعلوا شيئا فى هذا الصدد . ومع هذا فليس ذلك صحيحا . فأثناء حكمه القصير المدة أمد تاودروس خلفاءه بمعالم ومؤشرات وتوجهات رئيسية أقلها أن « سياسته الخارجية والظروف التى جعلتها ممكنة زالت واختفت مع الامبراطور تيودور »[7] .

وكانت قضايا السياسة الخارجية الاساسية التى كان على الحاكم الجديد مواجهتها هى الموروثة من العهد السابق : الاهتمام الاوروبى الفضولى بالدولة بصفة عامة وكيفية التعامل معه . والمنافسة الفرنسية البريطانية ونتائجها المحتملة ، ومزايا ومساوىء السماح للارساليات الكاثوليكية و/أوالبروتستانتية بأن يكسبوا مؤيدين ، والعلاقات مع مصر ، والسؤال الرئيسى حول ما اذاكان يمكن الثقة فى الاوروبيين كأصدقاء لاثيوبيا فى حرب نهائية مع الجيران المسلمين - وقد كان تاودروس يختلف عن سابقيه فى معالجة مثل هذه القضايا - فكان الأمر بالنسبة لتاودروس - كما سنرى فيما بعد - مسألة مبادرة ، وإستغراق فعلى ومجهودات مدعمة للتوصل الى ماكان يعتبره أهدافا قومية هامة

---

(٦) روبنسون - تاودروس صفحات ٦٧ - ٨ ، ٧٥ - ٨١ انظر « دونالد كرامى » ، « عنف تاودروس » JES مجلة الدراسات الاثيوبية -التاسع - ٢(١٩٧١) صفحات ١٠٧ - ٢٥ المحاولةالأخيرة لوصف التفاعل بين الاسباب السياسية والشخصية وراء اخفاق تاودروس .

(٧) « ماثيو » ، (اثيوبيا) صفحة ٢٠٧

التقدم العلمى والتكنولوجى لاثيوبيا وإيقاف ومنع انتشار التوسع المصرى - وكانت هناك سياسة خارجية نشطة لتحل محل الأفكار المشتتة للعهد السابق .

الإرساليات والحرفيون :

لقد كان لدى تاودروس أساسا اتجاه ايجابى نحو الاوروبيين - كان يرغب فى التعامل معهم والاستفادة من معلوماتهم ومهاراتهم وذلك فى تشكيل سياساته وفى تحديث مملكته .

وأساسا لم يكن تاودروس الشخصية المغرورة المتشككة أكثر من اللازم أو الشخصية القاسية والمنتقمة كما وصفه الكثير من الكتاب لقد تقابل مع « جون بيل » فى معسكر « على » فى « عيشال » ووجد « زاندر » يقود المدفعية فى « ديرسجى » ولكن هذا لم يمنعه من مصادقتهما واعطائهما مناصب اعتبرت اكبر قدر من الثقة فى ولائهما[8] ومن الواضح أيضا ان الاوروبيين جميعهم تقريبا وصفوا مقابلاتهم الأولى لتاودروس بأنها مشجعة للغاية وناجحة[9] ومع ذلك أصبح الكثير منهم اعداء له . وبعضهم سجن لعدة سنوات . ولاشك ان اخفاق تاودروس فى اقامة علاقات مرضية مع الاوروبيين يمكن تفسيرها ولو جزئيا بسبب شخصيته الشاذة واتجاهاته المتزايدة نحو العنف[10] وحتى يمكننا فهم تطور العلاقات الاثيوبية الاوروبية بمفهوم أوسع فمن الأفضل البحث عن سمات التصارع الاساسى للمصالح لنرى ما اذا كانت مواقف وأفعال تاودروس نابعة من عدم الوعى الكامل بوجودهم والتهديد المحتمل الذى يشكلونه على وحدة وسيادة اثيوبيا . ومن المقترح أننا اذا كنا نبحث عن مدخل لكل ما حدث فسنجده فى هذه الكلمات « أنا لا أثق كثيرا »[11] واذا كان تاودروس قد أشار الى عدم الثقة هذه منذ بداية حكمه للقنصل « بلاودن » ألم يكن هذا لأنه كان يحس بأن هناك أسبابا قوية لذلك ؟ .

---

(٨) « هنرى شتيرن » (جولات وسط الفلاشا فى الحبشة) لندن ١٨٦٢ صفحات ٧٠ ، ٧٣ « اندريه (الحبشة) » صفحة ٣١ أوحالة « بيل » كما كانت تعرف ليكى ميكواس يوحانا » . كان « زاندر » مسئولا عن الخزانة والاسلحة فى « جورجورا » واستخدم تاودروس فى مهام كثيرة فيما بعد . انظر الى جانب « اندريه » مراسلات الارسالية فى سجلات شيتلر .

(٩)انظر أعلى (صفحة ١٣٩ فى النص الانجليزى) « هوجلين » FO سجلات وزارة الخارجية - لندن - ٤٠١ / ١ - صفحات ٢٥٠ - ٧ « بلاودن » الى « كلارندون » - تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥ صفحات ٤٥٦ - ٩ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ « شتيرن » (جولات) صفحات ٥٦ - ٦١ AEMD مذكرات ومستندات - أرشيف وزارة الخارجية - باريس - افريقيا ٦١ صفحات ١٣٠ - ٣ من « لوجان » الى « دروين دى ليز » ٢٨ يناير ١٨٦٣ .

(١٠) مع انه ركز اهتمامه على هذا الوضع السلبى فان « كرامى » يظهر فى مقاله المتوازن جيدا حول عنف تاودروس (٢ ، ٩ ، مجلة الدراسات الاثيوبية JES) يظُهر الى أى مدى وصلنا منذ سيرواليس بوادج فى كتابه حيث قال « متكبر ومستبد وماكر مصاب بجنون العظمة يكاد يكون أبله من فرط شرب الخمور » (التاريخ المجلد الثانى صفحة ٥١٧) وفى (النيل الازرق) (نيويورك وايفانستون) ١٩٦٢ صفحات ٣٠٥ - ٦) جاء على لسان « آلان مورهيد » : « الكلب الذى أطلق سراحه » .

(١١) « ماثيو » - (اثيوبيا) صفحة ١٨٦ اقتباس من « بلاودن » « رحلات » صفحة ٤٦١ .

وكانت المشكلة الأولى التى يجب على تاودروس حلها مع الأجانب هى الاجابة عن مستقبل الإرسالية الكاثوليكية « لدى جاكوبس » ، ومن الصعب القول ما اذا كان تاودروس كان يعتقد شخصيا ان التماثل الدينى هام للوحدة السياسية ، فلقد كان موقفه تجاه الانشقاق داخل الكنيسة الارثوذكسية يشير الى ذلك . وفى كل الاحوال فقد طالب « أبونى سيلاما » بحق الدولة الروحى فى التشريع لكل الاثيوبيين المسيحيين ماعدا الموافقة على الأنشطة فهى من حق المطران الكاثوليكى[12] . وكان على الامبراطور أن يختار بين تأييد « سيلاما » لبرنامجه « نحو التحديث القومى » وبين المزايا التى يمكن اكتسابها من سياسة التسامح مع الكاثوليك . وكان من الصعب عمل تسويات بين المطرانين بسبب العداء الشخصى بينهما . وصدر الأمر الى « دى جاكوبس » بمغادرة اثيوبيا عن طريق « متيما » ورفض فى البداية . ولكنه حين غادر اثيوبيا أخيرا ، اتخذ طريق « هالاى » على الحدود الشمالية . كما قررت الإرسالية الكاثوليكية الأخيرة فى الأقاليم الوسطى - « جستودا اوربنيو » ، الرحيل أيضا[13] .

ويبدو أن هذه النتيجة كانت لامفر منها ، فلقد كان تاودروس حريصا على ألا يساء فهمها وكتب لمساعد القنصل الفرنسى فى « ماساوا » بأنه يرحب بالحرفيين والرحالة والمكتشفين الاوروبيين فى اثيوبيا فى مقابل الحماية الفرنسية لرعاياه فى الخارج . ولكنه لن يسمح بأية ارساليات كاثوليكية فى مملكته ، حيث أن جميع رعاياه يجب أن يعتنقوا مذهبا واحدا[14] ، وقد ابلغ القنصل « ديلاى » حكومته حين ارسل لها هذا الخطاب بأنه لن يرد على رسالة تاودروس وبدلا من ذلك كتب بصورة رسمية « لبلاودن » للاحتجاج لدى « أبونى سيلاما » وابلاغه ان خطاب الامبراطور كان مثيرا للسخرية حيث يعنى ان عليه طرد كل اليهود واليونانيين والأرمن والمسلمين والبروتستانت أيضا واقترح « ديلاى » ان يجرى انتقام منه كالتالى : اصدار خطابات بالطرد من الكنيسة « ليلاما » من البطريارك كيرلس على أن تنشر فى كل اثيوبيا ، ومصادرة ممتلكات سيلاما فى القاهرة وكل مكان لتعويض الخسائر التى تكبدتها الارسالية[15] .

---

(١٢) « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٥٧ - ٩ - ولمعرفة موقف تاودروس من الحزبية انظر ايضا (جوبات) الحياة صفحة ٣٠٣ ومطالبات « سيلاما » التى أرسلها « بلاودن » خلال عام ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ FO (سجلات وزارة الخارجية لندن) ١/٤٠٦ صفحات ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٦١ - ٢ ، ٢٤٧

(١٣) انظر « كرامى « القس » صفحات ٩٢ - ٩

(١٤) المكتبة القومية باريس (BN) اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٨٥ تاودروس الى « ديلاى » ١٨٥٤ / ٥٥

(١٥)AECP (المراسلات السياسية للقناصل ارشيف وزارة الخارجية) باريس « ماسوا » ٢ - صفحات ٦٣ - ٦ من « ديلاى » الى « فالفسكى » ٢٣ يوليو ١٨٥٥ - وقد طلب كيرلس أو « داوود » كما كان يسميه الفرنسيون تدخلا أقل عنفا (نفس المرجع صفحات ٦١ - ٢ من « فالفسكى » الى « ديلاى » ٩ مايو ١٨٥٥ .

وربما من المفهوم ألا يدرك « ديلاى » الهدف من خطاب تاودروس ويتساءل : و « ماذا عن البروتستانت أى البريطانيين » ؟ . وفى مارس عام ١٨٥٥ عبر « مصوع » ممثل ارسالية جمعية الكنائس بلندن فى الثلاثينيات والاربعينيات من القرن التاسع عشر ج . ل . كرايف » ومعه المبشر الشاب « مارتن فلاد » الذى كان تحت حماية « لوفيقر » ، و « ماديرا كال توبلدى ميدهن » ، والذى كان بعيدا لمدة اثنى عشر عاما عن بلده سافر اثناءها كثيرا ، وتلقى تعليما كاثوليكيا وبروتستانتيا . وكانا فى طريقهما الى « جوندر » لاستكشاف احتمالات اقامة ارسالية بروتستانتية جديدة(١٦) وفى نفس الوقت سافر بلاودن أيضا لمعسكر الملك بعد أن تلقى دعوة مباشرة من الحاكم الجديد(١٧) . وقد انتهى « دى جاكوبس » والممثلون الفرنسيون فى « مصوع » الى أن « سيلاما » لم يكن فقط يسيطر على السياسة الدينية لتاودروس ـ وهو ما كان متوقعا وصحيحا الى حد كبير ـ انما توصلوا أيضا الى أن « بلاودن » كان وراء كل ذلك : « ان الكاثوليكية كانت تحطم لتفسح المكان للانجيليكية ، وبالتالى للسيطرة البريطانية »(١٨) ولذلك فقد قرروا عدم تصديق أو تجاهل عرض الملك للتعاون فى المسائل المدنية وفى الحقيقة لقد حاولوا لمدة خمس سنوات أن يتجاهلوا تماما مطالباته بأن يصبح المسيطر على اثيوبيا ـ وكانت مصادفة أن وصلت بعثة « كرايف » بعد رحيل الارساليات الكاثوليكية مباشرة وأتاحت « لسيلاما » وتاودروس الفرصة لتوضيح موقفهما تجاه الاغراء المنافس ، ولم يكن لدى « كرايف » و « جوبات » ـ الذى كان وراء هذا المشروع ـ أية أوهام بوجود اسقف انجيليكى لاثيوبيا ـ أو أى رجل دين منافس ـ وكان على « كرايف » أن يطلب السماح لمجموعة من الارساليات العلمانية المتعلقة فى معهد « سان كريسكونا » بتكوين مؤسسة صغيرة لتعليم المهن والصناعات وتدريس « كلام الله » لتلاميذهم وأتباعهم .

---

(١٦) « كرامى » . . القس ـ صفحات ١١٦ ـ ١٧ وعن « كرايف » انظر المرجع السابق صفحات ٥٥ ، ١٥٠ ـ ٢ ، ١٥٦ ـ ٨ وعن « ماديرا كال » (ماديرا كال) (AEMD مذكرات ووثائق ـ ارشيف وزارة الخارجية ـ باريس ـ افريقيا ١٣ صفحة ١٠٩ من « جيزوه » الى « إيتين » ـ ١٠ أغسطس ١٨٤٤ (والخطابات التالية) « كرايف » (رحلات) صفحات ٤٤٥ ـ ٦ ـ سجلات وزارة الخارجية ـ لندن FO ٤٠١ / ١ ـ صفحة ٣١١ من « بولين » الى « مالمسبرى » ٧ نوفمبر ١٨٥٨ صفحات ٣١٥ ـ ١٦ ، من « ميلز » الى « هرلتون » ١٢ يناير ١٨٥٩ ، « جيرار » (هدايا من رحلة الى اثيوبيا) (القاهرة ١٨٧٣) صفحات ١٩٣ ـ ٥ « ماديرا كال » كان مهما لاتصالاته الواسعة وانه كان مترجما لتاودروس فى معظم أيام حكمه .

(١٧) FO سجلات وزارة الخارجية ـ لندن ٤٠١ / ١ صفحات ٢٤٧ من « بلاودن » الى « كرندن » ٣ مارس ١٨٥٥ صفحة ٢٤٤ ، من « بارونى » ١٥ ابريل ١٨٥٥ .

(١٨) نفس المرجع صفحة ٢٥٨ من « بلاودن » الى « دى جاكوبس » ٢٧ يونيو ١٨٥٥ AECP المراسلات السياسية للقناصل . ارشيف وزارة الخارجية ـ باريس « ماسوا » ٢ صفحات ٦٣ ـ ٦ من « ديلاى » الى « فالفسكى » ٢٣ يوليو ١٨٥٥ صفحات ٧٩ ـ ٩٠ من « دى جاكوبس » الى « فالفكسى » و « نابوليون » الثالث ٢٤ فبراير ١٨٥٦ صفحات ١١١ ـ ١٦ من « بيار » الى « فالفسكى » ١٧ يوليو ١٨٥٦ ـ ومع ذلك فبعد اربع سنوات تحدث المبعوث « ليون دى أفانشير السردينى حول موقف تاودروس واضطهاد الكاثوليك فى نطاق سياسة دينية عامة دون الاشارة الى حقيقة أن بعثات بروتستانتية قد أعطيت بعض الحرية للعمل (ASMAI) ارشيف معلومات وزارات الخارجية السابقة عن أفريقيا الايطالية « بروما » ٣٦ / ١ ـ ١ ، الى كافورو ٢ ابريل ١٨٥٩)

وعند مروروهم « بعدوة » أبلغ « ميركا وركى » كل من كرايف وفلاد(١٩) بأن تاودروس قال انه سيبلغ القناصل بألا يسمحوا لأية بعثات أو معلمين بالدخول لاثيوبيا . وفى « دبرى تابور » نصحهم « سيلاما » بصورة مباشرة وبشكل غير مباشرة أيضا (من خلال جون بل) ألا يطرحوا مسألة التبشير أو أية نشاطات دينية مع الملك . وذكر الاسقف وهو فى حضرة الملك أن الأجانب يرغبون فقط فى ممارسة دياناتهم ، وقد وافق تاودروس على ذلك شرط عدم اعتراض الاسقف نفسه على هذا وحدد تاودروس أولوياته كالتالى

انه فى حاجة الى صانع اسلحة ومهندس وطباع (فى الواقع كان يحتاج الى شخص لحفر اختام) - وبصورة رسمية على الأقل كان يجب أن يظل الملك على غير علم بالطبيعة الدينية للبعثة(٢٠) وهذا لا يعنى بالضرورة انه كان يجهل الاهداف النهائية . على العكس تماما فمع تورط « جوبات » و« كرايف » فلم يكن من الصعب معرفة كيف سيكون الأمر(٢١) . ولكن بغض النظر عما اذا كان يعلم أم لاستظل الحقيقة بأن « سيلاما » لم يكن يرغب أو لم يكن يجسر على اثارة هذا الموضوع أو ربما كان غير قادر أو غير راغب فى ضمان الحصول على إذن بالسماح بقيام بعثة بروتستانتية حتى ولو كانت بدون أية مظاهر كنسية - وكان الملك يحتاج لموظفين من الرجال خاصة من نوعية « بيل » ، و « شيمبر » ، و« زاندر » على ان يكونوا ذوى مهارات متخصصة أكثر . وكان مصمما على ألا يكون هناك أرساليات(٢٢) .

وقد أظهر تاودروس أمام روح الارسالية ووجهات نظر إخوة « كريسكونا » ، « وعاد » « فلاد » فى مايو ١٨٥٦ مع ثلاثة ممثلين للارساليات ، « بندر » ، « كيزلين » ، و « ماير » . ووصل اثنان آخران هما : « زال ميللر » ، « فالدماير » فى ابريل ١٨٥٩ . ومع أن تاودروس استاء لأن من وصلوا فى البداية لم يكونوا على مستوى الكفاءات التى طلبها لكنه سمح لهم بالبقاء . وحينما بدأوا العمل من أجله فى انشاء الطرق وتصليح الأسلحة الصغيرة كبداية اكتشف تاودروس أن لديهم أكثر من مجرد المعرفة بتفجير الصخور وأعمال النجارة والحدادة وقد أظهرت المناقشات المطولة حول الأمور

---

(١٩) ابن زوج اخت كوفن « وزكى » انظر ما سبق صفحات ٦١ - ٢ ، تدرب فى مدرسة ارسالية فى بومباى (كرايف - (رحلات) ، صفحات ٤٣٨ - ٩ ، ٤٤٣)

(٢٠) « كرامى » (القس) صفحات ١١٧ - ١٨ مع مصادر مذكورة ، تحذير عن موقف تاودروس وصل « عدوه » فى ارشيف « شيتلر » ١/٢/٥ « البعثة الحبشية الجديدة » صفحة ٣ .

(٢١)من المستحيل التأكد من هذه النقطة . كان كرامى يعتقد ان الملك كان مخدوعاً (القس صفحة ١١٩) او « جاهلا تمام » (المصلح والممصر ، مجلة تاريخ افريقياJAHالعاشر ، صفحات ٤٦١ ـ ٢) اذا كان الأمر كذلك فهذا هو الاول ولكنه ليس الأخير فى سلسلة سوْا لفهم الرئيس الذى تسبب عن عدم الصراحة بين الاوربيين المتعاملين مع تاودروس .

(٢٢)انظر أيضا ٤٠١ / ١ صفحة ٢٤٤ من « بارونى الى بروس » ١٥ أبريل ١٨٥٥ وكذلك صفحات ١٨٠ ـ ١ فى النص الانجليزى (وهى الصفحات التى تقع بين الهوامش ٣٥ الى ٤١) .

الروحية قدار كبيرا من الاتفاق فى وجهات النظر . فقد كان تاودروس مشهورا بانه قارىء مجتهد للكتاب المقدس باللغة الأمهرية قبل ان يلتقى بالبعثة البروتستانتية ولذلك فقد شاركهم التركيز على الاستشهاد بالانجيل وأهمية دراسته . وبالتالى فقد كان لديه كان الاستعداد لتشجيع توزيع الكتاب المقدس ، والذى كان من أهم اهداف الارساليات . وعلاوة على ذلك فقد كان برنامجه الخاص بالتحديث القومى ذا أهمية روحية ومعنوية . ووجد مساندة ضئيلة أو تعاونا محدودا من رجاله الذين كان يحتقرها . وكان الاقترا الاول للملك هو تقليص كمية الاراضى التى يمتلكها رجال الدين حتى يمكن الحصول على الدخل الضرورى للادارة والجيش القومى ، وقد أدى الاقتراح الى مصادمات خطيرة فى مبتمبر ١٨٥٦[٢٣] . وعندئذ قدمت له الارساليات البروتستانتية « النظرية اللاهوتية التى امكنها أن تتضمن كلا من : عدائه للبناء الرسمى للمسيحية الاثيوبية وايمانه الدينى العميق »[٢٤] .

ومع هذا التقبل وا لاهتمام الايجابى بالنظرية البروتستانتية ، لم يكن هناك أى اشارة بالموافقة على ارسالية تتبع الكنيسة البروتستانتية . ولقد كانت سياسة تاودروس و « سيلاما » فى هذا الشأن حازمة تماما . وحينما طلب « هنرى شتيرن » السماح بانشاء بعثة وسط « الفلاشا » غير المسيحيين عام ١٨٦٠ ، تم اعطاؤه الموافقة بشرط أن يعمد كل من يهتدى منهم الكنيسة الارثوذكسية . ونفس الشروط قدمت لاخوين آخرين من معهد كريسكونا هما « شتايجر » و « براندیس » اللذين وصلا عام ١٨٦٢ لا فتتاح بعثة أخرى « للفلاشا » وقد نقل « فلاد » لبعثة « شتيرن » ولكن لم يتم السماح له ولا للقادمين الجدد بالقيام بعمل مستقل عن البعثة لأى فترة طويلة[٢٥] . وكان كل شىء يشير الى أن تاودروس مستعد ـ بل ومتحمس ـ لتقبل ليس فقط التكنولوجيا الأجنبية ولكن لتقبل الأفكار والموجات الجديدة من الخارج فى المجالات البعيدة عن المنظمة العسكرية واللاهوت . وفى بعض الأحيان كان يعبر عن تفضيله للاوروبيين وحضارتهم بعبارات مثيرة « لا تصدقوا أننى حبشى من القلب على الاطلاق بل اننى واحد منكم »[٢٦] . « لا شك أنكم سمعتم عن جهل وحماقة شعبنا الاثيوبى »[٢٧] .

---

(٢٣) أنظر « كرامى » (صفحات ١٢٠-٥) « روبنسون » ، تاودروس صفحات ٥٥-٧ ، ٦٨-٧٠ وقد أشار « زينب » بصفة خاصة الى انشاء الطرق (تاودروس صفحة ٤١) . ولمعرفة نوعية اللغة التى كان يتخاطب بها تاودروس مع القس ، انظر ارشيف شيتلر » ، ٩/٣/٥ من « زالموللر » الى « شيللر » ١٢ أكتوبر ١٨٥٠ .

(٢٤) « كرامى » - (القس) - صفحة ١٢٥

(٢٥) نفس المرجع السابق صفحات ١٢٨ ـ ٣٢ ، ١٣٧

(٢٦)أرشيف « شيتلر » ٥/٣/٥ من « كينزلين »(Kienzlen) الى « جوبات »(Gobat) ٤ مايو ١٨٥٩

(٢٧)FO(سجلات وزارة الخارجية) لندن ٢٦/١ صفحة ٢١٠ من « تاودروس » الى « فيكتوريا » ٢٩ يناير ١٨٦٦ . انظر أيضا « شتيرن » ـ « جولات » صفحة ١٤٩ ASMAE(ارشيف تاريخ وزارة الخارجية) روما ـ ١/٣٦ ـ ١ من ليون دى « أفانشير » للى « كافور » ، ٢ ابريل ١٨٥٩ .

ومع ذلك فقد كان تاودروس رجلا وطنيا . ولأنه كان يرغب فى أن يصبح شعبه ندا لأى شعب آخر فى العالم فقد طلب المساعدة . وكان « كرايف » يحمل نفس وجهة نظر « ليفيفر » ولكنه من الصعب التكهن بما كان سيحدث له عام ١٩٥٥ اذا ما حاول الادلا بمثل الحديث الذى أدلى به ليفيفر الى « آرايا سيلاسى » عام ١٨٤٢ [٢٨] . ومن الممكن أن يكون تاودروس قد أحس أن نفوذ ووجود الاوربيين ينطويا على تهديد للاستقلال المستقبلى لا ثيوبيا . وفى كل الاحوال ، فقد أظهر أنه يرغب أن يقطع موظفوه الاوربيون علاقاتهم مع اوربا ويندمجوا فى المجتمع الاثيوبى كلما امكنهم ذلك . وقبل أن تبدأ ارساليات « كريسكونا » عملها للملك فى عام ١٨٥٧ قيل « لفلاد » حينما طلب السماح بأن يقوم « بندر » برحلة الى اوربا : « اننى سئمت مجىء وترحال الاوربيين »[٢٩] ومع أنهم كانوا ينوون احضار زوجات من اوربا فلم يفعل ذلك الا « فلاد » وتزوج الخمسة الآخرون من اثيوبيا[٣٠] وكان كل شىء يشير الى أن تاودروس كان يعتبرهم رعاياه أو « أولاده » كما كان يسميهم غالبا . وكان اكثر قلقا فيما يتعلق بوضع ارساليات « الفلاشا » التى كانت تتلقى الدعم من الخارج . وحينما حدثت الأزمة عام ١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ وأغلقت محطات هذه البعثة لم يكن تاودروس يهدف الى تبشير « الفلاشا » بالانجيلية ولكنه كان يقاوم الاستقلالية النسبية لمجموعة من الأجانب وعلاقاتهم مع بريطانيا العظمى[٣١] وكانت العلاقات بين الملك وموظفيه الاوروبيين أحيانا تتحسن وأحيانا أخرى تسوء : وهم الأخوة الخمسة من معهد « كريسكونا » وبعض أفراد مغامرين بما فيهم « جاكوبن »و « بورجو »و « مورتيزهول » الذين كانوا بالاشتراك مع « كينزلن » و « فالدماير » مسئولين بصفة أساسية عن منشأة سبك المعادن لصناعة المدافع فى « جفات »[٣٢] وماعدا « فلاد » وزملائه الذين ارغموا على الانضمام لهم عام ١٨٦٤ ، لم تزد المجموعة أبدا عن عشرة اشخاص .

---

(٢٨)انظر المرجع السابق صفحة ١٠٣ وكذلك ارشيف شيتلر ٦/٣/٥ من « كرايف » الى « شيتلر » ١٢ مارس ١٨٥٤

(٢٩)ارشيف « شيتلر » ٢/٣/٥ من « فلاد » الى « كرايف » ٢٦ اكتوبر ١٨٥٧

(٣٠)لمعرفة النوايا انظر ارشيف « شيتلر » ٩/٣/٥ من « زالميللر » الى « شيتللر » ١٢ اكتوبر ١٨٥٩ ـ ٢/٣/٥ « فالدماير » الى « جوبات » ٣٠ سبتمبر ١٨٦٠ ـ ولمعرفة النتائج انظر « ماركهام » النسخة الحبشية صفحات ٧٥ ـ ـ تاودروس يؤكد سعادته البالغة بالزيجات . انظر ارشيف « شيتلر » ٨/٣/٥ من « ماير » الى « شيتلر » ٢٥ اكتوبر ١٨٥٩ ، ٢/٣/٥ من « فالدماير » الى « جوبات » ٣٠ سبتمبر ١٨٦٠ .

(٣١)« كرامى » (القس) صفحة ١٣٧

(٣٢) ارشيف « شيتلر » ٩/٣/٥ « زالميللر » الى « شيتللر » ١٢ اكتوبر ١٨٥٩ ، ١٣يناير ١٨٦١ ١/٣/٥ من « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١ ١٢/٣/٥ من « فالدماير » الى لجنة « كريسكونا » ٢٤ نوفمبر ١٨٦٢ AECP(المراسلات السياسية للقناصل أرشيف وزارة الخارجية) باريس ـ ماسوا ٣ صفحات ٩٨ ـ ٩ ، « جلبرت » الى « ڤوڤنيل » ٢٠ مارس ١٨٦١ « فالدماير « المنحة » صفحات ٧ ـ ٢١

وكانت بلا شك أقل بكثير مما رغب تاودروس [٣٣] . وطبقا للظروف ، كانوا يخدمون تاودروس جيدا وبولاً واخلاص حتى حدثت النهاية المؤلمة فى « مكديلا » . ولقد تلقوا لوما كثيرا ونقدا من زملائهم الاوربيين وكانوا مكروهين من كثير من الاثيوبيين الذين أرغمهم تاودروس على العمل تحت قيادتهم ، ولكن الملك كان يقدر ولاءهم وأثابهم وكافأهم كثيرا [٣٤] . ولم يكن هناك انجليزى واحد بينهم (ماعدا « شارلز سيدى » لبعض الوقت) [٣٥] ، وبالتأكيد لم يشاركوا بصورة مباشرة فى خلق الصدام مع بريطانيا العظمى .

---

(٣٣)FO(سجلات وزارة الخارجية) ٤٠١ / ١ صفحة ٢٨٣ « بلاودن » الى « كلارندن » ١٢ نوفمبر ١٨٥٦ أرشيف « شبتلر » ٥/٣/٥ « كينزلن » الى « جوبات » ٤ مايو ١٨٥٩ ، ٩/٣/٥ « زالموللر » الى « شبتللر » ١٢ اكتوبر ١٨٥٩ « شيترن » (جولات) صفحة ٢٢٨

(٣٤) ارشيف « شبتلر » ٥/٣/٥ « كينزلن » الى « جوبات » ٤ مايو ١٨٥٩ ، ٢/٣/٥ « فلاد » الى « كرايف » ٣ أكتوبر ١٨٥٩ ، ٥/٣/٠ « زالموللر » الى « شبتللر » ١٢ أكتوبر ١٨٨٩ ، ٢/٣/٥ « شنير » الى « جوبات » فى ١٨٦٠/١٢/١٩ ، ٣/٩ « زالموللر » الى « شبتلر » فى ١٣ يناير ١٨٦١ ، ٥-٣/١ « بندر » الى « جوبات » فى ٢٠ نوفمبر ١٨٦١ ، ١٢/٣/٥ « فاللدماير » الى « لجنة سان كريسونا » ٢٤ نوفمبر ١٨٦٢ ، FO « سجلات وزارة الخارجية - لندن » ١/٤٠١ صفحة ٣٢٧ « بلاودن » الى « مالمبرى » أول مارس ١٨٥٩

(٣٥) انظر « فاللدماير » (المنحة) صفحة ١١٠ للقائمة و« لسبيرى » ، « أرشيف » ، « شبتلر » ١/٣/٥ « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١

تاودروس وبلاودن السيادة والتبادل

لقد أظهر خطاب تاودروس للقنصل « ديلاى » فى عام ١٨٥٥ أنه لا يعتبر أن طرد البعثة الكاثوليكية كقضية سياسة خارجية الا بقدر ما تعبر عن حقه كحاكم فى تقرير الموضوعات والأنشطة الخارجية التى يسمح بها داخل بلاده .

وبالنسبة لتاودروس كانت هذه مجرد خطوة يجب اتخاذها لصالح السلام الداخلى والاستقرار ، أما « دى جاكوبس » ومؤيدوه فقد رأوها وكأنها بمثابة : البروتستانتية ضد الكاثوليكية ، وعلى الأقل فقد قاموا بتفسيرها لباريس على أنها تخلص من النفوذ الفرنسى لصالح البريطانيين . وقد جعلهم هذا التفكير يأملون ويتوقعون السقوط السريع لتاودروس ويلقون بكل ثقلهم خلف منافس الملك الرئيسى وهو « أجيو نيجوشى » [٣٦] . ومبدئيا فقد جعل هذا الموضوع الساحة مفتوحة أمام القنصل « بلاودن » لتوطيد مصالحه أو مصالح بريطانيا . وأهم من ذلك فقد منح وجود ممثل رسمى لحكومة أوروبية الفرصة لتاودروس لتحديد موقفه تجاه القوى الاوروبية المعارضة لوجود أى ضيوف أوروبيين فى دولته ، وبالنسبة لبلاودن ، فان اقامة بعثة بروتستانتية فى اثيوبيا لم تكن تمثل أولوية له بأى من المعايير . بل على العكس من ذلك ، فمن الصعب أن نجد اشارة واحدة فى كل مراسلاته قبل أو بعد ١٨٥٥ تؤيد نشاطات الارساليات فى اثيوبيا كاثوليكية كانت أم بروتستانتية [٣٧] . ولم يكن هناك دليل واحد على أنه قام بأى دور فى طرد « دى جاكوبس » . لم يكن هناك أيضا دليل واحد على انه شارك فى اعادة ظهور الارساليات البروتستانتية - وحينما تم التخطيط للمحاولة الجديدة اختار « كرايف » أن يصنف « بلاودن » على أنه « كاثوليكى » لا ينتظر منه أية مساعدة [٣٨] وفى نفس

---

(٣٦) AECP مراسلات سياسية للقناصل ، ارشيف وزارة الخارجية - باريس « ماسوا » ٢ صفحات ٧٩ - ٩٠ « دى جاكوبس » الى « فالفسكى » ونابوليون الثالث ، ٢٤ فبراير ١٨٥٦ صفحات ١٠٤ ، ٥ « بيار » الى « فالفسكى » ٣٠ يونيو ١٨٥٦ انظر ايضا الهامش التالى صفحات ١٨٩ - ٩٦

(٣٧)التدخل فى « بوجوس » كطلب المركز الكاثوليكى (انظر الهامش السابق صفحة ١٤٣) كان جزءا من حملة « بلاودن » ضد التوسع التركى المصرى . وفيما بعد حينما أصبح فى مصلحته هاجم المركز أيضا(AECP « ماسوا » ٢ - صفحات ١١٧ - ٢٠ « بيار » الى « فالفسكى » ٢٧ يوليو ، أول سبتمبر ١٨٥٦) .

(٣٨) ارشيف شبتلر « D, ٣ / ٦ » كرايف » الى « بارث » ٢ ابريل ١٨٥٣ - لم يكن هذا صحيحا ولكن من السخرية ان « ديلاى » مؤيد « دى جاكوبس » اتضح فيما بعد انه بروتستانتى (AECP « تاسوا » ٢ صفحات ٧٩ - ٩٠ مذكرة عن « دى جاكوبس » الى « فالفسكى » و« نابوليون » الثالث ٢٤ فبراير ١٨٥٦)

اللحظة التى كان « كرايف » و « فلاد » سيقدمان فيها طلبهما لتاودروس كتب « بلاودين » أنه يتوقع أن يدعم « الأب » المصالح البريطانية « اذا لم يتم ارسال بعثات » أو ارساليات[٣٩] . وبعد مقابلته الأولى مع تاودروس بعد ذلك بشهرين دافع عن سياسة الملك بعدم السماح بأية ارساليات للتبشير فى اثيوبيا وانتهى إلى القول بالآتى : « اننى متأكد انه سيكون مفيد للغاية لقضية التقدم ألا تطأ قدم أية بعثة أو ارسالية لا كاثوليكية ولا أى بعثة أخرى الحبشة »[٤٠] .

ومهما كان السبب وراء اتخاذ هذا الموقف فقد برأ « بلاودن » من تهمة التحيز الواضح ، وقد أكد فى خطاب متزن يتسم بلهجة المصالحة الى « دى جاكوبس » ان تلك المعارضة كانت رغم ذلك دون فائدة لان الملك « لم يسمح لنفسه ان يقوده لا « الأب » (الأبون) ولا أى شخص كان[٤١] وبعد سنة تقريبا حث « دى جاكوبس » على ان يطيع الملك ويجلو عن « هالى » حتى ينقذ حياة الذين غيروا دياناتهم من الاضطهاد : ان كان تاودروس يعتقد أن لديه الحق كحاكم ان يفعل ما يشاء دون قيود (تماما) فى مملكته ، فلم تكن هناك أى معاهدة أو اتفاقية موقعة مع أية قوة اوروبية يمكن أن تمنعه من ذلك وليس لدى السلطة لتغيير قراراته ، وارجو أن يتيقن « دى جاكوبس » ان الملك ليس طفلا مثل الرؤساء الذين سبقوه . . . ان الوقت الآن لا يسمح بالاصرار على وجود أى بعثة فى الحبشة[٤٢] . كان ذلك بمثابة تصريح قوى من أحد الأشخاص الذين عرفوا كلا من « ويى » و « على » لمدة تزيد عن العقد ، والذى داب على زيارتهما عدة مرات فى اعمال رسمية والذى اجرى مفاوضات لعقد معاهدة مع الأخير . ولقد أثر تاودروس دون شك فى القنصل كرجل فذ وشخصية ذات عقل ناضج وذكاء متقد وتصميم لا يلين ، لحماية استقلاله[٤٣] . وليس من المحتمل ان القنصل كان يرغب فى تبديد أى من نواياه ومشاعره الطيبة فى محاولات للتأثير على سياسة الملك الدينية ، اذ لابد أنه أحس على الفور باحتياجه لكل ما يمثله منصبه من ثقل ووزن ونفوذ لكى يصل الى اهدافه السياسية والتجارية التى جاء من أجلها الى « جوندر » .

---

(٣٩) FO (سجلات وزارة الخارجية لندن) ٤٠١ / ١ صفحات ٢٤٤ ـ ٥ « بلاودن » الى « كلارندن » ٧ ابريل ١٨٥٥

(٤٠) نفس المرجع ـ صفحات ٢٥٧ ـ ٨ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٧ يونيو ١٨٥٥ (تأكيد من الكاتب)

(٤١) المرجع السابق صفحة ٢٥٨ من « بلاودن » الى « دى جاكوبس » ٢٧ يونيو ١٨٥٥ كذلك فى « برودن » (رحلات) صفحات ٤٧٣ ـ٤ ـ ٢٥ يونيو ١٨٥٥ وفى نفس الوقت نصحوا « ستيلا » بشدة الا يبنى كنيسة فى « كيرين » (AVA « ارشيف اسمرة » ٢ / ٥ « بلاودن » الى « ستيلا » ٢٥ يناير ١٨٥٥) .

(٤٢) BN (المكتبة القومية باريس) ١٨٤ صفحة ٦٢ . هذه ثانى أو آخر صفحة من خطاب موجه من « بلاودن » غالبا « لبارونى » وكتب أو سلم فى مايو ١٨٥٦ . وقد نصح بلاودن المرسل اليه لقراءته فى حضور المبعوثين الأخرين واعطاء نسخة « لدى جاكوبس » اذا رغب فى ذلك (هذا الاقتراح شطب بواسطة « بلاودن » أو « بارونى » ؟) .

(٤٣) انظر كذلك FO ٤٠١ / ١ صفحات ٢٥١ ـ ٧ تقرير ٢٥ يونيو ٨٥٥وع ›ممثل ارسالية جمعية الكنائس بلندن

وبالرغم من تصريحاته التى تفيد عكس ذلك ، لم يتلق بلاودن أى دعوة من تاودروس قبل رحيله من « مصوع »[٤٤] ومع ذلك فان الغاءه زيارة حصل على موافقة عليها بالفعل الى انجلترا (وهى زيارته الاولى خلال سبع سنوات) لكى يسافر الى « جوندر » ، انما يدل على انه كان يرغب فى تحقيق تقدم ملموس فى المجال التجارى وهو اهتمامه الرئيسى .

وكان الأساس فى المفاوضات هو المعاهدة الموقعة مع « على » فى عام ١٨٤٩[٤٥] . وقد روى « بلاودن » عن الاستقبال الودى الكبير الذى لقيه ولكنه لم يذكر شيئا عن المفاوضات إلا عشية مغادرته « لجوندر » .

وقد قام « سيلاما » و « بيل » بدور الوسطاء كما قاما على ما يبدو بتهيئة مناخ جيد ، كما روى « بلاودن » : فلقد ارسل الملك وسأل عن سبب زيارة القنصل وقد اكد « بلاودن » فى رده انه لم يأت فى « زيارة بصفته الرسمية » وانما يرغب فقط فى معرفة ونقل موقف جلالته بصفة عامة بالنسبة لمسألة انشاء قنصلية واقامة علاقات طيبة .

ومع ان المعاهدة كانت ملزمة نظريا لخلفاء على « فقد تم الاشارة اليها ببعض الحذر : » وقد أشرت أيضا لما اتفق عليه مع « الراس على » وكانت اجابة الملك كالتالى :

« اننى لا اعلم شيئا عما فعله « الراس على » اننى شاب وخبرتى محدودة فى الشئون العامة ، اننى لم أسمع عن قنصلية فى ظل الملوك السابقين للحبشة ، وهذا الأمر يجب أن يؤخذ فيه رأى مجلس والأشخاص الرئيسيين فى بلاطى »[٤٦] .

وفى اليوم التالى بذلت محاولات عديدة بمساعدة « سيلاما » و « بيل » لحث تاودروس على الموافقة على انشاء قنصلية بريطانية ، وقد روى « بلاودن » انه « غامر بالاشارة الى انه من المحتمل ان يعطى شاطىء البحر و « مصوع » بناء على موافقته » . ولكن هذا الطعم لم ينجح فى تحقيق هدفه : « اننى لا أوافق على اقامة قنصلية لأننى لم أجد فى تاريخ مؤسساتنا مثل هذا الأمر . . وعند رفض طلبك باقامة قنصلية فان سببى الرئيسى هو انها سابقة لم تحدث من قبل ، ولكن لا تنسى صداقتى لك وبلغ ملكتك أيضا ان تعتبرنى صديقا . . وبعد انتهاء الأمطار سأرسل لجلالتها مبعوثا وخطابات . وحين تنتهى هذه الحروب سأقدم كل المساعدة وحماية للانجليز الذين سيزورون بلادى : وارجو أن تزورنى انت أيضا وتكتب لى » .

وقد كان لدى « بلاودن » كل الأسباب التى تجعله غير راض عن النتيجة التى وصل اليها ، ولكن يبدو انه حاول خداع نفسه أو على الأقل حكومته فى الاعتقاد بأنه حقق بالفعل نصف النصر

---

(٤٤) المرجع السابق صفحة ١٧٦ رقم ١٧ معFO ١٠٤/١صفحة ٢٥٥ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥

(٤٥) انظر (السابق صفحة ١٢٩ - ٣١ فى النص الانجليزى)

(٤٦) FO١/٤٠١ صفحات ٢٥٤-٦ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥

وأن التوقعات ما زالت مشرقة : « سيتبين فيما بعد أن رفض الملك لا يعتبر رفضا وأنه لا يرغب فى ايقاف كل التفاوض معنا ولكن على العكس من ذلك تماما اذ يبدو أنه فوجىء وشعر بتخوف من جراء الفقرة الخاصة بسلطة القناصل .

انني أرى الكثير من الأمال والتوقعات فى هذه المحادثات . وانه من المرغوب فيه أن نجد ملكا فى الحبشة فخورا بكرامته ومدركا لمسئولياته وقادرا على تقدير الأمور الخطيرة وقادرا على اتخاذ القرار تجاه الموضوعات ، كما أنه لا يعطى موافقته لأمر ما لا يفهمه وما زال يبحث عن صداقتنا بكل الوسائل التى فى مقدرته ادراكها . وليس من المهم الحصول على اتفاق الا اذا حان الوقت الذى تدعم فيه قوته . وحينما يوقع على معاهدة . مهما كان تأثيرها فانه يقدر التزاماته تماما وينفذها بأمانة فى حدود سلطاته . ومن الواضح من الاسلوب المحترم والودى الذى سمح لى فيه بالرحيل ، ومن عبارات الملك أنه لا يعتبر رفضه مسألة تعوق اتصالاتنا أو تعنى أى اهانة ، لقد رفض الشكل فقط ولم يرفض محتوى الاقتراحات »(٤٧) .

ومع أن « بلاودن » حاول التقليل من شأن الاختلافات فى وجهات النظر ، فان رسالة الملك تاودروس جاءت واضحة تماما - فلقد رفض الملك تماما فكرة وجود قنصل اوروبى مقيم ، أى وجود شخص فى مملكته له الحق فى اعفاء كل الأجانب ومعاملاتهم وحل نزاعاتهم التجارية مع بعضهم البعض وكذلك مع رعاياه ، متخطيا بذلك قوانين الدولة(٤٨) .

ومنذ عام ١٨٣٨ لاحظ « انطوان دابادى » مقاومة فكرة وجود قنصل اوروبى فى « جوندر »(٤٩) ، وقد تبين للاثيوبيين فى عام ١٨٥٥ من خلال العدد الكبير لقناصل تاودروس فى مصر وفى أماكن أخرى فى الشرق الاوسط ، ان القناصل اذا وافق عليهم فمن الصعب تجاهلهم(٥٠) . ومن المؤكد أن تاودروس حين تحدث عن عدم خبرته وعدم وجود سوابق بالاسلوب الذى رواه « بلاودن » فقد فعل ذلك بصفة أساسية لكى تبدو اجابته بالرفض اكثر كياسة . لقد كان ذكيا بالقدر الذى يدرك فيه مدى تأثير سلطة القنصل وبالتالى فقد رفض بكل تأكيد الشكل والجوهر .

---

(٤٧) انظر المرجع السابق

(٤٨) FO(سجلات وزارة الخارجية-لندن) ١/٢/٩٣ (المعاهدة) ٢ نوفمبر ١٨٤٩ مقال رقم ١٧ انظر المرجع السابق صفحة ١٢٩

(٤٩) BNالمكتبة القومية - باريس - نسخةاثيوبية ٢٧٩ - صفحة ٤٣

(٥٠) انظر بلاودن رحلات ص ٤٦١ " اذا لم اكن احبك شخصيا كنت طردتك فور ذكرك للقنصلية ، انظر كذلك « هنرى دافتون » (حكاية رحلة فى ربوع الحبشة) فى ١٨٦٢ - ٣ (لندن ١٨٦٧) صفحات ١٤٧ - ٨

ومع ذلك فان امكانية رؤية الأتراك يتركون « مصوع » كانت تروق لتاودروس ، ومن معلوماتنا عن « سياجاديس » و « ويبى » أن الأتراك سيقبلون هذا العرض دون تردد . وكان الثمن غاليا بالنسبة لتاودروس . والى جانب ذلك فقد كان متأكدا أنه يستطيع أن يأخذ بنفسه « مصوع »من الأتراك فور الانتهاء من توحيد البلاد(٥١) وكان هذا أيضا رأى « بلاودن » حين عرض فكرته بأن على انجلترا أن تقوم بدور « الوسيط الأمين » على شرط أن يوافق تاودروس - الى جانب القنصلية - على تعيين محافظ اوروبى (بالطبع تحت رياسة القنصل) فى « مصوع » . وكان هذا حلا للمشكلة المتبقية فى مشروع « بلاودن » لاستقلال اثيوبيا ، « فى ضرورة وجود ميناء بحرى اما فى أيدى انجلترا أو الحبشة »(٥٢) . ولم يكن من المؤكد أن « بلاودن » كان محددا فى هذا القول ، ولكن الملك - بلا شك - ادرك أن اثيوبيا ستستعيد سيطرتها الفعلية على ميناءها الرئيسى من خلال قوتها وتصميمها فقط .وكبداية كان تاودروس يرغب فى الحصول على معلومات أكثر وغير متحيزة حول الشئون الخارجية . وكانت حرب القرم قد اندلعت قبل ذلك بعام . وتضافرت انجلترا وفرنسا اللتان ظلتا لعقدين من الزمان يبلغان اثيوبيا بأن اقامة العلاقات مع احداهما تعنى قطع العلاقات مع الثانية ، تضافرتا معا لمؤازرة تركيا المسلمة ضد روسيا الأرثوذكسية . وكان هذا شىء غير مفهوم لحاكم كان هدفه الأساسى فى الحياة تحرير الأراضى المقدسة من سيطرة الحكم الاسلامى(٥٣) . ومنذ ظهور « سولت » كان الاوربيون يعلنون أن غرضهم هو حماية اثيوبيا المسيحية ضد الأتراك والمصريين . وقد استطاع تاودروس قبل محاولة طرد الأتراك من « مصوع » أو بدء الحرب مع مصر ، أن يصبح أكثر ادراكا للسياسة الأوروبية .

وكان هذا التفكير بلا شك وراء المحاولة المجهضة التى بدأها تاودروس - فور تتويجه مباشرة - باقامة علاقات مع روسيا(٥٤) وكان ضمن خططه أيضا ارسال بعثات لعدة دول اوروبية بما فيها لندن . وبالطبع فقد كان يود كذلك أن يوضح موقفه وسياساته فيما يتعلق مثلا بأنشطة

---

(٥١) FO١/٤٠١ صفحة ٢٥٤ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥

(٥٢) المرجع السابق صفحات ٢٥٤ - ٢٥٦ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥ صفحات ٢٧٠ - ٢ « بلاودن » الى « كلارندون » ١٧ فبراير ١٨٥٦ وأيضا صفحات ٢٦٤ - ٥ « بروس » الى « سترانفورد » ١٦ فبراير ١٨٥٦

(٥٣) انظر روبنسون « تاودروس » صفحات ٦٠ - ١

(٥٤) FO١/٤٠١ صفحات ٢٤٤ - ٥ « بلاودن » الى « كلارندون » ٧ ابريل ١٨٥٥ .
" كرايف " رحلات صفحات ٤٤٣ - ٤ . للأسف لم أجد أى معلومات عن هذه البعثة من المصادر الروسية . وكانت احدث وثائق حصلت عليها عن اثيوبيا من AVPR(ارشيف السياسة الخارجية الروسية - موسكو) ويرجع تاريخها الى ١٨٧٠ - وطبقا لما قاله « بلاودن » كان حامل الرسالة سوريا - وهناك شخص واحد يمكن أن يكون قد أثار التشكك فى نفس تاودروس عن كل من الفرنسيين والبريطانيين وهو التاجر اليونانى « جوهانز كوتسيكا » من « كاسالا » و « كالابات » (انظر منهج هوياس Methodios Fouyas) وثيقة غير منشورة حررت وترجمت الى الانجليزية ، « أبا سلامه »(١) ١٩٧٠ صفحات ١٥ - ١٦

الارساليات . وذلك عن طريق مبعوثين موثوق بهم من قبله . وقد أوصى « بلاودن » بأن تستقبل البعثة فى لندن ولكن ليس من المؤكد انه ادرك تماما معنى « على قدم المساواة » التى استخدمها فى تصريحه : « انه يرغب فى الحقيقة ان يعامل فقط على قدم المساواة(٥٥) .... لم يكن الأمر بالنسبة لتاودروس هو استخدام تعبير « فقط » ، أى انه ليس التزاما شكليا - لقد عبرت عن هذه الكلمات عن المبدأ الأساسى لعلاقات اثيوبيا بالقوى الاوربية ، وبالرغم من ذلك فقد مر أربعون عاما وكارثة « عدوة » ، قبل أن يدرك الاوربيون ذلك ويقبلوه على مضض والى حين .

وقد دعى « بلاودن » ان يبقى فى « جوندر » كضيف مع الملك لحين انتهاء موسم الأمطار ، ولكن فى ذلك الحين كان تمرد « نيجوسى » قد بدأ فى « سيمين » واصبح السفر غير مأمون(٥٦) ومن ثم طلب تاودروس من القنصل ان يبقى مدة اطول وبالفعل بقى هناك خمس سنوات(٥٧) . وفى البداية اعتقد القنصل انه سيتمكن من التأثير على الملك للموافقة على القنصلية بشكل ما . ولكن الملك ألح فى تلقى الرد بشأن الترتيبات التى اعدت لمبعوثيه للتوجه الى انجلترا(٥٨) .

وفى نوفمبر ١٨٥٦ تلقى القنصل ردا من لندن بشأن تقريره الذى ارسله فى يونيو من العام السابق ، لقد تمت الموافقة على اعماله : « يلزم تهنئة تاودروس على تقلده السلطة ، وعلى أن يتم تقديم النصح اليه بالامتناع عن الاضطهادات الدينية مستقبلا ، وأضاف انه سوف يجرى الترحيب بمبعوثيه فى لندن ، على شرط ان يؤكد بشكل واضح انه تخلى عن فكرة غزو مصر أو « مصوع »(٥٩) . ولم يتضمن التقرير شيئا عن اقتراح بلاودن بشأن مستقبل الميناء . وقد حطم هذا كل تأثير من الممكن أن يكون « بلاودن » قد حققه بمساعدة « بيل » خلال الثمانية عشر شهرا السابقة - وقد روى بلاودن انه قدم للملك ترجمة لهذا الرد(٦٠) .

---

(٥٥) FO ٤٠١/١ صفحات ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٧ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥

(٥٦) نفس المرجع صفحة ٢٥٥ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥ ، صفحة ٢٦٣ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢ سبتمبر ١٨٥٥ ، « بلاودن » (رحلات) صفحة ٤٦٠

(٥٧) FO ٤٠١/١ صفحات ٢٦٩ ، ٢٧٢ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٢ ديسمبر ١٨٥٥ ، ٥ مارس ١٨٥٦

(٥٨) نفس المرجع صفحات ٢٦٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ - ٨١ ، « بلاودن » الى « كلارندن » ٢ سبتمبر ، ٢٨ اكتوبر ١٨٥٥ ، ٢٣ يونيو ، ٥ أغسطس ، ٥ اكتوبر ١٨٥٦

(٥٩) نفس المرجع صفحات ٢٥٩ - ٦٠ « كلارندن » الى « بلاودن » ٢٧ نوفمبر ١٨٥٥

(٦٠) نفس المرجع صفحة ٢٨٣ « بلاودن » الى « كلارندن » ، ١٢ نوفمبر ١٨٥٦ صفحات ٣٢٩ - ٣٠ « بلاودن » الى « مالمسبرى » ٢٨ مايو ١٨٥٩ . ليس معروفا اذا ماكانت الترجمة سليمة ولكن لأن الرسالة وصلت مفتوحة (غالبا فتحها عملاء فرنسيون) ، فمن الممكن أن يكون جواسيس تاودروس قد تمكنوا من توصيل محتوياتها عن غير طريق « بلاودن » . انظر المرجع السابق صفحة ٢٨١ . « بلاودن » الى « كلارندن » ١٠ نوفمبر ١٨٥٦ .

وفى نوفمبر ١٨٥٦ تلقى القنصل ردا من لندن بشأن تقريره الذى ارسله فى يونيو من العام السابق . لقد تمت الموافقة على اعماله « يلزم تهنئة تاودروس على تقلده السلطة ، وعلى أن يتم تقديم النصح اليه بالامتناع عن الاضطهادات الدينية مستقبلا ، وأضاف انه سوف يجرى الترحيب بمبعوثيه فى لندن ، على شرط ان يؤكد بشكل واضح انه تخلى عن فكرة غزو مصر أو « مصوع »(٥٩) . ولم يتضمن التقرير شيئا عن اقتراح بلاودن بشأن مستقبل الميناء . وقد حطم هذا كل تأثير من الممكن ان يكون « بلاودن » قد حققه بمساعدة « بيل » خلال الثمانية عشر شهرا السابقة - وقد روى بلاودن انه قدم للملك ترجمة لهذا الرد(٦٠) ولم يكن تاودروس سعيدا بأن يذكره أحد بالاضطهادات السابقة ضد الكاثوليك ، والتى تمت بتفهم تام ان لم تكن بتحريض من صديق « بلاودن » ، « ابونا سيلاما » ، أما طلب انجلترا بأن يتخلى عن كل أفكاره بشأن الحرب ضد المصريين أو الأتراك فقد كان طلبا أكثر خطورة ، خاصة انه لم يكن هناك أى اقتراح بأن تساعد الحكومة البريطانية فى حل مشاكل « مصوع » والساحل بالوسائل الدبلوماسية ، لقد حاول محافظ « مصوع » حينئذ ان يعزل النائب محمد ، فاندلعت الحرب . وبدأت القوات التى تحت تصرف المحافظ فى نهب « هاماسين » وكانت هناك أيضا تهديدات ضد « منيسا » ، وبوجوس (٦١) واحتج البريطانيون فى القاهرة . واستانبول(٦٢) وفى الواقع أشاد وزير الخارجية باقتراح بلاودن بمنح ونقل ميناء « مصوع » للحكومة الحبشية . ونصح السلطان أن يبدأ فى اجراءات هذا النقل(٦٣) . ولكن لان « بلاودن » لم يبلغ بالموافقة على خطته قبل ذلك فلم يكن فى استطاعته تقديم أية تليمحات ايجابية عن مساعدات فى هذا الشأن .

وإذا طرحنا جانبا موضوع البعثة الرومانية الكاثوليكية ، كان من السهل على القنصل ان يدافع عن تاودروس فى الاتهامات الخاصة بالاضطهاد الدينى .

---

(٥٩) نفس المرجع صفحات ٢٥٩ - ٦٠ « كلارندن » الى « بلاودن » ٢٧ نوفمبر ١٨٥٥

(٦٠) نفس المرجع صفحة ٢٨٣ « بلاودن » إلى كلارندن ، ١٢ نوفمبر ١٨٥٦ صفحات ٣٢٩ - ٣٠ « بلاودن » الى « مالمسبرى » ٢٨ مايو ١٨٥٩ . ليس معروفا اذا ماكانت الترجمة سليمة ولكن للأن الرسالة وصلت مفتوحة (غالبا فتحها عملاء فرنسيون) ، فمن الممكن ان يكون جواسيس تاودروس قد تمكنوا من توصيل محتوياتها عن غير طريق « بلاودن » الى « كلارندن » ١٠ نوفمبر ١٨٥٦ .

(٦١)٨١ب١١٢/١م٣١ب٣ (سجلات مكتبة مكتب الهند - لندن) خطابات سرية من عدن ٣٥ - صفحات ٢٥ - ٦ ، ٢٠٩ - ١١ « باروني » الى « كوجلان » ، ٢٠ ديسمبر ١٨٥٥ ، ٣٠ مارس ، ٦ ابريل ١٨٥٦ ، FO ٤٠١/١ صفحات ٢٧٠ - ٣ « بلاودن »الى « كلارندن » ١٧ فبراير ، ٢٢ ابريل ١٨٥٦ صفحة ٢٧٤ « باروني » الى « بروس » ١٤ مايو ١٨٥٦ ، AECP (مراسلات سياسية للقناصل - ارشيف وزارة الخارجية - باريس) يوليو ، أول سبتمبر ١٨٥٦ . بلغ العميل الفرنسى أن النائب هدد « منسا » ، « بوجوس » بتحريض من « بلاودن »

(٦٢)FO ٤٠١/١ صفحة ٢٧٥ « كلارندن » الى « سترانفورد » ٢ يوليو ١٨٥٦

(٦٣)نفس المرجع صفحات ٢٦٤ - ٥ « بروس » الى سترانفورد ، ١٦ فبراير ١٨٥٦

أولا : فيما يتعلق باضطهاد المسلمين . وحتى هذه اللحظة لم يقم الملك بإرغام أي منهم على ترك دينه . ويمكنني أن أبلغ فخامتكم أن بعض البعثات الألمانية البروتستانتية موجودة الآن في البلاد . . ويسمح لهم الملك أن يتحولوا أينما رغبوا ، وأن يوزعون كتبهم كما يشاءون بدون أي تعليق ، واعتقد أن هذا الأمر لا يسمح به حتى في دول أكثر تقدما مثل « ساردينيا »[٦٤] .

---

(٦٤) نفس المرجع السابق صفحات ٢٨٢ - ٣ ، « بلاودن إلى « كلارندن » ١١ نوفمبر ١٨٥٦ (انظر السابق صفحات ١٧٧ - ٨ في النص الانجليزي) .

رد فعل الملك عن مصر

« أنه لم يتخذ حتى الآن أية خطوات لاغضاب مصر ومع أنه احتفظ لنفسه بالحق بالمطالبة فيما بعد بأراضي معينه اغتصبت بالتدريج من الحبشة أثناء حكم الأمراء الضعاف ، فقد وعد بعدم اتخاذ أية خطوات طبيعة عدائية إلا إذا تلقى ردا منا .

لقد قرر تاودروس ألا يقدم أي تعهد مكتوب - ويبدو أن مسألة المعلمين والحرفيين والمهندسين قد نوقشت مرة أخرى . ولما لم يكن لدى القنصل شيء يقدمه لجلالته فقد انتهى القنصل إلى القول بأن تاودروس يمكن أن يرد كالتالي : إذا لم تكن صداقتنا ستقدم له شيئا فإنه لن يسعى لها »[٦٥] .

وفي ديسمبر ١٨٥٦ وصل البطريارك كيرلس في زيارة لأثيوبيا . وفي يناير ١٨٥٧ كثرت الاشاعات حول هجوم وشيك من السودان . وقد كان هذا سببا في تعقيد مع شعب بالنسبة « لبلاودن » ولكنه رأى بأن الأمر لن يكون سيئا إذا نشبت معركة مع شعب قوي لأنها تظهر للأحباش ضعفهم وبالتالي سيحثون بجدية وتواضع عن صداقة ودعوم أخواتهم المسيحيين في أوروبا[٦٦] . وكما لو كان تاودروس قد قرأ ما يدور في ذهن القنصل ، فقد كان يعتز هو الآخر بكرامته . وحينما ألح عليه « بلاودن » في اتخاذ قرار أجابه أكثر من مرة بأن الأمور التي جاء من أجلها يمكن أن تنتظر . وأنه سيتعامل أولا مع أعدائه المحليين ثم يجد حلا مؤقتا على الأقل لموضوع الصراع مع مصر ولن يبحث صداقة الانجليز بسبب خوفه من الأعداء » .

وعلاوة على ذلك فقد كرر رفضه الاستماع لأي شيء عن قنصل أجنبي في مملكته[٦٧] وفي شهر سبتمبر وصلت التعليمات لبلاودن بأنه طالما في امكانه تحاشي ذكر موضوع السلطات الشرعية فباستطاعته أن يطكر الملك بأن الوفاء بالعهد هو الذي منعه من فسخ معاهدة ١٨٤٩ . ولكن القنصل

---

(٦٥) FO٤٠١/ صفحة ٢٨٣ من « بلاودن » إلى « كلارندن » ١٢ نوفمبر ١٨٥٦
(٦٦) نفس المرجع صفحات ٢٨٦ - ٨ « بلاودن » إلى « كلارندن » ١٥ يناير ١٨٥٧ وحول زيارة كيرلس انظر صفحات ٢١٠ - ١١
(٦٧) FO٤٠١/١ صفحات ٢٨٨ - ٩ ، ٢٩٢ - ٣ . « بلاودن » إلى « كلارندن » فبراير ٢ ابريل ، ٣٠ مايو ١٨٥٧ .

وجد ان الأمر سيكون خطيرا اذا ما « أشار الى ذلك أو الى أى شىء متعلق بمعاهد حتى يطرح الملك راية عن البعثة الدبلوماسية لانجلترا على بساط البحث »[٦٨] . لقد اوشك « بلاودن » أن يتخلى عن العمل كلية فلقد روى « فلاد » أن القنصل وصل لمرحلة اليأس[٦٩] .

وحينما طرد البطريارك فى نوفمبر ١٨٥٧ انتهز تاودرس الفرصة لارسال خطاب للملكة فيكتوريا - ويعتبر الخطاب ولكنه لم يقل شيئا ، ان الملك لم يكتب قبل ذطلك لأن الهدوء لم يستتب بعد فى ربوع البلاد ومازال حكمه غير مستقر ، وانه يرجو بمعونة الله أن يحقق ذلك وحينئذ سيرسل « بلاودن » وبعض من مستشارية لابلاغ الملكة حتى تشاركه سعادته ، انهما كليهما أبناء المسيح ومن أجل محبة المسيح فإنه يود صداقتها »[٧٠] ولم يكن هناك أى التزام بخصوص مصر ، ولا أية اشارة الى القنصلية أو أية التزامات بشأن معاهدة .

وقد لاحظ « بلاودن » ان تاودروس تحاشى تسميته بالقنصل وأكد على أن الملك « لن يوافق على وجود أية قناصل هنا أو على رفع أى علم فى أى مكان تحت سيطرته » ، كما أشار الى أن تاودرس رفض طلب أية معونات مادية . رغم دعوتهم لذلك - على الرغم من أنه يعلم جيدا أن الأخرين مستعدون لتقديم العون المنافسه « نيجوشى » . وكان القنصل يعتقدون أن السبب الرفض هو اهتمام تاودس بكرامته كملك لاثيوبيا ، واقترح دون تردد ، اهداء مائتى أو ثلاثمائة بندقية مع الذخيرة وأغطية الرأس « كتعبير عن الصداقة الخالصة غير المغرضة »[٧١] . وكانت كميات قليلة من الأسلحة والذخائر المشتراة تمر عبر « مصوع » لتاودروس ومحافظية فى الشمال . والى جانب ذلك كان « بارونى » عميل « بلاودن وشيمبر » وكذلك المبشر الايطالى « ليون دى أفانشير » يقومون باستيراد الاسلحة والذخائر بطرق خاصة تجارسة[٧٢] . وحينما وافقت الحكومة البريطانية على الاسلحة المقترحة كهدية أوصى « بلاودن » أن تظل الهدية فى عدن حتى يحتل تاودروس « تيجرى »

---

(٦٨) نفس المرجع صفحة ٢٩٥ ، « كلارندن » الى بلاودن ٣ مارس ١٨٥٧ صفحة جج٢ « بلاودن الى كلارندن » ٧ سبتمبر ١٨٥٧ - انظر ايضا ارشيف « شبتلر » D ٢/٣ ، « فلاد » الى « كرايف » ٢٦ اكتوبر ١٨٥٧ .

(٦٩)FO١٠٤/ب صفحة ٢٩٣ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٠ مايو ١٨٥٧ - ارشيف «شبتلر »D٣/٢ فلاد الى كرايف ٢٦ اكتوبر ١٨٥٧ .

(٧٠)FO١/١٠ صفحة ١٦١ تاودرس لفيكتوريا (نوفمبر ١٨٥٧) هذه هى النسخة الأصلية بالأمهرية المختومة بالختم الوحيد الذى يظهر على خطابات تاودروس منذ ذلك التاريخ وبعد ذلك ، (الترجمة الانجليزى)

(٧١)FO صفحة ٣٠٤ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٥ نوفمبر ١٨٥٧ ، « دافتون » (سرد) صفحات ١٠١ - ٢ ، ١٤٨٧ - وحول اتصالات الفرنسيين « نيجوشى » والتى لم تكن سرا فى « جوندر »FO ١/٤٠١ صفحات ٢٨٠ - ١« بلاودن » الى « كلارندن » ٥ أكتوبر ١٨٥٦ صفحة ٢٩٦ « بارونى » الى « كوجلان » ١٨ سبتمبر ١٨٥٧) (انظر المرجع التالى ٢٩٦ « بارونى » الى « كوجلان » ١٨ سبتمبر ١٨٥٧) (انظر المرجع التالى صفحات ١٨٩ - ٩٢ فى النص الانجليزى وهى الفقرات التى تقع بين الهوامش من ٨٣ الى ١٠٧)

(٧٢)AECP« ماسو) ٢ ، صفحات ١١٧ - ١١٨ ، ١٣٤ - ذ ، ١٥٥ - د « بيار » الى فالفسكى ٢٧ يوليو ، ١٠ فبراير «أغسطس ١٨٥٧ - BN اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٦٨ « كلزا سهاجاديس » الى بارونى - تسلمه ٣ نوفمبر ١٨٥٦ - ولكن المذكرة التى ورد منها هذا للخطاب « تاودرس المستقبل » مظلة . وحتى ولو كان الاجتماع قد عقد فى بداية

مما يعنى أن القنصل لم يكن يرغب فى أن تستخدم هذه الاسلحة فى أى صراعات داخلية . وفى النهاية لم تقف الحكومة البريطانية بوعدها ، وكل ما أرسلته كان عبارة عن بندقية مزخرفة هدية للملك بدون ذخيرة[٧٣] .

واستمر « بلاودن » فى ارسال تقاريره بأن الملك كان شغوفا بارسال بعثة الى لندن[٧٤] ، ولكنه كان يدرك جيدا أن تاودروس لن يقبل التعاون بالشروط البريطانية . ثم أوصى القنصل بانتهاج سياسة ذات مرحلتين : اولا أن تستمر الحكومة البريطانية فى منع « سعيد باشا » من شن أى هجوم نهائى حتى يعطو الفرصة لتاودروس أن ينشر الهدوء فى البلاد ولكن اذا رفض الملك بعد ذلك قبول المقترحات البريطانية « فسيكون من المناسب أن يظهر له نائب مصر قوة النظام ومصادر الحضارة . وبالتالى يجبره على الالتجاء الى وساطة الحلفاء الاخوية . . . فمن الواضح انه اذا تم توجيه مثل هذه الضربة لنفوذه الذى مازال ضعيفا فانه لن يتمكن من مقاومة الصدمة وبعد ذلك تمتلك مصر الحبشة بصفتها الأقل شرا »[٧٥] . كما قرر القنصل أن يغادر اثيوبيا ويترقب التطورات القادمة فى انجلترا . وكان تاودروس على وشك أن يتلقى مبعوثا من سعيد باشا ، ولم يكن يهمه أن يبقى « بلاودن » أو يسافر . ولكن المرض منع القنصل من أن يرحل فى الحال ووجد نفسه مرة ثانية متحملا مسئولية ابلاغ تاودروس بالنيابة عن الحكومة البريطانية بأن سياسته الدينية غير مرغوب فيها[٧٦] .

وقد اكد « بلاودن » الذى طالما دافع عن سياسة الملك ان هذا التوبيخ غير مستحب وغير ذى جدوى ولكنه فى النهاية أذعن . وقد استخدم فى توصيل الرسالة كلمات جافة على الأقل فى النسخة الانجليزية من الخطاب[٧٧] وقد قبل تاودروس الخطاب لأنه مرسل من فيكتوريا وهو الرد الوحيد

١٨٥٦ فنه من غير المعقول ان تاودروس أو اى شخص آخر فى خلمته كان يمكن أن يلقب الملك «Dejjaz Mach» وبالنسبة «Kasa» « لبادرليون » وكانت وسيلته الى اختراق تاودروس الى « كيفا » هى الامداد بعض الاسلحة انظر كذلك AEMD(مذكرات وثائق ارشيفق وزارة الخارجية باريس) أفريقيا ٦١ صفحات ٤٢ - ٣ « ليون دى افانش » الى « فوجير) ٤ سبتمبر ١٨٥٦ .

(٧٣)FO ١/٤٠١ صفحة ٣٠٦ « مالمسبرى » الى « بلاودن » ٨ أبريل ١٨٥٨ صفحة ٣١٨ « بلاودن » الى مالمسبرى » ١٥ نوفمبر ١٨٥٨ صفحات ٣٢٠ - ٢ مراسلات بين وزارة الهارجية الدفاع مايو - يوليو ١٨٥٩ صفحة ٢٣٢٢ « هاموند » الى « بلاودن » ٣١ مايو ١٨٥٩ ٣٣٦ « بلاودن » الى « مالمسبرى لا ٥ أكتوبر ١٨٥٩ .

(٧٤) نفس المرجع صفحات ٣١٠ _ ١١ « بلاودن » الى « كلارندن » ٥ يونيو ١٨٥٨ .

(٧٥) نفس المرجع صفحة ٣١٩ « بلاودن » الى « مالمسبرى » ٢٠ نوفمبر ١٨٥٨ .

(٧٦) نفس المرجع صفحات ٣٢٦ _ ٨ ، ٣٣٥ « بلاودن » الى « مالمسبرى أول فبراير ، ٢ فبراير ، ٢٧ مايو ، ٢٠ سبتمبر ١٨٥٩ صفحات ٣٠٨ _ ٩ « مالمسبرى » الى « بلاودن » ٢٥ يناير ١٨٥٨ .

(٧٧) نفس المرجع السابق صفحات ٣٢٩ - ٣٠ ، ٣٣٣ « بلاودن » الى « مالمسبرى » ٢٨ مايو ، ١٨ يونيو ١٨٥٩ صفحات ٣٥٣ _ ٤ « بلاودن » الى « راسل » ٢ فبراير ١٨٦٠ صفحة « بلاودن » الى تاودروس ٢٥ اكتوبر ١٨٥٩ .

الذى تلقاه على خطابه الودى فى نوفمبر ١٨٥٧ ، ولكنه لم يتأثر بالاتهامات بأنه اضطهد الرعايا الفرنسيين وكل ما فعله هو رفضه أن يقوم « دى جاكوبس » بالتدريس فى بلاده(٧٨) .

لقد كان الملك فى الحقيقة مشغولا للغاية فى الحملة القادمة ضد « نيجوشى » فلم يهتم كثيرا بخطاب « بلاودن » . ولكن القنصل كان يدرك ماذا يمكن أن يكون رد فعله : ـ

« من الناحية الشكلية سيسمح بدخول المسافرين والتجار والاوروبيين من كل الدول الى بلاده ، ولكنه لن يتسامح مع أى طائفة أو طبقة من الاشخاص من الذين يبشرون بأية عقيدة ضد عقيدة كنيسته ، وانه لا يعترف بأى حق لأى دولة أخرى أو حاكم فى أن يتدخل فى شئونه الداخلية الروحية منها أو المدنية(٧٩) وربما كان « بلاودن » مبالغا ـ بسبب اولوياته الخاصة ـ فى التعبير عن استعداد الملك لتقبل التجار وعدم استعداده لتقبل المبشرين ـ ان الأمر الذى كان يزعج تاودروس لم يكن المبشرين أنفسهم ولكن التأثيرات الداخلية والخارجية لاسقفية كنسية ثانية(٨٠) . وكان انشغال باريس (وبالتالى لندن) بمصير « دى جاكوبس » والبعثة الكاثوليكية قد أفضى الى حجب حقيقة ان الموقف الذى اتخذه تاودروس من تلك القضية لم يكن الا مجرد اظهار تصميمه على عدم الاعتراف بحق أى دولة أجنبية فى التدخل فى شئونه الداخلية سواء « الروحية أو المدنية » .

وقد كان هذا التصميم هو المبدأ المحرك للحاكم الأثيوبى فى كل تعاملاته مع القنصل البريطانى الذى حاول أن يمثل اوروبا ويعد الأساس للتدخل . وخلال الخمس سنوات لم يتمكن « بلاودن » أن يحصل على الاعتراف به كقنصل أو الحصول على أى من المزايا الشرعية أو التجارية التى تضمنتها معاهدة ١٨٤٩ . وكان يلزم أن تبقى هذه الأمور معلقة حتى يتمكن مبعوثو تاودروس ان يبلغوه كيف تسير الأمور فى الدول الاوروبية . وبدلا من اكتساب النفوذ ، فقد « بلاودن » الجزء الضئيل من الشعور الودى الذى اكتسبه من اتصالاته مع « بيل » و « ابونى سيلاما » . وتعكس عدم رغبته فى اثارة قضية البعثة الكاثوليكية مرة أخرى ، والاسلوب الفظ الذى خاطب به الملك أخيرا ، يعكسان مدى توتر العلاقات خلال السنة الأخيرة له فى « جوندر »(٨١) .

ومن الخطأ ان يعزى فشل « بلاودن » الى عيوب شخصية . فقد أظهر أنه متفهم ومدرك للشئون الأثيوبية اكثر من معظم الاوروبيين الآخرين الذين أقاموا فى اثيوبيا فى القرن التاسع عشر ، كما أنه لم يقلل من قدر تاودروس أو يسىء فهم أهدافه . فلقد كان الملك يرغب فى اقامة علاقات

---

(٧٨) ارشيف « شبتلر » D ٩/٣ « زالموللر » الى « شنيلر » ١٢ اكتوبر ١٨٥٩ (استكمل فى ١١ نوفمبر ١٨٥٩ ان لم يكن بعد ذلك) .

(٧٩) FO ٤٠١ / ١ صفحات ٣٥٣ ـ ٤ « بلاودن » الى « مراسل » ٢ فبراير ١٨٦٠ .

(٨٠) انظر المصدر السابق صفحات ١٧٧ ـ ٨ .

(٨١) « فلاد » (ارشيف « شبتلر » ٣ / ٢ الى كرايف ٣ اكتوبر ١٨٥٩) ذكر بصراحة ان الملك قد قطع علاقاته الطيبة مع القنصل ، واصبح « زاندر » مقربا بدلا منه .

مع أوروبا والاوروبيين لكى يقوم بتطوير بلاده ولكن بشروطه الخاصة . وكان « بلاودن » شخصيا ويحكم منصبه كقنصل لبريطانيا ملتزما بتنفيذ سياسة استغلال اقتصادى التى تتطلب السعى للتأثير على القرارات التى يصدرها الحاكم . لذلك كانْ صراع المصالح شرسا للغاية . وفى يناير ١٨٦٠ صدرت الأوامر من وزارة الخارجية لبلاودن أن يغادر اثيوبيا ـ وقبل أن تصله الأوامر كان قد توجه الى الشاطىء حيث لقى حتفه فى مناوشة مع مجموعة صغيرة من المتمردين خارج « جوندر »(٨٢) . وبالطبع فقد تأثر تاودروس بالطريقة العنيفة التى لقى بها القنصل حتفه والتى اعتبرها الكثيرون اغتيالا سياسيا ، وصمم على الثأر من زعيم المتمردين « جاريد » والذى كان ابن اخيه شخصيا(٨٣) . وحينما « توفى » « جون بيل » بعد ذلك بأقل من عام فى معركة فقد فيها « جاريد » أيضا حياته أعربت بعض العناصر المناهضة للأجانب من الشعب الأثيوبى عن ارتياحهم لزوال الدعم الأوروبى(٨٤) . وحينما ينظر الى « بيل » وهو رجل الملك بوصفه أقوى شخصية أجنبية وليس القنصل البريطانى فهذا يعنى أن تاودروس قد احتفظ باستقلاله تماما بعيدا عن اول ممثل مقيم لحكومة أجنبية فى أثيوبيا .

---

(٨٢) FO ٤٠١ / ١ صفحات ٣٣٧ ـ ٨ « راسل » الى « بلاودن » ١٨ يناير ١٨٦٠ صفحة ٣٥٨ كلكون الى « راسل » ٢ مايو ١٨٦٠ مع مرفقات من بارونى ٣٠ مارس ١٨٦٠ ومن « ميرشا » ماديركال » ومحمد » ١٨ فبراير ١٨٦٠ عدن ، AIA ٢٨٦ بيل الى بارونى ١٢ مارس ١٨٦٠ ، AECP(مراسلات سياسية للقناصل ارشيف وزارة الخارجية باريس) « مصوع » ٣ صفحات ٣٣ ـ ٥ « نيجوش » الى « توفينيل » ٨ مارس ١٨٦٠ .

(٨٣) FO ٤٠١ / ١ صفحة ٣٦٢ « بلاى ميز » الى « ودد » ١٢ مايو ١٨٦٠ (من رسالة « هوجلين » حول قلب افريقيا) « بيترمان » ١٨٦١ صفحات ٣٤٧ ـ ٨ .

(٨٤) أرشيف « شبتلر » D زال موللر « الى شنيللر » ١٣ يناير ١٨٦١ . طبقا « لشتيرى » (جولات صفحة ١٢٨) حدثت هذه المعركة فى ٣١ اكتوبر . وروى « شتيرن » (ان ثلاثة آلاف متمرد مع رئيسهم « جيرات » جزروا بدون رحمة عن عمد) وهذا التصريح أغضب تاودروس على الارسالية .

« نيجوشى والكاثوليك : مستقبل حكومتين أثيوبيتين »

فى عام ١٨٥٥ رفض الممثل الفرنسى فى « مصوع » رجاء تاودروس بتفهم اجراءاته تجاه الارساليات الكاثوليكية . ولقد استمر هذا الموقف لمدة خمس سنوات وكانت نتيجته ليس فقط منع اى اتصالات مباشرة بين تاودروس وممثلى فرنسا ولكنه أسفر أيضا عن اشتراك فرنسا فى الحرب الأهلية الى جانب « نيجوشى »(٨٥) . وفى البداية كان هناك بعض الأمل فى التأثير على البطريارك القبطى للتوجه الى اثيوبيا أو على الأقل ارسال وفد لاجبار « ابونى سيلاما » وتاودروس على الغاء القرارات الخاصة بالبعثة الكاثوليكية(٨٦) ، لقد سبق أن ارسل « كيرلس » خطابا الى « سيلاما » لوقف الاضطهاد(٨٧) وفى عام ١٨٥٦ توجه لاثيوبيا ولكن اذا كان « كيرلس » قد حاول مناقشة الأمر أمام تاودروس فان ذلك كان سيكسبه مزيدا من الاحتقار الذى لاقاه فور وصوله(٨٨) .

وقد تمنى « دى جاكوبس » الا يستمر تاودروس طويلا وأوصى الحكومة الفرنسية أن تدعو « آسى يوحانيس » ـ والذى قيل انه كاثوليكى ـ الى فرنسا لمساعدته فى العودة الى العرش(٨٩) . لقد وعدوا « يوحانيس » بدعم مادى ولكن كيف كان « دى جاكوبس » يعتمد عليه كحاكم قوى كان أمر يصعب تفسيره(٩٠) . وفى الواقع فقد ظهر هناك بديل آخر فى منتصف عام ١٨٥٦ . وألقى القنصل والاسقف ثقلهما خلف « نيجوشى ويلدى » وهو ابن أخى « وبى » ووريثه السياسى .

---

(٨٥) انظر المرجع السابق صفحة ١٧٦ ـ ٧

(٨٦) AECP « ماسوا » ٢ صفحات ٧٩ ـ ٩٠ « دى جاكومس » الى « فالفسكى » ونابوليون الثالث ٢٤ فبراير ١٨٥٦ صفحات ١٠٩ ـ ١٠ مذكرة حول اقتراحات « دى جاكوبس » يوليو ١٨٥٦ .

(٨٧) نفس المرجع صفحات ١٠٩ ـ ١٠ مذكرة يوليو ١٨٥٦ AVA ١ / ١ « كيرلس » الى « سيلاما » ٢٢ اكتوبر ١٨٥٣ (نسخة مترجمة) .

(٨٨) انظر المرجع التالى صفحات ٢١٠ ـ ١١ لم يصل « كيرلس » فى سفينة فرنسية كما اقترح « دى جاكوبس » ولكنه جاء عن طريق السودان وأشاع القنصل الفرنسى نبأ وصوله فى « جوندر » كاشاعة بعد وصوله بالفعل . ورغم ذلك فقد روى أيضا أنه احتجاج ضد تعصب « سلاما » وتاودروس مما أغضب الملك . انظر AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٣٤ ـ ٥ ، ١٤٧ ـ ٨ « بيار » الى « فالفسكى » ١٠ فبراير ، ٧ مايو ١٨٥٧ .

(٨٩) AECP « مصوع » ٢ صفحات ٧٩ ـ ٩٠ « دى جاكوبس » الى « فالفسكى » ونابوليون « الثالث » ٢٤ فبراير ١٨٥٦ .

(٩٠) نفس المرجع صفحة ٢٢ « يوحانيس » الى نابوليون الثالث ١٨٥٣ / ٥٤ وبالذات فى شهر يوليو ١٨٥٤ صفحات ٦١ ـ ٢ « فالفسكى » الى « ديلاى » ٩ مايو ١٨٥٥ .

وخلال موسم الأمطار فى عام ١٨٥٥ حقق « نيجوشى » بعض الانتصارات على تاودروس فى منطقة « جوندر » ولكنه سرعان ماعاد الى « سيمين » و « تيجرى » لاعادة بناء قواته(٩١) ، لأنه كان متوقعا أن تاودروس ، الذى عاد الى « شيوا » فى شهر يوليو ١٨٥٦ سيقوم بهجوم على « سيمين » و تيجرى » بعد انتهاء موسم الامطار مباشرة(٩٢) . ولذلك فقد كتب نيجوشى الى نابوليون الثالث يطلب المساعدة :

« ارجو أن تصبح والدى وتعتبرنى ابنك . لقد وقف ضدى الآن ملك متمرد . ولما كان قد قضى على المسيحيين ، فارجو مساعدتى حسب درايتك اذا أمكن فى شهر أغسطس أو فى شهر سبتمبر . وحتى ذلك الحين سأنتظر » ، سوف أتحرك هنا وهناك . لقد اعتبرت أبونا يعقوب (دى جاكوبس) أبى ـ وعلاوة على ذلك لن أقوم بأى عمل ضد ارادتك(٩٣) » .

وليس هناك شك أن هذا الخطاب كتبه أثيوبى . لأن نوعية الورق والختم المستخدم لايدلان على أى مساعدة مباشرة من الأجانب ـ ونفس الشىء ينطبق على التوقع غير الواقعى لامكان وصول مساعدة عسكرية من أى نوع خلال شهرين أو ثلاثة وكذلك عدم ذكر أى شىء عن « الحماية » أو التخلى عن الشاطىء والسماح للارساليات الكاثوليكية بالسفر والعمل فى البلاد(٩٤) .

ومن ناحية أخرى فمن المؤكد أن الأسقف الكاثوليكى والمساعد الفرنسى كانا قد سبق أن قدما هذه المبادرة . وبعد مرور حوالى تسعة أشهر وصل مساعد القنصل « شوفان بيار » الى « مصوع » فى مايو ١٨٥٦ . وذكر فى رسالة له أنه تسلم مسئولية أرشيف القنصلية فى ١٧ مايو وقال أيضا أنه تم تنبيه نيجوشى الى نشاطات « بلاودن »(٩٥) . وعلاوة على ذلك ذهب حامل رسالة نيجوشى مباشرة الى « دى جاكوبس » الذى ارسل بدوره تقريرا بعد تسعة أيام من كتابة الرسالة أن الرئيس قد طلب اعتراف نابوليون وأن نائب القنصل وعد بارسال هذا الطلب بشرط أن يعد « نيجوشى » باعطاء

---

(٩١) FO ٤٠١ / ١ صفحات ٢٦٨ ، ٢٧٣ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٨ نوفمبر ، ١٥ ديسمبر ١٨٥٥ ، ٢٢ ابريل ١٨٥٦ ، « فوسيلا » تاودروس صفحة ٢٥ « لوجان » (تيودورالثانى) صفحة ٥٩ .

(٩٢) FO ٤٠١ /١ صفحات ٢٧٧ ، ٢٧٩ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٣ يونيو ، ١٥ اغسطس ١٨٥٦ (زيتى) تاودروس صفحة ٢٧ .

(٩٣) AECP « ماسوا » ٢ صفحة ١٠٧ « نيجوشى » الى نابوليون الثالث ٩ يونيو ١٨٥٦ النسخة الأمهرية . الترجمة الفرنسية (صفحة ١٠٦) ليست صحيحة تماما فى المضمون .

(٩٤) (راجع السابق صفحات ١٠٩ ـ ١٣ ، ١٢٥ ـ ٧ فى النص الانجليزى) .

(٩٥) AECP « مصوع » ٢ صفحات ٩٩ ـ ١٠٢ ، ١١٧ ـ ١٨ « بيار » الى « فالفسكى » ٣١ مايو ، ٢٧ يوليو ١٨٥٦ لوجان (« تيودور » الثانى) صفحات ٨٨ ـ ٩ .

الكاثوليك الحرية والحماية . ويمكن الادعاء بأن هذا الشرط تم تضمينه فى كل من الخطاب الموجه الى باريس (والذى لم يكن صحيحا) . وفى خطاب الى « دى جاكوبس » نفسه . ويتضح من ذلك من الذى كان وراء هذه المبادرة(٩٦) .

وفى الخطاب المرفق مع خطاب « نيجوشى » أورد ناب القنصل معلومات اضافية هامة : لقدأعطى « نيجوشى » الكاثوليك ملجأ واقترح ان يعلن « دى جاكوبس » « أبونى » على الحبشة كما أنه حث نائب القنصل ان يرفع علم فرنسا فى « تيجرى » وطالب بمعلمين لجيشه ومستشارين لنفسه(٩٧) واذا كان هذه العروض والطلبات قد تمتقديمها بالفعل من « نيجوشى » وفى هذه الحالة تكونغالبا قد قدمت شفويا ـ فانها تكون رد فعل لمقترحات ولشروط تم اقتراحها له . والبديل هو أن تكون من اختراع الأسقف أومن اختراع نائب القنصل(٩٨) أى ناقل هذه الرسالة .

ولم يقم الملك بغزو « سيمين » و « تيجرى » كما كان متوقعا . ولما كان الملك مشغولا بأمور أخرى ، فقد ترك الموقف هناك « لكاسا سيبا جاديس » ومحافظين آخرين مثل « دى جازهاتس هايلو تويلدى ميدهين » من هاماسين » والذى ارسل مرة أخرى لمقاطعته السابقة بعد سقوط « ويبى » . وقد ادت عودة « كاسا » الى « أجاى » بعد خمس عشرة سنة الى تجدد اضطهاد الكاثوليك هناك(٩٩) . ولكن خلال النصف الأول من عام ١٨٥٧ عزز نيجوشى قواته فى « تيجرى » وحتى « كاسا » ووصل الى اتفاق مع المتمرد المنتصر(١٠٠) . كانت هذه الفترة مليئة بالفوضى الشديدة

---

(٩٦) CML « ابرشية البعثة » (لازاريست) باريس « دى جاكوبس » رسائل مخطوطة المجلد الثانى رقم ٣٧١ فى ١٧ يونيو ١٨٥٦ . فى محاولة صريحة للدفاع عن « دى جاكوبس » ضد أى نقد محتمل لتورطه مرة أخرى فى السياسة وقد أكد « بيار » (AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٠٤ ـ ٥ الى « فالفسكى » ، ٣٠ يونيو ١٨٥٦) ، أكد ان الأسقف لا يعلم شيئا عن خطاب نيجوشى ولم يترجمه ـ انظر أيضا « لويجى فوسيلا » من السفارة الفرنسية الى نيجوشى (RSE دراسات اثيوبية) ٧ (١٨٤٨) صفحة ١٨٠ .

(٩٧) AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٠٤ ـ ٥ « بيار » الى « فالفسكى » ٣٠ يونيو ١٨٥٦ .

(٩٨) لم استطع معرفة حامل الرسالة أو المبعوث ولكن كل الدلائل تشير الى كاثوليكى قريب من « دى جاكوبس » . وهناك احتمال ان يكون « ابا امنيت ماريام » والذى أدى هذه المهمة عدة مرات من قبل علاقات لاقامة من هذا النوع والذى لعب دورا هاما فى المفاوضات التى جرت بعد ذلك . انظر CML ارسالية البعثة (مؤسسة لازاريست) باريس « دى جاكوبس » المجلة الحبشية ، المجلد الرابع صفحات ٦١ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٣٢ . المجلد الخامس صفحات ١٣٤ ، ١٣٨ . المجلد السادس صفحة ١ . أوأن يكون « دتبيرا كينفو » الذى ذكره « بلاودن » (FO ٤٠١ / ١ صفحات ٣٠٠ ، ٣٠٢ ـ ٣ الى « مالمسبرى » ٨ سبتمبر ، ١٨ نوفمبر ١٨٥٧) كأحد المهتدين الكاثوليك والصديق الحميم « لدى جاكوبس » لعدة سنوات ولكنه كان يعمل فى خدمة « نيجوشى » فى عام ١٨٥٧ .

(٩٩) FO ٤٠١ / ١ صفحات ٢٧٧ ، ٢٠٨ ـ ١ « بلاودن » الى « كلارندن » ٢٣ يونيو ، ٥ اكتوبر ١٨٥٦ ، AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٢٩ ـ ٣٠ ، ١٣٤ ـ ٥ « بيار » الى « فالفسكى » ٢٧ ديسمبر ١٨٥٦ ، ١٠ فبراير ، ٢٥ ابريل ١٨٥٧ ، CML « دى جاكوبس » المجلة الحبشية المجلد الخامس صفحات ١٢٤ ـ ٥ .

(١٠٠) CML « دى جاكوبس » المجلة الحبشية المجلد الخامس صفحة ١٣٤ AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٥١ ـ ٢ « بيار » الى « فالفسكى » ١٣ يوليو ١٨٥٧ .

وأغرب الاشاعات فى المنطقة الشمالية : مثلا أن تاودروس توفى أو أصبح مجنونا أو أن جيشه تخلى عنه ، أو أن « بلاودن » و « أبدنا » هما اللذان يحكمان البلاد بالفعل ، وأن جيشا مصريا مصحوبا ببعض الفرنسيين من بينهم « فرديناند دى ليسبس » قد وصلوا الى « جوندر »[١٠١] .

ومع أن « بيار » لم يصله أى رد من باريس فقد انتهز الفرصة لاشك بعد استشارة « دى جاكوبس » ـ لايفاد « ابايمينتو » الى معسكر « نيجوشى » حينما وصل الى « أجامى » فى مايو ١٨٥٧ ـ وبعد وجوده لمدة شهر فى « أجامى » أرسل تقريرا (بأن « نيجوشى » سيطر على كل « تيجرى » وأن « كاسا » كان يقاتل فى جيشه . ومع ذلك كان « نيجوشى » يمتلك من ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف بندقية فقط وهو يعتبر هذا عددا ضئيلا جدا اذا هاجمه تاودروس[١٠٢] .

وفى اغسطس أرسل « نيجوشى » وفدا الى « مصوع » لاعلان المحافظ التركى « بأنه الآن حاكم تيجرى » ولكى يسأل « بيار » عن رد الحكومة الفرنسية بشأن طلبه مساعدة عسكرية . ولما كان نائب القنصل محرجا لعدم تلقيه أى رد فقد أجاب على مسئوليته الخاصة بأن المساعدة قد ارسلت بالفعل وعليه أن يتصل بالجيش المصرى الذى يهدد الآن تاودروس من ناحية السودان[١٠٣] .

وقد رد « بيار » الزيارة فى شهر سبتمبر وكان بصحبته بعض القسس الأثيوبيين الكاثوليك وهدية متواضعة عبارة عن خمس عشر بندقية[١٠٤] . وكان يعتقد أن زياراته ستكون ذات قيمة كبيرة لنيجوشى كنوع من الاعتراف « بالملك الجديد » من قبل دولة اوروبية كبيرة أى (أن وجود قنصل بريطانى مع تاودروس يقابله وجود قنصل فرنسى مع نيجوشى) ولكن « بيار » كان يريد اكثر مما كان يحصل عليه « بلاودن » من « تاودروس » فقد كتب مرة ثانية بانه مطلوب منه رفع علم فرنسى فى « تيجرى » وأعطى وصفا مطولا لاجتماع مجلس نوقشت فيه معاهدة « على - بلاودن » ١٨٤٩ . وكان من المتفق عليه اولا ان هذه المعاهدة غير سارية ، على الأقل لأنها لم توقع حيث ان « على »

(١٠١) AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٢٧ ـ ٨ ، ١٤٧ ـ ٨ ، ١٥١ ـ ٢ ، ١٥٧ ـ ٨ « بيار » الى « فالفسكى » ١٦ نوفمبر ١٨٥٦ ، ٧ مايو ، ١٣ يوليو ، ١٠ سبتمبر ١٨٥٧ CML « دى جاكوبس » المجلة الحبشية المجلد الخامس صفحات ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٢ AECP (بروكسل) مصر ٢ زيزنيا « الى « فيلان » ١٩ يناير ١٨٥٧ .

(١٠٢) AECP « ماسوا » ٢ صفحات ١٥١ ـ ٢ « بيار » الى « فالفسكى » ١٣ يوليو ١٨٥٧ (CML) « دى جاكوبس » المجلة الحبشية المجلد الخامس صفحة ١٣٤ ، كان يبدو أن هناك تفاهما عميقا بين الأسقف ونائب القنصل فى ذلك الوقت (كرامى ، القس ، صفحات ١٠٠ ـ ١) واختيار منلوب أيضا يشير الى أن « دى جاكوبس » كان متورطا فى هذا الموضوع . ومع ذلك لم أجد أى دليل على انه قام بزيارة « نيجوشى » بنفسه خلال السنة الأولى من اتصالاتهما قارن FO ١/٤٠١ صفحات ١/٢٨٠ « بلاودن » الى « كلارندن » ٥ أكتوبر ١٨٥٦ .

(١٠٣) AECP « مصوع » ٢ صفحات ١٥٣ — ٤ « بيار » الى « فالفسكى » ٥ اغسطس ١٨٥٧ . انظر كذلك « لوجان » (تيودور) الثانى صفحات ٨٩ - ٩٠

(١٠٤) FO ١/٤٠١ صفحة ٢٩٦ « بارونى » الى « كموجلان » ١٨ سبتمبر ١٨٥٧ صفحات ٣٠١ - ٢ « بلاودن » الى « كلارندن » ١٥ نوفمبر ١٨٥٧ « فوسيللا » السفارة RSE (دراسات اثيوبية) السابع صفحة ١٨٠ « سابيتو » (اثيوبيا) صفحات ٣٢٤ - ٥ .

لم يكن يعرف الكتابة ، ثانيا أن « بلاودن » لم يكن قنصلا معتمدا بصفة منتظمة فى أى مكان فى اثيوبيا ثالثا ومهما كان وضع المعاهدة ووضع بلاودن ، فمن المسموح به اتخاذ اجراء ما ضد مبعوثية وعملائه فى « تيجرى » و« سيكون هذا فى صالح هذه المنطقة واذا صح القول سيسبب أيضا راحة كبيرة لكل البعثة الكاثوليكية ان لم يكن لكل الوكالة الفرنسية فى « مصوع » ولما كان « بيار » يعى جيدا أنه سيكون مثار انتقاد فى باريس بسبب اشتراكه فى تلك المناقشات ، فقد كتب فى تقريره أنه يؤيد الوضع الرسمى لزميله وأضاف « أن تدخل الأجنبى فى شئون الدولة لايغضب أحدا هنا » . لقد كان « بلاودن » محسودا ومكروها لأن تاودروس سمح له بالسيطرة على كل الأشخاص والأشياء[١٠٥] . وكان للبند الأخير « ثالثا » تأثيره المباشر . فقد تم القبض على أحد حاملى الحقائب التابعين « لبلاودن » فى « عدوة » وتم الاستيلاء على احدى عشرة رسالة وخطابا وتم فتحهم وارسالهم الى « بيار » للعلم والترجمة.

وقد أكد نائب القنصل لبارس أنه أعاد كل الرسائل كما كانت دون قراءتها ولكنه يعتقد أنه يعرف مضمونها[١٠٦]

ويبدو أن الروح السائدة فى مجلس « نيجوشى » كانت مختلفة تماما عما عهده « بلاودن » فى معاملاته مع تاودروس أو أن « بيار » كان قد تعرض لخداع من جانب القسس الكاثوليك الذين كانوا يصاحبونه ويقومون بالترجمة له ، لقد تردد أن تاودروس فقد كل شىء ما عدا بحيرة « تانا » مع جزيرتها التى كانت تكفى لحمايتها ثلاثة مدافع بريطانية ضد الرماح والأسلحة النارية ضعيفة المستوى لذلك فإن ما كان يحتاجه نيجوشى من فرنسا هو عدة مدافع « للتقدم نحو » ديميا « والاستيلاء على الجزيرة الشهيرة » . وكانت معظم تقارير « بيار » الطويلة فى هذا المستوى من السخف ولكنه رأى أيضا وكتب عن بعض نقاط الضعف فى موقف نيجوشى :

« جيش غير مدرب وغير منظم اطلاقا قوامه لايزيد عن أربعة آلاف من حملة البنادق وعشرة آلاف من حاملى الرماح وليس هناك حكومة منظمة للمناطق التابعة له »[١٠٧] .

ولم يكن لدى نائب القنصل الفرنسى مدفع ليقدمه واذا ما أمد نيجوشى بأسلحة صغيرة فقد كان هذا يتم على اساس تجارى لأنه لم يكن لديه تمويل[١٠٨] . ومع ذلك فقد استطاع أن يجند

(١٠٥) AECP « مصوع » ٢ صفحات ١٧٢ - ٨٠ « بيار » الى « فالفسكى » ١٩ أكتوبر ١٨٥٧ .

١٠٦ - نفس المرجع صفحة ١٨٧ « بيار » إلى فالفسكى ٧ نوفمبر ١٨٥٧ . ومن الطبيعى أن « بلاودن » استشاط غضبا ان أحد مبعوثيه وقع فى أيدى اعدائه فى سبتمبر ١٨٥٧ . وادعى ان المتهم هو « ديتيرا » كنفو ، وأن « دى جاكوبس » كان موجودا أثناء الحادث . ولكن هذا لايعنى بالضرورة أن الأسقف كان وراء الحادث . انظر المرجع السابق[٩٨] مع المصادر ، انظر ايضا ارشيف « شبيتلر » D٣/٢ « فلاد » الى « كرايف » ٢٦ اكتوبر ١٨٥٧ .

(١٠٧) AECP « مصوع » ٢ صفحة ١٨٧ بيار الى « فالفسكى » ٧ نوفمبر ١٨٥٧

(١٠٨) نفس المرجع صفحات ١٥٩ - ٤ ، ٢٥٢ - ٣ ، ٢٨١ بيار الى فالفسكى ٥ أغسطس ١٨٥٧ ، ٢٧ مايو ، ٢١ سبتمبر ١٨٥٨

بعض الأشخاص القادرين على صنع المدافع وارسلهم الى « نيجوشى » . ومن المحتمل أنه كانت لديهم القدرة على العمل فى ظروف مختلفة ولكنهم فشلوا فى صنعها تماما فى « تيجرى »(١٠٩) . وعلى الأقل فقد ترك واحد منهم العمل بعد فترة وجيزة وهو فرنسى يدعى « جوزيف ما كيرير » – وذهب الى « جوندر » وعرض مساعدة تاودروس بدلا من العمل مع نيجوشى(١١٠) ، ومع انه استمر يسخر ويهاجم اعداء « دى جاكوبس ونيجوشى وثالوث الاضطهاد تادرس وسيلاما وبلادون » (والرجل المجنون الذى مازال يسميه خمسة أو ستة من الانجليز الامبراطور تاودروس)(١١١) . فلم يعد « بيار » متحمسا لنيجوشى الذى اتهمه بالتردد والحماقة والجبن ، كما أنه لام « دى جاكوبس » ايضا لعدم تدريب الأمير الصغير على أن يصبح اكثر حسما وعند الضرورة قاسيا فى اداراته . وفى منتصف عام ١٨٥٨ كان هناك توتر واضح وعلنى بين الأسقف ونائب القنصل(١١٢) . فقد كانت اولويات الرجلين مختلفة . « فبيار » يهتم بالدرجة الاولى بسلامة التجارة فى « مصوع » وعلى الطرق المؤدية « لجوندر » . وكان حريصا على أن يرى « نيجوشى » يحطم تاودروس لأنه يعتقد أن ذلك يعنى تحطيم بلاودن ومساعدة بارونى(١١٣) ومن ناحية أخرى كان بيار يخشى من أن احتلال « هاماسين » بواسطة نيجوشى سيعجل بالهجوم على « مصوع » أو « أركيكو » اما بوساطة نيجوشى نفسه أو أحد المعينين من قبل تاودروس فى الشمال(١١٤) .

ولاشك انه كان قلقا أيضا بالنسبة لعدم الرد على مراسلاته الكثيرة منذ مايو ١٨٥٦(١١٥) وحينما قرر رؤساؤه فى باريس أخيرا الرد فى مايو ١٨٥٨ ، ابلغوا « بيار » بأنه لن يكون هناك أى استجابة لطلب « نيجوشى » للمساعدة » . وحذروا « بيار » من القيام بأى عمل الذى من شأنه أن يؤدى الى التزامات لنيجوشى فى صراعه ضد تاودروس ، كما أقروا موقفه المتحفظ الذى وضح فقط فى مراسلاته الأخيرة(١١٦) .

---

(١٠٩) نفس المرجع ، أعداد ٢٤٦ – ٢٤٧ من بيلارد إلى واليوسكى ، ٧ مايو ١٨٥٨ .

(١١٠) ارشيف شيتلر د٣/٩ « زالموللر » الى « شنيللر » فى ١٢ اكتوبر ١٨٥٩

(١١١) AECP« مصوع » ٢ صفحات ١٤٢ – ٥ ، ١٨٧ ، ٢٦٨ – ٧ « بيار » الى « فالفسكى » ٢٥ ابريل ، ٧ نوفمبر ١٨٥٧ ، ٧ مايو ١٨٥٨ .

(١١٢) نفس المرجع ، صفحات ٢٢٥ – ٦ ، ٢٤٦ – ٧ ، ٢٥٢ – ٣ ، ٢٧٣ – ٤ « بيار » الى « فالفسكى » ١٦ ابريل ، ٧ مايو ، ٢٧ مايو ، ١٦ أغسطس ٢٨٥٨ – BN (المكتبة القومية باريس) اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٩٢ « دى جاكوبس » الى « بيار » ٢٤ سبتمبر ١٨٥٨

(١١٣) AECC(مراسلات تجارية ارشيف وزارة الخارجية باريس) « مصوع » ١ صفحات ١٨٥ – ٦ ، ١٩٢ « بيار » الى « فالفسكى » ١٥ سبتمبر ١٨٥٧ ، ١٥ سبتمبر ١٨٥٨ ، AECP مراسلات سياسية للقناصل ارشيف وزارة الخارجية – باريس) « ماسوا » ٢ صفحات ٢٥٢ – ٣ ، ٢٧٢ – ٤ « بيار » الى « فالفسكى » ٢٧مايو ، ١٦ أغسطس ١٨٥٨ .

(١١٤) AECP« مصوع » ٢ صفحات ٢٢٥ – ٦ « بيار » الى فالفسكى « ١٦ ابريل ١٨٥٨ .

(١١٥) فى مايو ١٨٥٨ طلب من « فالفسكى » (نفس المرجع السابق صفحات ٢٥٢ – ٢٧٧٣ مايو ١٨٥٨) ولو كلمة واحدة فقط ردا على مكاتباته

(١١٦) AECP« مصوع » ٢ صفحات ٢٦٣ – ٥ « فالفسكى » الى « بيار » ١٤ مايو ١٨٥٨ انظر ايضا صفحات ٢٣٨ – ٤٥ « مذكرة للوزير بشأن الأوضاع فى الحبشة » ٥ مايو ١٨٥٨ .

وكان اهتمام « دى جاكوبس » الاساسى ينصب على سلامة رعيته فى شمال اثيوبيا والسماح له بمواصلة عمل بعثته فى « تيجرى » . وبالتالى فقد كان يفضل أن يرى « نيجوشى » يعزز موقفه ويوسع سيطرته حتى « هاماسين » (وربما الى « بوجوس ») بدلا من المخاطرة بكل شىء فى معركة لم يتم الاعداد لها بشكل كاف مع تاودروس . وكان هذا الاختلاف فيما يتعلق بالاهداف العاجلة أحد العوامل على الأقل وراء اتهام « بيار » بأن البعثة تمارس نشاطا سياسيا بصورة مستقلة(١١٧) .

ولم يتأثر « دى جاكوبس » ولا أى من المتحدثين بالنيابة عن الكنيسة الكاثوليكية بعدم الحماس لنيجوشى الذى كان واضحا فى « مصوع » وفى باريس ، وقد حاول « جوسيبى سابيتو » أحد رواد « اللازاريست » فى اثيوبيا ، حاول فى مذكرة مطولة من روما اثبات أن « نيجوشى » رجل سلام ومستعد لتقديم الولاء لتاودروس كتابع مخلص على شرط أن يتمتع بالحكم الذاتى فى « تيجرى » كما كان يفعل اسلافه . وقد حث « سابيتو » الحكومة الفرنسية أن تبلغ تاودروس بذلك وأن ترسل فى نفس الوقت بعثة الى نيجوشى مع بعض المدافع(١١٨) . وكان « دى جاكوبس » يريد ارسال بعثة من « تيجرى » الى روما وباريس ولكن « بيار » قاوم هذه الفكرة(١١٩) . وفى سبتمبر عام ١٨٥٨ حينما كان « بيار » يستعد لترك منصبه بدأ نوع من التفاهم بين الأسقف ونائب القنصل مرة ثانية ، وفى ٢١ سبتمبر لم يكن « بيار » متأكدا عما اذا كان يجب أن يقوم بزيارة نيجوشى قبل الرحيل(١٢٠) ، لقد رفض فى الحقيقة أن يفعل ذلك لمدة عام(١٢١) . وبعد ثلاثة ايام كتب « دى جاكوبس » طالبا مساعدته :

« ان المسألة تستفحل الآن وانا مضطر لابلاغك أننى رأيت الملك . انه تحت سيطرتى وسيطرتك وسيطرتنا جميعا . . . ولقد رحل أمس الى « هاماسين » وسيدعوك ان تتكرم وتزوره لكى تسدى اليه بنصائحك »(١٢٢) .

وبعد عشرة ايام ارسل « دى جاكوبس » تقريرا يقول بأن نائب القنصل قد قام بزيارة نيجوشى فى معسكره فى « هاماسين » وأقنعه بارسال سفراء الى نابوليون الثالث(١٢٣) . ومن المحتمل أن

---

(١١٧) نفس المرجع السابق صفحات ٢٧٣ – ٤ « بيار » الى « فالفسكى » ١٦ أغسطس ١٨٥٨

(١١٨) نفس المرجع السابق صفحات ٢٠٥ – ١٧ « عرض تاريخى للبعثات الكاثوليكية لارساليات لازاريست الفرنسية فى الحبشة قدمه مبعوث منهم للحصول على حماية ودية وفعالة من جلالة الامبراطور ٢٤ يناير ١٨٥٨ .

(١١٩) نفس المرجع صفحات ٢٤٦ – ٧ « بيار » الى « فالفسكى » ٧ مايو ١٨٥٨ ، « لوجان » (تيودور الثانى) صفحة ٩٢ وقد ابلغ ذلك « دى جاكوبس » لروما فى ديسمبر ١٨٥٧ انظر « كرامى » (القس) صفحات ١٠٢ – ٣

(١٢٠) AECP «مصوع» ٢ صفحة ٢٨١ «بيار» الى «فالفسكى» ٢١ سبتمبر ١٨٥٨

(١٢١) نفس المرجع صفحات ٢٧٣ – ٤ «بيار» الى «فالفسكى» ١٦ أغسطس ١٨٥٨

(١٢٢) BN (المكتبة القومية باريس) اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٩٢ « دى جاكوبس » الى « بيار » ٢٤ سبتمبر ١٨٥٨

(١٢٣) AECP(مراسلات سياسية للقناصل ارشيف وزارة الخارجية باريس) « ماسوا » ٢ صفحة ٢٨٢ « دى جاكوبس » الى فالفسكى ٤ اكتوبر ١٨٥٨ .

هجوما ناجحا وفجائيا من نيجوشى على « دى جازماتس هايلو » فى « هاماسين » هو الذى مهد الطريق للمقابلة ، وحينما استولى نيجوشى على « هاماسين » و « سيربى » أخذ يتطلع الى « مصوع » . وللأسف لم يقدم « بيار » تقريرا عن الاجتماع[١٢٤] وكان خطاب « دى جاكوبس » الى « بيار » يوضح بما لايدع مجالا للشك ان الاسقف ــ ولا أحد غيره ــ هو الذى دبر ومهد للاتفاق حول السفراء ، كما اشار الخطاب الى أن نيجوشى لم يكن واعيا لبعض آثار ذلك[١٢٥] .

وكان السفيران المرشحان هما « آبا اميتو » ، « وليج تاكاى » ابن عم « نيجوشى » ورافقهما مسافر فرنسى « يدعى » ليير دى لابيروس » كسكرتير ومترجم لهما[١٢٦] . وكان من المتفق عليه ان يتخلى عن عمله « لساريتو » بمجرد وصول الوفد الى روما[١٢٧] . واوضحت المذكرة المطولة التى كتبها الاسقف وحملها السفيران ، الدور الرئيسى الذى لعبه « دى جاكوبس » فى تلك المبادرة الدبلوماسية . وفى المذكرة اوضح الاسقف ، اولا ، ان كل المسافرين الاوربيين بدءا من « جوبات » الى « بلاودن » (واورد قائمة بستة عشر شخصا يعرفهم شخصيا) وكذلك كل نواب القناصل الفرنسيين بدءا من « ديجوتين » الى « بيار » اجمعوا على أن تطور الحبشة لن يحدث الا من خلال التقارب مع اوروبا ، ثانيا ، لقد أحس الاثيوبيون بأهمية ذلك على مدى التاريخ الاثيوبى كما أحسه الحكام الجدد مثل « زالى سيلاس » ، و « على » ، و « ويبى » وحتى تاودروس نفسه . وبعد هذه المقدمة الطويلة قدم « دى جاكوبس » الامير الشاب المنتصر « الملك نيجوشى » ، الذى اكتسب محبة حكام « شيوا » ، و « أمهرة » و « جوجام » ، كما انه أضاف بنفسه « ديمبيا » و « بيجمدير » للاقاليم التى ورثها عن عمه « ويبى » ، وأخيرا لخص الاسقف اهداف السفراء والتى

---

(١٢٤) « لوجان » (تيودور الثانى » صفحات ٩٥ ــ ٦ رحل « بيار » الى اوروبا فى الثانى من اكتوبر ويبدو أن « دى جاكوبس » علم بنتيجة المقابلة بواسطة « ايمنيتر » انظر CML (أبرشيه البعثة دار لازاريست باريس » دى جاكوبس « المجلة الحبشية المجلد الخامس صفحة ١٣٨ .

(١٢٥) ويؤكد « كرامى » (القس صفحات ١٠١ ــ ٤) أن « دى جاكوبس » كان معارضا الاشتراك فى هذه المفاوضات ــ ولاشك ان ذلك كان نتيجة مراسلات الاسقف مع اوروبا ــ انظر الى جانب ذلك « سابيتو » صفحة ٣٣٣ . ومع ذلك فقد اشترك بنشاط وهمة فى كل مراحل التفاوض وليس من المحتمل ان يكون قساوسته أو اتباعه الآخرون قد اشتركوا بهذه الفعالية دون موافقة أو تشجيع .

(١٢٦) AECP « مصوع » ٢ صفحات ٢٨٣ ــ ٦ « دى جاكوبس » (مذكرة حول البعثة المرسلة لصاحب الجلالة نابوليون الثالث امبراطور فرنسا من قبل نيجوشى ملك الحبشة فى ٢٦ اكتوبر ١٨٥٨) وفى خطابه الى « بيار » (BN اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٩٢) تحدث « دى جاكوبس » عن المبعوثين مسميا اياهما « قساوستنا الاثنان » ولم يعرف ما اذا كان « تاكاى » كان مصنفا على انه قسيس كاثوليكى أو أنه حل محل احد القسيسين اللذين تم اختيارهما . وعلى كل حال فقد كان بلاشك كاثوليكيا حيث ان « سابيتو » قدم « اميتو » على انه أبوه الروحى فى تقريره (البعثة المفوضة عام ١٨٦٩ من « نيجوشى » الى الحكومة الفرنسية BSGI (نشرة الجمعية الجغرافية الايطالية) السادس (١٨٧١) صفحات ٢٢ ــ ٧١ انظر كذلك « فوياس » وثيقة غير منشورة « آباسالوما » الاول صفحة ٥٧ .

(١٢٧) « فوسيلا » البعثة مجلة الدراسات الاثيوبية RSE السابع صفحة ١٨١ « لوجان » (تيودور الثانى) صفحة ٩٢ SRC — APF (الكتاب المشار اليهم فى المؤتمر ــ الارشيف الاعلامى ــ روما ٢ (قلب افريقيا) اثيوبيا ــ صفحة ٢٤٦ « دى جاكوبس » الى « سابيتو » اول ديسمبر ١٨٥٨ .

يرى ان تقوم بزيارة روما الى جانب باريس . وقد صدرت التعليمات للمبعوثين ان ينقلوا مشاعر « نيجوشى » من الصداقة والاحترام تجاه البابا ويعلنوا انه سيعتنق الكاثوليكية حالما تسمح الحالة السياسية بذلك دون تعريض السلام فى البلاد للخطر ، وفى الوقت الحاضر فانه يضمن للكاثوليك فى المناطق التابعة له حرية ممارسة العقيدة وتقلد المناصب .

وفى باريس سيعلنون رغبة « نيجوشى » فى اعتباره حليفا لفرنسا وكذلك استعداده للسماح للقناصل الفرنسيين برفع العلم الفرنسى فى بلاده . واذا ما رغبت الحكومة الفرنسية فى ابلاغه باهدافها التجارية والسياسية والاستراتيجية فى المنطقة فان « نيجوشى » سوف يعلن مقدما أيضا ، انه سيبذل قصارى جهده لتنفيذ رغبة الحكومة الفرنسية فى هذا الشأن . وفى مقابل ذلك كان على المبعوثين أن يطلبوا من الفرنسيين المساعدة فى الصراع القائم مع تاودروس بامداده بالاسلحة واذا أمكن وضع بعض الفرق الاضافية فى خدمة نيجوشى[١٢٨] .

وفى خطاب للامبراطور الفرنسى أعرب نيجوشى عن استعداده لقبول قناصل فرنسيين فى المناطق التابعة له . كما طلب المساعدة بصورة عامة وشرح للامبراطور انه يقاتل تاودروس لأن هذا « المتوحش المجنون » فرض عقيدة جديدة على الجميع[١٢٩] .

وهذا الخطاب والخطاب الموجه للبابا واللذان يمجدان العقيدة الكاثوليكية قد كتبهما غالبا « دى جاكوبس » بالنيابة عن نيجوشى[١٣٠] كما ارسلت خطابات اضافية مع المبعوثين يوم ٨ نوفمبر وجههما « دى جاكوبس » للبابا وللمقر الرئيسى للبعثة فى باريس لكى يبذلوا أقصى جهدهم لمساعدة المبعوثين[١٣١] .

---

(١٢٨) AECP « مصوع » ٢ ــ صفحات ٢٨٣ ــ ٦ « دى جاكوبس » (مذكرة) ٢٦ اكتوبر ١٨٥٨ مقتطفات مطولة فى « سابيتو » (اثيوبيا) صفحات ٣٣٢ ــ ٨ .

(١٢٩) « سابيتو » (اثيوبيا) صفحات ٣٣٩ ــ ٤٠ وهناك اشارة الى خطاب مخطوط من المرجع انه من نيجوشى فى مذكرة بمقر وزارة الخارجية الفرنسية فى ١٥ مارس ١٨٥٩ AECP « مصوع » ٢ صفحات ٣٠٩ ــ ١٠) وخطاب من نيجوشى أشير اليه أيضا فى مسودة رد « نابوليون » (AEDالأرشيف الدبلوماسى لوزارة الخارجية الفرنسية) بروتوكول G٤١ اثيوبيا ، ولكننى لم استطع العثور على أى أثر لهذا الخطاب غير النسخة الفرنسية فى مذكرات « سابيتو » المطبوعة .

(١٣٠) « سابيتو » (اثيوبيا) صفحات ٣٤٠ ــ ١ ارسل « دى جاكوبس » خطابا « لسابيتو » حين انتقد غموض خطاب نيجوشى يقول فيه « استمع الى لقد أخبرنى « نيجوشى » حينما قرر ارسال هذا الخطاب (خذ خاتمى ووقع على أى شىء تراه مناسبا ، لقد فتحت لك قلبى ويمكنك أن تترجم مابداخله للبابا »)

(١٣١) CML (أبرشيه البعثة ــ دار لازاريست ــ باريس ــ « دى جاكوبس » (مجلة الحبشة) العدد الخامس صفحة ١٣٨ خطابات مخطوطة المجلد الثانى رقم ٣٨٣ .

المانية) للمدفع أو مقابل منصب حاكم ولاية[١٣٨] . ومن غير المحتمل أن يكون « كيروان جويس » مثلا لمصالحه الاقتصادية فقط [١٣٩] . ومع ذلك فمن المفهوم أن يثار الحديث حول حملة صليبية كاثوليكية ضد تاودروس ، وفي الواقع فقد اعرب « دى جاكوبس » نفسه عن رغبته للذهاب لأوروبا والعمل على منافسة « الناسك بيتر » وذلك فى مذكرة له حول بعثة نيجوشى ارسلها لباريس[١٤٠] . وقد زادت الاشاعات والتقارير عن الأوروبيين الذين يفدون للعمل كمعلمين فى جيش نيجوشى من احتمال عدم تأجيل تاودروس لحملته المتوقعة منذ أمد طويل - وبالنسبة لنيجوشى الذى كان يحكم « تيجرى » وهو اقليم كان يهيمن عليه اعداء الكاثوليكية ، اصبح هذا الاحتمال قائما[١٤١] .

---

(١٣٨)ADENسجلات الرئاسة عدن (الآن توجد فى مكتبة المكتب الهندى فى لندن)٢٨٦AIA « بارونى » الى « كوجلان » ١٦ ابريل ، ٢٠ابريل ، ٢٤ ابريل ، ٢٨ ابريل ، ٢٨ اغسطس ، ٥ ديسمبر ، ١٧ ديسمبر ١٨٥٩ FO٤٠١/١ صفحات ٣٣١ - ٢ « بارونى » الى « بلاودن » ٨ مايو ١٨٥٩ - آى او (مكتبة المكتب الهندى والسجلات - لندن) خطابات سرية من عدن ٣٧ صفحات ١٧٩ - ٨ « كوجلان » الى « اندرسون » اول يوليو ١٨٥٩ . حول ملخص « لاندرسون » ٣ مايو ١٨٥٩ (نفس المرجع صفحات ١٠١ - ٧ ، FO٤٠١ / ١ صفحات ٣٢٣ - ٥) وحول خطابات « بارونى » فى ابريل دون أحدهم التالى : هذه رواية متطرفة ولكنها تستحق ارسالها الى F.O(وزارة الخارجية) ونظرا للارباح السريعة فمن المحتمل ان يكون « بارونى » قد مارس بعض العمليات التجارية السرية مع « نيجوشى » نفسه . أنظرFO ١١/١ صفحات ٢٥ - ٦ « جويس » الى « راسل » ٦ فبراير ١٨٦٠ .

(١٣٩)آى أو خطابات سرية من « عدن » ٣٧ صفحات ٢٦١ - ٣ « كوجلان » الى « اندرسون » ٨ اكتوبر ١٨٥٩ ، كان الشخص الايرلندى بارعا فى استخدام المدافع فى الهند ومترجما فى القرم ورئيس البوليس السرى فى مصر لنفس المرجع ١٠١ - ٧) وفى عدن أعرب عن قلقه بشأن مسألة تاودروس واكد « كوجلان » (نفس المرجع صفحات ١٧٣ - ٤) اكد « لاندرسون » فى ٢١ يونيو ١٨٥٩ انه لم يكن متأكدا لأى جانب ينتمى « جويس » ولكن بعد بضعة أشهر (AIA- ADEN ٢٨٦ الى اندرسون ٢٦ نوفمبر ١٨٥٩) روى ان « جويس » قام بتهريب اسلحة من الجمارك فى أمتعة نائب القنصل « جلبرت » وارسلها لمعسكر « نيجوشى » وفى عام ١٨٦٣ ظهر « جويس » فى وزارة الخارجية متهما « بلاودن » باللاأخلاقية كما اتهم « بارونى » بأنه باع مراسلات القنصل الى « الذين يسمونهم القس الفرنسيين » . ومن المحتمل أن يكون ذلك صحيحا - وجاء من القاهرة عن سجله التالى : أنه مفلس هارب اتهم أخيرا وحكم عليه بالسجن ستة اشهر لخطفة بالقوة فتاة مراهقة . « انه ليس مجنونا وليس غبيا ولكنه رجل خطر » (اف او ١١/١ صفحات ١٨٧ - ٩٠ مذكرات ١٧ مايو الى ١٨ يونيو ١٨٦٣ صفحة ٢٦٠ « كولكوهون » الى « هيرسلت » ١٣ يوليو ١٨٦٣) وفيما بعد تصرف « جيرهارد على انه القنصل الاول للنمسا فى « ماساوا » (اف أو ١/٤٠١ صفحات ٤٠٥ - ٦ « بارونى » الى « بلاى فير » ٢٠ سبتمبر ١٨٦١) .

(١٤٠)AECP « مصوع » ٢ صفحات ٢٨٣ - ٦ « مذكرة » ٢٦ اكتوبر ١٨٥٨

(١٤١) وحول التعليمات العسكرية انظر مثلا IOخطابات سرية من عدن ٣٧ صفحات ١٢٥ - ٦ « كوجلان » الى « اندرسون » ٦ يونيو ١٨٥٩ وبشأن الكاثوليكية « ستانسلاس روسيل » بعثة الى الحبشة وفى البحر الاحمر ٢٣ اكتوبر - ٧ مايو ١٨٦٠ (باريس ١٨٨٤) صفحة AIA ADE N١٢٤ ٢٨٦ « بارونى » الى « كوجلان » ٢٤ ابريل ١٨٥٩ . يصف « بارونى » محاولة غير موفقة قام بها بعض القس الكاثوليك للاستقرار فى « عدوا » فى ابريل ١٨٥٩ . وبقى « دى جاكوبس » فى « هالاى » وزملاؤه فى « بوجوس » وليس هناك دليل على أن البعثة كسبت أى مهتدين او اصدقاء فيما عدا بمناطق الحدود فى « اكيلى جوزاى » وبوجوس وه مينسا » انظر أيضا « كرامى » القس صفحة ١٠٧ . وكان رأى « مارستون » (دور بريطانيا الرئيسى صفحات ٢٤٦ - ٧) بأن موت « بلاودن » وه بيل » « لعب دورا هاما فى قرار تاودروس بالهجوم ، كان هذا الرأى خاطئا . حتى لو كان السبب الوحيد أنهما مازلا أحياء .

الأمير نفسه » أنه سيسعد لو استطاع توقيعها مع الحكومة » . وبعد يومين ارسل خطابا تفسيريا أكد فيه أن نيجوشى « مستعد للتوقيع وتنفيذ كل شروط المعاهدة المرفقة » ، وأضاف أن الأمير لن يرفض التخلى عن منطقة بجوار ميناء « اندادا » (بين « زوللا » و « أنفيلا ») فى مقابل ٣٠٠ ـ ٤٠٠ جندى اوروبى أو اذا أمكن مقابل عدة بنادق ومدافع . ولكن موافقة « نيجوشى » المكتوبة كانت غامضة . فبدلا من كتابة « اننا نوافق على كل ماجاء فى الاقتراح أعلاه واننا مستعدون لتوقيع المعاهدة المشار اليها فورا » كتب : لقد أسعدنى معرفة ان كل ما ترغبون فى تحقيقه هو ان تقيم حلفا وديا وأن تعقد ميثاقا تجاريا متكاملا ، وأرجو ان ترسل نائبك فوراً للتوقيع على هذا الميثاق »[١٣٦] ولم تكن هناك أية اشارة الى عمل البعثة الكاثوليكية ولا أى تنويه عن طلب مساعدة عسكرية أو عرض اراض . وكان « بادرستيلا » والتاجر الايطالى و « انتونيوزيزو » الذى كان سيصبح قنصلا ، قد حثا حكومة سردينيا بأن تركز على المطالبة ـ فى الحقيقة ـ بالمقاطعة الهامة « هاماسين » ولا أقل من ذلك[١٣٧] .

وعرف من بين المهتمين « بمصوع » للاثراء السريع ، بعض مهربى السلاح والمغامرين ، وكان قائدهم ايرلندى يدعى « كيروان جويس » ونمساوى يدعى « برنار جرهارد » . ولقد تحدث « بارونى » فى تقاريره الاولى فى ابريل عن منظمة كاثوليكية ضخمة مهمتها شن حرب مقدسة ضد تاودروس ، كما تحدث عن شحنات اسلحة على ظهر السفن عددها يتراوح بين ١٠ آلاف ، ٢٠ ألف بندقية ، ومع ذلك فقد اعترف « بارونى » انه لايستطيع أن يجزم بصحة مارواه القادمون الجدد لأصدقائهم - وهناك روايات تتضمن ارقاما أقل من ذلك . ولكنها اكثر تأكيدا للاسلحة والذخائر التى بيعت بالفعل وسلمت لنيجوشى تردد أحيانا ان عددها ٤٥٠ بندقية وأحيانا قيل أنها ٧٠٠ بندقية ولكن لم يكن هناك أدنى شك بوعود بالمزيد من الاسلحة بما فيها المدافع ٧٥٠ طالر (عملة فضية

---

(١٣٦) ASMAI(الارشيف التاريخى لوزارة الخارجية ـ روما) ١/٣٦ ـ ١ اتفاقية الصداقة والتجارة ، ١٠ فبراير ١٨٥٩ نيجوشى الى « فيكتور ايمانويل الثانى » ١٠ فبراير ١٨٥٩ ، ليون دى أفانشير الى كافور ، ١٢ فبراير ١٨٥٩ . هذه الوثائق تم طبعها فى (AP.D.D مراسيم برلمانية = وثائق دبلوماسية) ١٨٨٩ ـ ٩٠ الخامس عشر صفحات ٨ ـ ١١ انظر « روبرتو باتاليا » ـ الحرب الاولى فى افريقيا » (تورينو ١٨٥٨) صفحات ٥٨ ـ ٦٦ تحليل دقيق للمحاولة الاولى الايطالية للحصول على موقع على شاطىء البحر الاحمر وفى اثيوبيا ـ وقد أكد « باتاليا » (صفحة ٦٣) ان الارسالية كانت مشتركة فى اثارة لبس متعمد ، بينما تحدث « فوسيلا » (البعثة ، RSE (مجلة الدراسات الاثيوبية) السابع صفحة ١٧٦ وكذلك « جوجليو » (اثيوبيا ـ البحر الاحمر المجلد الاول صفحة ٥٦) تحدث عن « عرض اراض » وطلب مساعدة عسكرية كحقائق حدثت بالفعل وكذلك « كرامى » (القسيس ـ صفحة ١٠٥) اشار الى المعاهدة كأنها وقعت بالفعل .

(١٣٧)(١٨٨٩A.P.D.D مراسيم برلمانية - وثائق دبلوماسية) ٩٠ الخامس صفحات ١٥ - ١٧ « ستيللا » الى « كافور » ٣ اكتوبر ١٨٥٩ . صفحات ١٧ - ١٩ « ريزو » الى « كافور » ٩ اكتوبر ١٨٥٩ عدن ٢٨٦AIA « بارونى » الى « كوجلان » ٢٤ ابريل ١٨٥٩ .

وقد سلم المبعوثين رسائلهم فى روما للبابا وتلقوا عند عودتهم من باريس ردا بابويا موجها « لنيجوشى » . ولكن « دى جاكوبس » لم يسلمه هذا الرد لأنه لم يقتنع بما جاء فيه من وجهة نظر علاقاته بنيجوشى[١٣٢] .

وفى باريس استمع اليهم نابوليون الثالث ولكن بالرجوع لرد الامبراطور على نيجوشى يتضح انهم لم يتلقوا الا تشجيعا محدودا[١٣٣] وفى محاولة الاثارة المزيد من الاهتمام أعلن « سابيتو » ان « نيجوشى » بالاضافة لتنازلات اخرى مستعد للتخلى عن اراض على الشاطىء لفرنسا لكى تتمكن من الاستفادة من الثروة الضخمة للبلاد ومنع البريطانيين من السيطرة على البحر الاحمر . واقترح معاهدة مع نيجوشى يمكن بمقتضاها ايفاد قنصل الى الحبشة بكل امتيازات القناصل فى الشرق ، على أن تتضمن المعاهدة التخلى عن « زوللا » ومن الممكن أيضا « راسى دومارا » مع تعهد نيجوشى بتحويل سير قوافل التجارة الى الميناء الفرنسى وانزال من ٥٠٠ — ٦٠٠ شخص لتنصيب القنصل فى « عدوة » ، وأخيرا مساعدة نيجوشى عسكريا[١٣٤] .

ولم يكن هناك أية اشارة الى أن « تاكانى » و « ايمتو » تم منحهما سلطة التخلى عن اراض . ولكن مما لاشك فيه أن « أيمتو » قد أبلغة اقتراحات « سابيتو » بهذا الشأن ، وأنه قد أبلغها بدوره لنيجوشى عند عودته لاثيوبيا فى شهر سبتمبر ١٨٥٩[١٣٥] .

وفى هذه الأثناء اتصل عدة أشخاص بنيجوشى من الذين كانوا يريدون حماية الكاثوليك أو ضمان مزايا تجارية وسياسية أو تقديم اسلحة أو مرتزقة ، وفى فبراير عام ١٨٥٩ قدم المبشر « ليون دى آفارنشير » بالنيابة عن حكومة سردينيا قدم لنيجوشى مسودة معاهدة تضمن حرية العقيدة للاوروبيين والاثيوبيين الكاثوليك داخل المناطق التابعة لنيجوشى ، كما تضمنت مسودة المعاهدة اقامة تمثيل قنصلى متبادل ومزايا تجارية . ومن الصعب معرفة الى أى حد وصل « آفانشير » فى مفاوضاته . وفى نهاية المسودة أضاف ووقع « عقدت فى معسكر . . . . . . » مشيرا أنه تلقى ردا من

(١٣٢) فوسيلا « البعثة » RES (مجلة الدراسات الاثيوبية) المجلد السابع صفحات ١٨١-٢ AECP « ماسوا » ٢ صفحات ٣٤٣، ٦ « جلبرت » الى « فالفسكى » ٢٠ ديسمبر ١٨٥٩ - وفى مرجع : (تيودور الثانى) صفحة ٩٢ . قال « لوجان » (ان الخطاب كان متحفظا ولا يعطى الا الانطباع الخداع غير المفهوم) .

(١٣٣) AED بروتوكول ٤١ (نابوليون الثالث) إلى « نيجوشى مسودة غير مؤرخة .

(١٣٤) AECP « ماسوا » ٢ صفحات ٣١٣ — ٢٠ « سابيتو » الى « نابوليون الثالث » ١٠ ابريل ١٨٥٩ .

(١٣٥) نفس المرجع صفحة ٣٣٣ نيجوشى « لنابوليون الثالث » اول نوفمبر ١٨٥٩ النسخة الامهرية صفحات ٣٣١ — ٢ ترجمة فرنسية مصدق عليها من « جلبرت » . وتاريخ هذا المستند غير واضح ، فالأصل مؤرخ بالتقويم الجريجورى اول هيدار (نوفمبر) ١٨٥٩ (= ٢٢ تيكمت ١٨٥٢ E.C (التقويم الاثيوبى) وفى التقويم الاثيوبى ٢٤ تيكمت ١٨٥١ = (٢ نوفمبر ١٨٥٨) ربما يفسر تحويل التقويم الجريجورى الى التقويم الاثيوبى بصورة غير متقنة ، الخطأ فيما يتعلق بالسنة فمن الأفضل اعتبار التاريخ الجريجورى — مع انه مدون بالامهرى ، على انه التاريخ الصحيح ، ٢٤ تيكمت ١٨٥٢ هو بالفعل ٣ نوفمبر ١٨٥٩ . وفى الترجمة الفرنسية كان التاريخ ٢٠ اكتوبر ١٨٥٩ وهو ١٠ تيكمت وليس ٩ تيكمت كما ورد فى الوثيقة . وحول عودة « ايمتو » انظر ADEN(وثائق الرئاسة عدن وهى موجودة الأن فى مكتبة المكتب الهندى فى لندن) ٢٨٦AIA « باروني » الى « كوجلان » ٢٤ سبتمبر ١٨٥٩ — لقد مات « تاكانى » حينما غرقت الباخرة التى كان يبحر فيها .

ولم تكن نتائج ارسال البعثة لنابوليون الثالث تبعث على التفاؤل . وفى الأغلب فان رد نابليون الذى لا يحمل أى التزام لم يتم تسليمه[١٤٢] . ومع ذلك فقد سلم نيجوشى مبعوثيه « تاكاى » و « ايمتو » تمويلا لشراء اسلحة من اوروبا . وكان هذا من وجهة نظره هو بالتأكيد السبب الرئيسى للبعثة . ولكن هذه الأسلحة كان قد تم الاستيلاء عليها فى السويس امام القنصل الفرنسى شخصيا . وكان اول طلب يقدمه نيجوشى لنائب القنصل الجديد فى مصوع « يتودرو جلبرت » هو محاولة الافراج عن الشحنة حتى تصل الى « مصوع » . ولكنه لم يتسلم هذه الاسلحة وفيما بعد اتهم نائب القنصل بأنه سلمهم لاصدقائه ومعاونيه[١٤٣] . ان الاتجاه الاساسى فيما يبدو كان عدم السماح لأى حاكم اثيوبى بشراء أية اسلحة الا من خلال مهربى الاسلحة المحليين .

وطبقا لتقارير « ايمينتو » عما تم التباحث بشأنه مع الحكومة الفرنسية ، قرر نيجوشى ان يوضح موقفه كالتالى :

(« ارجو أن تراعى حرية بلادى وان تساعدنى فى ادخال حركة التنوير وأن تقوم بحمايتى من الوقوع فى ايدى المحتال تاودروس - ولكى يتحقق ذلك هناك امران هامان اولا اذا ارسلت لى مساعدك للاهتمام بكل شىء كما طلبت منك من قبل فسأحميه فى بلادى كما أحمى نفسى . وسأرفع علم فرنسا . ثانيا ما احتاجه هو اثنان من مدافع البنادق مع طاقمهما ، وفى مقابل ما تقدمه لى وما ستقدمه لبلادى بالاشتراك فى المناطق البحرية عند قناة السويس سأقدم لك « زوللا » والتى تسمى « راس دومارا »)[١٤٤] ، وفى الترجمة الفرنسية لهذه الوثيقة والتى صدق عليها « جلبرت » ، كان هناك تركيز اكثر على الطموحات الشريرة للبريطانيين فى اثيوبيا : لقد اشترى البريطانيون تاودروس . بينما حاول « بلاودن » ولمدة خمسة عشرة عاما دون جدوى السماح بالموافقة على رفع العلم البريطانى على « جندر » (وهو ما يتعارض بالطبع مع التصريح بأن تاودروس لم يكن الا أداة بريطانية) وأخيرا فان الدعوى القائلة بأن نيجوشى كاثوليكى والتى تضمنتها عبارة « كينستا المقدسة » لم ترد فى أصل الوثيقة الامهرية[١٤٥] . وفى الخطاب المرفق ركز « جلبرت » على هذه

(١٤٢) AED(بروتوكول ٢) ٤١ « نابوليون الثالث » الى نيجوشى مسودة غير مؤرخة . وعدم ذكر نيجوشى لأى خطاب دليل قاطع على انه لم يتسلمه . ومن المحتمل ان يكون « دى جاكوبس » وقد احتفظ به لنفسه كما فعل فى خطاب البابا - لقد تسلم الاسقف فقط رد مجاملة من باريس(AECP« مصوع » ٢ صفحة ٣٢١) .

(١٤٣)BN اثيوبيا ١٨٤ ، صفحة ٨٦ « نيجوشى » الى « جلبرت » ٢ نوفمبر ١٨٥٩AEMDافريقيا ٦١ صفحة ٥٠ نيجوشى الى « نابوليون الثالث » ٢٢ أغسطس ١٨٦٠ .

(١٤٤) AECP« ماسوا » ٢ صفحة ٣٣٣ « نيجوشى » الى نابوليون الثالث « أول نوفمبر ١٨٥٩ النسخة الامهرية - « زوللا » لم تكن تسمى « راس دومارا » وكانت العبارة (راس دومارا يميال زوللان) وهذا يعنى ان « ايمتو » و « نيجوشى » قد أساءا فهم الطلب الفرنسى «لاحدى» هاتين المنطقتين .

(١٤٥) نفس المرجع السابق صفحات ٣٣١ - ٢ وتشير هذه الاختلافات ان الخطاب الامهرى لم يقدم فى « مصوع » بواسطة « ايميتو » ولا « جلبرت » ولا « دى جاكوبس » . وربما يشير التاريخ الاسبق للترجمة (انظر هامش ١٣٥) الى انه كان هناك اتفاق مسبق بين الثلاثة حول محتويات الخطاب وان « جلبرت » لم يهتم بتغيير التاريخ أو الكلمات اما لأنه يكن يعلم بالتغيير أو لاعتقاده بأن نسخته هى الأفضل .

المسائل : « لقد حاول » بلاودن « عدة مرات ان يقنع نيجوشى بالتخلى عن موضوع فرنسا ولكن نيجوشى ظل وفيا لمستشاره « دى جاكويس » والذى عينه بمرسوم ملكى « أبونا الكبير » على اقليمى « سيمين » و « تيجرى » - ولا يوجد دليل على صحة ذلك . وحين ابلغ « جلبرت » حكومته بهذا ، اقترح بأن ترسل الحكومة نوعا من الرد تعبر فيه عن العرفان وبعض الوعود الطيبة حتى لو لم يكن فى نية الحكومة مساعدة نيجوشى ، والا فانه سيقبل من بريطانيا ما لم يحصل عليه من فرنسا[١٤٦] . وتم ارسال بعثة للتأكد من عدم حدوث هذا مستقبلا .

ولقد ارسل الكونت « ستانسلا راسل » تحت رعاية وزارة شئون الجزائر والمستعمرات[١٤٧] . وكان واضحا من التعليمات التى لديه أن البعثة استكشافية ، وان عليه أن يتجنب كلما أمكنه ذلك اى نوع مهما كان من الالتزام نحو حكومته ، وكان متوقعا ان يؤكد ان رحلته غير رسمية وان يبلغ مساعدى القنصلية بالهدف من رحلته فقط فى « حالة الضرورة القصوى » . وكان الهدف هو اكتشاف الشاطىء الافريقى للبحر الاحمر وجمع بيانات سليمة عن المزايا السياسية والبحرية والتجارية للمناطق المختلفة بدءا من « مصوع » الى خليج « تاجورا » فى حالة اقامة علاقات فرنسية مع الحبشة ، وبصفة خاصة امكانية تجنيد عمال للمستعمرة الفرنسية « ريونيون » . وكانت الاشارة الوحيدة « لنيجوشى » الواردة فى التعليمات انه قد طالب « مع دى جاكويس كوسيط » بمحمية فرنسية[١٤٨] .

وحين وصل الى « مصوع » فى ١١ ديسمبر ، وجد « راسل » « دى جاكويس » و« ايمينتو » فى انتظاره . وذهب رسول الى معسكر نيجوشى فى « هاوزن » لابلاغه بوصول البعثة بينما واصل « راسل » مسيرته لاستكشاف « ديزى » و« زوللا » ، وعاد الرسول يوم ٢٨ ديسمبر وفى اليوم التالى غادر « راسل » « زوللا » بصاحبه « سابيتو » وايميتو وحرس أوروبى مكون من عشرة جنود وبحرية

---

(١٤٦) AECP « مصوع » ٢ صفحات ٣٢٥ - ٣٠ « جلبرت » الى « فالفسكى » ١٨ فبراير ١٨٥٩ .

(١٤٧) هناك ثلاث روايات منشورة لاشخاص كانوا متصلين أو قريبين من البعثة : « ستلانسلاس راسل « بعثة » « جوسيبى سابيتو » البعثة BSGI(نشرة الجمعية الجغرافية الايطالية) ٦ صفحات ٢٢ - ٧١ (انظر أيضا « اثيوبيا » صفحات ٣٤٦ - ٦٣) « وأبا تيكل هايمانوت » وقد نشرها « فوسيللا » فى (البعثة) RSE(مجلة الدراسات الاثيوبية) السابع صفحات ١٧٦ - ٩١ - انظر « فالكوت(« مسافرون ») RFHO(المجلة الفرنسية لتاريخ البحر الأحمر) ٥٨ صفحات ٣١٣ - ٢١ - حول الانشطة الفرنسية الأخرى فى البحر الأحمر فى عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩ وكذلك عن اختلاف وجهات النظر بين الوزارات المعنية .

(١٤٨)SOM(ارشيف وزارة فرنسا لما وراء البحار - الارشيف القومى - قسم ماوراء البحار باريس) المحيط الهندى ١٩/١٠٤ « شاسلوب - لوبا » الى « راسل » ١٣ اكتوبر ١٨٥٩ ونشر مع بعض الحذف الهام فى « راسل » « بعثة صفحات ٢٦٣ - ٦ ولعل غرابة محاولة ان تظل البعثة سرية قد ظهرت حين استطاع « بارونى » ان يبلغ عدن AIA ADEN(٢٨٦ ، الى « كوجلان » ٧ اكتوبر ١٨٥٩) بأنه من المنتظر وصول بعثة حتى قبل ان يتلقى « راسل » تعليماته .

وكان من المفروض ان يلحق بهم دى جاكويس من هالاى[١٤٩] وبدلا من ذلك اصبح اعضاء البعثة ضيوفا عليه لمدة تزيد عن شهر - فقد وصل « راسل » متأخرا جدا . وأخيرا شن تاودروس هجومه .

وفى أول يناير ١٨٦٠ حينما كثرت الشائعات فى هالاى عن معركة وشيكة على « تيكيزى » عن تراجع تاودروس ، كان الملك قد وصل الى « هاوزن » بالفعل[١٥٠] . وتقوضت فورا مساعدة « نيجوشى » ، لقد فرت قواته باعداد ضخمة حتى انه اضطر الى ترك كميات كبيرة من الذخيرة عند تراجعه اولا الى الشمال حتى « سيرابى » ثم الى الغرب والجنوب حتى يجد ملجأ فى « سيمين »[١٥١] .

ولم يتعد تاودروس « عدوة » بنفسه ولكن محافظى المناطق ورؤساء آخرين اعلنوا انضمامهم له بما فيهم بعض المناطق المجاورة « لهالاى » . وفى أوائل فبراير حوصر مقر البعثة حيث يوجد « راسل » الذى كان يصر قبل ذلك بعدة اسابيع على ان يرسل له نيجوشى مرافقا مع « دى جازماتسى » لكى يظهر له قيمة سفير فرنسا[١٥٢] ، وبدلا من ذلك كان سيتم اقتياده بالقوة لتاودروس نفسه . ولانقاذ الموقف وعد « دى جاكويس » ان يكون الضامن لاعضاء البعثة . وتم تخفيف مراقبتهم ، واثناء ليل ٨ فبراير تسلل « راسل » وهرب تاركا « دى جاكويس » يواجه النتائج[١٥٣] .

---

(١٤٩) «راسل » (بعثة) صفحات ١١ - ٤٤ « فى اماكن مختلفة » وفى صفحات ٢٦٨ - ٧ خطاب « راسل » الى شاسلوب « ٢٨ ديسمبر ١٨٥٩ « سابيتو » (« البعثة ») BSGI(نشرة الجمعية الجغرافية الايطالية) ٦ . صفحات ٢٣ - ٤ .

(١٥٠) « راسل » (بعثة) صفحات ٧٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٨ ، ٢٧١ AIA ADEN ٢٨٦ . « بارونى » الى « كوجلان » ٢٠ يناير ١٨٦٠ مع نسخة من « بيل »ارسلها « هاوزن » الى « بارونى » اول يناير ١٨٦٠ .

(١٥١) « زينب » (تاودروس صفحة ٤٧) « ويلدى ماريام » (تاودروس صفحات ٢٣ ـ ٤) ، ومؤرخون للاحداث مجهولون (« فوسيللا » : تاودروس صفحة ٢٥ ») لقد نقل كل هؤلاء الشعور بأن جنود « نيجوشى » كانوا فقراء وان تراجعه كان مشتتا ، انظر أيضا AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٥ ـ ١٦ « جلبرت » الى « فالفسكى » ٥ فبراير ١٨٦٠ FO ٤٠١ / ١ صفحات ٣٥٤ ـ ٥ « بلاودن » الى « راسل » ٣ فبراير ١٨٦٠ ليجان « (تيودور الثانى) صفحات ٩٦ـ٧ .

(١٥٢) « راسل » « بعثة » صفحات ٤٩ ، ١١١ فوسيللا « البعثة » RSE السابع صفحة ١٨٥ .

(١٥٣) AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٧ ـ ٢١ « جلبرت » الى « فالفسكى » ٢٨ فبراير ١٨٦٠ صفحات ٢٢ ـ ٣ « راسل » الى « جلبرت » ١٢ فبراير ١٨٦٠ SOM ١٩ / ١٠٤ « راسل » الى « شاسلوبلوبا » ١٥ فبراير ١٨٦٠ مطبوع فى « بعثة » صفحات ٢٧٧ ـ ٨٣ مع بعض التغييرات الجوهرية AIA ADEN ٢٨٦ « بارونى » الى « كوجلان » ١٥ فبراير ١٨٦٠ جوليات ٢٦ (١٨٦١) صفحات ٦٢ ـ ٧٥ « ديلمونت » الى « جارينى » ١٤ فبراير ١٨٦٠ ، « فوسيللا » « البعثة » RSE الثانية صفحات ١٨٦ ـ ٩١ السرد الطويل والمفصل لمذكرات « راسل » (بعثة : صفحات ١٤٠ ـ ٧٥) متناقض مع بقية المصادر بما فيه خطاباته نفسها (صفحات ٢٦٨ ـ ٩٣) تشوهها محاولاته الواضحة للغاية لتغطية غير المشرفة لهروبه ، ولكن تفاصيل هذا الجزء من البعثة يجب ان يحذف هنا .

وكانت التعليمات التى تلقاها « راسل » بعدم الظهور كممثل رسمى لفرنسا واضحة جدا . ولكن حقيقة حمله بعض الهدايا « لملك تيجرى » وهى عبارة عن مسدس وبندقية وأشياء أخرى صغيرة تساوى كلها حوالى الفى فرنك ، هذه الهدايا كانت تعنى انه سيقابل نيجوشى[١٥٤] وانه لم يتردد فى محاولة ذلك كما يبدو على الأقل . وحينما فشل وعاد الى « مصوع » بالهدايا اخذ يلوم « نيجوشى » الذى لم يرسل مرافقا . وبعد ذلك امتنع عن عمد عن المقابلة بالانسحاب حينما كانا على مسافة يومين من بعضهما البعض[١٥٥] . ولكن « راسل » رأى انه من الضرورى اعتبار البعثة نجاحا كبيرا . وبعد ذلك ألمح الى ان رحلته داخل البلاد لم تكن ضرورية طالما احتاط نيجوشى وارسل مفوضه « آبا ايميتو » ومعه معاهدات جاهزة تماما ومعه خاتمه لكى يقابله فى « مصوع » باسرع ما يمكن فى اكتوبر[١٥٦] . ولكن جاء هذا الادراك متأخرا .

وقد بدأ « راسل » يشير الى المفاوضات مع « ايميتو » فى مذكراته بعد تبادل خطابات بين « هالاى » ومعسكر نيجوشى فى « عدى مينجونتى » فى « سيرابى » وكان ذلك فى منتصف شهر يناير . فى نهاية الشهر ابلغ ذلك لحكومته . حينئذ حصل على خاتم نيجوشى ووقع بنفسه على اتفاقية بشأن عمال « ريونيون » كما أنهى مفاوضات أخرى اكثر أهمية وسرية للغاية كان « دى جاكوبس » هو الوحيد الذى كان على علم بها لأنه كان يقوم بدور المترجم[١٥٧] وهذا يعنى بالطبع ان « سابيتو » لم يشترك فى التفاوض وقد أكد ذلك قول سابيتو : « وبعد عودة البعثة الى « مصوع » تمكن « راسل » الذى ايقن انه من المستحيل الاقتراب من نيجوشى - تمكن من التعاقد على معاهدة صداقة مع ممثله « ايميتو » . وبمقتضى هذا التعاقد منح « الراسى » لفرنسا كثيرا من المزايا التجارية وفى نفس الوقت تخلى لها عن خليج « زوللا » فى مقابل « مساعدة من الرجال وارسلحة والذخيرة »[١٥٨] . وهناك صورة ثالثة من الصعب ان تتوافق تماما مع « راسل » أو « سابيتو » وتتضح اذا استعرضنا الوثائق التى حملها « راسل » معه الى فرنسا - اولا كان هناك تفويض « لايمنتو » للتفاوض وتوقيع الاتفاقيات مع سفير نابوليون ، مؤرخ « هاوزن » ٣٠ من (سكرم) ١٨٥١ (يجب ان يكون ١٨٥٢) ومرفق به ترجمة فرنسية مؤرخة ٣٠ سبتمبر ١٨٥١ (١٨٥٩) ثانيا هناك معاهدة بالتخلى عن خليج « زوللا » وجزر « ديزى » ، و « ويدا » والمطالبة بالحماية الفرنسية للشاطىء حتى « زيلا » وهى مؤرخة على ظهر الباخرة « اليمن » فى « زوللا » ٢٠ تاهساس ١٨٥٢ ،

(١٥٤) SOM ١٩ / ١٠٤ مذكرة وزارة شئون الجزائر والمستعمرات ٢٧ اكتوبر ١٨٥٩ .

(١٥٥) « راسل » (بعثة) صفحات ١٢٤ - ٦ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ٢٧١ - ٤

(١٥٦) نفس المرجع صفحات ١٤٧ ، ١٥٨ .

(١٥٧) نفس المرجع صفحات ١١٠ - ٢٠ ، ٢٧٤ - ٨ .

(١٥٨) « سابيتو » اثيوبيا - صفحة ٣٦١ كانت التواريخ التى اوردها سابيتو خطأ ولكن فى (البعثة) BSGI (السادس صفحة ٦٨) تحدث عن توقيع المعاهدة فى سياق حديثه عن العودة الى « مصوع » .

ومنقولة بعد التصحيح فى الترجمة الفرنسية الى ٢٩ ديسمبر ١٨٥٩ ثالثا اتفاقية بشأن تجنيد العمال وقنصلية فرنسية فى اثيوبيا وحماية الرعايا الفرنسيين والكاثوليك مؤرخة (هالاى اول تير ١٨٥٢) ومنقولة بدون تصحيح فى الترجمة الفرنسية الى ٨ يناير ١٨٦٠ بدلا من ٩ يناير[١٥٩] . واذا كان هذا صحيحا (فيما عدا أخطاء بسيطة فى نقل التواريخ الاثيوبية الى الجريجورية وبالعكس) فهذا يعنى ان « راسل » قد أنهى كل المفاوضات قبل ذكر ذلك فى مذكراته ورسائله . وانه قام مع « ايميتو » بتوقيع اهم الاتفاقيات على ظهر السفينة « اليمن » قبل أن يتجها الى معسكر نيجوشى فى « هاوزن » . وهذا يبدو غير محتمل لأن المترجم الوحيد المتاح حينئذ كان « سابيتو » الذى لم يكن - حسب رواية راسل - موجودا اثناء التفاوض والذى روى بنفسه ان المعاهدة وقعت بعد ذلك فى مكان آخر[١٦٠] . وكل الوثائق الست تعطى انطباعا بأنها كتبت أو على الأقل وقعت فى نفس الوقت . وفى أسفل النسخ الأمهرية والفرنسية المتضمنة سلطة التفويض كتب « ايميتو » بنفس الخط والذى يختلف قليلا عن خطه فى النصوص : أنا « آبا ايمتى ماريام » من « أبا جيريما » .

وبالنظر إلى ماذكرناه آنفا ، فمن المحتمل أن كلا الاتفاقيتين وكذلك سلطة التفويض قد صيغت فى صورتها النهائية على الأقل ووقعت فى « هالاى » فى منتصف يناير مع دى جاكوبس وليس مع سابيتو تصديق حميم للطرفين . أما لماذا قررا وضع تواريخ سابقة على الاتفاقية فهذا أمر يدعو للتامل . فمن المحتمل أن يكون « راسل » أراد وضع تاريخ مسبق على النسخة السياسية تحسبا لعمل بريطانى للاستيلاء على « زوللا » والجزر من الرؤساء المحليين أو لأنه رأى ان الوثيقة ستكون ذات قيمة اكبر اذا كان تاريخ توقيعها خلال سيطرة نيجوشى التامة على مملكته[١٦١] . وفى كل الأحوال يبدو انه من الصعب العثور على تفسير مقبول لتقديم « راسل » لدى « جاكوبس » على انه المترجم فى الوقت الذى وقعت فيه الاتفاقية قبل أن يلتقيا فى هالاى » .

(١٥٩) SOM ١٩ / ١٠٤ « سلطات أبا ايمنيتو » (اتفاقية التنازل والحماية) (اتفاقية بشأن العمال الاحرار) ارقام ١ ، ٢ ، ٣ هذه الوثائق لم تنشر كما أنها حسب معلوماتى لم يشر اليها فى أى كتابات - وقد كتب « مالكو » الذى استخدم ارشيف SOM اكثر من مرة فى دراسته ، (المسافرون ٥٨ARFHO صفحة ٣٢١) نقلا عن خطاب لراسل بتاريخ « على ظهر الباخرة اليمن ٨ يناير ١٨٦٠ » وهو اليوم التالى لوصول « راسل » الى « هالاى » كتب يقول ان « ايميتو » وقع اتفاقية ثلاثية أخيرا فى اجتماع فى « هالاى »

(١) التنازل عن « ديزى » وأدوليس »

(٢) الوصاية على الشاطىء كلية

(٣) سلطة تجنيد العمال فى « ريونيون » .

(١٦٠) هناك عدة اشارات بأن العلاقات بين « راسل » وسابيتو كانت متوترة خلال الفترة الهامة وأن « راسل » لم يبلغ « سابيتو » بما كان يفعله . انظر مثلا « راسل » بعثة صفحات ١١١ - ١٢ ، ١٢٦ وكذلك « سابيتو » (بعثة) BSGI السادس صفحات ٦١ - ٥ لقد كان « سابيتو » فى الواقع يفضل اتفاقية بين « نيجوشى » و « سردينيا » بدلا من فرنسا كما أشار « لوجان » (تيودور الثانى صفحات ٩٤ - ٥) .

(١٦١) « راسل » (بعثة) صفحة ١١٩ .

ومهما كانت ظروف المفاوضات المباشرة والفورية فلا يوجد اى اشارة الى اشتراك نيجوشى بنفسه فيها ـ وبتشجيع من « دى جاكوبس » ونائب القنصل الفرنسى فى « مصوع » طلب نيجوشى مساعدة عسكرية ١٨٥٦ على اساس انه كان بالفعل يحارب لكى يستطيع ابعاد عدو الكاثوليك وفرنسا عن الاراضى التابعة له . وبدافع الامل فى الحصول على المساعدة وعروض التعويض التى تم تقديمها باسمه واحتمال أن يكون قد تم ذلك دون معرفة سابقة منه ، فقد حدد نيجوشى بعد ثلاث أو أربع سنوات من المفاوضات طلبه من المساعدة العسكرية كالتالى : بطاريتان مع أطقمهما ، والتعويض والسماح لممثل لحكومة فرنسا بالاقامة فى بلاده والتخلى عن « زوللا » ومن الممكن أيضا « راس دومار »(١٦٢) وحينما ارسل « آبا ايميتو » مرة ثانية الى « مصوع » فى نوفمبر ١٨٥٩ حاملا خطابا يحوى هذا العرض سمح له بالاحتفاظ بالخاتم الملكى الجديد والمحفور عليه « ملك اثيوبيا » بالأمهرية والفرنسية لكى يتمكن « ايميتو » من توقيع أى وثيقة نهائية تشمل الاتفاقية(١٦٣) وكما أشرنا سابقا فان سلطة التفويض « لايميتو » باضافة وحذف ما يراه من الأمور كما يحلو له لم تعط له من نيجوشى نفسه ولكنها صيغت وختمت مع الاتفاقيات فى « هالاى » فى شهر يناير (١٦٤) . ومع ذلك فقد أعطى نيجوشى التفويض « لايميتو » بختم الاتفاقية بالنيابة عنه(١٦٥) وكانت هذه الثقة فى غير محلها ـ فاما ان « ايميتو » لم يهتم أو أنه لم يستطع رعاية مصالح سيده .

اولا : لم تتضمن أى من الاتفاقيتين إلتزامات متبادلة . لقد فسر راسل عرض نيجوشى « لزوللا » كتنازل بلا مقابل(١٦٦) ففى البند الاول من الاتفاقية تأكد ذلك باضافة كلمة « دون مقابل » الى جانب كلمة تنازل « فى النسخة الفرنسية بينما أضيفت كلمة « بارادتى » فى النسخة الأمهرية ـ وتضمنت البنود من الثانى الى الرابع طلب نيجوشى حماية الشاطىء حتى « زيلا » وتعهدات بحماية

(١٦٢) (انظر الصفحات التى تحوى الهوامش بين ٩٣ـ١٤٦ فى النص الانجليزى)

(١٦٣) هذا الخاتم يظهر على عشر وثائق محفوظة على الأقل من فبراير ١٨٥٩ حتى أغسطس ١٨٦٠ وبعضها قد وصل من نيجوشى نفسه ـ ولقد أثار موضوع اعطاء التفويض والخاتم « لايميتو » الكثير من الجدل بين الاصدقاء والاعداء على حد سواء ـ انظر ـ الى جانب مصادر أخرى ـ « راسل » (بعثة) صفحات ٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٧٦ ، « سابيتو » (اثيوبيا) صفحة ٣٤٦ AIA ADEN ٢٨٦ « كوجلان » الى « اندرسون » ١٣ فبراير ١٨٦٠ .

(١٦٤) اننى أجد من الصعوبة تصديق مارواه « راسل » (بعثة) صفحة ١٥٨ من أن « ايميتو » ارسل الى « ماساوا » فى اكتوبر مع « معاهدات جاهزة تماما » فمن المؤكد أن الوثائق التى ارسلت لفرنسا لم تكن فقط مسودات مختومة من « هاوزن » فكلا الاسلوب والمحتوى يناقض هذا القول . وحول التورط المشكوك فيه للكاثوليك انظر كونتى روسينى (حادثة) RRAL تقرير الاكاديمية الملكية فى لينشى الخامس ٢٥ صفحات ٥٢٨ ـ ٩ .

(١٦٥) انظر أيضا SOM ١٩ / ١٠٤ « نيجوشى » الى « نابوليون الثالث » ١٣ يوليو ١٨٦٠ .

(١٦٦) « راسل » (بعثة) صفحات ١٨ ، ٢٦٩ - لاحظ أن « راسل » يتحدث عن الاختيار بين « زوللا » و« راسى دومارا » فى المرحلة الاولى (وهذا يتفق مع ترجمة « جلبرت » لحظات نيجوشى فى AECP « ماسوا » ٢ صفحة ٣٣٢) ولكنه يتحدث عن المكانين فى المرحلة الثانية .

المنشآت الفرنسية هناك وعدم الموافقة على أى حماية من دولة أخرى دون موافقة نابوليون . ولم يكن هناك أى اساس لهذه الجمل فى خطاب نيجوشى . وفى هذه الحالة فمن المحتمل ألا يكون ايميتو قد أدرك معناها تماما ، أما نص البند الثانى فى النسخة الامهرية فهو يطالب نابوليون بحماية الشاطىء والجزر . وبما أن نيجوشى لم يكن يملك سفنا بينما جاء فى النص الفرنسى بصورة محددة . . « اننى لذلك أطلب وأتخلى له (لنابوليون) عن حماية المناطق التابعة لمملكتى والتى تمتد من المنطقة الساحلية للبحر الاحمر وحتى زيلا » ، وبدلا من تضمين التعويض بمعنى المساعدة العسكرية بالذات والتى طلبها نيجوشى فقد وافق ايميتو على البند الخامس .

« اننى أقدم هذا حتى تحمينى أنت وخلفاؤك من ملوك فرنسا ضد الاعداء الذين يفدون من البحر ومن البلاد وتحفظ مملكتى لأحفادى »

وجاء النص الفرنسى بالصيغة المخففة التالية :

ومن جانبى وفى المقابل وكشرط وحيد لهذا التنازل بدون مقابل والذى أقدمه للإمبراطور نابوليون الثالث ، فاننى أطلب منه فقط الاعتراف بشرعية سلطتى وحقوقى وأن مملكتى ستظل الى الأبد لأسرتى وأحفادى الشرعيين(١٦٧) .

وقد اختفت تماما هنا الاشارة الى المساعدة العسكرية وحل محلها الاعتراف بشرعية نيجوشى كحاكم - كما أنها لم تذكر فى الاتفاقية الثانية حيث طلب نيجوشى ايفاد مندوب فرنسى لبلاده كطلبه السابق وقد استبدلت هذه الصيغة بالتالى « الالتزام باضفاء حرمة الدير على القنصلية الفرنسية وحماية كل الاشخاص والممتلكات الحاصلين على جواز فرنسى والسماح للكاثوليك بالاقامة اينما يرغبون(١٦٨) .

ثانيا : ولم تعط الفرصة لنيجوشى أن يرى نسخة الوثيقة التى ختمها وبالتالى لم تكن هناك امكانية لاستخدامها كدليل على أنه تلقى اعترافا دوليا ، وبالرغم من عدم وجود أية التزامات فرنسية محددة فقد وضع « راسل » علامة (نظر) أعلى توقيعه فى كل الوثائق حرصا منه على أن يبدو الأمر كما لو كان قد أبلغ فقط بتلك الاقتراحات الاثيوبية ، والاهم من ذلك انه قرر الا يترك أى دليل على أنه قد تفاوض مع حاكم « سيمين » و« تيجرى » . وحينما المعاهدات الى باريس فى اوائل شهر مارس أكد لحكومته « أنها اذا لم توافق عليها فانها تصبح قانونا باطلة » وأضاف « ولايوجد أى أثر لهذه الاتفاقيات فلم أترك نسخا منها فى اثيوبيا . وبالتالى فان هذه الوثائق يمكن أن تنتظر الوقت المناسب لجلالة الامبراطور دون أن تصبح لاغية »(١٦٩) .

(١٦٧) SOM ١٩/١٠٤ (عقد تنازل وحماية) تأكيد من الكاتب

(١٦٨) SOM ١٩/١٠٤ (عقد بشأن العمال الاحرار) .

(١٦٩) AEMD افريقيا ٦٣ صفحات ٩٦ - ١٠٣ « راسل » الى « شاسلوب لوبا » ٢٩ فبراير ١٨٦٠ . قارن « راسل » (بعثة) صفحات ٢٨٣ - ٩١ حيث تم طبع خطابى « راسل » فى ٢٩ فبراير ، ٢ مارس من عدن بما تضمناه

ولاتوجد وسيلة لمعرفة الى اى مدى أخبر « ايميتو » نيجوشى عن الاتفاقيات . وعلى أى حال فان المساعدة العسكرية هى التى كانت الشغل الشاغل للحاكم التيجرى ، وكان ينتظر فى شهر ديسمبر ١٨٥٩ قوة مدفعية فرنسية وليس سفيرا ومعه بندقيتان ومسدس ويطلب حارسا له . واذا لم يكن نيجوشى قد تبين حقيقة الوضع قبل ذلك ، فانه من المؤكد قد اندهش من رسالة « راسل » فى ١٥ يناير والتى أعلن فيها المبعوث - على مسئوليته الخاصة - أنه لم يأت للاشتراك فى أى حرب ولكنه أتى فقط لنقل تحيات الامبراطور الفرنسى لنيجوشى وليتابع الحالة السياسية فى الحبشة . وفى هذه الأثناء ألغى نيجوشى مقابلته مع « راسل » واخبره أن يعود للساحل وينسحب الى المناطق الغربية للفرار من الأسر بوساطة قوات تاودروس ، لقد تبعه الملك عبر « تيكيزى » ولكنه حول اهتمامه للوضع السياسى فى « ديمبيا » والثأر لموت « بلاودن »(١٧٠) .

وحينما حضر رسول من « مصوع » للبحث عن نيجوشى مرة أخرى فى اوائل مارس ، كان فى « سيمين » وكان أهم ما يشغله هو ابلاغ الحكومة الفرنسية بظروف وفاة « بلاودن » . لقد اعترف بأن المهاجم وهو « ليج جارد » كان فى خدمته ، ولكنه أكد أنه لايمكن اتهام أحد بالقتل فلقد مات « بلاودن » كجندى بأيدى جنود وليس كممثل لانجلترا(١٧١) .

وفى اوائل مايو عاد نيجوشى الى « تيجرى » وأجرى المزيد من الاتصالات بينه وبين « جلبرت » ولكن جلبرت أحس ان الوضع لم يعد مستقرا لكى يقوم بزيارة لنيجوشى الذى اصبح متشككا وخاب ظنه فى نائب القنصل وقد ساعد التحام « جلبرت » المباشر بالمواطنين فى « اكيلى » و « اجامى » وكذلك هداياه للرؤساء فى هذه الأقاليم واتصالاته مع تاودروس ساعد كل هذا فى

من الجزء الأخير من الاقتباس المشار اليه مع حذف الاختيار الأخير بشأن اعتبار الوثائق لاغية والجملة الواردة فيها الاحتراس بعدم ترك اى نسخ للطرف الآخر فى التعاقد .

(١٧٠) « راسل » (بعثة) صفحات ١١١ ، ١٢٤ - ٥ سايتو « بعثة » BSGI السادس صفحات ٦٠ - ١ « فوسيللا » (البعثة) RSE السابع صفحة ١٨٥ ومثله ، تاودروس صفحة ٢٥ AD EN AIA ٢٨٦ « بيل » الى « بارونى » ٢٨ يناير ١٨٦٠ « شيمبر » الى بارونى ١٩ فبراير ١٨٦٠ شتيرن جولات صفحات ٥١ ، ٥٤ أرشيف « شبتلر » D ٣/٩ « زال موللر » الى « شيللر » ١٣ يناير ١٨٦١ .

(١٧١) AECP « ماسوا » ٣ صفحات ٣٣ - ٥ « نيجيشى » الى « توفنيل » ٨ مارس ١٨٦٠ فى الترجمة الفرنسية بتاريخ ٣٠ فبراير (أى ٣٠ بكاتيت) وهناك خطاب ثانى من نيجوشى الى « توفينيل » وآخر الى « جلبرت » أيضا بتاريخ ٣٠ فبراير وقد أبلغ هذان الخطابان لباريس فى نفس الوقت (صفحات ٣١ - ٢ « جلبرت » الى « توفينيل » اول ابريل ١٨٦٠) وفى الخطاب الموجه الى « جلبرت » (صفحة ٣٦ ترجمة فرنسية فقط) أعرب نيجوشى اخيرا عن أمله فى أن يقنع « توفينيل » نابوليون « أن يقرر امتلاك المناطق التى تخلى عنها دون تأخير . وفى كلا الخطابين شرح لماذا تراجع وأصبح فى موقف الدفاع . وبما أن النسخة الأمهرية للخطاب الموجه لتوفينيل والتى نقلت من ملفات (مقر وزارة الخارجية الفرنسية) ولكنها حفظت فى اوراق توفينيل فى AN.PP (الارشيف الخاص ، الارشيف القومى باريس ٢٥٥) قد صدرت بالتأكيد من « ماسوا » والخط غريب والتاريخ ١٢ ميجابيت = (٢٠ مارس ولكنه مازال فى النسخة الفرنسية ٣٠ فبراير) فمن الاسلم ألا نثق فى محتويات كلا الخطابين .

احساس نيجوشى بأنه قد اصبح فى شبه عزلة(١٧٢) . وفى شهرى يوليو واغسطس اتهم الحاكم « التيجرى » نائب القنصل فى خطابين بعث بهما مباشرة الى باريس بأنه استولى على اربع وستين بندقية اشتراهما « تاكاى » و « ايميتو » فى اوروبا وقام بتوزيعه أخيرا على اصدقائه واتباعه . وفى نفس الوقت كان يساعد موردى السلاح لتاودروس - وفى حالة ما اذا كان الامبراطور مازال يرغب فى فتح قنصلية فى « تيجرى » ، اوضح نيجوشى ان جلبرت ليس هو الشخص المناسب لتولى هذا المنصب . ومع ذلك فقد اكد أن « ايميتو » قد تم تفويضه لتوقيع الاتفاقية وأعرب عن أمله ان تصل المساعدة الفرنسية فى نهاية موسم الامطار - وظلت العلاقات مع الارساليات ودية(١٧٣) .

وفى نهاية اكتوبر تم ترجمة الخطاب الاول لنيجوشى فى باريس(١٧٤) . ولم يبلغ « جلبرت » بوصول هذه الخطابات ولكن تم ابلاغه أن موضوع بعثة « راسل » بأكمله قيد البحث - وفى هذه الأثناء تم تفويض « جلبرت » بأن يظل قريبا من نيجوشى وأن يزوره اذا ذهب الى مقاطعة على الحدود من « مصوع » . كما تم تحذيره بالا يورط الحكومة الفرنسية بأى حال من الأحوال فى الصراعات الداخلية فى اثيوبيا(١٧٥) . ولم يحدث أى اجتماع ، فلقد انتهى الوقت بالنسبة لمؤيدى تحالف « فرنسى تيجرى » . فقد مات « دى جاكوبس » - الذى لعب الدور الرئيسى مع انه كان وراء الستار فى معظم المحاولات - مات فى ٣١ يوليو ١٨٦٠ فى طريق عودته من الساحل الى هالاى(١٧٦) . وفى يناير ١٨٦١ وصل تاودروس بسرعة البرق الى « تيجرى » حيث استغرقت مسيرته ليلا ونهارا من « شيوا » سبعة عشر يوما ، وقد أخذ « نيجوشى » و « تيسيما » على غرة وتم اسرهما واعدامهما(١٧٧) .

---

(١٧٢) AECP « مصوع » ٣ صفحات ٢٤ - ٥ ، ٣٨ - ٤٠ ، ٤٩ - ٥٢ ، ٥٦ - ٧ ، ٧٣ - ٨ ، ٨٥ - ٩٠ « جلبرت » الى « توفينيل » ، ٢٦ مارس ، ٢٠ مايو ، ٣٠ يوليو ، ٢ أغسطس ، ٢٠ اكتوبر ١٨٦٠ ، ١٠ يناير ١٨٦١ مع المرفقات صفحة ٥٣ ، « بيل » الى « جلبرت » ١٣ يونيو ١٨٦٠ BN اثيوبيا ١٨٤ ، صفحات ٩٤ - ٥ « دى جاكوبس » الى « جلبرت » ، ١٠ ابريل ، ١٨ ابريل ١٨٦٠ .

(١٧٣) AEMD افريقيا ٦١ ، صفحات ٤٧ - ٥٣ « نيجوشى » الى « نابوليون الثالث » ١٣ يوليو ، ٢٢ أغسطس ١٨٦٠ APF. SRC (قلب افريقيا) اثيوبيا ٦ صفحة ٦٢٧ « نيجوشى » الى « ديلمونت » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٠ لم استطع معرفة كيف ارسلت الخطابات الى باريس ولكنها بالتأكيد لم ترسل عن طريق القنصلية فى « ماساوا » وقد ترجمهما فى باريس « انطوان دابادى » .

(١٧٤) BN اثيوبيا ٢٥٤ صفحة ١٦٠ « برثيمى » الى « انتوان ودابادى » .

(١٧٥) AECP « ماسوا » ٣ صفحات ٧٩ - ٨٠ « توفينيل » الى « جلبرت » ٢٦ اكتوبر ١٨٦٠

(١٧٦) حوليات (سجلات ، ٢٦ صفحات ١١٨ - ٢٦ « ديلمونت » الى « أتين » ٣ أغسطس ١٨٦٠

(١٧٧) « فوسيللا » (تاودروس) صفحة ٢٦ AECP « ماسوا » ٣ صفحات ٩٤ - ٦ « جلبرت » الى « توفينيل » ٣٠ يناير ، اول فبراير ١٨٦١ تقرير مؤرخ الاحداث يعكس الشعور فى « تيجرى » ولكنه ليس واقعيا . وبشأن مكان وجود تاودروس فى النصف الثانى من عام ١٨٦٠ انظر أرشيف « شبتلر » D٣/٩ « زالموللر » الى « شيللر » ١٣ يناير ١٨٦١ ، D ٣/١ « بندر » الى اسرته ١٥ يناير ١٨٦١ .

وقد أنهى ذلك عشرين سنة من المؤامرات للحصول على ميناء فرنسى منافس لمصوع والسيطرة على تجارة الحبشة ، وأخيرا اقامة محمية رسمية فى المنطقة الشمالية من البلاد ، ومثل اسلافه تجاوز « راسل » كل التعليمات المكتوبة ، ولم يتردد ـ كما كانوا يفعلون ايضا ـ فى تحويل الطلبات الاثيوبية الى التزامات ، والعروض البسيطة نسبيا الى تنازلات ضخمة . ونتيجة لذلك فان المعاهدات التى حملها معه الى فرنسا كانت فى الواقع وثائق هامة . ولو كانت هذه المعاهدات قد نفذت طبقا للنص الفرنسى كان يمكن ان تنشأ « اريتريا » فرنسية قبل ثلاثين سنة من « اريتريا » الايطالية . ولما كانت سياسات الوحدة والتمدن فى بدايتها فقد كان يمكن أن يؤدى ذلك الى تقسيم اثيوبيا الى دولتين : شمال « تيجرى ـ أمهرى » وجنوب « أمهرى جالا » . ولم تكن هناك محاولات لتنفيذ الاتفاقيات بسبب الخلافات والتنافس حول السياسة الخارجية وسياسة شئون المستعمرات فى الحكومة الفرنسية ، لتخوف الحكومة الفرنسية ايضا من ردود فعل البريطانيين[١٧٨] .

وكان فشل المبادرات الفرنسية منذ اخوان « دابادى » ولوفيفر الى « دى جاكوبس » و« راسل » ، يعتبر فشلا فى التعامل مع الحقيقة الرئيسية بأن الاثيوبيين « مثلنا » يريدون المساواة فهم يريدون العين بالعين ، وعشرين شلنا مقابل جنيه واحد ، كما قال الجنرال « جوردون » فى صيغة مختلفة عشرين عاما بعد ذلك[١٧٩] . وحتى حينما واجهه قسيس كاثوليكى يمثل محافظا متمردا وحاكما ضعيفا مثل نيجوشى لجأ « راسل » الى النفاق والازدواجية . أما كون المعاهدات ملزمة قانونا لاثيوبيا (أوحتى لنيجوشى) فذلك أمر نظرى تماما[١٨٠] ، ففى النسخة الأمهرية نجد أن الجملة الخاصة بالتنازل عن « زوللا » مقيدة باجراء اضافى وهوالتصديق المتبادل الذى كان يلزم اتمامه قبل أن تسرى المعاهدة[١٨١] . وما لم تكن المساعدة العسكرية فى طريقها للوصول فانه لا توجد معاهدة بالمعنى الصحيح .

---

(١٧٨) « مالكو » (المسافرون) ٥٨RFHO صفحة ٣٢١ .

(١٧٩) « جورج بيك بيك » العاشر ، كولونيل جوردون فى افريقيا الوسطى ١٨٧٤ ـ ١٨٧٩ (لندن ١٨٨١) صفحة ٤٠٨

(١٨٠) كان الكتاب الفرنسيون يعتبرون أن معاهدة التخلى عن « زوللا وديزى » مسألة مفروغ منها وأنها ملزمة لاثيوبيا انظر « شارم » فى مقدمته لراسل « بعثة » صفحة ٢٧ وكذلك « مالكو » (المسافرون) RFHO ٥٨ صفحة ٣٢١ . وكانت وجهة النظر الايطالية أن يؤخذ فى الاعتبار السريان القانونى للاتفاقية ، « جيجليو » (اثيوبيا البحر الاحمر) المجلد الأول صفحة ٥٢ وليس ضروريا الاشارة الى أن التخلى عن « زوللا » كان على غير اساس قانونى حيث لم يكن لدى نيجوشى السلطة التى تخوله ذلك وفى حاشية كتاب « سابيتو » (اثيوبيا) صفحة ٣٦١ فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر واشارة الى قول قيادة القوات المسلحة فى تعليل ذلك « هذه الاتفاقية غير شرعية لان نيجوشى لم يكن له سلطات على خليج « زوللا » ولا يملك التخلى عن اراضى الا الملك . وفى ذلك الوقت لم يكن نيجوشى الا متمردا » .

(١٨١) SOM ١٩ / ١٠٤ « عقد التخلى » البند الأول : (... حينما نصدق على هذه الاتفاقية) .

وأخيراً فمهما كانت الالتزامات التى وافق عليها نيجوشى فقد دفنت معه ، إن مستشاريه الفرنسيين / الكاثوليك هم الذين قاموا بتنصيب المتمرد « ملكا لاثيوبيا » . وكانت الحكومة الفرنسية أذكى من ان تحاول استخدام معاهدات « راسل » حتى كأساس فى علاقاتهم التالية مع تاودروس . وفى الواقع فقد اعتبرت المعاهدات خطيرة ومشكوكا فيها حتى أن الاوامر صدرت « لجلبرت » بعد وصول خبر موت نيجوشى الى باريس بيومين « بحفظ المعاهدة الموقعة من نيجوشى كوثيقة سرية للغاية والا يعطى أى انطباع على الاطلاق بأنه كان يعلم شيئا عن وجودها » ، وقيل للحكومة البريطانية ان بعثة راسل لم يكن هدفها إلا مرفأ للتزود بالفحم . ومن ناحية أخرى فان مسألة سيادة « تيجرى » كانت مسألة معقدة جدا اذ كان للقنصلين الفرنسى والبريطانى آراء متباينة فى هذا الشأن[١٨٢] . ولقد بدأ الانتقال نحو نهج سياسة اكثر مباشرة بعد الهجوم الأول لتاودروس على نيجوشى ، فلقد ألغيت تماما خطة « راسل » غير الواقعية والتى شاعت على نطاق واسع ـ لزيارة تاودروس والاعداد لتقسيم اثيوبيا الى دولتين . وبعد خمس سنوات من تتويج تاودروس تم الاعتراف به كحاكم أعلى لاثيوبيا بما فيها المنطقة الشمالية ، وكذلك اعترفت به فرنسا وممثلو البعثة الكاثوليكية[١٨٣] .

---

(١٨٢) AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٠٣ ـ ٦ « توفينيل » الى « جلبرت » ٢٩ مارس ١٨٦١ ، FO٤٠١ / ١ صفحة ٣٥٧ « كولى » الى « راسل » ١٩ ابريل ١٨٦٠ وانظر ايضا « لوجان » (تيودور الثانى) صفحة ٢٤٨ ومحاولة للاستفادة من المعاهدة ، مسجلة فى AEMD افريقيا ٦٣ صفحات ٣٧١ ـ ٢ ، ٣٨٣ ـ ٥ .

(١٨٣) ADEN . AIA ٢٨٦ « بارونى » الى « كوجلان » أول يناير ١٨٦٠ « راسل » (بعثة) صفحات ١٠٢ ، ٢٧٥ AECP « مصوع » ٣ صفحة ٥٣ « بيل » الى « جلبرت » ١٣ يونيو ١٨٦٠ ردا على خطاب مقبول من تاودروس كتب فى ٢٧ فبراير ١٨٦٠ انظر ايضا CML « ديجاكوبس » (خطابات) المجلد الثانى ارقام ٤١٤ ، ٤١٥ وحوليات ٢٦ صفحات ٨٦ ـ ٩٢ « ديلمونت » الى « ستورش » ٢٠ مارس ١٨٦٠ .

تاودروس والاتراك : حرب أم سلام ؟

منذ بداية حكم تاودروس كان من المعتقد الى حد بعيد أنه سيقوم بهجوم رئيسى على مصر فى أقرب فرصة تسنح اه . فقد أرسل « بلاودن » تقارير فى ابريل ١٨٥٥ عن خطة داخلية متطرفة ضد الاسلام لتحويل مياه النيل للقضاء على مصر . وتحدث « بلاودن » بعد زيارته الأولى للملك عن خطط وضعها الحاكم الجديد حول « مصوع » والحدود المصرية وأضاف أنه « لم يتردد فى أن يحلم بغزو مصر وبالزحف المنتصر نحو الاماكن المقدسة »(١٨٤) .

لقد نشأت وتأكدت هذه التوقعات بواسطة اسطورة تاودروس وكانت قوية الى حد المساهمة فى عصيان داخل جيش الملك بينما كان يتأهب لهجومه الاول على « شيوا » فى ١٨٥٥ - ١٨٥٦(١٨٥) . ولكن تاودروس لم يكن حينئذ فى طريقه الى القدس كما لم يكن هناك أى دليل على أنه يمكن ان يسمح لمثل تلك الاحلام بتحويل اهتمامه عن قضايا عاجلة أهم من ذلك . وبالنسبة لمصر فقد ورث حدودا غير محددة ومضطربة .

وكان تاودروس نفسه رجل « الحدود الغربية » ، فقد أمضى معظم شبابه فى الغرب حتى انه كان يسمى بسخرية ممن كانوا قريبين من مراكز القوة (رجل الاراضى الواطئة « هولندا » وراعى قطيع ماعز)(١٨٦) وكما فعل من قبل أبوه « هايلو » واخوته غير الأشقاء « كنفو » ، و « جبرو » فقد تنافس مع ممثلى الحكومة المصرية فى السيطرة على القبائل والتجارة والجزية فى مناطق الحدود - وبصفته حاكما « لكوارا » وبعد ذلك خلفا لـ « مينين » فى منطقة « ديمبيا » فقد تحمل مسئولية الدفاع عن مناطق الحدود وهزمه الأتراك فى « داباركى » عام ١٨٤٨ . وكانت هذه هى الهزيمة الرئيسية فى حياته العسكرية المتألقة التى أوصلته الى عرش اثيوبيا(١٨٧) . وفيما يتعلق « بمصوع » فقد كان

---

(١٨٤) وزارة الخارجية البريطانية صفحات ٢٤٤ - ٥ « بلاودن » الى « كلارندن » ٧ أبريل ١٨٥٥ صفحات ٢٥١ - ٧ تقرير ٢٥ يونيو ١٨٥٥ .

(١٨٥)(زينيب) تاودروس صفحة ٢٥ وحول اسطورة تاودروس انظر « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٤٩ - ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ .

(١٨٦) « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٢٩ ، ٣٢ - ٣ .

(١٨٧) نفس المرجع السابق صفحات ٣٩ - ٤٠ (انظر أيضا الفقرات فى الصفحات من ٦٩ - ١٠٤ بالنص الانجليزى) .

تاودروس يدرك بلا شك ضرورة منع تفاقم القوة التركية المصرية هناك أو انتشارها وسط قبائل الساحل . وكان « بلاودن » مستعدا لتقديم مشورته فى هذا الشأن الى الحد الذى يحثه على تقديم بعض التنازلات لانجلترا فى مقابل الميناء(١٨٨) . ونظرا للخلفية الخاصة لتاودروس بالاضافة الى تعهده الشخصى باستعادة ما كان يعتبره « اثيوبيا اجداده » ، كان من المنطقى توقع حدوث اعمال عدائية فى القريب العاجل . وكان الوضع غير الحاسم سيعطى الفرصة بلا شك لأعمال عدوانية من أحد الجانبين : ـ

« فى هذا الاتجاه لم يكن هناك حدود شرعية تحدد ما تملكه كل من مصر واثيوبيا من مناطق . ونشأت بين حدود الدولتين منطقة صراع حيث تتحرك التخوم كلما قام أحد البلدين بتصرفات علوانية . وهذه المنطقة كانت تشكل أسفل هضبة الحبشة نصف دائرة متسعة تمتد من « كوالابات » بالقرب من « عطبرة » الى المناطق المجاورة « لمصوع » على البحر الأحمر(١٨٩) . وداخل هذه المنطقة المتنازع عليها والتى تغلغلت فيها القوات المصرية والنفوذ المصرى خلال العهود السابقة مباشرة لحكم تاودروس ، اعترفت بعض القبائل أو المناطق بوسائل مختلفة باعتمادها على كل من مصر واثيوبيا ، وفى سبيل ضمان موقعها كمركز تجارى كلما أمكن ذلك ، كانت « ميتما » مثلا تدفع الجزية للدولتين(١٩٠) ، بينما كان الموقف فى الجزء الآخر من المنطقة المتنازع عليها كالتالى طبقا لما وصفه الباحث والمستكشف السويسرى « فيرنر مونسنجر » : ـ

« لم يكن الاحباش فى حاجة لغزو دولة يتمتعون فعلا بخيراتها الطبيعية دون جهد اضافى . وبالتالى فقد كان المواطنون فى « سمهار » يعيشون على تبعية مزدوجة ، تبعية للحبشة من أجل الرعى ، وتبعية « لمصوع » من أجل التجارة ، وتبعية للاثنين لضمان الأمن . لذلك كانوا يدفعون الجزية للاثنين . وحينما يشير الاهالى الى أن « سمهار » تتبع الأتراك فانهم يقولون نصف الحقيقة فقط(١٩١) » .

وفى المناطق الوسطى كان يتولى حكم مقاطعة الحدود بدلا من تاودروس ، « عمر بن ميك نمر » ويشار اليه غالبا « وادنمر » . وقد واصل شن الحرب الخاصة مثل والده ضد السلطات السودانية(١٩٢) . واستمرت المعارك فى الشمال للسيطرة على « كوناما » و « باريا » و « ماريا » ، « بوجوس » و « حباب » و « منسا » بين الحاكم المصرى « لتاكا » من ناحية ، وحكام « أديابو » و « هماسن » الاثيوبيين من ناحية أخرى . وخلال السنوات الأولى من حكم تاودروس نجح حكام الأقاليم الشمالية : « ميراخ ولد سيلاسى » ، ويلدى صديق ميراخ (ولد مراج) حاكم « أديابو » وكذلك « دى جزماتس هايلو » حاكم « هاماسين » ، نجحوا فى تحريك المواقع المصرية للخلف . أما حاكم « تاكا » المصرى فقد ترك موقعه المتقدم فى « كوفيت » وسط « باريا » فى عام ١٨٥٧ وفى عام ١٨٥٩ أصبح معظم القبائل بين « مصوع » و « كسلا » يدفعون الجزية لاثيوبيا فقط(١٩٣) .

(١٨٨) (انظر الفقرات السابقة ما بين هامشى ٤٦ ، ٩٤ فى النص الانجليزى) للمراجع .

(١٨٩) « دوان » (اسماعيل) الثالث ١ ، صفحات ٣٧ ـ ٨ تلخيص للموقف للوضع فى السنوات الأخيرة التى كان فيها محمد سعيد باشا للملك (١٨٥٤ ـ ٦٣) .

(١٩٠) المرجع السابق صفحات ٣٨ ـ ٩ « هورجلين » (تيودور) رحلة الى الحبشة فى منطقة « جالا » شرق السودان والخرطوم فى عام ١٨٦١ ، ١٨٦٢ (بلدة ينا Jena فى المانيا عام ١٨٦٨) صفحات ٤٠٦ ـ ٨ AEMD افريقيا ٦١ صفحات ٩١ ـ ٤ « لوجان » الى « توفنيل » ٢٩ يناير ١٨٦٢ .

(١٩١) « مونسنجر » دراسات شرق افريقيا صفحة ١٣٧

(١٩٢) « صمويل بيكر » (روافد النيل فى الحبشة) لندن ١٨٦٧ صفحات ١٣٨ ـ ٤١ .

ولم يكن هناك دليل على أن هذه التغييرات الطفيفة نسبيا فى صالح اثيوبيا ، كانت نتيجة سياسة عامة للعدوان على مصر(١٩٤) . ولقد قللت التغيرات التى أحدثها فى السودان محمد سعيد باشا والذى أصبح نائبا لملك مصر قبل عام من تتويج تاودروس ، قللت ، من الضغوط على الحدود . ولتخفيض التكاليف الادارية تم خفض أو الغاء المواقع العسكرية فى المناطق النائية . وبالتالى فقد تم اخلاء « كوفيت » لأسباب اقتصادية وليس بسبب الهجمات الاثيوبية(١٩٥) . وكان من المتوقع ان يستغل حكام تاودروس فى مناطق الحدود أى فرصة سانحة لتحريك مواقعهم الى الامام .

ولما كان « بلاودن » مدركا للمشاكل وحريصا على تجنب العداوات ، فقد اقترح نوعا من الترضية ـ وهو العرض الذى اجهض بشأن « مصوع » ـ كما أنه كرر تحذيراته بأن السلام مع مصر كان شرطا لصداقة بريطانيا(١٩٦) . ونبه زميله فى مصر الى هذا والذى اضاف نصيحته هو الآخر مع نصيحة « بلاودن » .

وتلقى « بلاودن » ردا من تاودروس بانه « أصدر أوامره الى حكامه بأن يحموا فقط أراضيه » ، و « انه لن يتراجع عن هذه التعهدات التى تلائم كل الحكام » وكان يشير الى مبدأ أن اعلان الحرب يسبق أى عمل عدوانى(١٩٧) وبعد عدة أشهر كرر القول « انه حتى الآن لم يفعل أى شىء استفزازى ضد مصر » ، ولكنه يحتفظ بحقه فى المطالبة فيما بعد باسترجاع الاراضى التى فقدتها اثيوبيا قبل ذلك . ورجح « بلاودن » ان هذه الاراضى تشمل الدولة العربية على حدوده الشمالية حتى قرية « سنار » وكذلك « مصوع » والاراضى المرتفعة فى « موجوس » (بوجوس) ومنسا « هلهال » والهبابوه . . . الخ ، وتتحدث قبائلها كلها باللغة الحبشية(١٩٨) ومع أن تقرير

(١٩٣) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحات ٤٠ ـ ٥٢ « مونسنجر » (دراسات شرق افريقيا) صفحة ١٩٩

(١٩٤) قارن رأى « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحة ٥٢ .

(١٩٥) « هيل » (السودان) صفحات ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩٤ ـ ٥ ، ١٠٣ .

(١٩٦) (انظر الصفحات التى تحوى الهوامش من ٤٦ الى ٦٦ فى النص الانجليزى) .

(١٩٧) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحة ٢٧٣ ـ ٤ « بروس » الى « كلارندن » ٢٠ يونيو ١٨٥٦ .

(١٩٨) المرجع السابق صفحة ٢٨٣ « بلادون » الى « كلارندن » ١٢ نوفمبر ١٨٥٦ (انظر أيضا الصفحات التى تحوى الهوامش من ٦٢ الى ٦٦ فى النص الانجليزى .

« بلاودن » بصفة عامة للموقف كان صائبا بلا شك ، فقد كان يبدو دائب الحذر متوقعا لاخطار غير مؤكدة (كما كان يفعل جميع الأوروبيين فى اثيوبيا تقريبا) ، لقد كان هناك اكثر من اشارة تثير القلق والحنق فى ردود تاودروس كما قال القنصل فى تقاريره . لقد كان تاودروس يتحسس طريقة ولكنه بكل تأكيد لم يكن مستعدا أن يملى عليه بلاودن أو الحكومة البريطانية موقفه تجاه مصر .

وحينما وصل بطريارك الاقباط الى اثيوبيا فى ديسمبر ١٨٥٦ ومعه خطاب من سعيد باشا ، فتحت قناة مختلفة من الإتصالات[١٩٩] . لقد كان تاودروس يعرف « كيرلس » جيدا وقد أيد رفعه الى منصب البطريارك قبل سنتين أو ثلاث سنوات[٢٠٠] . ومن خلال كيرلس ، أجرى تاودروس اتصالاته الأولى بمصر بعد توليه عرش اثيوبيا[٢٠١] وكان الهدف من زيارة البطريارك ليس فقط حل بعض المشاكل الكنسية ولكن أيضا العمل على تحسين العلاقات بين مصر واثيوبيا[٢٠٢] .

لقد استقبل « كيرلس » استقبالا ملكيا ولكنه سرعان ما أثار شك وحنق تاودروس نتيجة لبعض طلباته والاتفاق مع « سيلاما » لصياغة مسودة رد على سعيد باشا باسم الملك ، وقد أشار مؤرخ تاودروس أنه طلب أشياء كثيرة وعمال كثيرين ،[٢٠٣] ومع أن تاودروس أمر بقراءة الخطاب على الملأ لتبرير الاعتقال المؤقت للأسقفين فلم يكن من المعروف محتوياته بصورة مؤكدة ، وقد روى « بلاودن » ان الخطاب كان يطلب من نائب الملك أن يرسل كل الجنود الأقباط الذين يعملون تحت قيادته وكذلك ثلاثة ضباط أتراك لاعادة النظام للقوات الحبشية وفرقاً منظمة ورروادا وخبراء الغام ومهندسين وأطباء وادوية وخبازين ومدافع وبنادق وكل ذلك مقابل اربعين بغلا لمدفعية سعيد باشا ، وقد أنكر « كيرلس » و « سيلاما » أن خطابهما كان يشير الى طلب قوات . ويعتقد « فلاد » أن الطلب كان يهدف الى أن يطلق سعيد باشا سراح بعض الأقباط الذين جندهم بالقوة فى الجيش المصرى وأن الاشخاص المطلوب حضورهم الى اثيوبيا كانوا « ثلاثين عاملا من مصر » ليحلوا محل البريطانيين والألمان فى البلاد . واذا كانت هناك اشارة فى الخطاب الى أن الجنود المسرحين سيخدمون فى اثيوبيا أم لا ، فقد استاء تاودروس بوضوح من اهتمام البطريارك بالمسائل العسكرية

---

(١٩٩) ENA (الارشيف القومى ـ القاهرة) ٤٠١ / ١ « بحريره »كارتون ١٩ رقم ٧١ تاودروس الى محمد سعيد ١٣ نوفمبر ١٨٥٧ .

(٢٠٠) (انظر صفحة ١٣٥ فى النص الانجليزى) .

(٢٠١) BM (المتحف البريطانى ـ لندن) اضافة ٥١٣٠٤ ـ الى تاودروس مايو ١٨٥٥ لقد عثر على هذا الخطاب باللغة العربية ضمن اوراق « جوردون » ويبدو أنه أصل أو نسخة مختومة وكان مؤرخا سنة ١٢٧١ هجرية فى ٨ رمضان والختم غير واضح ولكن المحتوى يشير الى أنه رد من مسئول مصرى يحتمل أنه حاكم السودان ، على خطاب من تاودروس يعلن موافقته .

(٢٠٢) Flad (اثنا عشر عاما) صفحات ١٩ ـ ٢٠ « شتيرن » (جولات) صفحات ٧٨ ـ ٩ « لوجان » (تيودور الثانى صفحة ٨٤ « دوان » (اسماعيل الثالث ١ صفحة ٥٧) .

(٢٠٣) « زينيب » (تاودروس) صفحة ٢٩ .

(خاصة ما يتصل باستعراض جيش الملك) كما أنه اعتبر طلب استبدال الاوروبيين محاولة لكى يصبح معزولا ومعتمدا على مصر . وفى نفس الوقت أعلن أنه سيحتفظ بمركزه أمام الباشا والبطريارك وملكة بريطانيا ايضا اذا كانت مع مصر[٢٠٤] .

وقد ساهمت الأنباء التى ترددت عن زيارة سعيد باشا للسودان أثناء وجود البطريارك فى اثيوبيا وكذلك الاشاعات التى انطلقت بأن نائب الملك يعتزم مهاجمة اثيوبيا ، ساهمت هذه الأنباء والاشاعات فى المعاملة الجافة التى لقيها « كيرلس » و « سيلاما » من الملك[٢٠٥] ومع أنه قد أطلق سراحهما بعد بضعة أيام فلم يسمح للبطريارك بمغادرة اثيوبيا الى مصر الا فى شهر نوفمبر ١٨٥٧ اى بعد حوالى عام من وصوله حين تأكد أن سعيد باشا ليس لديه خطط هجومية عاجلة ضد اثيوبيا ـ ولمرافقة كيرلس الى القاهرة أرسل تاودروس قسيسا موثوقا فيه هو « أليكاجبر ايوسس » وأحد ضباطه . وقد حملوا معهم هدية مكونة من سبعة جياد وبعض الأسلحة الاثيوبية التقليدية وخطابا لسعيد باشا أعرب فيه تاودروس عن امتنانه لزيارة البطريارك وأمله فى استمرار وتعزيز صداقتهما[٢٠٦] ، وأنه فوض المبعوث وكيرلس فى شرح وسيلة تحقيق ذلك ومن الواضح ان مسألة المدفع والبنادق تم مناقشتها كدليل صداقة أفضل من بعثة عسكرية أو فنية[٢٠٧] . وكالمعتاد قام المبعوثان بزيارة للقدس قبل العودة[٢٠٨] . ولكن عند عودتهما الى اثيوبيا فى شهر فبراير ١٨٥٩ كان يصحبهما مبعوث مصرى هو « عبد الرحمن » وقد أحضر معه هدايا ملكية حقيقية عبارة عن اربعة مدافع ثقيلة ومائة بندقية مزدوجة الماسورة وخمس خيم وعدة صناديق مليئة بالأقمشة الحريرية وهدايا اخرى[٢٠٩] ، وقد نجحت الى حد ما هذه الهدايا فى اقناع تاودروس أن سعيد باشا كان حريصا

---

(٢٠٤) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٢٨٦ ـ ٨ « بلاودن » الى « كلارندن » ١٥ يناير ١٨٥٧ « فلاد » مذكرات من مجلة فرنسا (« فلاد » كان أحد مبشرى الأسقف « جوبات » فى الحبشة) لندن ١٨٦٠ صفحات ٤٧ ـ ٥٠ وقد سبق « كرامى » (المصلح والمتبنى للتحديث) JAH (مجلة التاريخ الافريقى) العاشر ، ٣ صفحة ٤٦٣ سبق « فلاد » فى روايته . أما رواية « بلاودن » ففيها الكثير من المبالغة .

(٢٠٥) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٢٨٦ ـ ٩ « بلاودن » الى « كلارندن » ١٥ يناير ، ١٧ يناير ، ٥ فبراير ١٨٥٧ صفحة ٢٩٠ « بروس » الى « كلارندن » ٢٩ ابريل ١٨٥٧ « هيل » (السودان) صفحة ٩٤ « وبجانب ذلك . . هناك أشياء أخرى » كما كتب « فلاد » (مذكرات صفحة ٤٨) مضمنا الفروق فى وجهات النظر بين الأسقفين .

(٢٠٦) ENA « بحربره » « كارتون » ١٩ رقم ٧١ تاودروس الى « محمد سعيد » ١٣ نوفمبر ١٨٥٧ وبجانب النسخة الأمهرية الأصلية من هذا الخطاب هناك نسخة بالعربية مزخرفة ومختومة أيضا ولكنها مؤرخة ٢٤ نوفمبر ١٨٥٧ . انظر أيضا (زينيب) (تاودروس) صفحة ٣١ أرشيف « شبتلر » D ٣ / ٢ « فلاد » الى « كرايف » ٢٦ اكتوبر ١٨٥٧ مع ملحق عن النيل « فلاد » (مذكرات) صفحات ٧٥ ـ ٧ .

(٢٠٧) علد ٤٠١ / ١ ، صفحة ٣٠٣ ، بلودين الى كلاريندون ، ٢٢ نوفمبر ١٨٥٧ .

(٢٠٨) المرجع السابق صفحات ٣٠٩ ـ ١٠ Finn فين الى « مالمسبرى »Malmesbury ١٢ يونيو ١٨٥٨ .

(٢٠٩) « زينيب » (تاودروس) صفحات ٣٩ ـ ٤٠ ENA« بحربرا » كارتونCarton ١٩ رقم ١١٠ « تاودروس » الى « حسن » ٢٧ مايو ١٨٦٠ أرشيف « شبتلر » ٣D/٩ « زالموللر Saalmuller» الى « شيتلر Schneller» ١٢ اكتوبر ١٨٥٩ FO١/٤٠١ صفحة ٣٢٧ « بلاودن Plowden الى « مالمسبرى » ٢ فبراير ١٨٥٩ .

على اثبات انه جار صديق وكان لهذا بلا شك صداه الطيب لدى تاودروس خاصة ان عام ١٨٥٩ كان مليئا بالتمرد المستمر فى « ويللو » وثورة « سيف ميلاسى » فى « شيوا » والحاجة الملحة لعمل شىء ما نحو الموقف فى « تيجرى »(٢١٠) .

وللأسف استمرت الأوضاع غير المستقرة على الحدود فى اشاعة الاحتكاكات والحوادث خاصة فى منطقة « كوالابات » وقد وقع هجوم فاشل على « ميتما » فى اوائل ١٨٦٠ قام به عصابة من المغيرين للسلب قيل انهم من « تيجرى » ، ولكن هذا الهجوم لايعد حادثة خطيرة بشكل كبير(٢١١) . ولكن وصلت أنباء أنه فى مايو من نفس العام قام « عمر واد نمر » عدة مرات باقتحام ناجح داخل مناطق « شكريه » بعد « غدارف » وطالب باسم تاودروس بالضرائب من كل « منطقة أعالى النوبة »(٢١٢) وقد تكون هذه مبادرة شخصية من « وادنمر » . وعلى أى حال فقد كانت المناطق التى وجه اليها الهجمات من أراضيه أصلا فقدها أبوه أمام المصريين . وحينما احتج الحاكم « حسن بك سلامة » لدى تاودروس على هذا الاقتحام ، فان الملك لم يكتف بالانكار ساخطا أنه لم يعط اى تعليمات بأخذ ضرائب من الرعايا المصريين ولكنه وعد باعطاء الأوامر « لوادنمر » لارجاع كل ما استولى عليه . ومع أنه أكد أن له حق المطالبة بأراضى فى مصر الا أنه أشار الى أن المفاوضات جارية بينه وبين سعيد باشا للتوصل الى حل سلمى(٢١٣) . وقد أرسل « وادنمر » مبعوثين للملك فى موسم الأمطار عام ١٨٦٠ ولكن للأسف لا يوجد أى معلومات مسجلة بشأن مهمتهم(٢١٤) .

وبعد عام أرسل تاودروس خطابا الى سعيد باشا نفسه رد فيه على شكاوى الحاكم المصرى من «عمر من» ورئيس سودانى آخر يدعى أبورواش كان قد اخترق كذلك الحدود الأثيوبية لكى يتفادى دفع الضرائب التركية الباهظة ، وكما قال تاودروس فى خطابه فان « عمر » قد اشتكى أيضا من الاقتحام داخل أراضيه فى اثيوبيا . ولكن تاودروس بدلا من التهديد بالانتقام اقترح أن يرسل سعيد باشا أحد المختصين بهذه الأمور حتى يقوم بعمل استقصاء سليم وارجاع الممتلكات المنهوبة لإصحابها ومعاقبة المذنبين من الجانبين ، كما أنه تفادى ايراد الملاحظات الروتينية الخاصة « بالمناطق المتنازع عليها التى كانت ملكا لأجداده حكام اثيوبيا » . وأخيرا وعد بالكتابة مرة أخرى

(٢١٠)Zeneb « زينيب » تاودروس صفحات ٤٠ - ٧ وكانت رسائل بلاودن (فى ١٨٥٩ ، اوائل FO١٨٦٠ ١/٤٠١ صفحات ٣٢٧ - ٥٥ فى كل مكان من المصور) تروى نفس موضوع الحرب وعدم الاستقرار

(٢١١) شتيرنStern(جولات) صفحات ٣٦ - ٧ « لوجان » (رحلة الى الحبشة) TM(رحلة حول العالم) ١٨٨٥ الثانى صفحة٢٣٠

(٢١٢) لوجان (تيودور الثانى) صفحة ١٢٠

(٢١٣) ENA« بحربره «كارتون ١٩رقم١١٠ تاودروس الى « حسن » ٢٧ مايو ١٨٦٠ وفى مايو ١٨٦٠ تزوج تاودروس من ابنة « ديجز ماخ ويبى » فى « ديرى طابور » لقد أطلق سراح ابيها وكان يبحث عن حل لمشكلة « تيجرى » حتى يتفادى الاغارة مرة ثانية على نيجوش . جولات صفحات ١١١ - ١٢ ، ١٢٢ بيف «شبتلر» د٣/٢ «فلاد» الى « جوبات » ٣٠ اغسطس ١٨٦٠ D٣/٩ «زالموللر» الى «شبتلر» ١٣ يناير ١٨٠ .

(٢١٤) « شتيرن »(جولات) صفحة ١٥٠

وارسال الخطاب مع « عبد الرحمن » والذى تم احتجازه حتى يشهد حلول واستتباب السلام فى البلاد . وان من المنتظر أن يرحل بعد انتهاء موسم الامطار(٢١٥) وحتى منتصف عام ١٨٦١ ظلت العلاقات الاثيوبية المصرية على المستويات العليا ودية تقريبا أو على الأقل بدون حرب بالرغم من حوادث الحدود والتقارير والإشاعات المستمرة حول خطط الطرفين واستعداداتهما للحرب . واذا كان سعيد باشا قد مارس ضبط النفس فقد فعل ذلك أيضا تاودروس . ويبدو أن سعيد لم يرسل ردا على خطاب تاودروس فى مايو ١٨٦١ ولذلك فمع انتهاء عام ١٨٦١ انتهت كذلك فترة ضبط النفس والحوار أيضا(٢١٦) .

وكان تدهور العلاقات المصرية الأثيوبية وأزمة عام ١٨٦٢ - ١٨٦٣ مبعثها كراهية تاودروس لكل شىء مسلم ورغبته فى كسب شهرة الفاتح . وبصفة خاصة كان سبب هذا التدهور فى هذه العلاقات استقبال تاودروس ودعمه لقطاع الطرق المستديمين والخارجين على القانون والهاربين من السودان وكذلك تهديداته لسعيد باشا واثارته الى الحد الذى اضطر فيه سعيد باشا الى تعيين « موسى حمدى باشا » حاكما لكى يعيد النظام فى السودان ويحميه من الغزو الاثيوبى . ولقد كان ما تردد من ورود خطاب عنيف اللهجة ويتسم بالوقاحة الى « موسى » من الملك - هو السبب الذى جعل « موسى » يقوم باجراء ما فى بداية عام ١٨٦٣(٢١٧) .

وللأسف فان تاريخ ومضمون الخطاب يصعب تحديدهما تماما كما هو من الصعب تحديد الحدود بين الاراضى المصرية والاثيوبية . وقد عين « سعيد باشا » موسى حمدى قبل سفره الى اوروبا فى ابريل ١٨٦٢ وأعطاه صلاحيات ضخمة وقوات اضافية بزعم أن تاودروس كان على وشك الهجوم على « سينار »(٢١٨) . وكانت مثل هذه الاشاعات منتشرة فى القاهرة خلال النصف الاول من عام ١٨٦٢ ، كما أضاف الدكتور « بيكى » الى ذلك أيضا التهديد القديم بأن تاودروس يخطط

(٢١٥)ENA« بحربره »« الكارتون » ١٩ رقم ١١١ -تاودروس « الى « سعيد » ٢١ مايو ١٨٦١ . وهذا التاريخ يوافق التاريخ الهجرى ١١ ذى القعدة ولكن من الممكن أيضا قراءة ذى القعدة بدون تاريخ محدد . وحول فترة وجود « عبد الرحمن » التعيسة فى اثيوبيا ورحيله وانتحاره وهو فى « بحر بره » فى طريقه لبلاده ، انظر ارشيف « شبتلر » D ٩/٣ « زالموللر » الى « شينللر » ١٣ يناير ١٨٦١ ، FO ١/٤٠١ صفحات ٤٥٦ - ٩ « كاميرون » الى «راسيل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ « فلاد » (اثنا عشرعاما)المجلد الاول صفحة ٢٠ « رسام » (البعثة البريطانية)المجلدالاول صفحة ١٩٣ .

(٢١٦) مسودة خطاب أو نسخة من خطاب غير مؤرخ وجد فى « بحر بره » « كارتون » ١٩ (رقم ٥) ومن المحتمل أن تكون الرسالة التى رد عليها تاودروس فى ٢١ مايو ١٨٦١ . وبالرغم من استخدامه المكثف للارشيف المصرى فقد أعطى « دوين » الانطباع (اسماعيل الثالث ، ١ ، صفحات ٥٧ - ٦٤) بأنه لم تكن هناك أية اتصالات بين سعيد باشا وتاودروس بعد اخفاق بعثة « كيرلس » فى عام ١٨٥٧ .

(٢١٧) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ - صفحات ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٤ ، « هيل » (السودان) صفحات ١٠٧ ، ١٠٩

(٢١٨) « دوان » (اسماعيل الثالث) ١ - صفحات ٥٩ - ٦٠

لتحويل مياه النيل بعيدا عن مصر(٢١٩) . ومن ناحية أخرى أشيع فى اثيوبيا فى نوفمبر ١٨٦١ ان سعيد باشا سيغزو البلاد بقوات تبلغ أربعين ألف مقاتل(٢٢٠) .

وقد تحدث « هنرى دافتون » - الذى مر بالخرطوم فى يوليو ١٨٦٢ فى طريقه من مصر الى اثيوبيا وبرفقته زميله الشهير « سير صامويل بيكر » والذى وصل الى هناك من الحدود الاثيوبية فى يونيو وغادرها الى « البرينانزا » فى ١٨ ديسمبر - تحدث عن الخطاب بصيغة الماضى ، وكان « دافتون » يعتقد أن الخطاب الذى ارسله تاودروس لسعيد باشا هو الذى تسبب فى ارسال موسى باشا ومعه عشرة آلاف مقاتل الى السودان . وقد أخبر موسى باشا « بيكر » بمحتويات الخطاب وأعلنه انه « فى سبيل اعداد حملة للرد » ، وبأن الملك مجنون وأضاف « أنه لولا حماية الانجليز للحبشة لكان المصريون قد استولوا على الحبشة برمتها منذ زمن طويل . . » (٢٢١) وبالرغم من وجود مراسلات منتظمة فقد ابلغ « موسى » الخطاب للقاهرة فى شهر ديسمبر ١٨٦٢ فقط (٢٢٢) .

وعند وصول موسى الى السودان لم يجد أى أثر لغزو اثيوبى ، كما أبلغه « بيكر » و« تيودور فون هوجلين » أن تاودروس وجيشه لم يتواجدوا فى اى مكان بالقرب من الحدود المصرية خلال النصف الاول من عام١٨٦٢(٢٢٣) . كما لم يظهر الجيش الامبراطورى بعد موسم الأمطار . ومع ذلك فقد كان فى نية تاودروس زيارة الحدود بعد موسم الأمطار . وفى شهر مايو ١٨٦٢ تلقى « الشيخ جمعة » شيخ ماتيما (كلابات) تلقى خطابا من الملك يتضمن تعليماته بأن يكفل مؤونة كافية من الحبوب والعسل لجيشه (٢٢٤) . وكانت خلفية هذا الموضوع هى محاولة الشيخ احمد (أو حمد) « وأدميرا » ان يخلع جمعة ويحل محله ، لقد أمضى « الشيخ احمد » عدة سنوات فى سجن مصرى لمحاولة سابقة للاستيلاء على المنصب الذى يدر ربحا كبيرا ، عن طريق العنف . وطبقا لما كتبه « بيكر » الذى مر على « ماتيما » فى ابريل ، أعلن « الشيخ احمد » بعد اطلاق سراحه أنه تابع

(٢١٩)AECP بروكسل - مصر٣ « زيزينا » الى روجر ١٩ يونيو ١٨٦٢ ، وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٤١٩ - ٢٠ « بيكر » الى « راسل » ١٤ يونيو ١٨٦٢

(٢٢٠) ارشيف « شبتلر » D ١/٣ « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١

(٢٢١) « دافتون » (سرد) صفحات ٤٤ ، ١٨٥ (وحول التاريخ صفحة ٢) « بيكر » (روافد النيل) صفحات ٥٥٩ - ٦٠ (وحول التواريخ صفحات ٥٦١ ، ٥٧٤

(٢٢٢)وبالاضافة الى مارواه « بيكر » ، فقد استشهد « دوان » برسالة موسى حمدى الى القاهرة فى ٢٧ ديسمبر ١٨٦٢ (اسماعيل الثالث ١ صفحة ٦٤) ولكن سرده للنقاط الأساسية التى تضمنها الخطاب تعتبر ترجمة حرفية « لبيكر » كما أنه كرر ماقاله بيكر فى وصفه للخطاب بأنه « وقح » وبأن الملك شخص مجنون وقال هيل (السودان) صفحة ١٠٩) ان الخطاب « عنيف بشكل هستيرى » ولكنه لم يذكر وصف موسى « لبيكر » « بأن تاودروس مجنون » ومن المحتمل أن يكون تاودروس قد كتب خطابين استفزازيين - ولكن لم يعثر على أى منهما مع بقية الخطابات الاثيوبية فى « بحربره » « كارتون » ١٩ .

(٢٢٣) «بيكر» (روافد النيل) صفحات ٢٧٩ - ٥١٨ فى أماكن متفرقة هوجلين (الحبشة) صفحات ٢٥٣ - ٤١٩ فى أماكن متفرقة .

(٢٢٤)« جيلوم لوجان » (جالابات وجادابهى) « حوليات جديدة » ٦ ، العاشر ، ١ (١٦٨٤) صفحة ١٩ .

لمصر وقاد قوات مصرية للهجوم على « ماتيما » . ومع أنه هزم الشيخ « جمعة » فى يناير ١٨٦٢ فانه لم يحصل على منصب شيخ « تاكرورى » ، فقد استغاث « جمعة » بتاودروس الذى استدعى الاثنين وثبت « جمعة » فى منصبه واحتجز أحمد فى « ديمبيا » ، وكما روى نائب القنصل الفرنسى « جيلوم لوجان » الذى مر على تاودروس ستة أشهر بعد ذلك ، ان احمد باشا هو الذى استغاث دون جدوى بتاودروس (٢٢٥) . وسواء هذا أم ذاك فان المهم هو أن الصراع وصل تاودروس ، وحضر مفاوضون من « كلابات » الى معسكر تاودروس فى جنوب « ويللو » فى شهر ابريل(٢٢٦) . وكان من الواضح أن شيوخ « ماتيما » بينما كانوا يوزعون جزءا من دخلهم فى الانجاهين كانوا يدينون مع ذلك بالولاء للحاكم الاثيوبى - وقد أخبر « جمعة » « بيكر » أن « هذه هى الحبشة » وان تصريح نائب الملك المصرى كان مدخلا خاطئا لأن المصريين أجبروهم على دفع الجزية تحت تهديد السلاح مع أنه ليس لديهم الحق فى دخول هذه البلاد(٢٢٧) .

ولم يكن تاودروس هو الذى بدأ فى تغيير الوضع الراهن عام ١٨٦٢ . فقد كان مشغولا فى معركة شرسة فى « ويللو » وشمال « شيوا »(٢٢٨) . ووصلته أنباء مشاكل ومخاوف الحدود . ولم يكن وفد « كلابات » هو الوفد الوحيد - فقد حضر الشيخ « محمد بن عيد » فى نفس الوقت من اقصى منطقة « بنى امير » فى وادى « بركة » على الأرجح لاعلان ولأنه للملك وطلب مساعدته ضد المصريين(٢٢٩) . وفى الواقع كانت القلاقل على امتداد الحدود والتى كان يشكو منها المصريين نتيجة لأعمالهم . ونظرا للضرائب الباهظة التى فرضها المصريون فان الكثير من قادة القبائل الأخرى سلكوا نفس الأسلوب الذى اتخذه من قبل « ميك نمر » وقادوا رعاياهم عبر الحدود داخل الاراضى الاثيوبية ، فقد استقر مثلا « الشيخ احمد أبوسن » من الرفاعة فى منطقة « داباركى » . ومعه كما تردد عشرة آلاف الى خمسة عشر ألف شخص فى « دنكر » وسط « كوارا » . وفى « عطبرة » شمال « متيما » أخذ « أبورواش » المشار اليه فى خطاب تاودروس فى مايو ١٨٦١ أخذ معه من تسعة آلاف الى عشرة آلاف شخص من الاراضى السودانية ، وفى نظر السلطات المصرية كان هؤلاء الأشخاص هاربين ومجرمين ويلزم مطاردتهم واجبارهم على العودة(٢٣٠) . ومن ناحية أخرى اعتبرهم تاودروس وحكامه « لاجئين سياسيين » وسمحوا لهم بالاستقرار فى مناطق الحدود غير كثيفة السكان ولكن

(٢٢٥) بيكر (روافد النيل) صفحات ٥٠٧ - ٩ « لوجان » - جالابات - (حوليات جديدة) ٦ ، العاشر ، ١ صفحة ١٠٨ قارن « دوان » (اسماعيل الثالث) ١ صفحة ٣٩ ، (بحر برة) كارتون ١٩ رقم ٥ المدخل الثالث .

(٢٢٦) هوجلن (الحبشة) صفحة ٩٧٢

(٢٢٧) بيكر (روافد النيل) صفحة ٥٠٧

(٢٢٨) هوجلين (الحبشة) صفحات ٣٤٠ - ٣٦٢ رحلة السيد هوجلن ، د. « شتوندر » و« شويدت » فى شرق « تابلى » فى أعالى الحبشة فبراير الى مايو ١٨٦٢ « بيترمان » ٢٨٦٢ صفحات ٤٢٤ - ٧ ارشيف « شبتلر » ١٢/٣ « فالدماير » الى « شليتر » ١٤ مايو ١٨٦٢

(٢٢٩) هوجلين (الحبشة) صفحة ٣٧١ انظر « دوان » (اسماعيل الثالث) صفحة ٦٣ حول مصير محمد بعد عودته .

(٢٣٠) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحة ٦٢ « لوجان » تيودور الثانى صفحات ٢٢٨ - ٩ « هيل » (السودان) صفحة ١٠٩

حتى اذا كانوا قد رغبوا فى العودة فلم يكن يملك تاودروس منعهم من العودة واختراق الحدود غير المحددة ، وتدريجيا كان اعلان السلطات المصرية أن هؤلاء الاشخاص رعايا اتراك يشكل تدخلا فى وجهات النظر الخاصة برسم الحدود بين البلدين . ويبدا هذا واضحا اذا ما قورنت خرائط المنطقة التى تم جمعها عام ١٨٤٠ بتلك التى وضعها هوجلين عام ١٨٦٧ .

ومع أن الخرائط الاولى تتضمن كثيرا من الأخطاء وتختلف نسبيا فى مواقع عدة أماكن ، فانها تتفق بصفة مبدئية على أن الحدود المصرية تمتد من « الميريب » (جاش) وهى منطقة تقع بين « كسلا » ، تيزينى ، جنوب غرب التقاء « تيكيزى » (سيتيت) و « عطبرة » فى « صوفى » القديمة حتى نقطة فى غرب رشيد ثم جنوبا حتى « فاماكا » على النيل الأزرق . وتشير خريطة خبير محمد على النمساوى « جوزيف روسيجير » الى حدود ثانية بين الحبشة من ناحية وبين « بيجا » من ناحية أخرى وهى جزء رافد من الحبشة وقبائل الرعاة الاثيوبيين شمال « تيكيزى » وعلى امتداد « عطبرة » . والحدود الثانية تقطع « عطبرة » شمال « ماتيما » وتربط – عند جنوب غرب المدينة – المناطق المشتركة على الحدود المصرية والاثيوبية[٢٣١] . وأظهرت خريطة « ويلاند كيبرت » عام ١٨٤٦ شريطا « غير تابع لأحد » بين الأراضى المصرية والأثيوبية يضم الى جانب مجموعات أخرى ، الجنجار[٢٣٢] ، الذين من المحتمل ألا يكونوا رعايا اثيوبيين[٢٣٣] وما نستخلصه من تلك الخرائط هو أن الاوروبيين الذين كانوا يعتمدون على معلوماتهم من المصريين ، كانوا يعتبرون أن « التاكروريين » فى منطقة « ماتيما » رعايا اثيوبيين ، بينما كانت مجموعات قبائل « دوبينا » فى اقصى شمال المنطقة الغربية ، وكذلك قبائل « شنكيلا » فى شرق عطبرة يقطنون منطقة محايدة تعتمد بصورة غير واضحة على اثيوبيا[٢٣٤] . وكان الأمر بالنسبة « لمانسفيلد باركنز » الذى وصل الى منطقة « صوفى » أمام « عطبرة » بعد زيارة « لميك نمر » فى « ماى جوبا » كان الأمر بالنسبة له اكثر وضوحا ، فهناك على الأقل كان عبور النهر يعنى العبور من الأراضى الاثيوبية للتركية[٢٣٥] وفى خريطة « هوجلين » بعد عشرين عاما ظهرت « ماتيما » كلابات و « بيزن » كوناما كمناطق مستقلة ، وحينما تلتقى الأراضى الاثيوبية والمصرية بين الوحدتين فان الحدود تبلغ من مائة الى مائة وخمسين

---

(٣٣١) « روسيجر » (خريطة لشرق السودان ممتدة من أراضى كردفان والنوبة وسنار . . . الحبشة ومناطق « جالا ») شتوتجارت ١٨٤٣ .

(٢٣٢) « ويلاند » ، كيبرت « اراضى النيل أو النوبة المصرية والخريطة الحبشية و« يلاند » ١٨٤٠ تصحيح « كيبرت » ١٨٤٦ نايمار ١٨٤٦) .

(٢٣٣) ويعطى نشاط تاودروس ورفيقه الجنجارى « ادريس » فى المنطقة – فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر (زينيب » تاودروس صفحات ٨ – ٩ ردا ايجابيا على ذلك .

(٢٣٤) وحول المعلومات الاسبق عن الوضع فى المنطقة انظر « جيمس بروس) رحلات لاستكشاف منابع النيل (ادنبرة ١٧٩٠) المجلد الرابع صفحات ٣١٦ – ٠٤١ لم يحاول « بروس » أن يرسم حدودا غربية لأثيوبيا فى خريطة (المجلد الخامس) لاحظ أن خريطة « راسل » فى « النوبة والحبشة » (ادنبرة ١٨٣٣) تعتبر « ويلكايت » على جانبى « عطبرة » كما أن « جنجار » مع « كوارا » داخل الحدود الاثيوبية

(٢٣٥) « باركنز » (حياة) المجلد الثانى صفحات ٣٩١ – ٦ تنشأ البلبلة من أن المسافرين اعتادوا التحدث عن البلدة أو المدينة الأخيرة فى الهضبة حيث اللغة هى « التيجرينا » أو « الأمهرية » على اساس انها المدينة الحبشية الأخيرة أو مدينة الحدود . (انظر المرجع السابق صفحة ٣٤٤) .

كيلو مترا شرق « عطبرة » وبالتالى تتضمن منطقة واسعة تدعى « جزيرة اللبان » أو بساطة « ميك نمر » داخل الاراضى والممتلكات المصرية . وعلاوة على ذلك فان « كلابات » وبيزن « تبرزان كالنتوء فى الاراضى المصرية بصورة واضحة حتى أن الأمر يتطلب تصحيح خريطة الحدود نفسها عن طريق دمج هاتين الوحدتين أيضا[٢٣٦] ، ومع ذلك فان الاساس الوحيد لادخال منطقة « ميك نمر » كان هجرته هو واتباعه من السودان منذ أربعين عاما واعتبر « عمر بن نمر » نفسه حاكما أو تابعا لتاودروس وقاوم الحكم التركى بضراوة مثل أبيه[٢٣٧] . وكتب « بيكر » الذى تجول فى المنطقة لمدة تسعة أشهر فى عام ١٨٦١ – ٦٢ (بينما « هوجلين » لم يزر المنطقة) كتب التالى عن الغارات والغارات المضادة التى حدثت ولم يكن لديه أى شكوك عن مواقع الحدود الموجودة فعلا :

« ان المنطقة الواقعة فى الضفة الشرقية لعطبرة اراضى متنازع عليها وهى تشكل فى الواقع الحدود الغربية للحبشة حيث يعتبر نهر عطبرة حدودا ، وبما أن « صوفى » تقع على الحدود فان القوانين تعتبر مجرد قوانين اسمية فاذا ارتكب شخص جريمة فى الحبشة فانه يلجأ الى المنطقة عبر الحدود وكذلك فقد تزايد عدد عتاة المجرمين بدرجة كبيرة الذين كانوا يتجولون بحرية فى المنطقة[٢٣٨] .

« ان المجتمع فى هذه المنطقة لم يكن يضم الصفوة والنخبة حيث كانت أراضى « نيمر » ملجأ للأوغاد من الدول المجاورة الذين جذبهم غياب القانون نتيجة للصراع المستمر على الحدود » .

وفى عام ١٨٦٢ وبعد غارة انتقامية جعلت المصريين ينطلقون حتى حصن « النيمراب » فى « ماى جوبا » والتى تبعد مائة كيلو متر شرق عطبرة ، كان عمر على استعداد للتوصل الى حل سلمى[٢٣٩] ، وقد حاول استخدام « بيكر » كمفاوض من طرفه مع وعده بعدم اختراق عطبرة مرة أخرى اذا ما ترك فى سلام شرق النهر . ولكن هذا العرض رفض عدة مرات من قبل موسى باشا[٢٤٠] .

---

(٢٣٦) « فون هوجلين » (خريطة اثيوبيا) (شرق سنار) « ينا Jena » ١٨٦٧

(٢٣٧) « بيكر » (روافد النيل) صفحات ١٤٠ – ١ ، ٢٢٧ – ٨٠ ، ٤٤٤ .

(٢٣٨) نفس المرجع السابق صفحات ١٣٨ ، ١٨١ هناك أدلة كثيرة على ذلك أيضا (انظر صفحات ٢١٤ ، ٢٤٧ ، ٢٧٨ – ٩ « لوجان » فى (١٨٦١) حيث وجد « لوجان » أن « صوفى » هى مدينة الحدود لتلك المنطقة وقد خطط الحدود من خلال « الجادن » ، « صوفى » الى فاظوغلى AEMD افريقيا ٦١ صفحات ٩١ – ٤ الى « توفينيل » ٢٩ يناير ١٨٦٢) .

(٢٣٩) « بيكر » (روافد النيل) صفحة ٤٥١ .

(٢٤٠) المرجع السابق صفحات ٤٤٤ ، ٤٥٩ ، ٥٥٩ .

وفى ظل هذه الاحداث لم يكن من المنتظر أن يقرر تاودروس أن وجوده ضرورى على الحدود لقد كانت الكثير من القبائل على طول الحدود تتطلع الى اثيوبيا لتخليصها من ظلم المصريين، حتى « الدكتور بيكى » ، والذى كان مشهورا بعدائه لتاودروس ونصح الحكومة البريطانية اكثر من مرة بالاتتعاون معه ، اعترف ، بأنه من المفهوم بصفة عامة هناك (فى الخرطوم) ان المواطنين كانوا يفضلون الحكم الحبشى على الحكم التركى المصرى »[٢٤١] . وقد أثبت خطاب الملك « لجمعة » أن تاودروس يعتقد أن اظهار القوة على الحدود سيدعم هذا الوضع ولكن من المحتمل أن خطابه الوقح الى « موسى حمدى » ، والذى أعلن فيه أخيراً ، أن حدود اثيوبيا من النيل عند الخرطوم الى « شندى » ثم مباشرة عبر « عطبرة » ، ربما كان يقصد به التهديد بأنه فى النهاية سيغزو المنطقة ثم يحتلها . وكانت اكثر النقاط اثارة فى الخطاب - كما ذكر « موسى » هى الاشارة الى « شندى » . وقبل الاشارة مباشرة الى أن منطقتى « وادنمر » و « ويلدى » ، « وطريق ميراج » منطقتين تابعتين لاثيوبيا وليس لمصر[٢٤٢] . ويبدو أن هذا يعنى أن تاودروس - بعد الغارة المصرية على « ماى جوبا » ورفض موسى لقبول عرض « وادنمر » باعتبار « عطبرة » الحدود الفعلية - كان مستعدا لمؤازرة طموحات « النيمراب » للعودة الى النيل كاثيوبيين وليس أتباعا للأتراك واذا كان هذا صحيحا فان الموقف المتشدد للسلطات المصرية تجاه أحفاد « ميك نمر » وأتباعهم لعب دورا رئيسيا فى حث تاودروس على زيادة وتحديد مطالبه الاقليمية فى الغرب ، ورغم ذلك فهذا لايثبت أن الملك كان يخطط لغزو وشيك على رأس جيشه حتى لو كانت الاشاعات التى وصلت الصحافة الفرنسية فى ذلك الوقت فى صيغة اعلان حرب من اثيوبيا[٢٤٣] .

وفى النهاية لم يغز تاودروس السودان ولا حتى قام بزيارة « كلابات » ولما كان الملك فى أوج قوته عام ١٨٦١ ـ ١٨٦٢ من حيث السيطرة السياسية والعسكرية فلم يكن سبب تحفظه هو القلق بشأن الأمن الداخلى[٢٤٤] . فقد كان تحت امرته جيش ضخم مدرب ولكن غير مستقر يبلغ حوالى ٤٠ ألف الى ٥٠ ألف مقاتل ، وكذلك ضعف هذا العدد من التابعين فى المعسكرات . ولم يكن هذا العدد يتضمن قوات « تيجرى » و « ولاستا » والتى يمكن تعبئتها أيضا خاصة فى أى شىء يعتبر قضية قومية . وكان الكثيرون يعتقدون أن الملك بوسعه حشد من مائة ألف الى مائة وخمسين ألف

---

(٢٤١) وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٤٣٥ - ٦ « بيكى » الى « ليارد » ٢ سبتمبر ١٨٦٢ انظر كذلك « لوجان » (تيودور الثانى) صفحة ١١٩ ، « دافتون » (سرد) صفحة ٢٤ وحول موقف « بيكى » من تاودروس انظر FO ١/٤٠١ صفحات ٣٣٨ - ٤١ (٢٦ ديسمبر ١٨٥٩) ٣٧٤ - ٥ (٧ فبراير ١٨٦١) ٤٣٣ - ٤ (٢٢ أغسطس ١٨٦٢)

(٢٤٢) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحة ٦٤

(٢٤٣)AEMD افريقيا ٦١ صفحات ١٣٥ - ٦ مقتطفات من صحيفة « لوموند » ١٥ مارس ١٨٦٣ نقلا عن La Patrie(الوطن)

(٢٤٤) ارشيف « شبتلر » D ٣ / ١ « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١ ، FO٤٠١ / ١ « كاميرون » الى « راسل » ٢٢ يوليو ١٨٦٢ .

مقاتل عند الضرورة[٢٤٥] . لذلك كانت الاغارة داخل السودان فى نطاق امكانيات تاودروس العسكرية كما كانت مزايا « حملة ضد عدو خارجى » تفوق المخاطر المحتملة . ولكن الحدود الغربية كانت جزءا فقط من المشكلة التركية التى واجهت اثيوبيا فى عام ١٨٦٢ .

لقد أوصله التخلص من « نيجوشى » الى الوقوف وجها لوجه أمام الغزو التركى على ساحل البحر الأحمر . وفى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون يأملون فى السيطرة على الشاطىء من خلال اتصالاتهم مع « نيجوشى » كانوا متأكدين أن الشاطىء كله ملك لاثيوبيا مهما كان عدم وضوح السيطرة على بعض رؤساء المناطق الساحلية[٢٤٦] . ولما فشلت هذه الخطة ومع محاولات البريطانيين من عدم للحصول على منطقة بجوار « مصوع » من خلال اتفاقية مع بعض الرؤساء المحليين ، قرر الفرنسيون البحث عن حليف آخر ، وقد اكتشف القنصل « جلبرت » أن الحاكم التركى « لمصوع » يرغب فى احتلال « ديزى » وصدرت اليه الأوامر بعدم معارضته ذلك وأنه عند الضرورة وفى حالة عمل بريطانى وشيك ، فعليه أن يشجع بقوة الحاكم على الالحاح على المطالب التركية[٢٤٧] .

وبعد مضى عام استولى الأتراك على جزيرة « ديزى » وميناءى « زوللا » و « اد » . وكانت الدلائل تشير الى أن حاكم « مصوع » فى طريقه لضم مناطق أخرى . وقد أحس « الكابتن كاميرون » خليفة « بلاودن » أنه ربما تكون هناك بعض المزايا لبريطانيا العظمى من الاحتلال التركى لم يسعه الا الاعتراف بأن مصادر اثيوبيا الرئيسية من الملح الصخرى والذى يستخدم فى العملة المحلية وكذلك الكبريت المستخدم فى انتاج البارود ، يقعان فى المنطقة الخطرة ، وقد قابل القنصل مبعوثى حاكم « تيجرى » لمعرفة ما يجرى على طول الشاطىء . وكان على يقين بأنه من المؤكد أن « تاودروس » سيكتسح عاجلا أو آجلا « المناطق المملوكة للأتراك على الساحل » ومع ذلك فقد كان يأمل أن يتمكن من الحيلولة دون وقوع ذلك « اذا أمكن كبح طموحات الأتراك داخل حدود مقبولة »[٢٤٨] .

---

(٢٤٥) « هوجلين » (الحبشة) صفحات ٣٥٦ ـ ٨ « دافتون » (سرد) صفحة ١٨١ ، « لوجان » (رحلة IM (رحلة حول العالم) ١٨٦٧ الأول صفحة ٣٥٤ وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٧٠ ـ ٣ « ايرتون » الى « راسل » ١٩ سبتمبر ١٨٦٤ وقد أورد زميل « هوجلين » وبدعى « شتويدنر » (بيترمان ١٨٦٢ صفحة ٤٢٥) أقل تقدير فى تقريره لجيش الملك فى ذلك الوقت وهو ٣٠ الف مقاتل .

(٢٤٦) AECP « مصوع » ٣ صفحات ٤٧ ـ ٨ « جلبرت » الى « توفينيل » ٣٠ يونيو ١٨٦٠ .

(٢٤٧) المرجع السابق صفحات ٨١ ـ ٢ « جلبرت » الى « توفينيل » ١٠ ديسمبر ١٨٦٠ صفحات ١٠٣ ـ ٦ « توفينيل » الى « جلبرت » ٢٩ مارس ١٨٦١ كذلك AECC « ماسوا » ٢ صفحات ٢١ أ ـ ف « توفينيل » الى « لوجان » مايو ١٨٦٢ .

(٢٤٨) اف أو ٤٠١ / ١ صفحة ٤٠٧ « بارونى » الى « راسل » ١٤ ديسمبر ١٨٦١ صفحات ٤١٠ ـ ١١ « كاميرون » الى « راسل » ٢٠ مارس ١٨٦٢ بعثة « هوجلين » (بيترمان) ١٨٦٢ صفحات ٢٢ ـ ٣ .

وحينما علم أن تاودروس قد أبلغ بذلك حث حكومته على تحذير « استانبول » :-

« ... يجب أن يوقف الأتراك عند حدهم خاصة أنهم يعتمدون على تأييد معين من جانبنا لتحركاتهم ، واذا ماتخطوا المناطق الداخلية بهذه السرعة كما فعلوا مؤخرا ، فانهم دون شك سيصطدمون مع تاودروس »(٢٤٩) .

وفيما بعد ، علم أن تاودروس قد أصدر تعليماته الى حاكم « هاماسين » أن يجمع الجزية كالمعتاد مع تفادى أى استفزاز - وفى حالة الهجوم فقط يجب أن يستدعى القوات من « تيجرى » ويقاوم(٢٥٠) وقد تأكد « لكاميرون » فى مقابلته الأولى مع الملك يوم ٧ اكتوبر أن توقعاته سليمة . فقد تحدث تاودروس بغضب عن الأتراك « الذين يتعدون عليه من كل جانب » وقال أنهم رفعوا سبعة أعلام على ساحل البحر من « المركز المصرى »(٢٥١) .

والى جانب مشكلتى الحدود كان ثمة أمر ثالث أساء فيه الأتراك لتاودروس ومواطنيه ، فمنذ مناشدة « على » و« وبيى » عام ١٨٥٢ كان دير القدس والحجاج الاثيوبيون هناك يتمتعون بحماية بريطانية شبه رسمية(٢٥٢) . لقد اكتسب القنصل « فين » سمعة طيبة من أجل هذا فى اتصالاته مع تاودروس(٢٥٣) ، ولكنه لم ينجح فى محاولاته للحصول على اعتراف رسمى وشرعى لحقوق الملكية للأثيوبيين(٢٥٤) . وفى عام ١٨٦٢ تدهورت العلاقات بين الأقباط والاثيوبيين ، واختلفوا حول مفاتيح الكنيسة التى يصلون فيها جميعا وكما قال « فين » :-

« لقد اعتاد الأقباط على ضرب الحبشيين مرارا رجالا ونساء » . ووقفت السلطات التركية الى جانب الأقباط . وقوبلت محاولات « فين » لمساعدة الاثيوبيين ، بالادعاء القديم بأن كل الحبشيين هم رعايا الامبراطورية العثمانية ، مع تأكيد السلطات الكنسية لبطريارك الاسكندرية - وهو من رعايا الأتراك - على الأقباط والحبشيين كذلك ، فان هذا الادعاء أخذ أبعادا أكثر اثارة ، ولكن بقيت الحجة الأساسية هى :

---

(٢٤٩) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ /١ صفحة ٤٣٧ « كاميرون » الى « هاموند » ٢٧ مايو ١٨٦٢ (تأكيد من الكاتب) .

(٢٥٠) المرجع السابق صفحة ٤٣٩ « كاميرون » الى « راسل » ٢٢ يوليو ١٨٦٢ .

(٢٥١) المرجع السابق صفحات ٤٥٦ - ٩ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ انظر أيضا « لوجان » (تيودور الثانى صفحة ٧٥ وحول مطالب الأتراك ومخاوفهم انظر خطابات مرسلة من « بيترو افندى » الى « جدة » و« استانبول » ١٨٦١ - ١٨٦٢ فى SP. HNA (أرشيف وزارة الخارجية الباب العالى استانبول) « كارتون » ١٥٠٣ / ٢ .

(٢٥٢) (انظر الصفحات للمراجع السابق ١٣١ حتى ١٣٦ فى النص الانجليزى) FO ٤٠١ / ١ صفحة ٤١٥ مذكرة اف او ٢٣ مايو ١٨٦٢ .

(٢٥٣) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/ ١ صفحات ٣٠٩ - ١٠ « فين » الى « مالمسبرى » ٢١ يونيو ١٨٥٨ .

(٢٥٤) المرجع السابق صفحات ٣٢٥ - ٦ « فين » الى « مالمسبرى » ٢٧ مايو ١٨٥٩ .

« المبدأ السياسى بأن الباب العالى لن يعترف بأن الاحباش ليسوا تحت سيطرة الباب العالى وكذلك حقيقة « أن التصاريح القديمة أو أى وثائق تصدر لهم كانت تمر من خلال الحاكم المدنى فى جدة « وقد قدم « فين » بعض المقارنات كالتالى : « البطريارك والبابا » ، « جدة وكاليه » « الحبشة والجزائر » ، ولكنه تفادى الاشارة الى ما هو معروف من أن السلطان يدعى بأنه « ملك الهند » . ولم يقتنع الباشا التركى وقال « راسل » : « ان للاحباش دولة مستقلة ، ولكننا لا يجب أن نحميهم اكثر من الجزائريين »(٢٥٥) .

ومع أن تاودروس قد سمع عن الاحداث فى القدس من قبل ، فان « كاميرون » لم يهدىء من قلقه بتسليمه عرضا باللغة العربية للاهانات والمحاولات الفاشلة للقنصل « فين » لمساعدة الاثيوبيين(٢٥٦) . ولكى نتفهم أهمية هذا الموضوع بالنسبة لتاودروس فانه من الضرورى أن نتذكر أن الاثيوبى التقليدى المؤمن كان لديه دائما ارتباط شديد وتبجيل للأرض المقدسة وان كون أن القدس كانت فى أيدى غير المؤمنين لهو شىء مهين وغير مفهوم بالنسبة لتاودروس(٢٥٧) . وكان ارتباطه بقضية تحرير القدس يعبر عنه بوضوح فى أحد الألقاب التى يستخدمها فى طقوس التفاخر والتى يسمونها « فوكيرا » : (زوج الحبشة ، وخطيب القدس)(٢٥٨) .

وبعد انتهاء موسم الأمطار فى سنة ١٨٦٢ كان على تاودروس أن يتخذ قرارا جوهريا . فبالنسبة له فان مسألة ارتباط أو عدم ارتباط الحوادث فى السودان وعلى شاطىء البحر الأحمر وفى القدس سيان ، فكلها تشكل بالنسبة له سمات مختلفة للظلم والعدوان التركى على اثيوبيا . ومن ثم ، فليس من المستغرب أن ينتابه الاحساس بالظلم والحزن ويستعد للهجوم على احدى الجبهات . ولكنه كان يساوره قلق آخر . ماذا ستفعل فرنسا وانجلترا اذا قبل التحدى وشن الحرب على الأتراك؟ هل يعتمد ورود الاسلحة والذخائر ، أو على تأييد فعال لأى منهما على الشاطىء أو على الأقل على موافقتهما وتأييدهما المعنوى ؟ أم أنهما سيأخذان جانب الأتراك كما فعلا فى حرب القرم ؟ وقد وصل القنصل البريطانى الجديد فى اثيوبيا كما لو كان قد استدعى لتوضيح هذه النقطة . وكما جاء

---

(٢٥٥) المرجع السابق صفحات ٤٠٦ - ١٠ « فين » الى « بلوير » ١١ مارس ١٨٦٢ صفحات ٤١٣ - ١٤ « فين » الى « راسل » ٧ مايو ١٨٦٢ مع مخاطر صفحة ٤٢٦ « فين » الى « بلوير » ٣ يونيو ١٨٦٢ .

(٢٥٦) المرجع السابق صفحات ٤٥٦ - ٩ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ . . وفى مايو ١٨٦٢ كتب « فلاد » الى « جوبات » ان « ديتميراجبرايوسوس » وهو رسول تاودروس فى ١٨٥٧ على وشك الرحيل الى القدس (ارشيف « شبتلر » ٣٠ / ٨) .

(٢٥٧) « شتيرن » (جولات) صفحة ٥٦ « فالدماير » (مغامرات) صفحات ١٧ - ١٨ « لوجان » : جولات حول العالم) ١٨٦٥ - ١١ صفحات ٢٧١ - ٢ « دافتون » (سرد) صفحة ١١٧ .

(٢٥٨) انظر « روبنسون » (تاودروس) صفحات ٦٠ - ١ .

ومن المؤكد أن مجرد احتمال فقد الوجود الرمزى ألا وهو « ميراث » اثيوبيا فى الاماكن المقدسة كان بالنسبة لتاودروس على الأقل فى نفس مستوى خطورة التعدى على حدود بلاده .

فى تقرير « كاميرون » بدأ تاودروس بكل بساطة بابلاغ القنصل أنه ينوى محاربة الأتراك وسيرسل مبعوثين لبلاط الدول الاوروبية لشرح وتبرير هذا الاجراء وفى مقابلات أخرى تساءلت ما اذا كان البريطانيون مستعدين لبيع الاسلحة لاثيوبيا ، وعما اذا كانوا سيمنعون الأتراك أو الفرنسيين من التدخل على الساحل فى حالة هجومه على مصر؟ وبدون الاجابة على هذه الاسئلة انتهز « كاميرون » اول فرصة مناسبة لابلاغ الملك أن انجلترا لن تستطيع حماية مرور سفنه عبر مصر اذا كانت هناك حرب أو حتى « مناوشات على الحدود » . فكرر تاودروس أنه سيقاتل دفاعا عن بلده وعقيدته : ولكنه أضاف ، « أنه لن يبدأ فى الحرب الابعد طلب مساندة كل العالم المسيحى »(٢٥٩) . ولكى يمنع تاودروس من ذلك أبلغه « كاميرون » أن الباب العالى سينذر بألا يقدم على أى عمل استفزازى . وعرض عليه خطابا كتبه بنفسه للقنصل البريطانى فى الخرطوم مناشدا اياه بذل قصارى جهده للحفاظ على السلام ، ومن ناحية أخرى بلغ اسماع الملك ان الفرنسيين على وشك اقامة مستوطنة فى « طاجورا » لاستخدامها قاعدة للعمليات ضد الحبشة ، والى سعيد باشا » ذهب الى فرنسا والى السلطان فى مصر . وقد لاحظ « كاميرون » أن « هذه المعلومات المختلفة » قد أزعجت صاحب الجلالة كثيرا »(٢٦٠) .

وبهذا جعل كاميرون القرار صعبا على تاودروس بالاشارة الى أن هناك نوعا من التفاهم بين فرنسا وتركيا « يا صاحب الجلالة ان لديك اعداء كثيرين الى جانب الأتراك والمصريين »(٢٦١) . . . كما ألمح بأن انجلترا ستعمل على تحجيم تركيا اذا ما حافظت اثيوبيا على السلام . وقرر الملك الكتابة فورا للعديد من حكام اوروبا . وفى خطابيه للملكة فيكتوريا والامبراطور نابوليون الثالث أشار الى أنه ينوى الحرب لاسترداد المناطق التى فقدها وفى خطاباته لبقية حكام اوروبا ناشدهم بصفة عامة كاخوة فى المسيحية أن يهبوا لمساندته (٢٦٢) . وقد طلب من « كاميرون » ورجل فرنسى حضر معه يدعى « اوجست بارديل » أن يتسلموا الخطابات لتوصيلها والعودة بالردود وكان هذا يستغرق حوالى ستة أشهر(٢٦٣) .

---

(٢٥٩) وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٤٥٦ - ٩ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ (تأكيد من الكاتب) .

(٢٦٠) المرجع السابق

(٢٦١) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٤٦٠ - ١ « كاميرون » الى « تاودروس » ٢٢ اكتوبر ١٨٦٢

(٢٦٢) وزارة الخارجية البريطانية ٧٢١/٩٥ رقم ١٢٦ تاودروس الى « فيكتوريا » ١٩ اكتوبر ١٨٦٢ AEMD افريقيا ٦١ صفحة ١٠٥ تاودروس الى « نابوليون الثالث » ٢٩ اكتوبر ١٨٦٢ . تاريخ ٢٠ اكتوبر مقابل ٢٠ « تيكمت » أى ٢٩ اكتوبر وكان خطاب فيكتوريا باللغتين الأمهرية والانجليزية وخطاب نابوليون بالفرنسية فقط وكلاهما مختوم . والأخير بخط يد « مهديرى كال » وبالأمهرية يقول « جملة غامضة يمكن ترجمتها كالتالى : « أنتم أيضا تسمحون بان تظلموا معى (مشاركتى فى الظلم) حينما يحاول المسلمون ظلمى وأنا مسيحى » . وكتبت هذه الجملة كالتالى ببساطة : «انظر كيف يظلم » الامام « المسيحى » .

(٢٦٣)وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٤٦١ - ٣ « كاميرون » للممثل المقيم السياسى فى عدن ٢ نوفمبر ١٨٦٢ صفحة ٤٦٥ « كاميرون » الى « راسل » أول نوفمبر ١٨٦٢ .

وفى هذه الأثناء حدثت الواقعة . فقد قام « موسى باشا » دون أن يمنعه أحد بجولة تفتيشية على الحدود فى فبراير / مارس ١٨٦٣ على رأس قوة قوامها ثمانية آلاف رجل ، وتضمنت الجولة غزو « كوارا » وحرق مدينة « دنكر » (فى اوائل فبراير) وسلب ونهب « ماتيما » واستكشاف مناطق حتى « وهنى » (١٢ - ١٧ فبراير) وضم « جيوهابى » من خلال استسلام شيوخها ، ومحاولة جديدة غير ناجحة للقبض على « عمر نمر » داخل الاراضى الاثيوبية (أواخر فبراير) ، ومع ذلك فشل « موسى » فى تحقيق رغبته المعلنة لانشاء « منطقة قفرة بعمق سبع مسيرات لمنع أى غارات مستقبلا للاثيوبيين داخل الاراضى السودانية »(٢٦٤) وكان هذا الاجراء سيخلى مناطق واسعة من السكان ويحرك الحدود الى شواطىء بحيرة تانا » ، ولكن العواقب كانت سيئة للغاية ، لقد فقد تاودروس الأتباع والحلفاء المحتملين فى السودان وقويت الادارة المصرية على طول الحدود وضعفت مؤقتا السيطرة الاثيوبية على « ماتيما »(٢٦٥) .

ان احتفاظ تاودروس برباطة جأشه وعدم اقدامه على الانتقام حتى فى مواجهة تحدى « موسى » ، يدل على أنه أخذ الشروط التى وضعها « كاميرون » موضع الجدية تماما وكان ملتزما بالحفاظ على وعده بعدم التورط ولا حتى فى « مناوشات على الحدود » . وكان القنصل « لوجان » يعتقد أن الملك تراجع عن الهجوم المضاد خوفا من مدفعية « موسى » وكتب باستخفاف أن الملك بقى على شواطىء بحيرة « تانا » « حتى يتناول السمك الطازج أثناء فترة الصيام »(٢٦٦) .

---

(٢٦٤) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحات ٦٤ - ٧ هذه الرواية مبنية كلية على رسائل « موسى » نفسه الموجودة فى ENA - انظر أيضا « لوجان » (جالابات) « حوليات جديدة » ٦ ، ١٠ ، ١ صفحة ١٩ ولقد سافر « كاميرون » من خلال المناطق الشمالية للاراضى التى تأثرت بالغزو فى مايو ١٨٦٣ وروى (FO ٤٠١/٢ ، صفحة ١٦ الى راسل ١٥ أغسطس ١٨٦٣) أن « موسى » أخذ قوة قوامها ١٤ ألف رجل الى « ماتيما » معلنا « أن الغرض هو تحريض الملك تيودور على بدء معركة » .

(٢٦٥) « لوجان » (جالابات) « حوليات جديدة » ٦ ، ١٠ ، ١ صفحات ٢٣ - ٤ ، ٢٦ وانظر كذلك ٢/٤٠١ صفحات ٢٨٣ - ٥ « رسام » الى « ميريويذر » ٢٧ نوفمبر ١٨٦٥ « بلان » (سرد) صفحة ١١٤ « رسام » « البعثة البريطانية » المجلد الاول صفحات ١٦٤ - ١٦٩ .

(٢٦٦) « لوجان » (جالابات) حوليات جديدة ٦ ، ١٠ ، ١ صفحة ٢٠

اثيوبيا واوروبا : توقعات تتبدد

خلال الخمسينيات من القرن التاسع عشر أظهر تاودروس مرارا أنه يفضل كلما أمكن ذلك التعامل مع قضيتيه فى السياسة الخارجية كموضوعين منفصلين . فلقد كان يرغب فى اقامة علاقات مع القوى الاوروبية من أجل الدعم الذى يمكن أن يقدموه لتنمية اثيوبيا وليس لكسب حلفاء ضد جيرانه الاقوياء الذين كان يأمل أن يتعامل معهم من خلال المفاوضات المباشرة أو بالأساليب العسكرية عند الضرورة . ولقد أصرت الحكومة البريطانية والقنصل « بلاودن » ان يحتفظوا بالسلام مع مصر وكان بلاودن متحمسا لتأمين الحدود والسيادة الاثيوبية على « مصوع » ولكنه كان يود أيضا أن يصبح تاودروس مدينا لانجلترا من أجل هذه المزايا حتى يكون متقبلا للنفوذ البريطانى[٢٦٧] . ولقد حاول الفرنسيون أن يسيطروا مباشرة على الساحل من خلال « نيجوشى » ، وتظاهروا مرة على الأقل بأنهم حلفاء لمصر وهى سياسة تراجعوا عنها فجأة بعد سقوط نيجوشى[٢٦٨] .

فى تلك الظروف فرضت سياسة تاودروس المتسقة والرائعة ، فرضت نفسها ، فقد أبلغ القنصل الفرنسى فى « مصوع » أن الملك يرغب فى اقامة علاقات ودية مع فرنسا بمستوى ليس أقل من أى دولة أخرى اوروبية ، وأن الفرنسيين مدعوون للزيارة والاقامة فى اثيوبيا ، كما أنه وعد الأجانب وكذلك الاثيوبيين الكاثوليك بحرية ممارسة الطقوس الدينية وبالحماية على شرط عدم تدخلهم فى السياسة وألا يطالبوه بالموافقة على أن عقيدة روما أسمى من عقيدة أجداده[٢٦٩] . ومع أن وفاة « بلاودن » و « بيل » فى عام ١٨٦٠ قضت على اتصالاته المباشرة وعلى مستشاريه فى هذا الأمر ، فقد واصل مشروعه لاقامة قنصلية انجليزية فى بلاده . وبعد هزيمة نيجوشى مباشرة ، استدعى « بارونى » للحضور الى « عدوة » وتولى مسئولية المبعوثين الذين سيحملون أخبار انتصاراته للملكة فيكتوريا[٢٧٠] . وقد طلب « بارونى » فى الحال التعليمات بهذا الشأن وكتب الى

---

(٢٦٧) (انظر صفحات ١٤١ ، ١٨٢ -٧) (فى النص الانجليزى) للمراجع

(٢٦٨) انظر صفحات (١٩١ - ١٩٢ وهى الصفحات التى تحوى الهوامش من ٩٧ الى ١٠٧ فى النص الانجليزى وكذلك (صفحة ٢٠٧ وهى الصفحة التى تحوى الهوامش من ١٧٩ الى ١٨٣ فى النص الانجليزى) للمراجع

(٢٦٩) AECP ، ماسوا ، ٣ صفحة ٥٣ « بيل » الى « جلبرت » ، ١٣ يونيو ١٨٦٠ صفحات ١١١ - ١٢ تاودروس الى « جلبرت » ، (فى الغالب فى ابريل ١٨٦١) .

(٢٧٠) (وزارة الخارجية البريطانية ١ / ١١ صفحة ٢٢٦ تاودروس الى « بارونى » ، (منتصف يناير ١٨٦١) انظر « شتيرن » ، (جولات) صفحات ١٤٩ ، ٢٢٨ - ٩ بشأن المناقشات حول البعثة فى ١٨٦٠ وتوقع « بيل » أن يكون عضوا فى المجموعة التى ستذهب الى لندن .

عدن يطلب اوراقا وشمعا لتاودروس ولم يتلق الاذن بالتوجه الى « عدوة » الا فى شهر يونيو ، وفى شهر سبتمبر كان مازال يطلب التعليمات بشأن البعثة والتى كان من المقرر أن تغادر اثيوبيا فى الشهر التالى . وفى تلك الفترة قدم لتاودروس على سبيل التهدئة هدية من البارود وتأكيدات بالصداقة البريطانية[٢٧١] وفى ٩ فبراير ١٨٦٢ وصل كاميرون الى « مصوع » بدون أى تعليمات عن أى موضوع الا معرفة الغرض من بعثة الملك . ووصل الى « جوندر » فى شهر يونيو وكان معسكر تاودروس فى شهر اكتوبر[٢٧٢] .

وفى هذه الأثناء رفض « جلبرت » خطاب الملك « البسيط » وطلب بالحاح بضمان اكثر يتيح للعاملين بالارساليات الكاثوليكية أن يقيموا أينما يشاءون[٢٧٣] . وقد وصل عدة مغامرين اوروبيين آخرين ولكنهم فشلوا فى أن يفوا بوعودهم كما فشلوا فى تحقيق ما توقعه تاودروس . وقد أحس كل من المهنيين فى الارسالية وكذلك العمال بين « الفلاشا » أحسوا بأن علاقاتهم بالملك ـ وفى حالة الصناع المهرة بالمواطنين ـ أصبحت متدهورة . ومع أن الآخرين كانوا اكثر اعتدالا فقد تحدث « فلاد » عن كره دفين من الملك تجاه الاوروبيين الذين يتزايد وجودهم فى اثيوبيا[٢٧٤] . وقد اكتشف تاودروس نوع الاعتراف الذى حظى به نيجوشى من خلال اتصالاته بأوروبا وتعجب من تجاهل محاولاته أو مقابلتها بالنقد حول قضية الحرية الدينية[٢٧٥] . ولهذا كان وصول « كاميرون » فى هذه الظروف هاما جدا .

وقد لقى القنصل مقابلة ممتازة ، ولقد أسعد تاودروس الخطاب الودى الذى أرسله « اللورد راسل » وكذلك البندقية المنقوشة والمسدسات التى قدمت هدية من الملكة فيكتوريا كرمز عرفان لما فعله بعد موت « بلاودن » . ولكن سرعان ما نشأت المشاكل ، فقد بدأ « كاميرون » يتحدث عن احياء معاهدة ١٨٤٩ . كما أنه سبب خيبة أمل لتاودروس لعدم استعداده لتولى أمر السفراء والمبعوثين وترتيب رحلة آمنة لهم عبر « مصوع » ومصر ، وفى الواقع فقد نحى جانبا امكانية قيام بعثة حتى يمتنع تاودروس عن كل الاعتداءات على الحدود الغربية . ومن ناحية فقد تردد أنه انتهى

---

(٢٧١) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ « بارونى » الى راسل ٢٣ يناير ، ١٥ فبراير ١٨٦١ « موراى » الى بارونى ١١ ابريل ١٨٦١ « بارونى » الى « راسل » ٢٥ يونيو ، ٨ سبتمبر ١٨٦١ AIA ADEN 913 » fhv,kx « hgx » fbdtd¾ « 9 hfvdg ⅞ 41 k,tlfv 1681 BN hed,fdh 481 wtpn 56
— 1681 k,tlfv 5 jh,¾v,s hgx « fhv,kx »

FO) 272 (٤٠١ / ١ صفحات ٣٩٦ ـ ٧ « موراى » الى « كاميرون » ١٦ نوفمبر ١٨٦١ صفحات ٤١٠ ، ٤٣٩ ، ٤٥٦ ـ ٩ « كاميرون » الى « راسل » ٩ فبراير ، ٢٢ يوليو ، ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ .

(٢٧٣) AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٢٧ ـ ٨ « جلبرت » الى « توفنيل » ٢٥ يونيو ١٨٦١ .

(٢٧٤) أرشيف « شبتلر » ٣ / ٩ « زالموللر » الى « شبتلر » ١٣ يناير ١٨٦١ ، ٣ / ١ « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١ ، D ٣ / ٣ « فلاد » الى « جوبات » ٣ ـ ٤ ديسمبر ١٨٦١ ، ٣D / ١١ « شمبر » الى « جوبات » ٦ فبراير ١٨٦٢ ، ٣٠ / ٨ « فلاد » الى « جوبات » ١٤ مايو ١٨٦٢ (رحلة « هوجلين ») « بيترمان » صفحة ٤٣٠ « فالدماير » (مغامرة Erlebinesse) صفحات ٩ ـ ١٥ .

(٢٧٥) « لوجان » (رحلة) IM ١٨٦٧ ، ١ صفحة ٣٧٤ نفس الكاتب (تيودور الثانى) صفحات ١٠٩ ـ ١٠ .

عن مقابلته ولم يتم وداعه رسميا بمثل ما استقبل به[٢٧٦] ، وكان هذا الى حد ما بسبب مكائد مغامر فرنسى هو « اوجست بارديل » الذى لحق بكاميرون فى رحلته داخل البلاد أملا فى العثور على سوق لبيع الاسلحة[٢٧٧] ، وكما روى الفرنسى : ان العناية الالهية كانت تريد أن يتم استخدام السلاح البريطانى ضدهم أنفسهم » ولذلك فقد واتته الفرصة لكى يقوم بأعمال القنصل حينما سقط مريضا ـ وكان يعتبر بالنسبة للآخرين سكرتير « كاميرون » بالرغم من نفس القنصل لذلك فيما بعد . وعلى أى حال فقد كان « بارديل » يتفاخر أمام الحكومة الفرنسية بأنه كان يحيك المكائد ضد « كاميرون » ، عن طريق رشوة الرؤساء والقس وبالتالى استطاع سلب القنصل من سلطاته[٢٧٨] ، ولقد اتفق جميع الأجانب فى اثيوبيا بما فيهم البريطانيون على أنه كان وغدا[٢٧٩] ، لقد كان بكل تأكيد شخصا لا يعتمد عليه[٢٨٠] ولكن هذا الأمر كان من الصعب على تاودروس معرفته فى اكتوبر ١٨٦٢ ، فقد قرر الملك استخدام كل من « كاميرون » و « بارديل » كمبعوثين له .

ولقد أعد تاودروس خطابين لفيكتوريا ونابوليون الثالث ـ وقدم نفسه فى بداية الخطابين على أنه الرجل الذى رفعه الإله « من التراب » لانقاذ اثيوبيا وتحدث عن انجازاته وتصميمه على استعادة الاراضى التى أخذها الأتراك ـ وكان طلبه الرئيسى فى الخطابين يتعلق بالبعثات التى ينوى ارسالها ، وفيما يتعلق بلندن فانه يعتقد ان هناك مشكلة واحدة فقط : « والآن وبما أن الأتراك يقفون على الساحل لمنعى من ارسال مبعوث محمل بهدايا ودية مع القنصل « كاميرون » ، أرجو الكتابة عن مكان يمكن ان يتقابل فيه مع المبعوث ، وفى انتظار الرد مع القنصل « كاميرون » . وبالنسبة لنابوليون فقد سأله عما اذا كانت بعثاته سيتم استقبالها بترحاب أم لا وأن يقوم « بارديل » باحضار الرد

---

(٢٧٦) FO ٤٠١ / ١ صفحات ٤٥٦ ـ ٦١ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ١٨٦٢ « كاميرون » الى تاودروس ٢٢ اكتوبر ١٨٦٢ انظر أيضا (صفحات ١٨٢ ـ ٧ للمراجع بالنص الانجليزى وهى الفقرات التى تقع بين الهوامش من ٤٦ الى ٧٨) وحول وصف اثيوبى مفصل للمقابلة انظر « فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٢٧ ـ ٣٠ .

(٢٧٧) « جيلوم لوجان » (مذكرات عن رحلة الى اثيوبيا) IM ، ١٨٦٤ ، ١ صفحة ٧٨ .

(٢٧٨) AEMD (افريقيا) ٦١ صفحات ٢١١ ـ ٢١ التقرير الثانى ١٠ مارس ١٨٦٣ FO١ / ١٧ صفحات ٤٢٣ ـ ٦ تقرير كتبه « فلاد » ١٠ يوليو ١٨٦٦ « فالدماير » (مغامرة) صفحة ٢٥ FO ١ / ٢٦ صفحات ٢٤٧ ـ ٥٣ « كاميرون » الى « ستانلى » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ .

(٢٧٩)لا (افريقيا) ٦١ ، صفحات ١٠٦ ـ ٢٧ (الحبشة الجزء الأول ـ رحلة الدكتور « لاجارد ») (متصف ١٨٦٥) « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ٨٠ ـ ٨٤ « فلاد » (اثنى عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٧٠ ـ ٣ ، ٨٨ المجلد الثانى صفحة ١٥ « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٦٠ ـ ١ وانظر أيضا نسخته حول علاقاتهما فى (المستوى) ٢٩ سبتمبر ١٨٦٨ .

(٢٨٠) انظر (صفحة ٢٠ فى النص الانجليزى للمراجع) ومن العجيب أن تقرير « بارديل » ارسل دون علامة تعجب حول قوله ان تاودروس طلب من « دى جاكوبس » الموافقة على تتويجه بعد موت نيجوشى (يناير ١٨٦١) مع العلم بأن تاودروس كان قد توج عام ١٨٥٥ علاوة على أن « دى جاكوبس » توفى قبل « نيجوشى » .

بنفسه(٢٨١) ، وحينما كان « كاميرون » و « بارديل » على وشك الرحيل تم اعداد خطابات كذلك لكل من هولندا وروسيا وبعض المقاطعات الألمانية . وكانت البعثات التى ينوى ارسالها قد تلقت التعليمات بمهمات محددة مثل شراء الأسلحة وتجنيد بعض العمال المهرة للعمل فى اثيوبيا ـ ولكن مضمون الخطابات كانت تشير الى أن تاودروس يتلمس بصفة مبدئية الحصول على الاعتراف وزيادة التأمين ـ انه يرغب أن يتفهم زملاؤه الكاثوليك فى اوروبا الحالة فى اثيوبيا وخوفا من أن يعتبر معتديا كان يود ـ كما قال كاميرون ـ أن « يبرر سلوكه »(٢٨٢) .

ولم يكن من الصعب تفسير شعور تاودروس بعدم الأمان فقد كانت علاقات انجلترا وفرنسا بصفة خاصة على أحسن مستوى مع تركيا ومصر ـ وكان كثير من الاوروبيين يشاركون فى تحديث وتنمية مصر ، ويتجولون بحرية وأمان ، وكان يجرى استقبال الحاكم المصرى نفسه فى العواصم الاوروبية ، وفى نفس الوقت لم يمنع الوجود والنفوذ القوى للاوروبيين على ساحل البحر الأحمر فى القاهرة والقدس لم يمنع ضم مناطق على حساب اثيوبيا ، أو أى اجراء غير عادل ضد الاثيوبيين ـ لقد كان أفق تاودروس السياسى حينئذ محدودا ، ومقياسه الاساسى دينيا : « أن تجيز دولة مسيحية مثل انجلترا الوثنية فى الهند ، وتؤيد الاسلام فى مصر وتركيا ، أمر لا يمكن فهمه » . . .(٢٨٣) وكان الموضوع الرئيسى بالنسبة لتاودروس أن يعرف ما اذا كان سيحصل على التأييد المعنوى من « أبناء العمومة » المسيحيين . وكان هذا هو السبب الذى جعله يعد القنصل البريطانى بتأجيل كل الاعتداءات ضد الأتراك .

وبعد شهرين من رحيل « كاميرون » و « بارديل » وصل « جيلوم لوجان » الى اثيوبيا كنائب قنصل لفرنسا مكلفا بمهمة التفاوض حول اتفاقية تجارية مع تاودروس على غرار اتفاقية « بلاودن ـ على » فى عام ١٨٤٩ ، وكذلك بحث حماية الارساليات الكاثوليكية فى اثيوبيا واستكشاف سوق لبيع السلع الفرنسية(٢٨٤) ، وكانت الهدايا التى يحملها غير ذات قيمة ولم تكن مهمته لاقناع الملك بأن السياسة الفرنسية قد تغيرت سهلة ـ ومع ذلك فقد استقبل استقبالا حافلا . فلم يلتفت تاودروس الى ضآلة الهدايا وتفادى الاحراج بقوله : « ان صداقة فرنسا تفوق اكثر الهدايا قيمة فى

(٢٨١) وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٢١ ص رقم ١٢٦ « تاودروس » الى « فيكتوريا » ٢٩ اكتوبر ١٨٦٢ AEMD (افريقيا) ٦١ صفحة ١٠٥ « تاودروس » الى « نابوليون الثالث » ٢٩ اكتوبر ١٨٦٢ انظر (صفحة ٢٢٢ هامش رقم ٢٦٢ فى النص الانجليزى) للمراجع .

(٢٨٢) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٤٥٦ ـ ٩ ، ٤٦٤ ـ ٥ « كاميرون » الى « راسل » ٣١ اكتوبر ، أول نوفمبر ١٨٦٢ ـ جاء ذكر شراء السلاح وتجنيد مهندس للطرق وبعض الأطباء (صفحات ٤٦١ ـ ٣ « كاميرون » الى الممثل السياسى المقيم فى عدن ، ٢ نوفمبر ١٨٦٢) .

(٢٨٣) « شتيرن » (جولات) صفحة ٥٦

(٢٨٤) AECC « مصوع » ٢ صفحات ٤ ـ ٢٥ تعليمات الى « لوجان » ٢٥ ابريل ـ ٧ مايو ١٨٦٢ (ثلاث وثائق) AEMD (افريقيا ٦١) صفحات ١٠٢ ـ ٣ « لوجان » الى « فوجير » ٩ ابريل ١٨٦٢ AEDبروتوكول 41C مسودة خطاب من « دروان » الى تاودروس غير مؤرخة « لوجان » (تيودور الثانى) صفحات ١٣٨ ـ ٩ .

العالم » واستمع باهتمام الى عرض سياسة فرنسا التقليدية فى الشرق وحماية المسيحيين هناك . ثم طرح فكرته بشأن ارسال معلمين اوروبيين لشعبه وتحدث عن المبعوثين الذين اختارهم بالفعل للذهاب الى فرنسا وانجلترا حين يصله تأكيدات القوتين العظميين بضمان مرور مبعوثيه عبر مصر فى شهر يوليو ان أمكن ذلك ، فقد اكد « لوجان » « لتاودروس » أن المصريين لا يمكن أن يعترضوا سبيل المبعوثين طالما لم يتم اعلان الحرب بين البلدين(٢٨٥) .

ووجدت الحكومة الفرنسية رسالة « لوجان » مشجعة واكدوا له انه سيتم ابلاغ الحاكم المصرى بشأن ضمان عبور المبعوثين الاثيوبيين من مصر بأمان(٢٨٦) . وفى الواقع كان الفرنسيون قلقين بأن يتم اعلان الحرب بين اثيوبيا ومصر أو أن تكون قد نشبت بالفعل عند وصول « بارديل » الى باريس فى مارس ١٨٦٣ ، وفى هذه الحالة يعتقد المصريون أن فرنسا تتعاطف مع خطط تاودروس بأى حال من الأحوال . وفى الرد الذى حمله « بارديل » الى تاودروس (والذى اخذت منه نسخة فى القاهرة) لم يكن هناك اى التزامات تذكر بشأن دعم اثيوبيا(٢٨٧) . وظل من غير الواضح كيف تكون الحكومة الفرنسية متفائلة بشأن مستقبل العلاقات مع اثيوبيا فى تلك الظروف .

وفى اثناء ذلك كان « لوجان » قد اصطدم بالفعل مع تاودروس فى اثيوبيا ـ وكان هذا الصدام هو بداية النهاية وبعبارة أخرى فى نفس خطورة الصدام المعروف مع « كاميرون » ، وفى كلا الحالتين كانت الأسباب الحقيقية للصدام غامضة(٢٨٨) . وبعد المحادثات الأولى فى أواخر يناير خير « لوجان » بين التقدم الى « مصوع » أو الاقامة فى اثيوبيا . واختار الأخيرة مع علمه بأن تاودروس لم يكن يعترف بأى حقوق قنصلية ، وكتب فى ذلك يقول « ان الحبشة هى سجن حكومى كبير لكل المسافرين ، ولكنه من العدل أن نقول ان كرم الحاكم الشديد قد خفف كثيراً من هذا

(٢٨٥) AEMD (افريقيا ٦١) ، صفحات ١٣٠ ـ ٣ « لوجان » الى « دروان » ٢٨ يناير ١٨٦٣ ـ رواية « لوجان » كتبت بانفعال ولكن انظر « دافتون » (سرد) صفحة ١٠٨ وكذلك « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٢٧ ـ ٨ حيث الاشارة الى أن الملك تضايق من بعض « الاشياء غير المنطقية » التى قيلت له وعبر عن شكه فى جدية تغير الموقف الفرنسى . وكان « فالدماير » يترجم فى الاجتماع وحول المبعوثين انظر « لوجان » (رحلة) TM ، ١٨٦٧ ، ١ صفحة ٣٧١ .

(٢٨٦) AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٣٢ ـ ٣ « دروان » الى « لوجان » ٢٧ مارس ١٨٦٣ .

(٢٨٧) لا(افريقيا ٦١) صفحات ٤٠٠ ـ ١ « دروان » الى « تاستو » ٢٧ مارس ١٨٦٣ صفحات ٣٩٨ ـ ٩ « دروان » الى تاودروس ٢٤ مارس ١٨٦٣ أيضا صفحات ٣٩٤ ـ ٥ محاضر .

(٢٨٨) « فالكو » (رحالة) RFHO ٥٨ صفحة ٣٢٥) مثلا يشرح اعتقال « لوجان » بأنه نتيجة حالة نفسية سيئة لتاودروس بعد مقاومة « الكوجياميتس » وكذلك نتيجة لعدم دراية « لوجان » بقواعد الاتيكيت السائدة فى بلاط الملك أولعدم علمه التام بشخصية الملك .

الوضع المزعج(٢٨٩) ، وطبقا لما حدث بعد ذلك تجدر الاشارة ان ما اعتبره « لوجان » مثيرا للاعتراض كان فى الواقع سياسة تاودروس فى التحكم فى دخول وخروج الأجانب ، وفى داخل البلاد كان الملك يسمح بحرية تنقل الذين لا يعملون فى خدمته مع بعض المراقبة والحماية . وكان هذا ينطبق على « لوجان » نفسه حتى بعد اصطدامه مع تاودروس ، وفى عامى ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ كان تاودروس غير متعسف فى اعطاء التصاريح فمثلا : صرح بدخول أو باعادة دخول « لفون هوجلين » ، و « شيودينر » ، و « بابتيست » و « كاميرون » وموظفيه وكذلك أعطى تصاريح دخول للصيادين « شيللر » وايلر » والمبشرين « براندير » و « شتايجر » و « دافتون » و « لوجان » و « لاجارد » و « شتيرن » و « روزينتال » وتصاريح خروج للكابتن « سبيدى » والمبشر « برونكهورست » والاسقف « ماسايا » وبالاضافة لهؤلاء ، الى كل من رغب فى الخروج قبل نوفمبر ١٨٦٣ . وكانت حالة « هاوزمان » فى « ماتيما » ظاهرة واضحة ففى منتصف ١٨٦٣ تلقى رسالة من تاودروس يسمح له فيها بالدخول والخروج من اثيوبيا كيفما يشاء دون التقيد بأية اجراءات من مسئولى الجوازات(٢٩٠) .

وفى ١٠ فبراير ١٨٦٣ قرر « لوجان » أنه يرغب فى مصاحبة تاودروس فى حملة ضد « تدلاجوالو » فى « كوجام » . وبعد ثلاثة أسابيع وفى يوم ٢ مارس طلب القنصل الاذن بمغادرة « مصوع » ، وقد رفض هذا الطلب فى الحال ربما من أجل سلامة « لوجان » الشخصية وأيضا لأن تاودروس قرر ـ ووافق لوجان مبدئيا على ذلك ـ ان يظل فى اثيوبيا حتى يعود « بارديل » ، ثم صمم « لوجان » . أولا من خلال الرسل ، وأخيرا فى مقابلة مسائية أنه يلزم الحصول على اذن بالرحيل . وبدلا من ذلك فقد تم احتجازه واطلاق سراحه فى اليوم التالى على شرط ألا يحاول الرحيل دون الحصول على اذن بذلك(٢٩١) .

ورغم وجود شائعات بأن الملك فوجىء بل أصيب بالضيق حينما لمس « لوجان » مقبض سيفه أو حتى حمل سيفه فى حضرة الملك(٢٩٢) ، فمن المرجح أنه فقد أعصابه وحجز القنصل لأنه أصر

---

(٢٨٩) AEMD (افريقيا ٦١) صفحات ١٣٠ ـ ٣ « لوجان » الى « دروان » ٢٨ يناير ١٨٦٣ « دافتون » (سرد) صفحات ١٠٠ ـ ١ .

(٢٩٠) « فالدماير » (مغامرة صفحة ٣٥ حيث استخرجت النسخة الأمهرية من هذا الخطاب وقيل ان « شتيرن » منح جوازا من نفس النوعية أما المعلومات الخاصة بسفر ودخول وخروج باقى الاشخاص المذكورين فقد وجدت متفرقة فى كتاباتهم الشخصية وفى المراسلات الدبلوماسية وفى بعض المراجع مثل Enlebnisse (مغامرة) ، Jwolf Jahre (اثنى عشر عاما) « لفلاد » .

(٢٩١) AEMD (افريقيا٦١) صفحات ١٣٧ ـ ٨ « لوجان » الى مجهول ٨ مارس ١٨٦٣ « لوجان » (مذكرات) IM ، ١٨٦٤ ـ ١ صفحات ٧٨ ـ ٨٠ (شرحه) (تيودور الثانى) صفحات ١٤٢ ـ ١٥١ « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٢٨ ـ ٣٠ « دافتون » (سرد) صفحة ١٨٧ .

(٢٩٢) AEMD (افريقيا ٦١) صفحة ١١٧ (الحبشة) « لاجارد » ، وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٤ ـ ٥ ، ١٥ « كاميرون » الى « راسل » اول يوليو ، ٢ اكتوبر ١٨٦٣ .

على مجادلته ، وفى حكايته الأولى عن هذا الاعتقال أعطى « لوجان » سببين : الاحباط الذى أصاب تاودروس بسبب الهزائم فى « كوجام » ، والتشكك السخيف فى أن القنصل كان متواطئا مع المصريين ـ وفى روايته الأخيرة والمنشورة بتفاصيل اكثر حذف « لوجان » جملة « التشكك السخيف » ولكنه أضاف أن الملك قد وصله حينئذ خبر « احتلال المصريين لاقليم جالابات » . وكان منفعلا ورغب فى احتجاز القنصل كرهينة لأنه خشى أن يتجاهل نابليون الثالث الخطاب الذى أرسله له مع « بارديل »(٢٩٣) .

وكان الحديث عن هزائم تاودروس فى « كوجام » محاولة واضحة لتحويل الأنظار عن القضايا الأساسية ونفس الشىء ينطبق غالبا على الاشارة الى الانفعال(٢٩٤) . فلم تحدث أى مشاكل مع الاوروبيين الأخرين فى المعسكر ـ وكانوا كثيرين ـ مع أنه كان من الأسهل على تاودروس أن يجد ذريعة لصب جام غضبه عليهم فيما يتعلق بالمعركة ، لقد كانت الاحداث على الحدود اكثر خطورة والأخبار حول السلب الذى قام به « موسى باشا » فى « ماتيما » (فى حوالى ١٢ ـ ١٧ فبراير) وظهور الجنود المصريين فى « وينى » ، كانت غالبا قد وصلت تاودروس قبل يوم أو يومين من القبض على « لوجان » ـ ويمكن أن تكون مصادفة أن يطلب « لوجان » الاذن بالرحيل حينذاك ، ولكنه كان من الصعب على تاودروس أن يصدق ذلك ـ ألم يكن « لوجان » موجودا بالخرطوم حين كان « موسى » يعد لهجومه ؟ ألم يصل الى اثيوبيا ـ عبر « ماتيما » قبل شهرين فقط من وصول الجيش المصرى ؟ لقد تحدث بصفة عامة عن بلاده كحامية للمسيحيين فى الشرق ، ولكنه لم يحذر تاودروس من الهجوم الوشيك .

ومن المؤكد أن تاودروس كان يتشكك فى أن « لوجان » متواطىء الى حد ما لأنه اعتقل نائب (أركيكو) « محمد عبد الرحيم » والذى كان محبوبا من تاودروس كتابع مخلص وحليف على الساحل وكان معه أيضا فى « كوجام » ـ واعتقله فى نفس الوقت الذى اعتقل فيه « لوجان » ثم أطلق سراحه بعد ذلك بشهر وعوضه ببعض الاراضى حينما عاد الى الساحل حيث قام بتغيير محل اقامته من أركيكو الى « أبليت » ، لأنه كان يرغب فى الابتعاد عن المنطقة التى يضطر فيها للاتصال الدائم بالأتراك(٢٩٥) . ونظرا للتأييد الفرنسى لنيجوشى وتحذيرات أو تلميحات « كاميرون » حول التحالف الفرنسى المصرى ضد أثيوبيا(٢٩٦) ، فان شكوك تاودروس تعتبر طبيعية وليست سخيفة كما قال « لوجان » وفى كل الاحوال فقد جاء « لوجان » وفى ذهنه النية لاقامة قنصلية كاملة فى اثيوبيا

---

(٢٩٣) AEMD (افريقيا ٦١) صفحات ١٣٧ ـ ٨ « لوجان » الى مجهول ٨ مارس ١٨٦٣ مذكرات « لوجان » TM ١٨٦٤ ـ ١ صفحات ٧٨ ـ ٩ .

(٢٩٤) محاولة تحويل الأنظار هذه أشار اليها فى ذلك الوقت « فالدماير » (مغامرة) صفحة ٣٠ .

(٢٩٥) AEMD (افريقيا ٦١) صفحات ٣٩٦ ـ ٧ « لوجان » الى « دووينى » ٢١ مارس ١٦٨٣ « لوجان » (تيودور الثانى) صفحات ١٤٥ ، ٢٤٦ (شرحه) « رحلة » TM ١٨٦٧ ، ١ صفحة ٢٨٨ FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٨٢ ـ ٣ « رسام » الى « ميريفزير » ٤ نوفمبر ١٨٦٤ .

(٢٩٦) انظر الصفحات ٢٢١ ـ ٢ (وهى الفقرات بين الهوامش ٢٥٦ والى ٢٦٥ فى النص الانجليزى) .

تتمتع بحصانة مضمونة تحت علم فرنسى وحق السيادة الشرعيه الفرنسية على المواطنين والمحميين ، وعلاوة على ذلك كان يبدو أنه يمنى نفسه بوهم أن « بوجوس » وهماسين و « تيجرى » أصبحت بالفعل ممتلكات فرنسية . وحينما صادفته المصاعب اقترح على باريس فورا احتلال « تيجرى » بالقوة والتى وعد أنها ستكون عملية اسهل من أى غزوات فرنسية فى السنغال ، واكد أيضا أن الدخول الى الساحل ليس مشكلة طالما أن « النائب » سيتخلى بكل سرور عن المنطقة الصغيرة الضرورية(٢٩٧) . ورغم أن « لوجان » كان حريصا فى مناقشاته مع تاودروس الا أنه من المحتمل أن يكون قد أفصح عن بعض هذه الأفكار للاوروبيين فى « جفات » ، وأن هذه الأفكار قد وصلت اسماع الملك بصورة أو بأخرى(٢٩٨) . وعلى أى حال ، كان تاودروس يريد أن يعرف ماذا يمكن أن يتوقعه من فرنسا فى المستقبل وأرسل « باردل » لهذا الخصوص ، وحينما انفصل « لوجان » عن « باردل » بدأ يلقى الشكوك حول شخصيته وجادل مع الملك بأن « باردل » لم يقبل أى تعليمات أخرى . ولكن الملك فقد صبره واعتقله(٢٩٩) ، وفى نهاية مايو وصل هذا الرد الغاضب نتيجة محاولة جديدة منه :-

« اذا كان نابوليون الثالث قد أرسلك من أجل الصداقة والمحبة فقد أخبرتك فى حضور السيد « كينزلين » واولادى (يقصد الاوروبيين الذين يعملون مع الملك أن تظل هادئا حتى يعود الرجل (باردل) الذى أرسلته كمبعوث . وإذا كنت قد حضرت للشجار والعراك فعليك بالافصاح عن ذلك فاننى أسمعك »(٣٠٠) .

لقد ضايق تاودروس ان يلجأ « لوجان » الى تشويه سمعة « باردل » حتى يتركه يرحل ، لقد أصبح الملك حانقا بالمؤامرات والافتراءات بين الاوروبيين فى بلاطه ، فكلاهما كان يتحدث ويكتب بسخرية عن التفوق : « منذ ولدت وحتى أصبحت رجلا كنت أستمع الى التقارير وفى مرة كان يقال لى بقوة الاله ، هناك فى أوروبا ، فى دول الأجانب يوجد هؤلاء الذين لا تسقط حكوماتهم ، الذين لا ينقصهم شىء من القانون أو النظام ، والذين لا يعرفون الخداع . وبقوة الاله كنت سعيدا . واذا قلت لى الآن ان هذا الرجل « بارديل » كاذب وأنه مخادع فما هو الدليل الذى يجعلنى أصدق أنه فعلا مخادع وكاذب » ؟(٣٠١)

---

(٢٩٧) AEMD (افريقيا ٦١) صفحات ١٣٧ ـ ٨ « لوجان » الى مجهول ٨ مارس ١٨٦٣ .

(٢٩٨) نفس المرجع السابق صفحات ١١٨ ـ ١٩ (الحبشة) « لاجارد » .

(٢٩٩) AECC (مراسلات تجارية ـ ارشيف وزارة الخارجية ـ باريس) « مصوع » ٢ صفحات ٢٧ ـ ٨ شهادة « كينزلين » ، « زالموللر » فى ١٠ يونيو ١٨٦٣ عن اعتقال « لوجان » طلبها وقدمها لوجان نفسه (نفس المرجع صفحة ٣٥) وكان فالدماير موجوداً أيضا فى المجموعة التى ترجمت للملك و« لوجان » (مغامرة صفحة ٢٩) .

(٣٠٠) BN اثيوبيا ٢٥٤ صفحة ٣١٣ تيودور الى لوجان (بدون تاريخ) ، النسخة الأمهرية مع أنطون دابادى ، AECC « مصوع » ٢ صفحات ٣٥ ـ ٦ « لوجان » الى « دروين » ٦ يونيو ١٨٦٣ مع نسخ مرفقة من « لوجان » الى تاودروس ٢٧ يونيو ١٨٦٣ ، تاودروس الى « لوجان » (بدون تاريخ) مع الترجمة ـ هذه الترجمة صحيحة فى المضمون ولكن فى روايته المنشورة (رحلة ، TM ١٨٦٥ ، الثانى صفحة ٢٧٠) قدم لوجان نسخة مختلفة يتهمه فيها تاودروس بالتآمر مع « الشيفتا » (المتمردين) .

(٣٠١) BN اثيوبيا ١٨٤ صفحة ٧٧ تاودروس الى « لوجان » (بدون تاريخ) الأصل الأمهرى . لايوجد نسخة مترجمة أو مرجع لهذه الوثيقة فى مراسلات « لوجان » مع وزارة الخارجية ، ومن الصعب تحديد موعدها ولكن من

وكان كل مايهم تاودروس أن يمده « باردل » بالاجابة اذا عاد أو اذا بقى هناك . وفى سبتمبر عام ١٨٦٣ ظهر « باردل » فى « جوندر » ومعه خطاب من الحكومة الفرنسية . ولاشك ان عودته أسعدت الملك . ولكن الخطاب كان غير مقنع من عدة أوجه . وقرر تاودروس أن يصفى حسابه مع فرنسا وممثلها الرسمى بشكل علنى كلما أمكن ذلك . واستدعى الملك « لوجان » و« كاميرون » ومبشرى الفلاشا والمهنيين من « جفات » استدعاهم جميعا الى « جندر » . وفى ٢٨ سبتمبر تم قراءة الخطاب بعد ترجمته لمجموعة تضمنت على الأقل « باردل » و« زاندر » و« فالدماير » و« كينزلين » و« فلاد » و« شتيرن » و« هاوزمان » و« كاميرون »(٣٠٢) والى جانب التمنيات لاثيوبيا بالسلام والتقدم أشار خطاب الحكومة الفرنسية الى نقطتين : اولا ، أن امبراطور فرنسا هو حامى الارساليات الكاثوليكية فى كل مكان فى العالم ولايسره شىء اكثر من معرفة أنهم يعاملون بالاحترام الواجب تجاههم خاصة ان كل الحكومات المتمدينة سارت على مبدأ حرية العقيدة ، وثانيا ، أن تاودروس يجب الا يستمع للآراء المغرضة التى تنصحه ببدء الحرب ضد جيران اقوياء دون حسابات سليمة لامكانياته . وبالنسبة للبعثة لم يكن الالتزام واضحا : إن امبراطور فرنسا على أتم استعداد لاقامة علاقات طيبة مع اثيوبيا فى الشئون التجارية(٣٠٣) . وقد أضاف نابوليون الثالث الاهانة الى جانب الظلم فلم يرد شخصيا ولكنه أمر وزيره « رئيس الديوان » أن يكتب الخطاب بدلا منه . ولم يعمد « باردل » على تلطيف وتخفيض الموقف بعد وصفه للاستقبال الفاتر الذى لقية فى بارس . ورغم علمه أنه من الخطورة كشف مثل هذا الموقف فلقد قرر الافصاح عن ذلك وعدم كتمانه(٣٠٤) .

وقد رفض تاودروس الرد الفرنسى لأنه مهين لاربعة أسباب : ان مبعوثه لم يستقبل إستقبالا لائقا ، وأن نابليون لم يرد بنفسه على الخطاب ، وأنه لم يضع خاتمه على الرد ، وأن وزير الخارجية

المحتمل أن تكون اثناء أزمة ٢ مارس أو أثناء تبادل خطابات مايو - يونيو (AEMD افريقيا ٦١ صفحات ١٢١ - ٢) لقد تحاشى « لوجان » هذه النسخة ولكن « لاجارد » قال انه اطلع على خطاب من « لوجان » الى تاودروس فى يونيو ١٨٦٣ وسئل عما اذا كان يعتقد ايضا أن الأوروبيين طيبون وكرماء وأذكياء طالما يستطيعون الكتابة مثلما فعل « لوجان » ، حينما اتهم « باردل » أنه لص وغير مخلص . انظر « فالدماير » (مغامرة) صفحة ٣٦ وحول معرفة العلاقات بين الاوروبيين بصفة عامة انظر « رسام » البعثة البريطانية المجلد الاول صفحة ٢٦١ وكذلك FO ٢/٤٠١ صفحات ٧٠٢ - ٣ (ومذكرة حول المحادثة مع السيد « لوجان » . .) ٢٤ اغسطس ١٨٦٧

(٣٠٢) مع انه لم يكن ملتصقا بهم طول الوقت فان رواية « لاجارد » AEMD افريقيا ٦١ ، صفحات ١٢٢ - ٤) كانت بالتفصيل كما أن « كاميرون » (وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٤ - ٥ « كاميرون » الى « راسل » ٢ اكتوبر ١٨٦٣) اورد تفاصيل اكثر كتبت بعد الاحداث مباشرة - وحول نسخة « لوجان » يلزم الرجوع الى (رحلة) TM ، ١٨٦٥ الثانى صفحات ٢٧١ - ٢ وكذلك (تيودور الثانى) (صفحات ١٥٩ - ٦٠) حيث أن رسالته حول تلك الاحداث يبدو أنها اختفت ، وتتضمن رواية « شتيرن » (المبشر الأيسر صفحات ٣٨ - ٤٣) تتضمن تفاصيل مشوقة ولكنها مشكوك فيها ، بينما نسخة « فالدماير » (مغامرة صفحات ٣٩ - ٤٠) مختصرة وواقعية .

(٣٠٣) AEMD افريقيا ٦١ صفحات ٣٩٨ - ٩ « دروان » الى تاودروس فى ٢٤ مارس ١٨٦٣

(٣٠٤) نفس المرجع السابق صفحة ١٢٤ (الحبشة) « لاجارد » صفحات ٤٠٩ - ١٠ « باردل » الى « فوجير » ٧ أغسطس ١٨٦٣ .

الفرنسى أبلغ « باردل » فى حضرة الامبراطور أن تاودروس « مجرد قاطع طريق »(٣٠٥) وعلاوة على ذلك وهذا هو أهم ما فى الموضوع فان الرد لايعتبر اجابة على خطاب تاودروس بأى حال من الأحوال(٣٠٦) ، لقد ألقى الملك الخطاب على الأرض وداسه بحذائه لكى يظهر غضبه وتحديه . ورفض ان يستقبل « لوجان » مع أنه انتزع من القنصل بيانا عاما بأن فرنسا تعترف به كحاكم شرعى وحيد لاثيوبيا ، كما أنه طلب أن يثبت « لوجان » اتهاماته ضد « باردل » ولكن جاءه الرد بأن هذا مستحيل اثباته بأدلة من داخل اثيوبيا(٣٠٧) ، وطبقا لما قاله « فالدماير » كان رد « تاودروس » قصيرا ولكنه نهائى : « ان لدى كذابين بما يكفى فى بلادى ، ارجو أن يغادر السيد « لوجان » اثيوبيا(٣٠٨) . ولم ينتظر « لوجان » أن يقال له ارحل مرة ثانية فقد قرر المغادرة ومعه « لاجارد »(٣٠٩) .

ولقد أكد « لوجان » فيما بعد أنه كان موضع شك بحكم وظيفته فقط ولكن الملك لم يكن يبغضه ، وذلك لكى يبرىء نفسه من اللوم لفشل مهمته(٣١٠) ، وتثبت خطابات تاودروس أنه مستاء لهجوم « لوجان » على « باردل » ورفضه العنيد لاعتبار وعد الملك نهائيا ، ومع ذلك فمن الصعب معرفة ما اذا كانت العلاقات الشخصية الطيبة فى امكانها انقاذ الموقف . ان رد الحكومة الفرنسية كان سلبيا للغاية بالنسبة لتاودروس الذى استاء أيضا لأن « لوجان » قدم له بعض عينات من الأقمشة كما لو كان بائعا . واذا كانت سياسة فرنسا لحماية المسيحيين فى الشرق الاوسط - والتى تحدث عنها « لوجان » - تعنى فقط بالنسبة لاثيوبيا حماية القسس والأساقفة الكاثوليك المفروضين على البلاد ، فلم يكن هذا ما يتطلع اليه تاودروس : « لقد أراد الصداقة المسيحية من ملك الى آخر - ولكنها رفضت ، لذلك يجب أن يعود السيد « لوجان » الى سيده(٣١١) ، لقد أراد القنصل الفرنسى أن يجعل كلمات تاودروس ملائمة للاوروبيين :

---

(٣٠٥) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٤ - ٥ « كاميرون » الى « راسل » ٢ اكتوبر ١٨٦٣ وفى رواية « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحة ٤٢ قيل لنابوليون ان « تاودروس » يقطع أيادى وأرجل اعدائه ولكن شتيرن أعرب عن اعتقاده بأن كل المقابلة مع الامبراطور الفرنسى كانت مختلفة انظرAECC « مصوع » ٢ صفحات ٥٢ - ٣ « دروان » الى « لوجان » ١٨ يناير ١٨٦٤ .

(٣٠٦) « هاوزمان » (« فلاد » (أثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٥٥ - ٦) فقد اورد كذلك الاعتراضات الاربعة دون الاشارة الى الملاحظة الخاصة بشخصية تاودروس .

(٣٠٧) AEMDافريقيا ٦١ صفحات ١٢٣ - ٤ (الحبشة) « لاجارد » « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ٤٢ - ٣

(٣٠٨) « تيوفيل فالدماير » (مذكرات « تيوفيل فالدماير ») لندن ١٨٨٦ صفحة ٨١ .

(٣٠٩) AEMDافريقيا ٦١ صفحة ، ١٢٥ (الحبشة) « لاجارد » .

(٣١٠) « لوجان » (رحلة) TM١٨٦٥ الثانى صفحة ٢٧١ .

(٣١١) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/٢ صفحات ٤ - ٦ « كاميرون » الى « راسل » ٢ اكتوبر ، ٥ اكتوبر ١٨٦٣ « فالدماير » (مغامرة) صفحة ٤٠ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٦٠ - ١ .

« انى أعرف تكتيك الحكومات الاوروبية حينما تريد السيطرة على دولة فى المشرق ، اولا فهم يرسلون ارساليات ثم قناصل لمساندة هذه الارساليات ثم كتائب لدعم القناصل ، انى لست « راجا » من « هندوستان » لكى اعامل على انى شخص ساذج ، انى أفضل أن ادخل فى المعارك فورا(٣١٢) . ومع أن الكلمات ليست موثوقا بها بكل تأكيد فان خبرات تاودروس مع الفرنسيين كانت تبرر ادعاء وجود علاقة بين الارسالية والقنصل ، وكان قراره بطرد القنصل وبالتالى قطع العلاقات مع فرنسا يستند أساسا على تصميمه ألا يتلقى تعليمات من أى قوى اوروبية .

ومن هذا المنطلق فان اجتماع « جوندر » يمثل تغييرا فى الاتجاه بعيدا عن مشكلة العلاقات مع مصر وتركيا ليتركز الأمر حول العلاقات مع اوروبا . هل كان فى الامكان أن يتوقع حاكم غير اوروبى أن يكون مساويا لحكام اوروبيين ؟ لقد ظل تاودروس بنفاد صبر متزايد ينتظر ردا على ذلك من أهم عضو فى المجموعة الاوروبية - ألا وهى الملكة فيكتوريا .

ولقد أحس القنصل « كاميرون » أن يوم تصفية الحساب قد اقترب وبدلا من الذهاب الى لندن بالخطاب ارسله عن طريق « عدن » وذهب لزيارة « بوجوس » و« كسلا » و« ماتيما » . ويبدو أن هذه الرحلة كانت اولا لاعادة النفوذ البريطانى فى « بوجوس » من خلال اتاحة العدالة للمسيحيين الذين تم نهب ممتلكاتهم هناك ، وكذلك لمراجعة المجموعة الجديدة من الضرائب التى أمر موسى باشا بجمعها من « كسلا » و« مصوع » أثناء زيارته « لتاكا » فى مارس - ابريل ١٨٦٣ ، وأخيرا لاستكشاف فرص التجارة خاصة انتاج القطن . ولقد حذر « كاميرون » نائب أركيكو وحاكم « مصوع » من جمع الجزية الجديدة من الرعايا الاثيوبيين ، ولقد تفهم الباب العالى هذا التحذير ، ففى شكواه الى لندن كان حريصا على ذكر « حباب » فقط مع أن المشاكل الرئيسية كانت فى داخل البلاد . وقد أحس « كاميرون » بضرورة ابلاغ ذلك الى تاودروس ، ولكن المشكلة التى أوقع نفسه فيها - بالحصول على وعد من الملك بعدم شن أى هجوم على الحدود فى الوقت الحالى - جعلته يفعل التالى « يحسن على قدر المستطاع وجه الحقائق التى يرى استحالة تجاهلها » ، ولقد زاد هذا من شكوك تاودروس فى نشاطات « كاميرون » لأنه كان يبلغ بكل ما يحدث من رجاله أيضا بصفة مستمرة(٣١٣) .

---

(٣١٢) « لوجان » (تيودور الثانى) صفحة ١٦٠ .

(٣١٣) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/١ صفحات ٤٧٧ ، ٤٩٧ - ٩ ، ٥٠١ - ٢ « كاميرون » الى « راسل » اول يناير ، ٣١ مارس ، ١٨ مايو ١٨٦٣ صفحات ٥٠٣ - ٤ « كاميرون » الى « كولكوهون » ٢٠ مايو ١٨٦٣ صفحة ٥١٠ « على » الى « بلور » ١٦ سبتمبر ١٨٦٣ ، SP. HNA « كارتون » ١/٢٣٦ « كاميرون » الى وكيل النائب ٢٠ مارس ١٨٦٣ ، الى « برتو افندى » حاكم « مصوع » ٣١ مارس ١٨٦٣ . وزارة الخارجية البريطانية ٢٦/١ صفحات ٢٤٧ - ٥٣ « كاميرون » الى « ستانلى » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ « بلان » (الأسر) صفحة ٣٣ . ومن المفهوم أن « كاميرون » الى « ستانلى » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ « بلان » (الأسر) صفحة ٣٣ . ومن المفهوم أن « كاميرون » فى هذا التقرير الأخير يدافع عن نفسه ضد الاتهامات بانه متورط فى الأمور السياسية ولذلك يركز على الشئون التجارية فى الرحلة .

وفى يونيو ١٨٦٣ عاد « كاميرون » الى اثيوبيا واستقر مع المبشرين فى « جندا » وبعد ذلك بقليل وصل تاودروس هناك بعد انتصاره على « تيدلاجوالو » فى « انجبارا » . لقد كان مستاءاً لفشل القنصل فى احضار رد معه على خطابه ، كما كان متشككا فى نوايا « كاميرون » لزيارته السودان . ولكنه تقبل وقتئذ تأكيد « كاميرون » بأن الرد فى الطريق . واستمر على علاقاته الطيبة مع المبشرين رغم أن « شتيرن » - بصفة خاصة - أحس بقلق من المستقبل ربما لأنه كان يدرك أنه مكروه وكأحد رعايا بريطانيا معروف أنه أكثر قربا من « كاميرون » عن الآخرين[٣١٤] .

كان القنصل منزعجا بما فيه الكفاية قبل انعقاد مجلس « جوندر » ، فنصح المبشرين بأن يكونوا حذرين فى ابداء آرائهم حول الرغبة فى وجود حرية عقيدة الا فى حالة ما اذا ألح الملك فى معرفة ذلك . ومع هذا فقد أشاد « لوجان » نفسه « بفلاد » ، والمبشر (الالمانى) السويسرى لتأييده فى هذا الموضوع[٣١٥] ، ولم يرد ذكر « شتيرن » ، فعلاوة على تحذير القنصل ربما يكون قد فضل الصمت بسبب علاقته الوطيدة مع « آبونى سيلاما » الذى كان معاديا تماما لاقامة أى منشآت كنيسة غير كنيسته .

ومع ذلك فقد جاءت الضربة التالية موجهة « لشتيرن » بعد اسبوعين فقط من طرد « لوجان » ، عندما حصل « شتيرن » على اذن من الملك بالرحيل الى « مصوع » ولكنه لسوء الحظ لم يستخدمه حينما غادر « لوجان » . وقد تضايق تاودروس حينما ظهر شتيرن فجأة للتوديع . وقد أدى عدم فهم اللغة الى اعتقاله فى معسكر الملك وضربه بوحشية وتكبيله بالسلاسل . وضرب أيضا اثنان من مرافقيه الاثيوبيين حتى الموت . وساهمت ظروف مقابلة التوديع وكره تاودروس الشخصى « لشتيرن » فى هذه المعاملة الجافة ، ويدل تفتيش الاوراق التى تركها شتيرن فى « جوند » على وجود الكثير وراء عملية الاعتقال[٣١٦] ، ومن الصعب معرفة ماكان يبحث عنه تاودروس . وطبقا لما قاله « فلاد » الذى تلقى الأوامر بتفتيش الاوراق مع آخرين ، كان الملك يعتقد أن « شتيرن » حمل خطابا من « آبونى سيلاما » الى نائب مصر مما يثبت وجود مؤامرة بين « الأسقف » و « كاميرون » و « شتيرن » لنقل بعض أجزاء من اراضى اثيوبيا للملكية المصرية[٣١٧] . وكانت هناك اقوال حول

(٣١٤) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١٥ - ١٦ « كاميرون » الى « راسل » اول يوليو ، ١٥ اغسطس ١٨٦٣ صفحات ١٧٢ - ٧ من « شتيرن » الى زوجته ابريل ١٨٦٥ FO-١ /٢٦ صفحات ٢٥٠ - ١ « كاميرون » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ « فلاد » (اثنا عشر عاما المجلد الاول صفحات ٥٢ - ٣) « فاللدماير » (مغامرة » صفحات ٣٤ - ٧ « ويلدى ماريام » (تيودور صفحات ٣٠ - ١) .

(٣١٥) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٥ ـ ٦ « كاميرون » الى فلاد » ٢٠ سبتمبر ١٨٦٣ لوجان (تيودور الثانى) صفحة ١٦٠ وقد أرسل « كاميرون » فى تقريره الأخير لوزارة الخارجية تحذيره وركز على تصميم الجميع على التحدث بحرية عن سياسة التسامح الدينى .

(٣١٦) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١١ ـ ١٢ « هاوزمان » الى « بيتريك » ٤ يناير ١٨٦٤ صفحات ٦٣ ، ١٧٢ ـ ٧ « شتيرن » الى زوجته ١٢ ابريل ١٨٦٤ ، ابريل ١٨٦٥ « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ٤٤ ـ ٥٣ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٥٧ ـ ٩ « فاللدماير » (مغامرة) صفحات ٤١ ـ ٢ .

(٣١٧) « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحة ٧١ انظر ايضا « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحة ٧٢ .

صفقة عقدت مع « سيلاما » تم من خلالها بيع اراضى الكنيسة فى اثيوبيا للقنصل والارسالية . وقد تم العثور عند البحث مرة أخرى فى الاوراق بعد شهر ـ وهو ماكان غالبا السبب فى التفتيش على مقالات هجومية على الملك فى نسخة من « جولات بين الفلاشا فى الحبشة » كتب فيها مثلا ان الملك كان « ابن بائع » . وأن المتمردين كانوا يتم ذبحهم عمدا « وبوحشية » ، كما وجدت موضوعات عدوانية كتبها زميل « شتيرن » « روزينتال » وزوجة « فلاد » . وكتب روزينتال مقالة عنوانها « مقابلتى الاولى مع الوحش الهائج » ، وقد خلط بين ترجمة كلمتى « ذكرى » و « سكير » وقال بأن الملك دعا القنصل « بارونى » للحضور لاثيوبيا لكى « يسكرا » معا ، وفى الواقع كان تاودروس قد دعى « بارونى » للحضور للمشاركة فى احياء « ذكرى » موت « بلاودن » . وطبقا لما رواه « شتيرين » قال « روزينتال » فى خطاب كتبه لأخيه انه يعتقد أن اثيوبيا ستكون أفضل تحت حكم المصريين عن ملوكها الحاليين . وقد ترجم كل ذلك الى الأمهرية « صمويل جيورجس » و « بيرو بطرس » . وقد عقدت محاكمة علنية واستدعى الملك كل الأوروبيين مرة أخرى ووجهت تهمة سب الملك « لشتيرن » و « روزينتال » ولذلك اضطر القنصل البريطانى نفسه الى اعلان الحكم « مذنب » ولم تصدر عقوبة نهائية[٣١٨] .

وخلال الخمسة أو الستة أسابيع (١٣ اكتوبر ـ ٢٠ نوفمبر) وهى الفترة التى كان فيها « شتيرن » هدفا للغضب وللاحباط من تاودروس ، كان التساؤل يدور حول مضمون رد الملكة فيكتوريا ـ اذا كان هناك رد ـ ولم يكن « شتيرن » يعانى أى مشاكل فى نشاطاته للارسالية ولكنه كان يعانى فقط نتيجة لتصرفاته الشخصية وكتاباته العدائية . لقد كان يمثل القنصل « كاميرون » والحكومة البريطانية بدرجة معقولة . ومن الأهمية الاشارة الى أن « بارديل » و « صموئيل جيورجس » كانا دائما فى التقارير هما الأدوات الرئيسية فى البحث والتفتيش والى درجة كبيرة المثيرين للمتاعب ، لقد بدأ « بارديل » عمله فى اثيوبيا بالمشاحنات مع « كاميرون » . وسواء كان هذا صحيحا أم خطأ فقد كان يتهم الأوروبيين الأخرين باثارة الصراع بينه وبين « لوجان » ومع أن هذ الصراع لم يكن هو سبب طرد « لوجان » ، فلم يكن فى صالح فرنسا ، وأخيرا أبلغ « بارديل » تاودروس أنه زار لندن قبل العودة الى اثيوبيا . وقال له أحد موظفى وزارة الخارجية : ان الحكومة البريطانية لن ترد على هذا الخطاب « لأن الانجليز أصدقاء للأتراك ولكنهم ليسوا أصدقاء لملك الحبشة المسيحى » .

روى « فلاد » فيما بعد أن « تاودروس » اتهم « بارديل » بأنه السبب فى خلق العدواة بينه وبين اصدقائه (كما كان يسمى مجموعة « الجندا/دارنا ») بما فيهم « كاميرون » وأنه فعل نفس الشىء

(٣١٨) منذ أن غادر هاوزمان اثيوبيا بعد اسبوع من هذه الأحداث فان روايته كانت الاكثر مصداقية وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١١ ـ ١٢ الى « بيتريك » ٤ يناير ١٨٦٤ ، (« فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٦١ ـ ٧٠) وتتضمن تقارير « شتيرن » لزوجته FO / ٢/٤٠١ صفحات ١٧٢ ـ ٧ فى ابريل ١٨٦٥ وفى (المبشر الأسير) صفحات ٧٦ ـ ١٠٣ ، ١٤٦ ـ ٨) تتضمن هذه التقارير تفاصيل اكثر ولكنها تحوى أيضا الكثير من التناقضات خاصة الأخيرة منها فهى سرد انفعالى جدا ـ وحول المواد التى تهاجم الملك والمترجمين انظر « شتيرن » (جولا) صفحات ٦٣ ، ١٢٩ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٦٧ ، ٧٢ « فاللدماير » (مغامرة) صفحات ٤٢ ـ ٥ والأخيرة تكشف عن بعض المعلومات التى أخفاها الآخرون .

مع «اولاده» مجموعة «الجفات» من الأجانب ، وقد اعترف «بارديل» بذلك حينما دخل السجن مع «كاميرون» و «شتيرن»(٣١٩) .

وكان «صمويل جيورجس» فى ذلك الوقت ، سكرتيرا فى البلاط الملكى وارسل مع «كاميرون» الى الساحل فى العام السابق كمرشد ومترجم وجاسوس ، وقد أرسله «كاميرون» من «بوجوس» الى «مصوع» ولكى ينتظر رد لندن الذى لم يصل أبدا ، وقد استاء «صمويل» من المعاملة التى لقيها وربما شك فى أن القنصل تخلص منه لانه لم يكن يرغب فى أن يراقب ويسمع مايفعله ويقوله فى السودان(٣٢٠) ، لقد كان «صمويل» حينئذ مخضرما فى المؤامرات السياسية الأجنبية والاثيوبية على السواء وقريبا جدا من الملك . ولم يكن يتردد فى أن يفتح ويقرأ خطابات الاوروبيين اذا ماشك فى أنها تتضمن أشياء تنطوى على خيانة .

وقد اعترف «فلاد» فيما بعد أنه حاول مع «كاميرون» رشوة «صمويل» لكى يكون متعاونا بعد القبض على «شتيرن» ، وأنه قد أخذ المبلغ ولكنه أوصى بتفتيش أوراق الارسالية ، ومع ان «صمويل» كان يكره «شتيرن» — كما كان يكرهه الكثيرون — فمن المشكوك فيه أنه كان يتحدث بعداء للأجانب بصفة عامة والانجليز بصفة خاصة كما كان يقول عنه شتيرن(٣٢١) .

وفى «جندا» فى شهر يوليو أو أغسطس ، راهن «كاميرون» على حياته لتاودروس اذا لم يصل الرد من لندن خلال شهرين(٣٢٢) .

وفى اكتوبر مضى حوالى سنة على ارسال تاودروس خطابه العاجل دون ان يتلقى ردا ، وأصبح غضب الملك واضحا وفى تزايد وكان «كاميرون» قد عرض تقديم هدية من بعض الآلات والمعدات فطلب منه ردا على خطابه . ووعد الملك ان الرد سيأتى فى الوقت المناسب ، وأجاب الملك : «ارجو الا يتضمن الرد نفس الصداقة التى عرضتها فرنسا» . وحينما التمس «كاميرون» الافراج عن «شتيرن» باسم الصداقة البريطانية الاثيوبية القديمة رفض تاودروس استقباله . وأرسل

---

(٣١٩) «فلاد» (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٧١ — ٢ FS١٤٠١/٢ صفحات ٣٤١ — ٤ «فلاد» الى «كلاريبدن» بدون تاريخ وصل ١٠ يوليو ١٨٦٦ FO ١/٢٦ صفحة ٢٥١ «كاميرون» الى «ستانلى» ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ (انظر كذلك صفحات ٢٢٤ — ٥ للمراجع وهى الصفحات التى تقع بين هوامش ٢٧١ ، ٢٨٣ فى النص الانجليزى) .

(٣٢٠) وزارة الخارجية البريطانية ١/٤٠١ صفحات ٤٦٦ — ٨ ، ٥٠١ — ٢ «كاميرون» الى «راسل» ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ ، ١٨ مايو ١٨٦٣ .

(٣٢١) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ «فلاد» الى «رسام» ٢١ أغسطس ١٨٦٥ ، FS ١/٢٦ صفحات ٢٥٢ «كاميرون» الى «ستانلى» ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ ، «شتيرن» (المبشر الأسير) صفحات ٤٨ ، ٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٠ وحول مهنة «صمويل» السابقة (انظر صفحة ١٦٩ للمراجع فى النص الانجليزى) لقد مدح «رسام» فى «صمويل» (البعثة البريطانية المجلد الاول صفحات ٢٤٩ - ٥٠ ، ٢٥٨ - ٦٤) وألقى اللوم على تابع سابق «لبارونى» و «كاميرون» يدعى «انجيدا ورب» على أنه المتسبب فى كل المشاكل .

(٣٢٢) «فالدماير» (سيرة ذاتية) صفحات ٨٠ — ١

ردا مقتضبا جافا يقول فيه «اين الأدلة على هذه الصداقة» ؟(٣٢٣) . ورغم أن «كاميرون» نفسه لم يحتقل ولم تسـاء معاملته لكن الغرض كان اشعاره بكراهية الملك له وبعجزه هو ، وكان «كاميرون» يتعجب هو الآخر لماذا لم يصل رد الملكة على الخطاب . وبعد يومين من محاكمة «شتيرن» أى فى ٢٢ نوفمبر ١٨٦٣ وصل أحد مساعدى «كاميرون» ويدعى «كيرانز» وصل من «مصوع» يحمل اول رد على خطاب «كاميرون» فى ٣١ اكتوبر من العام السابق :-

اريد أن أبلغك انه من غير المستحب لمساعدى صاحبة الجلالة أن يتدخلوا فى شئون الحبشة وكان من المستحسن حين قال لك الملك أن تعود الى مكانك فى «مصوع» ، أن تفعل ذلك على الفور . وهكذا يجب عليك الآن أن تفعله فورا على أن تبقى فى مصوع لحين أية تعليمات أخرى(٣٢٤) .

ولم يكن هناك أى اشارة فى الرد أن رسالته كانت تتضمن خطابا من الملك ، أما تحذيرات «كاميرون» من «بوجوس» بأن تاودروس أما سيترك شكاواه تتراكم ثم يضعها جميعا أمام الاوروبيين فيما بعد أو سيتخذ اجراءات فورية عنيفة «لارغام الاتراك على أن يكونوا اكثر لياقة فى تعاملاتهم على حدوده» ، هذه التحذيرات كان الرد عليها هو تذكيره بوظيفته كمجرد قنصل ، وبالأمر السابق بضرورة عودته وبقائه فى «مصوع»(٣٢٥) ، ثم تلقى القنصل خطابا ثالثا ردا على رسالته من السودان يكرر «عدم الموافقة على الاجراءات التى اتخذها فى الحبشة ، والأمر بالتخلى عن أى تدخل فى الشئون الداخلية «لهذه الدولة» ، ومرة ثالثة الأمر بالبقاء فى «مصوع» ، لقد كان هذا التعنيف غير عادل . فمهما كان تجاوز «كاميرون» للتعليمات الأصلية فلم يكن هذا التجاوز تدخلا فى الشئون الداخلية لاثيوبيا . ومع أن التنبؤ بأنه «سيسبب مشاكل لنفسه وحكومته» قد تحقق بالفعل ، فلم يكن هذا فى المقام الأول بسبب تصرف مستهتر من جانبه ولكنه كان بسبب اللامبالاة الحمقاء من وزارة الخارجية فيما يتعلق بخطاب تاودروس الى الملكة فيكتوريا واقتراح ارسال البعثة ، فعلى كل رسالة تصل الخارجية كانت المذكرة الوحيدة هى «لاملاحظات» . وبعد ستة أشهر من تلقى وزارة الخارجية خطاب الملك ووعده للقنصل أنه سيمتنع عن كل الاعمال العدوانية ضد المصريين والأتراك لاعطاء الفرصة للمشاورات ، لم ترسل الخارجية ولا كلمة حتى للقنصل بشأن هذه الموضوعات(٣٢٦) . وكان هذا قرارا متعمدا كما وضح من مذكرة كتبت فى العام التالى على

---

(٣٢٣) وزارة الخارجية البريطانية ١/٢٦ صفحة ٢٥٢ «كاميرون» الى «ستانلى» ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ ، FO١٤٠١/٢ صفحات ١١ - ١٢ «هاوسمان» الى «بيتريك» ٤ يناير ١٨٦٤ .

(٣٢٤) «فلاد» (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحة FO٦٩١٤٠١/١ صفحات ٤٧٩ - ٨٠ «راسل» الى «كاميرون» ٢٢ ابريل ١٨٦٣ .

(٣٢٥) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٤٩٧ - ٩ «كاميرون» الى «راسل» ٣١ مارس ١٨٦٣ صفحة ٥٠١ «موراى» الى «كاميرون» ١٣ أغسطس ١٨٦٣ .

(٣٢٦) المرجع السابق ٤٥٦ - ٧٦ محاضر لكثيرين صفحات ٤٨٦ - ٨ ملحق ١١ يونيو ١٨٦٣ الى مذكرة من «هيرتسلت» صفحة ٥٠٨ محاضر «موراى» ٢٨ أغسطس ١٨٦٣ صفحات ٥٠٨ - ٩ «راسل» الى «كاميرون» ٨ دسمبر ١٨٦٣ من الصعب التحقق اذا كان «كاميرون» قد تسلم الخطابات الثلاثة أو واحد فقط ولكن النتيجة لا تختلف كثيرا .

مراسلاته « لا ملاحظات غير تلك (أى الأمر بنقله كلميرون الى « مصوع ») على مراسلاته »[327].

ولم يكن أمام « كاميرون » الا طلب الاذن من تيودروس بالرحيل . ولكن طلبه قوبل بالرفض ومع ذلك فلم يتم اتخاذ أى اجراء ضده فى ذلك الوقت . وربما استطاع اقناع تيودروس ان هناك احتمالا لوصول رد وحتى على خطابه من لندن . وتلا ذلك خمسة أو ستة أسابيع من الترقب . وانتشرت الاشاعات أن الجيش المصرى يقترب مرة أخرى من الحدود[328] . وغادرت القاهرة فى اوائل اكتوبر الى الحدود الاثيوبية واحدة من أقرب الوحدات الاستكشافية . وظاهريا كان قائدها الكونت « راؤول دى بيسون » يزعم أنه جاء لانشاء مستعمرة لزراعة القطن فى السودان ولكنه كان يحمل معه أربعمائة بندقية واربعة مدافع . وصارح « اسماعيل باشا » نائب مصر منذ اوائل العام ان جنرال فرنسى ارسل لاقامة مؤسسة عسكرية وتهديد تيودروس انتقاما لالقائه القبض على « لوجان » . ولما كان اسماعيل باشا يرغب فى القيام بهجوم جديد على اثيوبيا دون اثارة معارضة شديدة من أوروبا ، فقد رحب بهذه الفرصة لكى تشارك فرنسا فى هذه العملية منذ البداية . ولكن « دى بيسون » لم يكن متأكدا ما اذا كان يرغب فى اقامة المستعمرة على أراضى سودانية أم أراضى اثيوبية ، وعما اذا كان ينوى الدخول فى حرب باسم فرنسا أم باسم مصر . لذلك سحب « اسماعيل باشا » تأييده له وفشل المشروع كله فى « كوفت » فى مايو من العام التالى[329] .

ان التوقيت هام للغاية . لقد أرسل القنصل « بتريك » تقريرا من الخرطوم فى ٢٣ نوفمبر يقول فيه ان « دى بيسون » وصل الخرطوم مع موسى باشا وأن الجنرال ينوى التوجه الى الحبشة « ولكن لم يكن معلوما لأى جهة أو لأى غرض وهل سيتوجه عن طريق « مصوع » أو « تاكا » أو « جالابات » . وكانت الشائعات منتشرة عن استعدادات لمحاولة أخرى على الحبشة من قبل الحكومة المصرية » . وان هذا سيكون معلوما فى « جوندر » بعد شهر . وقد أدلى أحد أتباع كاميرون بشهادة مفادها أنه فور وصول تقرير بأن الأتراك على وشك غزو الحبشة من « ماتوميا » ، جلد القنصل طليه[330] : ووصلت أخبار سيئة من القدس جعلت الموقف يتفاقم . فلقد دفع الأقباط والأرمن رشوة للحكومة التركية و...حوا فى طرد الاثيوبيين من الكنيسة أيضا . لم يكن لدى

---

(٣٢٧) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ١٤ صفحات ١٠٥ ـ ٦ هذا المحضر حذف حتى من الطبعات السرية . انظر كذلك « هنرى ستانلى » (« كوماسى و « ماجدالا ») لندن ١٨٧٤ صفحة ٢٨٠ .

(٣٢٨) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ١١ ـ ١٢ « هاموسان » الى « بيتريك » ٤ يناير ١٨٦٤ .

(٣٢٩) « دوين » (اسماعيل الثالث) ١ صفحات ٧٤ ـ ٩٦ هذا تقرير شامل مبنى على مصادر مصرية وفرنسية ولكن انظر كذلك FO ٤٠١ / صفحات ٥١٦ ـ ١٧ « كولكوهون » الى « بلوار » ٨ نوفمبر ١٨٦٣ FO٤٠١ / ٢ صفحات ٢ ـ ٣ « كولكوهون » الى « راسل » ١١ يناير ١٨٦٤ .

(٣٣٠) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٢ ـ ٣ « كولكوهون » الى « راسل » ١٢ يناير ١٨٦٤ صفحات ٦٤ ـ ٥ مقالة « لوادير » فى ١٤ يوليو ١٨٦٤ صفحات ٨٤ ـ ٦ « رسام » الى « ميريثر » ٢ ديسمبر ١٨٦٤ .

القنصل الذى خلف « فين » تعليمات لمساعدتهم . وفى أواخر سبتمبر كانوا يستعدون لترك القدس كلية . وقد نصح « جوبات » تيودروس بأن يرسل خطابا للملكة فيكتوريا كما لو كان لم يكتب لها قبل .. وطلب « فلاد » بأن سحب الحماية عنه كان كافيا لان يقنع الملك بأن بريطانيا لم تعد دولة صديقة[331] . ولكى يطلب الاذن بالرحيل فى هذه الظروف غير المواتية ، وبالرغم من رد الملك السابق بأن القنصل لن يسمح له بالمغادرة الا بعد وصول ردا الملكة فيكتوريا ، كان هذا الطلب رغم التعليمات ، يعتبر خطأ فادحا . وتفاقمت فداحة هذا الخطأ ، حين طلب من الملك الرد فى غضون أربعة أيام . وكان هذا يعنى بالنسبة لتيودروس أنه دليل حاسم على أنه لن يتلقى ردا على الاقلاق من الملكة وأن البريطانيين قد وقفوا الى جانب الأتراك[332] . وفى ٣ يناير ١٨٦٤ احس الملك بالاهانة البالغة وفى قمة غضبه ألقى القبض على القنصل ووضع القيود فى يديه كما تم القبض وتقييد موظفيه الأوروبيين والمبشرين الثلاثة الاربعة الباقين . وقد تذكر « فلاد » تفسير الملك بأنه ألقى القبض على « كاميرون » لأنه لم يتلق ردا من الملكة ، وكذلك فعل مع « شتيرن » و « روزنتال » لأنهما قاما بسبه وأنه ألقى القبض على الآخرين لأنه اكتشف أن كل البيض أشرار[333] . وفى لندن وبعد ستين أخيرت الاسالية وزارة الخارجية بكل هدوء ووضوح : لو أن السيد « كيراتز » كان قد أحضر للملك ردا سواء ايجابيا أو سلبيا ، لما كان القنصل ومعاونوه قد سجنوا وجردوا من ممتلكاتهم »[334] .

وقد استخدم الملك أساليب مختلفة فى معاملة المسجونين من الأرساليات ماعدا « شتيرن » و « روزنتال » فقد أفرج عن اثنين من الألمان اللذين كانا على اتصال محدود « بكاميرون » بعد شهر من القاء القبض عليهما وأرسلهما فى مستعمرة « جنات » . أما الآخرون وكانوا ثمانية بعد أن اضطر

---

(٣٣١) أرشيف « شيلر » ٣٠ / ٢٢ « جوبات » الى تيودروس ١٣ يونيو ١٨٦٣ FO ٤٠١ / ١ صفحة ٥١٣ « موره » الى « بلوار » ٢٨ سبتمبر ١٨٦٣ FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٣٩١ ـ ٢ « فلاد » الى « موراى » ٢١ سبتمبر ١٨٦٦ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الأول صفحة ٨٠ . ليس من المعروف ما اذا كان خطاب « لوجان » المهين والذى هدد الملك فى « مصوع » وصل قبل أو بعد القبض على « كاميرون » . انظر كذلك « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ١٣٥ ـ ٦ وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحة ٢٩ « هوسمان » الى « بيتريك » ١٤ فبراير ١٨٦٤ « فالمماير » (المتآمر) صفحات ٤٠ ـ ١ .

(٣٣٢) « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحة ١٢٣ .

(٣٣٣) « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الأول صفحات ٧٥ ـ ٦ وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحة ٢٩ « هوسمان » الى بيتريك » ١٤ فبراير ١٨٦٤ .

(٣٣٤) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٣٤١ ـ ٤ « فلاد » الى « كلارندن » بدون تاريخ تم تسليمه ١٠ يوليو ١٨٦٦ .

« بارديل » الى الانضمام اليهم بعد المؤامرة التى كانوا شاركوا فيها . فقد ظلوا فى السجن وفى شهر نوفمبر تم ترحيلهم الى « مكديللا »(٣٣٥) .

وكانت هذه النتيجة لمحاولاته اقامة علاقات أقوى مع أوروبا بمثابة ضربة قاسية لتاودروس . فلقد قدم للاوروبيين الذين وصلوا الى اثيوبيا كل المودة والصداقة ، وفى المقابل انتظر المساندة الفنية خاصة فى مجال التسليح ، كما توقع تأييدا دبلوماسيا وربما تحالفا بالنظر لصراعاته مع تركيا ومصر . وكانت عدم استجابة بريطانيا تعنى أنه لن يتمكن من ارسل بعثات الى أوروبا ولن يكون هناك قبولا لاثيوبيا فى المجتمع المسيحى فى العالم . ولم يكن يدرى هل يلوم الحكومة البريطانية أم قنصلها فى اثيوبيا ، فلقد كان يشعر بالاشمئزاز (كما أظهرت خطاباته « للوجان ») من المؤامرات وفقدان النوايا الطيبة والمودة لدى الاوروبيين بصفة عامة ، وبما اعتبره عدم كفاءة وغباء صرفا لدى ممثلى القوى الأوروبية الرئيسية . ولم يتورع عن التصريح بذلك :ـ

« اننى فى الواقع لا أدرى ماذا حدث لاولاد العمومة نابوليون وفيكتوريا ليرسلوا لى هؤلاء الاشخاص ممثلين عنهم ، ان الفرنسى شخص شرير (الترجمة الحرفية عن الأمهرية مشعوذ) أما الانجليزى فهو أحمق »(٣٣٦) .

وفى نفس الوقت ظهرت بوادر تشير الى أنه بدأ يعلل عدم الاستجابة والرد عليه بأسباب عنصرية : « هل لأننى أسود وفقير يحتقروننى » ؟(٣٣٧) .

ولم تكن اتهامات تاودروس « لكاميرون » تقتصر على مجرد عدم تلقى رد على خطابه . لقد كان القنصل مشاركا فى سوء تصرف « شتيرن » و « شيلاما » اللذين تورطا فى هذا الأمر ـ ولكن الملك كان مستفزا بصفة خاصة من الاسلوب الذى عالج به « كاميرون » موضوع هذا الخطاب : « حينما أخبرنى القنصل المدعو « كاميرون » انه خادم الملكة وأعطيته منزلة متميزة فى بلادى وقدمت له كل متطلبات الرحلة وارسلته للملكة ليجعلنى صديقا لها ، عاد الى بعد أن ظل بعض الوقت مع

(٣٣٥) « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الأول صفحات ٨٠ ـ ٢ وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحة ٦٣ « شتيرن » الى زوجته ١٢ ابريل ١٨٦٤ صفحات ١٢٦ ـ ٨ « فلاد » الى « رسام » و « شيمبر » الى « رسام » ٢٦ يناير ١٨٦٥ ـ ان الاسباب التى قدمت لتبرير القاء القبض على « بارديل » كانت متناقضة . لقد سافر الى « كسلا » على الأرجح نيابة عن الملك . وكان القاء القبض عليه عند عودته من كسلا فى اوائل فبراير ـ (المرجع السابق صفحات ٢٤١ ـ ٢ « بارديل » ١٢ يوليو ١٨٦٥ « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ١٣٦ ـ ٧ ، ١٤١) .

(٣٣٦) « لوجان » (رحلة) TM ١٨٦٥ الثانى صفحة ٢٧١ من المتعذر معرفة ما اذا كان هذا القول المنقول عن تاودروس حقيقيا أم لا . من المرجح أن يكون رواية « لكاميرون » أو « لوجان » لكنها توضح اللهجة الساخرة والبذيئة والتى لاحظها أيضا « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحة ٧١ : وبشأن المؤامرات السابقة انظر أرشيف « شبتلر » « بندر » الى « جوبات » ٢٠ نوفمبر ١٨٦١ .

(٣٣٧) « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحة ٧٥ .

الأتراك . وبشأن الخطاب أخبرنى أنه لم يتسلم أى رد عليه . وقلت لنفسى حينئذ ماذا فعلت حتى يكرهوننى لهذا الحد ويعاملوننى ببغضاء ؟ وبقوة الرب التزمت الصمت »(٣٣٨) .

وهذا يعنى بأسلوب آخر أن القنصل ذهب لتناول الشراب والطعام مع اعدائه بدلا من القيام بالمهمة التى أوكله اياها(٣٣٩) . وربما يكون قد حدث هذا فعلا والطريقة المثلى الوحيدة لاصلاح ها الخطأ هو الحصول على رد من لندن يكون ملائما للملك . لذلك فقد اعاد « كاميرون » الكتابة للندن كالتالى : « لن يفرج عنى الا اذا وصل رد لطيف على خطاب الملك »(٣٤٠) . وحينما علم « اللورد راسل » وزير الخارجية فى اوائل مارس بأحداث نوفمبر والتحذير بأن « كاميرون » لن يفرج عنى ولن يغادر اثيوبيا الا اذا تلقى الملك ردا على خطابه ، رد بطلب وبانذار . فأمر احتجاز القنصل لم يكن يدعو الى القلق . ولكن أخبار تقييد القنصل بالسلاسل ورسالة عدم الافراج ، أثارت فقط التساؤل التالى : « هل هناك خطاب من ملك الحبشة من ملك الحبشة لم يتم الرد عليه » . امضاء راسل . وجاءت الاجابة السريعة « بدون تعليق » من مكتب الهند حيث ظلت هذه الرسالة أن يوليها أى شخص بعض الاهتمام على مدى اكثر من عام ، وبدأت الرحلة الطويلة الى « مكديللا » . ولم يكن ذلك نتيجة توقع قيام حملة عسكرية :

« ان استخدام القوة غير وارد بالطبع ، والشرط الذى فرضه ملك الحبشة لكى نستقبل بعثة قد رفض بالفعل ولا يمكن تشجيع ذلك حيث اننا سنضطر لدفع تكاليف البعثة كلها » .

« واعتقد أن أنسب شىء هو ارسال خطاب عام من الملكة تعرب فيه عن الرغبة فى الصداقة وخطاب منى (من وزير الخارجية) باننا لن نتراسل مع الملك ولن نسلمه رد الملكة الا اذا أفرج عن القنصل « كاميرون » والسيد « شتيرن » وأى رعايا بريطانيين محتجزين . ويجب أن نتحاشى أى وعد بمساعدته ضد الأتراك »(٣٤١) . ولم يدرك أى من الجانبين معنى ما حدث . فان طرد قنصل وسجن الآخر لاريب قد أفسد توقعات الأوروبيين بأن هناك طريقا سهلا وبخسا للسيطرة على اثيوبيا ، ولكن

(٣٣٨) IO (أوروبا) فرنسا ١٠٣ بدون رقم « تاودروس » الى « رسام » ٥ يوليو ١٨٦٥ أصل أمهرى وكذلك صفحات ٤٣ ـ ٤ « تاودروس » الى « رسام » ١٤ مارس ١٨٦٦ . الترجمات مطبوعة فى « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الأول صفحات ٩٣ ـ ٤ . المجلد الثانى صفحات ٣٣ ـ ٤ ، لاشك تحت تأثير الاسلوب الذى روى به الاوربيون فيما بعد هذ الحكاية . واكد المؤرخ أن « كاميرون » أحضر معه ردا لتاودروس وأنه ألقى القبض عليه وعومل بقسوة لأنه فقط لم يسلم خطاب تاودروس للملكة شخصيا . « فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٣٠ ـ ١ .

(٣٣٩) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦/١ صفحة ٢٥٢ . « كاميرون » الى ستانلى ٢٨ سبتمبر ١٨٦٨ . ٢/٤٠١ صفحات ١٧٢ - ٠٧ « شتيرن » الى زوجته ابريل ١٨٦٥ .

(٣٤٠) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١٨ - ١٩ وبالقلم الرصاص التوقيع الى « سبيدى » ١٤ فبراير ١٨٦٣ ، مرفق مع رسالة « ميريوثر » الى كولكوهون » ٢١ ابريل ١٨٦٤ . وكذلك « كلكوهون » الى « راسل » ٢٨ ابريل ١٨٦٤ .

(٣٤١) نفس المرجع السابق صفحة ١٢ « راسل » الى « كولكوهون » ٩ مارس ١٨٦٤ صفحات ٢٠ - ١ ، ٢٥ محاضر كتبها « راسل » و« مواى » ١٨ - ١٩ مايو ١٨٦٤ .

ظل هناك عدم دراية ووعى بالثمن الذى يجب دفعه لتخليص من بدأوا محاولة فرض هذه السيطرة . أما بالنسبة لتاودروس والاثيوبيين الآخرين الذين بدأوا يتطلعون الى اوروبا جديا للاعتراف بهم ومساندتهم والتعاون معهم ، فكان الاحباط شديدا . لقد كانت نتيجة توقعاتهم حفنة من المسجونين وشبه المسجونين الأوروبيين . وفيما يتعلق بموقف اثيوبيا من تركيا ومصر فقد أحس تاودروس أنه كان مخطئا – دون الرجوع لمحاضر وزارة الخارجية – حينما اعتقد أن القوى الاوروبية يمكن ان تتحرك لمساندته بأى شكل من الاشكال . ولكنه كان يجب أن يدرك أيضا أن الملكة فيكتوريا يمكن تشن عليه الحرب للافراج عن رعاياها .

تاودروس وبريطانيا : تحدى المهزوم

وبحلول عام ١٨٦٥ كان تاودروس قد أصبح رجلا مهزوما بمعنى أنه لم يعد يأمل من الناحية الواقعية فى أن ينجح لا فى توحيد اثيوبيا ولا فى سياسته الخارجية . لقد كان ايمانه راسخا بأنه رجل الاقدار ، وكانت انتصاراته الاولية ضخمة للغاية وطموحاته بدون حدود ، حتى يبدو أنه لم يكن قادرا على مواجهة الحقيقة المؤلمة . لقد سيطر عليه اللجوء لاستخدام القوة فى مواجهة المعارضة مهما كانت طبيعتها وكما زادت احباطاته وعزلته فقد ازداد أيضا احساسة بالتحدى . وأصبحت فرص ايجاد حل لقضية القنصل المسجون دون اراقة ماء الوجه لأى من الطرفين فرصا ضئيلة للغاية . لقد أعطى تاودروس الانطباع الاولى بأن الملكة فيكتوريا أرسلت أخيراً رداً ودياً لخطابه – وكانت الحكومه البريطانية تأمل أن يحل هذا الرد المشكلة وأنه بهذا تنتهى مشكلة العلاقات بين اثيوبيا وبريطانيا – ولكن تاودروس على العكس من ذلك كان يأمل أن يكون الخطاب بادرة لاستئناف علاقات أوثق وانتقال من مرحلة الكلمات الى مرحلة الأفعال .

وفى لندن كانوا واعين بأن تاودروس لايمكن اخافته لحد الاذعان . ونحى « راسل » جانبا فكرة ارسال خطاب تهديد حتى خطاب الملكة الاول الذى لم ترحب فيه بالبعثة بحجة عدم تعريض المبعوثين لمشاكل وأخطار رحلة طويلة . ، تم إعادته من القاهرة : فقد كان تاودروس يدرك جيدا حالة وسائل الاتصال وكان سوف يدرك أن التبرير هو مجرد حجة . أما الخطاب الآخر فقد تضمن وعدا بأن البعثة ستستقبل بترحاب اذا كان مصرا على ارسالها ، بعد السماح « لكاميرون » والمسجونيين الأوروبيين الآخرين بالرحيل . وكان الخطاب علاوة على ذلك مختوما بالشعار الكبير وموقعا من الملكة فيكتوريا دون تصديق على التوقيع حتى لايساء فهمه . وفى القاهرة حصلوا على نسخة باللغة العربية وأضافوا خطابين من « البطريارك » و« أبونا سيلاما » وتاودروس لمساندة البعثة والتى اوكل أمرها الى « هرموزد رسام » وهو عراقى مسيحى من االموظفين فى عدن [٣٤٢] .

وفى يوليو ١٨٦٤ وصل « رسام » الى « مصوع » وكتب لتاودروس أنه يسعده الذهاب بنفسه الى بلاط الملك اذا رغب جلالته فى ذلك ، أو فليرسل « كاميرون » وشخصا يثق فيه لتسلم خطاب الملكة . وفيما يتعلق بالبعثة وعد « رسام » بترتيب رحلتهم لانجلترا حيث ستكون الملكة سعيدة للغاية باستقبالهم . وأخيرا فانه يتوق لشرف قراءة رد الملك « بمحتوياته السارة واللطيفة » [٣٤٣] .

(٣٤٢) المرجع السابق صفحات ٤٨ ، ١١٢ – ١٣ فيكتوريا الى تيوادروس ٢٦ مايو ١٨٦٤ الطبعتان الاولى والثانية صفحة ٥٣ « ريد » الى « راسل » ٢ يوليو ١٨٦٤ صفحات ٥٥ – ١٧ مذكرة كتبها « أيرتون » ٤ يوليو ١٨٦٤ صفحة ٤٦ « موارى » لميريفال ١١ يونيو ١٨٦٤ صفحات ٤٩ – ٥٠ . تعليقات للسيد « هرموزد رسام » صفحات ١٠٨ – ١٠ . مذكرة « للوجلان » ٨ – ١٠ فبراير ١٨٦٥ .

ووصل الخطاب للملك فى ١٩ أغسطس ولكن يبدو ان حالته النفسية لم تكن تسمح بالرد على الاطلاق . فبما أن الملكة ردت على خطابه بعد سنتين فربما فكر فى أن على مبعوثها أن ينتظر أيضا لفترة[٣٤٤] . وارسل « رسام » خطابا ثانيا عن طريق النائب محمد » فى اكتوبر ١٨٦٤ ولكنه لم يتلق أى رد . ثم ارسل خطابا ثالثا فى مارس ١٨٦٥ وتلقى ردا ولكنه لم يكن « سارا ولا لطيفا »[٣٤٥] .

فلقد انقضت أفضل فترة لتاودروس لاقامة علاقات مثمرة مع اوروبا ومنع تقدم القوات المصرية فى أراضيه . وقد ترددت أسماء « دى بيسون » ومساعده « كونت دى موينيه » وكذلك « ستيلا » ونائب القنصل الفرنسى فى « مصوع » « فيرنر مونزنجر » على انهم أطلقوا الأنباء والاشاعات حول خطط اوروبا فى شمال اثيوبيا . الى جانب المناخ العام الملىء بالتذمر والشكوك ، الذى كان يسود فى تلك الفترة[٣٤٦] . لقد وصلت قوة وسلطة تاودروس الى الذروة خلال اعوام ١٨٦١ - ١٨٦٣[٣٤٧] . ولكن القسوة المتزايدة التى كان الملك يقود بها حملاته أدت الى الاستياء والشعور بعدم الرضا . كما أدى نقص الموارد المالية وبالتالى نقص المواد الغذائية الضرورية للجنود الى أن يقوموا بسلب المناطق الآمنة . لقد أصبح حكمه وضرائبه تعسفية واكتسب عداء رجال الدين لانقاصه أراضى الكنيسة - وبعد فترة قصيرة من التقارب مع « ابونا سيلاما » عند عودة « باردل وبعد ذلك انقطعت الاتصالات تماما مع « الأسقف » . وفى نفس الوقت تقريبا فى عام ١٨٦٤ أخذ الجنود يتركون الخدمة باعداد كبيرة[٣٤٨] .

---

(٣٤٤) المرجع السابق صفحات ٨١ـ٢ . « رسام الى ميريفيرر » ١٢ أكتوبر ١٨٦٤ صفحات ٩٨ـ٩٩ « رسام » إلى لايار ٢٨ ديسمبر ١٨٦٤ صفحة ١٢٥ فيلدى ماريام فينا ٢٢ فبراير ١٨٦٥ صفحات ١٣٢ ـ ١٣٣ شيترن الى زوجته ١٧ يناير ١٨٦٥ ونشرت فى مجلة يدل مول أول ابريل ١٨٦٥ .

(٣٤٥) وزارة الخارجية البريطانيه ٤٠١ / ٢ صفحات ٨٣ ، ١٤٣ « رسام » الى تاودروس ١٧ اكتوبر ١٨٦٤ ٢٩ مارس ١٨٦٥ الى IO اوروبا فرنسا ١٠٣ تاودروس الى « رسام » ٥ يوليو ١٨٦٥

(٣٤٦) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٨٤ - ٦ « رسام » الى « ميريفزير » ٢ ديسمبر ١٨٦٤ صفحات ٨٦ - ٧ « ويلدى ماريام فيتا » ٢٤ نوفمبر ١٨٦٤ صفحات ١٢٦ - ٧ فلاد الى رسام « ٢٦ يناير ١٨٦٥ « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحة ١٩٠ « دوين » (اسماعيل الثالث) صفحات ٩٦ - ٧ .

(٣٤٧) هذا لاينفى ملاحظات « كرامى » (المصلح والحديثJAHالعاشر ٣ صفحات ٤٦٧ -٨٠ (العنف) JESالمجلة الدراسات الاثيوبية) التاسع ٢ صفحات ١١٩ - ٢٠ . وأنا اوافق على أن شخصية وقيادة تاودروس بدأت فى الانهيار منذ عام ١٨٥٩ - ١٨٦٠ .

(٣٤٨) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٦٤ - ٥ « فادير » ١٤ يوليو ١٨٦٤ صفحات ٨١ - ٢ « رسام » الى « ميريفنيتر » ١٢ اكتوبر ١٨٦٤ صفحات ٨٦ - ٨٧ ، ويلدى ماريام فيتا » ٢٤ نوفمبر ١٨٦٤ . « لوجان » (رحلة) TM ١٨٦٥ الثانى صفحات ٢٥٩ - ٦٢ . « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٧٠ - ٨٢ « شتيرن » (المبشر الأيسر) صفحات ١٤٥ - ٦٨ . بودن تاريخ يقول المؤرخ (ويلدى ماريام تاودروس صفحات ٢٤ - ٥) انها كانت بعد ولادة ابن تاودروس فى ١٨٦١ وأن الملك بدأ يتغاضى عن النظام ويضطهد الفقراء ويرفض نصيحة الأسقف - انظر كذلك « كرامى » (العنف) Jesالتاسع ٢ صفحة ١٢٣ .

وبدأ اول تمرد لمجموعة جديدة من الرؤساء فى « ويلكايت » فى منتصف ١٨٦٣ . فقد هدد « تيسوجوبيزى » كما كان يطلق عليه - هدد ليس فقط الاتصالات مع الشاطى من خلال « سيمين » ولكنه هدد أيضا سيطرة تاودروس على « ويجيرا » و« ديمبيا » والعاصمة القديمة نفسها . وقد استشاط الملك غضبا لمساندة المواطنين فى « جوندر » للمتمردين فقام بسلب ثم حرق المدينة قبل تسليمها « لتيسو جوبيزى » . وفى « لاستا » اندفع المعارضون تحت راية واجشوم جوبيزى ميدهين » والذى شهد تاودروس وهو يقوم باعدام ابيه ، ومع ذلك خدم الملك بضعة سنوات قبل أن يقود ثورته ضد تاودروس . وفى عام ١٨٦٥ كان من المنتظر أن يسيطر أحدهما على « تيجرى »[٣٤٩] وكان الموقف خطيرا أيضا فى الجنوب ، حيث أعلن حاكم تاودروس « بيزابيه » نفسه ملكا على « شيوا » المستقلة فى عام ١٨٦٤ . وبدأت قبائل « الويللو » تتحرك وتثير المتاعب مرة أخرى . واستعاد « تيدلا جوالو » قوته بعد هزيمته فى « انجبارا » . وفشلت خطة الملك فى استعادة « شيوا » فى اوائل عام ١٨٦٥[٣٥٠] .

وفى ٣٠ يونيو ١٨٦٥ هرب الأمير « مينيليك » من « ميكديللا » حيث كان شبه سجين لمدة عشر سنوات[٣٥١] . وبعد ذلك لم يحاول تاودروس استعادة « شيوا » . ومع أن الملك كان لديه حكام موالون له على الحدود مثل « هايلوتويلوى ميدهين » و« ويلد صديق ميراخ » فى الشمال ، فقد حوصر الملك وجيشه وتم تطويقهم بجيش يقوده رؤساء أقوياء من المتمردين فى منتصف عام ١٨٦٥[٣٥٢] . وبقيت تحت سيطرته فقط كل من « بيجمدير » وشمال غرب « ويللو » . وكتب « فلاد » من « دبرى تابور » فى ٣٠ مارس ١٨٦٥ يقول : « الدولة كلها كانت فى حالة من الفوضى التامة ، وكان المتمردون يظهرون فى كل مكان » وقال « كاميرون » من « مكديللا » بعد ذلك بأسبوع

---

(٣٤٩) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٨١ - ٢ ، ١٥٦ - ٨ « رسام » الى « ميربويزر » ١٢ اكتوبر ١٨٦٤ - ١٢ مايو ١٨٦٥ . « لوجان » (رحلة) TM ١٨٦٧ الاول صفحات ٢٦٦ - ٧ « شتيرن » (جولات) صفحة ٥٧ (مثله) المبشر الأسير صفحات ١٧٩ - ٨٠ « كارلو كونتى روسينى » مذكرات « ديتيرا اسيجاتشين » من « اوادلا »RRALالسادس ، ١ (١٩٢٥) صفحات ٤٥٠ - ١ ، ١٠ اكتوبر ١٨٦٤ (زينب) (تاودروس) صفحات ٣٢ - BN٤(اثيوبيا) ٢٥٩ ، صفحة ٥ .

(٣٥٠) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١٠٠ - ١. « رسام » الى « بادجر » ٢٠ يناير ١٨٦٥ صفحات ١٤٢ - ٣ ، ١٥٦ - ٨ « رسام » الى « ميربويزر » ١٠ ابريل ، ١٢ مايو ١٨٦٥ « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ٢٠١ ، ٢١٦ .

(٣٥١)FO ٢/٤٠١ صفحات ٢١٨ - ٢٠. « رسام » الى « ميربويزر » ١٥ أغسطس ١٨٦٥ « ويلدى ماريام » (تاودروس) صفحة ٣٢ (مع سنة خطأ أيضا فى الترجمة الفرنسية صفحة ٣٩) « جبرى سيلاسى » « مينيليك » صفحة ٥٥ .

(٣٥٢) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ١٥٦ - ٨ ، ٢١٨ - ٢٠ « رسام » الى « ميربويزر » ١٢ مايو د ١٥ أغسطس ١٨٦٥ « كونتى روسينى » (رسائل) ٦RRAL ، الازل صفحات ٤٥١ - ٥ بدون تاريخ (آخر عام ١٨٦٥ أو أوائل عام ١٨٦٦) .

« ان الدولة على حافة الفناء »[٣٥٣] . ومن الصعب معرفة لماذا قام الملك بالرد على خطاب « رسام » الثالث . ولاريب أنه قد تضافرت عدة عوامل لذلك - منها لهجة الخطاب والرسول الذى حمله وهو أخ أو ابن عم « صمويل » ويدعى ابراهيم - كان يمكن أن تلعب دورا ما ، ومن المحتمل ان يكون الملك قد أحس أن « رسام » انتظر بما فيه الكفاية ، وأرسل أبراهيم « الى مصوع » للاتصال به . وربما كان هرب « مينيليك » قد جعل تاودروس متيقنا بضرورة حل المشكلة باسرع ما يمكن . ووصل « ابراهيم » الى « ميكديللا » يوم ٤ يوليو وقابل الملك فى الحال وغادر فى اليوم التالى ومعه الرد : بأن « رسام » يجب أن يأتى فورا عبر « ماتيما » . ولكى يظهر أنه مازال غاضبا فقد أورد تاودروس شكواه ضد القنصل والاسرى الآخرين ولم يقم بوضع الختم على الخطاب متعمدا ذلك[٣٥٤] .

وقد وصلت الدعوة الى « رسام » بعد أن كان قد فقد الأمل تماما . وكان يفكر فى ارسال خطاب الملكة بواسطة رسول خاصة أن « كاميرون » كتب يقول « بحق الاله لا تحضر الى هنا الا مع مرشد أمين ، لأنك ستقابل بالاعتقال ، واذا كان الخطاب الذى معك قد أرسل بالفعل مع انذار مهذب معه ، فاما أنه سيخرجنا من الأسر أو يعقد الأمور أكثر[٣٥٥] . وحينما وصلت تقارير « رسام » المتشائمة والتى توصى باستخدام لغة أكثر عنفا وربما اتخاذ اجراء عسكرى ، حينما وصلت هذه التقارير فى شهرى يونيو ويوليو فانها جاءت فى نفس توقيت تصاعد موجة فى البرلمان ودوائر الارساليات تطالب بمعلومات واجراء حاسم للافراج عن المساجين .

وفشلت محاولات « لورد راسل » ومعاونوه فى وزارة الخارجية لتغطية الاهمال بشأن الرد على خطاب تاودروس للملكة . وفى شهر يونيو ١٨٦٤ ، كتب وزير الخارجية لمساعده فى مصر « اذا اعتمدنا على التقارير غير المتكاملة التى وصلتنا حتى الآن فهناك سبب ما للاعتقاد بأن الملك تاودروس ربما قد اعتقل « كاميرون » لأنه لم يتلق ردا من الملكة والذى أوحى « كاميرون » - أى

(٣٥٣) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/٢ صفحات ١٥٩ - ٦٠ « فلاد » الى « رسام » ٣٠ مارس ١٨٦٥ صفحات ١٦٢ - ٣ « كاميرون » الى « رسام » ١٦ ابريل ١٨٦٥ . انظر كذلك صفحات ١٨٦ - ٧ « رسام » الى « ميريويزر » ٢٣ يونيو ١٨٦٥ ٢٤٩ - ٥٠ بيان « ليما هايلو » ٢٠ سبتمبر ١٨٦٥ « فلاد » اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحة ٨٦ .

(٣٥٤) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/٢ صفحات ١٤٢ -+٣ « رسام » الى « ميريويزر » ١٠ ابريل ١٨٦٥ صفحات ٢١٨ - ٢٤ « رسام » الى « ميريويزر » ١٥ أغسطس ١٨٦٥ مع مرفقات . « تاودروس » الى « رسام » ، « صمويل » و« متى » الى « محمد عبد الرحيم » و« صمويل » الى « عبد الله » وكلها مؤرخة ٥ يوليو ١٨٦٥ تصريحات « لابراهيم » ورسل آخرين ، ١٤ أغسطس ١٨٦٥ صفحة ٢٣٥ ، « كاميرون » الى « رسام » ١٤ يوليو ١٨٦٥ ، IO ، اوروبا ، فرنسا ١٠٣ تاودروس « الى رسام » ٥ يوليو ١٨٦٥ .

(٣٥٥) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ١٦٢ - ٣ « كاميرون » الى « رسام » ٦ ابريل ١٨٦٥ صفحة ١٦٣ « فلاد » الى « رسام » ٢٥ مارس ١٨٦٥ (مكتوب فى الطبع خطأ ٢٥ مايو) صفحات ١٥٣ - ٥ ، ١٨٦ - ٧ ، « رسام » الى « ميريويزر » ١٢ مايو ، ٢٣ يونيو ١٨٦٥ .

الرد - بأنه سيصل قريبا[٣٥٦] . . . » وحينما كتب زوج اخت « كاميرون » التماسا الى الملكة فى يناير ١٨٦٥ مشيرا الى خطاب تاودروس والفترة الطويلة التى مضت دون النظر اليه[٣٥٧] ، كان « راسل » مازال يستطيع باقتناع تام أن يكذب بوقاحة قائلا : « ان ملك الحبشة كان يرغب فى عودته لزيارة انجلترا وأن نساعده ضد الفرنسيين ولما كانت رغباته هذه من المستحيل تحقيقها فقد اعتقل القنصل والمبشرين »[٣٥٨] .

وفى مايو ١٨٦٥ طلب مجلس اللوردات نسخا من المستندات الوثيقة الصلة بالموضوع بما فيها خطاب تاودروس ، وفى الشهر التالى أفرج عن المجموعة الاولى من الاوراق المتعلقة بسجن الرعايا البريطانيين فى الحبشة وأصبحت قابلة للنشر[٣٥٩] .

ولقد جاءت الانباء الأخيرة بأن تاودروس قد أفرج عن « كاميرون » وانه قد تم فك قيوده فى الوقت المناسب الذى أمكن فيه تحاشى ارسال بعثة الى تاودروس تطلب ببساطة ولكن بخشونة ضرورة الافراج عن المسجونين البريطانيين[٣٦٠] . وجاءت التعليمات من « ميكديللا » و« لندن » على السواء الى « رسام » بالتوجه فورا لبلاط الملك تاودروس[٣٦١] وقد غادر « رسام » « مصوع » فى ١٥ اكتوبر ١٨٦٥ برفقة « د . بلان » « والملازم بريدو » ووصل « ماتيما » فى ٢١ نوفمبر . وحالما وصل لتاودروس نبأ وصول « رسام » ارسل مرافقا لاحضارهم للبلاط الملكى . وغادرت البعثة فى ٢٨ ديسمبر مزودة بكل احتياجاتها خلال الشهر الذى تستغرقه الرحلة الى المعسكر فى « أشفا » فى

(٣٥٦) المرجع السابق صفحات ٤٧ - ٨ « راسل » الى « كولكوهون » ١٦ يونيو ١٨٦٤ (تأكيد من الكاتب) .

(٣٥٧) المرجع السابق صفحات ١٠١ - ٢ « ديزبورو » الى فيكتوريا ٣١ يناير ١٨٦٥ .

(٣٥٨) « بوكل » منشورة ، خطابات الملكة فيكتوريا ، المجموعة الثانية (لندن ١٩٢٦ - ٢٨) المجلد الاول صفحات ٢٤٩ - ٥٠ « راسل » الى فيكتوريا ٥ فبراير ١٨٦٥ فى ذلك الوقت ونتيجة لعدم الرد وسرية مضمون الخطاب الملكى أثار تعليقات خيالية فى الصحف بأن تاودروس طلب الزواج من الملكة . ومع أن هذا الادعاء تم تكذيبه فى مجلة بومباى فى ٣ يناير ١٨٦٥ فقد استخدم هذا الموضوع فى الحوار الذى دار حول الحملة بعد ثلاث سنوات (« ريتشارد بانكورست ») ، المعارضة الشعبية فى بريطانيا للتدخل البريطانى ضد امبراطور تاودروس فى اثيوبيا ، ١٨٦٧ - ١٨٦٨ اثيوبيا (اويزرفر ، السادس عشر٣ (١٩٧٣) صفحات ١٤١ - ٢٠٣) .

(٣٥٩) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١/٢ صفحات ١٤٨ - ٩ خطاب مجلس اللوردات بشأن الاوراق ٢٣ مايو ١٨٦٥ .

(٣٦٠) المرجع السابق صفحات ١٨٧ - ٩ « راسل » الى « ستانتون » و« بالجريف » ٢١ يوليو ١٨٦٥ صفحة ١٩٢ ومذكرة لتقديمها الى الملك تيودور فى ٢١ يوليو ١٨٦٥ صفحات ٢١٣ - ١٤ « راسل » الى « ستانتون » ٩ سبتمبر ١٨٦٥ . اكتشف فيما بعد أن الأنباء القائلة بأن تاودروس أفرج عن « كاميرون » كانت ملفقة بواسطة المراسلين (نفس المرجع ، صفحة ٢٥٠ « رسام » الى « ليار » ٢٩ سبتمبر ١٨٦٥) .

(٣٦١) نفس المرجع صفحات ٢٣٥ - ٦ « كاميرون » الى « رسام » ١٤ يوليو ، ١٦ يوليو ١٨٦٥ صفحات ٢٨٩ - ٩٠ « فلاد » الى « رسام » اول أغسطس ١٨٦٥ صفحة ٢٢٦ . « راسل » الى « ستانتون » ١٩ سبتمبر ١٨٦٥ صفحة ٢٥٤ « موارى » الى « ميريويزر » ٢٦ اكتوبر ١٨٦٥ .

« داموت » ، حيث استقبلت بحفاوة كبيرة[٣٦٢] وكان واضحا أن تاودروس اسعده وصول « رسام » وخطاب الملكة . وقد أبلغ « رسام » فورا أنه يود انهاء المشكلة . وفى مقابلة أخرى فى اليوم التالى كان قد أعد خطابا للملكة فيكتوريا حيث أخبرها أخيرا بالعفو عن المسجونين الاوربيين وسماحه لهم بمغادرة الحبشة . وكان « رسام » سعيدا بهذا الخطاب وتأكد أن الملكة والشعب البريطانى سيشاركونه هذا الشعور[٣٦٣] . وتضمنت الترجمة الانجليزية من « رسام » ومترجميه البيان التالى :

اذا لم يكن « رسام » الشهير الذى ذكرتيه جلالتك فى الخطاب لنا هو الذى جاء الينا بشأن « كاميرون » والآخرين ، ولو كان قد جاءنا أصغر خادم لدى جلالتكم ، لكنا استقبلناه بالحفاوة البالغة . اننا نرسل الآن مع « رسام » « كاميرون » وكل الأوروبيين الآخرين الذين كتبت عنهم . ويمكن لجلالتكم أن تعرفوا من هؤلاء الذين يخشون الرب ، سوء المعاملة والسباب الذى لقيناه على أيدى هؤلاء الاوروبيين ، وعلى أيدى هذا القبطى الذى يسمى نفسه المطران « ابونا سلامه » .

وفى النسخة الأصلية الأمهرية وعد الملك فقط بالافراج عن « كاميرون » : -
« حينما تذكرين لى فى خطابك أنك أرسلت « رسام » بشأن موضوع « كاميرون » هل استطيع أن أقول « لا » حتى لو كان من أرسل الخطاب ليس جلالتك ولكن عبد من عبادك ؟ حسنا ها أناذا ارسله لكم . اما عما فعلوه معى هم وهذا المصرى الذى جاء وأعلن أنه أسقف ، فانك تستطيعين أن تستعلمى عن ذلك من هؤلاء الذين يخشون الرب »[٣٦٤] .

ومع ان الترجمة الانجليزية كانت أيضا مختومة ، فان مسئولية هذه الاختلافات بين النصين تقع فى المقام الأول على « رسام » الذى تفاخر بالقول بأن تاودروس « كان يريد ان يظهر للعالم كيف كان يثق بى ، فقام بالتوقيع على خطاب لم يعرف محتوياته معتمدا على فى الدقة » . وبناء على طلبه حصل « رسام » على نسخة باللغة الأمهرية مختومة[٣٦٥] . وفى كلتى النسختين ، لم يكن

---

(٣٦٢) نفس المرجع صفحات ٢٥٨ - ٦٠ « ميريويزر » الى « ليار » ١٩ اكتوبر ١٨٦٥ مع مرفقات صفحات ٢٨٣ - ٥ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣٠٨ - ١٠ « رسام » الى « ميريويزر » ٢٧ نوفمبر ، ٢٧ ديسمبر ١٨٦٥ ، ١ - ١١ يناير ١٨٦٦ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الاول صفحات ١٨١ - ٢٤٨ .

(٣٦٣) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٣٢٠ - ٥ « ميريويزر » الى « كلارندن » ١٢ مايو ١٨٦٦ . تضمنت معظم حمولة الرسائل هذه خطابا من « رسام » مكتوبا بالتفصيل على شكل يوميات من ٢٨ يناير الى ٤ فبراير ، وعرضا ملخصا للاحداث من ٥ فبراير الى ٢١ مارس . انظر كذلك « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الاول صفحات ٢٤٨ - ٥٥ ، ٢٦٤ - ٨ « فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٣٢ - ٣ .

(٣٦٤) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٦ صفحة ٢١٠ تاودروس الى فيكتوريا ٢٩ يناير ١٨٦٦ النص الاصلى بالأمهرى ، صفحات ٢١٣ ـ ٢١٣ النص الانجليزى .

(٣٦٥) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الأول صفحة ٢٦٨ لم يكن هناك أى مقيم من الاوربيين فى المعسكر يعرف الأمهرى (« بلان » الأسر صفحة ١٢٩) ولم يكن حاضراً « ميرشا ويركى » ، و « ماميرى كال » ولا أى من الاثيوبيين الذين يعرفون الانجليزين والفرنسية . واذا كان صمويل قد تعلم الانجليزية فى صغره فيبدو انه لم يتذكرها (البعثة البريطانية المجلد الأول صفحة (٢٦١) ولكنه يعرف العربية جيدا وكذلك كان تاودروس وكانت أيضا لغة « رسام » الأصلية . لذلك لم يكن هناك أى سوء تفاهم . لما كان « رسام » لديه ثلاثة مترجمين هم « عمر على »

هناك اشارة الى العفو عن المذنبين سواء بشروط أو بدون شروط . ومن الصعب معرفة الصيغة الحرفية لما تضمنه الخطاب حول الافراج عن المسجونين والشروط الممكنة للصفح عنهم ، ولكن ليس هناك سبب للاعتقاد بأن تاودروس أعطى أى تعهد غير نص الخطاب ، ومع ذلك فقد أصر « رسام » على الاقتباس من الخطاب فقط ولا يوجد أى دليل غيره على أن الملك « أعفى عن المسجونين وسامحهم »[٣٦٦] .

وعند نشر تقاريرهم بعد سنتين أو ثلاثة ، اكد « رسام » انه من « المؤكد » أن تاودروس لم يكن قد راوده التفكير فى شهر يناير ١٨٦٦ لاحتجاز البعثة بينما أكد « بلان » ان الملك لم يكن ينوى ارسال خطابه المتواضع الذى اعتذر فيه الى فيكتوريا[٣٦٧] . وكان الأخير مخطئا بالطبع لأن « رسام » تسلم الخطاب وسمح له بالاتصال بالساحل . والحقيقة تقع بين هذين الطرفين . فرواية « رسام » وكذلك رسائل تاودروس للمبعوث توضح دون شك ان الملك لم يسامح على الاطلاق الأوروبيين . . . « الوقحين الذين أغضبوا الرب والشخص الذى نصبه الرب حاكما واننى لا أعرف ولا أفهم هل هؤلاء الاشخاص الذين لا يعرفون الإله يهودا أم وثنيين . . . » وكذلك أنه اعتزم أن يعهد « لرسام » بدور هام فى تسوية أمر خاص بالتهم الموجهة اليهم[٣٦٨] .

ويبدو أن تاودروس تردد فى الافراج عن المسجونين فورا أو التفاوض على شروط مع المبعوث البريطانى اولا ، وبعد مضى ثلاثة اسابيع ارسل أحد موظفيه للافراج عن أسرى « مكديلا » واحضارهم الى « رسام » فى « كوراتا » . وكان هذا الاجراء يتضمن بالطبع أن يتم السماح « لرسام » بأن يأخذهم معه خارج البلاد . وكتب تاودروس انه ينوى أن يتم ذلك بسرعة أو فى الحال[٣٦٩] . وفى نفس الوقت أخذ الملك يثير التساؤل : كيف يمكن لهذه الصداقة التى عادت مرة أخرى أن تساهم فى تنمية وتنوير شعبه . وكان من الطبيعى أنه يفضل لو أن « رسام » ترجم الصداقة المعلنة فى شكل عروض محددة . لقد استقبل الملك المبعوث البريطانى كما لم يستقبل أى أجنبى من قبل . وفى خلال شهرين زود « رسام » بمبلغ عشرة آلاف « تيلر » (ألفى جنيه استرلينى) من أجل

و « ويلدجبريل » و « ديستا » (نفس المرجع المجلد الأول صفحات ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٢) فانه كان يستطيع مراجعة الترجمة من الأمهرى الى العربية . والترجمة من العربية الى الانجليزية كانت فى مقدور « رسام » ولكن مراجعتها كانت صعبة على تاودروس .

(٢٦٦) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحة ٢٧ مقدمة مؤرخة ٩ مارس ١٨٦٦ .

(٢٦٧) نفس المرجع المجلد الثانى صفحة ٦٧ « بلان » (الأسير) صفحة ١٣٠ .

(٣٦٨) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ١ صفحات ٣٢٠ ـ ٥ « ميريويزر » الى « كلارندن » ١٢ مايو ١٨٦٦ ٧ « رسام » (ابعثة البريطانية) المجلد الاول صفحات ٢٢٧ ـ ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٧ ـ ٣٠٣ . أوربا فرنسا ١٠٣ والأخير مجموعة أوراق خاصة « لرسام » وهى تتضمن معظم اصول خطابات تاودروس بالامهرية والعربية للمبعوث والترجمات الانجليزية لتلك الخطابات غير سليمة فى المضمون ، وجدت فى FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٤٦٠ ـ ٧٠ (والبعثة البريطانية) المجلد الأول والثانى (هنا وهناك) انظر بصفة خاصة خطابات تاودروس فى ٩ سبتمبر ١٨٦٥ ، ٢٥ فبراير ، ٦ مارس ، ١٤ مارس ١٨٦٦ (IO أوربا ، فرنسا ١٠٣ صفحات ٣٢ ـ ٣ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ـ ٥) .

(٣٦٩) IO أروب فرنسا ١٠٣ صفحة ٣٥ . تاودروس الى « رسام » بدون تاريخ وربما ١٧ أو ١٨ فبراير .

مصروفات البعثة وقدم له الهدايا بما يوازى خمسة عشر الف « تيلر »[٣٧٠] . ثم ارسل لاحضار المسجونين واتخذ الاجراءات اللازمة لاعادة ممتلكاتهم وتعويضهم عن كل ما فقدوه[٣٧١] . وهكذا أصبحت الكرة الآن فى ملعب « رسام » .

وحتى اذا لم يكن البريطانيون راغبين أو قادرين على التحالف مع اثيوبيا ضد الأتراك فمازال لديهم الكثير لتقديمه . وفى خطابه للملكة أورد تاودروس اشارة بطريقة عارضة احتفظ فيها بكبريائه الى جانب تواضعه قال : « لابد انك سمعت عن جهل وحماقة شعبنا الاثيوبى »[٣٧٢] . كما أنه لم ينس تذكير « رسام » ارجو أن يحفظ ربى صداقتى وحبى فى قلوبكم كما ارجو أن يجعلكم تنيرون لى طريقى . . ولكن رسام » لم يأخذ فى اعتباره هذه التلميحات وأجاب : اننى على استعداد لمغادرة الحبشة لانجلترا حالما تسمح لى جلالتكم . وارجو أن يكون ذلك قريبا»[٣٧٣] . وكان تاودروس مضطرا أن يخبر المبعوث فى خطابين منفصلين أن لديه موضوعات يرغب فى مناقشتها معه حينما يصل المسجونون من « مكديلا »[٣٧٤] وقد علم « رسام » ان الملك يرغب فى محاكمة المساجين المفرج عنهم فى وجوده ، ولذلك عزم على اقناع الملك بالغاء هذه الفكرة . ووافق الملك على أن يقوم « رسام » باستجواب الاسرى حول ما اذا كانوا مذنبين أم لا فى حق الملك . وتمت المحاكمة يوم ١٥ مارس بعد وصول المساجين بثلاثة أيام ، وكما كاد متوقعا اعترف المتهمون انهم مخطئون . وقيل « لرسام » ان الملك يتوقع نوعا ما من التعويض . وكتب الملك مرة أخرى أنه ينتظر « المعرفة » الأوروبية التى تساعده على التنوير . وفى هذه المرة عزز طلبه بما تضمنه خطاب الملكة فيكتوريا : -

---

(٣٧٠) وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٣٢٠ ـ ٥ « ميريوير » الى « كلاريندن » ١٢ مايو ١٨٦٦ صفحات ٣٤١ ـ ٤ « فلاد » الى « ستانلى » بدون تاريخ تسلمها ١٠ يوليو ١٨٦٦ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الأول صفحات ٣٠٥ ـ ٦ المجلد الثانى صفحات ٤٥ ـ ٦ .

(٣٧١) IO أوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ٣٧ تاودروس الى رسام « رسام » ٣٥ فبراير ١٨٦٦ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ١٢ ـ ١٣ .

(٣٧٢) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٦ صفحة ٢١٠ .

(٣٧٣) IO أوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ٣٩ « تاودروس » الى « رسام » ٢ مارس ١٨٦٦ صفحة ٦٤ « رسام » الى تاودروس ٤ مارس ١٨٦٦ .

(٣٧٤) المرجع السابق صفحات ٤٠ ـ ١ تاودروس الى « رسام » ٦ مارس ، ٩ مارس ١٨٦٦ ـ فى محاولاته لتفادى أى لوم لفشل البعثة اكد « رسام » ان لهجة تاودروس تغيرت تماما فى ٦ مارس وكان هذا على أثر الانباء التى ترددت بأن « د . بيكى » وصل الى « ماسادا » فى مهمة خاصة للحصول على الافراج عن المبشرين بصفة خاصة (« رسام » البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٢١ ـ ٥ وكذلك ٤٢ ـ ٣ ، ٤٦ ـ ٦٤) وفى الواقع لا يوجد أى دليل على ان بعثة « بيكى » ساهمت فى فشل « رسام » ، واذا كان موقف تاودروس قد تغير فربما كان ذلك نتيجة للأنباء التى وصلته بأن الحكومة البريطانية فى الحقيقة تود أن تجعل علاقتها باثيوبيا محدودة كلما أمكن ذلك . انظر FO ١٤٠ / ٢ صفحات ٨٠٠ ـ ٤ « بيكى » الى ستانلى » ٩ اكتوبر ١٨٦٧ مع خطاب لمحرر « المورننج هيرالد » ٧ اكتوبر ١٨٦٧ ، إف أو ١ / ٢٩ صفحات ١٥٠ ـ ١ « بيكى » الى « كلاريندن » ٣٠ ابريل ١٨٦٩ .

« لقد ارسلت لك تابعى وصديقى الموثوق به السيد « رسام » أرجو أن تتشاور معه حول كل ما تطلبه منا ، وسيفعل ذلك من أجلك »[٣٧٥] . وكان هذا ترجمة أو سوء ترجمة لكلمات الملكة :

« ولذلك فاننا لا نشك فى أنك ستستقبل تابعنا « رسام » بطريقة مناسبة وتثق فى كل ما سيقوله لك بالنيابة عنا وكذلك تستجيب للطلبات التى تلقى تعليماتنا بابلاغك بها . فاننا نوصيك . . . »[٣٧٦] .

وقد ألمح « سام » ومرافقوه « بلان » و « بريدو » ان هذه الترجمة الغريبة كانت مقصودة ربما بتعليمات واضحة من تاودروس وربما نتيجة تغيير فى النص الأمهرى فيما بعد ـ ولكن لم يقدم أى منهم دليلا على هذا الادعاء . ويبدو أنه من غير المحتمل أن يكون « رسام » غير قادر على معرفة الحقيقة اما من مترجميه أنفسهم أو من « صمويل » الذى ترجم من العربية الى الأمهرية تحت اشرافه أو اشراف « بريدو »[٣٧٧] ومع أن صمويل كان موظفا لدى الملك فى ذلك الوقت فقد التحق بخدمة المبعوث وشاركه اسراره وكان فى امكانه توضيح هذه النقطة الهامة حتى موت تاودروس[٣٧٨] .

ومع أن « فلاد » و« فالدماير » أبلغا « رسام » أن « فقير كاسا » تعنى أكثر من الوعود الشفوية بالصداقة الأبدية ، فقد قرر « رسام » أن يتجاهل قضية « فقير كاسا » هذه . ورغم أنه لم يكن مستعدا لابلاغ الملك بسوء الترجمة ، فقد قرر ان يتجاهل أيضا اذا امكنه ذلك طلب الملك فى خطابه بعض الحرفيين والمعدات . واذا كان الملك قد فكر قبل ذلك كما تضمنت خطاباته « لرسام » بالسماح للمبعوث بالرحيل مع الأسرى المفرج عنهم ووثق بأن البعثة ستفتح صفحة جديدة

---

(٣٧٥) IO أوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ٤٥ تاودروس الى « رسام » ١٤ مارس ١٨٦٦ لنسخة الأمهرية (تأكيد من الكاتب) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٦ ـ ٧ ، ٣١ ـ ٦ . FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٣٢٠ ـ ٥ « ميريويزر » الى « كلاريندن » ١٢ مايو ١٨٦٦ . « بلان » (الأسر) صفحات ١٤٤ ـ ٧ .

(٣٧٦) « رسام » البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٣٨ ـ ٩ (تأكيد من الكاتب) وحول حفظ نسخ خطاب فيكتوريا فى النواميس الاثيوبية انظر « ويلدى ماريام » تاودروس صفحة ٢٩ ، « فوسيللا » تاودروس صفحة ٣٣ .

(٣٧٧) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٣٢ ، ٣٦ ـ ٧ « بلان » (الأسر) صفحات ١٢٩ ـ ٣٠ « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحة ٩٩ ـ لاحظ أن « رسام » يلقى مسئولية الترجمة على « بريدو » و« انجيدا » الكاتب الأمهرى الخاص بالملك (ويبدو أنه لا يعرف العربية) و« صمويل » واحد مترجمة الحبشيين وهم يعرفون العربية ، بينما يقول « بلان » ان الترجمة الى اللغة العربية قام بها « رسام » وقام « صمويل » بالترجمة للأمهرية . ولم يشر « بريدو » الى أنه اشترك فى الترجمة هو أو مترجم البعثة وقال ان ثلاثة من موظفى الملك هم الذين ارتكبوا الأخطاء الكبيرة فى الترجمة . وللأسف لم يكن هناك أثر للترجمة الوسيطة باللغة العربية لو كانت تمت كتابة ، وكذلك النص باللغة الأمهرية والذى من المفروض أن يكون « رسام » قد أعدها لنفسه ، لم يكن لهما أثر فى أوراق « رسام » فى مكتب الهند .

(٣٧٨) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الأول صفحات ٢٦٣ ـ ٤ .

من الصداقة الايجابية ، فقد بدأ الآن يتحدث عن الاحتفاظ « برسام » فى اثيوبيا حتى يصل دليل مادى على الصداقة[٣٧٩] .

وبعد محاكمة ١٥ مارس أعلن تاودروس انى سامح المذنبين - واستدعى الملك « رسام » والحرفيين من « جنات » الى « زيجى » للمشاورات المعلنة . وفى ٢٦ مارس أعلن للحرفيين ولمجموعة كبيرة من الروءساء عن رحيل « رسام » ، وأصر المبعوث أن يرحل مع الأسرى المفرج عنهم ونصح الجميع الملك بأن يطرده . وهذا - كما قال « رسام » - ماقرره الملك[٣٨٠] . ولكن الملك استاء من أن « رسام » لم يقم باثارة موضوع الحرفيين الجدد والمعدات . وكان راى « فالدماير » وهو أكثر الأجانب معرفة بتاودروس ، ان الملك لن يسمح لأحد أن يضغط عليه[٣٨١] وكان هذا ما حدث بالفعل .

ولمدة اسبوعين تبادل الملك والمبعوث الرسائل وكان يبدو أن الملك مترددا فيما يفعله . ورفض « رسام » طلبا جديدا بأن يحضر المسجونين الى المعسكر الملكى قبل المغادرة خوفا من أن يثير مرآهم حنق الملك . ثم وافق تاودروس أو تظاهر بالموافقة أن بوسعهم السفر مباشرة الى « ماتيما » ، بينما ذكر أنه يجب على اعضاء البعثة الحضور للتوديع[٣٨٢] . وحينما وصلوا فى ١٣ ابريل الى « زيجى » ألقى القبض عليهم مباشرة . كما ألقى القبض على المجموعة الثانية كذلك . وجىء بهم الى معسكر الملك حيث تم استجوابهم مرة أخرى عن جرائمهم السابقة ومحاولتهم الرحيل دون تقديم الاعتذارات الكافية للملك . وبينما اعلن تاودروس انه يهدف الى اعادة علاقات الصداقة فى كل النواحى عاد مرة ثانية لموضوع « الكاسا » .

« اننى اطالب ياسيد « رسام » بذلك شخصيا لأنك الرسول الذى ارسلته ملكة انجلترا . لقد قالت فى رسالتها أن كل ما تريده سيفعله السيد « رسام » . ومطلبى هو التالى اننى لا أريد ذهبا ولافضة اننى اريد اشخاصا ينيرون لى طريقى لأننى جاهل »[٣٨٣] .

---

(٣٧٩) نفس المرجع السابق المجلد الثانى صفحات ٧٣٥ ٤٠ - ٧١ ٨٤٤ انظر كذلك « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٥١ - ٢ فلا٦٦ (اثنا عشر عاما) المجلد الاول صفحات ٨٧ - ٨

(٣٨٠) 10,Eor'F.١٠٣ ، أعداد ٤٦ ، ٤٧ ، تاودروس الى راسام ، ١٨ مارس ، ٢٣ مارس ١٨٦٦ ، راسام ، المتحف البريطانى ، الجزء ٢ صفحات ٤٢ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٥٨ - ٦٥

(٣٨١) « بلان » (الأسر) صفحات ١٤٨ - ٥١ فالدماير (المغامرة) صفحة ٥٢

(٣٨٢) IOاوروبا فرنسا ١٠٣ صفحات ٤٨ - ٥٢ تاودروس الى « رسام » ٣٠ مارس ، ٢ ابريل ، ٧ابريل ، ٩ ابريل ، ١٠ ابريل ١٨٦٦ . « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٦٦ - ٨١ « بلان » (الأسر) صفحة ١٥١ .

(٣٨٣) وزارة الخارجية البريطانية ١٧/١ صفحات ٤١٥ - ٢٢ « فلاد » الى « كلاريندن » « بدون » تاريخ تسليمه فى ١٠ يوليو ١٨٦٦ . وهذا التقرير ايضا فى ٢/٤٠١ صفحات ٣٣٦ - ٤١ هو أحسن رواية للاحداث التى جرت فى ١٣ - ١٧ ابريل ١٨٦٦ . « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٥٣ - ٤ ، « شتيرن » (المبشر الأسير صفحات ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ - ٨٢) وكذلك « بلان » (الأسر) صفحات ١٥٣ - ٦٢ . وكلهم يذكرون مسألة « الكاسا » بينما تفادى ذكرها تماما « رسام » فى روايته التى استغرقت عشرين صفحة (البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات

وطبقا لما رواه « بلان » ذكر « رسام » ايضا بوعده الذى قطعه على نفسه بالكتابة لطلب مدرس[٣٨٤] .

واتخذ تاودروس أخيرا قراره ، فلم يمنع « رسام » فقط من الرحيل ولكنه منع أيضا المسجونين السابقين والمحتجزين ، بينما رحل « فلاد » فقط الى انجلترا لاحضار « الفقير كاسا » أو الدليل المادى بأن الصداقة البريطانة حقيقية . وارسل تاودروس خطابا للملكة يشير بأنه أخذ بنصيحتها فى استشارة « رسام » عن كل ما تريده منا ، وختم خطابه برجاء أن يجزيها الرب بالنور فيچالسماء لأنها فتحت أعين الاثيوبيين الجهلة »[٣٨٥] . واعطى تفصيلات طلباته « لرسام » : « صانع بندقية وعامل سبك حديد وخبيرالغام ومدفعجى مع أدواتهم . . . . اكتب هذا وارسلهم لى بحق الإله » وحينما وصل « فلاد » الى لندن حدد طللبات تاودروس كالتالى : « اثناء من صانعى البنادق وضابط مدفعيه ، واحد أو اثنين من بنائى السفن وصانع عربات وسباك جديد مع المعدات والآلات والأفران اللازمة « واضاف » ، واذا أمكن ارسال ماكينة صهر معادن بالبخار للمبسك ومصنع بارود ومنضدة خراطة وماكينات لصنع كبسولات البنادق . . . »الخ[٣٨٧] . ومن الواضح ان تاودروس كان يأمل فى ذلك الوقت ان يتمكن من استعادة مركزه وقوته العسكرية بانتاج مواد حربية وخاصة مدفعية على نطاق لم يكن معروفا فى اثيوبيا من قبل . واصبح الملك نافد الصبر . وقبل ان يصل « فلاد » الى الساحل طلب من « رسام لإ ان يكتب الى بومباى لارسال عمال مهرة يستطيعون سبك المدافع وكذلك آلات وكتب عن استخدام المدفعية . ومع أن « رسام » حصل على عشرة آلاف تيلر (الفى جنيه استرلينى) أو ربما ضعف هذا المبلغ فقد أجاب بأن تجنيد العمال يحتاج للتصديق من لندن . ولكنه ارسل الى عدن يطلب كتبا وصمامات للقنابل[٣٨٨] .

وكان الممثل السياسى المقيم فى عدن « ميريويزر » فى اجازة فى انجلترا وكلف بمهمة اختيار العمال والهدايا . وتحت تأثير احساس غير سليم تماما بأن الملك قد « نقض الوعود التى قطعها فى

---

٨٢ - ٩٩) ومع أن « فلاد » لقب تاودروس بأنه القاسى ، وغير الانسانى ، والظالم والبربرى والماكر والطاغية الخادع الخبيث « وذلك فى تقريره (صفحة ٤٢١ - وحذفت بعض الفاظ الذم فى الطباعة -) ولكنه لم يوح بأن سوء ترجمة خطاب الملكة كان مقصودا (صفحة ٤١٩) .

(٣٨٤) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٣٦٧ - ٨ « بلان » الى « ميريويزر » ٢٦ مايو ١٨٦٦ . انظر « رسام » البعثة البريطانية - المجلد الثانى صفحة ٤٠ بشأن « الوعد » .

(٣٨٥) وزارة الخارجية البريطانية ٧٢٥/٩٥ رقم ٢٢٦ تاودروس الى فيكتوريا ١٧ ابريل ١٨٦٦ النسخة الأمهرية الاصلية والترجمة الانجليزية . ومع أن « رسام » يقول (البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٩٩ - ١٠٠) ان « صمويل » كان يترجم الخطاب حرفيا من الأمهرى الى العربية ، فقد تحاشى المبعوث أى اشارة الى « وعد » الملكة فى النسخة الانجليزية . بينما الجملة المقتبسة كانت كالتالى : « لحين توطيد صداقتنا » انظر كذلك مسودة الترجمة IOاوربا فرنسا ١٠٣ صفحة ٥) .

(٣٨٦)IOاوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ٥٣ تاودروس الى « رسام » بدون تاريخ (١٧ ابريل ١٨٦٦) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانه صفحات ١٠١ - ٢ .

(٣٨٧) وزارة الخارجية البريطاينة ٤٠١ / ٢ صفحة ٣٥١ قائمة « فلاد » ١٧ يوليو ١٨٦٦ .

(٣٨٨) نفس المرجع السابق صفحات ٣٦٥ - ٧ « رسام » الى « ميريويزر » ٢٨ مايو ١٨٦٦ .

شهر فبراير » ، أقر « ميريويزر » بأن معاملة تاودروس « لرسام » وزملائه كانت بدون شك غير عادلة ، وفى الظروف العادية كان الأمر سيتطلب اتخاذ اجراءات قاسية » . ومع ذلك فقد اوصى بأن تحاول الحكومة البريطانية كسب ثقة تاودروس بالتعامل معه « بكل صراحة وتحرر » . وهذا يستلزم تجنيد فريق فنى من ثمانية اشخاص تحت اشراف مهندس متعلم جيدا ومغامر لكى يعمل فى اثيوبيا لمدة ثلاث سنوات أو أكثر اذا رغبوا فى ذلك ، على حساب تاودروس ، ولكن بضمان الحكومة البريطاينة ، مع ارسال كل الآلات والمعدات التى يحتاجون اليها . وطالما أن تاودروس سيدفع بكل تأكيد المرتبات فور وصول المجموعة الى اثيوبيا ، فان التكلفة الكلية ستبلغ حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة جنية استرلينى (أقل فى الحقيقة مما كان تاودروس سيدفعه « لرسام ») . بالاضافة الى معلم المدفعية الذى سيصل من عدن . وعلاوة على ذلك يجب ابلاغ الملك أن المشروع القديم لارسال بعثة لانجلترا قد تمت الموافقة عليه ، وأن اعضاء البعثة يمكنهم السفر مع « رسام » عند عودته . ويعد هذا لامساومة ، بمعنى أن الفريق الجديد سيصل للبلاد فقط بعد السماح للاوربيين الآخرين بالرحيل . وكانت نصيحة « ميريويزر » كالتالى :

« ارجوا ان تثقوا فى الملك بصراحة ووضوح ، وأظهروا له ان كلمته مصدقة ، واقنعوا بأن الروايات التى قيلت له غير صحيحة ، ولا يوجد تجاهه الا المشاعر الودية . والى حد ما كان هذا يعتبر مقامرة . ولكن حقيقة أن شخصا مثل « ميريويزر » لديه كل المعلوكات والفرص لسؤال « فلاد » وقراءة رسائل « رسام » جميعها ، كان يثق فى أن هذا الاسلوب سينجح ، مما يدل دلالة قاطعة على ان تاودروس فى عام ١٨٦٦ لم يكن يعتبر معتوها ، بالرغمن من اقوال « رسام » عنه « انه اصبح مجنونا فى الستين الأخيرتين » . وكما أطلق عليه « الأحمق الطائش » فى الوثائق السرية . وقال له الاشخاص الأقل دبلوماسية مثل « سيدى » فى وجهه « انه احمق » . ولكن النجاح هذا الاسلوب كان الأمر يستلزم منع مصر من شن اى حملات ضد اثيوبيا[٣٨٩] .

ومرة ثانية تدخلت التقارير والاشاعات عن الخطط المصرية فى اثيوبيا ، لتفتيش المحاولة الأخيرة لاقامة نوع من الصداقة والتعاون بين اثيوبيا وبريطانيا ــ وفى اواخر عام ١٨٦٤ عاود « الخديوى اسماعيل » الضغط على الباب العالى لوضع « مصوع » و « سنواكن » مرة اخرى وبصفة مستمرة تحت السيادة المصرية . وكان يرغب فى جعل « سواكن » سوقا للتجارة السودانية وبداية للخطوط الحديدية المتجهة الى « بربر » وكسلا » ، أما « مصوع » فكان يود أن تصبح قاعدة لمزيد من الأراضى المكتسبة على الحدود الشمالية الاثيوبية أملا فى توسيع اقليم « تاكا » شرقا عبر « بوجوس » للساحل مع مد خط سكة حديد أيضا . واعتمد « اسماعيل باشا » فى هذا على تأييد

(٣٨٩) المرجع السابق صفحات ٣٧٣ - ٧ مذكرة « لميريويزر » ١٦ أغسطس ١٨٦٦ (آراء حول حالة تاودروس العقلية) . انظر نفس المرجع صفحات ٨٦ ، ١٥٣ - ٥ « رسام » الى « ميريوزر » ٢ ديسمبر ١٨٦٤ ، ١٢ مايو ١٨٦٥ . وكذلك « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الأول صفحة ٢٥٣ « احيانا معتوه » .

بريطانيا العظمى مستخدما تعهده بقمع تجارة الرقيق كمبرر لطلب التأييد[٣٩٠] وفى مراسلات الخديوي اسماعيل مع الباب العالى كان اكثر صراحة فقد وعد بتوسيع السيطرة العثمانية لتشمل القبائل غير المتحضرة فى افريقيا خارج الحدود الحالية للامبراطورية ، وبمعنى آخر الى « الحبشة »[٣٩١] ورغم ذلك فقد كان يبدو فى منتصف عام ١٨٦٥ أن الخديوى اسماعيل كان حريصا على تحاشى الصدام مع اثيوبيا ، ومع ان التصريح بمنح المينائين للخديوى اسماعيل كان بتاريخ منتصف مايو ١٨٦٥ وتم الاستيلاء على « سواكن » فى اغسطس ، فقد ظلت « مصوع » تحت الادارة القديمة حتى ٣٠ ابريل ١٨٦٦ حينما وصل الحاكم الجديد « حسن رفعت » يؤازره كتيبة من الفرق المصرية تحت قيادة « اسماعيل صديق باشا »[٣٩٢] . ثم تبع ذلك فترة من النشاط المحموم . ففى خلال اسابيع استطاع حسن رفعت أن يوطن تسعا وثلاثين قبيلة معظمها ساحلية معتملة على « مصوع » منهم خمس وعشرون دفعوا جزية قدرها حوالى خمسة آلاف تيلر سنويا والباقون لم يخضعوا لأية ضرائب . ولكن المكاسب الحقيقة كانت فى الداخل . واصبحت المناطق التى كانت تخضع للامبراطورية العثمانية أيام السلطان سليم (فى القرن السادس عشر) اصبحت اكثر مرونة . فقد در (منجم ملح) يديره رئيس مسيحى ايراد بلغ من مائة الف الى مائة وخمسين الف تيلر سنويا . ووصلت الضرائب التى كان يدفعها « دى جازماتس هايلو » فى « هماسين » و « بوجوس » الى ٦٢ ألف تيلر[٣٩٣] . وكان من المسلم به أن مصر تستطيع بسهولة ضم مناطق مثل « اكيلى جوازى » و « بوجوس » حيث اضعف عمل المبشرين ولاء تلك المناطق لاثيوبيا وخلقت وصاية غير رسمية لفرنسا أو بريطانيا أو كليهما[٣٩٤] . وقد حذر خليفة « لوجان .. فى « مصوع » نائب القنصل « مونزنجر » ، حذر حكومته من أنها اذا كانت تريد « بوجوس » فيجب ان تتصرف دون تأخير . وكان يدرك تماما ان احتلال « بوجوس » بالنسبة لمصر مسألة هامة جدا وأنها « ستصبح زهرة السودان المصرى كله اذا ما أحسن ادارتها[٣٩٥] ، ولكى يقلل من مخاطر التدخل الاوربى ، أشار

(٣٩٠) AP. BAGM (ارشيف الباب العالى استامبول) « ميسر ارادبليرى » ٧٨٧ اسماعيل الى فؤاد ٢٦ ديسمبر ١٨٦٤ « دوين » (اسماعيل) الثالث والدول صفحات ٢٦٩ ـ ٧٣ ، ٢٨٥ ـ ٨ انظر أيضا وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٥٣٨ ـ ٩ « بيكى » الى « ستانلى » ١٣ يونيو ١٨٦٧ .

(٣٩١) SP. BAGM « ميسر ايراديرى » Misir Iradeleni ٧٩١ غلاف ٣ اسماعيل الى فؤاد ٤ ابريل ١٨٦٥ .

(٣٩٢) ENA سجل ٥٣٧ « ماياسانى » اسماعيل الى « جعفر صديق » ٢٩ يونيو ١٨٦٥ « دوان » اسماعيل (الثالث) (والاول) صفحات ٢٧٥ ـ ٨١ AECP « ماسوا » ٣ صفحة ١٩٤ « مدنزينجر » الى « دروان » ٤ مايو ١٨٦٦ .

(٣٩٣) « دوان » (اسماعيل) الثالث والاول صفحات ٢٨٣ ـ ٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ . AECP « ماسوا » ٣ صفحات ١٩٨ ـ ٢٠٥ « مونزينجر » الى « دروان » ٥ نوفمبر ١٨٦٦ .

(٣٩٤) AECP « مصوع » ٣ صفحة ١٥٥ مذكرة « للوجان » أول ابريل ١٨٥٥ (انظر أيضا الصفحات ١٤٣ ـ ٤ فى النص الانجليزى للمراجع) .

(٣٩٥) AECP « مصوع » ٣ صفحات ١٦٨ ـ ٧٧ ، ١٨٤ ـ ٩٠ « مونزنجر » الى « دروان » ١٥ اكتوبر ، ٢٣ ديسمبر ١٨٦٥ .

« حسن رفعت » بوضوح على حكومته « أن تتخذ إجراءات عاجله حتى تدرك فرنسا وإنجلترا رسميا أن هذه المنطقة المسيحية تعتمد على الحبشة فقط ، وانه ليس لهم الحق اطلاقا فى التدخل فى شئونها(٣٩٦) . وأعطت غارات الحدود المعتمدة ، لمصر ذريعة للتدخل ، حيث لم تؤد الهدايا والرواتب التى تم تقديمها لرؤساء المناطق الى الموافقة الاختيارية على الحكم المصرى وقد سهل العصيان المسلح فى اثيوبيا هذا الاختراق . وبينما كان حاكما أهم المناطق على الحدود « هايلو » فى « هاماسين » و « ويلدى صديق » فى « أديابو » على ولائهما لتاودروس ، كان هناك التمرد الجديد القوى فى الشمال وضباطه مثل « جبرى ميدهين » فى « اكيلى جوزاى » الذى كان من السهل الاتصال به . أما « جويبزى » الذى عاد الى « تيجرى » فى يونيو ١٨٦٦ بعد غياب ثلاثة أشهر فكان من الطبيعى ان يحاول التخلص من كل الرؤساء الذين مازلوا موالين للملك . وفى شهر اكتوبر ادعى « حسن رفعت » أن « جويبزى » طلب اعتبار منطقته تحت السيادة المصرية(٣٩٧) .

مع انه من الصعب معرفة نوع المعلومات التى وصلت لتاودروس ومتى وصلت ، فمن المؤكد ان الحكام ذوى الولاء للملك وكذلك الجواسيس قد نقلوا كل شىء وصلهم عن أنشطة وخطط المصريين ولم يفتهم ذكر « الفرنجة » كذلك . وحتى بعد وصول المصريين الى « مصوع » بشهرين تقريبا لم يكن يتسرب الشك الى تاودروس بأن بريطانيا ستقوم بأى حال من الأحوال بدعم أو الموافقة على التحركات المصرية . ولقد أكد كل الاوربيين المحتجزين أنهم عوملوا باحترام وحتى بكرم(٣٩٨) .

وتغير هذا الوضع فجأة يوم ٢٥ يونيو ١٨٦٦ بعد وصول قسيس أرمينى أو يونانى من القدس . فقد استدعى الملك الأوروبيين واتهم « رسام » بأنه أخفى خطة الخط الحديدى المصرى لأن الخط المتجه الى « كسلا » أنشىء لحمل الفرق البريطانية والفرنسية والتركية التى ستشن هجوما على اثيوبيا . كما أعلن أنه تلقى خطابا من القدس بأن البريطانيين لم يكونوا مخلصين على الاطلاق فى صداقتهم وأنهم خططوا منذ البداية لارسال قوات للانتقام بسبب المعاملة المهينة التى لقيها قنصلهم فور رحيل « رسام » والأسرى المفرج عنهم(٣٩٩) . ولم تكن لهذه الادعاءات أساس من الصحة لأن الحكومة البريطانية كانت ترغب فى تفادى الانخراط فى حملة عسكرية مكلفة فى اثيوبيا .

---

(٣٩٦) « دوين » (اسماعيل) الثالث والاول صفحة ٣٣٨ .

(٣٩٧) نفس المرجع السابق صفحات ٣٨٥ ، ٣٣٢ ـ ٤٠ . AECP « ماسوا » ٣ صفحات ١٨٠ ـ ٣ ، ١٩٨ ـ ٢٠٥ . « مونزنجر » الى « دروان » ١٢ نوفمبر ١٨٦٥ ، ٥ نوفمبر ١٨٦٦ .

(٣٩٨) FO ٤٠١ / ٢ صفحة ٣٦٣ « كاميرون » الى « هاموند » ٢٤ مايو ١٨٦٦ صفحات ٣٦٤ ـ ٥ « رسام » الى « كلارندن » ٢٧ مايو ١٨٦ صفحات ٣٧٦ ـ ٨ « بلان » الى « ميريويزر » ٢٦ مايو ١٨٦٦ . « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ١٢٣ ـ ٤ ، ١٣٠ ـ ٤ ، ١٣٩ .

(٣٩٩) وثائق وزارة الخارجية البريطانية٤٠١ / ٢ صفحات ٣٨٨ ، ٤٢٨ ـ ٩ . « رسام » الى « ميريويزر » ٢٦ يونيو ، ١٧ سبتمبر ١٨٦٦ . « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ١٤٠ ـ ٥ . « بلان » (الأسر) صفحات ١٧٠ ـ ١ . « فالدماير » (المغامرة) صفحة ٥٥ . IO أوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ٢٢ تاودروس الى « رسام » ٥ يناير ١٨٦٧ .

ولكنها كانت ادعاءات معقولة ومنطقية على أى حال . وقد صرح « فلاد » عند وصوله الى انجلترا « أن الفرق المصرية تتجمع عند الحدود للاغارة على « بوجوس » وهو اقليم يتبع الملك » . وأن « ميريويزر » أعرب عن « تخوفه من أن تاودروس سيعقد على الفور أن التحرك المصرى تم بموافقة حكومة صاحبة الجلالة » . وأحست الحكومة البريطانية أن كل ما يمكن عمله فى حالة ما اذا كان التقرير صحيحا أن تطلب من اسماعيل « ارجاء هجومه »(٤٠٠) .

ومرة أخرى تفاقم الموقف بسبب المؤتمرات وسط الاوروبيين ، فقد زادت شكوك تاودروس تجاه « باردل » نتيجة للتقارير التى وصلته من المبشر الكاثوليكى « ديلمونت » فى « مصوع » . ثم ألقى القبض على « رسام » وزملائه وكذلك الأسرى السابقين ماعدا « ماكيرير » و « ماكيلفى » وارسلوا الى سجن الجبل . وبقى الأخرون للعمل فى صنع المدافع فى « جنات » وتحت المراقبة الشديدة(٤٠١) .

وفى وزارة الخارجية وصفوا خطة « ميريويزر » الكريمة بارسال العمال المهرة الذين طلبهم الملك لايوبيا دون طلب الرعايا البريطانيين المتحجزين فى المقابل على الحدود ، بأنها « قمة فى الجنون » . وحينما وصلت أنباء وضع « رسام » والآخرين فى السجن فى « مكديللا » ، الى لندن تغيرت الخطة . فقد كان « فلاد » فى أرسل بالفعل برد الملكة . وكان « ميريويزر » سعقبه ومعه العمال المهرة والآلات ولكن حتى « مصوع » فقط حيث يتم التبادل فى حالة ما اذا وافق تاودروس على الافراج عن الأسرى وارسالهم الى الى الساحل أولا . وكان رد الملكة قد تم صياغته بشكل متشدد وفيه غموض بشأن الصناع . فقد كتبت فيكتوريا ان العمال المهرة كانوا قد تم ترتيب ارسالهم قبل وصول أنباء سجن « رسام » . ولم تذكرا الملكة الا المعدات والآلات المطلوبة والتى ارسلت الى « مصوع »(٤٠٢) .

---

(٤٠٠) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحة ٣٤٨ . « فلاد » الى « ستانلى » ١٤ يوليو ١٨٦٦ صفحات ٣٥٢ ـ ٣ . « ميريويزر » الى « ستانلى ١٨ يوليو ١٨٦٦ ، صفحة ٣٥٣ . « موراى » الى « ستانتون » ١٩ يوليو ١٨٦٦ (تأكيد من الكاتب) .

(٤٠١) نفس المرجع السابق صفحات ٣٩١ ـ ٤ « فلاد » الى « موراى » ٢١ سبتمبر ١٨٦٦ مع مرفق لزوجة فلاد مؤرخ ٧ يوليو ١٨٦٦ صفحات ٤٨٢ ـ ٨ « ميريويزر » الى « ستانلى » ٢٨ فبراير ١٨٦٧ عن زوجة « فلاد » و « شتايجر » ، « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٥٦ ـ ٧ . انظر كذلك هامش ٣٩٩ . ألقى « رسام » الكثير من اللوم فى مراسلاته وفى (البعثة البريطانية) على بعثة « بيكى » ولكنه تحدث أيضا عن « الحمقى ومسببى الأذى » بصفة عامة .

(٤٠٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٨ ، محضر كتبه « ايجرتون » ١٥ أغسطس ١٨٦٦ صفحات ٣٩٨ ـ ٩ « ميريويزر » الى موراى اول اكتوبر ١٨٦٦ صفحات ٤٠٠ ـ ١ . فيكتوريا الى تاودروس ٤ اكتوبر ١٨٦٦ صفحة ٤٠٢ . « ستانلى » الى « فلاد » ٨ اكتوبر ١٨٦٦ صفحات ٤٠٨ ـ ٩ « ميريويزر » الى « هانوند » ٢٧ اكتوبر ١٨٦٦ .

ولقد اعتبر « فلاد » هذا الالغاء ضربة قاضية لنجاح بعثته ، ولكن شرط اطلاق سراح المسجونين وارسالهم للساحل قبل شحن الآلات والمعدات كان أيضا مسألة خطيرة . ولم يستطع « فلاد » أن يسافر عبر « تيجرى » بسبب التمرد هناك ولذلك فقد ارسل نسخة من خطاب الملكة بواسطة رسول وذلك يوم ٣٠ اكتوبر[٤٠٣] . ووصل الخطاب الى تاودروس فى « دبرى تابور » فى منتصف ديسمبر . وكان قد عاد لتوه من حملة على « جوندر » لأسر متمردة هناك . وكان زعيم المتمردين قد فر وقام تاودروس بحرق المدينة تماما ، بما فيها من كنائس « حوالى اربعين كنيسة » . وقد حمل القس والكهنة المخطوطات والاوعية المقدسة وكل كنوز تلك الكنائس الى « دبرى تابور » التى اصبحت العاصمة الجديدة . وجعل هذا التدمير الوحشى لعاصمة القديمة جعل الشعب يكره تاودروس كما انه كان دليلا قاطعا على ما وصل اليه تفكيره من تدهور . حتى ان « فالدماير » الذى يعتبر أقرب الناس للملك والذى دافع عنه فى مواجهة الهجوم الشخصى عليه ، أشار الى الحوادث التى جرت بعد رحيل « فلاد » قائلا ان الصفات النبيلة فى الملك « حجبتها قسوته وتعاليمه وادمانه ورزائل أخرى »[٤٠٤] .

وكان رد فعل تاودروس على خطاب فيكتوريا غامضا . فمن ناحية ارسل صورة الخطاب الى « رسام » لأخذ نصيحته بشأن الرد ، وحينما حضر الرسل الذين بعثهم « فلاد » فى ٥ يناير ١٨٦٧ بأنباء وصول المهنيين مع آلاتهم ومعداتهم الى « مصوع » ، قرر دون انتظار رد « رسام » ، ان يدخل العمال والآلات للبلاد عبر « ماتيما » . وبالتالى أخبر « رسام » بذلك فوافق على تعزيز طلبه ، مع عزمه على الغاء هذه التوصية من خلال مبعوث سرى[٤٠٥] . وقد خشيت زوجة « فلاد » أن يستجاب لطلب الملك وتوسلت مع زوجها أن يعودا بمفردهما :-

« اننى اقول لك بل أتوسل اليك لا تثق ، لا تثق ، لا تثق .. فمع أنه قد أظهر ارتيابه علانية فانه يعتقد أنه يستهيل عددا أكبر من الانجليز . بحق الإله ارجو أن تظل نظيف اليد . ولا تقدم اى نصيحة لأنها ستنقلب الى سوء ، اننى أنضرع اليك بل أتوسل امام الله أن تنفض يديك من الموضوع كله . ان هدف الملك هو عمل خدعة شريرة فقد قال للسيد « فالدماير » ، اعتبرنى امرأة اذا لم ادخلهم البلاد مع آلاتهم كلها[٤٠٦] .

ومن ناحية اخرى أدلى تاودروس للاوروبيين فى « جفات » بتصريحات تدل على أنه لا يصدق ان المعدات والعمال سترسل له وهو لا يكترث ، بما سيحدث :-

« لقد قاربت صداقته ببريطانيا من نهايتها . والآن هو لا يريد معدات ولا عمال . وأى شىء تحضره « فلاد » لم يعد يهمه ، حرب أم سلام . هكذا نقلوا عنه ، فقط هو يريدك أن تحضر بسرعة . وسيغادر رسله اليك غدا . ان العملية كلها وصلت لنهاية مقررة[٤٠٧] . وقد استخدم « فالدماير » عبارات أقوى لشرح حالة الملك النفسية :-

« على البريطانيين أن يرموا كل ما أحضروه الى « مصوع » للملك ، فى البحر ، فانه لا يريد شيئا منها ، كما أنه لن يفرج عن المساجين اذا لم ينفذوا رغباته ، واذا رأت بريطانيا أن تشن حربا ضده فانه يفضل أن يقطع الاوربيين الى آلاف القطع عن أن يسلمهم لبريطانيا[٤٠٨] . وفى ظل تلك الظروف لم يكن من المحتمل أن تؤدى حتى الموافقة على طلبات تاودروس الى حل سلمى للصراع . وبعد تلقيه عدة مراسلات من « مكديلا » تأكد « ميريويزر » أن الفرصة الأخيرة للافراج عن الأسرى باسلوب الاسترضاء قد فشلت . وقد ساعدت أنباء تضاءل قوة تاودروس فى اتخاذ « ميريويزر » قرارا باستخدام « لهجة أكثر حسما مع الامبراطور » . لقد كان « رسام » محقا حينما كتب عن تاودروس : « لقد أصابه السأم من الحبشة » . واختتم « ميريويزر » قراره قائلا : « اذا لم يتمكن من توجيه ضربة ذكية تليق بسيرته السابقة فان حكمه سينتهى خلال الأشهر القليلة القادمة » . واوصى « ميريويزر » ان ترسل وزارة الخارجية خطابا شديد اللهجة لتاودروس وتعلن لحكام المناطق والمواطنين أنهم سيعاقبون اذا تسببوا بأى وسيلة فى الحاق الأذى بالأسرى وأنهم سيكافئون بسخاء مقابل أى مساعدة أوحماية للأسرى . كما أعرب عن أمله فى أن الافراج عن الأسرى يمكن أن يتم طريق حركات التمرد . وفى نفس الوقت أوصى حكومته باعداد قوة قوامها ستة آلاف رجل للابحار من الهند الى « مصوع » والاستعداد لشن حملة على اثيوبيا فى شهر اكتوبر اذا لزم الأمر . كما أنه بدأ يستكشف الطرق الممكنة لسير الحملة . أما الاقتراح السابق باستخدام قوات مصرية فقد وصفه بأنه « غلطة خطيرة » لانه سيؤلب ضدنا المتمردين الذين سيكونون عونا كبيرا لنا . فمهما كان

---

(٤٠٣) المرجع السابق صفحات ٤٣٣ ـ ٤ « فلاد » الى « هيرتسلت » ٥ نوفمبر ١٨٦٦ .

(٤٠٤) « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٥٥ ـ ٦٠ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ١٠ ـ ١٢ . FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٤٤٥ ـ ٩ ، ٤٨٢ ـ ٨ « ميريويزر » الى « ستانلى » ١٥ يناير ، ٢٨ فبراير ١٨٦٧ . « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٣٠ ـ ١ « بلاد » (الأسر) صفحات ٣١٢ ـ ١٥ « كونت روسينى » (رسائل) RRAL ٦ ، الاول صفحات ٤٥٧ ـ ٦٠ ، ١٥ ابريل ١٨٦٧ .

(٤٠٥) IO (اوربا فرنسا ١٠٣) صفحة ٦ . « رسام » الى « ستانلى » ٧ يناير ١٨٦٧ صفحات ٢٠ ـ ٢ تاودروس الى « رسام » خطابان بدون تواريخ كتبا فى أواخر ديسمبر ١٨٦٦ أو اوائل يناير ١٨٦٧ . وخطاب ثالث كتب ٥ يناير ١٨٦٧ ، وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٤٥٨ ـ ٦٠ . « رسام » الى « ستانلى » ١٠ يناير ١٨٦٧ صفحات ٤٨٢ ـ ٨ . « ميريويزر » الى « ستانلى » ٢٨ فبراير ١٨٦٧ صفحة ٥١٢ . تاودروس « لفلاد » (وليس ميريويزر كالعنوان) ٧ يناير ١٨٦٧ . وفى رواتيه (البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٢٣٤ ـ ٨) خلط « رسام » ترتيب خطابات تاودروس ولكن « بلاد » (الأسر صفحات ٢٢٥ ـ ٨) أشار لهم بالترتيب) .

---

(٤٠٦) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٤٨٢ ـ ٨ « ميريويزر » الى « ستانلى » ٢٨ فبراير ١٨٦٧ عن زوجة « فلاد » ١٤ يناير ١٨٦٧ .

(٤٠٧) المرجع السابق عن « شتايجر » ١٣ يناير ١٨٦٧ . استخدم الاوربيون رسولهم الخاص الذى وصل للساحل أسرع من رسول « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحة ١٣ . FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٥١٠ ـ ١٢ .

(٤٠٨) فالدماير (المغامرة) صفحة ٥٩ .

الامبراطور تاودروس مكروها فان المسلمين مكروهون عشرة أضعافه ، وأضاف ، أن استخدام القوات المصرية سيكون انتحارا «[٤٠٩] .

ورغم التعديلات التى أدخلت على حجم قوة الحملة فقد صار خطاب « ميريويزر » أساسا لخطة الحملة البريطانية « لميكديلا » ، التى بدأ الاعداد لها فور وصول الرسالة للندن . وتم استدعاء العمال لانجلترا وارسل خطاب لتاودروس فى ١٦ ابريل يشير الى أن الهدايا ستعاد أيضا للندن اذا لم يتم الافراج عن المسجونين ويسافروا فى طريقهم الى « مصوع » خلال ثلاثة أشهر من ارسال الخطاب من الساحل[٤١٠] .

وفى هذه الأثناء عاد « فلاد » بمفرده الى « ديبرى تابور » فوجد أن الأمور قد تدهورت اكثر واكثر . وفى أواخر شهر يناير سرب « بارديل » للملك خطة لتهريب خمسة من الاوروبيين فى « جفات » وهم (تفايجر وبرانديز وايسلر وشيللر وماكيرير)فقام بسجنهم فى « ديبرى تابور » . وقبل بضعة ايام من وصول « فلاد » ومقابلته الاولى مع الملك فى «ديمبيا » فى ٢٦ ابريل وربما نتيجة لرسالة وصلت قبله ، قام الملك بالقاء القبض على مواطنى محمية « جفات » والذين كان يطلق عليهم « اولادى » وتم ترحيلهم الى « ديبرى تابور » . واستمروا فى تشغيل مصنع المدافع ولم يقيدوا بالسلاسل ولكنهم كانوا مسجونين كبقية الاوربيين.

وكان استقبال « فلاد » فاترا ، ولكنه لم يكن عدائيا . وفى مقابلته مع تاودروس أخبره ان الافراج الفورى عن المساجين الاوروبيين جميعا هو الذى سيعيد صداقة بريطانيا وأن الآلات والعمال موجودون فى « مصوع » ويمكن احضارهم بمبادلتهم مع الأسرى . وبدون ذلك فان الحرب قادمة لامحالة . وأضاف « فلاد » أن فرنسا ومصر ربما يشاركان فى الهجوم حيث أن « مينليك » و« جوبيزى » قد اتصلا بالفرنسيين . وبدأ الملك غير مبالٍ ، ومكيفا نفسه لفشل سياسته الخارجية :

« ولقد طلبت منهم اثباتا للصداقة ، ولكنهم رفضوا ذلك . فاذا أرادوا شن الحرب فليفعلوا ذلك ، اننى لا أخاف . اننى لاأثق فى القوة ولكنى أثق فى الرب الذى يقول اذا كان لديك ايمان فى حجم حبه الخردل فانك قادر على تحريك الجبال - اننى لم اكتشف أنهم ليسوا أصدقائى المخلصين أيام الكابتن « كاميرون » فقط حينما لم أتلق ردا على خطاب ولكنى اكتشفت ذلك أيضا

(٤٠٩) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٤٥٥ ـ ٨ ، ٤٨٢ ـ ٨ ، ٥٢٤ ـ ٧ « ميريويزر » الى « ستانلى » ١٥ فبراير ، ٢٨ فبراير ، وأول مايو ١٨٦٧ .

(٤١٠) المرجع السابق صفحات ٤٧٣ - ٨ « كوجلان » الى « ستانلى » ٢٠ مارس ١٨٦٧ مع مرفق صفحات ٥٠٥ - ٨ « موارى » الى « لوجار » و« ميريفال » :٢ ابريل ١٨٦٧ « ستانلى » الى « ميريويزر » ٢٠ ابريل ١٨٦٧ والى تاودروس ١٦ ابريل ١٨٦٧ صفحات ٥٣٩ - ٤٢ مذكرة « للدوران » ١٠ يونيو ١٨٦٧ .

أيام « بلاودن »و« بيل » . اننى أفوض أمرى لله الذى سيحسم الأمر بينى وبينهم حينما نتقابل فى ساحة القتال »[٤١١] .

لقد كانت معاملة تاودروس السيئة للعمال المهرة - دون شك - جزئيا بسبب موقفه العدائى للاوروبيين وجزئيا بسبب المشكلة الأكبر وهى انهيار قوته وعدم ثقته تقريبا فى الجميع ، بما فيهم الأصدقاء الجدد والقدامى وكذلك المؤيدون مثل أبيه الروحى « كنيتبا هايلو » وحاكم « مكديلا » « رأس كيدان ماريام » والمعينين الجدد كحاكم «جانيت » الذى تم تعيينه فى العام السابق فقط وهو « دى جاز ماتس تيسما انجيدا » - فقد ألقى القبض عليهم جميعا . ولما كانت المقاطعة الرئيسية « بيجمدير » قد أصبحت ضد الملك بصورة متزايدة فقد ألقى القبض على النبلاء كلهم واعتمد على نصيحة وتأييد الرجال الذين رفعهم أخيرا للمناصب من الطبقات الأقل . ولكن الجنود وضباط الصف أصيبوا أيضا بالاحباط واستمر الفرار من الجيش وتلاه اجراءات انتقامية رهيبة . أما الفلاحون فقد فعلوا كل ما فى وسعهم لاخفاء الحبوب عن جيش تاودروس - وفى شهرى مايو ويونيو كانوا يحاربون ضد الجنود. ونتيجة لذلك انتشرت المجاعات والأوبئة وتفاقم الموقف بالنسبة للموالين للملك فى « ديبرى تابور » . وكانت تقديرات جيش الملك فى تلك الفترة بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ الى عشرة آلاف رجل . وفى شهر يونيو قال « بلان » ان ال/يش يبلغ ألف فقط «وأضاف » ان مملكته تتكون من المعسكرات و« ماجدالا » ، وجيشه يتكون من وحوش وجلادين ولكن اسمه فقط يساوى عشرة آلاف رجل «وكان هناك تفاؤل بلاشك فى هذا القول ولكن الحقيقة أن الملك كان يواجه صعوبات ضخمة للحفاظ على الطريق مفتوحا بين « ديبرى تابور » و « مكديلا » مع أن الأولى هى عاصمته والثانية قلعته الرئيسية ، والمسافة بينهما سيرا على الأقدام تستغرق اسبوعا فقط . وفى نفس الوقت كان منافسا تاودروس الرئيسيان ، « جوبيزى » و« مينيليك » يدعمان من قواتهما ولم يكن لدى كليهما أى مشاكا فى الاتصالات مع الخارج أو مع المواطنين داخل القلعة . وكان كلا الرئيسين يدبران للهجوم على « ميكديلا » : « مينليك » فى مايو « وجوبيزى » فى يونيو[٤١٢] .

(٤١١)المرجع السابق صف حات ٥١٠ - ١٢ « ميريويزر » الى « ستانلى » ٣٠ مارس ١٨٦٧ صفحات ٥٧٦ - ٨٠ « بلان » الى « ميريويزر » ٣٠ ابريل ١٨٦٧ صفحات ٦٤٣ - ٧ . « ميريويزر » الى « ستانلى » ١١ يوليو ١٨٦٧ عن « فلاد » ٣ مايو ١٨٦٧ « فلاد » (اثنا عشر عاما : المجلد الثانى صفحات ١٥ - ١٧ ، ٢١ - ٣ ، ٣٧ - ٤٠ « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٦٠ - ٣ « بلان » (الأسر) صفحات ٣١٩ - ٢٧ « فوسيللا » تادروس صفحات ٣٦ - ٨ .

(٤١٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٥٢٣ - ٧ ، ٦٤٣ - ٧ . « ميريويزر » الى « ستانلى » ٢٩ ابريل ، اول مايو ، ١٧ مايو ، ١١ يوليو ١٨٦٧ . عن « رسام » و « بلان » و« كاميرون » صفحات ٥٤٥ - ٥١ . مذكرة « لبلان » ٣٠ مارس ١٨٦٧ صفحات ١٨٧٦ صفحات ٥٧٦ - ٨٠ ، ٦٤٨ - ٥٠ ، ٦٥٨ - ٦٢ . « بلان » الى « ميريويزر » ٣٠ ابريل ، ١٠ يونيو ، ١٨ يونيو ١٨٦٧! صفحات ٧١٥ - ١٦ ، ٧٨٠ - ٤ « أبوت » الى « ستانلى » ٢٣ أغسطس ، ٦ سبتمبر ١٨٦٧ ، عن « بلان » وآخرين « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ١٨ - ٢١ ، ٤٠ - ٣ « فاللماير » (المغامرة) صفحات ٦٣ - ٧ « رسام » (البعثة البرطانية ، المجلد الثانى صفحات ١٦٨ ، ٢٣٨ - ٤١ ، ٢٥٠ « الكونت روسينى » (رسائل) RRAL ٦ ، الاول صفحات ٤٦٠ - ٢ ، ٢١ سبتمبر ١٨٦٧ صفحات ٤٥٥ - ٧٠ ، نوفمبر / ديسمبر (١٨٦٨) . « فيللى ماريام (تاودروس) صفحات ٣٣ - ٤٢ فوسيللا (تاودروس) صفحة ٤٠ .

وحينما وصل انذار وزارة الخارجية البريطانية المؤرخ ١٦ ابريل ١٨٦٧ الى تاودروس فى ١٢
يونيو أعاد حامل الرسالة بدون رد(٤١٣) . وكان قد استقر على قراره النهائى وهو التحدى . وفيما عدا
بعض الرحلات لجمع المؤن لجيشه وللعمال ، فقد أمضى الملك موسم الأفطار فى « ديبرى تابور »
ومصنع البنادق فى « جفات وأرغم العمال الاوربيين ومساعديهم على مبك مدافع اكبر . وفى اكتوبر
حرق « دبرى تابور » التى جلعلها منذ أقل من عام عاصمة جديدة لاثيوبيا - وأخذ معه كل البنادق
الجديدة ومدافع الهاون بما فيها زنة ثمانية اطنان . ونسف طريقا الى « مكديللا » لبقايا جيشه -
الذى كان لايقهر - والذى كان عند بدء الهجوم ما بين ثلاثة آلاف وثمانية آلاف مقاتل . وقد تسبب
فى ابطاء تقدم الجيش ، مشاكل التموين والمهمة الصعبة لسحب المدافع الثقيلة عبر الوديان شديدة
الانحدار فى « جبرة » و « بشيلو » اربعة اسابيع . واختار الملك مع العمال الاوربيين أفضل
الطرق . وعمل رجاله بجد ونشاط ليلا ونهارا وكان يعاونهم غالبا فيعمل بيديه فى تحريك الصخور
من الطريق وتسوية الارض . واستغرقت الرحلة التى كانت تأخذ عادة اسبوعا ، شتة أشهر . وحينما
وصل تاودروس الى « مكديللا » فى اواخر مارس ١٨٦٨ لم يعد يتبق من مملكته الا الطرق الجانبية
مع القمم االمحاذية « لسيلاسى » و« فالا » (٤١٤) .

واضطرت الحكومة البريطانية على مضض حين سماعها بتجاهل تاودروس للانذار الى اتخاذ
قرارها النهائى فى منتصف أغسطس ١٨٦٧ بارسال حملة عسكرية للافراج عن الاسرى وفوضت هذا
الموضع لحكومة بومباى وعهدت بقيادة الحملة الى قائد جيش بومباى « سير روبرت نابير » .
ورفعت الحكومة البريطانية من قوة الحملة كما اقترحها « ميريويزر » من ستة آلاف الى اثنى عشر
ألف (أربعة آلاف بريطانى وثمانية آلاف هندى) مع عدد مماثل على الأقل من المساعدين فى
المعسكرات ، وفيما بعد ، تم زيادة العدد الى أربعة عشر ألف وسبعمائة مقاتل وحوالى سبعة
وعشرين ألف تابع فى المعسكرات والمشاركين فى قطار النقل والأعمال المساعدة الأخرى .

وبعبارة أخرى كان الغزو بجيش قوامه اثنان واربعون ألف رجل . وتم ارسال عدة ضباط بريطانيين
للطواف بمنطقة الشرق الأوسط من ايران الى البحر الابيض وغربا حتى اسبانيا للبحث عن بغال
وحيوانات أخرى لحمل الأثقال من أجل قطار النقل . ولمدة اسبوع أو اسبوعين بدءا من
٢٢ أغسطس كان شراء البغال هو المهمة الرئيسية لكل من وزارة الخارجية ووزارة الحربية . وكانت
النتيجة جيدة : ١٧٫٩٤٣ بغل وفرس ، و٢٫٥٣٨ حصان ، و١٫٧٥٩ حمار ، و٨٫٠٧٥ عجل ،

---

(٤١٣) وثائق وزارة الخاجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحات ٦٥٦ - ٨ « ميريويزر » الى « ستانلى » ٢٦ يوليو ١٨٦٧ .

(٤١٤) « فاللماير » (المغامرة) صفحات ٦٦ - ٧٤ ، ٧٩ - ٨١ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ٤٣ - ٦٣ « بلان » (الأسر) صفحات ٣٣٧ - ٤٤ « هولند » و« هوتزر » (الحملة) المجلد الاول صفحات ٣١٢ ، ٣٧٢ - ٣ ، ٤٠١ « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٢٩٢ - ٨ « ويلدى ماريام » (تاودروس) صفحات ٤٦ - ٧ .

و٥٫٧٣٥ جمل وحتى ٤٤ فيلا تم انزالهم فى « زوللا » (مالكوتو) مع كميات ضخمة من المؤن(٤١٥) .

وكان من المقرر أن الحملة ستكلف أربعة ملايين جنيه استرلينى على الاكثر . ووافق البرلمان البريطانى على ٢ مليون جنيه استرلينى للنفقات عام ١٨٦٧ وفوضت سلطات بومباى أن تزود « نابير » بكل ما يحتاجه ، وحينما انتهت الحملة بلغت تكلفتها ٩ ملايين جنيه استرلينى (حوالى ٣٦ مليون تيلر) . وفى الستينيات من القرن التاسع عشر كان هذا المبلغ بالغ الضخامة بالنسبة لدافعى الضرائب البريطانيين مما استدعى تشكيل لجنة تقصى برلمانية للتحقيق(٤١٦) . وما يعنيه هذا المبلغ للدخول الاثيوبية فى ذلك الوقت كان من الصعب تقديره ، وكما قال « رسام » ، كان دخل « بجمدير » بما فيه ضرائب التجارة التى تمر من « جوندر » عبر « شيلجا » و« متيما » دون ضرائب المواشى والأغنام كان يبلغ حوالى ٤٥٠ ألف تيلر سنويا فى الظروف العادية . وهذا أعلى تقدير للدخول بالمقارنة باى وحدة أخرى أعلنه أى مراقب فى القرن التاسع عشر . واذا سلمنا بأن هذا الرقم صحيح وأنه نفس مستوى الضرائب فى كل اثيوبيا فى ذلك الوقت ، فهذا يعنى ان تاودروس يمكن ان يجمع فى أحسن الاحوال من ٢ ـ ٣ مليون تيلر نقدا وعينا كل عام ، وبمعنى آخر أقل من عشر ما تكلفته الحملة البريطانية فى ثمانية أشهر(٤١٧) ومع أن فكرة استخدام قوات مصرية قد

---

(٤١٥) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٦٧٢ ـ ٤ « نورث كوت » الى « ميتزجيرالد » ١٦ أغسطس ١٨٦٧ ، « ستانلى » الى « ميريويزر » ١٠ أغسطس ١٨٦٧ . يحوى هذا المجلد (صفحات ٦٧٩ ـ ٩٣٣) سجلا وافيا للأوامر والمعلومات المتبادلة بين كل السلطات المعنية بالاعداد للحملة حتى نهاية ١٨٦٧ . ومعظمها كرره « هولند » و « هوزير » فى السجلات الرسمية والتى نقلت عنها الارقام واعداد الحملة (الحملة : المجلد الاول صفحات ٥٨ ، ١٥٣ ـ ٨ ، ١٦٦ ـ ٧ ، ٢٢٩ ـ ٣٦ وكذلك المجلد الثانى صفحة ١٥٧) واورد « ماركهام » (الحملة الحبشية : صفحات ٢٠٤ ـ ٥) الارقام المأخوذة غالبا من كشوف الابحار فى الموانى الهندية ١٦٫١٨٩ مقاتل ، ١٥٫٧٨٣ تابع فى المعسكرات وقطار النقل أو ٣٢٫٠٠٠ رجل . مع هامش بأن التابعين الذين وصلوا بالفعل كانوا ٢٦٫٢١٤ ، فيصل العدد الى ٤٢٫٠٠٠ بدلا من ٣٢٫٠٠٠ . واحيانا يرد ذكر رقم أعلى من ذلك كما جاء فى (« ماثيو » (اثيوبيا) صفحة ١٩٦) حيث وصل الرقم الى ٦٢٫٠٠٠ ولكن العدد الكلى من الأشخاص من كل المهن والطبقات (الذى ارسل فى الحملة الى اثيوبيا) كان يتضمن البحارة الذين يتولون اعمال النقل الى « زوللا » (الحملة المجلد الأول صفحة ٢٣٦) وما كتب عن الحملة كثير وكان آخره مساهمة « فريدريك مايات » (التقدم نحو « ماجدا لا » لندن ١٩٧٠) ، ولكن أحسن ما كتب عن الحملة كان اعمال « ماركهام » التى تضمنت نقدا للاسلوب الذى تم فى التخطيط والقيام بالحملة .

(٤١٦) « كومنز » ١٨٦٨ ـ ٦٩ السادس صفحات ١ ـ ٢٦٣ ، ١٨٧٠ الخامس صفحات ١ ـ ٧٣٨ ، ١٨٨٠ ، ٤١ صفحة ٤١٧ .

(٤١٧) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحة ١٦ ـ للأسف يلزم اجراء تحليل شامل لكل التقارير المتضاربة حول الدخول فى القرن التاسع عشر فى اثيوبيا ـ انظر « بانكهرست » (التاريخ الاقتصادى) صفحات ٥٠٤ ـ ٤٤ لمزيد من المصادر عن دخول القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ألغيت لكن طلب نوع من الاتفاق والتعاون مع مصر ، ولقد سبب اكتشاف أنشطة « ميربويزر » و « مينزنجر » قلقا فى القاهرة : هل اذا نزل البريطانيون بجيشهم فى اثيوبيا ، سيجلون عن البلاد بعد ذلك حتى عن الميناء الذى سيستخدمونه فى الحملة ؟ ولكى يؤكد الخديوى اسماعيل ان البريطانيين يعترفون بأنهم يعبرون الاراضى المصرية حيثما يهبطون ، فقد ارسل ضابطا لتوزيع الاعلام المصرية وتقديم المرتبات الشهرية للحكام المحليين على طول الساحل من « مصوع » الى « باب المندب » . وفى كل من لندن والقاهرة اصبح من المسلم به أن « مصوع » سوف يتم استخدامها . ولكن الطلبات التى قدمت للقاهرة واستامبول للسماح بمرور القوات البريطانية عبر الاراضى المصرية لم تكن محددة وتضمنت بكل تأكيد الاعتراف بالسيادة العثمانية على اكثر من الجزيرة . وشملت الطلبات تأكيدات بأن بريطانيا « ليس لديها خطط للغزو » وأعطى التصريح مع وعود بالتعاون فى شئون النقل وتسهيلات أخرى[418] .

ومع ذلك فقد حاول « ميربويزر » بكل جهده ـ وفى الحال ـ أن يسلك الطريقين . فقد قرر أن يهبط الجيش البريطانى فى منطقة قريبة من « زوللا » (مالكوتو) وليس فى « مصوع » ، وحاول أن يبقى اتصالاته المعلنة مع المسئولين المصريين عند أدنى مستوى حتى يظهر حياد مصر على أنها غير مهتمة بهذه البلاد . ولم تكن هذه السياسة ناجحة تماما ، فقد أرسل اسماعيل اربع كتائب اضافية الى « مصوع » ثم ارسل عبد القادر باشا لمتابعة الهدايا والاعلام مع الضباط المصريين ومجموعة من الكتائب الصغيرة الى « انفيلا » ، و« اد » ، و « بيلول » ، و « راجيتا » ، كما عزز المواقع المصرية على طول الحدود الاثيوبية وتمت عدة اتصالات مع زعماء اثيوبيين لاستمالتهم للانضمام للمصريين[419] .

وحيث أن الخديوى اسماعيل ظل يشك فى صدق التأكيدات البريطانية بعدم وجود نوايا للغزو فقد حاول فى آخر لحظة منع وقوع الهجوم ، فكتب لتاودروس للافراج فورا عن المسجونين لكى ينقذ اثيوبيا من المصير الذى لحق بدول كبيرة مثل الهند والصين ـ كما أكد فى خطابه على وجود

---

(٤١٨) ENA (السودان) كارتونة ٣ / ٧ مذكرة غير مؤرخة عن احتلال ساحل البحر الاحمر ، الحبشة « كازير » ٢٠ / ٩ / ١ اسماعيل الى شريف ٣١ أغسطس ١٨٦٧ . « دوان » (اسماعيل) الثالث والأول صفحات ٣٤٧ ـ ٥٢ ، FO ٤٠١ / ٢ صفحات ٦٧٣ ـ ٤ « ستانلى » الى « ريد » ١٩ اغسطس ١٨٦٧ صفحة ٦٧٩ . « ستانلى » الى « بارون » ٢٢ اغسطس ١٨٦٧ صفحة ٦٩٢ « ريد » الى « ستانلى » ٢ سبتمبر ١٨٦٧ صفحة ٧٠٤ . « لاركنج » الى « هاموند » ٣ سبتمبر ١٨٦٧ مع مرفق صفحات ٧٢٠ ـ ١ . « بارول » الى « ستانلى » ٣ سبتمبر ١٨٦٧ صفحات ٧٥٥ ـ ٦ . « راغب » الى « ريد » ٩ سبتمبر ١٨٦٧ صفحات ٨٢١ ـ ٢ . « بارون » الى « ستانلى » ٤ اكتوبر ١٨٦٧ مع مرفقات .

(٤١٩) وثائق وزارة الخارجية البريطانية ٤٠١ / ٢ صفحات ٨١٨ ، ٨٦٢ « ريد » الى « ستانلى » ١٦ اكتوبر ، ٢٥ اكتوبر ١٨٦٧ صفحة ٩٣١ « ميربويزر » الى حكومة بومباى ٢٣ نوفمبر ١٨٦٧ . AECP « ماسوا » ٣ صفحات ٢١٤ ـ ١٨ « مونزنجر » الى « موستير » ١٥ نوفمبر ١٨٦٧ « دوان » (اسماعيل) الثالث والأول صفحات ٣٥٦ ـ ٧ ، ٣٦١ ـ ٧ « هولند » و « هوزير » (الحملة) المجلد الأول صفحات ٢٨٨ ـ ٩ ، ٣٠٩ ـ ١٢ .

صداقة حميمة بين مصر وبريطانيا . وأنذر بأنه سيضطر لقطع العلاقات الودية مع اثيوبيا اذا لم يستجب تاودروس لطلبه . ولم يكن فى خطابه مع ذلك ـ أى تهديد بأن القوات المصرية ستغزو اثيوبيا جنبا الى جنب مع البريطانيين ، وقد أجازت الحكومة البريطانية ارسال بعثة ولكن نص الخطاب ابلغ لهم بعد أن تم ارساله لاثيوبيا[420] ونفس السياسة التى تخذت مع مصر تم انتهاجها أيضا مع المناطق الاثيوبية المتمردة ضد تاودروس أو تلك التى تم اقتطاعها من الجزء الصغير المتبقى تحت قيادة الملك ، فلم يتم طلب أو انشاء أى تحالفات رسمية ولكن ما تم طلبه كان مجرد موقف حيادى من خلال اعلان أصدره « نابير » فى ٢٦ اكتوبر ، أى قبل نزول القوات فى « زوللا » بخمسة أيام :-

« الى الحكام والرؤساء والرهبان وشعب الحبشة . ارجو أن تتأكدوا يا مواطنى الحبشة ان ملكة بريطانيا لا تحمل أى شعور عدائى تجاهكم ، وليس لديها أى خطط ضد بلدكم أو حريتكم . . . وكل المؤن المطلوبة لأفراد القوات البريطانية ستدفع ثمنها . ولن يضار أى مواطن مسالم والسبب الوحيد لارسال القوات البريطانية الى الحبشة هو تحرير الرعايا البريطانيين ولا تنوى الحكومة أن تحتل أى منطقة فى الأراضى الحبشية بصفة دائمة أو تتدخل فى شئون حكومتكم »[421] .

وقد أثمرت السياسة البريطانية باعلان تاودروس بمفرده عدوا والتعامل بتسامح مع الشعب ، نتائج طيبة ، فحين وصلت المجموعة الاستكشافية الى « مصوع » فى أول اكتوبر ارسل « هايلو » « هاماسين » رسولا لمعرفة ما يجرى هناك . لقد تخلى أخيرا عن ولائه لتاودروس وانضم الى « كازاميرجا » فى « اندبرتا » و « تيمبين » الذى اعلن نفسه حاكما مستقلا لكل « تيجرى » منذ عدة أشهر ، كما كتب « كاسا » انه صديق للبريطانيين ولكنه يود أن يعرف سبب غزوهم للبلاد ، وقد أخبر رسوله المدعو « ميرشا ويركى » البريطانيين أن « كاسا » يتمنى لهم النصر على تاودروس ، ولكنه يرغب فى أن يرحلوا بعد ذلك عن البلاد بأسرع مايمكن وأن يعدوا بعدم مساعدة المصريين أعداء اثيوبيا وألا يعينوا قنصلا لهم فى البلاد . وقد ظل « ميرجا » مع البريطانيين كحلقة اتصال

---

(٤٢٠) ENA سجل ٢٤ « عابدين » صفحة ١٢٤ اسماعيل الى تاودروس ٢٢ اكتوبر ١٨٦٧ . FO ٤٠١ / ٢ صفحة ٧٩٨ « ريد » الى ستانلى » ٧ اكتوبر ١٨٦٧ صفحة ٨٠٦ « ستانلى » الى « ريد » ١٠ اكتوبر ١٨٦٧ صفحات ٨٦٢ ـ ٤ « ريد » الى « ستانلى » ٢٥ اكتوبر ١٨٦٧ مع النص الانجليزى لخطاب اسماعيل لتاودروس ، وفى نص الخطاب الذى نشره « دوان » (اسماعيل الثالث والأول صفحات ٣٥٨ ـ ٦٠) حذفت الاشارة الى الهند والصين وحول تاودروس انظر صفحة ٣٧٦ . واستمرت الشكوك والقلق المتبادل بين الحكومتين المصرية والبريطانية (FO ٤٠١ / ٢ صفحة ٩٢١ « ستانتون » الى ستانلى » اول ديسمبر ١٨٦٧ صفحة ٩٣٨ « ستانلى » الى « ستانتون » ٣ يناير ١٨٦٨) .

(٤٢١) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الاول صفحات ٣٥ - ٦ ، ٨٢٨ ، ٣٣٠ - ١ أيضا وثائق الخارجية البريطانية ٤٠١/٢ صفحات ٧٤١ - ٣ . « ستانلى » الى « نورث كوت » ١٩ سبتمبر ١٨٦٧ . وكان « مونزنجر » قد صرح بأن البعثة الكاثوليكية قد قامت مشكورة بطبع اربعمائة نسخة من الاعلان (AECP « مصوع » ٣ صفحات ٢١٤ - ١٨ الى « موستير » ١٥ نوفمبر ١٨٦٧) .

وكمترجم . وكانت تفسيرات « ميريويزر » مقنعة وعرض « كاسا » مساعدته . وكذلك فعل رؤساء آخرون ومتحدثون باسم الشعب على طول الطريق الى الجبال ، وحينما استقر « ميريويزر » فى « سينافى » أرسل له « جوبيزى » خطابا ، وكانت رغبته فى ذلك الوقت فى تحطيم تاودروس أقوى من « كاسا » . لقد كان ضمان التعاون التام مع « كاسا » ذا أهمية قصوى حيث أن نصف الطريق - ٦٥٠ كيلو مترا - الى مكديللا (فعليا ٤٢٠ كيلو بخط مستقيم) يقع فى أراضى يسيطر عليها « كاسا » . ولذلك سافر وفد مكون من « ميجور جرانت » و« مونزنجر » الى « عدوا » وتم ترتيب اجتماع بين « نابير » والأمير بالقرب من « هاوزين » فى ٢٥ - ٢٦ فبراير . وكان « كاسا » مشغولا بعصيان مسلح داخلى وهجوم مرتقب بواسطة « جوبيزى » على « تيجرى » ، اكثر من انشغاله بمصير تاودروس ، لذلك حاول أن يستقطب تأييد البريطانيين ضد « جوبيزى » ، وقد رفض « نابير » اعطاء أية ضمانات . ولكنه وعد أن يبذل قصارى جهده لاقناع « جوبيزى » بعدم الهجوم . وفى مقابل ذلك ويعد وعد بمكافأته بعد انتهاء الحملة ، تعهد « كاسا » بضمان سلامة القوات المرافقة وخطوط التلغراف وتقديم خمس عشرة ألف كيلو جرام حبوب اسبوعيا لكل معسكر بريطانى فى « اديجرات » و « أنتالو »[٤٢٢] .

وتم تلبية وعود التموين بسخاء ، فقد تلقى معسكر « انتالو » بمفرد خمسين الف كيلو جرام من الحبوب والدقيق خلال الاسبوع الاول من مارس ، وبلغ المتوسط فى الشهر حوالى اربعة آلاف وخمسمائة يوميا حيث أن حصص الدقيق والأرز تراوحت بين ثلث الى ثلثى الكيلو جرام وكان هذا يكفى لاطعام من ٦,٥٠٠ - ١٣,٠٠٠ شخص . أما المواشى فكانت تتزايد فى السوق بالحصص التى تكفى كيلو جرام بينما الحصص من السلع الأخرى كانت الأقل . حتى فى « ديلانتا » حيث كان على الأهالى أن يطعموا جيش تاودروس لمدة شهر كامل قبل بضعة أسابيع فقط فقد تم تدبير ٨٠ ألف كيلو جرام من الحبوب والدقيق للجيش الأجنبى خلال الأيام الأخيرة قبل الهجوم على « مكديللا » . وكان تعاون الاثيوبيين فى حل مشاكل النقل أمرا هاما للغاية بالنظر الى مقدار ما تم فقده بشكل كبير فى الحيوانات المستوردة فى الأيام الاولى من الحملة ، وفى الواقع كان تزويد مخازن المؤونة فى المناطق الجبلية منذ نهاية يناير يعتمد بصورة أساسية على الموارد المحلية ، كما جاء فى التقرير الرسمى لضابط التمويل الرئيسى مع القوة المتقدمة :

« لقد أمكن ارسال مؤن كافية حتى « أنتالا » من خلال مساعدة المواطنين فقط » .

وكان هناك دون شك شىء من الصدق فى وصف « قوة الدولار » فى اثيوبيا :

(٤٢٢) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الاول صفحات ٢٨٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ - ١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ - ١ ، ٣٧٢ - ٣ ، ٣٩١ - ٦ . « ماركهام » الحملة (الحملة الحبشية) صفحات ١٦٤ - ٦ ، ٢٢٣ - ٧ ، ٢٦٢ - ٤ ، ٣٠١ - ٣ .AECP « مصوع » ٣ صفحات ٢٢١ - ٧ « مونزنجر » الى « موستير » ٢٩ فبراير ١٨٦٨ .

كان هو السبب فى أن تتدفق المياه من الصخور ، وبتوفير الغذاء لعشرين الف شخص وستين ألف من الحيوانات ، وتمتلىء السهول بالخرفان والماعز ، ويقوم الاهالى بخلع الأخشاب من منازلهم واعطائها لادارة التموين للمساعدة فى طهى الطعام للجنود »[٤٢٣] .

وبسبب هذه المساعدات تمكن لواءان (حوالى اربعة آلاف شخص) من الجيش البريطانى - الهندى من الوصول الى « فادلا » فى نهاية مارس . ولم يكن لدى الجنود أى مشكلة فى عبور وادى « جده » (الف متر تحت سطح الهضبة وسهل « ديلانتا » ، لأنهم استخدموا الطريق الذى مهده تاودروس منذ ستة أسابيع فقط ، وفى ٩ ابريل كانوا يقفون عند حافة السهل بينما كان معسكر تاودروس فى مركز « اسلامجى » بين قمم « فالا » و« سيلاسى » ، و« أمبا مكديللا » نفسها ظاهرا للعيان عبر سهل « بشيلو » . وكان كل من الجانبين يستطيع الهجوم فى خلال بضعة ساعات فقط . وقد اتخذ « نابير » تدبيرا وقائيا بالترتيب مع عم جوبيزى وهوالنائب فى المنطقة ويدعى « دى جازماتش » « ميشيشا » وكذلك مع الملكة « مستيوات » فى « جاللا » لقطع الطريق على تاودروس عند التقهقر ناحية الشرق أو الشمال[٤٢٤] .

وانتهى السباق الغريب - لقد بدأ تاودروس من « ديبرى تابور » عشرة ايام قبل نزول القوات البريطانية الاولى الى « زوللا » فى ٢١ اكتوبر ١٨٦٧ ، وبهذه الايام العشرة فقط استطاع أن يصل الى « مكديللا » . وكانت المسافة التى قطعها « نابير » ثلاثة اضعاف تلك التى قطعها تاودروس وعلاوة على ذلك كان القائد البريطانى يعرف أنه يخترق طرقا مجهولة بالنسبة له ودولة معادية لبريطانيا ولذلك كان تقدمه بطيئا وحذرا . ومع ذلك كان تاودروس فى الحقيقة هو الذى يخترق مناطق معادية ، فقد تقدم جنوده وسط تهديد هجمات قوات « جوبيزى » المتفوقة عددا ، كما كان على جنود تاودروس الدفاع عن أنفسهم ضد الفلاحين المعادين لهم ، أما مشاكل تاودروس فى توفير الامدادات اللازمة لجيشه ولنقل مدافعه فكانت تفوق بكثير مشاكل « نابير » . والاهم من كل ذلك تاودروس يثق حتى فى الاربعة آلاف جندى الذين مازالوا موالين له ، فاذا ما سنحت لهم الفرصة فسيتركونه كما فعل الكثيرون . ولم يبذل قائد « الشفتا » السابق والذى كان مشهورا بهجماته السريعة والجريئة . أى محاولة لصد الجيش الغازى بسبب عدم تحرك مدفعيته . ولذلك لم يقابل الجيش البريطانى - الهندى بأى هجوم خلال تقدمه كما لم تكن هناك أى دفاعات من جندى اثيوبى واحد

(٤٢٣) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الاول صفحات ٣٣٤ ، ٣٣٨ - ٩ ، ٣٧٩ - ٨٠ ، ٤٣٧ (قائمة المؤن فى أنتالو) . المجلد الثانى صفحات ٣ ، ٩٥ ، ١٧٢ ، ١٨٠ - ٤ (الاقتباس الاول) ٣٠٩ - ١٠ . « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٢١٠ ، ٢٥٨ - ٦١ ، ٢٧٩ - ٨٠ ، ٣٠٤ - ٥ ، ٣٠٩ - ١٠ . « ستانلى » (ماجدالا) صفحات ٢٨٥ (الاقتباس الثانى) ، ٣٩٢ - ٥ ، ٣٩٨ - ٩ .

(٤٢٤) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٢١ - ٣ ، ٢٨ - ٣١ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ - « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣٠٤ ، ٣١٠ - ١٢

على طول الممرات الصعبة والخطيرة المتعددة ، وكان تاودروس على علم بهذا الفشل . فبعد وصوله الى « مكديللا » قال « لرسام » : « اذا كان هذا الهجوم قد حدث قبل عدة سنوات لكان قد تصرف بطريقة مختلفة » و« لكن » بما أنه حدث الآن ، فقد فقدت كل الحبشة ما عدا هذه الصخرة » . وبعد عدة ايام بعث « فالدماير » بنص محادثة مماثلة أشار فيها تاودروس الى عدم ولاء قواته(٤٢٥) » .

وقد وصفت التقارير الرسمية باسهاب الاسلوب السلمى الذى تم به التقدم البريطانى الى « مكديللا » من خلال حدث وقع كان يمكن أن يصاحبه نتائج خطيرة . فحينما كان « ميشيشا » يغادر المعسكر البريطانى بعد زيارة « ودية » « لنابير » فى ٢ أبريل ، ظنوا أن بعض مرافقيه من فرسان العدو فأطلق حارس بريطانى النار عليهم فقتل واحدا . وهكذا بدأت أول رصاصة فى الحملة الحبشية(٤٢٦) . ومن الصعب معرفة خطة تاودروس فى « مكديللا » ، اذا ما كان لديه خطة على الاطلاق . ففى بداية ديسمبر كان قد سمع شيئا عن غزو الجيش البريطانى . واصبح فى قمة غضبه لعدة ايام . وشدد من مراقبة الاوروبيين فى معسكره مشيرا - للتمويه - بأن هناك اشخاصا يرغبون فى سرقة الحمير(٤٢٧) . وفى الواقع لم يكن من المتصور ألا يصله جاسوس أو رسول بالأخبار حتى ذلك الحين ، ومن المحتمل أيضا أن يكون قد وصله نسخة من اعلان « نابير » أو خطاب قائد القوات للملك شخصيا وتم توزيعه على نطاق واسع ، ولم يكن من المؤكد أنه تلقى أيا من النسخ الاربع من الانذار الأخير « لستانلى » المؤرخ ٩ سبتمبر(٤٢٨) . وفى اوائل فبراير حينما بدأ تاودروس التحدث مع الاوروبيين فى معسكره عن القوات البريطانية المتقدمة ، كان قد أيقن أن قوته ونفوذه يواجهان التحدى من جيش غاز . وهذا لا يعنى أنه كان مستعدا لتقبل نصيحة أى شخص لترك الأوروبيين يرحلون وبالتالى يتفادى الهجوم . على العكس تماما فقد عبر عن ارتياحه لهذا الاتجاه فى الاحداث :

« اننى أتوق لليوم الذى أسعد فيه برؤية جيش اوربى منظم ، اننى مثل « سيمون » الذى كان المنقذ بين يديه ومع ذلك ولانه عجوز فقد مات ، اننى عجوز أنا الآخر ولكنى أبتهل الى الله أن

(٤٢٥) « رسام » (الحملة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٥١ - ٧٠ ، ٣٠٤ - ٥ (استشهاد) ٣٠٨ . « فالدماير » (المغامرة)صفحة ٢٩٣ (انظر كذلك صفحة ٢٥٦ فى النص الانجليزى للمراجع هامش ٤١٤) .

(٤٢٦) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحة ٢٨ « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣٠٦ - ٧ .

(٤٢٧) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الاول صفحة ٣٧٢ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ٥٣ ، ٥٦ « رسام » (الحملة البريطانية) المجلد الثانى صفحة ٢٥٤ .

(٤٢٨) وثائق الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ صفحة ٧٣٨ . « ستانلى » الى تاودروس ٩ سبتمبر ١٨٦٧ صفحة ٧٣٧ « هاموند » الى ملفيل » ١٨ سبتمبر ١٨٦٧ ، « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الاول صفحات ٣٤ - ٥ ، ٣٣٠ - ١ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحة ٢٦٥ « بلان » (الأسر » صفحات ٣٥٢ ، ٣٨١ .

يعفينى من رؤيتهم . اننى لم أعد فخورا بجنودى ، اننا لاشىء بالمقارنة بجيش نظامى من حيث الآلاف من الرجال يعملون تحت قيادة رجل واحد » .

ولم يبد أن تاودروس يهتم ما اذا كان سيقاتل جيشا أقوى منه أم سيستسلم . وبايمان تام بالقضاء والقدر قال « لفلاد » :

« اذا لم يقتلنى الرب لايستطيع أحد أن يقتلنى ، واذا قال الرب يجب أن تموت فلا يستطيع أحد انقاذى »(٤٢٩) .

ومن السهل استنتاج أن تاودروس كان الى حد ما يبتعد عن الواقع . فحينما اقترب من « مكديللا » اتصل « برسام » مرة أخرى وتم تبادل بعض الرسائل الودية الخالية من أى معنى التى انتهت بخطاب قال فيه للمبعوث أنه سيرسل له مائة من الأغنام وخمسين بقرة وأنه سيفك عنه الأغلال ولكنه سيظل سجينا « حتى نتبين اهداف رؤسائك » . وتشير رسالتان لتاودروس بعد وصوله الى « مكديللا » الى تفكيره المتردد . ففى ٢٧ مارس أعلن أنه « لايرغب فى أى شىء الا السلام » واننى أبتهل الى الله أن يأتى اخوتك الينا بهدف طيب » . وبعد يومين قال : « ان السبب فى سوء معاملتى لك هو اننى أرغب أن يأتى الى هنا مواطنوك . اننى سعيد انهم قادمون . واذا ما انتصروا على أو انتصرت أنا عليهم سأبقى دائما صديقا « لك » .

وبعد ساعات من ارسال هذا الخطاب واثر محادثة ودية مع « رسام » تغير مزاجه وقال لرؤسائه :

« لقد خدعكم وخدعنى السيد « رسام » . هل سمع أحد منكم أو اجدادكم أن صديقا يطلب قواته لذبح رجال صديقه الشجعان واغتصاب نسائهم واخضاعهم للعبودية ؟ أبلغونى اذا كنتم مستعدين لمحاربة اخوة « رسام » القادمين لمحاربتكم بالبنادق التى تخطف البصر والبنادق التى تطلق النار وتطعن فى نفس الوقت ؟ »(٤٣٠) .

لقد كان تصرف الملك غير منطقى وغير متوقع حتى انه كان يسخر من رؤسائه الذين أعلنوا استعدادهم قائلا لهمّ انهم جهلة وحمقى وليسوا ندا للجنود البريطانيين ، ومهما كان لديه من آمال

(٤٢٩) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٦٦ - ٧ (عن خطاب « لفلاد » مؤرخ ١١ فبراير ١٨٦٨) أيضا « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ٥٨ - ٩ « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٧٨ - ٩ ، ٩٥ . « بلان » (الأسر) صفحات ٣٥٠ - ٢ ، ٣٥٥ - ٧ ، لاحظ أن « بلاودن » كتب عن بعض التعبيرات التى تتعلق بالقضاء والقدر فى عام ١٨٥٥ FO ٢/٤٠١ صفحات ٢٥٠ - ٧) .

(٤٣٠) IO أوروبا فرنسا ١٠٣ صفحة ١٠٦ . تاودروس الى « رسام » غير مؤرخ ، تسلمه فى ١٨ مارس ١٨٦٨ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٥٤ - ٩٤ . (أقوال مستشهد بها فى صفحات ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤) كذلك « بلان » (الأسر) صفحات ٣٥٨ - ٩ ، ٣٦٦ - ٧٢ « شتيرن » (المبشر الأسير) صفحات ٣٦٨ - ٧٢ .

بان « رسام » أو « نابير » سيقترحان حلا سلميا يمكن أن يقبله بكرامة ، فقد تبخرت هذه الآمال حينما سمع وشاهد أخيرا أن الجيش البريطانى يستعد لعبور « بشيلوا » . وفى الايام الأخيرة قبل الهجوم انشغل بترتيبات دفاعية ، وفى صباح ١٠ ابريل والذى كان « عيد الفصح » أخذ مواقعه مع مدفعيته فى « فالا » و« سيلاسى » وجهز قلعة حصينة فى معسكره فى « اسلامجى » للاستعداد لمقابلة الهجوم ، وفى ذلك الصباح رفض استلام خطاب وصل من « نابير » مع انه علم بمضمونه من « صمويل » - وكان الخطاب ببساطة يطلب ارسال الأوروبيين الى المعسكر البريطانى . وحتى لو كان يتضمن وعدا بأن هذا الاجراء سيمنع الهجوم ، فان ذلك لم يكن سيغير شيئا فى الموقف(٤٣١) .

وفى ذلك اليوم الحاسم قال تاودروس « لفالدماير » الذى كان قريبا منه انه لا يريد أى تسوية ، لقد تحدث الملك بأسى عن ان البريطانيين تصرفوا ببطء شديد : فبدلا من الهجوم عليه مباشرة بعد القبض على « كاميرون » فقد انتظروا حتى فقد قوته ، ولاحظ « فالدماير » أن تاودروس كان متوترا للغاية وأن سلوكه أظهر مزيجا من الخوف والكبرياء والغضب ، ولقد فشلت محاولات تابعه المخلص « راسى انجيدا » فى تشجيعه . ورغم ذلك فحين رأى القوات البريطانية تتسلق المنحدرات من « بيشيلو » أطلق الملك قواته « بالطقوس التقليدية المتبجحة » محاولا كسب غنيمة وكسر الغطرسة المتناهية للبريطانيين : « لقد ارسلوا خادم امرأة ، شخصا تافها ضد الملك المنتخب بالحق الالهى على اثيوبيا ابن داوود وسليمان » . ثم ذهب للاشراف على تزويد المدافع بالذخيرة فى « فالا » . وكان مازال مترددا . وبعد الحاح « فتاوراري » و« جبريبى » ورؤساء آخرين وافق وقال لهم : « حسن ، اذهبوا الله معكم ويساعدكم وليغفر لكم خطاياكم »(٤٣٢) .

وسميت المعركة الوحيدة فى هذه الحرب الغريبة « أروجى » وهو سهل صغير فى منتصف الطريق بين « بشيلو » و« مكديللا » ، وكانت الساعة تقترب من الرابعة بعد ظهر يوم عيد الفصح حينما فتح الملك نيران بنادقه على « فالا » . وبدأت بحادث مؤسف . فبطريق الخطأ كانت اول بندقية تنطلق وهى اكبر بنادقه واسمها تاودروس قد شحنت مرتين فانطلقت بانفجار مروع ولمدة ساعتين استمر الملك فى اطلاق النيران باثنتى عشرة بندقية . وكما روى « فالدماير » اطلقت حوالى مائتى طلقة ولكن الفوضى كانت رهيبة :

(٤٣١) « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٢٩٤ ، ٣٠٧ - ١٧ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ٦٢ - ٤ « بلان » (الأسر) صفحات ٣٧٢ - ٩١ ورغم أن تاودروس كان سيقاتل بدون شك وفى كل الاحوال يجب الاشارة الى أن « فلاد » اتهم فى خطاب مؤرخ ٣٠ ابريل ١٨٦٨ (mt ١٨٦٨ صفحات ٦٢ - ٣) اتهم بعض العمال الاوروبيين بأنهم قالوا للملك ان شرفه يقتضى أن يحارب البريطانيين .

(٤٣٢) « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٩١ - ٦ . قارن « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحة ٣٢٤ . « فوسيللا » تاودروس صفحات ٤٢ - ٣ .

« أحد مطلقى المدافع لم يكن لديه قذيفة والآخر فرغ منه البارود والثالث فقد الفتيل ، أما الرابع فبسبب السرعة ألقى بالقذيفة اولا داخل الماسورة ثم وضع البارود وأصبح غير قادر على استخدام المدفع بعد ذلك »(٤٣٣) .

وربما يكون هذا الوصف مبالغا فيه ، ولكن الحقيقة أن بنادق تاودروس كان يستخدمها اثيوبيون غير مدربين وبالتالى لم تسبب أى خسائر فى جنود القوات المسلحة البريطانية والهندية المتقدمة ، لقد كانت نيران المدفعية كلها - فيما يبدو - تمر فوق الرؤوس بسبب الاختلاف فى الأطوال وكذلك بسبب الشحنات القوية للغاية . وحينما بدأ اطلاق النيران قاد « جبرينى » الهجوم الاثيوبى لأسفل المنحدرات وكان من غير المتوقع أن يقع الهجوم فى ذلك المساء ولكن تم تنظيم الفرقة الاولى « لنابير » بسرعة لمقابلتهم ، وحينما اصبح الاثيوبيون فى مرمى نيران البنادق الريطانية (كانت هذه اول مرة فى التاريخ تستخدم فيها البندقية « سنايدر ») سحقتهم النيران . وعند تقهقر الباقين حصدت المدفعية البريطانية معظمهم وفى نهاية المعركة تساقطت القذائف والسهام على المواطنين فى « فالا » . وقبل حلول الظلام كان مجموع ما أطلق ١٨ ألف طلقة بندقية وثلاثمائة ذخيرة مدفعية ، وقد اشترك ألفان فقط من القوات البريطانية والهندية البالغة ثلاثة آلاف وسبعمائة فى عبور « الباشيلو » . وتراوح عدد القوات الاثيوبية التى إشتركت فى المعركة بين اربعة آلاف وسبعة آلاف بينهم ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف يحملون اسلحة نارية : « بنادق مزدوجة الماسورة وبندقية فتيل » ، وبلغت خسائر الاثيوبيين ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ قتيل ، ١٢٠٠ - ١٥٠٠ جريح وكان معظمهم حالتهم خطيرة كما قال « ماركهام » . وكانت خسائر البريطانيين عشرين جريحا منهم اثنان جراحهما مميتة وتسعة بسيطة . وتعتبر هذه الأرقام اكثر من أى تفاصيل للمعركة عن الفروق الضخمة فى الاسلحة والتكتيك وكذلك شجاعة وتحمل المقاتلين الأثيوبيين فى مواجهة هزيمة مؤكدة . وبسبب عدم التدريب والخبرة الكافية وربما بسبب التخريب المتعمد من « فالدماير » و« زالموللر » أيضا ، ثبت أن مدفعية تاودروس عديمة القيمة كما قال الملك نفسه فى رسالته « لنابير » فى اليوم التالى للمعركة . لقد كان هذا فى حد ذاته درسا قاسيا . وعلاوة على ذلك فان الهجوم غير المدروس قد شطر الجيش وألغى تقريبا « مكديللا » كموقع دفاعى قوى(٤٣٤) .

(٤٣٣) « فالدماير » (مغامرة) صفحات ٩٥ - ٦ قال « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحة ٣٢٠ ان الطلقة الاولى كانت فى الساعة الرابعة واثنتين واربعين دقيقة بعد الظهر ولكنه أخطأ فى ساعة . ففى « هولنا وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحة ٣٧ - المعركة من الرابعة حتى الساعة السابعة - أما « ستانلى » (ماجدا لا) صفحات ٤١٣ - ١٤ ، ٤٢٣ فقد ذكر أن المدفعية بدأت مباشرة بعد الساعة الثالثة والنصف وانتهت فى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر .

(٤٣٤) « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٩٥ - ٨ « هولند » « وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٣٥ - ٨ ، ٤٢٤ (خطاب تاودروس « لنابير »فى اليوم التالى للمعركة) ٥٧ . مقالة « لولدى جابر » بعد سقوط « مكديللا » ، ٣٠٨ ، ٤٤١ - ٢ رسالة « نابير » « لنورث كوت » ١٤ ابريل ١٨٦٨) ، ٤٦٣ « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣١٦ - ٢٣ « شبرد » (الحملة فى الحبشة) (بومباى ١٨٦٨) صفحات ٢٣٧ - ٤١ . يبدو أن وجهة نظر « فالدماير » و« زالموللر » واوروبيين آخرين فى وزن الشحنات الاولى للبنادق التى سقطت على « فالا » كان

وادرك تاودروس أن المقاومة بعد ذلك لاتعنى الا المزيد من اراقة الدماء . وكان الطلب الوحيد الذى وصله هو الافراج عن المساجين ، وقد فكر بالطبع فى المقابل الذى يطلبه لتسليمهم سالمين بدلا من محاولة الهرب معهم أو قتلهم قبل الهروب ، كما اعتقد البعض أنه سيفعل . ولكن احداث الثلاثة أيام التالية أثبتت بلا أدنى شك انه لن يطلب منه اكثر من ذلك . والحقيقة أن الملك قد قاتل الجيش البريطانى لأنه يعتقد أن الملك مضطر أن يقاتل حتى لايوصف بانه حاكم جبان ، ولكنه الآن يعترف بالهزيمة ويرغب فى المصالحة . وفى صباح اليوم التالى للمعركة غادر « بريدو » و« فلاد » وزوج ابنة الملك « دى جاز ماتش اليمى جوالو » ، غادروا الى معسكر « نابير » كوفد مشترك من تاودروس و« رسام » . وقد اكتشفوا - كما كان متوقعا - انه لم يعد ممكنا طلب السلام . لقد طلب نابير « أن يستسلم الملك لملكة انجلترا (وبتعبير آخر أن يستسلم شخصيا للقائد العام) وأن يسلم كل الأوروبيين سالمين فى المعسكر البريطانى فى نفس اليوم فى مقابل معاملة مشرفة له ولأفراد أسرته » . وحين ترجم « فالدماير » و« فلاد » الخطاب للملك أعادا صياغة كلمة « يستسلم » كما أضافوا « أو فى الصباح الباكر » ، وذلك للتخفيف من وقع الخطاب . ولكن تاودروس لم يكن يقبل أى التباس فى المعنى ، لقد كان « فلاد » مقتنعا أن الملك ادرك تماما ماهو مطلوب منه ، وقال أن تاودروس سأله بتهكم « ما اذا كان البريطانيون ينوون معاملته معاملة مشرفة كسجين ، أو مساعدته على استعادة بلاده من المتمردين » ، وفى وثيقة غريبة ومشوشة أرسلها تاودروس كرد على « نابير » قال بشأن طلب استسلامه شخصيا : « المقاتل الذى كان يتأرجح بين يديه رجالا أقوياء كالأطفال ، لن يسمح لنفسه بأن يتأرجح بين أيدى الآخرين » . والأهم من ذلك فان الخطاب الذى كان موجها بصفة أساسية للشعب الاثيوبى وللأجيال التالية اكثر منه موجها للجنرال البريطانى ، كان يشير الى أن كاتبه قد وصل الى نهاية حلمه ، ونهاية صراعه ونهاية احتماله ، حتى انه لم يستخدم ألقابه الملكية : ملك الملوك ، المبعوث الالهى أو اسم العرش الضخم الذى كافح كثيرا تحته لتغيير اثيوبيا ، لقد وقع ببساطة « كاسا الذى يضع كل ثقته فى المسيح »[٤٣٥] .

وفى تلك الظروف وبذهن مشوش وبذهول وهو حال تاودروس وقتذاك - على الأقل مؤقتا - يعتبر هذا الخطاب بمثابة تنازل عن العرش والوصية الأخيرة للشعب . ورغم ذلك فان

مبنيا على ما قاله خادم وتابع الملك « ولدى جابر » الذى أشار الى أنهم ربما قد جعلوا الشحنات قوية جدا عن عمد . وكل ما قاله فالدماير عن هذا الموضوع أن مطلقى المدافع جاءتهم الاوامر بشحن البنادق وأنه كان ينوى تحذير تاودروس بأن البندقية الاولى التى فرغت كانت مشحونة مرتين ولكنه منع من ابلاغه بذلك بسبب الارتباك حينذاك ، وقال « نابير » فى رسالته ان الاوروبيين نفوا أنهم شحنوا البنادق وأنكر « بلان » (الأسر صفحة ٣٩٣) أن حاملى البنادق الاثيوبيين كان يشرف عليهم « انجيدا ورك » - وهو ابن بنغالى يهودى أو كان يشرف عليهم شخص مصرى وحول وصف المعركة من خلال شاهد عيان اثيوبى أو شخص نقلا عن شاهد عيان ، انظر « فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٤٢ -٣ . هذا المصدر يؤكد رواية « ولدى جابر » ولكن تجدر الاشارة اليه كذلك .

(٤٣٥) « فالدماير » (المغامرة) صفحات ٩٨ - ١٠٤ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى ٦٥ - ٨ « هولندا » و« وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٣٩ - ٤٦ (خطاب تاودروس فى صفحة ٤٢) ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٣١٨ - ٢١ نشر خطاب الملك فى كل هذه الكتب وفى كتب أخرى متعددة . وللأسف لم يعثر على الأصل فى أرشيف الحكومة وكل محاولاتى لمعرفة مكانه فشلت . وربما تكون الترجمة ليست سليمة . ولكن المضمون والعبارات تبدو حقيقية .

الاشارة الواضحة الى أنه سينتحر ولن يستسلم لم يلتقطها « فلاد » ولا الأوروبيون الآخرون المعنيون - وحينما رحل « فلاد » و« بريدو » مرة ثانية الى المعسكر البريطانى ، وقف تاودروس فجأة وبدأ فى الصلاة وانحنى ثلاث مرات على الارض ورسم الصليب على جسمه ثم وضع فوهة المسدس فى فمه . وقفز بعض رجاله نحوه وحينما أطاحوه بعيدا عنه انطلق الزناد وكشطت الرصاصة اذنه . وبالنسبة للاوروبيين الذين كانوا تحت رحمة الملك كانت هذه اللحظات حاسمة ، وكما لو كانت هذه المحاولة للانتحار ومطالبة رجاله المخلصين الباقين بالقضاء الفورى على الأوروبيين انتقاما لمصيرهم المحتوم القادم ، قد أدخلت السكينة الى نفس تاودروس ، فقد قرر أن يفرج عن « رسام » و« بلان » والمجموعة الاولى من الأسرى بما فيهم « كاميرون » و« شتيرن » . وفى حوالى الساعة التاسعة من مساء السبت (١١ ابريل) صحبهم « اليمى » و« صمويل » و« فالدماير » وبعض من العمال المهرة ووصل الاشخاص الذين قامت بسببهم الحملة البريطانية الى المعسكر سالمين[٤٣٦] .

ولقد تركت محاولة أنقاذه من الانتحار اثرا عميقا فى نفس تاودروس فاستعاد الأمل والثقة فى مستقبل ما . لذلك كتب خطابا ثانيا صباح عيد الفصح الى « نابير » لشرح ذلك ووقعه « ملك الملوك تاودروس » . كما كتب أيضا أنه ارسل « رسام » فى المساء لازالة قلق الجنرال قائلاً انه سيعيد باقى الاوروبيين كما طلب منه او « بناء على طلب صديقى العزيز فالدماير » . والى جانب ذلك فبمناسبة عيد الفصح يرجو أن يقبل « نابير » هدية من المواشى والاغنام لقواته ، وأنهى الخطاب بقوله : والآن وقد اصبحنا أصدقاء ، ارجو الا تتركنى بدون عمال مهرة لاننى محب للفنون الحرفية » . وكان هذا التماسا أخيرا من المهزوم للحصول على نصيب فى المهارات الحرفية للاوروبيين وقد أوصل هذا الخطاب للمعسكر « بندر » وسكرتير الملك « اليكا انجيدا » وقام بترجمته « صمويل » و« رسام » . وكان « نابير » حريصا ألا يرسل ردا مكتوبا ، وحينما سأله « رسام » بصورة مباشرة اذا كان سيقبل الهدية قال انه سيقبلها . وكان هذا هو الرد الذى عاد به « صمويل » و« اليمى » الى تاودروس المنتظر بقلق - وقد صاحبهما فى العودة العمال الأوروبيون لاحضار أسرهم وباقى أصدقائهم لقد كان تاودروس حزينا لرؤيتهم يرحلون ولكنه سعد بقبول طلبه للسلام - واستطاع « جغرافى » الحملة « كليمنت ماركهام » أن يقدر كرمه : « انه لم يحجز رهينه ولاطفلا ولا أمتعة . هذا تصرف ملك - تصرف بدون خيانة ولا مكر . ولا يجب انكار كل ذلك » وللأسف ليس من الممكن قول هذا عن الجانب البريطانى - ففى المساء علم تاودروس أن الهدية المكونة من ألف راس من الماشية وخمسمائة من الأغنام قد أوقفت خارج المعسكر البريطانى . وبالتالى أدرك أنه

---

(٤٣٦) « فالدماير » (المغامرة) صفحات ١٠٤ - ٧ . « رسام » البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٣٢١ « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحات ٦٩ - ٧ . « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٤٤٢ - ٣ . ومن المحتمل بطبيعة الحال أن الاوروبيين ادركوا أن تاودروس سينتحر ولكنهم قرروا أن يتجاهلوا ذلك ، طالما لم يكن فى وسعهم عمل اى شيء . ومنذ عام ١٨٦٣ كان « لوجان » يعتقد(AEMD افريقيا ٦١ صفحة ١٣٨) وكذلك « دافتون » (سرد صفحة ٢٩٧) أن تاودروس « سينتحر » ولن يستسلم .

خدع ، ففى ذلك الوقت كان كل الاوروبيين وأسرهم (ما عدا بارديل الذى كان مريضا للغاية ولا يستطيع التحرك) قد وصلوا بسلام[٤٣٧] .

وفى الصباح الباكر يوم ١٣ أبريل سرح تاودروس جيشه وحاول بدون حماس الهرب من الباب الخلفى « لمكديللا » (« كاميزبير » ، جنوب شرق) ولكن فئة قليلة من أتباعه كان لديهم الاستعداد لمحاولة اقتحام حصار « جالا » ولذلك عاد الى « مكديللا » . وفى اثناء ذلك ذهب بعض الرؤساء الى المعسكر البريطانى وأبلغوا عن اختفائه وعرضوا التسليم مع ما تبقى من القوات والعتاد . وعرض نابير على أهالى « جالا » ٥٠ ألف تيلر لمن يأسر الملك وأسرع فى استعداداته لاحتلال « الأمبا » ، وحينما ظهرت القوات البريطانية والهندية - حوالى ٣٥٠٠ رجل - فى « فالا » و« سيلاسى » استسلم الاثيوبيون على الفور . وقد تخلى تاودروس عن محاولة سابقة لادخال بعض البنادق من « اسلامجى » داخل دفاعات « الأمبا » . وحينما هجره الجميع فى ساعاته الأخيرة ماعدا قلة من الأتباع المخلصين جدا ، سعى تاودروس للموت فأخذ يروح ويجىء على جواده امام المعسكر البريطانى متحديا أى شخص أن يأتى لمبارزته . وأخيرا انسحب وانتظر النهاية داخل

---

(٤٣٧) « هولندا » و« هوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٤٤ - ٩ (خطاب تاودروس فى صفحة ٤٤) ، ٤٤٣ - ٤ . « رسام البعثة البريطانية المجلد الثانى صفحات ٣٢٥ - ٣٠ . « فالدماير » (المغامرة) صفحات ١٠٨ - ١٠ ، ١١٣ . « فلاد » (اثنا عشر عاما) المجلد الثانى صفحة ٧١ . « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣٣٣ - ٤٢ . « بلان » (الأسر) صفحات ٤٠٥ - ٦ . تختلف قوائم الأشخاص المفرج عنهم (٥٩ - ٦٧) بالنظر الى ادراج اسماء الخدم غير الاثيوبيين وكذلك عدم معرفة ما اذا كان أطفال « بيل » و« باركن » معتبرين أجانب . وتعتبر مسألة تقديم هدية المواشى كطلب للسلام هامة جدا - وفى تقرير مؤرخ مجهول سرد غير واضح للمفاوضات والافراج عن المسجونين (« فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٤٤ - ٨) . وكذلك قال « فالدماير » أن نابير ذكر أنه يرفض قبول الماشية والأغنام حتى يصل جميع الأجانب الى المعسكر مما يعنى أن هذا شرطه الوحيد . وذكر « نابير » فى رسالته فى ١٤ ابريل ١٨٦٨ (الحملة . المجلد الثانى صفحة ٤٤٣) أن رسام والآخرين أخلوا الانطباع بأن تقديم هدية من المواشى قد قبل من جانبه . وفى الجدل العنيف الذى حدث بعد أنتهاء الحملة أكد « رسام » أن « نابير » أجاب (اننى أقبل الهدية) أو كلمات بهذا المعنى (FO ١ /٢٧ Aتقرير رسام اول سبتمبر ١٨٦٨ فقرة ٣٤٨ . FO ١ /٢٩ صفحة ٨٧ « رسام » الى « أرجيل » ٢٧ مارس ١٨٦٩) واستشهادا « بميريوزر » أنه أومأ برأسه موافقا وهو شارد . . ورد « نابير » أنه اعتقد ان هدية عدة بقرات ليس لها أهمية ولكنه حين وصلت المواشى وسمع انها ألف رأس وخمسمائة من الاغنام فهم حينئذ أهمية الهدية وان قبولها سيعنى عربون صداقة(FO ١ /٢٩ صفحات ٨٣ - ٦ « نابير » الى « أجريل » ١١ فبراير ١٨٦٩) وأشار ماركهام (صفحة ٣٣٨ ، هامش ١) مع ذلك الى نصين من الجملة الخاصة بهدية المواشى : النص الرسمى اليوم عيد الفصح ويسعدنى أن ارسل بضعة بقرات لك والنص الثانى وبمناسبة عيد الفصح أرجو أن أرسل ألف بقرة وخمسمائة من الأغنام لافطار الجنود « واذا كان النص الثانى هو الترجمة الصحيحة (انظر كذلك تقرير « فلاد » (الحملة المجلد الثانى صفحة ٤٦) فان الامريكيين بكل تأكيد أن الارقام حذفت لأن « نابير » لم يكن يريد أن يعلم احدا أنهم ذكروا له مقدار الهدية كتابة منذ البداية وللأسف لم أتمكن من العثور على أصل الخطاب الثانى من تاودروس كما وجدت الخطاب الاول . ولذلك فمن الصعب تقدير الى أى مدى خدع تاودروس عن عمد ومن الذى كان مسئولا عن ذلك . لقد خدع لاشك فى ذلك . وسرت إشاعة فى اثيوبيا وكتبت فى سجلات عائلة تاودروس « مخطوط يرجع الى عهد ويجزماخ كازا فيشا » صفحات ١٦٨ - ٩) كانت هذه الاشاعة تقول أن الهدية رفضت لان المواشى سرقت من الفقراء .

البوابة الثانية لمدخل « كوكيت بير » . وبعد ساعتين أو ثلاثة من القذف ونيران البنادق الثقيلة اقتحم البريطانيون « مكديللا » . وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر واستمر الهجوم خمس عشرة دقيقة وأسفر الهجوم عن عشرة جرحى من البريطانيين . وقد سقط معظم أتباع تاودروس بجانبه . ولما علم أنه على بعد دقائق من الأسر نفذ تاودروس اعتزامه المعلن « بأنه سيسقط بين يدى الله لا الانسان » . [٤٣٨]

وليس مهما ما اذا كان استخدام المسدس الذى أهدته له الملكة فيكتوريا أم غيره ، فان واقعة انتحاره لايمكن ربطها بأى شكل من الأشكال بأسطورة « الذى لايقهر » ، نظرا لتصرفه الأخير المتحدى . وبالنسبة « لنابير » كانت المسألة شرفا قوميا فالأهم من الافراج عن الأسرى كان هو اجبار تاودروس سجان القنصل البريطانى والمبعوث الخاص ، على تسليم نفسه[٤٣٩] وحينما اختار تاودروس انهاء حياته بنفسه على الأسر فقد سلب البريطانيين هذه المتعة الأساسية ، وأرسى الأساس لان يبعث رمزا للاستقلال المتحدى للرجل الاثيوبى .

ورفرف علم الاتحاد البريطاني على مكديللا « لمدة اربعة ايام فقط ، وقد سلمت القلعة الى « واجاشوم جوبيزى » من خلال نائبه « ميشيشا » ولكنه رفض هذا العرض لأن « نابير » كان ينوى تحطيم البنادق اولا . وهكذا جرى نهب الاموال وتم تسريح المساجين السياسيين والسجانين وأشعلت النيران فى المبانى وتم تدمير التحصينات وكذلك البنادق تماما ، وبدأت يوم ١٨ ابريل العودة الى الساحل . وبعد شهرين أبحر آخر أعضاء الحملة من « مالكوتو » . واختار « شيمبر » و« زاندر » البقاء فى اثيوبيا . ولكن ثمانية مواطنين بريطانيين واربعة عشر مواطنا أوروبيا رحلوا عن

---

(٤٣٨) « هولند » و« هوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٥١ - ٦٠ ، ٤٤٤ - ٦ ، ٤٦٧ . « ركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣٤٢ - ٥٣ ، ٣٦٢ ، « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٣٣٠ - ٤ « فالدماير » (المغامرة) صفحات ١١٢ - ١٤ « فلاد » (اثنا عشر عاما) صفحة ٧٢ « بلان » (الأسر) صفحات ٤٠٧ - ٨ « فوسيللا » (تاودروس) صفحات ٤٨ - ٩ « فيلدى ماريام « تاودروس صفحات ٥٧ - ٦٢ كان التقدير الرسمى لعدد الاثيوبيين الذين جردوا من السلاح فى « فالا » و« سيلاسى » من ٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠ جندى ولكن هذا الرقم مبالغا فيه . فالعدد الأكبر كان فى « سيلاسى » وقد قدرهم « فالدماير » - الذى كان مسئولا عن نزع سلاح الجنود هناك - بأنهم حوالى الفى جندى .

(٤٣٩) « هولند وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحة ٤٤٤ . ولكن قارن FO٤٠١/٢ صفحات ٧٤١ - ٣ . « ستانلى » الى « نورث كوت » ، ١٩ سبتمبر ١٨٦٧ ، مشيرا الى أن « نابير » لم يكن بأى حال مرغما على الضغط لتسليم الملك » . اذا ما وقع الملك فى يديه بفعل المعارك دون جروح يجب على « نابير » أن يحتفظ بالملك فى الحجز حتى تتحقق سعادة صاحبة الجلالة (تأكيد من الكاتب) والنص الاصلى (IOالحبشة ، المراسلات الأصلية ، الاول صفحات ٩٣١ - ٥٢) موقع من « ستانلى » و« سرى » ولا يختلف عن النسخة المطبوعة . انظر كذلك FO٤٠١ / ٢ صفحات ٦٧٢ - ٣ . « نورث كوت » الى حاكم بومباى ١٦ أغسطس ١٨٦٧ .

اثيوبيا بأسرهم .(٤٤٠) ولقد عانى البعض من الكثير ، وقاسى الجميع من الحرمان من المناصب والممتلكات . ولقد كانت هناك لحظات القلق الحادة والأسر بصورة أو بأخرى . ورغم ذلك تجدر الاشارة الى أنه فيما عدا « كيتزلين » – الذى توفى بعد مرضه – فانه بعد بيل فلا أحد من الاوروبيين فقد حياته فى الخدمة أو فى سجون الملك ، لقد عانى المواطنون الاثيوبيون اكثر من سلوك تاودروس غير المتوقع ومن عنفه ومن قسوته : « لقد استفزنى شعبى وأثاروا غضبى ضدهم . ومن كل ما ارتكبته فى حقهم من شرور فاننى أبتهل الى الرب أن يجلب الخير »(٤٤١) .

---

(٤٤٠) « هولند وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحات ٧٥ – ٨ ، ١١٣ . « شبرد » (الحملة) صفحة ٢٧٢ . « ماركهام » (الحملة الحبشية) صفحات ٣٥٩ ، ٣٦٣ – ٨ ، ٣٨٣ – ٤ ، ٣٨٧ – ٨ . « رسام » (البعثة البريطانية) المجلد الثانى صفحات ٣٣٩ ، ٣٤٣ – ٦ .

(٤٤١) « هولند وهوزير » (الحملة) المجلد الثانى صفحة ٤٢ . وحول « كينزلين » انظر « فالدماير » (المغامرة) صفحة ٥٥ .

اهمية تاودروس

وفى سياق ظهور أثيوبيا فى القرن التاسع عشر كدولة مستقلة ، كان نظام حكم تاودروس نظاماً هاماً وحاسماً من عدة وجوه : إذ أدرك تاودروس فى البداية على عكس أى من أسلافه من الميسافنت Mesafint أن الفوضى السياسية ، والانحلال الاخلاقى وتخلف شعبه التكنولوجى كل هذا كان بمثابة تهديد للبقاء الوطنى . وتشير الاصلاحات التى أعلن عنها والسياسات التى سعى الى تنفيذها ، وكذا الانفراد بالرأى والمثابرة التى عالج بها المشكلات ، الى أنه كان يهدف فى المقام الاول الى ايقاظ الروح الوطنية وما يرتبط بذلك من تحول بلاده الى دولة عصرية . ولم تكن هناك ثمة شكوك بشأن ذلك إبان سنوات حكمه الأولى . ومن ثم ، وفيما يتفق عليه الجميع ، استناداً الى روح هذا العصر ، فان إحتلال إحدى الدول المتحضرة للحبشة . . . هو أسرع الوسائل وأكثر فعالية لإتحاد هذه البلاد بأوروبا ، ويعترف القنصل بلودن انه لم يكن يرى انه من الضرورى غزو الحبشة لتأكيد حضارتها وتنمية مواردها(٤٤٢) .

ومع ذلك ، يتفق القنصل البريطانى مع كافة المراقبين تقريبا بأن تاودروس كان هو الفرصة الأخيرة لاثيوبيا . . . « ولو أنه لم ينجح فى تحقيق تقدم ، فلم يكن فى استطاعة أى من أهل البلاد تحقيق هذا التقدم » . فشخصية الملك هى التى وقفت حائلا بين أثيوبيا والفوضى اليائسة ، والغزو الاجنبى . « وقد تنبأ بيكى Beke بأن تاودروس لن ينشىء أسرة حاكمة وانه لابد أن يجىء الوقت – ربما حتى قبل وفاته – الذى يشهد سقوط البناء الذى شيده فى عجلة ثم تعود اثيوبيا الى ماكانت عليه إبان أربعينيات القرن التاسع عشر . وانه بالإمكان اصلاح خطأ الحكومة البريطانية بشأن تنصيب حاكم أعلى ليحكم أثيوبيا كلها : . . . إذ من الواضح أن سياسة انجلترا الحقيقية (أى مصلحتها الفعلية) هى تنصيب كل (حاكم إقليمى) على الأراضى الخاضعة لسيطرته(٤٤٣) . وكانت حقيقة أن أثيوبيا إما أن تقع تحت النفوذ الأوروبى أو تعانى من غزو مصر هى نتيجة محتومة . وكان « دافتون » يرى فى ١٨٦٧ أن ثمة شك فيما إذا كان بإمكان الاثيوبيين الحفاظ على « وجودهم كأمة » . والواقع أنه كان يرى أن المسألة مسألة وقت قبل أن يقوم الاثيوبيون بتدمير أنفسهم ، إلا اذا

---

(٤٤٢) وزارة الخارجية ١/٤٠١ ، ص ص ٣٥٥٠ – ٣٥٦ ، من بلودن الى راسل ، ٥فبراير ١٨٦٠ .

(٤٤٣) مرجع أسبق ، ص ص ٢٧٧ ، ٢٨٢ – ٢٨٣ . من بلودن الى كلارندون ، ٢٣ يونية ، ١١ نوفمبر ، ١٨٥٦ ، ص ص ٤٣٣ – ٤٣٤ من بيكى الى ليارد فى ٢٢ أغسطس ، ١٨٦٢ . وزارة الخارجية ٤٠١ / ٢ ، ص ص ٦٥٢ – ٦٥٦ ، من بيكى الى ستانلى فى ١٢ أغسطس ١٨٦٧ .

جاء الأجنبى وحكم بلادهم بدلا عنهم . وفى رأيه أن تاودروس « كان الوطنى الأول والوحيد الذى شهدته الحبشة ، وسيكون يقينا آخرهم »[٤٤٤] .

كذلك لم ير « مونزنجر » ان ثمة أمل فى قيام دولة أثيوبية متحدة فى المستقبل :

ورجعت البعثة البريطانية للحبشة إلى الوطن ، وعادت البلاد الى سابق عهدها بإستثناء انه أصبح هناك رجل واحد عظيم والكثير من المتمردين . . . . وكان (تاودروس) الممثل الوحيد والمدافع عن الحبشة الفريدة والمسيحية ، وكان هو الشخصية الوحيدة فى الحبشة التى عملت فى وضع الأفكار موضع التنفيذ ، وبرغم كل جرائمه ، فقد جعل الشعب (أى البلاد بالمعنى الحرفى للكلمة) يعتاد على أن يكون له وطن وملك . . . .[٤٤٥] .

وبالطبع كان ثمة مبرر ما لرسم صورة كئيبة لمستقبل أثيوبيا . فنجاح محاولات تاودروس لتوحيد أثيوبيا وضمان القاعدة المالية لإقامة جيش وطنى وتكوين شكل من أشكال الإدارة المركزية - كان نجاحاً محدداً وعابراً ، أو هكذا كان يبدو آنذاك . والأسباب التى عرضها بنفسه فى الخطاب الذى أرسله إلى نابير فى ١١ أبريل ١٨٦٨ يكاد ينطق بالحقيقة :

« لقد أدار بنو وطنى ظهورهم لى وأبغضونى ، لأنى فرضت عليهم الضريبة ، ورأيت إخضاعهم للنظام العسكرى »[٤٤٦] .

ومع ذلك كانت فكرة تزايد حدة الفوضى التى ستعقب ذلك فكرة خاطئة . فرغم أن سقوط ميكدلا تضمن اطلاق سراح العديد من المنافسين الأقوياء ، مثل بلجادا ارايا ، وواحشوم تيفرى ، وعلى فارس ، ويبرو جوشو ، وكان بعضهم قد تحدى جوبز وكاسا ، وقد نجح الأخيران فى تعزيز قوتهما محليا دون إراقة الكثير من الدماء ، ثم قاما بعد ذلك بتسوية مشكلة من يحكم شمال أثيوبيا ووسطها من خلال حملة واحدة قصيرة فى يونية - يولية ١٨٧١[٤٤٧] .

---

(٤٤٤)دافتون ، سرد الأخبار ، ص ص ١١٦ ، ١٤٥ ، ٢٩١٠ أنظر أيضا رأى ليجين (تاودروس الثانى ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠) الذى يرى أن غزوا مصريا تركيا كان سيعقبه فعل دينى ووطنى .

(٤٤٥)AECP مصوع ٣ ، ملفات ٢٣١ - ٢٣٦ ، من مونزنجر الى موستير ، ٢٣ أغسطس ١٨٦٨ .

(٤٤٦) هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد ٢ ،ص٤٢ .

(٤٤٧) للحصول على قائمة بالزعماء المطلق سراحهم ، أنظر هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد ٢ ص ٨١ ، ولمعرفة الصراعات الداخلية عقب وفاة تاودروس ، بين أمور أخرى ، ملف وزارة الخارجية ١/٢٨ ، ٢٩ ، من كاسا إلى نابير ، ١٠ أغسطس ١٨٦٩ ملف ١٩٧ ، من كاسا إلى فيكتوريا فى ٢٨ يوليو ١٨٧١ ،ملف وزارة الخارجية رقم ٩٥/٨٢٨ رقم ١٩٢ ، من ناكل جيورجيس إلى فيكتوريا ونابير ، بدون تاريخ (قبل يوليو ١٨٦٩)AEMD ، افريك ٦٢ ، ملف ١١٠ ، من ناكل جيورجيس الى نابليون الثالث فى ٧ يوليو ١٨٧٠ ، أنظر أيضا رسائل مونزينجر من ٢٣ أغسطس ١٨٦٨ حتى ٢٧ مارس ١٧٧٠ فى AECP مصوع ٣ ، ملفات ٢٣١ - ٩٦ ، وردت فى اماكن أخرى ، وهاسن ، ١٢ يونية ، ٣٠يولية ١٨٧١ ، فى AECP ، مصر ٤٩ ، ملفات ٤٣٩ - ٤٠ ، ٥٠ ، ملفات ٦٥ - ٨ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ص ص ، ٢٨٧ - ٩٨ ، ٣٢٤ - ٧ ، مع مراجع واردة BN ، أثيوبيا ٢٥٩ ، ملفات ٦ - ١١ .

وتم تتويج كاسا الناجح ملك الملوك يوهانيس فى يناير ١٨٧٢ . وبالرغم أم منيليك ظل سبعة عاما منافساً وتابعاً قوياً مزعجاً ، فقد نجح كلاهما فى تجنب نشوب صراع مسلح واسع النطاق بينهما وكان ذلك بلا ريب راجعاً الى حقيقة ان يوهانيس كان أقل إلتزاما بتكوين دولة متحدة . وكان أكثر استعداداً للتوصل الى تسوية من تاودروس . وكان هدف كل من جويزه وكاسا ومينليك هو السيطرة التامة على كافة أرجاء الدولة الاثيوبية ، على نحو لم يفعله أى من على وويبى ، وساهل سيلاس . وليس ثمة ما يشير الى أن أياً منهم فكر حتى فى العودة الى ممارسة نظام الامبراطوريات التابعة فى جوندر . بل على العكس ، فقد بدأ منيليك فى إظهار نفسه بمظهر ملك ملوك أثيوبيا حتى قبل وفاة تاودروس[٤٤٨]وبعد شهور قليلة من سقوط مكديلا ، إدعى جويزه انه ملك ملوك أثيوبيا[٤٤٩] .

وبعد أن هزم كاسا ، تيكل جيورجيس ، إكتفى لنفسه بلقب زعيم الرجال العظام ، الذى سبق ان استخدمهعلى وويب فى أوائل الخمسينيات من القرن التاسع عسر ، غير أنه لا يمكن أن يكون هناك ثمة شك فى أن كاسا كان يتطلع أيضاً الى العرض الامبراطورى منذ البداية . والواقع أنه سعى ، كما يزعم البعض ، الى إقناع نابير بالاعتراف به كملكا للملوك وحاكماً أعلى للبلادكلها . . ففى رسالة بعث بها الى نابليون الثالث ، فى أغسطس ١٨٦٨ ، لم يدع زعم أنه ينتمى أيضا لسلالة أباطرة القرنين السابع عشر والثامن عشر فى حوندر وفاسيلديس وبيكافا[٤٥٠] . وعلاوة على ذلك ، ثمة تقرير عن محادثة بينه وبين المبعوث الكاثوليكى ، تسير اليأنه كان ملتزما بإقامة أثيوبيا واحدة غير

---

(٤٤٨) وزارة الخارجية ملف ١/٢٠ ، ٢١٥ ، من منيليك الى فيكتوريا ، غير مؤرخ تم استلامه فى ٦ أغسطس ١٨٦٧ ، لأن المترجم لجأ الى كتابه نيوجوس مينليك بدلا من نيجوس نيجست فى الترجمة الانجليزية (ملفات ٢١٧ - ١٨ ، وزارة الخارجية ٢/٤٠١ ص ٦٤٢) ولم يكلف المؤرخون أنفسهم مشقة البحث فى أصل اللغة الأمهرية ، فإن هذا الدليل المبكر والفريد من نوعه تماما على طموحات مينليك لإرتقاء العرش الامبراطورى لم يزل مجهولاً . والوثيقة الأمهرية الأصلية وثيقة بالغة الروعة ، ٦٢×٢٧ سم ، حيث يوجد بها صور الثالوث الأقدس ورموز المبشرين الأربعة واضعى الأنجيل بالاضافة الى صور مينليك وفيكتوريا فى القمة . وعدم تتويج الأسد فى الختم ليس له دلالة - فختم اس تيكل جيورجيش به أسد غير متوج ، فى حين أن الختمين اللذين استخدمهما د يجماك كاسا قبل تتويجه يحويان أسوداً متوجة - غير أن كلمات نيوجوس مينليك على الختم وكذلك الرسم بالإضافة الى النص ، لها دلالة مؤكدة . وقد أغفل ميرويزر هذه النقطة ، وكتب فى رسالته الغضيرية (وزارة الخارجية ٢/٤٠١ ، ص ص ٦٤١ - ٢ ، الى ستانلى ، ٢٠ يوليو ١٨٦٧) أن مينيلك ربما يطمع فى أن يصبح امبراطوراً عند موت تاودروس » .

(٤٤٩) وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الأصلية٣ ، ص٢٨١ ، تيكل جيورجيس الى فيكتوريا ، غير مؤرخ . (ابريل ١٨٦٩ أو قبل ذلك) AECP ، مصوع ، ملفات ٢٣١ - ٦ ، مونزينجر الى موستير ، ٢٣ أغسطس ١٨٦٨ ، ديموثيوس ، ستتان من الإقامة فى الحبشة أو الحياة الاخلاقية والسياسية والدينية لسكان الحبشة ، (القدس ، ١٨٧١) مجلدا ، ص ص ٩٦ - ٠٧ ، BN ، أثيوب ٢٥٩ ، ملف ٦ ، من الصعب تحديد الملابسات الدقيقة لإعلان جويزيه ، ولكنه تلقى فيما يبدو دعماً من رجال الدين فى جوندر للقيام بتصرفه هذا .

(٤٥٠) هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد ٢ ، ص ص ٣٢٠ (خطاب لنابير ، ٢٦نوفمبر (١٨٦٧) ، ٤١٥ ، AED ، بروتوكول س ٤١ ، من كاسا الى نابليون الثالث ، ٨ أغسطس ١٨٦٨ ـ لمعرفة المزيد عن ربيى وعلى ، أنظر المرجع السابق ١٣٢ ، رقم ٣٩٧ .

مقسمة كالاثنين الآخرين : « اذا تأكد لى أننى سأصبح ملكا على الحبشة ، فسوف أقرر مسألة (ما)إذا كنت سأسمح للبعثة الكاثوليكية بالعمل أملا) فى الحال ، ولكننى لا أحكم سوى تيجرى ، أو ما يعادل ثلث مملكةالحبشة »(٤٥١) . ومن الصعبأن تتخيل أن يدلى أى أمير حبشى بتصريح كهذا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ومع ذلك وقبل كلى شىء ، فقد إتضحت مطامع كاسا من خلال تصميمه ونجاح جهوده فى نهاية الأمر لاحضاره خليفة لأبونى سيلاما(٤٥٢) . وكون أنه قام بتأجيل تتويجه حتى يهزم تيكل جيورجيس ويخلعه عنالعرش لا يعنيأنه كان يعتبره ـ أى تيكل ـ حاكما أعلى منه ، أو أنه كان يفكر فى المساومة مقابل المزية التى فاز بها فى شخص الأسقف . والوصف البليغ لهذا الموقف يعرضه أحد المؤرخين الأثيوبيين على النحو التالى :

قال لى جيورجيس ، « طالما إننى الملك ، إرسل لى الأسقف (و) احتفظ ببلادك تيجرى . وقال « لن أسلمه (لك) » . ولذا أصبحا أعداء(٤٥٣) .

ولم يكن تاودروس من ذلك النوع من الشخصيات الذى يسمح لنفسهبأن يتأثر بسهولة بالآخرين(٤٥٤) . ومن ناحية أخرى ، لم يكن يحكم فى الخفاء . وليس ثمة نقص فى بيان المراجع المعاصرة الخاصة بالاجماعات العامة والمحاكمات والخاصة بالمجالس واجتماع الزعماء أو الحكام الذى كان يعقد على مستوى الأمة أحيانا(٤٥٥) . وسواء كان تاودروس قددعا الى هذه الاجتماعات بحثا عن المشورة ، أولتعليم شعبه ، أولمجدالسعيوراء الشهرة ، إلا أن الواقع يؤكد أنه كان يعرض القضاياأمام شعبه ، بشكل مأساوى فى بعض الاحيان ، وهناك دليل قوى على أنه كان ذا كبير على جميع من اقتربوا منه ، ولم يكن ذلك من خلال إرادته الحديدية فسحب ، بل ومن خلال اتساع أفقه وغزارة معلوماته ومعارفه(٤٥٦) . ومن بين الثلاثة الذين خلفوه على العرش ، كان

---

(٤٥٢) انظر ديون ، الخديوى اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٢٩٨ ـ ٣٠٥ ، بالإضافة الى مصادر تم التنويه عنها .

(٤٥٣) BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ١٥ (٧) . أنظر أيضا ، وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الأصلية ٣ ، ص ص ٤٩٥ ـ ٦ ، من كيركان الى أرجيل ، أغسطس ١٨٦٩ .

(٤٥٤) أنظر راسام ، البعثة البريطانية ، مجلدا ، ص ٢٥٩ ، لقراءة تعليق هام للغاية لصمويل جيورجيس .

(٤٥٥) (زيب) تاودروس ، ص ص ٢٨ ، ٣٠ ، ولدمريام ، تاودروس ، ص ص ٢٦ ـ ٧ . فلاد ، ملاحظات ، ص ، ٥٠ ، مثله ، رولف جاهر ، مجلد رقم واحد ، ص ص ٦٠ ، ومن ٦٠ ـ ٨ ، ٨٩ ـ ٩٠ ، هوجلن ، الحبش د ص ، ١٣٠ ، راسام ، البعثة البريطانية ، مجلد ٢ ، ص ص ٥٨ ـ ٩ ، ٩٢ ، ١٦٧ .

(٤٥٦) أنظر المرجع السابق ، ص ص ، ٣٠ ـ ١ ، ٥١ ـ ٢ لمعرفة انطباعات أحد الاقارب الذين ظهروا على مسرح بعد لك ، أنظر ، بلانك ، الأسر ، ص ص . ٣٣٧ ـ ٩ ، ٣٤٤ ، ٣٧٦ ـ ٨٥ .

جوبيزيه وكاسا قادة تحت قيادته ، أما مينليك شب كابنه بالتبنى فى مرحلة ، من مراحل عمره ثم كسجين دولة ، وتزوج إحدى بنات الملك(٤٥٧) . وفى النهاية أصبحوا جميعاً أعداءله ، غير أن ذلك لا يقلل من الحقيقة بأنه ساهمفى تحديد أهدافهم السياسية ، الداخلية والخارجية . وبالنسبة لمونزينجر ، الممثل القنصلى لكل من بريطانيا وفرنسا فى مصوع ، وأكثر المراقبين السياسيين ذكاء على المسرح الاثيوبى فى الوقت الذى توفى فيه تاودروس ، كان من الواضح أن تاودروس أحيا مبدأ وذكريات الدولة الاثيوبية الواحدة على نحولا تندثر بعده بسهولة مرة أخرى . والواقع أن مونزينجر استهجن ذلك ، لأن خلفاء تاودروس كانا سوف يتبنون البرنامج دون أن تكون لديهم قدراته(٤٥٨) .

وليس ثمة دليل على تأثير تاودروس على خلفائه أقوى من الأثر الذى تركه فى اتجاهاتهم نحو القوى الاجنبية . فرغم أن الحكماء أبلغوا مينليك بالنتائج التعيسة والشية لبعثة هاريس الى شيوا ، وشعوره الواضح بالحرج من جراء ذلك ، فقد بادر بالكتابة الى الملكة فيكتوريا ليعلن إرتقاءه للعرش وطالب بإقامة علاقات ودية بين بلديهما ، برغم الجرم الذى ارتكبه جده . ولا يعربأسلوب هذه الرسالة وفحواها عن وجود أى تأثير أوربى مباشر ، وإصرار مينليك على أن يتلقى رداً عاجلاً على يد رسوله الاثيوبى الخاص يشير الى تأثير معلمه الذى قام بتنشئته . والواقع أن بعضهم أشار على الرسول بعدم متابعة التقدم فى أوربا ، غير أن رد اللورد ستانلى بالنيابة عن الملكة كان رداً سريعاً ويتسم بالود ، إذ تضمن اعترافاً رسمياً بمركز مينليك كحاكم على شيوا(٤٥٩) .

وقد اتبع مينليك هذا النجاح الدبلوماسى برسالة بعث بها الى نابيير ، يخبره فيها بأنه كان يود المساعدةفى الحملة ضد تاودروس ولكنه للأسف يبعد عنه كثيرا(٤٦٠) . والواقع أنه قد تم تحذير مينليك بعدم التدخل لصالح تاودروس ، وربما فضل الا يتدخل على الاطلاق ، وذلك فقط فى حالة هزيمة البريطانيين أو إذا قرروا القيام بمحاولة احتلال البلاد ، برغم ما أعلنوه . وقد شعر مينليك بعد ذلك فيما يبدو أنه قد أضاع فرصة تعزيز علاقاته الودية مع بريطانيا ، غير أن ذلك لم يمنعه من الكتابة لفيكتوريا للحصول على موارد (أسلحة أومتفجرات) لإختراق تحصينات ميكدلا التى أعيد

---

(٤٥٧) أنظر المرجع السابق ، ص ٢٤١ ، أنظر أيضا BN أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ١٥ ، هيروى ، طارق ، ص ص ٤٠ ، ٤٢ ، ماركام ، البعثة الحبشية ، ص ص . ٨٦ ـ ٧ .

(٤٥٨) AECP ، مصوع ٣ ، ملف ٢٣٨ ـ ٤٣ ، من مونزينجر الى لافاليت ، ١٤ يناير ، ١٨٦٩ .

(٤٥٩) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٠ . ملفات ٢١٥ ـ ١٨ ، من مينليك الى فيكتوريا ، غير مؤرخ ، وزارة الخارجية ٤٠١ / ٢ . ص ص ، ٦٤١ ـ ٢ . من مينليك الى ميرويزر ، غير مؤرخ ، ومن ميرويزرالى ستانلى ، ٢٠ يوليو ١٨٦٧ و ص ٦٧٣ ، من ستانلى الى مينليك ، ١٩ أغسطس ١٨٦٧ ، ص ٨٣٩ ، من ورويزر الى ستانلى ، ٢٨ سبتمبر ١٨٦٧ . وللحصول على حملة هاريس ، انظر المرجع السابق ص ص١٥٢ ـ ٨ .

(٤٦٠) هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد٢ ، ص ٤٥١ .

بناؤها(٤٦١) . كما أرسل لحاكم عدن ليسمح بتعيين نائب قنصلى أو وكالة هناك(٤٦٢) . ويشير كل من طلب مينليك ورد الفعل البريطانى الى أى مدى كانت الأحداث التى تشهدها عهد تاودروس أحداثاً حاسمة .. وقد لخص نابيير المعضلة البريطانية فيما يلى :

قرر أعضاء الحكومة البريطانية الا يكون لحكومتهم موظف قنصلى فى أفريقيا بهدف استمرار الإتصال بحكام الحبشة ولديهم من أحداث الماضى ما يكفى من مبررات لإستبعاد كافة القنوات الرسمية المحتملة التى قد تتورط من خلالها فى مشاكل مع هذا البلد ، غير أن رفض الالتماس الذى تقدم به أحد الأمراء برهن على رغبته فى مساعدة الرعايا البريطانيين بكل ما يملك من سلطات كان تصرفا على رغبته فى مساعدة الرعايا البريطانيين بكل ما يملك من سلطات كان تصرفا حذرا لالزوم له وعملاً غير لائق تماماً . لوما كانت الحبشة تعتبر محصورة داخل الأراضى المصرية ، فإن رفض الطلب الذى تقدم به الأمير كان سوف يحرمه من أية وسائل للاتصال بالعالم المتحضر بممثلنا السياسى وبمستوطنة عدن . وليس ثمة ريب فى ان هناك أمراء آخرين سيطالبون بالتسهيلات نفسها التى قد يسمح لهم بها للأسباب نفسها ـ والواقع أنها ما تزال أسبابا قوية ، لان مساعدة الأمراء الآخرين كانت بالغة الأهمية(٤٦٣)

ونظرا لإدراك أعضاء الحكومة البريطانية لمدى اخلاص قناصلها فى زرع العلم البريطانى فى الحبشة ، ورغبتهم فى تحاشى وقوع حالات مماثلة فى المستقبل ، لدرجة أنها قامت بالفعل بإغلاق قنصليتها فى مصوع(٤٦٤) ، فقد قررت (الحكومة البريطانية) أن التمثيل الاثيوبى فى عدن هو البديل المقبول ، وأجابت مينليك الى طلبه(٤٦٥) . ومن ثم كانت أول هيئة رسمية حديثة فى

(٤٦١) وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٢٨ ، رقم ١٩١ ، من مينليك الى فيكتوريا ، ٤ مارس ، ١٨٦٩ . نقل هذه الرسالة مبعوث آخر لمنيليك أبا مرزه ، الذى وجهت اليه أوامرا أيضا بإنتظار الرد . أنظر وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الأصلية ٣ ، ص ٥٧٥ ، من روسيل اليارجيل ، ١٥ ديسمبر ، ١٨٦٩ ، وزارة الداخلية ، أوروبا ، F ١٠٣ ملف ١٦ ، من مينليك الى راسام ، ٢٥ مارس ١٨٧٠ ، ابامرزه (أومبرزا) والد إنجدا ورك ، كان أحد اليهود البنغال المرتدين الذى ظل فى أثيوبيا ما يقرب من ثلاثين عاما وكان فى خدمة تاودروس قبل مينليك . أنظر وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الأصلية ٣ ، ص ٨٩٤ ، ملحوظة فى الهامش ، ماركام ، الحملة الحبشية ، ص ٣٧١ .

(٤٦٢) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٩ ، ملف ٢٥٣ ، من جود فيلوالى ميريفال ، ١٨ نوفبر ١٨٦٩ .

(٤٦٣) مرجع أسبق ، ملفات ٢٦٥ ـ ٦ ، من نابير الى هاموند ، ١ يناير ١٨٧٠ ، أنظر أيضا ملفات ٢٥٠ ـ ١ ، مذكرات ، ١٤ ديسمبر ١٨٦٩ .

(٤٦٤) مرجع أسبق ، ملفات ٢٣٧ ـ ٥٧ ، ورد فى أماكن أخرى ، رسائل من جودفيلو الى حكومة بومباى والمكتب الهندى ، مذكرات ورسائل متبادلة بين وزارتى الداخلية والخارجية ، ٨ يوليو ١٨٦٩ ـ ١٧ ديسمبر ١٨٦٩ .

(٤٦٥) مرجع أسبق ، ملفات ٢٦٧ ـ ٨ . من هاموند الى ميريفال ، ٦ يناير ١٨٧٠ ، وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الاصلية ٠٣ ص ٦٢٩ ، من ميريفال الى روسيل ، ٧ يناير ١٨٧٠ .

الخارج ـ برغم أنها كانت فى عدن ، ويعمل بها موظف فرنسى ، هوسيزارتيان ، كأول ممثل مقيم ـ نتيجة مباشرة لتصميم تاودروس واصراره على رأية حتى أن أثيوبيا أصبح لها حق إقامة علاقات خارجية وسياسة خارجية خاصة بها ولم يعترض مينليك على ما طلاب منه من توجيه المراسلات فى المستقبل الى الممثل السياسى المقيم فى عدن بدلا من توجيهها الى لندن . ومع ذلك كانت أهدافه الرئيسية تنحصر فى أن يكون له منفذ الى السوق حيث يمكنه شراء الأسلحة وغيرها من السلع والحصول على تأييد سلطات عدن فى مواجهة محاولات السلطان « أبى بكر » سلطان زيلا لسد طريق التجارة أمام الناس والسلع . وقد قام ماساجا ، الذى عاد الى أثيوبيا وشيوه بدعوة من مينليك والذى أراد استقدام مزيد من الرسل من زيلا ، قام بمساعدة مينليك فى المطالبة باستمرار فتح الطريق(٤٦٦) .

ومن بين المتنافسين الثلاثة على السلطة العليا عقب وفاة تاودروس ، كان واجشوم (تيكل جيورجيس) ، من وجهة نظر العلاقات الخارجية ، فى أسوأ موقف ، إذ ان نابيير لم يترك مبعوثين أو حرفيين ، أو فيما يبدو أيا من صغار موظفى تاودروس المتعلمين فى الخارج وراءه فى وسط أثيوبيا . وعلاوة على ذلك ، كان هناك فيما يبدو خلاف أو سوء تفاهم بين جوبيزيه والقائد البريطانى قبل عودة الحملة الى الساحل ، وتخلف واجشوم حينما دعاه نابيير الى معسكره عقب سقوط مكدولا . ويرى بعض البريطانيين انه لم يهتم بأن يوصف بأنه مقرب من الأجانب . وربما كان أيضا مهتما بالصداقة الحميمة التى أعلن عنها بين البريطانيين وكاسا(٤٦٧) . ففى أول رسالة بعث بها الى الملكة فيكتوريا فى أواخر ١٨٦٨ أو فى أوائل ١٨٦٩ ، يشير تيكل جيورجيس الى أنه تم التخلى عن نابيير على نحو سريع حتى انه أصبح من المستحيل ترتيب إجراء المقابلة . والأهم من ذلك أنه تذمر من أنه لم يتلق على الإطلاق زوج من نظارات الميدان تم ارسالها كهدية ، لأن نابيير لم يكلف نفسه عناء استردادهما من أحد اللصوص ، وان البريطانيين لم يقوموا بفك أسر نائبه مشيشا الذى أسره على

(٤٦٦) وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٢٨ ، رقم ١٩٣ ، من كلارندون الى مينليك ، ٣٠ نوفمبر ١٨٦٩ ، وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الاصلية ٣ ، ص ص ٥٨٧ ـ ٩ ، من هاموند الى ميريفال ، ٢١ ديسمبر ١٨٦٩ ، ص ص ٧٥٩ ـ ٦١ ، من مينليك الى جودفيلو ، ٣ يوليو ١٨٧٠ ، ص ص ٨٧٣ ـ ٤ ، من تريمنهير الى ميريفال ، ٥ سبتمبر ١٨٧١ ص ص ٨٧٥ ـ ٦ ، من مينليكالى تريمنهير ، ٦ مايو ١٨٧١ ، ص ص ٨٧٧ ـ ٨ ، من ماساجا الى تريمنهير ، غير مؤرخ (مع خطاب سابق) ص ص ٨٨٥ ـ ٧ من تريمنهير الى ميريفال ، ٤ أكتوبر ١٨٧١ ، ص ص ٨٨٩ ـ ٩١ ، من ماساجا الى تريمنهير ، ٢١ مايو ١٨٧١ ، ص ص ٨٩٢ ـ ٧ ، من أبو بكر الى مينليك ، غير مؤرخ ، الترجمة بتاريخ ١٥ مايو ١٨٧١ . لمعلومات عن عودة ماساجا ، أنظر APF.SRG افريقيا الوسطى ، أثيوبيا ecc ٧٠٠٠ . ملف ١٨٠ ، من مينليك الى ماساجا . غير مؤرخ . ربما يونيه ١٨٦٧ .

(٤٦٧) وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الاصلية ٣ ، ص ص ٥١٥ - ٢٦ ، من نابيير الى دوف ٢٩ اكتوبر ١٨٦٩ ، هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد ٢ ، ص ص ٩٥ ، ٤٥٢ ، ماركام ، الحملة الحبشية ، ص ص ٣٨٣ - ٤ ، شيفرد ، الحملة ، ص ٣٤٩ ، ديموتيوس ، ستان ، مجلد ١ ، ص ٩٧ ، BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف

فارس ، الذى قام البريطانيون انفسهم بفك أسره فى ميكدولا[٤٦٨] . وشعر تيكل جيورجس ان بريطانيا تفضل كاسا ، وحينما خطط للإطاحة بأمير تيجرى فى ١٨٦٩ ، كتب مبررا تصرفه[٤٦٩] .

وبعد ذلك انتهز تيكل جيورجيس الفرصة التى هيأها له المبعوث الكاثوليكى وتقرب إلى الحكومة الفرنسية للحصول على التأييد المعنوى الذى كان يشعر بمدى حاجته اليه ، وعرض ان تفتح بلاده أمام التجار الفرنسيين وأن يكون لفرنسا قنصلا فى بلاده ، ولكنه لم يرد ذكر البعثات التبشيرية ، وفى إحدى الرحلات التى قام بها لزيارة المؤيدين له فى إقليم تانا عام ١٨٧٠ ، عاد فلاد من متيما ، وذكر أن البلاد مغلقة أمام الأوروبيين القادمين من الغرب ، غير أنه ربما كان فلاد شخصا غير مرغوب فيه باعتباره انجليزيا ، وليس كمبعوث تبشيرى . ونظرا لأن الكاثوليك بحثوا عن تيكل جيورجيس بسبب المتاعب القائمة مع كاسا ، فقد بدا ذلك كاعادة لأحداث أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر . وسواء أكان الدعم الفرنسى / الكاثوليكى لحاكم أثيوبيا ضد آخر أكثر نجاحا مع تيكل جيورجيس من نجاحه مع نيجوس (الملك) أمر لايمكن الجزم به ، فقد كتب الملك خطابه قبل أسبوع من نشوب الحرب الفرنسية البروسية ، وتم تسليمه أخيرا لرئيس الدولة الفرنسية بعد ذلك بعام ، بعد ثلاثة أيام فقط من انهاء انتصار كاسا الحاسم والمفاجىء على تيكل جيورجيس - لعهد آخر امبراطور أثيوبي مارس الحكم من جوندر[٤٧٠] .

وقد تحمل الامبراطور يوهانس ، وليس مينليك أو تيكل جيورجيس المسئولية الكبرى الخاصة برسم سياسات أثيوبيا الخارجية بعد تاودروس ومسئولية تحديد اتجاهاتها نحو الأجانب ومهاراتهم ، فقد ورث الحدود غير الآمنة مع مصر فى الشمال والشمال الغربى ، والغموض النظرى والمشكلات العملية الخاصة بمنطقة البحر الاحمر الساحلية المتنازع عليها ، وكان عليه أيضا مواجهة المعضلة العويصة ، التى فرضتها البعثة الكاثوليكية فى آكيل جوزى وبوجوس ، والخاصة بالحفاظ على علاقات الود مع الدول الأوروبية المسيحية والإبقاء على الأبواب مفتوحه أمام التأثيرات المرغوبة ، وذلك دون السماح بنمو مجتمع دينى معادٍ للكنيسة الوطنية وإضعاف ولائها للدولة الاثيوبية .

وقد أخفقت محاولات كاسا تاودروس للتغلب على هذه المشكلات من خلال انتهاج سياسة خارجية نشيطة ، إذ لم تجلب له مبادرته الدبلوماسية سوى المتاعب ، كما أن البنادق ومدافع المورتر التى أجبر تقريبا الأوروبيين الذين كانوا يعيشون فى البلاد على تصنيعها - تبين عند تجربتها

(٤٦٨) وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الأصلية ٣ ، ص ٢٨١ ، من تيكل جيورجيس الى فيكتوريا ، غير مؤرخ ، صٰ ص ٢٧٧ - ٨ ، ترجمة انجليزية بقلم مونزينجر فى ابريل ١٨٦٩ .

(٤٦٩) مرجع أسبق ، ص ٢٨٢

(٤٧٠)AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملف ١١٠ ، من تيكل جيورجيس الى نابليون الثالث ، ٧ يوليو ١٨٧٠ ، ملف ١٠٩ ، من ايتيان إلى رئيس السلطة التنفيذية ١٤ يوليو ١٨٧١ ، ١٨٧١MT ، ص ٤ فى ملحق مايو ، فلاد ، ٢٢ فبراير ١٨٧١ . لمعرفة المزيد عن انصار كاسا انظر BNإثيوب ، ملفات ١٠ - ١١ ، وديون ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٢٤ - ٦ .

فى النهاية أنها عديمة النفع ، وهو الأمر الذى عجل بنهايته . وبالتأكيد لم يكن هذا أمر مفيد يدفع فى كاسا / يوهانيس الرغبة للاتصال بأوروبا أو الإبقاء على وجود أوروبى فى بلاده . وفيما يتعلق بنابيير والحكومة البريطانية ، فلم يكونوا يرغبان فى أكثر من ازالة غبار أثيوبيا عن أقدامهما :

ان أعضاء حكومة جلالتها لايلقون بالا بما قد يصيب (هكذا) الحبشة من جراء الإطاحة بالملك تاودروس عن حكم البلاد . . . ولايهمهم بأى شكل من الأشكال مستقبل الأمور فى الحبشة ، أو هوية الحاكم الذى قد تؤول اليه مقاليد الأمور فى البلاد أو الحروب الأهلية أو الاضطراب السياسى الذى قد يضطرم فيها ، ولإعتبارات إنسانية ، تتمنى حكومة جلالتها أن تتولى حكم البلاد حكومة جيدة ، وان يسود الشعب حالة من الرضا والرفاهية ، وهى لاترى أنها ملزمة بإقامة أو تأييد أية حكومة أو أى حاكم بعينه يتم استناداً اليه تحقيق ذلك ، فى دولة ليس لها فيها فى الواقع مصالح بريطانية لتدعمها[٤٧١] .

وتلقى كاسا مكافأته فى شكل ستة مدافع قاذفة ، وستة مدافع مورتر ، وثمانمائة وخمسون بندقية ومسدساً مع ما يلزمها من ذخيرة ، مقابل ماقدمه من عون ، غير أن طلبه الخاص بإنتداب ضابطين أو ثلاثة ضباط بريطانيين لتدريب رجاله على استخدام الأسلحة لم يجب[٤٧٢] .

ولئن كان كاسا ، فى هذا الموقف ، قام باغلاق أثيوبيا على نفسها ، وسد الأبواب وحاول عزلها مرة أخرى ، لكان ذلك أمراً طبيعيا تماماً ، خاصة فى ضوء الصورة السائدة عن كاسا / يوهانيس متمثلة فى صورة الجندى والناسك ، وهى صورة الضعيف من كافة النواحى ماعدا فى كراهيته المتعصبة للمسلمين . . . وتحوله عن الرومان الكاثوليك ، معبرا عن صورة أثيوبيا القديمة الارستقراطية الدينية ، وبالتالى فهى تمثل شخصا رجعياً أو محافظاً على الأقل[٤٧٣] ، والواقع أن أعضاء البعثة البريطانية كانوا جميعا تقريبا يتفقون فيما يبدو فى رأيهم بشأن كاسا :

وكان كاسا ضعيف العقل يتجول واضعا شىء أشبه بالتاج فوق رأسه الذى كان دائما يتدلى ليحجب عينيه ، وكان يحملق بنظرات تنم عن الغباء فى الصواريخ التى يطلقها اللواء البحرى ، ومن الواضح أنه أداة فى يد الزعماء الأقوى ، جاءت به المصادفة ليمسك بزمام السلطة العليا ،

(٤٧١) وزارة الخارجية البريطانية ٢/٤٠١ ، ص ص ، ٧٤١ - ٣ ، من ستانلى الى نورثكوت ، ١٩ سبتمبر ١٨٦٩ هناك ، بالطبع ، كثيرون من المدافعين عن شكل ما من اشكال الاحتلال الدائم (مرجع أسبق ص ٦٦٢ ، بلانك ، ص ٧٧١ ، ما نسفيلد ، الخ) ولكن تم الالتزام بما تم إتخاذه من موقف رسمى .

(٤٧٢) هولند وهوزيير . الحملة ، مجلد . ، ص ص ٩٤ - ٦ .

(٤٧٣) مارجرى برهام ، حكومة أثيوبيا ، غير مؤرخ (١٩٤٧) ، ص ، ٥٢ ، ماثيو ، أثيوبيا غير مؤرخ(١٩٤٧) ، ص ،٥٢ ، ماثيو ، أثيوبيا ص ص ٢٠٨ - ٩. لم يعرف الكثير عن شخصية يوهانيس . لاحظ ، على سبيل المثال ، أن المؤلفين الوارد اسمهما هنا ، برغم أنهما بريطانيان ويكتبان فى وقت واحد يوردان وجهات نظر متباينة تمام التباين : « لم يكن من الرجال الذين يستمعون الى النصيحة ، (برهام)» ، « كان من أولئك الرجال الذين يتقبلون النصح » . (ماثيو) .

الذى قد تسمح له الظروف بالاحتفاظ بها أو ربما لا تسمح له بها ، غير أنه فى أى الأحوال لايمكن للمرء أن يتوقع الكثير من شخصية ضعيفة بهذا النحو[٤٧٤].

ونظرا لعمل مونزنجير – كممثل فى مصوع (نائب قنصل وقنصل) لكل من فرنسا وبريطانيا قبل حملة ميكدولا وبعدها مباشرة ، وكمستشار سياسى لنابيير أثناء الحملة ، فقد كان لديه من الأسباب القوية ومن الفرص الكثيرة المواتية ، ما يمكنه من تقييم شخصية كاسا ووضعه .

وهناك مفارقات لاتكاد تدرك فيما ذكره القنصل ، غير أن الانطباع العام كان انطباعا سلبيا تماماً . وكان كاسا يرتاب فى الأجانب ، ولم يكن محبوبا من شعبه برغم نيل مولده ، وكان كل من مينليك وجويزيه ينظرون اليه بازدراء كحاكم . وأيا كان فقد استحوذ على السلطة الحقيقية فى عام ١٨٦٨ نتيجة لظروف مواتية . وكذلك وقع مونزينجر فى شرك هذه الأراء حتى أنه لايفسر انتصار كاسا على تيكل جورجيس الا باعتباره نتيجة للمصادفة وحدها[٤٧٥].

والواقع أن تصرفات كاسا التى يمكن معرفتها من الوثائق المتاحة لاتظهر فحسب مدى إحساسه الواضح بالأولويات بل وتظهر أيضا منهاجاً تجاه الاتصال بالاجانب ومدى ما يمكن أن تسهم به مما يجعلها تشبه الى حد كبير السياسات التى انتهجها تاودروس فى سنين حكمه الأولى . وكان أول خطوات كاسا تتمثل فى إرسال بعثة الى القاهرة (مايو ١٨٦٨) لإستقدام أسقف جديد ، وحينما ذاع نبأ الطرد أو تقليص حجم البعثة الكاثوليكية كشرط لتلبية هذا المطلب ، ألغى قرار البعثة على غرار ما قام به تاودروس[٤٧٦] . ومن ناحية أخرى ، كان كاسا مستعداً كسلفه تاودروس لتعيين الحرفيين الاجانب أياً كانت جنسيتهم فى بلاطه : فقد كان هناك ميكانيكى فرنسى يدعى رينيه

---

(٤٧٤) ماركام ، حملة الحبشة ، ص ٣٨١ ، أنظر أيضا ص ٢٢٧ للحصول على وصف جرانت المبكر ، وجيرارد رولف ، بعثى الى الحبشة (ليزج ، ١٨٨٣) ص ٢٢٤ ، بدون أن يخبرنا أنه شارك فى البعثة بنفسه ، يلوم رولف أعضاء البعثة لرسمهم صورة كاسا على أنه شخص متوحش وطبعه الغدر .

(٤٧٥) AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٢١ - ٧ ، ٢٣١ - ٥٢ ، رسائل مونزينجر ، ٢٩ فبراير ، ٢٣ اغسطس ، ١٨٦٨ ، ١٤ يناير ، ٢٩ يناير ، ١٨٦٩ ، ديون ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ، ٣٣٠ ، رسالة الى القاهرة ، ٢٥ اغسطس ١٨٧١ .

(٤٧٦)ديون ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٢٩٨ - ٣٠١ . رد البطريرك على كاسا ، ٢٠ نوفمبر ١٨٦٨ ، (ENA ، الحبشى ، كاسير ١/٩/٢٠) أكد فقط على أن كاسا كان من المفترض أن يتمسك بشدة بميثاق الاسكندرية غير أن طلبا صريحا بترحيل البعثات الكاثوليكية تردد أن المبعوث الرئيسى (جوبر إجزيابير) قام بارساله ووصل عدوة فى آخر سبتمبر ١٨٦٨(جيرارد ، ذكريات ، ص ص ، ١٤٤ - ٥ ، AECPمصر ٤٤ ، ملفات ٣١٤ - ١٥ ، من ديلمونت الى مونزينجر ، ٢٧ أكتوبر ، ١٨٦٨) ، ومن ثم ربما كان مونزينجر محقا حينما أبلغ باريس ، فى ٢٩ يناير ، ١٨٩٨(AECPمصوع ، ٣ ملفات ٢٤٤ - ٥٢) أن ترحيل البعثات الكاثوليكية كان شرطا لتعيين مطراناً جديدا ، والأموال أيضا كانت هامة ، إذ يزعم البعض أن اليكابير وتقاضى عشرين ألف طالر (وهو وحدة نقد جرمانى فضى توالى اصداره من القرن ١٥ الى القرن ١٩ - المترجم) مقابل عمله كبطريرك ، وكذلك اسماعيل حينما قام ببعثة ثانية ناجحة فى فبراير ١٨٦٩(AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٦١ - ٢ ، من مونزينجر الى فاليت ، ٤ أبريل ، ١٨٦٩) .

وحداد أسلحة وبنادق مجرى يدعى اندريه والبناء الايطالى جياكومو ناريتى[٤٧٧] . وبينما رفض نابيير أن يترك وراءه أى مستشار أو معلم بريطانى ، كان كاسا مع ذلك محظوظا بدرجة أن أمكنه تعيين مستشاراً عسكريا هو ، جيه . سى كيركام ، وكان قد خدم فى الصين تحت قيادة جوردون ، ربما كرقيب ، وكان ضمن بعثة نابيير حيث عمل كبائع يزود الجنود بما يلزمهم . ولم توافق الحكومة البريطانية على عودة كيركام الى الحبشة بشروط مؤكدة : إذ لم يكن يدور بخلدهم أفكار معينة لينقلوها اليه فيما يتعلق بالحبشة ، ولم يكونوا على دراية بما يقوم به فى هذه البلاد . . وورد كيركام على ذلك بشجاعة حيث كتب يقولْ ان هذا مما يرضيه تماماً : « منذ الآن سأجد مجالاً واسعاً للعمل واستخدام تقديرى الشخصى فى تشكيل حكومة حبشية » وكانت مهمته الرئيسية تنحصر فى محاولة توفير المزيد من الأسلحة لكاسا ، بما فى ذلك بطارية صواريخ ، وتجنيد بعض القوات ومدربى المدفعية من الهند ، الذين تردد أن كاسا على أتم الاستعداد لأن يدفع لهم ، وفى الوقت نفسه ، تم تكليفه بتدريب القوات ، على نحو يماثل كثيرا ماكان يقوم به بيل منذ خمسة عشر عاما ، ولكن على نحو أكثر نجاحا ، فيما يبدو ، كما كلف كاسا كيركام أيضاً بالإشتراف على أعمال الانشاءات ، مثل أعمال انشاء أحد الحصون فى عدوة وخزاناً للمياه فى أكسيوم[٤٧٨] .

واستناداً الى بعض المبررات ، اعتبر مونزنجر نفسه حامياً لكافة المصالح الأوروبية فى شمال أثيوبيا ، وخاصة مصالح البعثة الكاثوليكية . واعتبر نفسه القناة المعتمدة لإتصال أثيوبيا مع أوروبا ، هذا بالإضافة إلى انه كان معروفاً شخصياً لكاسا ، وليس ثمة دلائل على أن العلاقات الشخصية بين الاثنين كانت متوترة فى ١٨٦٨[٤٧٩] . ولذا فإن من المهم ملاحظة أن كاسا قد تجاهله حينما كتب الى نابليون الثالث فى أغسطس ١٨٦٨ ، رسالة يطلب منه فيها الاعتراف به ومديد الصداقة . ويشير أسلوب هذه الرسالة ، المرسلة الى لويس نابليون بونابرت ، ملك فرنسا ، الى أنه لم يلجأ إلى استشارة أجنبية فى اختيار الكلمات[٤٨٠] . وتم نقلها – دون ترجمة – من خلال

---

(٤٧٧)جيرارد ، ذكريات ، ص ص ، ٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٧١ - ٢ ، إى ايه ، دى كوسون ، نشوء النيل الأزرق (لندن ، ١٨٧٧ ، مجلد ١ ، ١١٤ ، ديون ، اسماعيل ، ٣ ، ١ ، ص ، ٤٠٨ . كان هناك إثنان من رجال البعثات الحرفيين ممن عملا لدى تاودرس هما مايو وبنلر وكانا أيضا فى عدوة فى ١٨٦٩ - ٧٠ ، ولكنهما عملا على بدء عمل بعثتهما الجديدة فى شيوا (MT ، ١٨٧٠ ، ص ص ، ٧ ، ٥٥ ، ٦) .

(٤٧٨)أ١٠٢٤٨ ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٢٨ - ٣٠ ، ٢٤٤ - ٥٢ ، مونزينجر ، ٢٣ اغسطس ، ١٨٦٨ ، ٢٩ يناير ١٨٦٩ ، وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الاصلية ٣ ، ص ص ٣ - ٤ ، من ماريفال الى هاموند ، ٧ يناير ، ١٨٦٩ ، صصص ٢٣ - ٨ ، من هاموند الى ماريفال ، ٢٩ يناير ١٨٦٩ ، ومع ملاحق ، ص ص ، ٢٩ - ٣٠ ، من ماريفال الى كيركام ، ٥ فبراير ١٨٦٩ ، ص ص ٤٣٣ -٧ ، من كيركام الى ستانتون ، ١٣ يناير ، ١٨٦٩ ، ص ص ٥٣١ - ٦ ، من كيركام الى نابيير ، ١٠ أغسطس ١٨٦٩ ، ص ص ٥٢٧ - ٣٠ ، من كاسا الى نابيير ، ١٠ أغسطس ١٨٦٩ .

(٤٧٩) أنظر ، على سبيل المثال ، BN أثيوب ، ٣٠٠ ملف ٣ ، من كاسا إلى مونزينجر ، ٢٦ يوليو (١٨٦٨) ، وأنظر أيضا رسائل مونزينجر ، الوارد ذكرها أعلاه .

(٤٨٠)AED ، بروتوكول س ٤١ ، من كاسا الى نابليون الثالث ، ٨ أغسطس ١٨٦٨ .

رينيه والرحالة الفرنسى إيه جيرارد ، لأنه ، وفقا لما يتردد من قول كاسا للرحالة الفرنسى ، « إن قنصلكم يعمل لدى سيدين وله قلب واحد »[٤٨١] .

وكان رد نابليون الثالث ، الذى تسلمه كاسا بعد عام ونصف فقط ، يكاد يكون مطمئنا ، وكان هناك نقد ضمنى لتجاهل ممثل الامبراطور المخلص فى مصوع ، وتحذيرات لتدعيم انتصار الديانة الصحيحة من خلال حماية البعثات الكاثوليكية[٤٨٢] ، وفى الوقت نفسه ، كانت علاقات كاسا بالمجتمع الكاثوليكى تشهد تدهوراً كبيراً ، وكان ذلك يرجع جزئيا فيما يبدو للضغوط التى ترمى الى إحداث توافق دينى بالنسبة لمحاولات كاسا لإستقدام أسقف جديد ، كما ترجع جزئيا الى رفض بعض القرى التعيسة (فى مارس ١٨٦٩) فى أكيل جوزى أن تدفع الضرائب استناداً الى - أى سكان القرى - أنهم باعتبارهم كاثوليكا ، رعايا فرنسيين وليسوا حبشيين[٤٨٣] ومما لا ريب فيه ان كاسا يدرك مدى تورط البعثات وهونزينجر نفسه أيضا فى المناشدات التى قدمها الاثيوبيون الكاثوليك وبعض حكام كاسا أو منافسيه المحتملين لنابليون الثالث لحمايتهم ومناصرتهم[٤٨٤] .

وفى حالة حاكم هاميشين وآكيل جوزى ، وبوجوس ، ديجازميش ولد ميكائيل سليمان ، التابع لكاسا ، فمن الواضح أن مونزينجر شجعه على الكتابة ، وأوصى الحكومة الفرنسية أن تستجيب لذلك بتوجيه دعوة لأحد المبعوثين بالحضور الى باريس ، ورأى القنصل أنه : « نظرا لان السلطة العليا فى الحبشة تنتقل دوماً من شخص الى آخر ، فإن فرنسا عليها أن تغتنم الفرصة لتضمن صداقة هذا الزعيم الذى يرأس مقاطعات حدودية حينما بعض صداقته ، واعترف ولد ميكائيل انه يحكم مقاطعاته تحت رئاسة كاسا ، غير انه كانت هناك ثمة غبة تبدو من خلال المبادرة فى أن يصبح أكثر استقلالا وأمنا»[٤٨٥] .

---

(٤٨١)AEMD ، أفريك ، ٦٢ ، ملف ٧٧ ، من جيرارد الى لافاليت ، ٢٢ ديسمبر ١٨٦٨ ، ذكريات ، ص ص ٣٢ ، ٨٢ - ٣ . ولمعرفة رد فعل مونزينجر ، أنظرAECPمصوع ٣ ، ملفات ٢٤٤ - ٥٢ ، الى لافاليت ، ٢٩ يناير ، ١٨٦٩ .

(٤٨٢)AED ، بروتكول س ٤١ ، من نابليون الثالث إلى كاسا، ٣١ يوليو، ١٨٦٩ ، (AECC) ، مصوع ٢ ، من مونزينجر الى لاتوردى أوفرين - لوراجوز ، ٢٣ يناير ، ١٨٧٠ .

(٤٨٣)AECPمصوع ٣ ، ملفات ، ٢٧١ - ٢ ، من مونزينجر الى لافاليت ، ١ يناير ١٨٦٩ ، ملفات ٢٩١ - ٦ ، من مونزينجر الى دارو ، ٢٧ مارس ، ١٨٧٠ ، وزارة الخارجية البريطانية ٧٣١/٩٥ ، رقم ١٣٤٣ ، من يوهانيس إلى فيكتوريا ، ١٣ اغسطس ١٨٧٢ .

(٤٨٤)AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملف ٧٩ ، من كاثوليك أجامية الى نابليون الثالث ، غير مؤرخ ، ملف ٨١ ، من أراجاوى سيا جاديس إلى نابليون الثالث ، غير مؤرخ ، قام بترجمة الرسائل الأمهرية الاصلية م ١٨٦٨ إنطوان دابادى ، (ملف ٧٨)AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٥٨ - ٦٠ ، من مونزينجر الى لافاليت ، ٤ ابريل ١٨٦٩ ، مع ترجمة مرفقة لتيكل هيمانوت ، جبير ماريام ، ومن فيهه سيون الى نابليون الثالث غير مؤرخ AED ، بروتوكول س ٤١ ، من يوهانيس (الثالث) إلى نابليون الثالث ، ١١ يونية ١٨٦٩ .

(٤٨٥) AECP ، مصوع ٣ ، ملف ٢٨٠ ، من ولد ميكائيل الى نابليون الثالث ، ٢٢ اغسطس ١٨٦٩ ، الأصل باللغة الأمهرية ، ملفات ٢٧٨ - ٩ ، من مونزينجر الى لاتوردى أوفرنى - لوراجويز ، ٣١ اغسطس ١٨٦٩ .

والواقع أن مونزينجر كان يلعب لعبة واضحة آنذاك ، اذ كان يناور ستيلا لكى يبسط يداه على مؤسسة ستيلا الزراعية فى شوتيل وفى الوقت نفسه بينما يواصل جهود المبعوث السابق لفصل بوجوس عن أثيوبيا وتحويلها الى مستعمرة أوروبية أو « محمية » ، وكاد مونزينجر أن يفقد حياته أثناء محاولة اغتياله التى دبرها له ستيلا وزوج أخته ، الوسيط السياسى السابق لدى جاكوبيس ، ابا إمينتو . وخسر ولد ميكائيل منصبه كحاكم حينما اكتشف كاسا اتصالاته بفرنسا ، تماما كما فعل مع سلفه ديجاز ميش هايلو حينما سمع كاسا باتصاله بمصر قبل ذلك بعامين[٤٨٦] .

وقد أخذ كاسا محاولة الاغتيال مأخذ الجد ، وربما وفر ذلك على القنصل كل شىء فيما عدا تلك الإشارة اللطيفة التى ألمح بها كاسا بأنه لم يخف عليه تآمره مع ولد ميكائيل[٤٨٧] غير أنه فيما يتعلق بعمل البعثة الكاثوليكية ، كان كاسا صارما : لقد أظهرت التجارب السابقة ، أولا ، أن تحول المرء الى الكاثوليكية يعنى أن يصبح تحت حماية فرنسا وثانيا ، ان تواجد المبعوثين فى أى مكان ، من شانه أن يخلق مشكلات سياسية . وفى رده على نابليون الثالث ، الذى كُتب أثناء تواجد مونزينجر فى المعسكر ، طلب كاسا مطلبا واحدا : وهو منع الكاثوليك من أن يقولوا « أن الكنيسة ملك لنا ، والاساقفة تابعون لنا » . ووعده كاسا بأنه يعتبر إنقاذ نابليون له من الاساقفة بمثابة هدية ثمينة . ليس لانه يعتبر الديانة الكاثوليكية ديانة خاطئة ، بل لأن أثيوبيا تتلقى دوما معلميها من الاسكندرية ، وانه كان يخشى من أن استمرار نشاط المبعوثين ربما يخلق نوعا من العداء بينه وبين امبراطور فرنسا . وكان ذلك هو محور اهتمام كاسا الاساسى . ومع ذلك كان التجار والمكتشفون موضع ترحيب ، ويتردد أن مونزينجر والأمير أثارا قضايا تشكيل فيالق عسكرية منظمة وبناء طرق ، وإنشاء مطاحن للدقيق ، وذلك لكى يتمكنا بالدرجة الأولى من تخفيض أعداد النساء المصاحبات للجيش أثناء الحملات العسكرية[٤٨٨] .

---

(٤٨٦) مرجع أسبق ، ملف ٢٨٥ ، من مونزينجر الى تريكو ، ١٠ أكتوبر ١٨٦٩ ، ملفات ٢٨٧ - ٩٠ من مونزينجر الى دارو ، ١٨ فبراير ، ١٨٧٠ ، ملفات ٢٩٧ - ٩ ، من مونزينجر الى دارو ، ٢٧ مارس ، ١٨٧٠ ، MT، ١٨٧٠ ، ص ص ٦٢ - ٣ ، انجلونر ، ١٢ أبريل ، يو ١٣ مايو ١٨٧٠ . من ديون الى اسماعيل ، ٣ ، ١ ، ص ص ٣٧٥ - ٦ ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٠٧ ، ٣١٠ - ١٤ ، جيجليو ، أثيوبيا - مارو وس ، مجلدا ص ص ٦٦ - ٧ ، توفى ستيلا بعد عدة أسابيع من محاولة الاغتيال . وادين أمنيتو بعد محاكمته أمام أحد المحاكم الاثيوبية وتم تسليمه الى مونزينجر ، الذى اتهم بعد ذلك بأن تركه بموت جوعا ، حيث تم سجنه فى القنصلية .

(٤٨٧)BN ، أثيوب ، ٣٠٠ ، ملف ٢ ، من كاسا إلى مونزينجر ، ١٧ نوفمبر ، (١٨٦٩) . ثمة خمس رسائل اخرى من كاسا الى مونزينجر أرسلت فى يناير وفبراير ١٨٧٠ (ملفات ، ٤ - ٨) تشير الى أن كاسا كان يشعر بالقلق إزاء اكتشاف المذنب وادانته وإزاء الحفاظ على إستقلالية محكمته أمام ما يوجهه القنصل من نقد .

(٤٨٨)AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملف ١٠٥ ، من كاسا إلى نابليون الثالث ، ١٠ مارس ، ١٨٧٠ ، AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٩١ - ٦ ، من مونزنجر الى دارو ، ٢٧ مارس ١٨٧٠ ، أنظر أيضا جيرارد ، ذكريات ، ص ص ١٣٦ - ٨ لمعرفة أحداث لقاء تم بين جيرارد وكاسا فى أول أكتوبر ١٨٦٨ ، تردد أن الأخير قال خلاله : انهم (اى المبعوثين) يورطون انفسهم دائما فى الشئون السياسية لبلادى ولا اود أن أسمع عنهم بعد الآن ».

ويتضح أن كاسا لم يتوقع أن يلبى مونزينجر طلبه من حقيقتين : أولهما انه اتخذ اجراء ضد البعثة فى أقل من ثلاثة أشهر من بعد زيارة مونزينجر[٤٨٩] وثانيهما من ارسال خطاب الى الملكة فيكتوريا فى اليوم نفسه الذى كتب فيه خطابا للامبراطور الفرنسى . وترجع أسباب الكتابة الى لندن الى خطاب وصله يحمل تقدير وزارة الخارجية البريطانية ومرفقا به هدية عبارة عن نظارات الميدان ، وقد وصلت خطابات مماثلة الى كل من تيكل جيورجيس ومينليك أيضا ، أعربت فيه الوزارة عن إمتنانها لما قدموه من مساعدة لنابيير[٤٩٠] ولم يلق كاسا بالا لما بذل له من نصح بضرورة أن يوجه أية مراسلات فى المستقبل إلى المندوب السامى السياسى فى عدن . وكانت فحوى رسالته الى لندن مختلفة تمام الاختلاف عن فحوى رسالته الى نابليون الثالث . وكان كاسا يرغب فى شراء بنادق سيندر ومواسير صواريخ ، ومدافع ضوئية ، وتوظيف بعض رجال المدفعية للقيام بتدريب شعبه . وليس ثمة مايشير الى موعد إستلام لندن لهذه الرسالة . وليس هناك أثر لوجود أية ترجمة أو رد[٤٩١]

ولقد ازدادت ثقة كاسا بنفسه ، ففى أغسطس عام ١٨٧٠ ، قام ببساطة بإبلاغ الحكومة البريطانية بأنه عين السادة هنرى إس . كنج وشركاه ممثلين (وكيل) له فى لندن ، وانه سيرسل عما قريب مبعوثين إلى لندن ومعهم هدايا إلى الملكة . وكان أعضاء السفارة ، الذين تم ارسالهم بعد أسبوع أو أسبوعين ، هم أليكايير وولد جيورجيس ، ويطلق عليه هنا رئيس ممكريت(رئيس المستشارين) ولكنه معروف أكثر باسم ليسك كهنات « رئيس الاكليروس) ، وكذلك ميرشاروكى ، الذى أصبح محل ثقة لإقامته علاقة صداقة مع نابيير ، وربما أصبح آنذاك أهم مستشارى كاسا للشئون الخارجية ، وكان هناك أيضا طلب للمساعدة الفنية . أشخاص لتعليم المهارات الصناعية ، خاصة جميع أنواع أشغال الحديد[٤٩٢] .

---

(٤٨٩)AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٣٠٣ - ٩ ، من مونزينجر الى جرامونت ، ٢ أغسطس ١٨٧٠ ، مع مقتطفات من خطابات دوفلوت .

(٤٩٠) وزارة الخارجية البريطانية ٧٢٨/٩٥ ، أرقام ١٩٣ - ٥ ، من كلارندون الى مينليك ، وتيكل جيورجيس وكاسا على التوالى ، ٣٠ نوفمبر ، ١٨٦٩ .

(٤٩١) وزارة الخارجية البريطانية ٢٨/١ ، ملف ٥٥ ، من كاسا الى فيكتوريا ١٠ مارس ١٨٧٠ ، اقتصرت حاشية الرسالة على « نشكركم على الرسالة والهدايا » .

(٤٩٢) مرجع أسبق . ملف ٦٥ ، من كاسا الى كلارندون ، ١٦ أغسطس ١٨٧٠ ، ملف ٦٠ ، من كاسا الى جرانفيل ، ٢٤ اغسطس ، ١٨٧٠ ، وزارة الخارجية ٧٢٩/٩٥ ، رقم رقم ١٧٠ ، من كاسا الى فيكتوريا ، ٢٥ اغسطس ، ١٨٧٠ ، قدم كاسا أول مبعوث باسم رعيس مما كيرت جيورجيس ، غير أنه الممكن القول بأنه لم يكن سوى اليكايبرو ، حيث أصبح مشهوراً بهذا الاسم بعد ذلك . وحروف اسمه الأولى وخاتمة تظهر مع جيورجيس ووركى ميرشا فى خطاب مرسل من المبعوثين الى جرانفيل (انظر المرجع التالى ، ص ٢٨١ ، رقم ٤٩٤) . أنظر أيضا AECP ، مصر ٥٢ ، ملفات ١٨٧ - ٩ ، لمعرفة ظهور أليكاولد جيورجيس كمبعوث يوهانيس فى مصوع فى سبتمبر ١٨٧٢ . وكان أليكابيرو واسع النفوذ فى بلاط كاسا منذ ١٨٦٨ (جيرارد ، ذكريات ص ص ١٣٢ - ٣ ، ١٣٧ - ٨ ، ٢٠٣) وكان يرأس السفارة التى جاءت بالاسقف القبطى الجديد ، اتيناتيوس ، فى يوليو AECP١٨٦٩مصوع ٣ ، ملفات ٢٦١ - ٢ ، ٢٧٥ - ٧) وكان أداة رئيسية فى تعيين مجموعة من الصناع الفرنسيين والمغامرين ، كان على راسهم جودينو ، أثناء وجوده فى مصر فى أواخر عام ١٨٧٠ (AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملفات ٣٣٤ - ٤٤٩) وقد أخفق هذا المشروع لأن بيرو سمح لنفسه بأن يشتريه المصريون حسبما يزعم البعض .

وبناء على تعليمات من وزارة الخارجية البريطانية منع القنصل البريطانى العام فى الاسكندرية ادوارد ستانتون ، السفارة من الاتصال بلندن ، اذ كان اهتمام وزارة الخارجية فى المقام الأول ينحصر فى الأمور المالية : وهل يستطيع المبعوثون أن يدفعوا تكاليفهم الخاصة ؟ ولكن برغم مما أعلنوه من أنهم سيفعلون ذلك ، فقد صدرت تعليمات لستانتون بأن يقدم الهدايا فقط ، وان يشرح ذلك بأنه غير مخول بارسال المبعوثين أنفسهم . وعلى أية حال فقد رأى الأثيوبيون فى « رد (الهدايا) اليهم تصرفا يتنافى مع كرامة الأمير كاسيا »[٤٩٣] .

ولم يسلم المبعوثون الخطاب والهدايا الى الملكة إلا بعد ثلاثة أشهر فقط من الجدال وبعد انذار ممثل أثيوبيا فى لندن ، كنج وشركاه . ونظرا لأن ستانتون وجد انه مما يتجافى وكرامة الملكة فيكتوريا أن يبلغ المبعوثين أنهم لن يكونوا موضع ترحيب حتى بعد وصولهم الى لندن ، فقد كان العذر الذى تقدم به الى المبعوثين يتمثل فى أن الحكومة البريطانية لديها الكثير من المشاغل مما يحول دون استقبالهم ، وقد قدر ستانتون قيمة الهدايا بما يعادل ١٫٥٠٠ جنيه استرلينى ، وأوصى أن ترسل أشياء تعادل القيمة ذاتها مقابل تلك الهدايا ، وأشار الى أن أولويات الأمير الاثيوبى تنحصر فى الحصول على احدى بطاريات بنادق الجبال وبعض الصواريخ الحربية ، ولاحظ أيضا أن المبعوثين كانوا يأملون فى تجنيد وتوظيف حرفيين ومهندسين مناجم فى انجلترا ، وقال المبعوثون انهم انتظروا بالفعل بما يكفى ، ويتوقعون رداً خلال شهر واحد[٤٩٤] . ووجد العاملون فى وزارة الخارجية أنفسهم أمام مشكلة ، فالرد سيعتبر فى صالح كاسا ، الذى خالف عن عمد ماوجه للأمراء الاثيوبيين من نصح بالا يتصلوا إلا من خلال عدن ، ومن ناحية أخرى : فإن الصعوبات الناشئة عن مسألة الرد على خطابات الملك تاودروس معروفة جيداً[٤٩٠] ، وعاد بيرو الى أثيوبيا وبقى ميرشا ، وفى شهر مايو أبلغ ستانتون بأنه قرأ فى جريدة التايمز ان وزير الخارجية ، لورد جرانفيل ، أبلغ البرلمان أن الحكومة البريطانية لم ترفض استقبال أعضاء السفارة ولكنها تواجه بعض المتاعب الخاصة بالإعداد للرحلة . وبرغم ثبوط همته ، أعرب ميرشا عن أمله فى أن يسمح له ولرفيقه السفير بالحضور الى لندن كما كان مخططاً أصلا . . . « للإستفادة من بعض الأفكار من بلد عظيمة ومزدهرة كانجلترا والعودة بها الى بلادنا ليمكن الإستفادة من تطبيقها فى تطوير الصناعة والتجارة وازدهار الحبشة » ،

---

(٤٩٣) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٨ ، ملف ٦٩ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٢٠ أكتوبر ، ١٨٧٠ ملف ٧٢ ، من جرانفيل الى ستانتون ، ٢١ أكتوبر ، ١٨٧٠ ، ملف ٧٥ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٢٣ أكتوبر ، ١٨٧٠ ، ملف ٨٨ ، من جرانفيل الى ستانتون ، ٣ نوفمبر ١٨٧٠ ، ملف ٩٠ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٧ نوفمبر ، ١٨٧٠ .

(٤٩٤) مرجع اسبق ، ملفات ١٠٣ ـ ٤ ، من الملك الى هاموند ، ١٢ ديسمبر ، ١٨٧٠ ، ملفات ١٠٩ ـ ١١ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ١٣ يناير ، ١٨٧١ ، ملف ١٨٦ ، من بيرو ولد جيورجيس وميرشا الى جرانفيل ، ١٤ يناير ، ١٨٧١ .

(٤٩٥) مرجع اسبق ، ملفات ١١٦ ـ ٢٢ ، ١٣٣ ـ ٧ ، مذكرات ومحاضر ، ٤ فبراير ـ ١٠ مارس ، ١٨٧١ .

ولكن إذا كان ذلك يفوق موارد الحكومة البريطانية ، فإنه يطلب رداً سريعاً ومحدوداً(٤٩٦) . ومع رغبة وزارة الخزانة فى بيع الهدايا المهداة للملكة لشراء هدايا رداً على ما أهدى اليها من هدايا ، كانت وزارة الخارجية مهتمة بسياسة النزاهة والتجرد . . . الخ ، وسارت الأمور ببطء شديد . وبحلول أغسطس ١٨٧١ عاد ميرشا أيضا الى مصوع . وكان هناك شىء من القلق أيضا . فإحدى المذكرات التى أرسلها ممثل مستشار كاسا ، هنرى إس . كنج ، فى يناير ١٨٧٢ ، كانت سببا فى الملحوظة التالية : « لا يساورنى شك فى أن هؤلاء الأمراء الهمجيون متخذلقون كسائر الناس . ومن المؤكد أن تاودروس كان كذلك أيضا ، فلابد من وجود إجراءات صارمة تدعو لترك خطاب دون الابلاغ عنه لعدة شهور »(٤٩٧) .

والواقع انه تم إهمال الخطاب دون الرد عليه لفترة تزيد على عام . غير أن كاسا كان أكثر صبراً من تاودروس . وكان ، بالإضافة الى ذلك ، واثقا من أن خدماته لنابيير لن تُنسى بسهولة . وهذا هو السبب الذى دعاه للكتابة مرة أخرى للملكة فيكتوريا فى أبريل ١٨٧١ ليعرب عن تذمره من خطاب التهديد الوقح الذى تلقاه من مونزنجر(٤٩٨) .

ونظرا لادراك القنصل الأوروبى « المزدوج » السابق لعدم اهتمام بريطانيا بأثيوبيا واحتمال أن فرنسا ـ التى خرجت توا مهزومة فى الحرب الفرنسية ـ البروسية ـ لن تكون فى وضع يسمح لها بالاهتمام بأمور تجرى فى أفريقيا لبعض الوقت ، فقد قرر تغيير المواقف . ففى ابريل ١٨٧١ تولى مونزنجر مقاليد الأمور كحاكم مصرى لمصوع(٤٩٩) . وقبل أن يفعل ذلك خرج عن طوره ليهاجم كاسا حيث أرسل اليه الرسالة التالية :

---

(٤٩٦) مرجع أسبق ، ملفات ١٥٧ ـ ٦١ ، من ميرشا الى ستانتون ، ١١ مايو ١٨٧١ ، خاص بتحذير غير رسمى من فلاد بألا يتوقع شىء من اوروبا ،أنظر MT ، ١٨٧١ ص ص ٣٥ ـ ٦ ، انجلترا ١٧ فبراير ، ١٨٧١ .

(٤٩٧) مرجع أسبق ، ملفات ١٦٦ ـ ٧ ، من لوو الى هاموند ، ٥ يناير ، ١٨٧١ ، ملفات ١٦٨ ـ ٨١ مذكرات ومحاضر ٦ يناير ـ ٧ أكتوبر ١٨٧١ ملفات ٢١٢ ـ ١٣ من كنج الى انفيلد ٤ يناير ١٧٧٢ ملفات ٢١٤ ـ ١٦ ، محاضر ٦ يناير ـ ٩ يناير ١٨٧٢ ، وفيما يتعلق بعودة ميرشا ، AECP ، مصر ، ٥٠ ، ملفات ١٤٦ ـ ٧ ، من هاسن الى مونتموراند ، ٢٥ أغسطس ، ١٨٧١ .

(٤٩٨) وزارة الخارجية ١ / ٢٩ ، ملفات ٢٧١ ـ ٢ ، من كاسا الى فيكتوريا ، ٢١ أبريل ، ١٨٧١ ، وأيضا ملف ٣٠٧ ، من كاسا الى روسل ، ٢٠ أبريل ، ١٨٧١ ، لا توجد فى الملفات سوى ترجمة انجليزية فقط لتلك الخطابات . وتم ارسالها عن طريق عدن ـ وهى القناة التى تم التوصية بها ـ ولم تصل لندن إلا فى يونية ١٨٧٢ ، ربما لأن مونزنجر دبر أن يضع يديه عليها . انظر جيه دى كورسال ، نظام حكم يوهانيس منذ توليه الحكم حتى انتصاره عام ١٨٧٥ على الجيش المصرى (روماز ، ١٩٢٦) ، ص ، ٩٣ ، للحصول على تقرير عن حالة تدخل مونزنجر فى عام ١٨٧٢ .

(٤٩٩) ديون ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٢١ ـ ٢ .

« لقد قمت بطرد الاساقفة الكاثوليك الذين كانوا يقيمون فى هالاى . . فلتعلم ان مملكتك تُدمر وسوف تدمر أنت أيضا كما دُمر تاودروس . . . ومهما كان ضعف فرنسا فى الوقت الراهن ، فليس هناك ما يحول دون قيامها بمعاقبتك . وبالنسبة لى ، ونظرا لأننى عرفت كيف أقود البريطانيين وأرشدهم الى مسالك الحبشة ، فساعرف كيف أقود الفرنسيين وأوجههم ضدك . . وهدفى من خطابى هذا أن أعرفك بما ينتظرك من مصير(٥٠٠) » .

وفيما يتعلق بالتدخل البريطانى فى ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ ، كان مونزنجر يقيناً شخصية رئيسية ، من وجهة النظر الاثيوبية ، ونظرا لأن كاسا لم يستطع إدراك مدى خواء الغرور والتفاخر ، فقد كان يشعر بالاضطراب والضيق . ورأى فى رسالة مونزنجر إعلاناً فعلياً للحرب ، « وكتب يقول انه يعتمد على الملكة فيكتوريا ، بعد المسيح ، فى مساعدته على التغلب على ما يواجهه من متاعب من اعدائه . وكان هدف مونزنجر الحقيقى هو تقويض موقف كاسا الداخلى . وشكى الأخير الى الملكة من أن أنباء تهديدات مونزنيجر قد شاعت فى البلاد(٥٠١) . وكان كل من الكاثوليك ومونزينجر يعلقون آمالهم على انتصار تيكل جيورجيس . وفى الحادى عشر من يوليو ، وعلى أبواب عدوة الخارجية تماماً ، وضع كاسا نهاية لتلك الآمال ، وساعدوه فى ذلك بفاعلية ، بلا ريب ، كيركام والفرقة الصغيرة التى تدربت على استخدام البنادق القليلة وبنادق المشاة القديمة التى خلفها البريطانيون وراءهم(٥٠٢) .

وبرغم أن كاسا قد شعر يقينا ببعض الاحباط بسبب طول تأخير سفارته فى مصر وعدم الإسراع بالرد على رسائله ، الا إنه لم يرد ذكر لذلك فى خطابه الذى أرسله الى فيكتوريا يبلغها فيه بانتصاره على تيكل جيورجيس ، وإحساسه بالعرفان وبالجميل واضح تمام الوضوح كإحساسه بالرضا والثقة بالنفس . ولأول مرة يصف نفسه بأنه « ملك الملوك » (برغم انه لم يصبح يوهانيس بعد وما يزال كاسا) ، وباستثناء « مينليك » ، لم يهرب من يديه أى من أعدائه : « بعون الله ، أصبحت المملكة الاثيوبية بأسرها طوع يمينى » . وفيما يتعلق بالمستقبل ، لم يكن لكاسا سوى مطلب واحد : . . . طالما أن كلا منا يؤيد الآخر ، فإنى أرجو منك أن تجعلنى صديقاً لجميع ملوك أوروبا . فأنا

---

(٥٠٠) AECP ، ماسوح ٣ ، ملفات ٧٣٢٨ ـ ٩ ، من مونزنيجر الى كاسا ، ٣ مارس ، ١٨٧١ ، من المفهوم أن مونزنيجر لم ينسخ هذا الخطاب لباريس بنفسه . وقام يوهانيس بإطلاع خلف مونزنيجر عليه بإعتباره نائب قنصل ، وهو أرنست دى سارزك ، حينما قام الأخير بزيارته الأولى للإمبراطور فى ديسمبر ١٨٧٢ . ولمعرفة نشاطات سارزك فى أثيوبيا انظر أيضاً دى كورزاك ، يوهانس ، ورد ذكره فى أماكن أخرى من الكتاب .

(٥٠١) أنظر المرجع السابق ص ٢٨١ ، رقم ٤٩٨ . طبقا لسارزك (أى كورزاك ، يوهانيس ، ص ص ، ٩٠ ـ ١) حاول سكيمبر اثارة اهتمام يوهانيس ليكون له قنصل ألمانى فى مصوع واستخدام المساعى الحميدة للامبراطور فيلهلم الأول لتحسين العلاقات مع فرنسا مرة أخرى .

(٥٠٢) انظر المرجع السابق ، ص ، ٢٧ ، رقم ٤٤٧ ، وأيضا دى كوسون ، النيل الأبيض مجلد ١ ، ١ ص ص ، ١٤٨ ـ ٩ .

أبقى صداقة الجميع ، حتى تقوى العقيدة المسيحية وتندعم »(٥٠٣) . وربما كان هذا المطلب ينطوى ضمنا على دعوة الحكومة البريطانية لبذل مساعيها الحميدة لدى فرنسا . ومن ناحية أخرى ، قام كاسا بأول محاولة لإقامة علاقات مباشرة مع الامبراطور الألمانى الجديد القوى وذلك من خلال شيمبر وماير ، والواقع انه تم ارسال خطاب لموسكو أيضا(٥٠٤) .

ووصل نبأ إعلان كاسا لإنتصاره على تيكل جيورجيس لندن فى سبتمبر ١٨٧١ ، ولم يكن له صدى كبير فى وزارة الخارجية(٥٠٥) . ولم يتم اعداد وارسال الرسائل والهدايا التى سيتم ردها الا بعد سبعة أشهر ومايزيد على عامين من كتابة كاسا لفيكتوريا أول مرة . ولم يكن لدى الملكة أو جرانفيل ما يقولانه بشأن ممثل كاسا القنصلى هنرى . إس . كنج ، فى لندن ، أو بشأن نشاطات مونزينجر فى مصوع ، أو بشأن الحرفيين أو المعلمين ، أو شراء الأسلحة - ولم تحتوى الهدايا إلا على بضع مسدسات وبنادق مزخرفة . . وعلاوة على ذلك ، فقد تلقى القنصل السياسى فى عدن تعليمات لإبلاغ كاسا « باسلوب لطيف » ان الحكومة البريطانية لن تقبل أو تقدم أية هدايا فى المستقبل(٥٠٦) .

ومع وصول بريرو الى مصوع ومعه الرسائل والهدايا (يونية ١٨٧٢) ، كانت قد مرت خمسة أشهر كاملة على تتويج كاسا على نحو مهيب ملك ملوك يوهانيس فى كاتدرائية أكسوم ، وكان الامبراطور غائبا عن عدوة ، حيث كان يقوم بتدعيم سلطته على الحدود الجنوبية لتيجرى ، وكان

---

(٥٠٣) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٨ ملف ١٩٧ ، من كاسا الى فيكتوريا ، ٢٨ يوليو ، ١٨٧١ ، الاصل الأمهرية . والترجمة التى تم ترجمتها محليا (ملف ٩٨) بلغة انجليزية ركيكة للغاية ، قبل ذلك بيومين كتب كاسا الى روسل لينبه بإنتصاره (مرجع أسبق ، ملف ٢٠٦) وكذلك الى نابير (إتش . دى . نابير محرر ، رسائل الفيلد مارشال لورد حاكم ماجدلا ، لندن ، غير مؤرخ ، ص ، ٢١) . فى هذين الخطابين كان ما يزال يصف نفسه بانه « ملك صيون الأثيوبية » .

(٥٠٤) دى كورزاك ، يوهانيس ، ص ، ٩١ ، من كاسا الى فيلهلم الأول ، ٢٦ يوليو ، ١٨٧١ ، AECP ، مصر ٥٠ ، ملف ٢٩٣ ، من هانس إلى موفتموراند ، ٢٣ أكتوبر ، ١٨٧١ ، لسوء الحظ كان من المستحيل تحديد الوثائق الاثيوبية الأولى فى المحفوظات الألمانية ، الملف الأول أفريقيا ١ ، العلاقات مع الحبشة ، مارس ١٨٥٨ - نوفمبر ، ١٨٧٢ ، كان مدرجا فى الدى زد إيه بعد الحرب العالمية الثانية ولكن لم يمكن العثور عليه فى ١٩٧١ ، أنظر أيضا المرجع التالى ، ص ، ٢٩٨ .

(٥٠٥) وزارة الخارجية البريطانية ٢٨/١ ، ملفات ١٩٥ - ٦ ، محاضر ، ٣٠ سبتمبر ، ١٨٧١ .

(٥٠٦) وزارة الخارجية البريطانية ٧٣١/٧٥ ، رقم ١٣٥ ، من فيكتوريا الى كاسا ، ٢٢ مارس ، ١٨٧٢ ، رقم ١٣٦ ، من جرافيل إلى كاسا ، ٣٠ مارس ، ١٨٧٢ ، وزارة الخارجية ٢٨/١٠ ، ملفات ٢٤٤ - ٦ ، من هاموت الى دوف ، ٢٩ أبريل ، ١٨٧٢ ، ملف ٢٩٧ ، من تريمنهير الى يوهانيس ١٢ ، يونية ١٨٧٢ ، وللحصول على قائمة بالهدايا ، ملف ٢٣١ ، محاضر مع مسودات فى وزارة الخارجية ٧٣١/٩٥ تشير الى أن هذه الهدايا تم إعدادها فى أوائل مارس من العام السابق .

مونزينجر على وشك التعجيل بالحرب الاثيوبية - المصرية عن طريق احتلال بوجوس سرا(٥٠٧) . وكان خطاب كاسا الذى أرسله فى ابريل ١٨٧١ قد وصل لندن توا وأثار التعليق التالى فى وزارة الخارجية : « ربما كان من الأفضل تقليل إتصالاتنا بالأمير ، غير أن عدم الإلتفات الى خطابه لن يكون مناسبا »(٥٠٨) .

وهذا السجل الخاص بإتصالات يوهانيس الخارجية خلال السنوات الثلاث السابقة لتتويجه ، تشير بجلاء تام الى أن يوهانيس ، لتاودروس من قبله ، كان يتوق لإقامة علاقات ود مع القوى الأوروبية ورعاياها ، فقد قام مثلما فعل تاودروس أيضا ، بتقديم استثناءات للمبعوثين الكاثوليك ، لانه اكتشف أن تعاليمهم قد خلقت نوعا من الولاء وأثارت الآمال فى الحصول على المساعدة من هيئات من خارج الدولة الاثيوبية ، وإن كان هناك أى فارق بينهما ، فهو أن يوهانيس كان أكثر نشاطا فى سياسته الخارجية من تاودروس ، واتبع هو ومينليك الدرب نفسه خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر(٥٠٩) .

كما تشير الاتصالات الى أن افتتاح قناة السويس لم يكن ، حسبما يفترض البعض ، مصاحباً لتكالب اوروبى على سواحل البحر الأحمر وإقامة قاعدة نفوذ وهيمنه فى أثيوبيا . بل على العكس ، فالسنوات التى تلت ١٨٦٩ شهدت انسحابا من أثيوبيا بعد ثلاثة عقود من الضغوط المتواصلة تقريباً . وطبقا لما جاء بإحدى مذكرات وزارة الخارجية ، « بالنسبة لوزارة الخارجية ، لقد أصبح من المسلم به منذ فترة طويلة عدم وجود آية مزايا ترتبت على إقامة قنصلية فى هذا المكان . . . (مصوع) ، بل العكس هو الصحيح . . . . وإننى أرى ، من الناحية السياسية ، اننا قد نقول استناداً إلى المنطق أن تعيين قنصل قد أورطنا فى تعقيدات كنا نرغب كثيرا فى تحاشيها فى المستقبل »(٥١٠) وحملة ميكديلا نفسها لم تكن تدخلا أساسا بل كانت انسحاباً ، ومتى نظر المرء الى ميكديلا بإعتبارها لم تكن سوى عملية راحة وإجراء عقابى ضد تاودروس تم القيام به الى حد بعيد استجابة لضغوط أماكن أخرى ، وأصبحت الصورة كلها صورة مشوهة ، فقد اندلع النزاع لأن تاودروس كان رافضا خروج الأوروبيين ، وكان يطالب بوقوفهم الى جانب أثيوبيا والمساهمة فى تطويرها كما وعدوا ، وكما كانوا يفعلون فى مصر . وربما كان من حظ أثيوبيا ، من وجهة نظر بقائها كدولة مستقلة ، أن الأوروبيين انسحبوا وسمحوا لمصر بالقيام بأول هجوم شامل ، وبالنسبة لتاودروس ويوهانيس وصغار موظفى وزارة الخارجية الذين تلقوا تعليمهم على أيدى المبعوثين ، فقد كان ذلك على أية حال بمثابة خيانة .

---

(٥٠٧) وزارة الخارجية البريطانية ٢٨/١ ، ملفات ٣٠٥ - ١٢ ، من بريدو إلى تريمنهير ، ٢٨ يونية ، ١٨٧٢ ، ديون ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٣٣ - ٤ .

(٥٠٨) وزارة الخارجية البريطانية ٢٩/١ ، ملف ٢٧٦ ، محضر ، ٤ يوليو ١٨٧٢ .

(٥٠٩) أنظر زويد جابر - سيلاسى ، « عملية إعادة التوحيد » ، والجولك ، السياسة الخارجية لمينليك الثانى » .

(٥١٠) وزارة الخارجية ٢٦/١ ، لايوجد ترقيم للصفحات ، مذكرة بقلم موراى ، ٤ أغسطس ، ١٨٦٨ .

وكان من المفترض أن تلقى حملة مكدولا الأثيوبيين بوجه عام وتاودروس على وجه الخصوص درساً ، وهو إحترام ممثلى القوى الأوروبية ، مهما كانت الأحقاد ضدها أو ضد حكوماتها ، والواقع أن أوضح الآثار المترتبة على حملة مكدولا إنما تكمن فى الجانب الآخر . فالإشارات المستمرة لما حدث بسبب الإخفاق فى الرد على رسالة تاودروس مما تشير الى أن الحكومة البريطانية قد استوعبت درسها ، فقد أخذت تاودروس فى النهاية مأخذ الجد ، ورفضت رفضا قاطعا بعد سقوطه أن يكون لها أية علاقة أخرى بأثيوبيا ، غير أن التحول من المبادرة الأوروبية الى المبادرة الأثيوبية الذى اتسم به عهد تاودروس لم يتوقف . فقد قبلت أثيوبيا تحدى العلاقات الخارجية الذى فرض عليها ورفضت أن يتم تجاهلها .

وقد تحسنت فرص إقامة حوار بين أثيوبيا وأوروبا كثيرا بالمقارنة بما كانت عليه فترة ما قبل ١٨٥٥ ، حيث تنقل صامويل ، وماهدركال ، وميرشا وركى ، وبيرو بيتروس ، وغيرهم لمسافات واسعة ، وكان من بينهم من يعرف الانجليزية والفرنسية والايطالية ، وقد استخدمهم تاودروس كمترجمين وسكرتيرين ومفسرين ، وكانوا جميعاً تقريبا مشتركين فى اتصالات كاسا مع الأوروبيين أيضا[٥١١] .

ولم تكن الانجازات الدبلوماسية التى حققها كاسا / يوهانيس إنجازات ضخمة ، وكان البعض يميل الى تجاهلها ، غير أن وجود قنصلية معترف بها فى عدن وأخرى شبه رسمية فى لندن وحتى الجرأة فى مراسلة الملوك الأوربيين أو إرسال هيئة دبلوماسية لبريطانيا دون تشاور مسبق والحصول على الموافقة ، يشير الى الاتجاه الذى كانت تسير عليه أثيوبيا ، إذ كان من الجلى انها لم تكن تعود الى الوراء لعزلة القرن الثامن ، أو الى الوضع الذى يكتفى فيه الاثيوبيون بالرد على مبادرات الآخرين .

وقد تأكد الانسحاب الاوروبى بحدثين بالغا الأهمية بالنسبة لمستقبل أثيوبيا ، وكان لمصر دور بارز فى كلا الحدثين . أولهما ، وهو ما يتعلق بالإعداد لحملة ميكديلا ، إذ ان بريطانيا اعترفت شرعا ، كأمر واقع على الأقل ، بما يطالب به الاتراك من سيادة على سواحل البحر الأحمر وهو ما كانت تتحاشى القيام به بحذر فى الماضى[٥١٢] ، وثانيهما ، ان ورنو مونزينجر ، الباحث والمستكشف ورجل الأعمال ، والقنصل ثنائى التمثيل فى مصوع قرر انه من مصالحه كمؤسس لإمبراطورية خاصة أن يدخل فى خدمة مصر[٥١٣] ، وقد عين ، وهو السويسرى الجنسية ، صديقه وعميله النمساوى ، فرانزهاسن ، كنائب قنصل لفرنسا . ويزعم البعض انه حاول أن يقدمه

(٥١١) أنظر المرجع السابق ، ص ص ، ١٦٩ ، ٢٢٢ ، رقم ، ٢٦٢ ، ٢٣٣ - ٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٩ - ٨٠ ، هناك ناس آخرون ضمن هذه الفئة فى بلاطة كاسا كان من بينهم أليكا بيرو وليج هايلو (جيرارد ، مذكرات ص ص ١٠٧ ، ١٣٢ - ٣) .

(٥١٢) قارن بالمرجع السابق ص. ٢٥٨ مع ص ص. ١٢١ ، ١٤١ ، ١٨٥ .

(٥١٣) انظر المرجع التالى ، ص. ٢٩٢ .

يوهانيس كقنصل لألمانيا أيضا[٥١٤] . ويرغم انه قد تم تعيين نائب قنصل فرنسى ، هو أى . دى . سارزك ، فى السنة التالية ، فقد هيمن مونزينجير على الأوضاع تماما لسنوات عديدة ، إذ جمع ما بين معرفته بأثيوبيا ومكانته التى تمتع بها من خلال ماضيه الأوروبى بالإضافة الى ما أتيح له من رسائل وفرها له الخديوى اسماعيل . ومع ذلك فقد أخفقت محاولاته لتقسيم أثيوبيا وهزيمتها لدرجة تحتم على المرء أن يتساءل عما اذا كانا يعمل فى ظل سوء فهم أساسى أو فهم ظل تفسير خاطىء للموقف الاثيوبى . والواقع أن هذا هو ما حدث تماما ، وهذه الظاهرة لم تقتصر على مونزنجير وحده .

فمن وجهة النظر التاريخية الاثيوبية لم تكن مكديلا ، فى حد ذاتها ، تمثل شيئا أكثر من كونها مصادفة . فقد سار جيش أجنبى دون مشاكل عبر الريف الأثيوبى حتى وصل أحد السجون فى منطقة جبلية فى الداخل ، واشتبك فى معركة استمرت ساعتين أو ثلاث ساعات دون أن تلحق به أية خسائر تقريبا ، وأطلق سراح عدد من المسجونين ثم عاد أدراجه ، وفى الوقت نفسه ، وضع أحد الحكام ، لأسباب لاعلاقة لها بالحملة ، وكان ملكا بالفعل ، بلا أرض وبلا شعب ليحكمه تقريبا[٥١٥] ، نهاية لحياته بالإنتحار . وهذه ، بايجاز ، هى قصة مكديلا . ولكن هذه ليست بالتأكيد هى الطريقة التى أراد معظم المشاركين فى الحملة البريطانية أو مؤيديهم أن ينظروا بها الى الأحداث . أثناء مراحل الاعداد للحملة ذكرت الصحافة البريطانية الكثير عن الطابع الخطير والمخاطر التى تكتنف هذه المهمة[٥١٦] . وقد تم زيادة حجم قوة الحملة أكثر من مرة ، وتم إنفاق حوالى تسعة ملايين جنيه استرلينى ، وكان البعض يتوقع الحصول على أوسمة الشرف والترقى .

ولم يكن باستطاع كثيرين أن تكون لهم نظرة ماركام غير المتحيزة التى ترى أن راسام ، وبلانك وبريدو كانوا وحدهم دون سائر ضباط الحملة هم المعرضين لأى خطر حقيقى[٥١٧] . . . وكان تقرير نابيير الرسمى حول الأحداث التى وقعت فى مكديلا مليئا بصيغ وعبارات المبالغة مؤكدا على « موقع مكديلا المنيع » ، « والموقع الطبيعى الهائل لحصن فالا ، الذى يفوق كل ماكان يمكن أن نتخليه » ، و« الحرارة التى تبعث على الضيق » و« العواصف اليومية ، والاعتماد التام على كل جنود المدفعية والفرسان » « المتواجدين والروح العالية الجديرة بالاعجاب والخدمات التى يؤديها الضباط والرجال » ، « التى يستحيل على الكتابة عنها ووصفها بما هى أهل له » و« التصميم والنظام »

(٥١٤) AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٣١١ - ٢٨ ، من سارزك إلى ريموسات ، ١٧ يناير ١٨٧٣ دى كورساك ، يوهانيس ، ص ص ٩٤ - ٥ .

(٥١٥) فلاد ، زولف جاهر ، مجلد ٢ ، ص ٦١ ، وكذلك الحملة الاثيوبية ص ٢٩٢ : « يمكن اعتبار هذا التاريخ (١٠ أكتوبر ١٨٦٧) هو تاريخ نهاية عهد تاودروس . . . »

(٥١٦) ماركام ، حملة الحبشة ، ص ١ ، هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد ١ ، ص ، ٥٩ ، انظر أيضا بانكرست ، المعارضة الشعبية ، أثيوبيا أبزرفر ، ٢٦ ، ٣ ، ص ص ، ١٤١ - ٢٠٣ .

(٥١٧) ماركام ، حملة الحبشة ، ص ، ٣٣٦ .

و« المقاومة » الباسلة « للاثيوبيين . . الخ[518] . وقد قام سكرتيره كابتن هـ . م . هوزير بتحديد أسلوب كتابه عن الحملة بهذا البيان العنيف بعض الشيء : إن الصعوبات والمتاعب كانت ستكون أكثر وضوحاً لو أن اختزالها والتقليل منها كان قد تم بشكل أقل مهارة . وإن المخاطر واحتمال وقوع كارثة كان ستكون أكثر وضوحاً لو لم يتم الاحتراس منها بدرجة أقل من الحذر . وفى رأيه ، « لم يكن من الممكن على الإطلاق تنفيذ عمليات فى بلد لايحبذ الحرب على هذا النحو[519] » . . . وبالنسبة لهنرى م . ستانلى ، أشهر صحفيى أفريقيا وواحد من المشاركين فى الحملة ، لا يبدو ان هناك ثمة كلمات أقوى من كلماته :

« . . . لقد تردد دوى الانتصار عاليا . . . وسمع الأمراء والملوك الضجة التى أحدثها وأصابهم الذعر ، إذ رأوا أن فترة السلم لم تفت فى عضد انجلترا وقوتها ، وقد رسخ هذا النصر الأخير ، وهو أفضل الانتصارات وأعظمها ، والذى قلل البعض من شانه ، رسخ من مكانة انجلترا على أساس أكثر صلابة من أى وقت مضى . . . وهكذا أضحت الحملة الصليبية الحديثة محسوبة من بين أحداث الماضى ، وستبقى ذراها محفورة فى كافة العقول والبقاع ، باعتبارها من انجح الحملات التى سجلها التاريخ وأروعها »[520] .

وهكذا « ظهرت الى الوجود أسطورة مكدبلا » ، وانتشرت الانباء المبكرة لتاودروس حاكم بلودين لتحل محل أنباء أسد ماركام الذى أرهقته المطاردة أثناء بحثه المضنى عن عرينه ، ليموت هناك دون أن تلحقه الهزيمة وهو يعانى من وضع حرج »[521] وفى يوم الجمعة الطيب فى العاشر من أبريل ١٨٦٨ ، حينما صبت المدافع البريطانية نيرانها على جيش تاودروس لتحوله الى أشلاء ، أصيب كبرياء الحبشة بجرح عميق لم يداويه حتى انتصارها على الايطاليين فى عدوه » . وكان من المفترض أن يتعظ يوهانيس ، مرة أخرى ، . . من مرأى جيش تاودروس الذى لايقهر وهو يتلاشى أمام أسلحة بريطانيا الأوروبية[522] وبعض ممن تحاشوا هذه المبالغة الخاصة بالناحية العسكرية للحملة أكدوا بدلا عن ذلك ، على الانجازات السياسية للبريطانيين وقدرتهم على تفكيك شمل الاثيوبيين : فاولئك ممن تمردوا أو حتى أعربوا عن غضبهم تحت نير العبودية قد واتتهم الفرصة

---

(٥١٨) هولند وهوزير ، الحملة ، مجلد٢ ، ص ص ، ٤٥٣ - ٦٢ ، أنظر ايضا بوكل ، رسائل ، مجلد ، ١ ، ص ص ، ٣٥٠ - ٢ ، من دزرائيلى الى فيكتوريا ، ٤ يونية ١٨٦٨ .

(٥١٩) هنرى م . هوزير ، الحملة البريطانية الى الحبشة (لندن ، ١٨٦٩) ص ص ، ٥ - ٦ ، ٩٧ ، قارن ، ميات ، ماجدلا ، ص ١٨٥ .

(٥٢٠) سانلى ، ماجدلا ، ص ص ، ٤٩٣ ، ٥٠٥ .

(٥٢١) ماركام ، حملة الحبشة ، ص ٢٠٦ .

(٥٢٢) بدج ، التاريخ ، مجلد ٢ ، ص ٥٤٩ ، ج . ف . هـ . بيركلى ، حملة عدوة وظهور مينليك (الطبعة الثانية ، لندن ، ١٩٣٥ ، ص ٢٥ ، أنظر ايضا مورهيد ، النيل الأزرق ، ص ٢٧٤ ، أثيوبيا واختراق دفاعاتها وتلقينها الدرس وترك شعبها للفوضى السياسية الطبيعية ، تسربت بهدوء من الانباء .

الآن ، وكان الانجليز كرماء فى وعودهم . وكان نواب الملك فى تيجرى أول من تراجعوا عن مساعدة نابيير مقابل التعهد بالجلاء عن أراضيهم فى أسرع وقت[523] .

وبالفعل كانت الوعود ، بالطبع ، الخاصة بالاسلحة واجراء إنسحاب عسكرى سريع ، أموراً هامة ، ولكن الثورات كانت سافرة ومستمرة لفترة طويلة ، وكانت المساعدة التى قدمها كاسا سلبية تماما وعلاوة على ذلك ، فإن التعهد على وجه الدقة بالانسحاب وتقديم المساعدة أثبتا خطأ الحديث عن الحملة البريطانية باعتبارها غزوا أو احتلالا لاثيوبيا ، أو حتى حربا ضد هذا البلد .

ونظرا لان الظروف الخاصة التى تفسر وحدها انتصار بريطانيا السهل - مع مقتل جنديين فى العمليات قد قلل البعض من شأنها ونسبها ، فإن سهولة غزو أثيوبيا وهزيمتها ، برغم التضاريس والمناخ ، ظلت باقية فى الذاكرة ، وعلاوة على ذلك ، إذا كان الظلم الفادح قد انتهى بهذه السهولة ، فما الذى كان بإمكان حلفائه بوجه عام والضعاف للغاية مثل يوهانيس على وجه الخصوص ، أن يفعلوه فى مواجهة غزو جديد ؟ وخرج من بين التفسيرات المشوهة رأى خاطىء بشأن صورة أثيوبيا فى الدوائر السياسية فى أوروبا ومصر . وان لم يأخذ المرء فى الحسبان إساءة التقدير الخطير لوحدة أثيوبيا الاساسية وامكانياتها العسكرية ، فسوف يصبح من الصعب تماماً تفسير السبب وراء عدم كفاية الحملات التى تمت فى العقود التالية على نحو لايصدق .

---

(٥٢٣) ماثيو ، أثيوبيا ، ص ١٩٧ .

خامسا : محاولات تجربة القوة مع مصر وايطاليا

ازمة بوجوس

بحلول عام ١٨٧٠ كان حكام أثيوبيا وشعبها قد عانوا من الوجود الأوروبى المتصل فى بلادهم لما يزيد على ستين عاما ، وفى معظم الحالات كان الاوروبيون موضع ترحيب لأنهم مسيحيون وبسبب المعرفة والمهارات التقنية التى أتوا بها معهم . وبدءا من ولد سيلاسى وحتى وبى ، ومن سهلا سيلاسى حتى تاودروس ، احتفظ الحكام الاثيوبيون ، مع ذلك بحقهم فى تقرير نوع المساعدة التى كانوا يريدونها ، ونوعية الاتصال التى يسمحون بها ، والحدود ، سواء كانت طبيعية أو غير ذلك ، التى يسمح للفرنجة بالتحرك داخلها والعمل فيها ، وقد أدى التدخل فى السياسات أو الارهاب غير المباشر أو الغطرسة التامة شبه الدائمة الى عمليات اعتقال مؤقتة أو الطرد ، وقد جعل تاودروس على وجه الخصوص ذلك الأمر واضحاً تمام الوضوح حتى انه لم يسمح باقامة مراكز للسلطة الأجنبية فى أثيوبيا ، سواء قنصليات أو محطات للبعثات الكاثوليكية ، ورفض التصديق على المعاهدات القديمة ولم يبرم معاهدات جديدة . ولم يظهر سوى قدر ضئيل من تأثير النفوذ الأوروبى بالنسبة لما بذل من جهود طوال العقود الستة ، أو بالنسبة للتسعة ملايين جنيه استرلينى التى أنفقت على حملة مكديلا[1] .

ولم يتأكد الوجود الأوروبى بأقدام راسخة إلا فى أقاليم الحدود الشمالية ، خاصة بوجوس ، وكان ذلك من خلال الجهود المشتركة للبعثة الكاثوليكية ، وقناصل مصوع وعدد من الأوروبيين المقيمين فى تلك المناطق ، وبدأت العملية إبان السنوات الأخيرة من الزعيم ميسافنت ، واستمر طوال فترة حكم تاودروس ، حينما تحدث الكاميرون وليجيان عن بوجوس باعتبارها « محمية » بريطانية وفرنسية على التوالى ، ويشهد الجميع على حقيقة أن بوجوس استفادت من تدخل الأوروبيين فى كسلا والقاهرة[2] .

---

(١) أنظر المرجع السابق ، ص ، ٤٦ - ٥٠ ، ٧٢ - ٦ ، ٨٣ - ٥ ، ٨٩ - ٩٠ ، ١٦٢ - ٣ ، ١٦٨ - ٧١ ، ١٧٥ - ٨٩ ، ٢٢٣ - ٣٩ .

(٢) أنظر المرجع السابق ، ص ص ، ١٤٣ - ٤ ، ١٧١ ، وكذلك وزارة الخارجية ١/٤٠١ ص ص ، ٤٩٧ - ٩ ، من كاميرون الى راسل ، ٣١ مارس ، ١٨٦٣ ، ليجيان ، النائ ص ص ٤٣٥ - AEMD٤١ ، أفريك ٦١ ، ملفات ٤٢٨ - ٩ ، من ليجيان الى دريون دى ليهويس ٧ يناير ١٨٦٤ ، AECP ، مصوع٣ ملفات ١٤١ - ٣ من ليجيان الى دريون دى ليهويس ١١ مايو١٨٦٣ مع خطاب مرفق من أربعة زعماء من بوجوس يشكرون فيه نابليون الثالث على تدخله .

وكانت ثمة تطورات مماثلة الى حد ما ولما حدث فى بوجوس على وشك الظهور فى باريا وكوناما (بازين) مع وصول البعثات التبشيرية السويدية الى هناك فى عام ١٨٦٦ . واكتشفت تلك البعثات ان هذه القبائل تابعة لاثيوبيا ، والواقع أنهم اصطحبوا معهم أحد جامعى الضرائب الاثيوبيين وأشخاص من كوناما أثناء رحلتهم الأولى اديابو للحصول على تصريح من ولد صادق ميراتسن كى تبدأ بعثتهم فى ممارسة عملها . ولاحظوا مع ذلك أن سكان باريا كانوا من المسلمين وتابعين لكل من الحبشة وتركيا ، وانهم كانوا يتوقون لوصول الأوروبيين لتحريرهم من الظالمين ، لانهم كانوا يتعرضون بشكل مستمر للسلب والنهب على أيدى الأتراك بشكل خاص ، الذين كانوا يكرهونهم كراهية شديدة ، وكانوا يعتقدون أن المساعدة لابد وأن تأتى من أوروبا[٣] ، وتم الإعراب عن هذه الأمال من خلال الطلبات التى تقدمت بها القرى من شتى الأنحاء : « لتأتوا إلينا وتظلوا معنا لعدة أيام الى أن يرجع الاتراك الى ديارهم مرة أخرى ، ولانسالكم اكثر من ذلك ، تعالوا ، تعالوا » . وفى احدى المناسبات ، قامت بعض قرى كوناما ، التى كانت تخشى هجمات قبيلة الجادن ، وهى احدى القبائل المجاورة الخاضعة للحكم التركى ، بابلاغ المبشرب . أ . كجيلبرج : « كل ماعليك هو أن تبقى هنا معنا ، وحينما يسمعون بوجود أحد الفرنجة معنا ، فلن يأتوا »[٤] .

وقد أخفق المبشرون فى الفوز حيث كانوا موزعين بين تلك الآمال وبين مطالب المسئولين المصريين فى قفط وكسلا بأن يقوموا بدور جامعى الضرائب لصالح مصر وذكروا فى تقاررهم ان يحالون اتخاذ موقف محايد ، ويكتفون مشيرين على سكان القرى بدفع ضرائبهم لأية حكومة يعترفون بها ، ويتوسطون متى كان ذلك متاحا نيابة عنهم لدى كل من اديابو وقفط . وحينما قام المصريون فى النهاية بغزو كوناما فى ديسمبر ١٨٦٩ ، لم يستطع المبشرون منع الغزو ، ان اضطروا للتخلى عن عملهم والعودة الى مصوع[٥] .

---

(٣) MT ، ١٨٦٦ ، ص ص، ٦٥ - ٨ ، كارلسون ، ١١ يونية ١٨٦٦ ، وكذلك ١٨٦٧ ، ص ص ١٠ - ١١ ، كارلسون ، ٥ سبتمبر ، ١٨٦٦ ، ص ص ، ١١ - ١٣ ، كجلبرج ، سبتمبر ١٨٦٦ ، ص ص ، ١٣ - ١٤ ، لانج ، ١ نوفمبر ، ١٨٦٦ . أنظر أيضا وزارة الداخلية، مراسلات الحبشة الأصلية ٢ ، ص ص ٣٨١ - ٧ ، من مونزينجير الى روسيل ، ٥ يناير ١٨٦ .

(٤) MT ، ١٨٦٨ ، ص ص ، ٢٦ - ٧ ، كيجيلبرج ، ٢ ديسمبر ١٨٦٧ ، انظر أيضا ص ص ، ١٨ - ١٩ ، انجلوند (٢ ديسمبر ١٨٦٧) ص ص ٦٩ - ٩ ، لاجير ٣١ يناير ، ١٨٦٨ ، تحدث مونزينجير، الذى زعم أنه أول اوروبى يزور كوناما وباريا ، فى ديسمبر ١٨٦٠ ، عن نفس الاتجاه من جانب السكان - انظر كيلر - زينتشوك ، مونزينجير ، ص ص ٢٠ - ٢ .

(٥) MT١٨٦٧ ، ص ص ، ٧٦ - ٧ ، ٩٠ - ٣ ، كارلسون ، ١٣ يوليو ١٦ سبتمبر ، ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ ص ٩٢ كيجيلبرج ١٨ اغسطس ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ص ص ١٨ - ١٩ ، انجلونر ، (٢ ديسمبر ١٨٦٧) ص ص ، ٦٥ - ٦ ، كيجيلبرج ، ١٥ مايو ١٨٦٨ ، ص ص ٧٨ - ٩ ، انجلونر ، ٢٠ يناير ١٨٦٨ص ٩٢كيجيلبرج ١٨ اغسطس ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ص ص ٤٣ - ٥ لوند هولم ، ١٠ فبراير ، ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ ، ص ص ٤٤ - ٦ ، انجلوند ١١ يناير ، ٤ مارس ، ١٨٧٠ ، برغم أن المبشرين فى هذه المنطقة يرجعون رحيلهم الى خيبة الأمل وعداء السكان المحليين

وحينما أشار مونزينجير على المبشرين السويديين بالتوجه الى باريا وكوناما ، وتقديم الدعم لهما هناك ، ربما كان يأمل فى زيادة النفوذ الأوروبى ، أى نفوذه الشخصى بمعنى آخر ، من خلال توسيع المنطقة العازلة بين مصر وأثيوبيا الى الغرب من بوجوس[٦] ، بيد أن الوقت كان يمضى سريعا ، ولم يتلق سوى القليل للغاية من الدعم ، فبريطانيا لم تعد ترغب فى المزيد من أثيوبيا ، وفرنسا كانت على وشك أن تتم هزيمتها على أيدى بروسيا ، والسويد لم تكن قوة استعمارية ، وكانت الامبريالية المصرية ، وليس الأوروبية ، على وشك القيام بأول محالة حقيقية للقضاء على استقلال أثيوبيا .

ولم يكن أمام الامبراطور يوهانيس سوى فترة قصيرة لتجربة القوة مع مصر ، ففى الفترة بين ١٨٦٨ و١٨٧٢ ، كان محورانتباهه منصباً بالدرجة الأولى على النضال من أجل التاج الامبراطورى ، فقد كان فى حاجة للسلام وإقامة علاقات طيبة مع مصر لكى يحصل على أسقف جديد لاثيوبيا - ومن أجل عملية تتويجه ، كما شاعت التقارير المصرية التى تقول أنه يسعى بالفعل للحصول على دعم عسكرى لمواجهة تيكل جيورجيس ، غير أن هذه التقارير ربما استندت الى ما كان يتمناه المسئولون المصريون أكثر من استنادها الى الواقع[٧] ، ولا ينبغى التعويل حرفيا على رده المزعوم على مونزينجير فى ١٨٦٩ بأنه يفضل غزو الأتراك على غزو البعثات التبشيرية الفرنسية[٨] ، اذ كان يوهانيس يدرك تمام الادراك أن نشاطات مصر فى منطة ساحل البحر الأحمر وفى أماكن أخرى تمثل تهديداً خطيراً ، وان الدفاع عن الأراضى الاثيوبية سيقع أساسا على كاهله . وقد أبدل حاكم هيماسين التابع لتاودروس ، ديجزماك هولو ، بولد ميكائيل لانه كان يشك فى أن هولو كان قد يتأثر بالنفوذ المصرى[٩] . ودعا حاكم اديابو الى عدوه للتشاور معه بشأن الأوضاع فى القطاع الذى يشرف عليه من الحدود[١٠] .

الذين عجزوا عن حمايتهم ، فقد أبلغ المبشرون الجدد الذين وصلوا الى كسلا بعد ذلك بعدة شهور لدعم المجموعة بأن حاكم تاكا أمر بطرد الأوروبيين (MT ، ١٨٧٠ ، ص ص ٦٦ - ٧ ، أهبورج ، ٨ يوليو ١٨٧٠) ، وقد تأكد بعد ذلك أن الحكومة المصرية لم تكن راغبة فى وجود المبشرين فى كوناماMT ، ١٨٧١ ، ص ص ، ٨٣ - ٤ ، هدنستروم ، ١٠ سبتمبر ١٨٧١) وكلا التفسيران لاينفى أحدهما الآخر بالطبع . .

(٦) MT ، ١٨٦٦ ، ص ص ٦٥ ـ ٨ ، كارلسيون ، ١١ يناير ١٨٦٦ ، وخطابات أخرى للبعثة التبشرية وردت فى المرجع السابق .

(٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٠٨ ـ ١٠ .

(٨) AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٢٧٥ ـ ٧ ، من مونزنيجر الى لاتوردى أوفران ـ لوراجوز ، ٨ أغسطس ١٨٦٩ .

(٩) أنظر دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ١ ص ص ٣٧٥ ـ ٦ ، ٤٠٧ ـ ٨ ، ولمعرفة المزيد عن اتصالات هولو بالمصريين فى أواخر عام ١٨٧٦ وتصرفات كاسا ضده ، ربما فى يوليو من العام التالى ، انظر أيضا BN ، أثيوبيا ، ٣٠٠ ،ملف ٣ ، من كاسا الى مونزنيجر٢٦ يوليو ، ١٨٦٨ .

(١٠) MT ، ١٨٦٩ ، ص ١١ ، كجيلبرج ، ٢٤ أكتوبر ،١٨٦٨ .

وكان الخديوى اسماعيل يأمل بلا شك بتحقيق قدر أكبر من الاستفادة من الحملة البريطانية وسقوط تاودروس أكثر مما استفاده بالفعل ، فقد كان قطاع كلابات من الحدود يخيم عليه الهدوء نسبيا عقب حملة موسى فى ١٨٦٣ ، غير أن الخطط الخاصة بإقامة حصن منيع فى قفط فى عام ١٨٦٥ والنشاطات التى كانت تجرى على طول سواحل البحر الأحمر بعد أن تولت مصر مرة أخرى زمام الأمور فى مصوع كانت بمثابة علامات لا تخطئها العين على ولادة السياسات التوسعية لنظام حكم محمد على[١١] .

ولم يشهد مدى وضوح ذلك سوى مونزنيجر . وفى ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩ كان مهتما بالتهديد الذى تتعرض له أثيوبيا بقدر اهتمامه بالامبراطور يوهانيس امبراطور المستقبل ، ففى تقرير بعث به فى يناير ١٨٦٩ للحكومة الفرنسية ، عرض آراءه ومخاوفه فيما يلى :

« ربما تعدل السياسة المصرية من موقفها أو تتوقف عن نشاطها ، ولكنها لن تتغير ، إذ ان وجود دولة حبشية كاثوليكية ، مع وجود إدارة منظمة وجيش ، وصديق للقوى الأوربية ، يمثل تهديدا لمصر ، ومن ثم يتعين عليها إما أن تستولى على اثيوبيا وتحويلها الى الاسلام أو تركها كما هى لتعانى من البؤس والفوضى »[١٢] .

وكدليل على سياسة الإخضاع ، أشار مونزنيجر فى تقاريره الى أن الحاكم المصرى قد اتصل بزعماء هيماسين ومنيسا ليجعل من نفسه « حاميا » لهم اليوم وسيدا عليهم فى الغد ، وعلى أى حال كان مونزنيجر ، يشعر بقلق بالغ إزاء ما يقوم به المصريون من نشاطات فى أقصى الغرب ، وشجب مشروع إقامة خط تلغراف كان مزمع تنفيذه ليربط بين كاسلا ومصوع عن طريق قفط باعتباره مجرد خدعة لإيجاد ذريعة لضم بوجوس مع عاصمتها كيرين .

بالإضافة الى ذلك ، يقوم المصريون ، بعد أن تخلوا عن مصوع (كقاعدة) معرضة بدرجة كبيرة للمراقبة ، ببناء حصون فى قفط . . . ويحشدون القوات والمؤن هناك ، فهل يفعلون ذلك لكى يخضعوا البلاد التى بحوزتهم بالفعل ، وهى باريا وباركا ؟ كلا . . . فالحكومة تدرك أن وجود طريق ممهد للجمال يربط بين قفط وادبابو ، هو الطريق الرئيسى المؤدى الى تيجرى ، وهى تعتمد على الحبشيين أنفسهم ، من خلال ما يشنونه من غارات ، لتهيئة الفرصة (للدخول) ومعاقبتهم فى وطنهم . وعلاوة على ذلك ، فإن قفط قريبة للغاية من كيرين ، المركز الرئيسى على الطريق بين تاكا ومصوع[١٣] .

---

(١١)انظر المرجع السابق ، ص ص ، ٢٢٢ ، ٢٥٠ ـ ١ ، ٢٥٨ ، بالنسبة لقفط ، ديون ، اسماعيل ٣ ، ١ ، ص ، ٢١٩ .

(١٢) AECP ، مصوع ٣ ، مونزنيجر الى لافاليت ، ٢٩ يناير ١٨٦٩ .

(١٣) مرجع سابق . دافع مونزنيجر فى ١٨٦٥ من حجج مماثلة تتعلق باحتلال بوجوس (AECP مصوع ٣ ، ملفات ١٨٤ ـ ٩٠ ، من مونزنيجر الى دريون دى ليوس ، ٢٣ ديسمبر ، ١٨٦٥) ، انظر المرجع السابق ص ، ٢٥٠ .

وفى ديسمبر ١٨٦٩ ، تحققت نبوءة مونزنيجر بأن المصريين سيقومون بغزو كوناما[١٤] ، وخلال عام ١٨٧٠ واصل حاكم مصوع توثيق روابطه بزعماء المناطق الرئيسية ، بمن فيهم من المسلمين والمسيحيين على حد سواء[١٥] ، وفيما يتعلق ببوجوس ذات الموقع الاستراتيجى ومطمع الجميع ، كان نصيب مونزنيجر نفسه أن يقوم بتنفيذ خطط احتلالها التى كان قد نسبها الى الخديوى ، وإذا كانت بوجوس هى المفتاح الاساسى للنزاع المصرى الأثيوبى ، فقد كان مونزنيجر هو الشخصية الأساسية فى هذا النزاع . والواقع أن قراره بالدخول فى خدمة مصر هو العامل المحدد الأول فى خلق اريتيريا . فبدلاً من حماية المصالح الأوروبية ضد مصر وأثيوبيا ، وأحيانا حماية المصالح الاثيوبية فى مواجهة مصر ، أصبح مونزنيجر أداة للتوسع المصرى . وبدلاً عن الموافقة الضمنية التى سعى اسماعيل للحصول عليها من الحكومة الفرنسية مقابل التعهد بالسماح للبعثة الكاثوليكية بمواصلة العمل[١٦] ، سنحت له الفرصة للعمل من خلال الشخص الذى يمثل النفوذ الأوروبى فى المنطقة أكثر من أى شخص آخر .

وقد تلقى مونزنيجر أمر تعيينه كحاكم لمصوع فى الثالث والعشرين من ابريل عام ١٨٧١ . وبعد شهر واحد كان جاهزاً بمشروعه الذى تقدم به الى القاهرة لضم مقاطعات بوجوس وهلهال ، وماريا ، التى لا يخضع سكانها لاثيوبيا الا لخشيتهم من تعرضهم للسلب والنهب كما يزعمون . فإذا كانوا يرغبون فى الإنطواء تحت لواء الحكم المصرى ، أفلا ينبغى تشجيعهم على ذلك ؟ كما رأى مونزنيجرانه يستطيع أن يقدم لاسماعيل سكان هامسين ، الذين سيسعدهم للغاية أن يسمح لهم بالإنتقال الى مصر والعيش فيها كرعايا مصريين فى حباب وبركا ، وقد حدث ذلك تماما تقريبا مع أكيل جوزاى . وستكون أفضل فرصة مواتية للعمل حينما يهاجم تيكل جيورجيس كاسا . وعندئذ ستنتهز مصر على الفور مزية الموقف لتدعيم حدودها ويصبح لها موطىء قدم فى « بوجوس على الاقل وتوابعها » ، التى كانت ، حسبما يقول مونزنيجر ، ذات أهمية بالغة لتدعيم الحكم المصرى لتاكا[١٧] ، وهنا نرى أن مونزنيجر إنما يدافع عما أدان اسماعيل بالتخطيط له إدانة شديدة قبل عامين .

---

(١٤) انظر المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(١٥) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ص ص ، ٣١٧ ـ ١٨ . الزعيم المسيحى الذى ورد ذكره هو ميكونين ، ابن ولد ميخائيل الذى خلع وسجن ، الذى رفع السلاح فى وجه كاسا (يوهانيس) ، غير انه يتردد انه هُزِمَ فى مايو ١٨٧١ (AECP ، مصر ، ٤٩ ، ملفات ٤٣٧ ـ ٨ ، من مونتموراند الى فاقر ، ١٥ يوليو ١٨٧١) .

(١٦)AECP ، مصر ٤٥ ، ملفات ٢١٢ ـ ١٥ ، من بوجاد الى لافاليت ، ١٧ مارس ١٨٦٩ ، مصر ٤٦ ، ملفات ٣٣٥ ـ ٨ ، من تريكو الى لاتوردى أو فرجن ـ لوراجوز ، ١٥ أكتوبر ١٨٦٩ .

(١٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٢١ ـ ٤ ، نقلا عن مذكرة لمونزنيجر ، بتاريخ ٢٥ مايو ١٨٧١ . ويتحدث مونزنيجر فيها صراحة الى المبشرين السويد عن نوايا الترك فى احتلال الحبشة واعادة السلام إلا إذا نجح كاسا او جونبره فى أن يكون لهما اليد العليا وأن يعيدا النظام (MT ، ١٨٧١ ، ص ٦ ، لوند أهل ، ٢٠ يناير ١٨٧١) .

ومع ذلك فقد ضاعت هذه الفرصة الذهبية حينما قام كاسا بهزيمة تيكل جيورجيس هزيمة حاسمة وغير متوقعة فى يوليو ١٨٧١[١٨] . وظهرت أزمة جديدة بالنسبة للبعثة الكاثوليكية كنتيجة عاجلة لإنتصار كاسا . حيث تم إكتشاف خطاب فى معسكر تيكل جيورجيس من رئيس البعثة الكاثوليكية ، مجرج ، توفير ، وعلم به كاسا . ووصفه اليكابير بأنه خطاب « سيىء للغاية » . وقال نائب القنصل إرنست دى سرزاك . الذى أطلعه يوهانيس على الخطاب حينما قام بزيارة عدن لأول مرة فى ديسمبر١٨٧٢ ، أن الأسقف حث تيكل جيورجيس على مهاجمة كاسا ، ووعده بأنه سيدعمه أثناء الحرب[١٩] .

وأصدر كاسا أوامره بخروج المبشرين من أكيل جوزى وبوجوس ، وعانى الكاثوليك الاثيوبيون من الاضطهاد الشديد . وفى هذا الموقف يتفق « توفير » مع « مونزنيجر » على أنه كان يتعين على السكان الكاثوليك ان يطلبوا رسمياً من مصر حمايتهم ، وبمعنى آخر ، الحماية من مونزنيجر نفسه . ويتردد أن ذلك قد حدث من خلال أحد ممثلى أكيل جوزى باسم أهل بلده ، ومن البديهى أن مونزنيجر كان مسروراً لقبول هذه المهمة نيابة عن الحكومة المصرية . وبرغم تأكيده على أنه كان رافضاً لتلبية هذا المطلب ، فقد توسل « توفير » الى الحكومة الفرنسية حتى لا تمنع التوسع المصرى ، وأن تستخدم بدلا عن ذلك نفوذها لإقناع الخديوى بقبول العرض الذى تقدم به رعايا جدد[٢٠] .

ولم يكن « هاسن » مقتنعا بأن الكاثوليك سيصيرون الى حال أفضل تحت الحكم المصرى . وعلى أية حال فقد حاول اقناع الحكومة الفرنسية بإرسال حملة عسكرية لخلع كاسا واحتلال البلاد . وكان يرى أن ذلك لن يكلف شيئا وستكون مهمة يسيرة ، ويكفى ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ رجل للإطاحة بكاسا ، وان الزعماء المتمردين فى أقاليم الحدود مثل كاسا جولجا « أبا كاسى » سيعملون على إثارة

(١٨) انظر المرجع السابق ص ، ٢٧٠ ..

(١٩) AECP ، مصر ، ٥٠ ، ملف ، ٣٣٣ ، من بيرو الى هاسن ، ٢٠ اكتوبر ١٨٧١ ، مصوع ٣ ، ملفات ٣١١ - ٢٨ ، من سرزاك الى ريموسات ، ١٧ يناير ، ١٨٧٣ ، وزارة الخارجية ٩٥ / ٧٣١ ، ارقام ١٤٣ ، ١٤٤ ، من يوهانيس الى فيكتوريا والى جرانفيل ، ١٣ أغسطس ١٨٧٢ ، وكذلك خطاب الى رئيس تحرير هومورد ميل ، يونية ١٨٧٢ ، كتبه كيركلم نيابة عن يوهانيس (AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملفات ١١٣ - ١٤) . أنكر توفير أن فحوى خطابه اشار الى البعثة ، غير أن كلا من هاسن ومونتموراند AECP ، مصر ٥٠ ملفات ٣٣٠ - ٤) مقتنعان فيما يبدو بأن المبشر قد فعل فعلة حمقاء خطيرة والواقع أن توفير قام بدور الوسيط حينما كتب تيكل جيورجيس الى نابليون فى يوليو ١٨٧٠ (انظر المرجع السابق ، ص ٢٧٤) . وفيما يتعلق بالبعثة الكاثوليكية أثناء عهد يوهانيس ، أنظر أليم إيشت ، البعثة الكاثوليكية .

(٢٠) AECP ، مصر ٥٠ ، ملفات ١٤٥ - ٥ ، من توفير الى مونتموراند ، ٢٤ أغسطس ١٨٧١ ، ملفات ١٤٦ - ٨ ، من هاسن الى مونتموراند ، ٢٥ أغسطس ١٨٧١ ، ملف ١٠٠ ، من مونتموراند الى ريموسات ٢٩ أغسطس ١٨٧١ .

الرجال وحشدهم ، إذا قامت فرنسا بتسليحهم[٢١] . وعلى أية حال كانت الحكومة الفرنسية مهتمة بعدم التورط فى أية مغامرات ، برغم أنها كانت مستعدة تمام الاستعداد لإستفزاز المصريين للقيام بتدخل مباشر مع الأمير كاسا - لصالح المبشرين[٢٢] .

وبرغم أن كلا من مونزنيجر وهاسن ربما بالغا فى تقاريرهما ، فليس ثمة ريب فى أنه كان هناك الكثير من المؤامرات والعصيان والنهب الذى كان يجرى فى اقليم هامسين وفى غيره من مناطق الحدود قبل ، وبعد انتصار كاسا على تيكل جيورجيس ، وتنافس أعضاء الأسرتين الحاكمتين وهما أسرتى سبى أزيجا (ديجزماتشه هايلو) وهازيجا (ديجزماتش ولد ميخائيل) على السلطة والمكانة مع بعضهما البعض كما تناقشا مع كاسا جولجا والحكام الموفدين من عدوة ، وكان بعض هؤلاء الزعماء على اتصال بمونزنيجر وهاسن ، اللذين رأيا انه يمكن استخدامهم ضد كاسا[٢٣] ، أما القنصل العام الفرنسى فى مصر فلم يكن يثق ثقة تامة فى ذلك[٢٤] . بالإضافة الى ذلك ، كانت مصر أيضا تواجه مشكلات فى المنطقة ، حيث تردد أن النائب محمد عبد الرحيم يجرى اتصالات مريبة مع الزعماء المسيحيين ويستغل وظيفته فى تحقيق مكاسب غير مشروعة ويجمع الضرائب دون أن يسلمها الى الحكومة المصرية[٢٥] ، وبعبارة أخرى كان المسرح مهيأ تماما للتدخل الأجنبى . وبشكل أساسى ، كان هناك أثيوبيا فى الجانب الأول ، ومصر وأوروبا ، يمثلها مونزنيجر والبعثة المسيحية ، فى الجانب الآخر .

وكانت الخيارات التى عرضها مونزنيجر على اسماعيل تنحصر فى استخدام القوة ضد كاسا أو الإلتزام باللامبالاة وانتظار تدخل فرنسا لدعم الحرية الدينية ، ونظرا لان مونزنيجر لم يكن يتوقع فى الحقيقة تدخل فرنسا فى ١٨٧١ ، فلابد أنه كان يهدف من وراء البديل الثانى أن يدفع اسماعيل الى قبول الخيار الأول ، وحتى يتأكد من أن الخديوى لن يضيع الفرصة ، اقترح مونزنيجر أن ألف رجل

٢١ - مرجع سابق ، ملفات ١٨٦ ، ٢٤٤ - ٧ ، من هاسن الى مونتموراند ، ١٠ سبتمبر ، ٣ أكتوبر ١٨٧١ .

(٢٢) AECP ، مصوع ٣ ، ملف ٣١٠ ، من جرامونت الى مونزينجير ، ٢٨ يونية ١٨٧١ ، مصر ، ٥٠ ، ملف ٣٢٩ ، من ريموسات الى مونتموراند ، ٩ ديسمبر ١٨٧١ ، ENA ، الحبش ، جريدة ١/٩/٢٠ ، من مونتموراند إلى اسماعيل ، ١٩ - ٢١ ، أكتوبر ١٨٧١ .

(٢٣) بالإضافة الى دوين ، أنظر اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٢١ - ٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، أنظر رسائل اخرى من هاسن الى مونتموراند ، ١٢ يناير ١٨٧١ - ا فبراير . ١٨٧٢ ، فى AECPمصر ٤٩ - ٥٠ ورد ذكره فى أماكن اخرى ، وكذلك ١٨٧١MT ، ص ص ، ٤٣ - ٤ ، ٥٩ ، ٧٦ - ٧ ، لاجير ، ٢١ مارس ، ٢٥ مايو ، ٣ أغسطس ١٨٧١ ، كان صمويل جيورجيس ، الذى كان يعتقد أن كاسا كان يعامله معاملة ظالمة (وزارة الخارجية ، مراسلات الحبشة الاصلية٣ ، ملفات ٧٦٨ - ٧٠ ، من صوميل إلى راسام ، غير مؤرخ ، ولكن ربما يرجع إلى ١٨٧٠) ، واليكابيرو متورطان أيضا فى هذه المؤامرات .

(٢٤) AECP ، مصر ٥٠ ، ملفات ٢٣٨ - ٤٣ ، من مونتموراند الى ريموسات ، ٦ نوفمبر ، ١٨٧١ .

(٢٥) ENA ، سودان ، كارتون ٧/٣ ، من أحمد ممتاز الى اسماعيل ، ١٥ أبريل ١٨٧١ وعلى وجه الدقة كان هذا الخطاب موجه الى مهردار (حامل الأختام أو السكرتير الأول) الخديوى . وان لم يرد ذكر اسم هذا المسئول فى الوثائق ، فسأوردها على أنها موجهة الى اسماعيل .

من القوات الفرنسية سيكونون بمثابة قوة كافية لتدمير كاسا : « وفى هذه الحالة ، سيكون موقفنا أكثر صعوبة مما كان عليه الحال أثناء وجود البريطانيين ، الذين كان هدفهم أقل شأناً ، ولذا يبدو لى أنه من المهم للغاية وأد هذه المضاعفات فى مهدها[٢٦] . ولم يكن للبريطانيين مطمع سوى تحرير الأسرى وكذلك تاودروس نفسه ، إذا سنحت الفرصة لذلك ، وكان تاودروس قد وقف عاجزا عن مواجهة خصومه الرئيسيين طوال ما يقرب من ثلاث سنوات ، ولذلك أنزل البريطانيون حملة من ٤٢ ألف رجل[٢٧] . والآن كان مونزينجر وهاسن يتحدثان عن ألف - ألفين من الرجال لمعاقبة كاسا المنتصر ، واجبار سكان أثيوبيا على اعتناق عقيدة يعتبرونها غريبة عليهم ، وترسيخ شكل من أشكال النفوذ الدائم .

وكانت قصة البداية الحقيقية للغطرسة الأوروبية - المصرية والاستخفاف القاتل بأثيوبيا ، هى : الكثير من الأهداف الطموحة ، وقدر ضئيل من الوسائل المتاحة لتحقيقها .

وقد اغتنم اسماعيل الفرصة وأرسل خطابا يعبر فيه عن الود والصداقة مع بعض الهدايا بمناسبة إعلان كاسا انتصاره على تيكل جيورجيس مما شجعه على التدخل نيابة عن البعثة الكاثوليكية ، برغم إداركه أن استخدام القوة المسلحة ضد كاسا لن يتطلب ان تحظى بموافقة أوروبا ، والواقع أن الخطاب كان بمثابة تنازل كبير ، وكان ينطوى على تهديدات خفية : إن قوى عظمى كثيرة تؤمن بالعقيدة الكاثوليكية ، وينبغى التفكير فيما آل إليه مصير تاودروس وكاتب الرسالة يجد نفسه ملزما بمساعدة اللاجئين الكاثوليك إن لم تتحسن الأوضاع[٢٨] وقد ألقى مونزينجر مرةأخرى بتلميحاته فى وجه كاسا ، وهى انه ربما كان عليه ان يواجه مصير تاودروس[٢٩] .

ولايبدو أن رد كاسا ، الذى تم تتويجه امبراطوراً وخلع عليه اسم يوهانيس فى يناير ١٨٧٢ ، على رسالة اسماعيل كان له أى اعتبار . كما انه لايمكن الجزم بما إذا كان الرد كان له أى دور فى قرار اسماعيل بتحويل الكلمات الى أفعال ، ففى الثالث من مارس ، دعا الخديوى مونزينجر للحضور الى القاهرة للتشاور معه « شفاهة » بشأن مسائل محددة و « دقيقة »[٣٠] ، وكان من بين تلك المسائل بالتأكيد احتلال ابو جوس ، لانه بعد ذلك بأسابيع ثلاثة تلقى مونزينجر أمره بضم هذا الاقليم أو مجموع سكانه . وألفاظ هذا الأمر الواضحة والفظة تشير الى مدى حساسية المسألة :

---

(٢٦) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ، ٣٢٩ ، رسالة مونزينجير ، ٢٥ أغسطس ، ١٨٧١ .

(٢٧) أنظر المرجع السابق ، ص ، ٢٥٦ .

(٢٨) دوين ، اسماعيل، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٠١ - ٣ ، من اسماعيل الى كاسا ، ٢٦ نوفمبر ، ١٨٧١ من الـENA ، سجل ١٣٤٢ ، أوامر عليا ، ص ، ٢٩ .

(٢٩) أنظر المرجع السابق ، ص ، ٢٨٢ .

(٣٠) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ، ٣٣٧ ، تردد أن مبعوث اسماعيل كان فى طريقه الى القاهرة فى ٢٦ فبراير ١٨٧٢ (AECP مصر ٥١ ، ملفات ١٩٤ - ٥ ، من هاسن الى مونتموراند) وليس فى ٢٦ مارس كما قرر دوين (ص ، ٣٣٧ ، ملحوظة ٢ . ومن ثم ربما يكون قد وصل القاهرة قبل أن يكتب اسماعيل الى مونزينجير فى ٣ مارس ، ١٨٧٢

« وبما إنك أبلغتنا شفاهة ان سكان قبيلة بوجوس يتقدمون اليك بطلبات يتوسلون فيها لكى تقوم الحكومة بضمهم . . . فليس لدينا مانع من تلبية رغبتهم فى (العيش) تحت رعاية الحكومة . وبلغك بهذا الأمر لتنفيذ ما جاء فيه »[٣١] .

وأثناء وجود مونزينجير فى القاهرة ، جاء تقرير من حاكم تاكا يُفيد أن زميله الاثيوبى فى أديابو أغار على قريتين من قرى بازن وجمع ضرائب من قرى أخرى ، وفى ضوء هذه الظروف - ظروف عزم مونزينجير على ضم بوجوس وأمر باستدعائه الى القاهرة - من المحتمل أن هذا التقرير كان له دور ما فى القرار الخاص ببوجوس ، وعلى أية حال ، فقد دفع اسماعيل لكى يكتب على الفور رسالة جديدة ليوهانيس ، يعرض فيها على الملك الإختيار بين أن يقوم بنفسه باعتقال حاكم اديابو ومعاقبته ، أو الإعتراف بأن هذا الحاكم غير خاضع لسلطانه ، وفى هذه الحالة سيرسل اسماعيل قواته[٣٢] للقيام بذلك . ونظرا لان يوهانيس لا يعتبر اديابو وحدها جزءاً من الأراضى الاثيوبية بل كذلك بازن (كوناما) وباريا ، فلم يسعه إلا أن يعتبر ذلك بمثابة تدخل جديد فى شئون بلاده الداخلية من جانب حاكم مصر[٣٣] .

وأثناء عودة مونزينجير إلى مصوع ، قام بالإستعداد لاحتلال بوجوس . وعلى حين فجأة لم يبد على وجه التأكيد أن السكان كانوا راغبين بالفعل فى أن يصبحوا رعايا مصريين ، وتحدث مونزينجير عن إجراء لقاء تمهيدى مع ممثل عن كسيوة ماريام ، والبيلن[٣٤] ، وعن التخطيط لإجراء مقابلة مع زعمائهم ، وكان على ثقة تامة بأنهم سيطالبون المصريين بحمايتهم وكان يأمل(!) ان تحلو بوجوس حلوهم ، وحث الخديوى على أن يرسل اليه تعزيزات مكونة من ٨٠٠ رجل فى

---

(٣١) ENA ، سجل ١٩٣٩ ، أوامر عليا ، ص ٢٩ ، من اسماعيل الى مونزينجير ، ٢٥ مارس ١٨٧٢ ، دوين اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ، ٣٣٨ ، طبقا لفرانز هاسن (AAPA,IB,g ابسينين ١ ، الى رامسانر (؟) ٨ يوليو ١٨٧٢) ، كان بيروولد جيورجيس قد أصبح آنذاك خائنا ونصح اسماعيل بإتخاذ إجراء لأن حاكم هاسن ، ديجزماتش جبرو ، كان مع يوهانيس فى جنوب تيجرى .

(٣٢) مرجع أسبق ، ص ٣٢

(٣٣) أنظر المرجع التالى ، ص ٢٩٧ .

(٣٤) ان استخدام بيلين من أجل قبيلة من خارج بوجوس يثير الحيرة . س ف . دوين اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٤٣ . وهو مصطلح لغوى فى المقام الأول ، يستخدم عادة عند الاشارة الى سكان بوجوس الذين يتحدثون لغة أجيو . وتستخدم احيانا اليوجوس كمرادف لكلمة البيلين ، ولكنها عادة لها دلالة جغرافية . وقبيلتا البيلين الرئيسيتان هما البت نكيو ، والبت جبرتيول ومن المحتمل أن مونزينجيز يستخدم كلمة البيلين هنا أشارة للمنطقة الشمالية ويغلب عليها مسلمو البت تيكو ، وبوجوس إشارة الى الجنوب ، التى يغلب عليها المسيحيون فى بث جبرتيرك ، الذين كانوا يسكنون فى كيرين والمناطق المحيطة بها ، وهى المركز الرئيسى للمنطقة كلها ، بما فى ذلك الاحياء المجاورة فى ماريا وكويه (الأحمر) وسيلم (الاسود) والمنسا والجماعات العرقية الأخرى الأقل شأنا . انظر تريمنجهام . السلام ، ص ص ١٥٣ - ٦٨ ، لمعرفة التركيب القبلى شمال وسط أرتيريا .

الحال من أجل احتلال المنطقة وبناء حصن فى كيرن . وكان مونزينجير مدركا تمام الادراك لما يفعله ليحذر سيده بأن عليهم أن يتوقعوا هجوماً مضاداً من أثيوبيا[٣٥] .

واستمرت محاولات مونزينجير لكسب ود زعماء المنطقة طوال شهرى مايو ويونية ، بنجاح تام تقريبا . وفقا لما جاء فى تقريره . وبعد أن وصلت اليه التعزيزات ، سلك طريقا جانبيا عبر حباب التمررا ايام شمالى مينا ، ووصل كيرين فى الرابع من يوليو دون أن يلقى أية مقاومة[٣٦] . ولابد وانه كان متكتماً للغاية للغرض من حملته أو أنه طلب من أصدقائه الأوروبيين ألا يبوحوا بشىء عنها . وبريدلو ، الذى وصل مصوع ومعه خطاب وهدايا من فيكتوريا الى يوهانيس قبل أيام قليلة من رحيل مونزينجير لم يسعه إلا أن يكتب تقريرا يقول فيه ان الحاكم توجه الى المنطقة الداخلية وبصحبته ما يقرب من ألف رجل وتقول الشائعات ان بوجوس هى وجهتهم الأخيرة ، ولم يتطوع المبشرون السويديون للادلاء بأية معلومات عن الحملة[٣٧] .

أعلن مونزنيجر بأنه كان يود متابعة السير على الفور واحتلال هماسين « مفتاح الحبشة » كما يسميها ، ولكنه أدرك انه لن يستطيع القيام بذلك بدون أمر من القاهرة أو قيام الاثيوبيين بهجوم مضاد . وقد جاء فى تقريره ، على أية حال ، انه قد وعد بعض المبعوثين من الاقليم بانه سيحتلها فيما بعد[٣٨] . وعلى القطاع الغربى من الحدود ، كانت الحامية المصرية فى قفط تتجه نحو الجنوب لتواصل التقدم الى أميدب على الحدود المباشرة لكوناما أو بازن[٣٩] .

وكان يوهانيس مستعدا بالكاد للعدوان المصرى فى ١٨٧٢ . وبرغم انه تم تتويجه فى أكسوم فى يناير ، إلان حكام بيجمدير وجوجام ، وشوا لم يكونوا قد أعلنوا بعد إذعانهم لسلطانه ، هذا بالاضافة الى ما كان يواجهه يوهانيس من مشكلات مع بعض حكامه فى تيجرى ، وكان منشغلا

---

(٣٥)ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، ملف ٥/٧٣/١٢٠ ، من مونزينجير الى اسماعيل ، ٢٦ أبريل ، ١٨٧٢ . سجل ١٨٥٩ ، مايانسيج ، ص ٩٠ ، من مونزينجير الى مايا ، ٢٣ مايو ١٨٧٢ ، ص ف . دوين . اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ، ٣٤٠ .

(٣٦)ENA ، السودان ، صندوق ٧/٣ ، من مونزينجير الى اسماعيل ، ٢٢ يونيه ، ١٤ يوليو ١٨٧٢ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣/٣٤١ .

(٣٧)وزارة الخارجية ٢٧/١ ب ، ملفات ٥٨ - ٩ ، من نابيير إلى جرانفيل ، ٣ أكتوبر ، ١٨٧٢ ، مع مقتطفات من خطاب كتبه بريدلو ، MT ١٨٧٢ ، ص ٨١ ، حيث يعلق محرر البحث للمرة الثانية على حقيقة أى المبشرين لم يكن لديهم شىء ليقولوه بشأن الحملة ، برغم ما كتب من خطابات وصلت فى أواخر أكتوبر . وخطاب نابيير هو بالفعل واحد من خمس وثلاثين وثيقة صدرت كأوراق سرية غير أن ذلك مرتبط بالمراسلات الاصلية فى وزارة الخارجية ٢٧/١ ب ، لم توجد نسخة منفصلة فى سلسلة وزارة الخارجية رقم ٤٠١ ولكن هناك نسخة تحت توصيف وزارة الخارجية ٢٢٦٣/٨٨١ .

(٣٨)ENA ، السودان ، صندوق ٣ / ٧ ، من مونزنيجر الى اسماعيل ، ١٤ يوليو ١٨٧٢ .

(٣٩) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٣٩ .

بالفعل فى قمع تمرد بين سكان ازيو اجالا فى جنوب شرق تيجرى ، حينما وصلته أنباء احتلال بوجوس ، وعاد على الفور الى عدوة وقام بنشر جيشه على طول الحدود الفعلية لاديابو ، ودبمبلاس ، وسيراى وهامسين . ثم تحول الى استخدام الدبلوماسية[٤٠] .

وكانت أولى خطوات يوهانيس هى إرسال خطاب شديد اللهجة الى اسماعيل يحتج فيه على ان الحاكم المصرى لا يجوز له ان يكتب مثل تلك الرسالة التى بعث بها اليه فى ابريل . فباربا وبازن كانتا دوماً تتبعان أثيوبيا وانه لم يتم غزو تاكا ، وأن الحاكم المقيم فى أديابو معين من قبل ملك أثيوبيا ، وقد تصرف بناء على أوامر صدرت اليه حينما قام بشن الغارة التأديبية ولن يتم تسليمه بالتأكيد لأية حكومة أجنبية لتعاقبه . وتابع يوهانيس قوله :

. . . حسبما تناهى إلى علمى ، حشد مونزنيجر بك ، بأمر من سموكم ، جيشا وفتح بلاد موجيس (بوجوس) وهلهال وخامسين (هماسين) ، الواقعة بين الأراضى المصرية والحبشية ، وهماسين هى العاصمة الاصلية للحبشة . . . وتمتد مملكتى من تلك البلاد حتى سواحل البحر الأحمر ونحن نامل فى اعادة البلدان على الساحل التى اغتصبت منّا . . . وان كان سموكم ترغب فى مناقشة بشأن الأراضى محل الخلاف ، فيمكنك أن تحتكم الى الاوروبيين المقيمين هناك ، وعلاوة على ذلك ان كنتم راغبين فى استمرار الصداقة بين بلدينا ، فلا ينبغى لسموكم أن تعطى أذانا صاغية لمقولات المخادعين ، وعليكم أيضا أن تصدروا أوامركم لقواتكم بالانسحاب ، ولكن من ناحية أخرى ، ان كان لدى سموكم مخططات للاستيلاء على الأراضى سالفة الذكر ، أبلغونا بذلك . . .[٤١] .

وبعد أسبوعين من ذلك ، قام يوهانيس بالاعداد لأكثف إجراء دبلوماسى اتخذه أى حاكم أثيوبى معاصر حتى الآن ، ولم ينجح مبعوثو يوهانيس السابقون فى الذهاب الى أبعد من القاهرة ، وفى هذه المرة إختار الامبراطور كيركام ، الذى كان قد نصب نفسه جنرالا آنذاك ، كمبعوثه الخاص .

---

(٤٠) المرجع السابق ، ص ص ٣٤٤ ـ ٥ ، ENA ، سجل ١٨٥٩ ، مايا سانيج ، ص ، ٩٠ ، من مونزنيجر الى مايا ، ٢٣ مايو ، ١٨٧٢ ، وزارة الخارجية ٩٥ / ٧٣١ ، رقم ١٤٣ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ، ١٣ أغسطس ١٨٧٢ ، AECP ، مصر ٥١ ، ملفات ٤٠٨ ـ ١٣ ، من سارزك الى ريموسات ، ١٩ يوليو١٨٧٢ BM ، أثيوب ٢٥٩ ، ملف ١٨ .

(٤١) ENA ، الحبش ، دوسيه ٢٠ / ٩ / ١ ، من يوهانيس الى اسماعيل ، (٣١ يوليو ١٨٧٢) ، نقلت ذلك عن ترجمة انجليزية للخطاب ، ربما نقلها الى القاهرة كيركام . توجد نسخ فرنسية بتاريخ ٢٥ أبيب ١٢٨٨ (التى كان ينبغى أن تكون ٢٥ أبيب ١٢٨٩ ، التى توافق ٣١ يوليو ١٨٧٢) فى وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٢٢٩ ، و AAPA ، IB ٩ ، حبش I . لم يعثر دوين (فيما يبدو) ، الذى نقل عن وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٢٢٩ (اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٤٦ ـ ٨) ، ولم أعثر أنا أيضا على النسخة الأصلية لهذا الخطاب .

وسلمه يوهانيس خطابات يرجع تايخها الى ١٣ أغسطس١٨٧٢ ليسلمها للملكة فيكتوريا ، ورئيس فرنسا ، وأباطره النمسا والمانيا وروسيا . وكانت كافة الخطابات الأصلية المكتوبة باللغة الأمهرية ذات خط واحد ومختومه بخاتم الامبراطور الجديد ، الذى يحمل شعار « ملك الملوك يوهانيس ، ملك زيون الاثيوبية » . وليس ثمة مايشير الى اشتراك كيركان أو أى أوروبى آخر فى كتابة مسودات تلك الخطابات . وبرغم انه كان غائبا عن أوروبا لما يزيد على خمس وثلاثين سنة ، فليس من المحتمل أن د . شيمبر على سبيل المثال ، كتب للامبراطور الروسى على أنه فرديناند ، بعد أن خلف فرانز جوزيف الأخير (فرديناند) بأربعة وعشرين عاما[٤٢] .

وفى العبارات الافتتاحية يشير يوهانيس الى الاتصالات السابقة : فقد أعرب عن شكره لفيكتوريا لتبادل الهدايا الذى تم مؤخرا ، وابلغ فلهلم الأول والكسندر الثانى انه قد كتب اليهما من قبل ، ولكنه لم يتلق رداً ، ربما لأن الخطابات وقعت فى أيدى الأتراك ، وأعرب عن اعتذاره الى « شيير » و « فرانز جوزيف » لعدم كتابته اليهما من قبل ، وأشار فى الوقت نفسه الى علاقات الصداقة الوطيدة التى تربط أثيوبيا ببلديهما الموقرتين منذ أمد بعيد ، ثم تابع خطابه ليصف كيف ذهب ليقضى على تمرد بين الزبير ، وكيف اكتشف وهو فى طريق عودتة الى عدوه ان الاتراك ، رجال اسماعيل باشا ، قد استولوا على بلاده . وأخيراً اتهم اسماعيل بأنه يريد تحويله الى الاسلام وكذا تحويل جميع رعاياه الى عبيد ، وأعرب عن أمله وثقته فى أن زملاءه المسيحيين الطيبين فى أوروبا لا يريدون أن يحدث ذلك ، وفى خطابه الى فرانز جوزيف أضاف قائلا ! ان أثيوبيا قد أضحت مثل جزيرة ، وانها محاطة باسماعيل باشا والأتراك ، ومن ثم فإنه يتوقع« مبدأ الجزيرة الدائرى الشهير لمينليك عام ١٨٩١ . ومن الواضح أن يوهانيس أدرك انه لم يكن بحاجة للتقدم بأية مطالب محددة طلبا للدعم ، وأكد على أنه يود أن يعرف زملاؤه الاوروبيون بمجريات الأمور ، ولم يزد عن ذلك فى كافة الخطابات ، فيما عدا خطابه الذى بعث به الى فيكتوريا[٤٣] .

ونظرا لأن يوهانيس شعر بأن الحكومة البريطانية مدينة له أكثر من الآخرين ، فقد كان أكثر تحديدا فى خطابه الى فيكتوريا بالنسبة الى غزو مونزنيجر للمناطق الاثيوبية الواقعة على الحدود ، وبالنسبة للتوصل الى حل للصراع ، كما أوضح بالتفصيل انه أصدر توجيهاته الى حاكم المنطقة لتأديب بعض قرى كوناما لانهم قاموا ، ضمن جرائم أخرى ، بقتل أحد الرعايا البريطانيين ، وهو توماس بوبل ، وأسرته ورفاقه . ونتيجة لذلك كتب اليه اسماعيل خطابا غير مقبول . وأشار يوهانيس الى انه كان يأمل فى أن يساعده البريطانيون فى إستعادة الأراضى التى اغتصبها المسلمون منذ أمد بعيد . والآن وهاهم المصريون يريدون أن يحكموا أثيوبيا بأسرها . وتقدم يوهانيس يطلب مشورة

---

(٤٢) وزارة الخارجية ٩٥ / ٧٣١ ، رقم ١٤٣ ، AEMD ، أفريك ، ٦٢ ، ملف ١١٥ ، HHS ، ٨PA / ٧٨ ، IB9,AADA ، الحبش الأول ، AVPR ، ف . بوليتى أرشيف لـ ٢٠٠٠ ، ملف ١٣ . تم تحديد جميع الرسائل الأمهرية الأصلية فيما عدا الرسالة الموجهة الى رئيس فرنسا ، ومع ذلك تم نقل احدى الرسائل الاصلية الى باريس ، انظر وزارة الخارجية١ / ٢٧ ب ملف ٦٠ ، من ليونز الى جرانفيل ، ١٥ نوفمبر ١٨٧٢ .

(٤٣) مرجع سابق . فيما يتعلق بمبدأ مينليك الدائرى ، انظر المرجع االتالى ص ، ٣٩٣ .

. الملكة ، وطلب منها على وجه الخصوص « رجل نابه » ليقوم بالنظر فى أمر العدوان نيابة عنه . ونظراً لتخوفه من أن البريطانيين قد يتحيزون ضده بسبب نزاعه مع المبشرين الكاثوليك ، فقد أسهب الامبراطور فى عرض موقفه فيما يتعلق بهذا الأمر : فقد تم تعميده باسم الثالوث ، وهو يؤمن بانجيل المسيح . ويتلقى التعاليم والتوجيهات اللازمة لشعبه من الاسكندرية ، ومن ثم فقد أبلغ المبشرين بأن يذهبوا ليعلموا الأعداد الكبيرة من الوثنيين الذين ما يزالون ينتشرون فى العالم ، ولهذا السبب فقد كتبوا الى واجشوم جوبيزيه (تيكل جيورجيس) لكى يهاجمه ، مما أسفر عن أراقة الدماء فى أثيوبيا ، ولقد قاموا ببناء الكنائس دون إذنه ، وطلبوا من الناس أن يأتوا اليهم كى يتحرروا من الضرائب . وحينما أرسل الامبراطور برغم ذلك أحد الزعماء لجباية الضرائب ، رفض الناس أن يدفعوا له ، وقد أصيب البعض بالمصادفة أثناء اطلاق النار . وكان يوهانيس يدرك تماما المصدر الاساسى لمتاعبه : « انه مونزنيجر بك الذى يفعل ذلك كله بى لكى يدّمر إسمى » .

والترجمة الانجليزية للخطاب ترجمة ركيكة للغاية ، ولا تعدو بالاحرى إلا أن تكون تفسيراً بما جاء فيه : « فمعظم الإتهامات الموجهة ضد الكاثوليك تم إغفالها ، وكذلك اغفلت الاشارة الى مونزنيجر بإعتباره المجرم الرئيسى ، وطبقا ليوهانيس ، فان القنصل السابق تباهى قائلاً ، سوف أقوم بإرشاد الأتراك وسوف أرافقهم وأجعلهم يقتلونك »[٤٤] .

وفى خطابه الى ايرل جرانفيل ، لخص يوهانيس ماورد فى كتابه الى الملكة ، وبالاضافة الى ذلك طرح مسألة قنصله فى لندن ، مستر هنرى س .كنج ، الذى رفضت الحكومة البريطانية الاعتراف به . وعلم جرانفيل أن يوهانيس أرسل توكيلاً مختوماً الى كنج وانه توقع ان يستقبل جرانفيل الممثل وان يضع مطالبه فى الاعتبار[٤٥] .

وقد وصلت أنباء غزو الحبشة العواصم الاوروبية فى أوائل أغسطس . وفى البداية أبدت لندن وباريس وبرلين بعض القلق ، غير انه لم يكن من الصعب على اسماعيل أن يطرح روايته هو للنزاع وذلك من خلال القناصل الاوروبيين فى القاهرة ، فقد اعترف بانه أرسل ثلاث فرق حربية الى منطقة الحدود مع أثيوبيا غير أنه لم يوضح النقطة أوالنقاط التى حدثت فيها غارات الحبشيين :

---

(٤٤)وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٣١ ، رقم ١٤٣ ، باللغة الأمهريةالاصلية ، ٨ نهاس ١٨٦٤ (١٣ أغسطس ١٨٧٢)وترجمة انجليزية ، ١٠ أغسطس ، ١٨٧٢ . بالاضافة الى نسخة الترجمة فى هذا الملف ، هناك نسخة مماثلة فى وزارة الخارجية البريطانية١ / ٢٧ ب ، ملفات ٨ ـ ١١ ، وتنص كلتا النسختان على أن الخطاب ترجمة مترجم كنج لدى الجنرال ج . س كير كام بأمر منيورنيس (كذا) ملك ملوك أثيوبيا ، فى عدوة ، فى اليوم العاشر من أغسطس ١٨٧٢ ، وفى هذا الخطاب ومع كيركام باسمه . والورق المستخدم والخط يثبتان ان النسخ تم كتابتها بالانجلزية . والتاريخ القديم للترجمة ربما يرجع الى حقيقة أنه تُرجم عن مسودة ، ومن الصعب للغاية تفسير كيف راودت كيركام فكرة ان اسم كينج كان ينبغى أن ينطق ويكتب « يورنيس » ، ولكنه كان مقتنعا تماماً بأنه على حق (انظر ، على سبيل المثال ، AAPA , IB 9 ، الحبش ١ من بيرنسوت الى بسمارك ، ٢٢ ـ ٢٣ اكتوبر ، ١٨٧٢) .

(٤٥) وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٣١ ، رقم ١٤٤ ، من يوهانيس الى جرانفيل ، ١٣ أغسطس ١٨٧٢ .

. لقد حدث ذلك فى ثلاثة أماكن بين كسلا ومصوع ، ولكنه لم يحدث فى اقليم بوجوس[٤٦] . فما وقع فى بوجوس كان أمرا مختلفا تمام الاختلاف : حيث تم قمع سكان متمردين فى منطقة كانت لفترة طويلة تعد أرضاً مصرية ، وهكذا تم طرح « النظرية الجديدة » بمهارة وتم نشرها بدرجة أن القنصل البريطانى الجنرال أدوارد ستانتون كتب قائلا :

إن قصة مستر كيركام . . تظهر لتؤكد فى الوقت الحاضر الى حد ما رواية الخديوى للموضوع ، وكما يتراوى لى فإن بوجوس تكاد تكون الآن بالكاد أراض حبشية صرفة . وقد مرت سنوات عديدة منذ احتلال القوات المصرية لها لأول مرة . ومنذ ذلك التاريخ ، حسبما تناهى الى علمى ، يتمتع هذا الاقليم بنوع من شبه الاستقلال . . . ولكن نظرا لأن الحدود بين البلدين لم تحدد تحديدا دقيقاً ، فإن احتلال القوات المصرية لهذه الأراضى من جديد قد يثير تعقيدات خطيرة بين مصر والحبشة .

وأعلن ستانتون انه لم يستطع تقرير ما إذا كان لدى الحكومة المصرية ما يبرر احتلال بوجوس أم لا[٤٧] . ومن ناحية أخرى ، نجده أيضا يخلط الأمر بقبوله تقرير اسماعيل بأنه لم يزعم على الاطلاق أن نهر ميرب هو خط حدوده برغم أن ما يزعمه من أن سكان بازن (كومانا) هم رعايا مصريين انما يعين فى واقع الأمر انه كان يطالب بأراضى تقع وراء نهر ميرب[٤٨] .

وقد مر كير كام بالاسكندرية فى أواخر سبتمبر ووصل لندن فى العاشر من أكتوبر . وهذا الخادم والجندى وحارس الفندق السابق وصاحب دكان المعسكر لم يكن من المحتمل أن يصبح سفيراً ذو شأن . وفى ضوء شهادة الجنرال جوردون ، التى قال فيها « لست متحمسا لكى أعمل على تزكيته بأى شكل من الاشكال »[٤٩] ، قد لا يكون من المستغرب أن وزارة الخارجية أرادت ان تتجاهله فى البداية . ومع ذلك أصر كير كام على أن يستمعوا اليه . ولقد أظهر بيانه المكتوب الى ايرل

---

(٤٦) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٧ ب ، ملف٥٦ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ١٠ أغسطس ، ١٢ أغسطس ، ٢٤ أغسطس ١٨٧٢ ، AECP ، مصر ٥٢ ، ملفات ٦٤ ـ ٦ ، ١٦٩ ـ ٧٢ ، من روستان الى يموسات ، ٢٧ أغسطس ، ٩ سبتمبر ١٨٧٢ ، JB 9/ AAPA ، الحبش ١ من برونتجالى بسمارك ، ١٣ أغسطس ١٨٧٢ ، من كروس الى بسمارك ، ١٤ أغسطس ١٨٧٢ ، ENA ، سجل ٢٥ ، عابدين ، ص ، ٧٢ ، من (اسماعيل) الى رياض ٢٤ أغسطس ١٨٧٢ .

(٤٧) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٧ ب ، ملف ٥٧ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٢١ سبتمبر ٩ ، ٢٩ سبتمبر ، ٥ أكتوبر ١٨٧٢ ، دوين (اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٥٤) يعترف أن ذلك كان موضوعاً جديداً ولد بين ١٤ ، ٢٤ أغسطس ١٨٧٢ .

(٤٨) انظر المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٤٩) وزارة الداخلية ، مراسلات الحبشة الاصلية ٣ ، ص ص ، ٢٧ ـ ٨ .

جرانفيل الى ادراكه التام بالمسائل المطروحة ، وربما كان الذنب الذى ارتكبه هو انه أخفى الإتهامات ضد المبشرين الكاثوليك حتى لا تظهر فى ترجمات خطابات يوهانيس الموجهة الى فيكتوريا وجرانفيل .

ومن ناحية أخرى كان كيركام محقاً فى تأكيده أن الهجوم على بوجوس ، التى كان لمونزينجير فيها « أرض واسعة » ، كان السبب المباشر للصراع ، وقد أكد على وجه الخصوص ، على أية حال ، على حاجة أثيوبيا لان تتمتع بحرية الوصول الى البحر ، وبعد انتقال مصوع الى مصر فى ١٨٦٦ - كتب كيركام سنة ١٨٥٨ ، وهى السنة التى توافق السنة الاثيوبية ، يشير الى أنه كان ينقل رسالة فى واقع الأمر ، من يوهانيس هنا أيضا ، وان الرسوم المفروضة على الصادرات والواردات الاثيوبية عبر هذا المرفأ قد زادت حسبما يزعم البعض الى (٣٦٪) بالمائة وانه تم فرض حظر على جميع واردات الأسلحة والذخيرة . ثم قام اسماعيل باحتلال انفيلا ، « التى لايملك المصريون او الاتراك فيها أية حقوق تاريخية » ، وذلك بهدف . . . السيطرة على السهول المجاورة التى تحتوى على كميات ضخمة من الملح والتى تعد ذات أهمية كبرى لسكان الحبشة « وفى هذا الموقف طلب يوهانيس ، حسبما جاء فى كلمات كيركام ، المساعدة المعنوية ، عن طريق احتجاج القوى الغربية ، خاصة انجلترا ، على هذا العدوان ، وبشكل خاص لكى يكون لها حق التمتع بطريق آمن الى البحر من أجل التصدير والاستيراد فى خليج « أمفيلا » بإعتباره أرضاً أثيوبية .

وفيما يتعلق بالأراضى الواقعة الى أقصى الغرب (بوجوس وكوناما) ، كان الملك مستعداً لترك هذه الحدود ليتم اتخاذ قرار بشأنها جانب من أحد المحكمين الذى تعينه انجلترا إما بمفردها أو بالإشتراك مع سائر القوى الغربية[٥٠] .

ويتضح مدى صرامة الحظر المفروض على الأسلحة من حقيقة أن هذا الحظر كان مطبقا فى عام ١٨٧٣ على بنادق الصيد ، وكان على القنصل البريطانى العام فى مصر ، الكولونيل ستانتون ، أن يتدخل لإستثناء السائحين الاوروبين من هذا الحظر : ينبغى السماح لكل سائح بإصطحاب بندقيتى صيد عند دخوله أثيوبيا ، وقد تم احتجاز هدية من خمسة مسدسات وستة أزواج من البنادق مرسلة من الرئيس الفرنسى فى العام نفسه . ولم تسلم الى يوهانيس إلا عشية معركة جوندت فى نوفمبر ١٨٧٥[٥١] . ومن المؤكد أن رسوم الجمارك وغيرها من الرسوم كانت مرتفعة وفى ازدياد

---

(٥٠) وزارة الخارجية البريطانية ٢٧/١ ب ، ملف ٥٩ ، من كيركام الى جرانفيل ، ٣١ أكتوبر ، ١٨٧٢ ، مرفق « بيان » (تأكيدى) أثار كيركام قضيتى انفيلا وسهول الملح بمجرد وصوله مصر (مرجع سابق ، ملف ، ٥٧ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٢١ سبتمبر ١٨٧٢) .

(٥١)دوين اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٤١٥ ، AECP ، مصر ٥٤ ، ملفات ٩١ - ٢٤٩ ، ورد ذكره فى أماكن أخرى وثائق مختلفة تم الاستيلاء عليها ، مصوع ٤ ، ملفات ٣٩ - ٤٨ ، من سارزك الى ديكاسز ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ ، ملف ٤٩ ، من يوهانيس الى ماكمهون ، ٦ ديسمبر ١٨٧٥ ، وأيضا وزارة الخارجية البريطانية ٢٧/١ب ، ملف ١٠٧ ، من كيركام الى جرانفيل ، ٤ يناير ، ١٨٧٣ ، وزارة الخارجية البريطانية ٢٨/١ ، ملف ٣٤١ ، من يوهانيس الى شنايدر ، ٢٩ أكتوبر ١٨٧٣ ، دى كوسون ، النيل الأزرق ، مجلد ١ ، ص ، ٢١٨ ، مجلد ٢ ، ص ص ، ٥٧ - ٨ .

مطرد ، ففى ١٨٦٩ ، تذمر المكتب الهندى ، وتم طمأنته بأنه سيتم اتخاذ اجراء ازاء ذلك . وفى ١٨٧٢ إعترف ستانتون - فى رسالة متعاطفة مع مصر بطريقة أخرى - بأن من « المحتمل الى حد بعيد » أن تخضع الصادرات والواردات والأثيوبية لرسوم مبالغ فيها(٥٢) . وفيما يتعلق بمناجم الملح ، فقد كان من الواضح مدى أهميتها بالنسبة لأثيوبيا :

لكى يتم احتكار التجارة التى يمارسها جميع سكان هذه الاقاليم ، فإنه يكفى السيطرة على تلك المناجم ، لأن الحبشة يمكن أن تصبح ملكا لمن يملك الملح وإن لم يتم هذا الخضوع عن طريق استحواذ الأراضى ، فسيكون على الأقل من خلال منتجاتها وتجارتها(٥٣) .

ولا ترجع أهمية مناجم الملح الى أن هذه السلعة سلعة أساسية لاغنى عنها فحسب ، بل علاوة ذلك الى حقيقة أن الملح كان العملة المستخدمة فى التجارة الداخلية فى البلاد . وثمة مايبرهن أيضا على أن مصر كانت تتطلع الى هذه المناجم ، والواقع أن ثمة مشروع جديد لمونزينجير لضم سهول الملح ، التى ستأتى « بعائدات ضخمة » ، يوافق تاريخه بالتحديد نفس تاريخ بيان كيركام الى اللورد جرانفيل بشأن هذا الموضوع(٥٤) .

وعند تحول الحكومة البريطانية الى الخديوى للحصول منه على تفسير لذلك ، أعربت عن تأييدها لوجهة النظر الاثيوبية من خلال اعلانها أن أية مشكلة تتعلق بالحدود قد يفضل ارجاعها الى طرف ثالث(٥٥) ، وقد رفض اسماعيل مشروع التحكيم المقترح رفضاً تاماً ، وأقام حججه على أساس افتراض ان النزاع نتج أساساً عن « الغزو الحبشى » لجزء لم يتم تحديد حدوده من مقاطعة تاكا، وأعلن أنه مصمم على المطالبة بتعويض عن الأضرار ، وانه يعتزم احتلال هماسين كضمان بأنه سيحصل على التعويضات . وقد تم تجاهل حقيقة ان قام بالفعل بضم بوجوس انتقاما لذلك - تجاهلا تاماً ، وأبلغ اسماعيل القنصل الفرنسى العام انه لن تحول أية عقبات أيا كانت دون تحقيقه لخططه(٥٦) .

(٥٢) وزارة الخارجية البريطانية ١/٢٩ ، منف ٢٣٢ ، من وزارة الخارجية الى وزارة الداخلية ٣٠ أكتوبر ١٨٦٩ ، وزارة الخارجية ١/٢٧ ب ، ملف ٦٣ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٥ ديسمبر ١٨٧٢ .

(٥٣) AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملفات ٤١ - ٨ مذكرة كتبها ج . دى اورجيفال ، ١٦ ديسمبر ١٨٦٧ .

(٥٤) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣١٧ ، ٣٦١ - ٢ ، أنظر أيضا المرجع السابق ص ص ، ١٤٢ ، ٢١٩ ، ٢٥٠ .

(٥٥) وزارة الخارجية ١/٢٧ بـ ، ملفات ٥٩ - ٦٠ ، من جرانفيل إلى ستانتون ، ٧ نوفمبر ، ١٨٧٢ .

(٥٦) مرجع سابق ، ملفات ٦١ - ٢ ، من ستانتون إلى جرانفيل ، ٢٨ نوفمبر ، ٣٠ نوفمبر ١٨٧٢ ، مرفق بها مذكرة أعدها شريف باشا ، AECD ، مصر ٥٢ ، ملفات ٤٥٦ - ٩ ، من روستان الى ريموسات ، ٨ ديسمبر ١٨٧٢ .

ومرة أخرى تصرف القنصل العام ستانتون على نحو يعود على المصريين بالفائدة حيث قلل من أهمية ضم بوجوس من خلال تفنيد مسهب « لشكوى كيركام . . الخاصة بإعتداء القوات المصرية على الأراضى الحبشية واحتلال أنفيلا والواقع أن احتلال مصر لانفيلا قد حدث بشكل مفاجىء قبل ذلك بخمس سنوات عند انزال حملة مكديلا . وكانت شكوى كيركام تركز فى واقع الأمر على إستغلال تجارة أثيوبيا والحظر المفروض على الأسلحة وليس على احتلال كهذا ، وقد كان يسعى للحصول على « المساعد المعنوية » من الحكومة البريطانية ليكون له منفذ آمن إلى البحر . . » وقد أدرك ستانتون مدى الحاجة الماسة لهذا المنفذ واقترح حلا لذلك بأن « يصبح التجار الأثيوبيون تحت الحماية البريطانية » - وبمعنى آخر : إن لم تكن هناك حماية مصرية ، إذن فلتكن بريطانية(٥٧) . وفى الوقت نفسه واصل اسماعيل حشد القوة العسكرية المصرية فى المنطقة . وقد بدا من المحتمل تماما أيضا أن ماتنبأ به نائب القنصل سارزك من قبل سيتحول الى حقيقة : إن هذا الاحتلال لبوجوس ما هو الا مقدمة يقينا لأحداث أكثر خطورة(٥٨) . ولكن تحول دون حدوث ذلك ، فقد أعربت الحكومة البريطانية عن خيبة أملها إزاء ميول اسماعيل واتجاهاته واوصت ، بلهجة شديدة ، بأن يوافق الخديوى على قبول تحكيم قوى محايدة ، نظراً لأن ثمة أسباب وجيهة لإفتراض أن ملك أثيوبيا مستعد من جانبه لقبول (ذلك) . ومن الجلى أن ستانتون وجد اللهجة بالغة القسوة ، وقد طلب وتم الاستجابة لطلبه بأن يعلق توصيل الرسالة ولايقوم بتسليمها مؤقتا على أساس أن مونزينجير قد تم استدعاؤه إلى القاهرة لكى يشرح الموقف(٥٩) .

وبالإضافة إلى القوة العسكرية ، لعب المال دوراً هاماً فى ضم بوجوس ، فقد تم إلغاء الضرائب لكسب ود الرعايا الجدد ، وتلقى مونزينجير الأموال التى طلبها من أجل « المصاريف السرية » ، لأن المرء لا ينبغى أن يقتصد فى مثل تلك الأمور ، حسبما كتب إليه اسماعيل . ومن ناحية أخرى ، دفعت ضآلة وعدم وجود المقاومة العسكرية تقريبا ، دفع مونزينجير الى الاعتقاد بعدم حاجته إلى القوات التى تم تزويده بها : « بواسطة فرقة الزنوج وحدها ، لاأشعر بأننى قادر فقط على حماية بوجوس ، وماريا وبازن ، ولكنى أستطيع السيطرة على عدوة ، اذا سمح لى بذلك » ، والواقع انه كان يعد العدة ويبحث عن ذريعة لغزوهماسين ، وحاول فى الوقت نفسه ، اقناع يوهانيس عن طريق هاسن أن يتخلى له شخصيا عن بوجوس مقابل انسحاب القوات المصرية (ومن أجل شخص كاسا جولجا) . وليس من الواضح ما اذا كان مونزينجر رأى فى نفسه الحاكم المطلق لبوجوس وهو أمر بعيد الاحتمال ، وعلى أية حال لم يوافق هانيس على ذلك(٦٠) .

(٥٧) وزارة الخارجية البريطانية ١/ ٢٧ ب ، ملف ٦٣ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٥ ديسمبر ١٨٧٢ ، لمعرفة المزيد عن احتلال أنفيلا ، انظر المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ، وفيما يتعلق بطلب كيركام ، أنظر ص ٣٠٠ .

(٥٨) وزارة الخارجية ١/٢٧ ب ، ملف ٦٣ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٥ ديسمبر ١٨٧٢ AECD ، مصر٥١ ، من سارزك الى ريموسات ، ١٩ يوليو ١٨٧٢ ، دوين ، اسماعيل ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٥٢ - ٣ ، ٣٥٦ .

(٥٩) وزارة الخارجية ١/٢٧ ب ، ملف ٦٤ ، من جرانفيل الى ستانتون ، ١٨ ديسمبر ، ١٨٧٢ ، ملفات ٦٥ - ٦ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ٣٠ ديسمبر ، ١٨٧٢ ، ومن جرانفيل الى ستانتون ، ٣ يناير ، ١٨٧٣ .

(٦٠) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٤٣ ، ٣٥٣ - ٦٠ ، ENA ، سجل ١٨٥٩ ، ماياسانيه ، ص ، ١١٠ ، من مونزينجير إلى مايا ٢٧ يوليو ١٨٧٢ هذه الوثيقة التى يطلب فيها مونزينجر اموالا ، لم يشر ديون اليها ، وعلى

ومن البديهى تماما أن اسماعيل ومونزينجير بحثا عن حلفاء أثيوبيين لمواجهة يوهانيس متى سنحت الفرصة لذلك . غير أن مساعيهما باءت بالفشل الذريع ، فقد كان كاسا جولجا وبعض الزعماء الآخرين الأقل شأنا من الهاربين بالفعل - ومصريين ومتقاعدين ، وكان تيكل جيورجيس ، الذى تردد انه اتصل بمونزينجير رهن الاعتقال فى اثيوبيا وكان من الصعب تحديد موقف الآخرين على أساس مالديهم من أراضى أو سلطة . وبرغم ان سكان عفار على طول ساحل البحر الأحمر جنوبى مصوع كان من المفروض انهم رعايا مصريين (أوعثمانيين) منذ ١٨٦٢ على الأقل ، فقد اكتشف مونزينجير انه كان بحاجة الى فرقة لكى يدخل مناطق مثل بيلول ، وآسب ، وراهيتا لإخضاع حكامها قبل مهاجمة سلطان أوسا لكى يقيم إتصالات مع ال ويلوجالا ، حلفاؤنا الطبيعيون[٦١] .

ان العامل الحاسم فى أى صراع واسع النطاق بين أثيوبيا ومصر سيتمثل فى اتجاهات وميول مينليك فى شوا ، ووريث أو ورثة تيكل جيورجيس فى جوندور . وابان أزمة بوجوس وبعدها بسنوات ، اعتبر مينليك نفسه تابعا من اتباع يوهانيس ، ولقب نفسه باسم ملك الملوك ، وتابع اتصالاته الخارجية وذلك بهدف أساسى هو ، فيما يبدو ، أن يجعل زملاءه الأوروبيين مدركين لحقيقة أنه الحاكم الشرعى لاثيوبيا برغم تتويج يوهانيس[٦٢] . ومع ذلك ، لم يهاجم منافسه التيجرى بأية حال أو حتى أشار ، وفى نوفمبر ١٨٧٢ ، تلقى السطان ابو بكر فى زيلا رسالة من مينليك ، تحتوى حسبما يزعم البعض على إعلان بالخضوع ، وهو أمر بعيد الاحتمال تماما ، وطلبا بارسال كتب علمية ، وهو المطلب الاكثر احتمالا . ومرة أخرى ، لم يرد ذكر يوهانيس ، وليس ثمة أدنى إشارة فى رد اسماعيل لأى خضوع أو اى تفاهم بشأن القيام بإجراء مشترك ضد يوهانيس[٦٣] .

عكس ذلك تجد عرضا مسهبا ويعتمد على رسائل سارزك فى AECPوكذلك الأرشيفات المصرية (دار المحفوظات المصرية) . انظر ايضا دى كوسون ، النيل الأزرق ، مجلد١ ، ص ٨٤ . وللاطلاع على مطامع مونزينجير الفعلية ، انظر كيلا - زتشوك ، مونزينجر ، ص ٦١رولفس ، ص ص ، ٥٠ - ٢ .

(٦١)دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٥٧ ، ٣٦١ - ٢ ، ENA ، سجل ١٨٦٤ ، مايامانيه ، ص ٢٤٢ ، أرقام ٦ ، ٧ ، من مونزينجير الى مايا ، ١٤ أكتوبر ١٨٧٢ ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ١/٧٣/١٢٠ ، مذكرة رئيس الأركان ، الجنرال لورنج ، ٣٠ نوفمبر ، ١٨٧٢ . كرتونة ٧/٣ ، من مونزينجير الى اسماعيل ، ١٢ ديسمبر ١٨٧٢ ، أنظر أيضا المرجع السابق ص ص ، ٢١٩ ، ٢٥٠ .

(٦٢) وزارة الخارجية البريطانية ٧٣١/٩٥ ، رقم ١٤٠ ، من مينليك الى فيكتوريا ، ٣١ مايو ١٨٧٢ ، وزارة الخارجية ١١/٤٠٧ ، ص ص ٧ - ٨ ، من برنكين الى سالزبورى ، ٢٦ أغسطس ١٨٧٩ ، بالاشارة الى خطاب من مينليك الى فلهلم ، لم يعد متوفرا بعد ذلك (انظر المرجع السابق ص ٣٨٣ ، رقم ٥٠٤) ، ASMAI ١/٣٦٠ - ٣ ، من مينليك الى فيكترر ايمانويل الثانى ، ٢٠ يناير ١٨٧٢ (أرخه جيجليو خطا بتاريخ ٢٠ يناير ١٨٧٢ ، أثيوبيا - مار روسو ، مجلد١ ، ص ص ٢٦١ - ٢ ، ٧٨ ، رقم ٦٣) . ولكى يتأكد من وصول رسالته الى الملكة فيكتوريا ، أمر مينليك (ماساجا وج . مايو) بترجمة خطابه الى الفرنسية والألمانية ، وفى النسخة الألمانية ، المؤرخ بتاريخ ٢١ يناير ١٨٧٢ ، اخطا ماير ، على أية حال ، بترجمة نيوجوس ينجست زى أثيوبيا ، «ملك ملوك شوا فى أثيوبيا» .

(٦٣)ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، رقم ١٣٠ ، من أبى بكر الى اسماعيل ٢٧ نوفمبر ، ١٨٧٢ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٦٣ - ٤ . لم يتسن تحديد الخطاب الذى ارسله مينليك نفسه فى المحفوظات وللإطلاع على مزيد من الاتصالات بين مينليك واسماعيل ، انظر المرجع التالى ، ص ص ٣٦٨ - ٧٦ .

وفيما يتعلق بالوريث القادم لتيكل جيورجيس على الحدود الغربية ، راس ولد سيلاسى ، المعروف باسم ورينا ، كان الوضع تسوده الفوضى . فبرغم أن يوهانيس لم يعبر تيكيز فقد تم الاعتراف به كامبراطور على جوندور . وقد طالب ورينا باسمه ، الشيخ جمعة القائم على قلابات بدفع المكوس السنوية . وفى الوقت نفسه تردد انه زعم فى رسالته لإسماعيل انه هو الملك على الحبشة بعد تاودروس . وربما يكون قد فعل ذلك ، غير انه لايمكن استبعاد ماكان يراود الجانب المصرى من آمال ، فقد سعت الحكومة المصرية الى تطبيق سياسة من شانها منع جمعة من الدفع ، عملت على استرضاء ورينا بالهدايا ، غير أن سياستها أخفقت ، فقد دفع جمعة الضرائب ، وقرر اسماعيل القيام باحتلال عسكرى لأراضى أثيوبية أخرى شبه مستقلة ولكنها أراضى أثيوبية من الناحية التاريخية[٦٤] . وتم إلقاء القبض على الشيخ جمعة وأرسل الى السجن فى القاهرة . وبحلول شهر مايو ١٨٧٣ أصبح ضم متيما حقيقة واقعة ، وفى الجنوب وردت أنباء عن غزو كوارا وفى الشمال تم وضع حامية مصرية فى أميديب . وكان ذلك كله مايزال يتم على الحدود بين باريا وبازن ، غير أنه تم تصعيد عملية الاختراق بين سكان كوناما على أمل أنهم قد يقبلون بالتدريج الحكم المصرى وهكذا يمكن تبرير الموقف المصرى بأن النزاع كله كان راجعا الى الغزو الاثيوبى لبازن المصرية[٦٥] .

وفى الوقت نفسه ، كان كيركام قد أنهى مهمته فى أوروبا ، وقام بزيارة باريس وفيينا فى طريق عودته الى أثيوبيا[٦٦] . ولم تكن النتائج الملموسة لمهمته نتائج عظيمة الأهمية ، فقد أعلنت سانت بطرسبرج عدم اهتمامها ، نظرا لأن الأمر لا يتطرق الى مصالح روسية ، ولم يتوقع احد أن ينزعج القيصر بشأن رسالة يوهانيس[٦٧] . وفى برلين أبلغ بسمارك القيصر بأن اى تدخل فى نزاع الحدود قد يضر بمصالح ألمانيا الهامة فى مصر ، ومن ثم فإنه ينصح بعدم الرد على الرسالة[٦٨] . واتجهت فيينا الى برلين طلبا للمشورة وتم ابلاغها بان بسمارك لاينصح بأى تصرف فى صالح الحبشة . وقد إلتزم الجميع بوجه عام بهذا الإتجاه[٦٩] .

---

(٦٤)ENA ، سجل ٨٨٥٩ ، مايامانيه ، من آدم الى مايا ، ٢٨ يوليو ، ١٨٧٢ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٦٤ - ٥ ، ٤٠١ - ٢ أنظر المرجع السابق ، ص ص ٢١٤ - ١٥ .

(٦٥)ENA ، سجل ١٨٦٤ ، مايا ساينه ، ص ٤٤ ، علاء الدين الى مايا ، ١ نوفمبر ١٨٧٢ ، ص ، ٤٧ ، من اسماعل أيوب الى مايا ، ٢٧ نوفمبر ١٨٧٢ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٦٥ - ٦ ، ٤٠١ - ٤ ، ٤١٢ - ١٣ ، دى كوسون ، النيل الأزرق ، مجلد ٢ ، ص ص ، ١٦٥ - ٧ .

(٦٦) وزارة الخارجية البريطانية ١/٢٧ب ، ملف ٦٣ ، من كيركام الى جرانفيل ، ١٢ ديسمبر ١٨٧٢ .

(٦٧) IB9, AAPA ، الحبش ١ ، من القنسلين إلى بسمارك ، ٢٥ أكتوبر ، ١٨٧٢ .

(٦٨) مرجع سابق ، من بسمارك إلى فلهلم الثانى ، بدون تاريخ ، رسائل من لندن ، ٢٢ - ٢٣ أكتوبر ، ١٨٧٢ ، وباريس ٢٦ أكتوبر ، ١٨٧٢ ، ربما أثر الزعم بالاهتمام الى حد ما بمهمة كيركام فى تلك العواصم أو عدم الاهتمام بها على الاطلاق ، على موقف بسمارك .

(٦٩) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٨٦ ، ٣٩٣ - ٤ .

أما الحكومة الفرنسية فقد أعربت بالطبع عن بالغ اهتمامها بالمسألة ، وقد غذى هذا الإهتمام ، بالإضافة الى ذلك ، رسائل سارزك المتعاطفة مع أثيوبيا والتى بعث بها من مصوع وكذلك الرسائل التى بعث بها قنصلها العام فى مصر ، برغم أنها كانت ذات نبرة أقل ارتفاعا(٧٠) وبرغم ذلك ، كانت باريس مستعدة لترك زمام المبادرة للندن ، وحينما كتب الرئيس الفرنسى الى يوهانيس فى ديسمبر ، تجنب تماماً المسألة ، واكتفى بتهنئته بتنصيبه على العرش ، وحثه كما هى العادة ، على استقبال جميع الأجانب وحمايتهم بمن فيهم المبشرين الفرنسيين ، وقد تم توقيف الرسالة فى مصوع ليتم إبدالها بأخرى مماثلة فى يونيو ١٨٧٣(٧١) ، وقامت السلطات المصرية باحتجاز عدة صناديق بها أسلحة صغيرة كانت قد أرسلت كهدايا وأرسلت الصناديق الى القاهرة ولم تتم إعادتها إلا فى ديسمبر ١٨٧٣(٧٢) .

وكانت الملكة فيكتوريا ولورد جرانفيل وحدهما هما اللذان إئتمنا كيركام رسالة إبلاغ ليوهانيس . اذا أعلنا عن ضيقهما « بالمخاوف » الاثيوبية فيما يتعلق بممارسات اسماعيل باشا وأنهما تلقيا تأكيدات إيجابية للغاية من القاهرة تفيد أن الخديوى لم يفكر على الاطلاق فى القيام بأى غزو أو استحواذ على الأراضى الاثيوبية ، وأضاف جرانفيل ملخصاً يتعلق بتبرير اسماعيل للنزاع الذى نجم عن هجوم بعض قطاع الطرق على الجانب الاثيوبي ، وأعرب كلا منهما عن ثقته بأن كافة المخاوف ستتلاشى مع وصول خطاباتهما الى الملك . ولم يرد أى ذكر للوساطة أو التحكيم(٧٣) .

فى الشهور الأولى من عام ١٨٧٣ ، عبر يوهانيس الى تيكيز ، وخضع له ورينا ، وقام بتدعيم قوته فى منطقة جوندر(٧٤) . ولم يتسن لكيركام تسليم الخطابات إلى الملك فى أمبا تشيرا إلا فى شهر ابريل ١٨٧٣ . وقد شرع مادركال ، وميرشا فى العمل على الفور للقيام بالترجمة معاً ومعهما كيركام . وفى البداية كان يوهانيس مسروراً ، غير أنه سرعان ما تبين ان الحكومة البريطانية قد قبلت فيما يبدو ما أعلنه اسماعيل من أنه (أى اسماعيل) لم يحتل أية أراضى أثيوبية ولا يعتزم القيام بذلك . وقرر يوهانيس إنتهاز الفرصة وبعث على الفور برسالة جديدة مع المسافر البريطانى ى . أ . دى كوسون الذى قدم لزيارة أثيوبيا عند عودة كيركام(٧٥) .

---

(٧٠) AECP ، مصوع ٣ ، ملفات ٣١١ - ٩٠ ، مصر ٥١ ، ١٢ ، ورد ذكره فى أماكن أخرى .

(٧١) AECD ، مصر ٥٢ ، ملفات ٤٠٢ - ٤ ، ريموسات الى روستان ، ١٦ نوفمبر ، ١٨٧٢ ، AEMP ، أفريقيا ٦٢ ، ملف ١٣٥ ، من ثيوس الى يوهانيس ، ٢٨ ديسمبر ١٨٧٢ ، ملف ١٨٦ ، من ماكمهون الى يوهانيس ، ١٠ يناير ١٨٧٣ .

(٧٢) AECP ، مصر ٥٤ ، ملفات ٩١ - ٢ ، من بلسير الى بروجلى ، ٤ سبتمبر ، ٥ سبتمبر ١٨٧٣ ، ملفات ٢٤٥ - ٩ ، من كازو الى ديكازس ، ٤ ديسمبر ١٨٧٣ .

(٧٣) وزارة الخارجية ١ /٢٧ ب ، ملفات ٦٤ - ٥ ، من فيكتوريا الى يوهانيس ، ومن جرانفيل الى يوهانيس ، ١٨ ديسمبر ، ١٨٧٢ ، وكذلك فى وزارة الخارجية ، ٧٣١/٩٥ .

(٧٤) BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ١٩ ، وزارة الخارجية ١ /٢٧ب ، ملف ٤٢ ، من كيركام الى جرانفيل - ١٨ مارس ، ١٨٧٣ .

(٧٥) دى كوسون ، النيل الأزرق ، مجلد ١ ، ص ٣٠٣ ، مجلد ٢ ، ص ص ٢١ - ٣ ، ٣٣ ، ٣٩ - ٤٢ ، ١٠٩ .

وفى ثلاث رسائل ، الأولى منها كتبها كيركام بالإنجليزية وتحمل خاتم الامبراطور ، والأخرتان باللغة الأمهرية ، عرض يوهانيس قضيته مرة أخرى أمام الحكومة البريطانية(٧٦) . وأولا ، قرر بشكل حاسم أن اسماعيل قد كذب على الحكومة البريطانية حينما أنكر احتلاله لأية أراضى أثيوبية ، « لاتوجد عبارة واحدة صادقة » فى رده . ولكى يدلل على ذلك ، قدم يوهانيس قائمة بالمناطق التالية رغم انه تم احتلالها منذ موت تاودروس :

كيه باريا (ماريا) سيلم باريا (ماريا) بوجوس تياندر (وتقع فى كوناما) وهيوب ومينسا وأيلت وأسجد بيكلا وزولا وتورا وأمفيلا جميع أرجاء البلاد الواقعة تحت الجرف (المناطق المجاورة) هى أرض هامسين (وهى ملك هامسين) ولكنه قضى عليها واستولى على كل شىء على كل شىء .

ثانيا : ان بلاد شانكيلا ، أى كوناما ، أراضى أثيوبية ، ويكفى أم نشير الى المواطن البريطانى بويل الذى وفد الى عدوة وصحبة أحد المرافقين ليذهب معه الى حيث يوجد المتهمون بقتل أخية لكى يعاقبهم هناك ولم تكن شكوى اسماعيل من قيام أحد الزعماء الاثيوبيين بالإغارة على سكان شانكيلا ، فى محلها ، ليس لأن هؤلاء الشانكيلا ليسو رعايا أثيوبين فحسب بل وكذلك لأن الغارة كانت عقاباً للهم وبالإضافة الى ذلك ، واصل المصريون اعتداءاتهم وقاموا فى الوقت الراهن باحتلال ميتما أيضاً ، وأرسلوا الشيخ جمعه الى السجن فى القاهرة . ثالث ، كرر يوهانيس طلبه بأن تقوم الحكومة البريطانية بإرسال من يقوم بالتحرى لتحديد أسباب النزاع ، « وإن كنت انا البادئ بالعدوان (أم)هو الذى بدأ به . وأخيرا ، طلب أن يكون له مرفأ ينقل من خلال تجارته ويكون وسيلته للاتصال بالعالم الخارجى ، بحيث يكون هذا المرفأ زولا أم أنفيلا امللتين كانتا من قبل ملكاً لاثيوبيا(٧٧) .

---

(٧٦) وزارة الخارجية ١ /٢٧ب ، ملفات ٤٦ - ٨ ، من كيركام (من أجل يوهانيس) الى جرانفيل ، ١٣ مايو ، ١٨٧٣ ، وزارة الخارجية ٧٣٢/٩٥ ، رقم ١٥٠ ، من يوهانيس إلى جرانفيل ، ١٥ مايو ١٨٧٣ ، رقم ١٥١ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ، ٤ يناير ١٨٧٣ . طالب دى كوسون بأن يدرج يوهانيس فى رسائله تعهدا مقدساً بالتخلى عن تجارة الرقيق فى أثيوبيا ، غير أن يوهانيس تردد فى ذلك ، ولم يتعهد بذلك إلا فى رسالة كيركام وربما تم ذلك دون علم الملك بادراج هذا التعهد ضمن الرسالة ، وقام المؤلف دى كوسون بإحضار الرسالتين الى لندن (دى كوسون ، النيل الأزرق ، مجلد ٢ ، ص ص ، ١١٠ ، ١١٣ - ١٦ ، ١٤٠ - ٢ ، وزارة الخارجية ١ /٢٧ب ، ملفات ٦٧ - ٨ ، من دى كوسون الى جرانفيل ، ٣٠ يوليو ، ١٨٧٣) . وربما قام شقيقه الذى تخلف بحمل الرسالة الموجهة الى الملكة . وعلى أية حال فقد وصلت بعد ذلك بفتره طويلة (وزارة الخارجية ١ /٢٧ب ، ملفات ٩٤ - ٥ ١١١ - ١٢ ، من دى كوسون الى جرانفل ، ١٦ ديسمبر ١٨٧٣ ، ٢٠ يناير ١٨٧٤) .

(٧٧) وزارة الخارجية البريطانية ٧٣٢/٩٥ ، رقم ١٥٠ ، من يوهانيس الى جرانفيل ، ١٥ مايو ١٨٧٣ ، (نسخة باللغة الأمهرية مع أسماء تكتب حروفها كما فى اللغة الاصلية) . ليس من الممكن أن تحدد بشكل مؤكد ماهية الغارات أو المناوشات أو الحملات التأديبية التى أشار اليها يوهانيس واسماعيل على التوالى فى رسائلهما . ربما كان يوهانيس يشير فى هذا الخطاب فى واقع الأمر الى احدى الغارات والغارات المضادة التى وقعت فى نهاية ١٨٧٢ تقريبا أوحتى بعد هذا التاريخ . انظر دوين ، اسماعيل الثالث ٢ ، ص ص ٣٩٥ - ٩ .

وأضافت رسالة كركام عدة أسماء أخرى : انشأ المصريون مؤسسة لنشر الأخشاب فى سوبارجوم على الطريق المؤدية الى أسمة وهم يقومون بقطع الغابات داخل الأراضى الاثيوبية . وقد احتاجت فرق السلب والنهب كوارا ووصلت الى بهنى ، التى تقع فى منتصف المسافة بين متيما وجوندر ، كما تم غزو داناقل (نقل) ... الخ . ولم يشعر (كاريكام) أن يوهانيس كان يطلب الكثير بالفعل :

كل ما يرغبه جلالته هو الحفاظ على الحدود التى كان معترفاً بها أثناء حملة ماكديلا ، واللورد نابيير والجنرال ميريويزر على دراية بالحدود التى كانت تعترف بها مصر آنذاك ، وإذا احترم اسماعيل باشا هذه الحدود ... فسينتهى النزاع برمته ، وإن لم يلتزم باحترام الحدود فإن ملك أثيوبيا يرجو حكومة جلالتها ، أو الحكومة البريطانية وأية قوة أخرى من القوى الأوروبية ان تقوم بالتحكيم فى هذه القضية ، وذلك لتحديد الحدود الفعلية . ويثق جلالته فى أن سمو نائب الملك على اتم استعداد للإلتزام بقرارهم ، ويأمل أن تمارس حكومة جلالتها كل ماتملكه من نفوذ للتوصل الى تسوية سلمية لهذا النزاع ، وبذلك نتجنب نشوب حرب طويلة ودموية والا سيضطر جلالته حتماً الى خوضها دفاعاً عن بلد ورعاياه ، الذين يتم أخذهم من قبضته يوما بعد يوم .

ونظر لاقتناع كيركام بأن خليج انسلى ومقاطعة انفيلا كانا ملكا لاثيوبيا ابان حملة ماكديلا ، فقد طلب الى الحكومة البريطانية على وجه الخصوص تسوية مسألة ايجاد منفذ الى البحر(٧٨) .

وكانت هذه المحاولة الثانية لكسب تأييد بريطانيا أقل نجاحاً حتى عن سابقتها ، وقد عمل ستانتون على تخفيف اللهجة الحادة التى تعمد جرانفيل مخاطبة الخديوى بها فى نهاية ١٨٧٢ . وكان الإجراء البريطانى فى المرفأ أقل من أن يوصف بالنجاح . ويبدو أن تقارير مونزنيجر ، التى قللت أحياناً من شأن النزاع برمته أو أخفت إحتمال التوصل الى إتفاق سلمى مع يوهانيس على المستوى المحلى ، والتركيز غالباً على وحشية الهجمات الاثيوبية الجديدة ، يبدو أنها لقيت آذانا مصغية من الممثلين البريطانيين فى القاهرة أولاً ثم من وزارة الخارجية نفسها(٧٩)وقد سمحت وزارة الخارجية فى النهاية لمبعوث يوهانيس بالعودة الى أثيوبيا بعد احتجازه فى مصر لعام كامل . وقد رجع دون أن يحمل معه أى رد على رسالة الملك التى بعث بها فى يوليو ١٨٧٢(٨٠) وكان ذلك

(٧٨) وزارة الخارجية البريطانية ١ / ٢٧ ب ، ملفات ٤٦ ـ ٨ ، من كيركام الى جرانفيل ، ١٣ مايو ١٨٧٣ .

(٧٩) وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٢٢٩ (لا توجد أرقام صفحات فى هذا المجلد وبعض مجلدات وزارة الخارجية الأخرى تحت رقم ٧٨ الوارد ذكرها فيما بعد) ،من ستانتون الى جرانفيل ، ٢٧ ديسمبر ، ١٨٧٢ ، وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٢٨٣ ، من ستانتون الى جرانفيل ، ١٠ يناير ، ٧ فبراير ، ٢ مارس ١٨٧٣ ، من فيفيان الى جرانفيل ٢٢ أغسطس ١٨٧٣ ، للإطلاع عن الإجراء الذى اتخذ فى استانبول ومناورات اسماعيل الدبلوماسية بوجه عام . انظر دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ٣٧٨ ـ ٩٤ ، ٣٩٨ .

(٨٠) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٢٨٣ ، من فيفيان الى حرانفيل ، ٢٢ أغسطس ٢ سبتمبر ، ١٨٧٣ .

يعنى من ناحية أن انذار اسماعيل لم يصل يوهانيس أبداً ، ومن ناحية أخرى كان عدم الرد على الإنذار وكذا مبررات ذلك بمثابة عدوان فى حد ذاته ، وكانت تعنى ذلك بلا ريب برغم العروض الودية المزعومة التى كان يتم تقديمها شفاهة(٨١) . وبعد إطلاع الحكومة البريطانية على رسائل يوهانيس وكيركام ، أعربت عن رضاها إزاء حسن نوايا الخديوى تجاه الحبشة وطلب الى ممثليهما ان يركزا مرة أخرى « اهتمامهما بشدة على رفاهية الحبشة وسلامها واستقلالها » ، الأمر الذى يلزمهما بالاعتراض على أى اجراء من جانب مصر .(٨٢)

وقد علم يوهانيس من خلال رد لورد جرانفيل على رسائله وعلى رسائل كيركام انه لا يمكن للحكومة البريطانية أن « تحدد على نحو جازم » أى جزء من الاراضى المتنازع عليها هو الجزء الخاص بأثيوبيا أو كيف كانت المزاعم التى تقدم بها اسماعيل تقوم على أساس صحيح أو خاطىء ، وكذلك لا يمكن التدخل فى مسألة منفذ أثيوبيا على البحر . ويرى أعضاء الحكومة (البريطانية) انهم ليسوا فى موقع يسمح لهم بأن يوضحوا للحكام الذين يسيطرون على الأراضى التى تفصل أراضيكم (أراضى يوهانيس) عن ساحل البحر ، السبب أو الفائدة التى ستعود عليهم بتقديمهم للتنازلات التى ترغبونها ، ولكنهم يستطيعون إبلاغ اسماعيل فقط بإهتمامهم برفاهية أثيوبيا . وبالإضافة الى ذلك ، فقد تلقوا مؤخراً تأكيدات عن ميول الخديوى الودية تجاه يوهانيس وكانوا يعلقون آمالاً على إمكانية ترتيب الأمور « بروح يسودها الود » . وكان على يوهانيس أن يدرك أن القضية قد أغلقت بالنسبة لبريطانيا . وتحسباً لإحتمال تفكيره فى اللجوء الى مناشدة القوى الأوروبية الأخرى ، أضيف تحذير بشأن « ان اللجوء لتدخل أجنبى قد يورطك فى مشاكل وتعقيدات أكثر خطورة من تلك التى تسعى للفكاك منها(٨٣) » . والواقع أن هذا التحذير لم يكن ضرورياً . فبينما كانت رسالة اللورد جرانفيل فى الطريق ، قام سارزك بزيارة يوهانيس(ديسمبر ١٨٧٣) حاملاً رسالة من الرئيس الفرنسى لم تشر حتى الى النزاع . ويتردد أن يوهانيس قال لسارزك أنه أصيب بالصدمة هو وأعضاء مجلسه بسبب لا مبالاة من الدول المسيحية(٨٤) .

ورسالة جرانفيل ، التى سلمها باليد فلاد المبجل ، وصلت يوهانيس بينما كان فى حملة عسكرية فى كوجام لإخضاع رأس أدال (الذى عرف بعد ذلك باسم نيجوس تيكلهايمانون) ، وأبلغ فلاد بدوره القاهرة فى يونية ١٨٧٤ بأن الملك رفض العروض الودية التى عرضها عليه الخديوى وانه

(٨١) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ص ، ٣٧٩ ـ ٨١ ، ٤١٨ . كان أحد المبررات التى قدمها اسماعيل فى أغسطس ١٨٧٢ لقيامه بارسال قوات الى منطقة الحدود هو انه لم يتلق رداً على رسالته التى بعث بها فى ابريل من ذلك العام (مرجع سابق ، ص ٣٥٠ .

(٨٢) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٢٨٤ ، من جرانفيل الى فيفيان ، ٧ اكتوبر ، ١٨٧٣ .

(٨٣) وزارة الخارجية البريطانية ٩٥ / ٧٣٢ ، رقم ١٥٢ ، من جرانفيل الى يوهانيس ، ٣ اكتوبر ، ١٨٧٣ ، « قرأته الملكة ومستر جلادستون » .

(٨٤) AECP ، مصر ٥٥ ، ملفات ١٨٦ ـ ٣١٩ ز ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٠ ابريل ، ١٨٧٤ .

لن يتصالح معه إلا بعد إسترداده لكافة الأراضى التى كانت ملكا للحبشة من قبل بما فيها مرفأ أنفيلا ، ومع ذلك ، وطبقا لكيركام ، كان الملك ما يزال مستعداً لتسوية مسألة الحدود من خلال التحكيم . واكتفى يوهانيس بالاعراب عن شكره لستانتون لتسليمه الرسالة وعلى ما قدمه من عون لمبعوثه فى القاهرة ، والإدلاء بالملحوظة التالية : « لقد بعثت برسولى الى اسماعيل باشا فاحتجزه لمدة وأعاده بعد ذلك بدون رد »(٨٥) .

وفى لندن اشتد الموقف تصلبا : « يبدو أن ملك الحبشة قد يعمل مرة أخرى على إفساد العلاقات الجيدة » . . . وكلما عمدنا الى عدم التدخل فى تلك النزاعات والمؤامرات المصرية الحبشية كان ذلك أفضل . « ولنتجنبهم تماماً فى المستقبل »(٨٦) . وكانت العبارات الأخيرة لإيرل ديربى ، المعروف سابقا باسم لورد ستانلى ، الذى كان عليه ان يتعامل مع تاودروس فى الفترة من ١٨٦٦ الى ١٨٦٨ ، وقد كان يعنى تماماً ما قاله . ولم يتم حتى السماح لستانتون بتوصيل رساله من كيركام الى الخديوى ولكن عهد اليه بارجاعها الى من كتبها(٨٧) .

وفى الحقيقة رفض اسماعيل ومونزنجر النظر الى النزاع على أنه نزاع حول الحدود ولم يرغبا فى التحكيم ، ولم تمنعهما من مواصلة الجدل بشأن جميع الأحياء والمحليات المتنازع عليها ، وفى أكتوبر ١٨٧٣ قام مونزنجر بتفنيد كل القائمة التى قدمها يوهانيس وكيركام فى رسائلهما التى بعثا بها فى مايو : فكل من قبيلتى ماويا قد الحقتا بمصر فى ١٨٢٥ ـ ١٨٢٧ ومن ثم لا توجد أية ذريعة لأية مزاعم أثيوبية فحقوق المصريين فى بوجوس واضحة تمام الوضوح ، غير ان السكان كانوا قد توسلوا اليه منذ عامين ليضفى عليهم حمايته ، وقد اضطر تقريبا الى الاستيلاء على البلاد ، ولم تكن « أيلت » حبشية على الاطلاق بل كانت دائما تابعة لمصوع ، وكانت زولا وانفيلا فى حوزة الترك لمائتين وخمسين عاماً ، ولم يكن للحبشة أى حق فيهما على الاطلاق ويعد مطلبها أمراً منافياً

(٨٥) BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ١٩ ، وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٣٤٢ ، ملفات ١٧٠ ـ ٣ ، من ستانتون الى دربى ، ١٧ يناير ، ١٨٧٤ ، ملفات ١٧٦ ـ ٧ ، من يوهانيس الى ستانتون ، ٦ ابريل ١٨٧٤ ، ملف ١٨٢ ، من كيركام الى ستانتون ، بدون تاريخ . عشية حرب ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ ، زعم فلاد أن يوهانيس كان قد طلب بمصوع وزولا وانفيلا بالإضافة الى بوجوس وبازن وميتما . . الخ . (ENA ، الحبش ، رف . ٢ / ٩ / ١ ، من فلاد الى فليمنج ، ٢٤ أغسطس ١٨٧٥) ، بيد أن هذا التعليل متحيز تماماً لصالح مصر .

(٨٦) وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٣٤٢ ، ملفات ١٧٤ ـ ٥ ، مذكرة وزارة الداخلية ، ٢٤ يناير ١٨٧٤ ، مرفق بها محاضر مالم يوافق المره على رأى دوين (اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٤١٨) بأن اطلاق سراح مبعوث يوهانيس ومعه رسالة شفوية عدائية ليوهانيس كان بمثابة انفراج فى العلاقات ، فإنه من الصعب معرفة أن العلاقات تحسنت على الإطلاق بعد احتلال بوجوس فى ١٨٧٢ .

(٨٧)وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٣ ، ٢٤ ، من ديربى الى ستانتون ، ٢٥ فبراير ، ١٨٧٥ .

للعقل(٨٨) . وإحقاقاً للحق ، فإنه يكفى فى بعض الحالات الرجوع الى كتاب مونزنجر نفسه (دراسات شرق أفريقيا) الذى نشر منذ أقل من عشر سنوات ، ولقد كانت الترجمة الألمانية لرسالة يوهانيس مذيلة بمراجع الصفحة(٨٩) . ولم تكن الحقيقة سهلة بالضرورة . ويكفى أن نتذكر وصف مونزنجر عام ١٨٦٤ لسمهار ، ذلك الاقليم الساحلى شمال مصوع .

« وفقاً للقانون الدولى فان هذه الأراضى ملك لتركيا ، غير أن الأثيوبيين لم يتركوا هذه الأرض للبحر على أية حال بسبب ذلك ولذا فان سمهار هى أرض حبشية من الناحية القانونية والفعلية أكثر مما يعتقد الناس عادة . . . والحبشيون ليسوا بحاجة الى غزو بلاد وهبتهم الطبيعة إياها ببساطة ومن ثم ، يعتمد سكان سمهار فى معيشتهم على طرفين ، يعتمدون على أثيوبيا من أجل المراعى وعلى مصوع من أجل السوق ، وعلى الاثنين معاً من أجل الأمن والأمان . ولذا فهم يدفعون الجزية للاثنين وحينما يقول أحد الناس ان سمهار ملك للترك فهو بجانب الصواب(٩٠) .

والمناطق الممتدة من كوارا وقلابات فى الغرب وحتى ساحل داناقل (دنقل) والمنطقة الداخلية فى الشرق وكافة مناطق الحدود التقليدية للحبشة كان المصريون قد احتلوها بالفعل أو كانت مهددة بزحفهم عليها وقد طالب يوهانيس بالتحكيم لانه الطرف الأضعف .

وكان طلب يوهانيس بالتحكيم لنزاع بوجوس هو أول طلب هام ومحدد من جانب أثيوبيا للمساعدة الدولية فى حل مشكلاتها الحدودية . وكانت هذه المشكلات متأصلة فى عملية تحولها من دولة ذات بنية تقليدية اقطاعية وما يرتبط بذلك مفاهيم مبهمة بشأن الحدود ، الى دولة حديثة ذات أراض ممتدة وحدود واضحة المعالم لايمكن انتهاكها نظرياً ، لقد كان هذا تحول فرضته على أثيوبيا والى حد بعيد وصول الأوروبيين ، غير أن نشاطات مصر هى التى جعلته أمراً يستلزم حلا سريعاً .

ومن الصعب الاعتقاد بأن بريطانيا كان ينقصها النفوذ اللازم لاجبار اسماعيل على قبول التحكيم ، بمفردها أو بالاشتراك مع فرنسا ، إلا اذا كان حاكم مصر عازما مهما كان الثمن على إبقاء الحدود مفتوحة لكى يتمكن من استغلال الحوادث التى تقع كذريعة لمواصلة عمليات الضم التى لم تتوقف ، ومن الصعب أيضا القول بعدم وجود معلومات كافية عن مناطق الحدود بين مصر وأثيوبيا

(٨٨) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٢٨٤ ، مذكرة معلومات تم الحصول عليها من مونزنجر بك . . ترجمها فيفيان لجرانفيل ، ١٨ أكتوبر ١٨٧٣ ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠٥ ـ ٦ .

(٨٩) وزارة الخارجية ٩٥ / ٧٣٢ ، رقم ١٥٠ (ترجمة المانية) . للرجوع للمصداقية النسبية للمزاعم التاريخية للطرفين ، انظر مراجع مناطق النزاع التى سبق ذكرها فى هذا الكتاب ، صفحات ١٠٢ ـ ٩ ، ١١٦ ـ ٢٤ ، ١٤ ـ ٤ ، ٢٠٨ ـ ٢٣ ، ٢٥٠ ـ ١ ، على سبيل المثال .

(٩٠) مونزنجر ، دراسات شرق أفريقية ، ص ص ، ١٣٧ ـ ٨ .

مما يجعل التحكيم أو محاولة الوساطة أمراً له معنى ، ومع ذلك لم تنشب أزمة بوجوس إلا بعد خمس سنوات من حملة ماكديلا ذات التخطيط الجيد ، وبالطبع كانت حقيقة الأمر تتمثل فى أن المصالح التجارية البريطانية ، التى لم تكن تقل عن المصالح الألمانية (أو الفرنسية أو النمساوية) كانت تتطلب عدم القيام بشىء من شأنه أن يغضب الخديوى اسماعيل . وقد قام الممثلون الدبلوماسيون فى مصر والأعضاء الأوروبيون فى حكومة اسماعيل بالترويج لوجهات النظر المصرية بشأن النزاع .

وكان النزاع أساسا ينحصر فى تعارض المصالح الاثيوبية مع المصالح المصرية والأوروبية معاً ، لأن الاثيوبيين رفضوا بالفعل قبول الوصاية الأوروبية ، بينما فتحت مصر أبوابها على مصاريعها أمام العواصم الأوروبية ، وبشروطها الخاصة ، وفى هذا الموقف ، لم تستطع مبادرات يوهانيس الدبلوماسية ، وبمساعدة من كيركام وحده ، إلا أن تؤجل الهجوم الشامل . ومع ذلك ، فحقيقة إنزعاج الحكومة البريطانية وماكانت تكنه من إمتنان كبير ليوهانيس شخصيا لمساعدته فى ١٨٦٧ - ١٨٦٨ لتوجيه استفسارات فى القاهرة وهو أمر وفر على أثيوبيا وقتاً بالغ الأهمية استغله يوهانيس فى تدعيم سلطته فى وسط أثيوبيا ، ولم يرجع الى تيجرى إلا فى بداية فصل المطر عام ١٨٧٥ . ويبدو أن هذا التدعيم لسلطته اشتمل أيضا على التوصل الى اتفاق ما بين يوهانيس ومينليك الذى اعترف الأخير بموجبه بسيادة يوهانيس عليه ودفع جزية محددة . وفوق ذلك كانت هناك تقارير عن قيامهما بتوقيع « معاهدة سلام » رسمية فى ١٦ مايو ١٨٧٥[٩١] .

وقد اتجهت ميول اسماعيل التوسعية لبعض الوقت تجاه منطقة البحيرات فى وسط افريقيا والساحل الصومالى لخليج عدن ، والواقع انه وقع فى مصاعب أكبر - مع بريطانيا وتركيا - حول الاستيلاء على بربرة وزيولا تفوق ماكان يتوقعه .

وعلى أية حال ، فقد تمت تسوية المشكلات فى منتصف عام ١٨٧٥ ، بتكاليف باهظة كان اسماعيل يأمل فى التخلص من أعبائها أكثر من مره من خلال استغلال المناطق الداخلية ، وعلى سبيل المثال منطقة هارير[٩٢] . وجاء الدور على أثيوبيا ، أم أن يوهانيس هو الذى أحس بقدر كبير من الأمان ليأخذ من زمام المبادرة ؟

---

(٩١) AECP ، مصوع ٤ ملفات ١٢ ـ ١٦ ، من سارزك إلى ديكازس ١٤ أغسطس ، ١٨٧٥ ، MT ، ١٨٧٥ ، ص ص ، ١٢٣ - ٤ ، لاجير ، ١٥ أغسطس ١٨٧٥ ، BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ملفات ١٩ - ٢٠ . ذكر سارزك أن يوهانيس طلب منه إبلاغ الحكومة الفرنسية رسميا بشأن الاتفاق . ولا يوجد بالمصادر الاثيوبية سوى القليل أو لا شىء على الإطلاق لتقوله عن العلاقات بين الأمرين آنذاك . وهيرى وحده (طارق ، ص ، ٤٦) هو الذى قرر أن يوهانيس كان فى طريقه الى شوا ووصل زيبت حينما سمع بهجوم الاتراك وعاد الى تيجرى : « كان ذلك مدعة لسرور نيجوس مينليك البالغ » .

(٩٢) أنظر دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣أ ، ص ص ٥٤٧ - ٦٠٢ ، وللاطلاع على تفاصيل المفاوضات بشأن بربرة وزيلا ، أنظر أيضا AECP ، مصر ٥٦ ، ملفات ٣٠٢ - ٣ ، من بلترر الى ديكازس ، ١٢ يوليو ١٨٧٥ ، لمعرفة رأى فرنسا بشأن أهمية زيلا الاقتصادية بالنسبة لمصر .

مصر العظمى :

لاتوجد إجابة بسيطة لسبب نشوب حرب ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، فعنصر الأراضى الذى تم التركيز عليه بعد قيام مصر بضم بوجوس ، كان عنصراً هاماً . وقد قرر يوهانيس أكثر من مرة أنه لن يوافق على ضياع بوجوس . وتشير الإضطرابات والأحداث التى تجرى على طول الحدود الى أن الحكام المحليين كانوا غير مستعدين لقبول الوضع الجديد فى أماكن كثيرة . وبرغم ذلك طلب الملك اللجوء الى التحكيم ولابد انه أدرك انه قد يتعين عليه أن يدفع مبلغاً من المال مقابل تخليه عن بوجوس والمناطق الأخرى من أجل تحقيق سلام على الحدود وأن يكون له منفذ على البحر بشكل أو آخر . وقد اعتقد خليفة مونزينجير الذى حكم مصوع وهو أركيل بك ، اعتقد عام ١٨٧٥ ، تماما كما اعتقد مونزينجير فى عام ١٨٧٢ ، ، ان يوهانيس كان مستعداً للتخلى عن أراضى : بوجوس ومينسا بل وكذلك جيندا التى كان المصريون يريدونها ولكنهم لم يكونوا قد احتلوها بعد[٩٣] وبالطبع كان امتلاك بوجوس الفعلى لمدة ثلاث سنوات متصلة من جانب مصر . عاملا على تدعيم مطالبها بالنسبة ليوجوس .

وكانت الضرائب الباهظة على التجارة الاثيوبية والحظر المفروض على الاسلحة من وجهة نظر أثيوبيا تشكل عقبات مماثلة للسلام ، هذا إن لم تكن أكثر خطورة غير أن تدهور التجارة وخسارة العائدات وتكاليف الحفاظ على الحصون التى تم الاستيلاء عليها أسفرت عن مصاعب مالية خطيرة للسلطات المصرية أيضا ، وكانت مصر وكذلك أثيوبيا ، ترى أن النزاع استمر بما فيه الكفاية[٩٤] . وكان السؤال المطروح له : إما تسوية سياسية أم حرب ؟

ولا يمكننا أن نعرف سوى القليل أو لاشىء البته عن مخططات يوهانيس حينما عاد الى تيجرى فى عام ١٨٧٥[٩٥] . ولم يكن مونزينجير يعتقد فى أوائل ذلك العام وكذلك أركيل فى سبتمبر ، أن يوهانيس سيقوم بالهجوم بالفعل ، فى المستقبل القريب على الأقل[٩٦] . وعلاوة على ذلك لم تكن اتجاهات الملك قبل الحرب أو خلالها أو بعدها تشير الى أية رغبة فى تسوية الخلافات بالوسائل العسكرية .

أما خطط الخديوى اسماعيل فهى معروفة تماما على نحو لايسمح بالمقارنة . فالحقيقة انه بادر بغزو الاراضى الاثيوبية فى ١٨٧٥ وهو أمر لايمكن إنكاره . ومع ذلك فقد قال انه يتخذ إجراء وقائيا فحسب[٩٧] ، ولكى تظل نتائج خططه النهائية الخاصة باثيوبيا محصورة داخل نطاق الحدس

---

(٩٣) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣أ ، ص ٣٥٨ ، ٣ب ، ص ٧١٥ .

(٩٤) ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ١٢٠/٧٣/٣ ، من أراكيل الى كيرى ، ٢ سبتمبر ، ١٨٧٥ .

(٩٥) لايوجد دليل موثق ، والتاريخ الزمنى للأحداث يبدأ بنزول قوات مصرية جديدة فى مصوع .

(٩٦) اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ٧٠٠ ، ٧٣٩ .

(٩٧) أنظر المرجع التالى ص ، ٣١٤ .

والتخمين . وبرغم ان شخصية الخديوى وعهده كانا مثار جدل كبير من نواح عديدة ، إلا أنه ليس ثمة خلاف بشأن طموحاته العظيمة وانجازاته الرائعة فى مجال بناء امبراطورية :

فى السنوات الثلاث ، من ١٨٧٤ حتى ١٨٧٦ ، شيد نائب الملك امبراطوريته الافريقية العظمى التى كانت ستصل بحدود مصر الى منطقة البحيرات الاستوائية ، وشواطىء المحيط الهندى وحدود مملكة تشاد السوداء ، وهو انجاز هائل قد يبرز سائرالانجازات ، ويدلل على قدرات هذا العاهل العظيم . . ويمكن تلخيص توسعات الخديوى الاستعمارية فى عبارة واحدة ، ألا وهى انه أراد أن يجعل النيل نهرا مصريا ، وأن يضم الى بلاده كافة المنطقة الجغرافية لحوض هذا النهر . . . . وهى رؤية رائعة ، تظهر بصمات العبقرية[٩٨] .

ومع ذلك وفى الوقت نفسه ، يؤكد الرأى الذى أوضحه سير ستيفن كيف فى تقريره عام ١٨٧٦ بشأن الانهيار المالى الوشيك لحكومة اسماعيل على أن : الخديوى قد تورط إلى حد ما فى هذه المشروعات (احتلال دارفور والحملة التى وجهها الى البحيرات الاستوائية) بهدف القضاء على تجارة الرقيق ، وان الحرب الحبشية فرضت عليه تقريباً » . ولقد وضح تضارب أولئك الذين أرادوا تمثيل السلام والامبريالية فى وقت واحد من خلال رئيس أركان حملة جورا الامريكى ، الجنرال دبليو دبليو لورنج ، الذى يصف الحملة بأنها « حدث مؤسف » تورط فيه اسماعيل على حين فجأة : غير انه كتب أيضا : وبينما وقفت مصر عند هذا الحد ، فقد كانت تحتفظ بقبضتها الحديدية على أطراف ثلاثة . . . فقد كانت مصر أكثر الدول التجارية اشعاعا فى شمال شرق أفريقيا ، واستسلم الحبشيون فى الحرب ، وتخلوا عن إثارة الاضطراب وتجارة الرقيق ، وكانت مصر على حق فى ضرورة كبح جماح أكبر دولة همجية[٩٩] .

---

(٩٨)دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ١ مقدمة ، ص ، ٩ . أنظر أيضا ، م . صبرى ، الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل والتدخل البريطانى - الفرنسى (باريس ، ١٩٣٣) ص ص ٣٧٩ - ٨١ ، وللإطلاع على تفسير مماثل مع اشارة الى أن مصر كانت تقوم بالإضافة الى ذلك ، بمهمة تاريخية باعتبارها موطن الاسلام والمسيحية (الكنيسة القبطية) فى افريقيا .

(٩٩) ب ب . كومنس ، ١٨٧٦ ، ٨٣ ، ص ص ، ٩٩ - ١١٨ ، تقرير أعده مستر كاف . . . . ، و . و . لورنج ، جندى متحالف فى مصر (نيويورك ، عن هجوم اسماعيل على الحبشة دفاعا مشوشا (الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل ، ص ص ، ٤٦١ - ٩) حيث يورد بيان كاف . ويتابع القول بأنه لو لم تكن انجلترا ، لكان محمد على غزا الحبشة (مرجع سابق ، ص ص ، ٥٧ - ٨ ، ٦٩ - ٧٠) ، وان انجلترا وفرنسا حالا دون تدخل مصر فى الحبشة طالما ان الموضوع المالى والعسكرى فى مصر يسيران على ما يرام ولكنهما من خلال حيادهماالرسمى ومؤامراتهما السرية كانتا تفضلان اندلاع حرب تعجل بالازمة المالية . وقد تناول المؤلف مسألة الحياد الرسمى وعرضها بوضوح غير أنه أخفق فى التدليل على وجود مؤامرات فيما يتعلق بهذا الأمر وحينما أقحم كيركام (فى أحيان كثيرة) فى المخابرات البريطانية ، فقد اخترع رواية . ومع ذلك ، فهو يخلص الى القول وهكذا يتبين أن السبب الرئيسى للحرب الحبشية ، لم يكن طموحات الخديوى ومؤامرات مونزينجير وأركيل بك ، ، وأنما كان بالأحرى طموحات الملك جون والمؤامرات الانجليزية - الفرنسية .

ولئن كانت طموحات اسماعيل النهائية هى أن يمد حكمه من البحر المتوسط حتى البحيرات الاستوائية ومن تشاد حتى المحيط الهندى - وكذلك السيطرة على منابع مياه النيل بأسرها - فمن البديهى أن اثيوبيا كانت لابد وأن تدخل ضمن امبراطوريته بشكل أو بآخر ، وفى هذه الحالة لن تكون قضية الحدود هى القضية الحقيقية ، وانما وجود أثيوبيا كدولة مستقلة . وهذا هو ماكان يخشاه يوهانيس حقا[١٠٠] . وكان مضطرا لمحاولة منع حدوث ذلك حتى لو كلفه ذلك الدخول فى حرب واسعة النطاق . وبلغة الأهداف النهائية ، فسيكون من الأوفق عندئذ ان نقول ان الحرب قد فرضت على يوهانيس . وعلى أية حال ، فقد كان « كيف »يعنى حقاً - بإستخدام منظور أضيق - أن يوهانيس أجبر اسماعيل على الحرب من خلال استفزازات غير محتملة أو من خلال رفض الاتفاق على المسائل الخاصة بالتجارة والأمن على طول الحدود . والظروف والتصريحات التى أحاطت باندلاع الحرب ينبغى أن تجيب عن السؤال الخاص بالأسباب المباشرة للحرب ، ان لم يكن أسبابها الفعلية .

وقبل أن يغادر يوهانيس أمبا تشيرا ، وربما كان ذلك فى الشهور الأولى من عام ١٨٧٥ ، تلقى رسالة من اسماعيل . ولابد وأن ذلك كان مفاجأة كبرى له : أولا ، لأن رسوله الشخصى أبلغه منذ عام مضى أن اسماعيل مصمم على عدم الكتابة إليه مالم يرسل يوهانيس اليه أولا رسالة يعرب فيها عن وده واحترامه[١٠١] ثانيا ، لأن لهجة الرسالة كانت تعبر عن الود ، وأغفلت خلافاتهما وربما كانت تنطوى على تلبية ما طلبه الملك من مساعدة فنية لتطوير بلاده والواقع أن الرسالة « التى وجهت الى سلطان الحبشة » ، لم يكن المقصود بها يوهانيس ، وانما مينليك الذى كان قد طلب من الخديوى فى العام السابق « أشخاصا جديرين بالثقة ولديهم دراية واسعة بالفنون والحرف »[١٠٢] ، وقد قال المبعوث الذى حمل رسالة النائب محمد عبد الرحيم ، لدى عودته الى مصوع فى مايو أن يوهانيس أعرب عن عظيم امتنانه للرد أخيرا على رسالته التى كان قد كتبها منذ عام ونصف العام ، وقال ان أمنيته الوحيدة هى أن يتفاهم مع الخديوى ، اذ كان يريد معاهدة سلام وانه لن يطالب بالأراضى المتنازع عليها ، وقد قام أراكيل بك ، الذى كان حاكما لمصوع منذ أواخر ١٨٧٣ ، بنقل هذه المعلومات الى القاهرة ، وهو مقتنع ، فيما يبدو ، بأن يوهانيس لم يشك فى النوايا الحقيقية . وبرغم ما يتردد من أن النائب محمد أبلغه بأمر التفاهم بين يوهانيس ومينليك ، فقد أبدى أراكيل شكوكه فى هذا الأمر ، وفسر ميول يوهانيس السلمية بأنها نتيجة للإضطرابات وحركات التمرد ضد نظام حكمه فى وسط أثيوبيا[١٠٣] .

---

(١٠٠) أنظر المرجع السابق ، ص ، ٢٩٨ .

(١٠١)أنظر المرجع السابق ، ص ، ٣٠٦ .

(١٠٢) دوين د اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧١٣ ، ٧١٧ - ٨١٨ . لسوء الحظ يورد دوين فقط المراسلات بين مونزينجير واسماعيل وتقرير أراكيل لباروت الخاص بتلك الرسائل ، ولم أفلح فى تحديد الرسائل الاصلية .

(١٠٣)ENA ، السودان وأفريقية الشرقية ، رف ٣/٧٣/١٢٠ ، من أراكيل الى باروت ، ٢٩ مايو ١٨٧٥ . يشير أراكيل فى هذه الرسالة الى رسالة مرفقة من يوهانيس الى اسماعيل غير اننى لم استطع تحديدها .

وسواء قبل يوهانيس الرساله بالفعل على أنها موجهة إلية شخصيا أم أنها أثارت شكوكه ، فهذا أمر آخر ، ففى الحالة الأولى ربما يكون قد استنتج أن اسماعيل إما يريد الآن حل مشكلاتهما حلا سلميا أو أنه غير مخلص فى غرضه . غير أن يوهانيس ربما حافظ على رباطة جأشه وورد عليه حتى لو كان يتشكك فى أن الرسالة موجهة بالفعل الى خصمه ، وفى هذه الحالة ، فإن الرسالة ، مهما كان حسن عباراتها ، كانت لتذكره بالحقيقة المؤلمة بأن منافسه كانت لديه فرص قيمة ومحددة غير متاحة له . والنتيجة الوحيدة والمؤكدة لهذه الحالة الشاذة للدبلوماسية المتخبطة هى أن السلطات المصرية فى نهاية مايو ١٨٧٥ كانت على قناعة بأن يوهانيس مستعد للتخلى عن الأرض لتسهيل التوصل الى حل سلمى للنزاع[١٠٤] ولم يكن لدى يوهانيس من جانبه ايا كان رأيه فى الرسالة ، سبب قوى للإعتقاد بأن المصريين يريدون الاتفاق .

وبينما كان محمد عبد الرحيم يقوم برحلته الى أمباتشيرا ، كان أراكيل يتابع مشروع مونزينجير السابق الخاص بالسيطرة على سهول الملح التى تقع على بعد حوالى ثمانين كم من خليج انفيلا تحت حافة تيجرى الشرقية مباشرة[١٠٥] . وبرغم ذلك كان أراكيل يرى أن الرعايا المصريين لم يكونوا بالفعل هم وقبائل الدناقل هناك حسنى النية ودائما تجاه السلطات الحكومية (وبمعنى آخر فقد رفضوا الخضوع للحكم المصرى) . وكان أراكيل يأمل أن يغرس فى نفوسهم ميولا أكثر إنتماء[١٠٦] . ولتحقيق هذه الغاية ، تقدم الى الداخل من انفيلا وبصحبته مائة وخمسين جنديا ، أو ربما مائتين وخمسين ، ومدفعين ، وجابوا المنطقة لما يقرب من ثلاثة أشهر ، وحددوا المحليات التى ينبغى أن تشيد فيها الحصون . وأقيمت الحصون العسكرية لحفظ النظام . وتم إحكام الرقابة على الطريق الوحيد الصالح للإستعمال التى تستخدمه قوافل الملح الأثيوبية ، وتبين له أن الدناقل اليوم ما يزالون يعتبرون أنفسهم خارجين عن نطاق الحكومة المصرية . وادرك أنه لابد من وجود قوة عسكرية ، غير انه كان عازما على تغيير النظم الجديدة التى كان يتم استغلال مناجم الملح وفقا لها دون التعرض للعقوبة على يد الدناقل والحبشيين دون أن يدفعوا أية ضرائب نظير هذا الاستغلال ، وقام بحساب الدخل المتوقع بالتفصيل ، وقدره بثمانين ألف طالر (وهى وحدة نقد جرمانى فضى توالى اصدارها من القرن ١٥ الى القرن ١٩) سنويا وهى تغطى رواتب رجال الحامية الذين يصل عددهم الى اربعمائة وسبعون رجلا بالإضافة الى تكاليف المدافع الستة التى معهم ، ويتبقى بعد ذلك ربح صاف يصل الى خمسين ألف طالر . وفى النهاية ، اقترح أراكيل أن احتلال سهول الملح سيدفع عدد من القبائل التى لاتخضع لمصر للجوء إليه لحمايتها . وذكر على وجه الخصوص قبائل

---

(١٠٤) يوافق دوين على هذا دون أية تحفظات أيا كانت ويختم تحليله للمسألة الغربية (اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧١٣ - ١٥) ، بقوله . . « لايسع المرء إلا أن يُعجب بمقدرة القائمين على السكرتارية فى القاهرة على تحرير رسالة يمكن توجيهها الى يوهانيس أو الى منافسه كل على حدة دون أن يكون لها أية نتائج سلبية .

(١٠٥)أنظر المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(١٠٦)ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ، ٣/٧٣/١٢ ، من أراكيل الى باروف ، ١٢ فبراير ١٨٧٥ .

ادال سكان أوسا والأزينو جالا . وكان يرى أن عدم التخلى عن قبائل الأراضى المرتفعة والجالات يأتى فى المقام الأول من الاهتمام[١٠٧] .

ولم تكن حملة أراكيل وأهدافه خافية على يوهانيس . وقد أدار ظهره لسائر مشكلات أثيوبيا الوسطى واتجه صوب الشمال على طول حافة الجرف مستعرضا قوته بين قبائل الرايا (زويل) والأزيو جالا ، والدناقل الذين يعيشون فى المنطقة . وكان فى كل مكان يزوره ، يأذن القواده بالانصراف ، بعد أن يصدر اليهم تعليمات بأن يكونوا متيقظين دائما لمواجهة أية هجمات مصرية قد تباغتهم فجأة من أى مكان . ومن ناحية أخرى ، نجد أن حقيقة قيام الملك بحل جيشه تشير فيما يبدو الى انه لم يكن يعتزم غزو أراضى فى قبضة المصريين[١٠٨] .

وقرب نهاية شهر يوليو عاد حاكما هماسين وسيراى الى اقليميها بصحبة فرقهما العسكرية . وكان من المتوقع أن يصل الملك نفسه الى عدوة فى غضون شهر[١٠٩] . وكان مونزينجير فى مصر لإعداد الخطط النهائية لإحتلال أوسا واجراء اتصالات مع مينليك غير أن نائبة ، علاء الدين بك ، أبلغ القاهرة بذلك وقرر اسماعيل اعتبار عودة الحاكمين عملا عدائيا . وعلم ممثلو الدول الأوروبية بأمر رسائل علاء الدين وأضيف اليها تعليقات كان الهدف منها بوضوح هو خلق انطباع زائف بأن يوهانيس على وشك مهاجمة مصوع[١١٠] . وتم إرسال ماك كيلوب باشا وجمالى باشا الى مصوع ومعهم تعزيزات ، وعلق الممثل البريطانى على ذلك بقوله ، « نأمل أن يصل فى الوقت المناسب ليحول دون كارثة تعرض مصوع للنهب والسلب على أيدى الحبشيين » . وبالطبع لم يستطع أحد أن ينتقد اسماعيل لرغبته فى الدفاع عن مصوع ، حيث كاد ان يدفع الى الحرب دفعا[١١١] .

---

(١٠٧) مرجع سابق ، من أراكيل الى باروت ، ٢٧ مايو ، ١٨٧٥ ، AECPمصوع ٤ ، ملفات ٨ - ٩ ، ١٢ ، ١٦ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢ مارس ، ١٤ اغسطس ، ١٨٧٥ . فى التقرير الثانى تلك التقارير يقدر سارزك عدد قوات أراكيل بمائتين وخمسين .

(١٠٨)BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ٢٠ ، AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ١٩ - ٢٠ ، من سارزك الى ديكازس ، ١٤سبتمبر ، ١٨٧٥، بيترمان ، ١٨٧٧ ، ص ص ، ١٥٧ - ٨ ، مذكرات أعدها أحد النمساويين ، هو كاميل روس ، الذى كان فى عدوة آنذاك .

(١٠٩) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٢٤ - ٥ ، ويوردبرقيتان من علاء الدين بتاريخ ٢٥ (أو ٢٦) و ٣٠ (أو٣١) يوليو ١٨٧٥ .

(١١٠)مرجع سابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٢٠ - ٤ .

(١١١)ENA ، سجل ٢ ، أوامر عليا ، ص ٢٧٥ ، من اسماعيل الى مونزينجير ، ١٢ اغسطس ، ١٨٧٥ ، ص ، ٩٣ ، من اسماعيل الى أراكيل ، ١٢ اغسطس ، ١٨٧٥ ، وزارة الخارجية ٢٤٠٤/٧٨ ، من كوسون الى ديربى ، ١١ اغسطس ، ١٨٧٥ ، (ومطبوع أيضا وزارة الخارجية (٣٠٥٨/٨٠١ ، ص ، ١)AECP ، مصر ٥٦ ، ملفات ٣٢٣ - ٥ ، من بيلسير الى ديكازس ، ١٥ اغسطس ، IBg,AAPA١٨٧٥ الحبش ١ ، نسخ فرنسية من كل من رسالتى علاء الدين .

ولدى عودة مونزينجير الى مصوع ، أكد فى البداية (فى ٣ أغسطس تقارير أراكيل المنذرة بالخطر بشأن الجيوش الاثيوبية الضخمة المرابطة بالقرب من الحدود والغزو الوشيك(١١٢) . غير أنه سرعان ما اكتشف عدم وجود تهديد حقيقى من وقوع هجوم أثيوبى ، وأرسل برقية يقول فيها ان التعزيزات لاضرورة لها . ورد اسماعيل عليه (فى ٢٧ أغسطس) بأن تلك القوات قد كلفته بالفعل تكاليف باهظة ولن يتم ارجاعها ، وكان يتعين على مونزينجير نشر الفرق الجديدة على طول الحدود لكى تؤدى مهمتها على أفضل نحو لمواجهة أى أثيوبى وصده . ولو كان على قناعة بأنه لن يقع هجوم أثيوبى فى الشمال لكان عليه التقدم الى تاجورا لمتابعة حملته الاستكشافية الى أوسا(١١٣) .

وكان أراكيل متشدداً للغاية ومن المؤكد انه لم يخف ذلك فى رسائله التى بعث الى القاهرة فى أوائل سبتمبر ، فقد اعترف من ناحية بأن قيام الأثيوبيين بشن هجوم أمر مستبعد تماماً ومن ناحية أخرى كان يدرك أن مصر ينبغى لها ألا تتسامح بعد الآن بشأن « التظاهرات العدائية » للاثيوبيين خاصة الأمر الذى أصدره يوهانيس بإحتلال ممرين داخل الأراضى المرتفعة يبعدان مسافة ستة عشر ساعة من مصوع وما يقرب من عشر ساعات عن الحدود المصرية ، وتعيينه كيركام حاكما ، ليس على جيندا فحسب . . . ولكن على زولا وأنفيلا وسهول الملح المعظمى فى آسال أيضا . وبالرغم من أن مطالبة مصر بجيندا يمكن تفنيدها ، الا أن أراكيل كان يرى عكس ذلك بالنسبة للمناطق الأخرى . فمن وجهة النظر العسكرية والادارية أيضا ، فإن أفضل حل هو تصحيح الحدود من خلال احتلال هماسين . . وبعد ذلك بعدة أسابيع ، تم احتلال هماسين ومنطقة تيجرى كلها على الأقل ، ورأى آراكيل ان يوهانيس خلق مبررا لتشوب الحرب أكثر من مرة من خلال حشده لقواته وتعيينه لكيركام (منذ أكثر من عام فى منصبه الجديد) ، الى آخر تلك التصرفات(١١٤) .

ولايمكن أن يكون ريب فى أن أراكيل كان يريد إتخاذ اجراء ما . ولعل هذا هو السبب الذى جعله لايتبين فيما يبدو أن انزال ما يزيد على فرقتين من القوات المصرية فى أسبوع واحد (٢١ - ٢٤) أغسطس وعسكرتهم على بعد ست إلى خمس ساعات . فقط من الحدود ، قد يعتبر بمثابة تهديد من وجهة نظر يوهانيس . وكانت القوة العادية للحاميات الثلاث على الحدود الشمالية

(١١٢)دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٢٧ - ٩ .

(١١٣)ENAسجل ٢ ، أوامر عليا ص ، ١٠٠ ، من اسماعيل الى مونزينجير ، ٢٧ أغسطس ، ١٨٧٥ ، ص ، ٩٨ ، من اسماعيل الى علاء الدين ٢٧ أغسطس ١٨٧٥ وكذلك رسالة السودان لجوردون ، رف ٤/٧١/١١٨ ، الرسالة الثانية لمونزينجر ، نفس التاريخ . .

(١١٤) السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ٣/٧٣/١٢٠ ، من أراكيل الى كيرى ، ٢ سبتمبر ، ٤سبتمبر ، ٢٣ سبتمبر ، ١٨٧٥ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٣٨ - ٤١ ، AECP ، مصر ٥٦ ، ملفات ٣٢٦ - ٨ ، ٣٣٦ - ٩ ، من بليسير الى ديكازس ، ٢٢ سبتمبر ٣٢٦ - ٨ ، ٣٣٦ - ٩ ، ٣ أكتوبر ١٨٧٥ ، 1874MT ، ص ص ، ١٣٩ ، لاجار ، ١٧ سبتمبر ١٨٧٤ .

للحبشة (فى مصوع ، وكيرين ، وأميديب) تقدر بالفين وخمسمائة جندى نظامى . وقد تزايد عددها الى أكثر من الضعف وتم تزويد القوات الجديدة ببنادق الريمنجتون والمدفعية(١١٥) .

ولئن كان مونزينجر يعارض آنذاك شن هجوم مفاجىء على الحدود الشمالية ، فان نفوذه لم يعد له وجود(١١٦) . فبرغم أنه أبلغ القاهرة بأنه يعتزم انتظار وصول أنباء من أثيوبيا حتى نهاية الشهر ، الا أن اسماعيل أمر الحاكم العام فى الخامس عشر من سبتمبربالتوجه الى تاجورا على الفور(١١٧) . وبعد ذلك بيومين ،أعد الخديوى مجموعة كاملة من الأوامر . وتشير الظروف وتوقيت اصدارها إلى ان اسماعيل لم يكن يرد على استفزازات لحظية عند تنفيذه « لخطة جديدة » أو تحوله التام عن سياسة الوفاق التى كان يتبعها حتى ذلك الحين بالنسبة لأثيوبيا(١١٨) . وبدلا عن ذلك قام بمحاولته الكبرى للسيطرة على كافة الأراضى الواقعة بين النيل والمحيط الهادى . وكان غزو أثيوبيا جزءاً من هذا المشروع .

وكانت الأوامر التى أصدرها فى التاسع عشر والثامن عشر من سبتمبر ١٨٧٥ تنص على تعليمات لجوردون باشا بأن يفتح طريق من (بحيرتى) ألبرت نيانزا وفيكتوريا وحتى مصب نهر جوبا فى المحيط الهندى . وأن يجر ماك كيلوب باشا الى جوبا ، وان ينشىء مستعمرة عسكرية دائمة هناك ، ويستكشف الساحل والنهر ، وان يتقدم قليلا الى الداخل ، وأمر رضوان باشا وعبد الرازق بك لمرافقة ماك كيلوب وتسهيل مهمته ، وأمر جمالى باشا بحفظ السلم والنظام فى بربرة ، وأن يتقدم اريندروب بك الى مصوع بقوات إضافية لغزو هماسين واحتلالها وطرد كيركام من جيندا ، وأمر أراكيل بك وعلاء الدين بك لمساعدة أريندروب فى مهمته(١١٩) . وفى اليوم نفسه ، كتب

(١١٥) دوين، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ٧٢٩ - ٣٠ ، ٧٣٧ - ٨ . يقدر سارزك AECPمصوع ٤ ، ملفات ١٧ - ١٨ ، الى ديكازس ، ١ سبتمبر ١٨٧٥) عدد القوات الجديدة بـ ٤٢٥٠ ، غير أن هذه الارقام قد يكون مبالغ فيها .

(١١٦) أشار كيللر - زنشوك ، الذى اتيح له الاطلاع على المراسلات الخاصة (مونزينجر ، ص ص ، ٦١ - ٣) الى أن مونزينجير لم يكن يرغب فى مهاجمة يوهانيس وأن علاقاته مع أراكيل وسائر المسئولين المصريين قد تدهورت .

(١٧٧)دوين ، اسماعيل ٣ ، ٣ب ، ص ص ٧٤٥ - ٦ .

(١١٨) المرجع السابق لكى يصل دوين الى هذا الاستنتاج ، فلابد أنه أمعن النظر فى توقيت التعليمات ، ويرى الجنرال لورنج (جندى شريك فى مؤامرة ، ص ص ، ٢٩٠ ، ٣٠١) أن الحملات كلها كانت جزءا من خطة كبرى واحدة ، شن من خلالها هجوما على أثيوبيا التى كانت هدفه الاساسى أما الاجراءات الأخرى فقد كان يهدف من وراءها تشتيت إنتباه العدو .

(١١٩) توجد النسخ الفرنسية الخاصة بأهم تلك الأوامر ، التى صدرت بتاريخ ١٧ سبتمبر ممهرة بتوقيع اسماعيل ، فى ENA ، رسالة السودن لجوردون ، رف ١٨ / ٧١ / ٠٤ السودان وأفريقيا الشرقية ، رف . ٢/٧٣/١٢ (ماك كيلوب) ٣/٧٣ (أركيل) ، ٤/٧٣ (أريندروب) وجميعها مسجلة باللغة العربية فى سجل رقم ١٠ ، أوامر عليا ، ص ص ، ٣ - ٤ ، بتاريخ ١٧ شعبان ١٢٩٢ (الموافق ١٨ سبتمبر ١٨٧٥) . الرسائل الموجهة الى جودون وماك كيلوب منشورة بالتفصيل فى م . ف شكرى وآخرين ، المنطقة الاستوائية تحت الحكم المصرى ، (القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ص ٢٩٦ - ٣٠٢ ، وتوجد مقتطفات مطولة من الرسائل الهامة فى دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣أ ، ٣ب ، بلسم .

اسماعيل رسالة الى مينليك معرباً فيها عن وده وإطرائه ويتهم فيها يوهانس بسوء النوايا والتخطيط للعدوان كما أرسل هدية كان قد وعد بها من قبل تتألف من خمسمائة بندقية وما يلزمها من ذخيرة وأصدر تعليماته الى حاكم زيلا بأن يرسل بوجوس مبعوث مينليك الى شوا بأقصى سرعة ودون الاهتمام بتفتيش أية سلع يحملها(١٢٠) .

ولم تكن الحملات التى كانت موكلة الى جوردون وماك كيلوب موجهة ضد أثيوبيا ، ومن المستبعد أنها كانت ستؤثر فى هذه البلاد لبعض الوقت حتى لو كان قد قُدر لها النجاح . وحينما تغيرت الأمور ، اكتشف جوردون إستحالة مواصلة السير تجاه الساحل ، وحتمت الظروف استدعاء ماك كيلوب من كيسمايو وبرافا حيثما قررت الحكومة البريطانية تأييد ودعم مطالب سلطان زنجبار بساحل بنادير(١٢١) . وقد ارتبط توقيت إصدار الأوامر بالخطط الخاصة بأثيوبيا ، فقد إقترح جوردون فى يناير ١٨٧٥ أن يكون لمقاطعته الاستوائية منفذا الى المحيط الهندى واقترح أن يوكل الى رئيس أركانه السابق كولونيل تشارلز تشيلى لونج مهمة إقامة نقطة الإنطلاق على الساحل ، وأشار الجنرال تشارلز ستون ، رئيس اركان اسماعيل وهو أمريكى مثله ـ يوم ١٨ يوليو على تشيلى لونج ، الذى كان فى عطلة فى فرنسا ، بالعودة فى الخامس عشر من سبتمبر(١٢٢) . ويشير ذلك الى أن وضع الخطة بدأ فى منتصف يوليو على أن يكون منتصف سبتمبر هو الموعد المحدد للتنفيذ ، غير أنه صدرت أوامر أيضاً فى السادس عشر من يوليو الى محمد رؤوف باشا بمغادرة زيلا والإستعداد لمهاجمة هرر ، وفى السابع والعشرين من يوليو أكد اسماعيل تعليماته لمونزنيجر بالتقدم الى تاجورا وأوسا وكتب أول رسالة لمينليك يعده فيها بتقديم اسلحة(١٢٣) .

وتلقى رؤوف تعليمات بأن يبقى مهمته طى الكتمان تماما لأطول فترة ممكنة ، وأن يتظاهر بان هدفها الأساسى هو القيام باستكشافات علمية (لمنابع نهر السوباط) ، وبمجرد وصوله الى هرر عليه أن يؤكد مع ذلك انه قام باحتلال هذه المدينة بناء على طلب سكانها ، وغادر زيلا فى الثامن عشر أو التاسع عشر من سبتمبر ومعه جيش قُدر عدد أفراده بعد ذلك بألف ومائتى رجل ، ودخل هرر فى الحادى عشر من أكتوبر . ولم يقاوم الغزوة سوى سكان جالا ، التى تقع بين جيلدسا وهرر . فبعد قيام رؤوف بتأمين مركز التجارة الهام ، طلب منه الخديوى أن يتابع سيره ويضم المناطق

(١٢٠) ENA ، سجل ١٠ ، أوامر عليا ، ص ، ٤ ، من اسماعيل الى مينليك ، ١٨ سبتمبر ١٨٧٥ ، سجل ٢ ، ص ٦ من اسماعيل الى رءوف ١٩ سبتمبر ١٨٧٥ سجل ٢ أوامر عليا ، ص ، ٢٩ ، من اسماعيل الى مينليك ، ٢٦ يوليو ١٨٧٥ .

(١٢١) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٦٢٩ ـ ٩٧ ، شكرى ، المنطقة الاستوائية ، ص ص ، ٦٣ ـ ٩٣ .

(١٢٢) شكرى ، المنطقة الاستوائية ، ص ص ، ٧٢ ـ ٥ .

(١٢٣) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣/أ ، ص ، ٦٠٢ ، ٣ ب ، ص ص ٧٢١ ـ ٣ .

الواقعة على حدود شوا ، التى تردد أن بها ترسيبات للفحم ، وأن يقوم بارسال حملات عسكرية عبر جنوب أثيوبيا حتى منابع النيل الأزرق وجوبا ، وأن يتصل فى نهاية المطاف بالقواعد المصرية الأمامية فى فازغولى وكيسمايو على التوالى ، واذا اعترض مينليك فعلى رؤوف ان يغريه بالمال والعرمر حتى ينجح فى السيطرة على المنطقة التى يوجد بها الفحم(١٢٤) . وبينما كان ضم المصريين لهرر يعد بالفعل خطوة أخرى جادة نحو السيطرة على السوق الاثيوبى واستغلاله ، فقد كان من الواضح تماماً ان نجاح رؤوف فى تنفيذ التعليمات التى صدرت اليه كان يعنى تطويق مصر الكامل للأراضى الاثيوبية أيضا .

وكانت حملة مونزنيجر تهدف الى تحقيق أمرين : فقد كان عليه أن يتقدم الى الداخل من تاجورا ، كما فعل رؤوف من زيلا ، وأن يضم أوسا ثم يواصل التقدم لتأمين طرق القوافل الى ويلو وشوا . وكانت مهمته الثانية هى الاتصال بمينليك واقناعه بمهاجمة يوهانيس « دون تأخير » (١٠ أغسطس) واتخاذ كافة الخطوات اللازمة ، لدفع مينليك ، ملك شوا لمهاجمة كاسا (يوهانيس) واستخدام كل ما يملك من جهد لايقاع خلاف بين الاثنين حتى يشتبكا فى معركة (٢٠ أغسطس)(١٢٥) . واذا نجح مونزنيجر فى ذلك ، فإن ذلك يعنى تخلى كل من مينليك ويوهانيس عن المناطق التى يعتزم اسماعيل السيطرة عليها . والصلة بين التعليمات التى تلقاها اريندروب ورءوف تبدو واضحة تماماً على نحو لا يمكن إنكاره .

وكان مونزنيجر قد استكمل استعداداته ، وبدأ تقدمه من تاجورا فى السابع والعشرين من اكتوبر ، وبالنسبة لرؤوف فقد كان يقود جيشاً صغيراً ، حوالى اربعمائة رجل وبضع مدافع وأنابيب صاروخية ، وبرغم أن اسماعيل كان يؤكد منذ فترة طويلة أن سكان عفر (دفافل) رعايا مصريين ، إلا أن مونزنيجر كان يدرك أن أيا من الزعيمين الأكثر نفوذاً وأهمية ، وهما محمد لهيطة ومحمد الانفرى لن يوافقا فى واقع الأمر على الحكم المصرى ، وقد تظاهر الأخير (محمد الانفرى) بالخضوع وقاد مونزنيجر الى أوسا . وهناك واجه المصريون هجوماً مفاجئا فى صبيحة الرابع عشر من نوفمبر . وبرغم تفوقهم فى السلاح إلا أنهم سرعان ما تعرضوا للهلاك ، وقتل مونزنيجر ومعظم ضباطه . وبعد ذلك بأسبوع وصل ما بقى من الجيش ، حوالى مائة وخمسين رجلا ، الى تاجورا . وذكروا أن أعدائهم حشدوا ما بين خمسة آلاف الى ستة آلاف رجل ـ وهو بالطبع رقم مبالغ فيه كثير(١٢٦) وأيا كانت خسائرهم ، مع ذلك ، فقد كان انتصار عفر انتصاراً حاسماً .

(١٢٤) المرجع السابق ، ٣ أ ، ص ص ، ٦٠٢ ـ ٧ ، ٦١٢ ـ ٢٧ ، ٣ ، ٣ ب ، ص ٦٦٨ ، ENA ، السودان ، كرتونة ٣ / ٣ ، من رؤوف الى اسماعيل ، ١٨ أكتوبر ١٨٧٥ ، سجل ، إس . إن ، ميابا سانتى ، ص ، ٣٢ ، من اسماعيل الى رؤوف ، ١١ نوفمبر ١٨٧٥ ، وزارة الخارجية ٨٨١ / ٣٠٥٨ ، ص ص ٨ ـ ٩ ، من نوبار الى ستانتون ، ٨ نوفمبر ١٨٧٥ ، للإطلاع على حجم جيش رؤوف .

(١٢٥) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ٧٢١ ، ٧٢٦ ، ٧٣١ ـ ٢ ، ٧٤٦ .

(١٢٦) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٧٩٢ ـ ٨١٢ .

معركتا جوندت وجورا

تشير عناية اسماعيل فى اختيار ألفاظ تعليماته الى الكولونيل الدانمراكى اريندروب ، الى انه كان يعتبر الهجوم المباشر على أثيوبيا فى الشمال من أكثر الحملات الاربع حساسية من الناحية السياسية ، بالإضافة الى بنادير وهرر ، وأوسا ، كان من رأى اسماعيل الإكتفاء بإبقاء الأمر فى طى الكتمان أثناء القيام بعملية الاحتلال . فهذه المناطق ملكاً له بالفعل . فقد تم ابلاغ جوردون ، على سبيل المثال ، بأنه سيكون « دوما فى أراضينا » حينما تقدم من بحيرة فيكتوريا الى المحيط الهندى ، وقيل لماك كيلوب ان مهمته الاستحواذ على جوبا « لأن جوبا ملك لنا بالفعل » ، وان كل ما عليه هو أن يؤكد حقوق مصر عليها[١٢٧] . وبإتباع أسلوب الأمر الواقع ، لن يعترض أحد على ذلك . وكانت هناك دائما الحجة القائلة بأن السكان قد قاموا بالفعل بتوجيه الدعوة الى سادتهم الجدد . وقد تم استخدام هذه الحجة ضد أثيوبيا أيضاً ، ولكن هل سيصدق أحد تلك الحجة حينما تقوم مصر بغزو تلك الأقاليم التى تسكنها اغلبية مسيحية كمناطق هماسين وسيراى ؟ لقد كان ذلك أمراً ما يزال بعيد الاحتمال إثر جهود يوهانيس الدبلوماسية فى ١٨٧٢ - ١٨٧٣ للتأكيد على أن هذه الأراضى « ليست ملكاً لأحد » أو أنها مصرية شرعاً بالفعل .

ولذلك أبلغ اسماعيل أريندروب - وأعطى القنصل البريطانى العام نسخة من التعليمات قبل عشرة أيام فقط[١٢٨] بأن القوات الاثيوبية ، التى زعم انها تتألف من ثلاثين ألف رجل ، القريبة للغاية من الحدود المصرية قد أضرت مصر واقتصادها ، وخلص الى أن يوهانيس يريد إجباره على « المبادرة بالعداء ، متناسياً بلا ريب أن من بدأ بالعدوان لا يعتبر دائما المعتدى » . وإذا لم ينسحب يوهانيس ويغير اتجاهه ، فسيتعين على اريندروب « غزو هماسين دون تردد ، والاستيلاء عليها الى أن يقدم الملك ما يكفى من ضمانات تكفل سلامة الحدود المصرية ، فإذا تقدم الاثيوبيون فينبغى أن يكون اريندروب قادراً على تفتيت شملهم بقواته ذات التسليح الجيد ، وفى حالة تراجع يوهانيس وانسحابه ، فعلى أريندروب أن يتابع سيره الى حدود هماسين أو الى ماوراء ذلك إذا استدعت الأسباب الاستراتيجية ذلك . ومرة أخرى إذا رأى أريندروب أن ما معه من قوات يفوق ما يلزمه لاحتلال هماسين ، فعليه أن يرسل بعضها الى المقاطعات الواقعة جنوب شرق مصوع (سهول الملح) التى تعتزم يوهانيس المطالبة بها برغم أنها أملاك مصرية[١٢٩] . وتلقى أراكيل تعليمات

---

(١٢٧) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ٦٣٩ ، ٦٤١ .

(١٢٨) وزارة الخارجية البريطانية ٨٨١ / ٣٠٥٨ ، ص ص ، ٤ - ٨ ، من كوكسون الى دربى ، ٢٧ مايو ١٨٧٥ ، وبه مرفقات ، وزارة الخارجية ٨٨١ / ٣٠٥٨ وهو ملف بالغ السرية عنوانه « رسالة تتعلق بغزو القوات المصرية للحبشة ، وتوجد معظم المراسلات الأصلية فى وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٤٠٣ والمجلدات التالية . وقد علم القنصل العام الألمانى بأمر التعليمات حتى قبل ذلك (ج س) وسنارتجز أمت ، رستاكبن ، من بونسن الى يولو ، ٢٤ سبتمبر ، ١٨٧٥) .

(١٢٩) ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ١٢٠ / ٧٣ / ٤ ، من اسماعيل الى اريندروب ، ١٧ سبتمبر ، ١٨٧٥ .

بأن يفكر فى افضل شكل من أشكال الحكومات التى تصلح لهماسين ، برغم أن القرار سيعتمد أيضاً على الموقف فى الحبشة بعد انسحاب الملك أو هزيمته[١٣٠] .

ومن الجلى ان تلك التعليمات لم تتناول شيئاً أكثر من الضم المشروط لهماسين ، وقد اوضح اسماعيل خطوته التالية بعد ذلك بشهرين حينما اندفع اريندروب عبر جميع أرجاء سيراى أيضا ووصل الى حدود ميرب الطبيعية التى يسهل الدفاع عنها ، وقد تم تدعيمه بأربع فرق عسكرية أخرى وتم إبلاغه بأن . . . . التكتيك الحربى الصحيح هو كما يلى ، دخول عدوه . . . وعمل ترتيبات كما لو كنت ستحتلها بشكل دائم[١٣١] . وإذا كان الممثلون الرسميون للدول الأوروبية عاجزين عن إدراك ما يعتزم اسماعيل القيام به أو لا يرحبون بذلك ، فهناك أوروبيون آخرون (وليس البعثات التبشرية الفرنسية الكاثوليكية وحدها) يدركون نواياه ويوافقونه عليها ، وفيما يتعلق بالتنازل لمصر عن أثيوبيا ، اقترح الكاهن فلاد بأن مونزنيجر سيكون أنسب شخص يقوم بحكم أثيوبيا كمحمية مصرية (انجليزية)[١٣٢] .

وقد نزل اريندروب مصوع فى السادس والعشرين من سبتمبر ووجد ما يقرب من ألفين وخمسمائة الى ثلاثة آلاف من القوات تحت امرته هناك ، وبدأ التقدم من مصوع فى الثانى من أكتوبر . ووصل اريندوب أسمرة فى السادس عشر من أكتوبر ، وعاصمة هماسين ، سيزيجا ، فى الثامن عشر من أكتوبر . وانضمت اليه هناك فرقة أخرى من كيرين . ودون مواجهة أية مقاومة تقدم ارنيدروب الى سيراى ، وفى السادس من نوفمبر وصلت طلائع جيشه الى حدودها الجنوبية ، ميريب ، فى جوندت . وكانت القوات الاثيوبية فى هماسين وسيرى ، وكان قوامها جملة ثلاثة آلاف رجل ، قد انسحبت عبر ميريب[١٣٣] . ولم يحاول أراكيل تفسير كيف أصبح الثلاثين ألف أثيوبى الذين كانوا يهددون الحدود المصرية فى أغسطس وسبتمبر ثلاثة آلاف رجل فقط أو حتى

---

(١٣٠) المرجع السابق ، رف ١٢٠ / ٧٣ / ٣ ، من اسماعيل الى أراكيل ١٧ سبتمبر ١٨٧٥ .

(١٣١) المرجع السابق ، رف ١٢٠ / ٧٣ / ٤ ، من اسماعيل الى اريندروب ، ١٨ نوفمبر ١٨٧٥ . والواقع أن اريندروب كان قد مات حينما صدرت تلك التعليمات .

(١٣٢) ENA ، الحبش ، رف ٢٠ / ٩ / ١ ، من فلاد الى فليمنج ، ٢٤ أغسطس ، ١٨٧٥ .

(١٣٣) دوين اسماعيل من ٧ ٣ ٣ ، ٣٧ ب ٧ ص ص ٧٥٣ - ٨٦٨ من الصعب تحديد العدد الدقيق للقوات والأرقام المذكورة آنفا تعتمد على الوثائق المصرية . وقد أشار سارزك انه كان هناك ألفان وخمسمائة مصرى بالقرب من مصوع وخمسة آلاف فى كيرين فى منتصف سبتمبر وكان يتوالى وصول آخرين (AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ١٩ - ٢٥ ، الى ديكازس ، ١٤ سبتمبر ، ٣٠ سبتمبر ، ٦ أكتوبر ، ١٨٧٥) .

أقل(١٣٤) . والآن وبعد ان بدأت الحرب ، لم تعد ثمة حاجة للدعاية التى كانت تروج بأن هذه الحرب كانت إجراء وقائيا .

وبرغم ان المصريين كانوا يتقدمون داخل عدوة مسافة تتراوح بين أربعين الى خمسين كيلو مترا ، فقد أبدى يوهانيس مقاومة ملحوظة . فقد أبلغ ديجازميش جيرو حاكم هماسين وغيره من الحكام بالطبع يوهانيس ، بالنشاطات المصرية . بيد أنه كانت هناك حالة من الشك وعدم التيقن . فقد علم جيرو ، فى منتصف أكتوبر ، بأمر التقدم من مصوع وكيرين ، وتحرك مونزنيجر من مصوع يرافقه ستمائة جندى مصرى لجهة غير معلومة ، وعلم كذلك ، أن جيشاً من ستمائة مصرى قد توجهوا الى جوندر من منميا ، وكانت تلك المعلومات غير صحيحة وخاطئة . وكان اليكابيرو الذى خان يوهانيس بالفعل عام ١٨٧٢ قد قام مؤخرا بزيارة القاهرة ، يرافق مونزنيجر(١٣٥) . وعلاوة على ذلك ، كان الاخير لديه تعليمات بأن يروج شائعات بأن المصريين اوعذوا الى مينيليك بمهاجمة يوهانيس من الخلف (١٣٦) . وسواء آمن يوهانيس بصحة ذلك أم كذبه ، فقد كان الخوف يعتريه والارتباك بشأن نشاط ومكان « ملاك الشيطان » وهذا هو الاسم الذى أطلقه على الرجل الذى اعتبره مسئولاً عن الهجوم على أثيوبيا . ولم يتزعج سكرتيره ههور كال بشأن العلاقة بين الشيطان وآلته وترجمها رجل هو الشيطان نفسه (كذا) وهو أيضاً زعيم (كذا) الشياطين(١٣٧) ويبدو أن يوهانيس كان يأمل بحلول سبتمبر ١٨٧٥ على الأكثر ألا تسمح الدول الاوروبية لمصر بشن هجوم رئيسى ضد أثيوبيا . وقد توقع نائب القنصل سارزك وهو همزة وصل اتصاله الوحيد بأوروبا آنذاك ، بأن الملك لن يلجأ الى الدخول فى معركة إلا كملاذ أخير(١٣٨) ، وقد تبين صدق ما توقعه . إذ قال سارزك ، الذى كان يحافظ بالكاد على تقدمه على المصريين فى رحلته الى عدوة ، ان حاكمى

---

(١٣٤) ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ١٢٠ / ٧٣ / ٣ ، من أراكيل الى باروت ، ٢٣ اكتوبر ، ١٨٧٥ ، فى ١٤ سبتمبر قدر سارزك (أنظر الملحوظة السابقة) قوات جيرو ، فى هماسين وحدها ، بما يتراوح بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ رجل .

(١٣٥) AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ٣٩ ـ ٤٨ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ . وهى رسالة مطولة كتبت بعد عودة سارزك من عدوة ، غير أن هناك برقية (ملف ٢٦) بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٧٥ ، تثبت انه تم مناقشة الهجوم المصرى آنذاك وهو بالتحديد حينما التقى سارزك ، وهو فى طريقه الى عدوة ، بجيرو وفيما يتعلق بيبرو ، انظر ايضا المرجع السابق ، ملفات ٢١ ـ ٣ ، سارزك الى ديكازس ، ٣٠ سبتمبر ، ١٨٧٥ ، أثيوب ٢٩٥ ، ملف ٢٠ .

(١٣٦) دوين اسماعيل ٣ ، ٣ ، ب ص ٧٣٢ .

(١٣٧) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٦٣٢ ، ملف ١٠٠ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ٧ ديسمبر ، ١٨٧٥ ، ملفات ٩٥ ـ ٩٦أ ، ترجمة مهدركال .

(١٣٨) AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ١٧ ـ ١٨ ، من سارزك الى ديكازس ، ١ سبتمبر ١٨٧٥ .

هماسين وسيراى كان لديهما أوامر رسمية بالانسحاب الى عدوة وانه شاهد جنود جيرو وسكان هماسين وماشيتهم يصلون سيراى فى ١٧ أكتوبر(١٣٩)

ويمكن تفسير الانسحاب جزئيا باعتباره استراتيجية متعمدة من الجانب الاثيوبى فلم يكن يخفى على يوهانيس منذ ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ مدى قلق الضباط الأجانب بشأن طول اتصالاتهم وكيف انهم اهلكوا قوتهم الاساسية لتأمين احدى خطوط الإمداد ، ومن ناحية أخرى لابد وانه كان هناك عنصر ما من عناصر التردد الحقيقية ، لأن يوهانيس لم يوجه نداءً لحمل السلاح إلا فى الثالث والعشرين من أكتوبر . وكانت هناك أنباء فى مصوع تشير الى انه احتجب وانه ربما يعانى من المرض(١٤٠) . وقد فسر المؤرخ الإخبارى الاثيوبى التأخير على نحو يفهمه قراؤه ويوافقونه عليه : « لقد سمع Asc يوهانيس بقدوم جنود اسماعيل . وظل يناجى ربه ويتضرع اليه طوال اسابيع ثلاثة مبديا ندمه الشديد . وقد استجاب الرب لصلواته(١٤١) . والواقع انه كان قد مرت ثلاثة اسابيع بين بداية التقدم المصرى والتعبئة التى أعلنها يوهانيس .

وعقب وقوع المعركة ، شرح يوهانيس لفيكتوريا ما حدث على النحو التالى :

لقد كتبت مرة الى الملوك (بالحرف الواحد) وأبلغتهم بكافة الشرور والإعتداءات التى اقترفها (اسماعيل) ضدى ، وقد لزمت الهدوء (آنذاك) قائلا فى نفسى ، دعه يفعل ما يحلو له الى أن يفصلوا بيننا ويقولوا : « عليك ألا تتعدى ذلك وأنت عليك ألا تتخطى ذاك » . . . وبعد ذلك (بعد غزو هماسين) حينما سألناهم عن سبب غزوتهم ، قالوا : « أننا لم نأت للسيطرة على البلاد ، بل لنا هدف آخر (رسالة حرفية) » . ثم قاموا بالاغارة على سيراو (سيراى) . وتابعوا سيرهم من سيراى حتى وصلوا بالقرب من هنا وعسكروا حتى ان المسافة بينهم وبين مدينتى (عدوة) لا تزيد عن ست ساعات . ومن ثم أقول : « الآن سيمسكون بى جالساً . لأن من لا يريد الموت لابد وأن يقتل ، ولذا خرجت واشتبكت معهم فى معارك . . . . ومنذ بدء الخليقة ، لم يحدث أن تعرض إمرؤ لعدوان كالذى تعرضت له(١٤٢) .

---

(١٣٩) المرجع السابق ، ملفات ٣٩ ـ ٤٨ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ .

(١٤٠) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٧٥٨ ، ٧٦٥ .

(١٤١) BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملف ٤٦ ٧ وكذلك تشين ، « تاريخ » رس ، ٢١ ، ص ص ، ١٨٢ ـ ٣ .

(١٤٢) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٦٣٢ ، ملف ١٠٠ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ، ديسمبر ١٨٧٥ (الأصل باللغة الأمهرية) . وقد قام كيركام بتوصيل الرسالة الى مصوع . وألقى القبض عليه وتم ارسال الرسالة بعد ذلك بثمانية عشر شهراً من القاهرة .

وقد أكدت ترجمة مترجم الملك ، مهدركال ، لهذه الرسالة على مدى سرعة تقدم المصريين وضخامة الهجوم : « لم أشهد أو أسمع منذ بدء الخليقة عن هجوم ظالم (كذا) كالذى رأيته يحدث لى الآن (كذا) ولشعبى دونما خطيئة أو سبب إقترفناه »[١٤٣] .

ومن الجلى أن يوهانيس انزعج من رسالة ارينذروب التى بعث بها من جيندا يتظاهر فيها بالنوايا السلمية : « إن مصر لا تعتزم غزو الحبشة أو حتى مهاجمة هماسين . . » غير أن يوهانيس تصرف على نحو عدائى حتى ان اسماعيل خشى على ممتلكاته ، فقد كان الملك ، كان علاوة على ذلك حاكما فقيراً لدرجة أن شعبه شكاه الى اسماعيل ، وقد رفض يوهانيس أن يرد على ذلك ، وحينما كرر النائب محمد عبد الرحيم طلبه بأن يتم ارسال وفود للتفاوض مع ابندروب ، أمر الملك بسجنه[١٤٤] .

وفى الثانى من نوفمبر غادر الملك عدوه ، وتردد انه كان على رأس حوالى ألف رجل[١٤٥] بيد أن دعوته لحمل السلاح ، التى أيدها أبونى اتيناتيوس بقوة ، كان قد صاغها بلا ريب بألفاظ يفهمها فلاحو شمال أثيوبيا : « . . . يأطفال آمون وموب ، لقد شرع جنود اسماعيل اسلحتهم ضده (أى ضد يوهانيس)معلنين الكراهية والعداء »[١٤٦] . وتردد أن يوهانيس أصبح تحت إمرته فى أقل من اسبوعين ما يتراوح بين خمسين ألف الى سبعين ألف رجل . وهذه التقديرات مبالغ فيها كثيرا فيما يبدو ، ففى ظل تلك الظروف كان توافر عدد يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين الفا يعد انجازاً عظيما[١٤٧] . وما نعلمه علم اليقين هو أن كافة زعماء شمال أثيوبيا البارزين حضروا جميعا تقريبا أمام رجل واحد : وهم راس أريا حاكم أكيل جوزاى (وعم الملك) وراس باريا أو حاكم تيجرى (وصهر تاودروس) والديجازمتش جبرو ، وولد ميخائيل ، وزعيم هازيجا الشهير الذى انحاز فى

---

(١٤٣) المرجع السابق ، ملفات ٩٥-١٩٦أ ، نسخة انجليزية بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٧٥ ممهرة بتوقيع « ت . مادراكال » .

(١٤٤) AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ٣٩ - ٤٨ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ ، وتحتوى على فحوى محادثة جرت مع يوهانيس فى عدوة فى ٢٧ نوفمبر ١٨٧٥ ، دوين ، اسماعيل ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٦٨-٩ .

(١٤٥) AECP ، مصوع ٤ ملف ٤١ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ .

(١٤٦) BN ، ٢٥٩ ، ملف ٤٦ .

(١٤٧) سارزك (AECP ، مصوع ٤ ، ملف ٤١) وروس (بيترمان ، ١٨٧٧ ، ص ١٥٨) اشارا الى أن العدد بلغ ٧٠ ألفا غير انهما قد لايكونا مستقلان عن بعضهما بالنسبة لهذا المعلومات ، ويقول رولفس (حملتى ، ص ٥٥) ، الذى قرر أنه ناقش المعركة مع يوهانيس بعد ذلك بعدة سنوات ، ان الرقم كان خمسين ألف رجل . والقسم الأكبر من روايته مشوش أو غير صحيح . وحينما هاجم تيكل جيورجيس يوهانيس ، تردد أن الأخير كان برفقته ١٢ ألف رجل ، وبلغ عددهم حينما بدأ مسيرته الى جوندر فى ١٨٧٣ حوالى ٣٠ ألف رجل ، ونظرا لما تهيأ له من فرص أكبر من الوقت ، كان من المفترض أن يستطيع حشد ٦٠ ألفا الى ٧٠ ألف رجل لمواجهة الغزو المصرى الجديد . (انظر المرجع التالى ص ٣٢٧) .

النهاية الى الجانب المصرى . والشقيقان باشا جبرماريام ، وشيلكا ألولا أنجيدا ، والأخير معروف بالرأس ، وغيرهم آخرون . ومن ناحية أخرى لم يتواجد ، كل اتباع الملك فى وسط أثيوبيا غير أن ذلك كان أمراً متوقعاً نظرا لقصر المدة التى تم فيها استدعاؤهم للحضور[١٤٨] .

وخلال ليلة ١٦/١٥ نوفمبر ، قام الجيش الاثيوبى بعبور ميريب وشن هجومه . وكان ارينذروب لازال يقوم باستعداداته لمعركه ، وفى أول مواجهة شرسة بالقرب من ميريب فى الصباح الباكر ، أحاط الاثيوبيون بما يقرب من ثمانمائة رجل بقيادة ارينذروب وكونت زيتشى ، وأبادوهم عن بكرة أبيهم . ولابد انه كان هجوما مباغتاً تم التخطيط له بدقة تامة ، حيث انه لم يستغرق سوى نصف ساعة (عشرين دقيقة وفقا لسارزك) . وكانت خسائر الجانب الاثيوبى لاتزيد عن واحد وثلاثين قتيلا وإصابة خمسة وخمسين . وبعد ذلك بساعات قليلة الاثيوبيون بتطويق من تبقى من المصريين ، حوالى ١٣٠٠ رجل ، فى « وادى جوندت » أو « جود اجود » . وكان هؤلاء المصريون فى وضع افضل للدفاع عن أنفسهم . وبرغم ذلك ، تم القضاء عليهم أيضا خلال ساعة أو ساعتين من القتال العنيف وكانت خسائر الاثيوبيين فيه خمسمائة وواحد وعشرون قتيلا وإصابة ثلاثمائة وخمسة وخمسين حسبما تردد ، وقام الاثيوبيون بأسر بعض الأسرى ، غير أن عددهم كان محدوداً . وطالب يوهانيس الماجور دينيسون والماجور رشدى القائمين على حراسة مستودع الذخيرة والمعدات فى آدى كوالا بالاستسلام ، ومع ذلك فقد نجحا فى الانسحاب مخلفين ورائهما كل شىء فيما عدا أسلحتهم الصغيرة غير أن الخوف من ملاحقتهما جعلهما لايصحبان معهما أكثر من ٣٠٠ - ٤٠٠ رجل ممن ظلوا على قيد الحياة ، وألقى كثيرون منهم بأسلحتهم أو تخلوا عنها تماما قبل وصولهم الى مصوع وفى غضون أيام قليل تم إخلاء كافة الأراضى المرتفعة ، ولم يتحقق الهدف من حملة أريندروب[١٤٩] .

---

(١٤٨) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ، ٠٧٧٠ إن تأكيد أراكيل على أن زعماء الامهرة كانوا غائبين لان أيامنهم لم يرغب فى مساعدة يوهانيس فى هذه الحرب لايمكن التدليل عليه وربما كان راجعا الى ماكان يتمناه .

(١٤٩) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٧٧٦ - ٩٢ . يعتمد تقدير دوين فى المقام الأول على الأنباء المشوشة التى رددها عن المعركة مابقى على قيد الحياة من المصريين ، وعلى التقرير الرسمى المنشور فى « موجه مصرى » ، ٣ ديسمبر ١٨٧٥ ، وعلى كتاب الضابط الامريكى عن حملة جورا الأخيرة ، وليم ماك ى . داى . مصر الاسلامية والحبشة المسيحية » (نيويورك ، ١٨٨٠) وعلى رسالة سارزك المطولة بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ التى بعث بها الى حكومته ، والتعارض الواضح الخاص بالملخص السابق فيما يتعلق باعداد القوات المشاركة والخسائر ، وقد تبعت الى حد بعيد ماوراه سارزك ، فبعد اسبوع واحد من القتال التقى بالضابط النمساوى كونت زيتشى الذى أصيب بجرح نافذ (والذى كان فى الصفوف الامامية) وبعد ذلك باسبوعين قام بمسح أرض المعركة . . ومن ثم فقد اتيحت له فرصة طيبة لتقويم ما حدث . وفى التقرير الذى قدمه عن أرقام مطلقة ، وليس عن فرق وسرايا (جمع سرية) كما فعل سارزك ، داى (ص ص ، ١٣٦ - ٤١) قدر عدد المصريين الذين قتلوا بما يتراوح بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ قتيل وقدر روس عددهم (بيترمان ، ١٨٧٧ ، ص ١٥٨) بما يتراوح بين ١٠٠٠ - ١٢٠٠ قتيل ، وأقل من ٨٠ أسيرا من أسرى الحرب ، وأشار أول تقرير لستانتون من القاهرة (وزارة الخارجية ٣٠٥٨/٨٨١ ، ص ٩ ، الى ديربى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥) الى مقتل الفى شخص . وكانت الأرقام التى ذكرها سارزك عن الخسائر الاثيوبية منخفضة تماما وكذلك كانت أرقام داى الأخيرة . ولم يحدد روس تقديرا لتلك الخسائر واعلنت الحكومة المصرية عن نشوب معركة استمرت يوما

وبرغم ان البيانات التى أصدرها الاثيوبيون عن معركة جوندت لم تكن صحيحة تماماً ، إلا انها كانت تجسد تقييما صحيحا لما أسفرت عنه تلك المعركة : « بفضل الله ، قهرت أعدائى . ولم يبق هناك مصرى واحد من المصريين الذين غزوا بلادى على قيد الحياة ، فقد قتلوا جميعهم »[١٥٠] ، أو حسبما جاء على لسان مؤرخ الأحداث : « وقام بقتلهم جميعا حتى إغتسلت الأرض بدماء جند اسماعيل . ولم يبق على شىء أيا كان[١٥١] . وكان الاستيلاء على جميع أسلحة القوات المعتدية لا يقل أهمية عن القضاء عليهم . اذ تم الاستيلاء على ما تيراوح بين ألفين الى ألفين وخمسمائة بندقية ريمنجستون أو البنادق المؤخرية الأخرى (أى التى تلقم من مؤخرتها) ذات المواصفات التى لم تكن معروفة من قبل للجنود الاثيوبيين ، وما يتراوح بين أربعة عشر الى ستة عشر مدفعا ومنصات صواريخ وذخيرة . . . الخ[١٥٢] .

وقد تشاور يوهانيس وزعماؤه فى آدى كوالا بشأن ما سيفعلونه فى الخطوة التالية ، ولم يطالبوا بإتخاذ إجراء آخر لتحرير سيراى وهماسين من القوات المصرية . وكانت البدائل المتاحة تتمثل فى التوجه الى بوجوس أو مصوع ، ويقول البعض ان يوهانيس فكر فى شن هجوم على مصوع ولكنه استبعد تلك الفكرة خشية إحتمال الوقوع فى مشاكل مع الحكومات الأخرى بشأن مواطنيها[١٥٣] ، وربما كانت هناك اعتبارات أخرى لاتقل أهمية عن ذلك ، منها على سبيل المثال ، مكان تواجد مونزنجير واحتمال خيانة مينليك له . وعلى أية حال قرر الملك العودة الى تيجرى مصطحبا معه معظم قواته ، وقد نفذ هذا القرار على الفور (حوالى ٢٣ - ٢٤ نوفمبر)[١٥٤] .

كاملا قتل فيها ٨٠٠ مصرى وخمسة عشر ألف أثيوبى ، وإعطاء هذا الرقم عن أول مواجهة يجعله يبدو كما لو انه يشمل المعارك كلها ثم المبالغة الشديدة فى طول فترة المعركة وأعداد الخسائر الاثيوبية . فمن المشكوك فيه تماما أن يتسنى للاثيوبيين إعداد خمسة عشر ألف رجل وإشراكهم فى القتال فى هذه الفترة الزمنية القصيرة وتلك المساحة المحدودة للوادى .

(١٥٠) AECP ، مصوع ٤ ، ملف ٤٢ ، من يوهانيس الى سارزك ، ١٨ نوفمبر ، ١٨٧٥ ، منسوخ باللغة الفرنسية من سارزك الى ديكازس ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ .

(١٥١)BN ، أثيوب ، ٢٥٩ ، ملفات ٤٦ - ٧ .

(١٥٢) بيترمان ، ١٨٧٧ ، ص ، ١٥٨ ، داى ، مصر الاسلامية ص ص ، ١٣٦ - ٤١ .

(١٥٣) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ، ٧٨٩ ، داى ، مصر الاسلامية ، ص ، ١٤٦ ، قال إثنان من المسافرين البريطانيين والمغامرين التجار ، هما أ . ب . و . هوجتون ، اللذين وصلا عشية معركة جوندت وكانا حاضرين هناك وفى آدى كوالا ، (ب ب . كومونز ، ١٨٧٧ ، ٨٨ ، ص ص ، ٣٣٣ - ٤ ، الى ديربى ، ٢٤ مايو ١٨٧٦) ، قالا إنه قد تم تحذيرهما تحذيراً شديداً من وقوع هجوم وأن ذلك سيضر بكثير من الأوروبيين والهنود ، انظر أيضا وزارة الخارجية ٧٨/ ٢٥٠٠ ، ملفات ٥٩ - ٦١ ، من ستانتون الى ديربى ، ١٥ يناير ١٨٧٦ ، فى الهوجتونز .

(١٥٤) AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ٤٣ - ٤ ، من سارزك الى ديكازس ، ٢٤ ديسمبر ، ١٨٧٥ . تشير محادثة سارزك مع يوهانيس فى ٦ ديسمبر بوضوح الى أن الملك لم يكن قد سمع بعد بموت مونزينجير ويبرو فى أوسا . داى ، مصر الاسلامية ، ص ١٤٧ .

وعند عودة يوهانيس الى عدوة ، بعث برسالة هامة الى فيكتوريا أعرب فيها ، فى واقع الأمر ، عن قلقة الشديد إزاء الإتجاهات المحتملة للحكومات الأوروبية تجاه نزاعه مع مصر ، وكان يدرك أيضا وكذا وزير خارجيته بدرجة أكبر ، مدى تفوق اسماعيل فى النواحى الدعائية . وبعد استعراض يوهانيس لنشاطه الدبلوماسى فى ١٨٧٢ ، واصل حديثة قائلا ، ولكى يمنعنى عن الكتابة مرة أخرى لم يقم فقط بعد ذلك بتمزيق الرسائل المرسلة لى والقائها فى البحر بل مزق الرسائل التى تصلنى من الخارج . . . ولا يوجد مخرج لى ولذا لن أستطيع الكتابة إليك . فالباب مغلق دونى . وقد كتب يقول إننى اقترف أثاماً لم أقترفها وفعلت مالم أفعله » .

وأضاف مهد ركال على مسئوليته قائلا ، . . . كما يكتب فى الصحف عبارات غير لائقة (كذا) . وهو أمر يسير بالنسبة له » . وناشد يوهانيس الحكومة البريطانية مرة أخرى لكى تنظر فى أمر نزاعه مع اسماعيل وأن تجعلنا محتفظين بأماكننا . ولا تدعونى أصبح أقل شأناً من آبائى الملوك الذين حكموا من قبلى ، ولاتدعوه يصبح أعظم من آباءه الذين حكموا من قبله » .

ولئن لم تفعل الحكومة البريطانية ذلك ، لادرك أن اسماعيل سيهاجم مرة أخرى ، وعندئذ ما الذى يستطيعه سوى الدفاع عن بلاده الأمر الذى سينطوى على إراقة المزيد من الدماء[١٥٥] ، ومصير هذه الرسالة ذاتها يوضح مشكلة يوهانيس الخاصة بوسائل الاتصال . حيث اختار كيركام مرة أخرى ليكون رسولا له ، ولكن برغم أن الجنرال كان يرافق أكثر من مائة أسير مصرى أطلق سراحهم (طبقا لما ذكره يوهانيس ، وهم من أرادوا العودة جميعا) فقد ألقى القبض عليه هو نفسه ومات بعد ستة اشهر فى المعتقل فى مصوع . ومن ثم فإن الرسائل التى وصلت انجلترفى مايو ١٨٧٦ ، وكذا بعض الرسائل الأخرى ، التى سلمها كيركام جينما القى القبض عليه ، لم تصل وجهتها على الاطلاق فيما يبدو[١٥٦] .

وربما تكون الرسالة الوحيدة التى تم تسليمها هى رسالة يوهانيس التى بعث بها الى اسماعيل ، ويؤكد الملك فى هذه الرسالة على أنه قد أبدى قدراً كبيراً من الصبر ، وامتنع عن اتخاذ إجراءات ضد الشيطان مونزنجر فى ١٨٧٢ وضد قوات اريندروب حتى اقتربت بدرجة كبيرة من عاصمته عدوة ، وعلى أية حال ، فحينما رد عليهم فى النهاية ، أوقعهم الله العادل فى الدنيا » . وعندما بدأ القتال لم يصمدوا أكثر من ساعة واحدة » . وفى ختام الرسالة ، نشاد يوهانيس الخديوى

---

(١٥٥) وزارة الخارجية ٢٦٣٢/٧٨ ، ملف ١٠٠ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ، ٧ ديسمبر ١٨٧٥ ، من اللغة الأمهرية الاصلية ، باستثناء التعليق الخاص بالصحف فهو من ترجمة مهدركال فى ملفات ٩٥/٩٦أ .

(١٥٦)المرجع السابق ، ملف ٩٣ ، من فيفان الى ديربى ، ٢ مايو ، ١٨٧٧ وزارة الخارجية ٧٨/ ٢٥٠٠ ، ملفات ٥٩ - ٦١ ، من ستانتون الى ديربى ، ١٥ يناير ، ١٨٧٦ ، وزارة الخارجية ٢٥٠٣/٧٨ ، ملفات ١٤١ - ٢ ، من كوكسون الى ديربى ، ٢٢ يوليو ١٨٧٦ ، ENA ، السودان ، كرتونة ١٢/١/٥ ، من كيركام الى أحمد نشأت ، ١٨ ديسمبر ، ١٨٧٥ ، ب ب . كومونز ، ١٨٧٧ ، ٨٣ ، ص ص ، ٣٣٤ - ٥ ، هوجتون ومن هوجتون الى ديربى ، ٢٦ مايو ١٨٧٦ ، ص ٣٤٠ ، من ليستر الى هوجتون ، ١٧ نوفمبر ، ١٨٧٦ ، ديون اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٥١ - ٦ .

أن يحترم الحدود السابقة ، مستخدما عبارة « إنك لست أعظم من أسلافك ، ونحن لا نقل شأنا عن أسلافنا»[157] . ورفض اسماعيل ذلك كله وكان جيشه فى الطريق بالفعل .

ووقعت مهمة عقاب الملك يوهانيس واستعادة مكانة مصر على عاتق سردار (القائد العام) الجيش المصرى ، محمد راتب باشا ، بالاشتراك مع الجنرال لورنج ، وهو أمريكى الجنسية ، باعتباره رئيس أركان ونائب القائد العام ، والواقع أن كبار أعضاء القيادة العامة للأركان كانوا اما أمريكيين ، ومن بينهم اثنان برتبة كولونيل ، هما وليم ماك داى وتشارلز . و . فيلد ، أو أوروبيين ، بينما كان كبار ضباط القيادة من الأتراك ، وقد انضم الأمير حسن بن اسماعيل الى الحملة فى آخر شهر ديسمبر ، وكان هناك اثنتى عشرة فرقة مشاة (تم زيادتها الى ستة عشر فرقة) ، وفرقة من سلاح الفرسان ، وخمس بطاريات من مدافع الميدان ومدافع الجبال وبطارية صواريخ ، خمسة عشر ألف رجل ، كانوا جميعا طوع أمرهم ، وكانت التعليمات التى تلقاها راتب تنص على انه ستصله على الفور أية قوات أخرى يرى أنها ضرورية لمهمته . وانه يتعين عليه ألا يتقدم تحت أية ظروف مالم يكن لديه ما يكفى من القوات ، وبخلاف معاقبة يوهانيس من خلال سحق جيشه ، كانت أهداف الحملة الأخرى مبهمة ويلفها الغموض ، وفى حالة إنسحاب يوهانيس ، كان يتعين على راتب أن يحتل عدوة ويضغط عليه لإجراء مفاوضات . واذا لم يتقدم الملك ويستسلم فيتعين على راتب « ضرب عدوة مع فرض ضريبة على أهلها » ، وانذارهم بالعودة فى العام التالى وينبغى بذل كافة المحاولات التى من شأنها إثارة الاضطراب والتمرد بين أتباع يوهانيس أو إنصراف السكان عن زعمائهم المباشرين[158] .

واستمر اسماعيل فى استعراض ثقته المعتادة ، غير أنه أدرك الآن ان مغامرته الاثيوبية تنطوى على مخاطر أكبر مما حسب لها ، وبمجرد قيامه بإرسال الأنباء الخاصة بجوندت الى مونزينجير ويأمره بعدم التقدم الى ماوراء أوسا وأن يلتزم الحذر التام نظراً لاحتمال هجمات مرتدة ، تلقى أنباء هزيمة مونزينجير نفسه ووفاته[159] ، وكان رؤوف يواجه مشكلات تتعلق بتمرد جالا حول هرر[160] ، وفى هذا الوقت ، كان عليه الاستيلاء ليس على أوسا فقط بل وكذلك على منابع مياة النيل الأزرق وجويا (١٦١)وسواء أكان هناك أى شكل من أشكال التفاهم أو الاتفاق بين يوهانيس وسلاطين الدناقل ، حسبما افترض بعد ذلك ، أم لا ، فإنه من المستحيل اقامة الدليل على

(١٥٧)ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ رقم ١٣٧ ، من يوهانيس الى اسماعيل ، ١٣ ديسمبر ١٨٧٥ .

(١٥٨) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨١٥ - ٢٠ ، ٨٢٦ - ٨ ، ٨٣٢ - ٩ .

(١٥٩) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٠٢ - ٢١ .

(١٦٠) ، سجل ١٠ ، أوامر عليا ، ص ، ٣٢ ، من اسماعيل الى ابى بكر ، ٦ ديسمبر ، ١٨٧٥ ، وزارة الخارجية البريطانية ٣٠٥٨/٨٨١ ، ص ص ، ١٨ - ١٩ ، ٢١ ، من سكيندر الى سالزبرى ، ٣ ديسمبر ، ١٧ ديسمبر ، ١٨٧٥ .

(١٦١) وزارة الخارجية ٣١٨٨/٧٨ ، ملف ٣٨٥ ، من ستانتون الى ديربى ، ٥ ديسمبر ١٨٧٥ ٨

ذلك[162] . وعلى اية حال ، فقد كانت جوندت أخطر النكبات ، وقرر اسماعيل إعطاء الاولوية للقضاء على نزعة الاستقلال والتحدى التى أعرب عنها يوهانيس وسكان تيجرى بوجه عام . ومن حسن الحظ أن مينليك كان واحدا من الحلفاء المحتملين :

فى اليوم التالى لإصدار اسماعيل أوامره لراتب ، بعث برسالة جديدة عن طريق زيلا لمينليك ، واستعرض ما مرت به أوسا من أحداث ، حيث قضى مبعوث مينليك ، رأس بيرو (اليكابيرو سابقا) نحبه مع مونزينجر وفى الشمال توعد بمعاقبة الدناقل فى الوقت المناسب لان مصر غير مستعدة للسماح لهم بالتمرد . وبالنسبة ليوهانيس ، تم توجيه جيش قوى من خمسة عشر ألف رجل يمكن زيادتهم بسهولة الى عشرين ألف أو خمسة وعشرين ألفا ، الى مصوع لينزل به عقابا تحذيريا جراء ما اقترفه من أعمال » . وكتب اسماعيل يقول ، إنه بتنفيذ ذلك لن يكون لمصر مطامع فى الاستيلاء على أثيوبيا ومن ثم فى حالة تواجدك فى عدوة وأرسيت قواعدك هناك ، فسوف يسعدنا أيما سعادة أن تحدد تلك الشروط (الخاصة بالسلام) معك ، لاننا نرى أننا أكثر أحقية وقدرة من غيرنا على الاستيلاء على هذه المملكة . . . » وطلب اسماعيل من مينليك أن يبادر بالرد عليه على جناح السرعة[163] . وقد تسلم حاكم شوا الرسالة فى يناير ١٨٧٦ - وقرر أن يتجاهلها . وبدلا عن ذلك تلقى المصريون تقارير تفيد ان مينليك قد أرسل مبعوثين وقوة فرسان الى يوهانيس[164] .

وكان هناك شىء من القلق يسود الدوائر الدبلوماسية الأوروبية ، لأسباب مالية فى المقام الأول ، بشأن حجم العمليات المقرر القيام بها ، وكان البريطانيون على وجه الخصوص ، الذين علموا كالعادة بتلك العمليات فى مراحلها الأولى ، يساورهم القلق من أن ديون اسماعيل المالية ستتأثر تأثيرا خطيرا بسبب الحروب البعيدة التى لاطائل منها . وفى الوقت نفسه ، حينما كان اسماعيل يطالب بريطانيا بمساعدته فى إعادة تنظيم موارده المالية ، كان ذلك أحد الاعتبارات الهامة . غير أن الحكومة البريطانية جددت إلتزامها بعدم التدخل ، وباعتقال كيركام ، لم يعد لدى اسماعيل مشكلة فى ترويج الجانب الأخر من الرواية : ألا وهو أن الغرض الوحيد من الحملة الجديدة هو استعادة مكانة حكومته ، بعد مالحقه من إهانة ، لم يكن من المتوقع أن يخطو الخطوة الأولى نحو التوصل الى حل سلمى وقد رفض يوهانيس ذلك ، وقد قدرت تكاليف الحملة بخمسمائة ألف جنيه استرلينى ، ولكن حتى إذا كانت قد تكلفت ضعف هذه القيمة ، أكانت حقاً ممتلكاته فى أفريقيا تستحق هذه القيمة[165] ؟

(١٦٢) جابريل سيمون ، رحلة داخل الحبشة ومع رؤساء الجالا ، أثيوبيا عاداتها ، وتقاليدها ، نيجوس جوهانيس ، والمترددين على أعمدة لاليلا (باريس ، ١٨٨٥) ، ص ١١٧ .

(١٦٣)دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٢١ - ٤ .

(١٦٤)المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٩٨ ، ١٠٤٧ ، حسبما ورد فى هذه التقارير ، تردد أن قوة الفرسان تقدر بخمسمائة الى ستمائة رجل ، وأشار أوفرويك (مينليك ، ص ٢٤) أن مينليك قام بارسال ألفى رجل .

(١٦٥)وزارة الخارجية ٢٤٠٣/٧٨ ، من ديربى الى ستانتون ، ٣ ديسمبر ، ١٧ ديسمبر ، ١٨٧٥ ، وزارة الخارجية ٢٤٠٥/٧٨ ، ملفات ٤٦ - ٨ ، ٩٣ - ٤ ، ١٢٣ - ٧ من ستانتون الى ديربى ، ٢٧ نوفمبر ، ١٨ ديسمبر ،

ولم تكن حملة راتب ذات تخطيط جيد ومزودة بأفضل المعدات وحسب ، بل لقد قامت الحملات التبشيرية الكاثوليكية الرومانية بتزويدها بالخرائط والمعلومات الأخرى المفيدة على نحو منتظم ، خاصة حملات دوفلوس التبشيرية ، ونتيجة لذلك اختار راتب أن يسلك طريقا شرقى الطريق التى سلكها اريندروب . وكانت تبذل كافة المحاولات الممكنة لكسب حلفاء من بلين الاثيوبيين . وفى عبارات تعيد إلى الاذهان ما أعلنه نابيير فى ١٨٦٧ ، أكد راتب أن الحرب كانت تهدف الى القضاء على يوهانيس شخصياً ، « ذلك الظالم ... الذى يستبد بالجنس البشرى . ووجهت الدعوة الى الحكماء لانتهاز الفرصة والتفاوض لابرام اتفاقيات منفردة مع مصر واستعادة الاستقلال السياسى الذى كانوا يتمتعون به قبل أن يوحد تاودروس الحبشة ، وكان هذا الاعلان بلغة أمهرية ، ركيكة حسبما يزعم البعض حتى انه لم يفهمه أحد . وبرغم ذلك اشارت التقارير الى ان انتشار السخط على نطاق واسع فى هماسين ، بالإضافة الى تلميحات حاكم يوهانيس الجديد هناك ، ديجازمتش ولد ميخائيل(١٦٦) . وتقدم الجيش المصرى الجديد الى الداخل بحذر ، وأقام الحصون وأمن خطوط اتصاله بعناية بالغة . وبحلول نهاية يناير كان راتب قد وصل الى جورا ، الواقعة على بعد حوالى ٤٠ كم جنوب شرق أسمرة والتى كانت أبعد ما وصل اليه(١٦٧) . وكان تلك المسافة تماثل نصف ماوصل اليه اريندروب فقط . غير أنه على عكس التوقعات الأصلية للمصريين ، تقدم يوهانيس ليواجههم فى مكان هيأ لهم مزية الوصول الى الهضبة دون الاضطرار للإنتقال لمسافة طويلة عن قاعدتهم فى مصوع .

وليس من المحتمل أن يوهانيس كان يعلق أملا كبيراً على ماوجهه من مناشدات للندن والقاهرة بعد معركة جوندت ، وفى منتصف ديسمبر توجه لزيارة « إنديرتا » لحشد المؤيدين له فى موطنه الحقيقى ، وربما أيضا لإستكشاف إتجاهات حكامه فى واج فى يوجو ونظرا لتحذير ولد ميخائيل له من أن المصريين سيقومون مرة أخرى بغزو الأراضى المرتفعة ، رجع الى عدوة فى أول فبراير ١٨٧٦(١٦٨) . واستدعى ولد ميخائيل الى معسكره فى إيها : « تقدم بخطى مفاجئة لاتتمهل ، ولاتغفل . لقد قدم (راتب أو الجيش) (عن طريق) سيرانا » . وبدلا من أن يطيع

---

٢٩ ديسمبر ١٨٧٥ ، أنظر أيضا AECP ، مصر ٥٦ ، ملفات ٤٨٢ - ٦ ، من بيليسيو الى ديكازس ، ١٣ ديسمبر ١٨٧٥ ، ملفات ٤٨٨ - ٩٠ ، من ديكازس الى بيليسير ، ١٦ ديسمبر ١٨٧٥ . قدر كاف (ب ب . كومونز ، ١٨٧٦ ، ٨٣ ، ص ، ١١١) التكاليف بمليون جنيه استرلينى غير أن ذلك كان قبل معرفة نتائج معركة جورا والتكاليف الكلية لابد وأنها كانت أكبر من ذلك كثيراً .

(١٦٦) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨١٨ ، رقم ١ ، ٨٣٩ - ٥٠ ، ٨٧٨ - ٨٠ ، ٨٨٩ - ٩٥ ، AECP ، مصوع ٤ ، ملف ٥٣ ، من ديكازس الى كاربونيل ، ١٥ يناير ، ١٨٧٦ ، فيما يتعلق بمساهمات دوفلوس ، انظر على وجه الخصوص ، لورنج ، جندى حليف ، ص ص ٣٣٥ - ٦ ، ٣٧٩ - ٨٠ . ولورنج أيضا (المرجع السابق ، ص ص ٣٨٥ - ٦) هو الذى قدم عرضا طريفا لمحاولات يوهانيس وبلاطه لفهم اعلان راتب .

(١٦٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٦٠ - ٧٨ .

(١٦٨) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٨٤١ - ٤ ، ٨٥٨ - ٩ ، ٨٧٦ - ٧ .

أوامره ، انضم ولد ميخائيل الى الاعداء ، ولابد انه أدرك ان المصريين سيتصرون وأراد أن يضمن احتفاظه بحكم هماسين : وخلع عليه المصريون لقب باشا ووعده بولاية اقاليم أخرى أيضا(١٦٩) .

وبحلول منتصف فبراير كان يوهانيس قد جمع قواته جنوب ميريب وفى التاسع عشر من فبراير عبر الوادى الى جوندت وآدى كوالا . وبوجه عام استجاب السكان لندائه للتقدم والدفاع عن بلدهم وعقيدتهم .

وكانت تلك الحرب فى نظر الغالبية من الأثيوبيين حرباً دينية ، ومعركة ضد سلالة هاجر ، وابتاع اسماعيل ، والموابيين (وهم شعب سامى قديم) والأدوميين ، الذين جاءوا عبر البحار ليقضوا على شعب الله(١٧٠) . وهذه المرة تخطت عمليات التعبئة حدود تيجرى برغم ان هناك ثمة شكا فيما اذا كانت قد جاءت بالفعل أية فرق ضخمة من خارج تيجرى(١٧١) ، وقبل حملة جورا ، أبلغ سارزك وفرانز هاسن ، اللذان كانا يتميان بالتأكيد الى افضل المصادر الأوروبية العليمة ببواطن الأمور آنذاك ، ابلغا المصريين بأن يوهانيس يستطيع تعبئة ما بين ستين ألف الى سبعين ألف رجل ، وحوالى عشرة بالمائة منهم مسلحون بالاسلحة النارية وهذا العدد كان يضم فرقا من بيجمدير ، وجوجام لانه تمت الاشارة الى احتمال وصول قوات إضافية من ثلاثين ألف رجل من ويلووشوا . وربما كان كيركام يريد ارباك الضباط المصريين وارهابهم بالأرقام التى تتراوح بين ستين ألف الى مائة وخمسين ألف (من بينهم حوالى ثلاثين ألفا مسلحون بالاسلحة النارية) ، وكانت بقية السكان تحمل الهراوات(١٧٢) . وبعد انتهاء المعركة قدر الكولونيل داى القوة الاثيوبية التى قاتلت فى جورا بحوالى خمسة وأربعين ألف الى خمسين ألف رجل ، مؤكدا « أن هذا التقدير هو أقل تقدير قدمه حتى الآن اى شخص كان فى وضع يمكنه من تقييم الوضع » . وقال أحد الاطباء ، وكان قد وقع أسيراً فى أيدى الاثيوبيين ان المعسكر كان يضم ستين ألف مقاتل واجمالى عدد المقاتلين يصل الى مائة ألف ، وذكرت ارقاماً أخرى أعلى من تلك الارقام(١٧٣) .

---

(١٦٩) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، رقم ١٣٨ ، من يوهانيس الى ولد ميخائيل ، ٤ فبراير ١٨٧٦ ، رقم ١٠ ، من ولد ميخائيل الى راتب ، هاسن ولورنج وعثمان ، بدون تاريخ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ٨٨٩ - ٩٢ ، داى ، مصر الاسلامية ، ص ص ، ٢٨٣ - ٥ .

(١٧٠) « رواية » ، رس ، ٢١ ، ص ص ، ١٨٣ ـ ٤ .

(١٧١) أليكالملم (BN ، اثيوب ، ٢٥٩ ، ملفات ٢٠ ـ ٢) يناقض نفسه فيما يبدو حينما يؤكد فى البداية أن رأس أرال قرر التوجه لمساعدة يوهانيس ، مهما فعل رأس ولد سيلاس والآخرون ، ثم يدين الآخرين جميعا فيما عدا سكان تيجرى لعدم اشتراكهم . واتجاهات يوهانيس تجاه اتباعه بعد الحرب مباشرة تشير يقينا الى انه كان يعتبر البعض مؤيدين له والبعض الآخر كأعداء (اثيوب ٢٥٩ ، ص ص ، ٢٢ ـ ٣) . انظر أيضا داى مصر الاسلامية ، ص ص ٢٩١ ـ ٢ .

(١٧٢) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٨٥٨ ـ ٩ . لورنج ، جندى حليف ، ص ، ٣٤٨ ، وكذلك داى ، مصر الاسلامية ، ص ، ٢٩٥ .

(١٧٣) داى ، مصر الاسلامية ، ص ص ، ١٩٥ ـ ٦ ، لورنج ، جندى حليف ، ص ص ، ٤١٠ ـ ٤٣٨ ، ٩ .

وبعدة أيام من أوائل شهر مارس بدا يوهانيس متردداً فى مهاجمة المصريين الذين كان لديهم أكثر من احد عشر ألف رجل وأربعين مدفعاً وعشرة قوائم صاروخية فى مواقع محصنة فى جورا وكياكور . وكان هناك ما يقرب من خمسة آلاف رجل آخرين من القوات فى طريقهم الى الحصنين ، ووصلوا الى كياكور بالفعل أثناء اليوم الأول للمعركة الليلة التالية ، وتصرف يوهانيس فى البداية كما لو كان يعتزم عدم الإلتفات الى جورا ، بدأ المصريون يخشون من احتمال قيام الاثيوبيين بضرب الموقع الأضعف فى كياكور أوحتى قطع خطوط الإتصال شمال كلا الحصنين(١٧٤) . وربما لم يتوافر لدى يوهانيس ما يكفى من معلومات عن وضع الجانب المصرى ، وربما كان يريد المخاطرة بكل شىء فى معركة كبرى بدلاً من إطالة مشكلات توفير ما يكفى من إمدادات ومياه لجيشه الضخم .

وعلى أية حال ، تحرك الاثيوبيون فى السابع من مارس بين الحصنين واقتربا للغاية من كياكور حتى ان راتب رأى انه مجبر على التقدم والاشتباك معهم فى حلبة القتال المفتوحة ، وتقدم الاثيوبيون فى خمسة طوابير : رقم ١ ، نحو كياكور ، رقم ٢ داخل الفجوة التى كانت لم تزل قائمة بين جناح راتب الأيمن (أو أكثر المواقع تقدما) والحصن الثانى ، رقم ٣ ، تجاه الجناح الايمن للجيش المصرى ، رقم ٤ ، تجاه وسط الجيش المصرى ، ورقم ٥ تجاه ميسرة المصريين ، وفى الساعة الواحدة والنصف فى اليوم السابع من مارس بدأت المعركة . وبرغم تفوق قوة نيران بنادق ريمنجتون المصرية ، ومدافع كروب وقوائم الصواريخ ، تابع الاثيوبيون تقدمهم ودمروا ميمنة الجيش المصرى وأجبروا ميسرته على التراجع نحو جورا التى سرعان ما أصبحت ملاذا أخيراً يهربون بحياتهم إليها ، وطارد الاثيوبيون الاعداد القليلة من المصريين الفارين الذين بقوا على قيد الحياة داخل أسوار الحصن ، ومن بين الفرق المصرية السبع (ما بين خمسة آلاف الى ستة آلاف رجل) لم يرجع سالما منها سوى اربعمائة الى ستمائة رجل ، ونجح ما بين ألف وثلاثمائة الى ألف وستمائة من المصابين فى الهرب بحياتهم تحت ستار الليل . وخسر المصريون فى هذا القتال الذى استمر من ثلاث الى أربع ساعات حوالى ثلاثة ألاف رجل ما بين قتيل وأسير ، وغنم الاثيوبيون جميع المدافع وآلاف البنادق التى خلفها المصريون وراءهم . ونظراً لخشية القائد العسكرى فى كياكور من قيام الاثيوبيين بمهاجمته فقد امتنع عن الاشتراك فى المعركة برغم أن جزءاً من العمليات القتالية كان يجرى داخل مدى نيران حصنه(١٧٥) .

أكثر الارقام مبالغة كان ٢٥٠ ألف مقاتل وحلده رئيس الأركان فى معرض تبريره لهزيمته (دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٤٠-١) .

(١٧٤) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٠٢ ، ٩٠٩-١٦ ، ٩٤٣-٤ .

(١٧٥) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٢١-٤٤ ، ٩٥٤ ، ١٠١٦ ، وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٦٣١ ، ملفات ٨٦-٧ ، من فيفيان الى ديربى ، ٢٣ يناير ، ١٨٧٧ ، يعتمد تقرير دوين الخاص بالمعركة أساساً على روايات داى ولورنج . وقد عرض راتب فى تقريره (ENA عابدين ، كرتونة ١٦٠ ، الى اسماعيل ، ١٠ مارس ١٨٧٥) ، بعض تفاصيل المعركة ، وركز على ادانته وإنتقاده للضباط الامريكيين المشاركين معه . « . . . وأعلن ان الجنرال لورنج

وطوال يومين كاملين بعد إنتهاء المعركة الكبرى ، أى يومى الثامن والتاسع من مارس ، كان الاثيوبيون يحاصرون حصن جورا ويغيرون عليه ، وقد نجح المدافعون الذين هلك غالبيتهم ، بالكاد فى صد الاثيوبيين . غير أن محاولات الاثيوبيين للرد على نيران المدفعية المقاومة من الحصن بالمدافع التى غنموها من المصريين باءت بالفشل . وخسر الاثيوبيون خلال هذين اليومين خسائر ضخمة بالمقارنة بما خسره المصريون ، وفى ظهيرة التاسع من مارس رُفِعَ الحصار عن الحصن وتردد أن خسائر الأثيوبيين طوال أيام القتال الثلاثة بلغت ثلاثة آلاف وخمسمائة الى أربعة آلاف قتيل وحوالى ألف جريح ، دون وقوع أسرى . ومن ثم فقد كانت الخسائر فى معركة الايام الثلاثة متعادلة تقريبا(١٧٦) .

وبرغم فشل الحصار ، فقد كانت معركة جورا ، رغم انها كانت أقل حسما من معركة جوندت ، بمثابة انتصار اثيوبى واضح عظيم ، اذ ان الجيش الذى ينسحب بعد أن يغنم خمسة عشر الى عشرين مدفعاً وآلاف(١٧٧) البنادق من الطراز الاول لا يعتبر جيشاً مهزوماً ، وبالنظر الى الأهداف التى كان من المقرر أن تحققها الحملة ، كانت معركة جورا بمثابة هزيمة نكراء حاقت بالمصريين ، وكانت جميع التعليمات الجديدة تتركز حول الدفاع ، وليس الهجوم ، وبذلت محاولات كثيرة لاخفاء الحقيقة ، بل أن اسماعيل أمر راتب بأن يرسل بعض الرسل ليقرروا أمام الخديوى فى حضور الاوروبيين أن خسائر الاثيوبيين بلغت خمسة وثلاثين ألف رجل وأكثر(١٧٨) ، وكانت ثمة تكهنات بأن وهانيس إنسحب بسبب تدهور أوضاع جيشه . وتأكيدات بأنه يتوسل لإحلال

وجنوده يتحملون وحدهم مسئولية ما كانت تخبئه لنا الاقدار » . لو كان الاتهام المضاد التركى - الأمريكى متبادلاً . انظر على سبيل المثال ، لورانج ، جندى حليف ، ص ص ، ٣٦٠ ، ٤٠٢-٣ ، ٤١١-١٢ ، ٤١٨-٢٠ ، بيد ان ثمة رسالة غير ممهرة (ENA ، السودان وأفريقيا الشرقية ، رف ١٢٠ / ٧٣) بتاريخ ١٥ مايو من داى) الى « صديقى العزيز » - ويكاد يكون من المؤكد ان الجنرال ستون ، أعلى رتبة أمريكية فى مقر القيادة فى القاهرة ، هو المقصود - تشير الى الانتقاد المتبادل داخل القيادة العامة أيضا : « لقد كان التردد وعدم الكفاءة والحماقة التامة من الاعمال التى يمارسها الجميع عن طيب خاطر . . ولابد من قطع عدد من الرءوس ، كما أن تصرفات الجنرال لورنج جعلته يفقد ثقة الجميع . . . والشيطان الأحمق الأخر (راتب ؟) إنما هو طفل غرير فى ساحة القتال » .

(١٧٦) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ، ص ص ، ٩٩٤-٥٥ ، لورنج ، جندى حليف ، ص ص ، ٤٢٤-٧ ، ٤٣٤ ، داى ، مصر الاسلامية ، ص ٣٩٧ .

(١٧٧) وزارة الخارجية ، ٧٨ / ٢٥٠٣ ، ملفات ٧-٨ ، من ستانتون الى ديربى ، ١٣ مايو ، ١٨٧٦ ، اشار الى أن ما يقرب من عشرة آلاف مصرى ممن ظلوا على قيد الحياة عبروا السويس ومعهم بنادق مسكيت عتيقة أو بلا أسلحة على الاطلاق برغم أنهم كانوا مسلحين ببنادق ريمنجتون حينما توجهوا للقتال .

(١٧٨) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٥١ ، ٩٥٦-٦٧ ، وانصاع الأمير حسن ، على الأقل ، وبعث ببرقية يقول فيها أن خسائر الاثيوبيين تقدر بأربعين الى خمسين ألفاً (المرجع السابق ، ص ٩٨٠) .

السلام (١٧٩) . والاحتمال الأكبر هو أن صعوبة تدبير المؤن للجيش هى التى دعته الى الانسحاب وكان أحد الضباط المصريين ، وهو سكرتير راتب ومساعد القائد العام الفعلى ، محمد رفعت بك ، هو الذى بادر بمفاوضات السلام فى أوائل ٨ مارس (١٨٠) .

مفاوضات مابعد جورا

كان أول رد من يوهانيس على عرض محمد رفعت بوقف اطلاق النار هو رسالة بعث بها الى حسن باشا استعرض فيها الملك أسباب النزاع :

« لقد هاجمت جيوشكم أراضينا .. وجئتم بجيوشكم وأقمتم تحصينات فوق أراضينا .. فإن أردتم بدء التفاوض بهدف (وقف اطلاق النار) عليكم أن ترسلوا لنا وفداً أو أبلغونا حتى نستطيع إرسال وفد من جانبنا » .

ورد راتب بأنه يوافق على التفاوض وطلب الى يوهانيس ارسال وفد وورد الملك على ذلك بضرورة عودة المصريين الى بلادهم والتعهد بتسليم أسرى الحرب ، وبالطبع لم يكن مسموحاً لراتب أن يرحل والتظاهر بالمفاجأة بأن يوهانيس يستطيع تقديم هذا العرض طالما أنه لم يتم الاتفاق على الشروط الودية للمستقبل(١٨١) .

ولم يكلف الملك نفسه حتى بالرد على ذلك ، ومن ثم اضطر محمد رفعت وراتب الى تقديم مبادرة جديدة بعد ذلك بأسبوع (٢٠مارس) . غير أن يوهانيس لم يلق بالا إلى محاولات راتب لتبرير حملتيه العسكريتين هو وأريندروب باعتبارها مشروعات سلمية :

« تقولون انكم قدمتم هنا لتقصى الإعتداء الذى وقع ضد مبعوثيكم فى جوندوت .. ونحن نرد عليكم بالقول : آه ، أنتم ، أيها الرجال العظام المشاهير ، الذين وهبهم الله قدراً كبيرا من الذكاء مما يجعلهم يميزون بين الطيب والخبيث ، هل كان عدد مبعوثيكم الذين تشيرون اليهم عشرة أو عشرين رسولا وهل قدموا لتقصى الأوضاع ؟ وهل نحن الذين اعتدينا عليهم بسبب عددهم المحدود ، أم أن العكس هو الصحيح وانهم كانوا جيشاً جراراً قام بمهاجمتنا واختراق مملكتنا ، دون أى تفويض منا بذلك » ؟

---

(١٧٩) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٥٥ ، ٩٧٨ـ ٨٠ ، وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٥٠١ ، ملف ٤٩ ، من ستانتون الى ديربى ، ١٣ مارس ١٨٧٦ : « تلقيت لتوى معلومات بأن ... الأثيوبيين قد هزموا هزيمة منكرة ومنيوا بخسائر ضخمة ، وتلقى الأمير حسن رسالة من الملك يطلب فيها السلام » .

(١٨٠) داى ، مصر الاسلامية ، ص ص ، ٤٣١ـ ٢ ، لورنج ، جندى حليف ، ص ص ، ٣٦٠ ، ٤٣٤ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ، ٩٧٣ .

(١٨١)دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٩٧٦ - ٨ (تأكيدى) . المراسلات التى جرت بين يوهانيس والمصريين قبل ١٥ ابريل لاتتوافر إلا فى تقارير راتب الى القاهرة التى أوردها دوين بالتفصيل .

وبعد أن اتهم راتب بعزل وتعيين حكام فى اثيوبيا وحث ولد ميخائيل على خيانة مليكه ، عرض يوهانيس فى النهاية شروطه : ألا وهى التأكيد من جديد على روابط الصداقة التى كانت قائمة قبل عهد مونزينجير والعودة الى بلادكم(١٨٢) .

ولابد أن راتب اكتشف انه لن يستطيع الفوز فى هذه المعركة الكلامية وقرر ارسال ، مندوب هو على الروبى ، الى يوهانيس ومعه شروط مصر المحددة للسلام . وكانت تلك الشروط تتمثل فى :

(١) اعادة الأسلحة التى خسرها المصريون فى المعركتين .

(٢)إعادة الأسرى .

(٣) السماح بحرية التجارة بين البلدين .

ورد يوهانيس على تلك الشروط بقوله « انه إذا كان المصريون يريدون السلام حقيقة ، فعليهم إعادة بوجوس الى أثيوبيا ودفع تعويض عن كافة الخسائر التى لحقت بأثيوبيا منذ عملية الضم ، وفيما يتعلق بالشروط المصرية ، تعهد يوهانيس بإعادة الأسرى ، وانه يؤيد تماما حرية التجارة ومع ذلك فإن الاسلحة التى تم الإستيلاء عليها ستبقى كما هى ، أى فى أيدى رجاله ، وبرر الملك ذلك بقوله ان زعماء قبائله غير مستعدين لتسليم الأسلحة(١٨٣) . وربما كان ذلك صحيحا ، ولكن فى هذه الحالة بالتحديد كان هذا التبرير أسلوب مهذب يعنى الرفض . ومن المفهوم أن يوهانيس كان بامكانه الموافقة على إعادة الأسلحة فى الجلسة ذاتها لانه كان يطالب بتعويض عما لحق به من خسائر(١٨٤) .

ولكى يدلل يوهانيس على استعداده لمواصلة المفاوضات ، قام بإرسال كيليمكواس ميرشاورك مع على الروبى الى معسكر راتب (٢٥ مارس) وطوال أسابيع ثلاثة كانت مسألة إعادة الأسلحة هى المسألة الرئيسية . وأعلن الخديوى انه سيكتفى بإعادة جزء من الأسلحة . ويزعم البعض أن يوهانيس انفجر غضبا من هذا الحديث الأحمق وتساءل كيف يمكن أن يُطلب اليه إعادة أية أسلحة بينما يحتل المصريون بوجوس - ومصوع؟ . ومع ذلك أصر اسماعيل بمشورة من الآخرين على مداهنة يوهانيس أو خداعه : اذا أظهر الملك ان لديه القدرة على جمع بعض الأسلحة من رجاله . على سبيل المثال ، فيمكنه اعتبار ما تبقى من أسلحة كهدية من الخديوى . أما موقف اسماعيل من الإستيلاء على الأراضى فقد كان أكثر غموضا ، إن جاز هذا القول . وينبغى إبلاغ

---

(١٨٢) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٩٨٣ - ٥ .

(١٨٣)المرجع السابق ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٩٨٦ - ٧ .

(١٨٤)لم يكن اسماعيل وراتب وحدهما اللذين رأيا انهما أقنعا يوهانيس بأنه ملزم بإعادة أسلحة إن استطاع ذلك ، بل وكذلك الضباط الامريكيين أيضا فيما يبدو . ومن المؤكد أن ذلك كان ينطوى على التقليل من شأن يوهانيس ومستشاريه .

يوهانيس انه لن يسمح بتحريك أية قوات أثيوبية فى هماسين، التى تعد اقليماً مصرياً »[١٨٥] ونظراً لفشل جيش راتب فى الوصول الى هماسين وفرار حليفه ولد ميخائيل من المقاطعة ، لم يكن ثمة شىء يستطيع راتب فعله ليحول دون تحريك الجيش الاثيوبى الى هناك ، إلا إذا بدأ فى شن هجوم كبير .

والواقع انه لم يكن ثمة تفكير فى شن هجوم برغم التعزيزات التى وصلت الى راتب . إذ انه كان على وشك التخلى عن جورا وكان يخشى احتمال قيام جيش يوهانيس ، الذى لم يكن يبعد عنه سوى ثمان ساعات ، بمهاجمته بمجرد خروجه من الحصن ، وقد أعرب الاثيوبيون عن نفاد صبرهم من عمليات التأخير . ومن ثم أراد راتب كسر جمود المفاوضات قبل أن يقوم بالإنتقال من حصن الى آخر . واقترح عدم الاشارة الى استرداد الأسلحة أو أية مشكلات تتعلق بالحدود وإنما التفاوض فقط بشأن ابرام معاهدة صداقة والعلاقات التجارية وتبادل البريد . ووافق اسماعيل بشرط ألا يذكر بأى مكان فى الوثيقة ان الاتفاق تم التوقيع عليه بناء على تعليمات من الخديوى أو بالنيابة عنه . وبمعنى آخر ، كان يريد عدم التقيد بشىء حتى يمكنه التنصل من الاتفاق إذا وجد فى ذلك مصلحة له .
ورجع ميرشا وعلى الى يوهانيس فى الثامن عشر من ابريل وكان الثانى لديه تعليمات بإيقاف التفاوض ليتاح له الوقت الكافى للجلاء عن حصن جورا . ونجحت الخطة واستطاع راتب من خلالها تعويض بعض قواته لصالح الإقتصاد[١٨٦] .

وفى الوقت نفسه تم إعداد معاهدة لإرساء السلام والصداقة ومبادلة التجارة والبريد بين البلدين ، فى معسكر يوهانيس وختمت بخاتم الملك . وبإستثناء حقيقة أن أيا من البلدين لم يكن يرغب فى تجدد القتال ، فمن الجلى ان الاتفاق كان أكثر أهمية بالنسبة لأثيوبيا منه بالنسبة لمصر[١٨٧] . وحينما رجع المفاوضون الى راتب فى الثالث والعشرين من ابريل ، جاءوا معهم بمائتين وأربعة عشر أسيراً من بينهم سبعة ضباط . ومع وصول هؤلاء الاسرى سالمين وإتمام الجلاء بنجاح ، قرر راتب أن يتنصل رسوله على الروبى من تعهده وألا يوقع الاتفاقية أيضاً . فإذا وقعها يشعر أنه ملزم بالجلاء عن المواقع المحصنة المتبقية التى أقامها فوق الأراضى الاثيوبية ، وكان يريد ان يكون لدى مصر شىء ما لتعرضه أمام الأخرين كثمن للأرواح والأموال التى ضاعت فى حملته ،

(١٨٥) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ٩٨٨ - ٩٠ ، ٩٩٨ - ١٠٠٠ . ربما كانت تلك الاشارة الى مصوع هى التى أدت الى ماتردد من أن التخلى عن مصوع هو شرط يوهانيس الاول للسلام (AEMD ، أفريك ٦٢ ، ملفات ٢٠٤ - ٩ ، من كازو الى ديكازس ، ٢٣ ابريل ١٨٧٦) . من المفهوم ان التركيز على استرداد الاسلحة كان من منطلق الحفاظ على المكانة ، انظر المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(١٨٦) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ١٠٠٠١ - ٩ ، ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، أرقام ١٤٠ ، ١٤١ ، من يوهانيس الى راتب ، ١٥ أبريل ، ١٧ ابريل ١٨٧٥ .
(١٨٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ١٠١١ - ١٢ ، ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، رقم ١٦٢ ، من يوهانيس الى راتب ، ٢٣ ابريل ، ١٨٧٦ .

ولذا اقترح على اسماعيل تأجيل التوقيع الى اجل غير مسمى بحجة أن يوهانيس لم يعد الأسلحة وجميع الأسرى ووافق الخديوى على هذا الاقتراح وأصر على ضرورة عدم توقيع المعاهدة طالما يوجد ولو أسير واحد فى أيدى الاثيوبيين[١٨٨] .

واذا كان يوهانيس قد أحس انه تعرض لخداع لكى يقوم بتسليم الموجودين فى معسكره أو أدرك أن المصريين يحتثون بوعدهم الخاص بالاتفاق كله ، الا انه لم يظهر ذلك على الفور . أولا ، لانه لم يعتبر الأسرى شيئا هاماً يساوم عليه ، وهو نفس التصرف الذى أعرب عنه بوضوح عقب معركة جوندت حينما أطلق سراح جميع من طلبوا الرحيل وأرسلهم الى مصوع دون أية مفاوضات مسبقة ، أما من تخلفوا تلك المرة فقد كانوا بعض العبيد فقط ، أى الجنود السودانيين ، الذين رفضوا العودة لانهم ، كما قالوا ، « لقد تم شراؤنا بالمال وهذه هى بلادنا الاصلية ولاوطن لنا غيرها »[١٨٩] . ثانيا ، أن جميع الأسرى الذين ظلوا على قيد الحياة الذين اخذوا الى جورا تمت اعادتهم ومجموعة جوندت المتبقية كان عددها خمس وثلاثون أسيرا فقط ، وفقا لراتب نفسه[١٩٠] . وأعلن يوهانيس انه قد أرسل فى طلبهم بالفعل وانه سيقوم بتسليمهم الى أى شخص يفوضه راتب بذلك . وحتى نائب محمد عبد الرحيم ، الذى لم يكن أسيراً حربيا وانما « خائنا لكلا الطرفين » ، حسبما قال يوهانيس ، سيتم اطلاق سراحه كدليل على صادق معاهدة الصداقة الجديدة[١٩١] .

وبالطبع ، لم يكن ثمة سبيل لارضاء راتب ، ففى أوائل مايو اقترح مطالبة يوهانيس بإعادة كافة الأسلحة والاموال والملابس والممتلكات الأخرى التى سلبت من أى أسير من الأسرى وأن تدفع أثيوبيا تكاليف الحرب وعلى وجه الخصوص ثمن دماء الجنود الذين ذبحوا بعد المعركة مباشرة ، « بحجة أن الحكومة المصرية ملزمة بدفع معاش لأسرهم » . وقد دفع ذلك اسماعيل الى تحذير راتب من استفزاز يوهانيس ليقوم بمهاجمته مالم يكن على ثقة من أن الثانى (أى يوهانيس) أضعف من أن يشن أى هجوم . وقد كان صبر الملك ورسوله قد بدأ ينفد آنذاك . وطلب ميرشا ، الذى كان محتجزا فى المعسكر المصرى فى إنتظار توقيع راتب على المعاهدة ، السماح له بالخروج فى الثامن من مايو بدون شروط محددة . وحينما سمح له بالخروج فى النهاية ، أصطحب معه شرط راتب للتوقيع ؛ ألا وهو .. يتعين إعادة كل أسير من أسرى الحرب قبل أن يوقع المعاهدة[١٩٢] . وبرغم خيبة آماله السابقة ، فقد قرر يوهانيس أن يطلب الوساطة الاوروبية مرة اخرى ، ونجح أحد الجواسيس الاثيوبيين فى تهريب رسالة إلى الرئيس الفرنسى بإخفائها فى حذائه[١٩٣] .

(١٨٨) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ص ص ، ١٠١٢ - ١٥ .
(١٨٩) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، رقم ١٣٧ ، من يوهانيس الى اسماعيل ، ١٣ ديسمبر ، ١٨٧٥ .
(١٩٠) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ١٠١٦ .
(١٩١) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، أرقام ١٤٢ - ٣ ، من يوهانيس الى راتب ، ٢٨ ابريل ، ٥ مايو ١٨٧٦ . دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ١٠٢٠ - ١ .
(١٩٢) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ١٠٢١ - ٢ ، ١٠٢٦ .
(١٩٣) AED بروتوكول سى ٤١ ، من يوهانيس الى ماكمهون ، ٣ مايو ١٨٧٦ ، مع رسالة تفسيرية مرفقة ، من ميلى الى ماكمهون ، ٢٢ يناير ١٨٧٦ .

وعلى أية حال كان اتباع سياسة ذات وجهين واضحاً تماماً بدرجة لابد وانها حدت بيوهانيس الى استنتاج عدم إخلاص راتب ، فإطلاق سراح عبد الرحيم ، على سبيل المثال ، لم يعقبه أى إعراب عن التقدير : « كان لا ينبغى القبض عليه أساساً لانه كان رسولاً » . وسواء أكان رسولا أم جاسوسا عندما وصل الى عدوة قبل معركة جوندت بأيام قلائل وسواء أكان يعتزم تبادل الانحياز الى الجانبين مرة أخرى أم لا بعد أن ساعد المصريين كما فعل آدى كوالا ، فتلك تساؤلات معقدة لا توجد إجابات واضحة لها . وحتى المصريين أنفسهم اعترفوا بأن عبد الرحيم قام منذ عدة سنوات على نحو غادر بنقل اقطاعيته الاثيوبية فى أيلت الى مصر مقابل المال . . ووصفه يوهانيس بأنه خائن مزدوج(١٩٤) . ومن ناحية أخرى كانت قضية كيركام بسيطة الى حد ما . فقد تم ارساله الى مصوع بعد إنتهاء المعركة ، حيث كان يرافق الاسرى المصريين اثناء عودتهم الى قاعدتهم حاملا معه رسائل موجهة الى كل من الخديوى اسماعيل وحكومات أوروبية(١٩٥) . ومع ذلك ذهبت مناشدة يوهانيس لإطلاق سراح رسوله الذى كان مريضا مرضا خطيراً فى مصوع ، عبثاً .

ويزعم البعض ان راتب هدد باحتجاز كيركام المسكين فى السجن الى أن يضطر فى النهاية الى الاعتماد فى قوته وطعامه على الحشرات التى تتقوت بدورها من جسده ، والواقع أن حاكم مصوع تلقى تعليمات من القاهرة (٧ مايو) بأن يقدم الى كيركام الذى كان قد شكى من عدم تقديم طعام كافٍ اليه ، كل أنواع المشروبات التى يرغبها ، وأن يضيف اليها جرعة قوية من الكحول الخالص . وبعد ذلك بستة أسابيع تردد أن سفير يوهانيس وجنراله قد مات بداء البطاح الغولى(١٩٦) (الهذيان ارتعاشى الناجم عن الاسراف فى شرب المسكرات) .

وكانت مشكلة ولد ميخائيل وهماسين سبباً آخرا للإشارة والاستفزازه إذ قام ولد ميخائيل بنهب هماسين وسلبها بعد معركة جورا وهرب الى الأراضى الواطئة حول أيليت(١٩٧) ، وكان المصريون ، الذين لم يجرؤوا على التصرف بأنفسهم ، يقومون بتسليحه وتشجيعه على أمل أن يقوم بالإستيلاء على هماسين من أجلهم بمجرد عودة يوهانيس من عدوة ، وكان موقف يوهانيس من هذه المسألة واضحاً . اذ قام بإعادة تعيين منافس ولد ميخائيل ، ديجازميش هايلو حاكم سيازيجا ،

(١٩٤) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٧٥٨ ، ٧٦٨-٩ ، ١٠٢١ ، داى ، مصر الاسلامية ، ص ، ١٢٤ .

(١٩٥) انظر المرجع السابق ، ص ، ٣٢٤ .

(١٩٦) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، رقم ١٤٥ ، من يوهانيس الى راتب ، ٢٠ مايو ١٨٧٦ ، لورنيج ، جندى حليف ، ص ، ٣٤٨ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠١٨ - ٢٠ . زعم يوهانيس بعد ذلك فى رسالة نشرها بعد ذلك ممثله فى لندن (وزارة الخارجية البريطانية ٤٠٧ / ١١ ص ص : ١٩ - ٢٠) أن كيركام قد قتل بالسم .

(١٩٧) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، ٥٣ ، من ولد ميخائيل الى راتب ، بدون تاريخ .

حاكماً على هماسين . ولم يكن يوهانيس يهتم بفقد حاكم طالما خانه ، وانما الحكومة المصرية التى قبلت خدمات الخائن ستتحمل الآن مسئولية عدم قيامه بتعكير صفو السلم ، ويكاد يكون من قبيل المصادفة أن يوهانيس ، الذى تجنب بطريقة أخرى الضغط على راتب بشكل مباشر لكى يوقع (المعاهدة) ، قد فعل ذلك على نحو دقيق فى الرسالة الخاصة بولد ميخائيل(١٩٨) .

وطوال المفاوضات كان من المسلم به فى رأى يوهانيس ان كلاً من الجيشين سينسحبان عن الحدود بمجرد توقيع المعاهدة ومن ثم ، سيتمكن من ارسال محاربيه الفلاحين الى الوطن لحرث الأرض وبذر الحبوب فى الوقت المناسب قبل موسم سقوط المطر فى يونية ، وهذا ما يفسر رغبته الشديدة فى جمع شتات الأسرى ، وسورة غضبته من إصرار راتب على ألا يتخلف أسير واحد . وحذر راتب بألا يدع المسائل البسيطة تحول دون إحلال السلام ، وحينما كان على وشك العودة الى عدوة فى الثلاثين من مايو ، أدرك أن راتب قد نجح تماما فى القيام بذلك(١٩٩) .

فبمجرد عودة يوهانيس الى عدوة (١ يونيو) وتسريح معظم قواته ، شرع راتب فى التخطيط للزحف نحو هماسين وإنشاء موقع حصين هناك على غرار الحصن الذى أقامه كياكور واحتفظ فيه بقوات قليلة . ولم يوافق اسماعيل على ذلك لإنه لم يكن يرغب فى حدوث مواجهة جديدة مع يوهانيس . وأشار على راتب بدلاً من ذلك أن يقوم بتزويد ولد ميخائيل بالسلاح والمال وان يوجّه معه قواته لمحاربة هايلو . ويجب أن يتم ذلك كله بحيث يخفى على الجميع أن ولد ميخائيل كان يتصرف بموافقة من المصريين ، وبعد ان يقوم ولد ميخائيل بالإستيلاء على هايلو ، يتعين على راتب أن يكتب اليه رسالة يعترض فيها على غزور لهماسين - كإجراء شكلى . وإعتقد اسماعيل انه يستطيع بإستخدام هذا الاسلوب تجديد مفاوضات السلام فى الوقت نفسه(٢٠٠) .

وفى هذه المرة كان على الرويى ، الذى كان فى القاهرة لتقديم التقارير ، يقوم بحمل رسالة وهدايا من الخديوى الى يوهانيس ، وقد التقى بأحد معارفه القدامى ، ميرشا ، ورافقه الى عدوة حيث وصلها فى الثامن من يوليو . غير أن مهمته باءت بالفشل . ومرة أخرى كان اسماعيل يريد

(١٩٨) المرجع السابق ، رقم ١٤٤ ، من يوهانيس الى راتب ، ١٢ مايو ، ١٨٧٦ ، علاقات ولد ميخائيل بالمصريين فى مارس وابريل ١٨٧٦ موقفه فى عدد من الرسائل الاصلية (مرجع سابق ، أرقام ٦ ، ٥٣ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، الى راتب ، وحسن وضباط مصريين آخرين بدون تاريخ) انظر أيضا دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ٩٨٢ ، ٩٩٦-٧ ، ١٠٢٤-٥ ، وللاطلاع على النزاع المبكر بين ولد ميخائيل ويوهانيس ، أنظر المرجع السابق ص ٢٧٨ .

(١٩٩) من يوهانيس الى راتب ، ٢٨ ابريل ، وكذلك ٣٠ مايو ١٨٧٦ (بهربارا ، كرتونة ١٩ ، أرقام ١٤٢ ، ١٤٧) .

(٢٠٠) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠٢٨-٣٢ .

استرداد الأسلحة التى تم الاستيلاء عليها ، بالاضافة الى ضرورة أن يدفع يوهانيس تعويضا مقابل ما أنفقته مصر على الحرب وضمان سلامة حدود المستقبل عن طريق التخلى عن أراضى تشمل هماسين على الأقل وقد تمتد حتى ميريب . ولم تكن رسالة اسماعيل على الأرجح واضحة وضوح تعليماته ، وقد دفع ذلك يوهانيس الى الإرتياب فى أن على وراتب هما ذاتهما يمثلان عقبات فى طريق السلام . وعلى أية حال سرعان ما إنتهت المفاوضات . وقرر الملك استكشاف الموقف حيث أرسل مندوبا عنه الى القاهرة ، ونفذ قراره على نحو أغضب راتب(٢٠١) .

وفى الوقت نفسه قام ولد ميخائيل بغزو هماسين وهزم هايلو وقتله فى ويكى ديبا بالقرب من سيازيجا فى السابع عشر من يوليو ، وكانت معركة متعادلة قتل فيها الكثير من الجانبين ، بمن فيهم أحد أبناء ولد ميخائيل نفسه . وكان من المتوقع أن تسفر هذه المعركة التى تقاتلت فيها عائلات تربطهم ببعضهم البعض روابط وثيقة وجيران فى هماسين عن بغضاء شديدة بين هؤلاء وأولئك . وبالاضافة الى ذلك أصيب ولد ميخائيل بالدهشة والرعب من جراء إدانة راتب لتصرفه : ألم يصبح عدواً لمليكه كى يرضى المصريين ، ألم ينفذ التعليمات ولبى رغبات السردار نفسه ، ألم يرفض عرض الحصانة وأن يصبح حاكما الذى عرضه عليه يوهانيس بعد معركة جورا ، وأقسم « بالكنيسة والصليب الذى يوجد داخلها » انه رفض العرض قائلاً « ان الماء الذى انسكب من الوعاء لايمكن صبه فيه مرة أخرى » . ألم ينعم عليه راتب نفسه بلقب « راس » ؟ والآن بدأ الاثيوبيون يطلقون عليه الحاج ولد ميخائيل . وكان ذلك ينطوى على قدر كبير من المرارة بالنسبة لرئيس أحد الاسر المسيحية البارزة فى هماسين . وبرغم ذلك ولأن راتب كان « رئيسه » ، فإنه لن يقول « الحكم لله عليك » بل يقول « بينى وبينك الله »(٢٠٢) .

والواقع أن مدى تنفيذ ولد ميخائيل لإدارة راتب يوضحه أفضل توضيح مشروعات القائد قبل معركة ويكى ديبا بثلاثة أيام للتخلى عن كياكور ، والتى وجد أنه من الصعب الاحتفاظ بها بسبب ثلاثة مواقع حصينة فى هماسين : هى أسمرة وسازيجا وديبارو(٢٠٣) وقد خبت تماماً أية رغبة فى الانتقام لمعركتى جوندت وجورا بقوات مصرية . وبرغم انتصار ولد ميخائيل ، لم تتحرك أية قوات مصرية نحو هماسين وقد تخلى راتب عن الخطط (الخاصة بذلك) نتيجة لما وصله من تقارير عن اعتزام جيش اثيوبى مهاجمة حليفه . ولم يستحوذ الجيش المصرى على هماسين إلا فى عقول من فى القاهرة فقط(٢٠٤) ، وعند انتهاء موسم الامطار فى سبتمبر وجه يوهانيس جيشين الى أكل

(٢٠١) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ٧ ص ص ، ١٠٣٣ - ٥ ، ١٠٣٨ ، ١٠٤١ ؛ ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، من يوهانيس الى راتب ، ٢٦ يونية ، ١٨ يوليو ، ١٨٧٦ ، حيث تتبين عدم الثقة المتزايدة بوضوح .

(٢٠٢) ENA ، بهربارا ، كرتونة ١٩ ، أرقام ٧ ، ٨ ، من ولد ميخائيل الى راتب ، بدون تاريخ أيضا MT ، ١٨٧٦ ، ص ١٠٥ ، بيترسون ، ٢٦ يوليو ١٨٧٦ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠٣٦ - ٧ .

(٢٠٣) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠٤٣ - ٥ .

(٢٠٤) المرجع السابق ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠٥٥ ، ١٠٦٣ - ٥ ، وزارة الخارجية البريطانية ٧٨ / ٢٥٠٣ من كوكسون الى ديربى ، ٧ أغسطس ، ١٨٧٦ .

جوزاى وهماسين على التوالى . وتخلى راتب عن كياكور فى عجلة شديدة ، وفر ولد ميخائيل الى بوجوس ومعه جيش يبلغ حوالى ألف وخمسمائة رجل كان قد قام باعداده ، وترك الاثيوبيون دون قدرة على المطالبة بملكية تلك الأقاليم الحدودية . ولم يكتف يوهانيس ، بذلك ، بل عبر الحدود الفعلية التى رسمت فى ١٨٧٢ - ١٨٧٣ . وتقدم بنفسه جيشاً أثيوبيا حتى وصل الى كيرين دون مهاجمة الحصن مع ذلك ، ورفض ولد ميخائيل قبول عفواً عاماً وانسحب تجاه الشمال حتى هلهال ، بيد أن يوهانيس كان يرضيه رؤية بعض الزعماء الأقل شأناً يعودون الى الحظيرة الاثيوبية .

وكان كل من راتب واسماعيل يخشان ، بدرجة تكفى لإصابتهما بصدمة كبرى ، الهجوم على مصوع . وعلى أية حال قام يوهانيس بتعيين شيكا ألولا راس وحاكم لهماسين ، وعاد الى عدوة فى بداية شهر نوفمبر . وواصل المصريون إخلاء مواقعهم فى الداخل . وكانت كافة الجهود تتركز حول تحصين مصوع . وقد فرضت الاعتبارات المالية ورفض الأثيوبيون تزويد المدينة بما تحتاجه من إمدادات ، إعادة معظم الجيش المصرى الى الوطن ، وأخيراً . وفى يناير عام ١٨٧٧ تم التصريح للقائد بالعودة الى القاهرة وانتهت الحرب ظاهرياً(٢٠٥) . وبلغ اجمالى خسائر مصر ، كما حددها صديق مونزنيجر القديم فرانز حسن ، باثنى عشر ألفا الى خمسة عشر ألف رجل ، وتسعة وثلاثين مدفعاً ، وخمسة عشر ألف بندقية واربعين ألف ناقة وبغلين(٢٠٦) . وهذه الارقام تزيد كثيرا عن إجمالى الخسائر التى ذكرت فى المعركتين . وحتى اذا أخذ المره فى الإعتبار من فروا من الخدمة أو قتلوا فى كمائن ومن المرض . . الخ فقد لا تكون الخسائر ضخمة . برغم ذلك ، وبإستثناء حيوانات النقل ، فقد كانت الخسائر مختلفة تماما عن خسائر حملة مكديلا .

مفاوضات جوردون ..

كسب الأثيوبيون الحرب فى معركتين هما معركتى جوندت وجورا . أما تحقيق السلام فقد تبين أنه عملية طويلة ومعقدة ، استغرقت سبع سنوات كاملات . وفى الوقت نفسه سادت حالة محفوفة بالمخاطر من اللا سلم واللاحرب قدم خلالها كلا الطرفين تنازلات للآخر فى بعض الأحيان . وليس من الصعب اكتشاف أسباب ذلك إذ كان من الواضح أن الاثيوبيين لم يكونوا مهتمين بشكليات المعاهدة . ومع ذلك ، فحينما بدأت المفاوضات ، تمسك يوهانيس بعناد بنقاط محددة : وهى ان أثيوبيا هى الجانب الذى تعرض للعدوان وضرورة استرداد ما أحتل من اراضى ،

(٢٠٥) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ص ، ١٠٧٢ - ٧ ، ١٠٨٢ - ٥ ، ١٠٨٨ - ٩ ، ١٠٩٣ - ٤ ، توجد مادة إضافية فى المرحلة الأخيرة فى AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ٥٩ - ٦٢ ، من كاربونال الى ديكازس ، ١٠ ديسمبر ، ٢٦ ديسمبر ١٨٧٦ ، ١٢ يناير ، ١٨٧٧ .

(٢٠٦) وزارة الخارجية ٧٨ / ٢٦٣٢ ، ملفات ١٧٤ - ٨٤ ، من ولد الى ديربى ، ٢٣ ابريل ١٨٧٧ ، يقبل صبرى (الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل ، ص ٤٧١) هذه الأرقام بدون تحفظات .

وانه ينبغى ضمان منفذ لاثيوبيا على البحر . ولم تكن مصر مستعدة للتخلى عن أى من تلك التنازلات ، وكانت تفضل حالة الوضع الراهن فى معظم النواحى والأمور ولم تكن تبدى قلقا واهتماما إلا حينما يلوح فى الافق خطر احتمال نشوب قتال خطير مرة أخرى .

ونظراً لعدم ثقة يوهانيس فى راتب وعلى الروبى واحتقاره لهما ، فقد أرسل مندوبا عنه الى القاهرة فى يوليو ١٨٧٦ على أمل أن ذلك سيعمل على تسهيل المفاوضات . وبناء على تعليمات من القاهرة ، تم السماح لبلاتا (باشا أيضاً) جبر اجزيا بهير بدخول مصر ، وبمجرد وصوله وضع رهن الاعتقال فى بيته ولم يسمع عنه شىء طوال شهرين ونصف الشهر . ونجح فى نهاية الأمر فى الاتصال بممثلى بريطانيا وفرنسا فى القاهرة ، وبعد العديد من المناشدات ، أطلق سراحه وعاد الى مصوع وعدوة ومعه مذكرة تعبر عن اللطف والكياسة ولم يرد أى ذكر لمفاوضات السلام(٢٠٧) .

وظلت الشروط التى عرضها يوهانيس من خلال جبر إجزيا بهير فى طى الكتمان . وربما وجد اسماعيل انها تنطوى على إهانة كبيرة حتى انه فضل أن يتظاهر بعدم سماعها وأودع المبعوث السجن ليمنعه من الحديث عن تلك الشروط ، أو عن الهزائم التى كانت بمثابة كارثة عانى منها المصريون(٢٠٨) . والواقع أن تجربة جبر اجزيا بهير ربما عملت على تفاقم حدة النزاع ، حيث قارن المبعوث بين الاستقبال الذى لقيه على الروبى فى عدوة من تكريم ملكى وعزف للموسيقى ووضع الأعلام واللافتات ـ وما لقيه هو من استقبال وكتب يقول :

ان المبعوث الذى يوفد من دولة الى أخرى يجب ألا يتوجه فقط الى من يخشون الله ويعترفون بالقوانين ، وانما يتوجه ايضا الى من لا يعترفون بأى منهما ، فالمبعوث يسلم رسالته ويعود أدراجه ، دون أن يخشى شيئا . ولكن إحتجزت فى القاهرة خمسة وتسعين يوما ، ورفض الخديوى استقبالى أو تلقى الهدايا ، ولذا أطلب منكم العمل على منحى حريتى(٢٠٩) .

---

(٢٠٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ص ، ١٠٥٣ ـ ٤ ، ١٠٩٠ ـ ٢ ، وزارة الخارجية ٢٦٣١/٧٨ ، ملفات ٧٢ ـ ٣ ، من فيفيان الى ديربى ، ١٨ يناير ، ١٨٧٧ .

(٢٠٨) لم يصبح العدد الكلى لخسائر المصريين معروفا للجميع بوجه عام إلا فى خريف ١٨٧٦ وأدى ذلك الى الروايات المبالغ فيها عن الوضع الخطير للمصريين حتى فى مصوع . انظر ، على سبيل المثال ، وزارة الخارجية ٢٥٠٣/٧٨ ، ملفات ٢٠٣ ـ ٦ ، ٢٥٠٤ ، ملفات ٦ ـ ٧ ، من فيفيان الى ديربى ، ٢٠ أكتوبر ، ٣ نوفمبر ١٨٧٦ ، على التوالى .

(٢٠٩) وزارة الخارجية ٣١٩٢/٨٨١ ، ص ، ١٠ ، جبر اجزيا بهير الى فيفيان ، ٢٦ نوفمبر ١٨٧٦ . تفاصيل الحادثة الكاملة لاحتجاز المبعوث واطلاق سراحه موثقة فى هذا المجلد ، ص ، ٧ ـ ١١ ، كان جبر اجزيا بهير زوج ابنة شيمبر (MT ١٨٧٨ ، ص٥٩) وخبيراً بشئون السياسةالاثيوبية . لمعرفة المزيد عن قلق يوهانيس وغضبه بعد ذلك ، أنظر ،EmA بهربارا ، كرتونة ١٩ ، من يوهانيس الى راتب ٢٣ ، ٢٤ أكتوبر ١٨٧٦ . ب م الشرق ، ١٢٩١٣ (س) ، من يوهانيس الى جوردون ، ١٨ يونيه ١٨٧٧ .

ومنذ وصول الأوروبيين الأوائل الى بلادهم ، سمع الاثيوبيون الكثير عن القانون الدولى وعدم التعرض للمبعوثين وانتهاك حرياتهم ، ... الخ . وكان يوهانيس يتوق لتطبيق تلك القواعد والالتزام بها (٢١٠) غير أن الأمور كانت تسير دوماً على نحو ما بما يتعارض مع الاثيوبيين ، ولم يكن جبر اجزيا بهير الوحيد الذى يستغرب كيف يتعامل المرء مع شخص لا يعترف بالله أو القانون .

وقد طلب يوهانيس منذ البداية وساطة الاوروبيين . وفى منتصف ديسمبر ١٨٧٦ ، وصل رجل الأعمال والمسافر الفرنسى بيير أرنو الى القاهرة حاملاً معه الرسالة الواضحة بأن مينليك لا يعتزم أن يصبح أداة للتوسع المصرى على حساب أثيوبيا .

وكان يحمل معه رسائل من مينليك وتفويضا بأن يوجه أسئلة صعبة(٢١١) . وقرر اسماعيل تجاهل أرنو ، ولكنه أدرك بلا ريب دلالات ذلك . وسرعان ما وافق على الفكرة التى تقدم بها القنصل البريطانى العام بأن يعهد بمفاوضاته مع يوهانيس الى أحد الضباط الأوروبيين . واختار لهذه المهمة واحد من أخلص موظفيه الاوروبيين ، وهو الكولونيل جوردون (الذى أصبح جنرالا بعد ذلك)(٢١٢) ، الذى قدر له أن يقوم بدور المفاوض الرئيسى حتى نهاية ١٨٧٩ ، حينما استقال من وظيفته كحاكم عام للسودان بعد سقوط اسماعيل . وبمجرد وصوله الى مصوع فى فبراير ١٨٧٧ ، أعد قائمة بالشروط التى يعتزم تقديمها الى يوهانيس كما يلى :

١ ـ هدنة عسكرية خلال عملية التوصل الى سلام نهائى .
٢ ـ الإبقاء على الحدود القديمة .
٣ ـ السماح بحرية التجارة وانتقال المبعوثين والرسائل عبر مصوع .
٤ ـ السماح ليوهانيس باستيراد خمسين رطلا من البارود وعشر بنادق وخمسمائة (٥٠٠) كبسولة إشعال للبنادق سنويا مع إعفائه من الرسوم الجمركية .
٥ ـ يحظر على الخديوى تعيين اسقف جديد لاثيوبيا .
٦ ـ التعهد بمنع ولد ميخائيل من الاغارة على الحدود الاثيوبية(٢١٣) .

وكان جوردون متأكداً من قبول يوهانيس لهذه الشروط ، خاصة « فى ضوء الخلافات التى نشبت بين الملك وزعمائه » (٢١٤) . وتحولت الخلافات الى خلافات حقيقية وعلى نطاق واسع للغاية هذه المرة . فبعد شهرين من معركة جورا ، قام يوهانيس بتجريد رأس ولد سيلاس (ورينا)

---

(٢١٠)AECP مصوع ٤ ، ملفات ٥٩ ـ ٦٠ ، من كاربونل الى ديكازس ، ١٠ ديسمبر ١٨٧٦ .

(٢١١) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣١/٣٨ ، ملفات ١٧ ـ ٢٧ ، من فيفيان الى ديربى ، ٦ يناير ، ١٨٧٧ ، مع نسخ من رسالة مينليك والتوكيل المفوض لأرنو . انظر المرجع التالى ، ص ص٣٦٨ ـ ٧٦ لمعرفة دور مينليك فى النزاع الاثيوبى ـ المصرى بوجه عام .

(٢١٢) وزارة الخارجية البريطانية ٣١٩٢/٨٨١ ، ص ، ١٢ ، من فيفيان الى ديربى ، ٢٦ ديسمبر ، ١٨٧٦ .

(٢١٣) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣٢/٧٨ ، ملفات ١١ ـ ١٤ ، من فيفيان الى ديربى ، ٧ ابريل ، ١٨٧٧ ، ويورد رسالة خاصة من جوردون ، ١٤ مارس ١٨٧٧ .

(٢١٤) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣١/٧٨ ، ملف ١٨٩ ، من فيفيان الى ديربى ، ٩ مارس ١٨٧٧ .

من وظيفته كحاكم ومن حريته ، وحينما رفض ابن ورينا ، نجاشى ، قبول ذلك وأعلن تمرده ، ارسل راس أدال لتعقبه والقضاء عليه . وعمل انتصار آدال على تزايد قوته ومكانته ودفع مينليك الى غزو بيجمدير فى أوائل مارس . وسواء اعتزم التوجه الى جوندر ، كما تردد ، أم لا ، فلم تكن هذه الحملة التى لم يصرح له بها تحديا لأدال وحده ، وانما للامبراطور نفسه . وبمجرد استعداد جوردون للشروع فى المفاوضات ، إكتشف ان يوهانيس بدأ السير نحو الجنوب . أما مينليك ، الذى لم يذهب الى أبعد من ديبر تابور ، فسرعان ما نسحب الى شوا عن طريق جوجام(٢١٥) .

ومع ذلك ، بالنسبة لكيرين والقاهرة ، كان مينليك قد استولى على جوندر على رأس جيش هائل ، وكان يوهانيس ، تبعا لذلك ميالاً تماما الى مفاوضة مصر من أجل السلام . . على أساس تخفيض الرسوم الجمركية فى الموانىء التى تؤدى الى الحبشة(٢١٦) . ولم يصدق جوردون ونائب القنصل البريطانى فى جدة ، أ . ب . وايلر ، الذى إنضم اليه ، ان يوهانيس يهتم بالمطالبة بمرفا خاص به .

وكذلك لم يكن من المفترض أن يهتم الاثيوبيون بالحصول على مزيد من الاسلحة ، ومن ثم كان يكفى يوهانيس الحصول على خمسين رطلا من البارود وعشر بنادق وخمسمائة كبسولة اشعال سنويا لاستخدامه الشخصى . والحدود القديمة تترجم الآن على أنها خطأ يفصل بين هماسين وبوجوس ، برغم أن ألولا كانت قد أعلنت بوضوح تام أن أثيوبيا تمتد حتى البحر . وبالنسبة لجوردون ووايلد ، كانت المشكلة الأساسية تتمثل فى ولد ميخائيل ، الذى كان يريد الحصول على هماسين ويمكن بالكاد توقع الحفاظ على السلام إذا سمح له بمد حكمه على أراضى تمتد على طول الحدود الجديدة . ورأى جوردون انه وجد الحل من خلال منح حليف مصر اقليما خاصاً به يتألف من الماريتين وبت تيكوى اللذين يفصلهما عن أثيوبيا ممر يمتد من مصوع الى كسلا عبر كيرين . ولسوء الحظ انضم ألولا ، الذى كان جوردون يأمل فى الإلتقاء به بالقرب من كيرين ، الى يوهانيس . ومع ذلك كان جوردون على ثقة تامة من قبول الملك لشروطه حتى أنه بعث بنسخة من

---

(٢١٥) وزارة الخارجية ٢٦٣٣/٧٨ ، ملفات ٥٩ ـ ٦١ ، من بلير الى فيفان ، ٣٠ ابريل ١٨٧٧ ، بيترمان ١٨٧٧ ، ص BN١٥٨ ، أثيوبيا ، ٢٥٩ ، ملفات ٢٢ ـ ٣ . تتضح العلاقة بين تلك الأحداث تماما فى هذا التاريخ المبكر فجير سيلاس (مينليك ، ص ص ، ٧٢ ـ ٧) وأفورك (مينليك ص ص ، ٢٦ ـ ٧) من ناحية أخرى لم يذكرا دور يوهانيس ، ومن ثم تكتما أنباء تمرد مينليك وعنصر الانسحاب السريع الذى انطوى عليه عبر جوجام . وبدلا من الاعتراف بأن الأثيوبيين كانوا يعانون خلافات سياسية يرمون الى تسويتها بين بعضهم البعض ، افترض أحد المراقبين البريطانيين أن مينليك قام بالهجوم فى مارس ١٨٧٧ ، بدلاً من ١٨٧٦ ، لانه أساء فهم التعليمات المصرية التى كانت وصلته (وزارة الخارجية ٣٣٢٠٣/٨٨١ ، ص ص ١ ـ ٥ ، من وايلد الى ديربى ، ٢٣ ابريل ١٨٧٧) .

(٢١٦) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣١/٧٨ ، ملفت ٢٤٨ ـ ٩ ، من فيفان الى ديربى ، ٢٩ مارس ١٨٧٧ .

معاهدة موقع عليها الى يوهانيس وأبلغ القاهرة قبل ان يتوجه الى الخرطوم بأنه من المسلم به قبول الشروط المصرية مؤقتا ، وانه لن تكون ثمة حاجة لاجراء مزيد من المفاوضات(٢١٧) .

وبعد ذلك بأشهر قليلة كان هناك تقرير أولى بأن يوهانيس قد وافق فى الواقع على شروط السلام ، غير انه من الواضح أن ذلك كان هو ما يتمناه البعض وليس واقع الأمر(٢١٨) . فحينما رد يوهانيس على تلك الشروط فى منتصف يونية ، أعرب عن إدراكه التام من هو رئيس جوردون ويدفع له مرتبه . والدافع الوحيد الذى دفعه الى الرد هو أن جوردون كان مسيحياً وليس مسلماً . وأوضح الملك أن جميع الحكام فى الأزمنة الغابرة كانوا على دراية بحدود أثيوبيا ومصر ، ولكن الناس الآن يفعلون كما يحلو لهم ، ثم تساءل فى سخرية عن أولئك الحكماء الذين رسموا الحدود لجوردون حتى يستطيع القول بأن « هذه . . وتلك . . هى الحدود » . من جانبه ذكر يوهانيس أنه يفضل الآن أن يترك الأمر لله ليحكم بينه وبين اسماعيل ، فالناس لن تستطيع الفصل بينهما أما المسائل الأخرى بخلاف موضوع الأراضى ، لم يكن هناك ثمة أى رد فعل بشأنها على الاطلاق(٢١٩) .

وبعد المعاملة التى لقيها مبعوثه فى القاهرة ، قرر يوهانيس فيما يبدو ألا ينزعج كثيرا بشأن مفاوضات السلام . وأحس بقدر كاف من الأمن والأمان مما جعله يولى اهتمامه الأول للمشكلات السياسية الداخلية . وخلال السنوات التالية لذلك ، وبينما كانت أثيوبيا ما تزال إسمياً فى حالة حرب مع مصر ، حقق يوهانيس أهم انجازاته نحو تكوين أثيوبيا موحدة ، وكان من أهمها على الاطلاق تلك التسوية السياسية التى توصل اليها مع مينليك فى مارس ١٨٧٨ ، وهى المعروفة بمعاهدة ليتشى . وقد اضطر منيليك الى سحب مطالبته بالعرش الامبراطورى بتخليه عن لقب ملك الملوك ، وقبوله شوا ياعتبارها إقطاعية منحة أياها . وكان عليه أن يدفع الجزية بالطبع ، وأن يضع قواته تحت أمر الامبراطور متى احتاجها . ومع ذلك فإنه من المشير الإشارة الى أن التعهد بتقديم

---

(٢١٧) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣٢/٧٨ ، ملفات ٣٧ ـ ٤٥ ، من فيفان الى ديربى ، ١٦ ابريل ، ١٨٧٧ ، مع مقتطفات من رسائل جوردون الخاصة ، ملفات ٩٠ ـ ١ ، من فيفان الى ديربى ، ٢ مايو ١٨٧٧ ، ملفات ١٧٤ ـ ٨٤ ، من وايلد الى ديربى ، ٢٣ ابريل ١٨٧٧ ، هيل ، جوردون ، ص ص ، ٢١٣ ـ ٢١ ، ٣٠٤ ، AECP مصوع ٤ ، ملفات ٦٤ ـ ٥ ، من كاربونيل الى ديكازس ، ٥ مارس ، ١٨٧٧ ، لمعرفة وجهة نظر ألولا .

(٢١٨) وزارة الخارجية البريطانية ٧٨/ ٢٦٣٣ ، ملف ١٧ ، من جوردون الى خيرى ، ٢ يناير ، ١٨٧٧ ، ملفات ٢٥٠ ـ ١ ، من فيفان الى ديربى ، ٢٤ يوليو ، ١٨٧٧ .

(٢١٩) , BM الشرق ، ٢٩١٣ ، (س) ، من يوهانيس الى جوردون ، ١٨ يناير ، ١٨٧٧ ، الاصل باللغة لأمهرية . هيل ، جوردون ، ص ص ، ٢٠٨ ـ ٩ ، ٢٩١ ، للحصول على نسختين مختلفتين لهذه الرسالة ، وكلتاهما غير دقيقة .

الدعم العسكرى قد اشير اليه بإعتباره التزاما متبادلا من الجانبين : أينما يكون مصدر الهجوم التالى ،فلا بد من مواجهته بقوة أثيوبيا الموحدة (٢٢٠) .

وفى شهر اكتوبر قرر جوردون العودة الى الحدود الاثيوبية لقطف ثمار جهوده السلمية . واقتناعاً منه برد يوهانيس الايجابى ، فقد رأى ان ولد ميخائيل هو المشكلة الوحيدة الخطيرة . فقد قام المصريون بتدعيمه حتى أصبح يقود ستة آلاف رجل مسلحين ببنادق الرمنجتون ولم يكن لدى الحاكم العام ما يكفى من قوات للتعامل معه . وفكر فى تشجيع يوهانيس على مهاجمته ومن ثم يقوم بدور الشرطى من أجل مصر . واعترف جوردون بأن هذا الحل حلا غير شريف الى حد ما وكان يفضل ان يعفو يوهانيس عن ولد ميخائيل وان يعيد اليه هماسين(٢٢١) . والتهبت الأوضاع على الحدود ولم يكن الأمر يتعلق بولد ميخائيل وحسب : إن ما حدث يكاد لا يصدقه عقل ، فقد هاجمت القوات من امادب (أميدب) ، وبدون أوامر منى ، عددا من القبائل التى تنتمى ليوهانيس وراء حدودى . . . فكيف أتوقع ان يولينى يوهانيس ثقته (٢٢٢) ؟

ووجد جوردون ولد ميخائيل محصنا فى الواقع الحصينة شمال كيرين ومعه سبعة آلاف رجل تحت امرته . ورفض حاكم هماسين الاقتراح وفكرة أن يتقدم بطلب العفو . وبدلا من ذلك كان جوردون مضطرا للتعهد بأن يقدم اليه ألف جنيه استرلينى شهريا مقابل التعهد بإلا يقوم بأعمال السلب والنهب بعد ذلك . ولئن كان المصريون دفعوا ليوهانيس ، أيضا ، مقابل تركه بوجوس لهم ، حسبما تردد ، فان ضمها أصبح عملية استنزاف حقيقية . وكان جوردون يرى أن الأراضى التى اختلستها مصر من أثيوبيا كانت تمثل عبئا لا ضرورة له بالنسبة لمصر . وكان يود اعادتها على الفور لو كان يملك من السلطة والقوة ما يجعله يفعل ذلك (٢٢٣) .

---

(٢٢٠) أكثر المعلومات دقة بشأن شروط الاتفاق أوردها المبشران ما ساجا (تراثنا سانكى أنى ١١ ، ص ١١) ومايو (ولدمير ، سيرة ذاتية ، ص ص ، ٣٣ — ٤) . وقد نشر مينليك نفسه الاتفاق باعتباره مصالحة مع « والده وشقيقه » الامبراطور يوهانيس ، مستخدما كلمة ملك كلقب له (وزارة الخارجية ٧٣٧/٩٥ ، الى فيكتوريا ، ASMAI ١/٣٦ — ٦ ، الى امبرتو ، APR ، ٣ أ ، الى ليوبولد الثانى ، وجميعها بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٧٨) . وكذلك يؤكد عرض تسلسل الاحداث على عنصر المصالحة (BN ، اثيوب ، ٢٥٩ ، ملفات ٢٣ — ٤ ، خيرسيلاسى ص ص ، ٨٣ — ٥ ، افيورك ، ص ص ، ٢٨ — ٩) ، غير أن الشروط تشير الى أن يوهانيس هو الذى فرض ارادته على مينليك ، وأن الرسالة ترجمت فى عدوة (MT ، ١٨٧٨ ، ص ص ٩٧ — ٩ ، كارلسون ، ٣ مايو ١٨٧٨) ومصوع (AECP ، مصوع ٤ ، من كاربونيل الى ديكازس ، ٢٩ أبريل ، ١٨٧٨) .

(٢٢١) وزارة الخارجية ٢٦٣٤/٧٨ ، ملفات ١٩٨ ـ ٩ ، من فيفيان الى ديربى ، ١ ديسمبر ١٨٧٧ ، ملفات ٣٠٧ ـ ٩ من جوردون الى فيفيان ، ٢٠ نوفمبر ، ١٨٧٧ ، هيل ، جوردون ، ص ص٢٨٩ — ٩٢ .

(٢٢٢) هيل ، جوردون ، ص ٣٠٣ .

(٢٢٣) المرجع السابق ، ص ص ، ٣٠١ — ٤ ، للاطلاع على ما يشاع عن دفع أموال ليوهانيس بالنسبة لبوجوس ، أنظر AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ، ٥٩ — ٦٠ ، من كاربونيل الى ديكازس ، ١٠ ديسمبر ، ١٨٧٦ .

وقبل إعداد الخطط النهائية للتخلص من ولد ميخائيل بمساعدة أثيوبيا ، قام الزعيم بغزو هماسين وسيراى ونهبهما . وقد فوجىء راس بارايو ، حاكم يوهانيس على عدوة ، بذلك وكتب الى جوردون فى الحادى عشر من مايو ١٨٧٨ يقول أكان ذلك بأوامر منكم (أم) أنه تمرد على سيده ؟ وما هو الغرض الخفى (وراء ذلك) ؟ أرجو الاسراع بالرد علىّ سواء أكان ذلك قد تم بأمر منكم أم لا(٢٢٤) ؟ وفى طريق عودته الى مصوع بعد زيارته لهرر ، لم يكتشف جوردون فحسب أن ولد ميخائيل قد قتل باريو لتوه ، فى كمين كما تردد ، بل وكذلك أن تابعه المصرى قد وفر الكثير من إمدادات الذخيرة لحروب ولد ميخائيل الجديدة . وقد استاء جوردون من حقيقة ان ولد ميخائيل احتجز مراسلاته مع باريو ومن ثم علم انه لم يعد يتوقع الحصول على مزيد من المساعدة بعد الآن (٢٢٥) .

وثمة بعض الدلائل تشير الى أن ولد ميخائيل قد تلقى الذخيرة والتشجيع أيضاً من أوامر مباشرة جاءته من القاهرة . وهذا هو السبب حسبما يشير البعض ، الذى دفعه الى الإستيلاء على عدوة (وهو تصرف لم يسع على الاطلاق للقيام به) وقتل باريو فى أوائل شهر مارس . غير أن نجاح ولد ميخائيل كان نجاحاً قصير الأجل . فمع عدم حصوله على تعزيزات ، لم يستطع مواجهة ألولا الذى كان يتقدم ومعه عشرين ألف رجل حسبما تردد . ولم يتلق أية مساعدة ، ومن الطبيعى انه كان يستشيط غضبا ازاء ما اعتبره خيانة ، وكان لديه مبرراته لذلك (٢٢٦) .

وفى هذا الموقف ، « لقد عادت المياه التى انسكبت الى الوعاء » : إذ تفاوض ولد ميخائيل على العفو مع الولا وفى يناير ١٨٧٩ تلقى موافقة وأمرا بالعفو عنه من يوهانيس فى جوندور . وبعد ذلك بما يقرب من ستة أشهر ، عاد الى هماسين وبوجوس مع ألولا غير أن كل ما أشيع عن تنصيبه حاكما هناك مرة أخرى لم يكن صحيحا . اذ انه كان قد وصل الى نهاية المطاف فى حياته السياسية الحافلة بالعواصف(٢٢٧) .

---

(٢٢٤) هيل ، جوردون ، ص ، ٣٠٥ ، وزارة الخارجية البريطانية ٢٨٥٦٣/٧٨ ، ملفات ١٧١ — ٤ ، من فيفيان الى ديربى ، ٩ فبراير ، ١٨٧٨ ، BMالشرق ، ٢٩١٣ (ى) ، من باريو الى جوردون ، ١١ مايو ١٨٧٨ ، MT ، ١٨٧٨ ، ص ص ، ٩٦ — ٧ ، هيدنستروم ، ١٨ مايو ، ١٨٧٨ .

(٢٢٥) هيل ، جوردون ، ص ص ، ٣١٣ — ١٤ ، MT ، ١٨٧٨ ، ص ص ، ٩٦ — ٧ ، هيدنستروم ١٨ مايو ، ١٢ يناير ، ١٨٧٨ .

(٢٢٦) وزارة الخارجية البريطانية ٢٨٥٣/٧٨ ، ملف ٣٣٣ ، من فيفيان الى ديربى ، ٨ مارس ، ١٨٧٨ ، AECP مصوع ٤ ، ملفات ٨٤ — ٩٠ ، من كاربونيل الى وادنجتون ، ٢٥ مايو ، ٨ يناير ، ٢٣ سبتمبر ، ١٨٧٨ .

(٢٢٧) MT ١٨٧٩ ، ص ص ، ٢٥ — ٦ ، سونيسون ، ٩ نوفمبر ، ١٨٧٨ ، AECP ، مصوع ٤ ملفات ٩١ — ٢ ، من كاربونيل الى واد نجتون ، ١٠ نوفمبر ، ٢٣ ديسمبر ، ١٨٧٨ ، هيل ، جوردون ، ص ، ٣٣٠ ENA ، سجل ٥٢ ، عابدين ، أرقام ٢٢٤ ، ٤٤٠ ، من جوردون الى خيرى ، ١٠ مارس ، ٣ مايو ١٨٧٩ .

وكان من المفترض ان يسهل إبعاد ولد ميخائيل التوصل الى تسوية مع مصر بل ان هذا الابعاد جعل التسوية أكثر الحاحا ، واستفاد جوردون من عملية جس نبض قام بها إبن راس أرايا الذى أصبح الآن حاكما ليوهانيس على منطقة جوندر ، وارسل جوردون دابليو . وينستانلى كنائب له الى بلاط يوهانيس . والشىء الوحيد الذى قدمه إضافة الى مشروع ١٨٧٧ هو إعادة تاج تاودروس المسلوب الى أثيوبيا ، ومن ناحية أخرى لم تستطع أثيوبيا الحصول على مرفأ ، بل تمكنت فقط من ان يكون لها قنصل فى مصوع . ولم تسترد الأراضى المسلوبة[٢٢٨] . وظل وينستانلى منتظراً على الحدود شهران ونصف الشهر ، وحينما وصل فى النهاية الى ديبرتابور فى منتصف ابريل ١٨٧٩ ، كان استقباله أبعد ما يكون عن اللياقة . وطبقا لما ذكره وينستانلى نفسه عن المقابلة فإن يوهانيس اخبره أنه لا يستطيع أن يقول انه يحب الأجانب أو يثق فيهم ، وانه غاضب لضم مصر (لأراضى أثيوبيا) كما انه غاضب أيضا للحظر المفروض على الاسلحة . وفيما يتعلق بوجود مرفأ ، « وانى لا اريد قنصلا فى مصوع - بل أريد مصوع »[٢٢٩] . وفيما يتعلق بمسألة الأراضى ، تردد أن الملك قال لونستانلى انه سيحتل بوجوس ومتيما ثم بعد ذلك يجلس لعقد سلام[٢٣٠] .

وفى رسالته التى بعث بها الى فيكتوريا وحملها ونستانلى لم يكن يوهانيس واضحاً تماماً فى كلامه أو طلباته ، فقد أعلن أنه ما يزال يعتبر الملكة صديقته المفضلة وانه سيعمل بمشورتها ، والا فانه سيتمكن بسهولة من استعادة أراضيه المسلوبة بمفرده . ومع ذلك ، كانت هناك أيضا مسألة الاسقف ، وحرية استيراد الأسلحة والتبادل التجارى عبر مصوع ، وإذا قامت الحكومة البريطانية بتدبير هذه الأمور له ، فانه سيكون على استعداد حتى لاقتسام الأقاليم الوثنية حول مملكته مع البريطانيين فقط دون سواهم[٢٣١] ، ويشير البيان الأخير الى أمرين : الأول أن يوهانيس ما يزال يثق بالحكومة البريطانية أكثر من إية حكومة أخرى ، والثانى الى أنه مستعد لتقديم بعض التنازلات مقابل التوصل الى تسوية من خلال التفاوض تحت رعاية البريطانيين . غير أن ذلك لم يعن أنه يعلق آماله على بريطانيا وحدها أو أنه على استعداد للإنتظار طويلا . إذ ان الإتصالات الخارجية تزايد معدلها مرة أخرى .

حيث تم السماح لبعثة تجارية ايطالية بدخول دبير تابور ، وبرغم انه تم استقبالها بشىء من التحفظ ، فقد عادت الى ايطاليا ومعها رسالة من يوهانيس تعرب عن الاهتمام بإجراء اتصالات فى

---

(٢٢٨) هيل ، جوردون ، ص ص ، ٣٣٠ - ٥ .

(٢٢٩) و . ونيستانلى ، رحلة الى الحبشة . تقرير عن رحلة داخل الحبشة الحديثة (لندن ، ١٨٨١) ، ووردت فى أماكن كثيرة من هذا الكتاب ، مجلد ٢ ، ص ص ، ٢٤٢ - ٤ ، بشكل خاص .

(٢٣٠) ENA ، سجل ٥٣ ، عابدين ، رقم ٢٩ ، من علاء الدين الى مايا ، ٥ مايو ، ١٨٧٩ .

(٢٣١) وزارة الخارجية ٧٣٨/٩٥ ، رقم ٢٩٧ ، من يوهانيس الى فيكتوريا ، ٢ مايو ١٨٧٩ . أغتنم يوهانيس الفرصة ليكتب الى قنصله ، هنرى . س كنج أيضا (وزارة الخارجية ١١/٤٠٧ ، ص ٢٥) وصديقه القديم لورد نابيير حاكم ماجدلا (مرجع سابق ، ص ص ، ٢٦ — ٧) بشأن البنادق والبارود وكبسولات الإشعال ، وذلك ضمن جملة امور اخرى .

المستقبل[٢٣٢] . وسواء أكانت الشائعات بشأن وجود عملاء لروسيا فى أثيوبيا أثناء ذروة الحرب التركية - الروسية فى ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، صحيحة أم لا (والارجح انها كانت صحيحة) فقد أعرب يوهانيس عن اهتمامه باقامة علاقات مع روسيا حيث بادر بالكتابة الى الكسندر الثانى فى نفس الوقت الذى كتب فيه الى أمبرتو الاول ، ومن بين المشكلات التى كانت تستطيع روسيا أو اليونان المساهمة فيها (أما ايطاليا فلم تكن تستطيع ذلك مطلقا من وجهة نظر يوهانيس) مشكلة تعيين مطران جديد لاثيوبيا[٢٣٣] . وكان ظهور رأس ألولا فى مناطق الحدود الشمالية على رأس جيش ضخم (٣٠ ألف مقاتل حسبما قال نائب القنصل رافراى) وتعيينه ولد ميخائيل نائبا له ، كان بالطبع أهم من أية نشاطات دبلوماسية وقد استولى الاثيوبيون على بوجوس ومينسا وماريا دون اية مقاومة وفرضوا الجزية على سمهار ، وحباب وبركة أيضاً . وتردد أن ألولا قال انه قدم ليستولى على مصوع وانه لا يعتزم التراجع إلا بعد إرتواء جواده من مياه البحر الاحمر[٢٣٤] .

وكان هذا الموقف الذى قام فيه جوردون بآخر مهامه السلمية ، فقد وصل مصوع فى السادس من سبتمبر ١٨٧٩ ومعه تعليمات بأن يحافظ على أمن الحدود دون أية التزامات مالية تجاه أثيوبيا وأن يمنع كافة اشكال الغزو والاعتداء[٢٣٥] .

وكانت آخر برقية وصلته تقول : « لا تتخلى عن شىء ، ولكن لا تحارب » . وقد كان مصيباً فى تعليقه على ذلك بقوله « انها ليست مسألة التخلى عن البلاد أوعدم التخلى عنها ، بل مسألة إستعادتها » . وبالنسبة لمصر ، فقد عاد جوردون اليها « خالى الوفاض » . غير أنه أبلغ ممثلى فرنسا وبريطانيا فى مصر ، حسبما قال « انهم قد تدخلوا للفوز بحلاوة العسل ، وعليهم الآن التدخل ليتجنبوا مرارة الحنظل » . وبمعنى آخر ، فإن أولئك الذين أحكموا سيطرتهم المالية على مصر

---

(٢٣٢) جيجليو ، أثيوبيا - مار روسو ، مجلد ١ ، ص ص ، ١٧٢ - ٤ ، ASMAI ١/٣٦ - ٨ ، من يوهانيس الى (١) مبرتو الأول ، ٢٠ يناير ، ١٨٧٩ .

(٢٣٣) وزارة الخارجية البريطانية ٢٦٣٤/٧٨ ، ملفات ١٢٥ - ٦ ، من فيفيان الى ديترون ، ٣١ أكتوبر ، ١٨٧٧ ، AECP, مصوع ٤ ، ملفات ٩٣ - ١٠٤ ، ١٢٣ - ٤ ، من رافراى الى وادنجتون ، ٢٨ يوليو ، ٣٠ سبتمبر ، ١٨٧٩ ، وزارة الخارجية ١١/٤٠٧ ، ص ص ، ٤٧ - ٥٢ ، وايلد الى سالزبورى ، ٢٠ أكتوبر ، ١٨٧٩ . كان الامبراطور قد عاد لتوه من المجلس الكنسى فى بوروميدا (جبر سيلاس ، مينليك ، ص ص ، ٨٦ - ٩٢) وقد عارض كالعادة النفوذ الكاثوليكى ، أو البروتستانتى ، لهذا الامر .

(٢٣٤) ANA, سجل ٣٥ ، رقم ٢٩ ، من علاء الدين الى مايا ، ٥ يوليو ، ١٨٧٩ ، هيل ، جوردون ، ص ص ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، AECP ، مصوع ٤ ، ملفات ٩٣ - ١٠٨ ، من رافراى الى وادنجتون ، ٢٨ يوليو ، ١٣ أغسطس ، ١٨٧٩ ، ملف ، ١١٦ ، من رافراى الى مونج ، ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ ، MT ، ص ، ١٧١ ، هيدنستروم ، ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .

(٢٣٥) هيل ، جوردون ، ص ص ، ٣٩٧ - ٨ ، ان الإشارة الى الرسوم أو الاتعاب أمر يكتنفه الغموض ولكنه ربما يشير الى دفع نوع من الضرائب أو الايجار يقدم الى يوهانيس مقابل بوجوس وهو امر أما بحثه جودرون معه أو كان قد وعده به من قبل . انظر ، على سبيل المثال ، ٨١ب١٢أ ، ملف ٨٠ ، من كابونيل الى وادنجتون ، ١٢ يناير ، ١٨٧٨ (١٨٧٩) .

عليهم أن يدفعوا فاتورة الحرب ، إذا ما نشبت . وأوضح أنه يعتزم تماما اجبار فرنسا وبريطانيا على التدخل فى الحبشة أو السماح لمصر بحرية التصرف الكامل (خاصة من الناحية المالية لتحمل نفقات الحرب ضد الحبشة » . ولكى يجبر الحكومة الفرنسية الرافضة على التصرف تصرفا أكثر ايجابية ، تحدث عن اشعال نيران حرب أهلية من خلال إحضار المايهو تاودروس من انجلترا ليحارب من أجل مصر - مما يزيد ، بالطبع ، من نفوذ بريطانيا ، على نحو غير مباشر(٢٣٦) .

ونتيجة لذلك توجهت القوارب المسلحة نحو مصوع ، وارسلت البرقيات والرسائل الى ألولا ويوهانيس(٢٣٧) .

ومن الصعب تحديد نوع التسوية التى كان جوردون يأمل حقيقة فى التوصل إليها . وعلى العكس من بريطانيا وفرنسا ، دافع جوردون عن حق مصر فى رفض كافة أشكال التخلى عن الاراضى ، والواقع انه أكد أن الخديوى كان متمسكا برأيه (الذى أقره الأوروبيون) بألا يقدم أية تنازلات تتعلق بالاراضى(٢٣٨) . وبالاضافة الى الدعم الدبلوماسى ، من الواضح أن جوردون كان يأمل ان يؤدى اتجاهه المتشدد - أو ابتزازه إن شئت . أيضا الى حصوله على بعض المال . وفى روايته المسهبة التى بعث بها الى شقيقته ودعى وزارة الخارجية الى قراءتها ، اعترف جوردون انه لم يكن أمامه سوى حل واحد : الا وهو انه كان يتعين على الحكومة البريطانية اقناع الخديوى بالموافقة على دفع عشرين ألف جنيه استرلينى (ألف وستمائة جنيه سنويا لمدة إثنى عشر عاما) لتعويض يوهانيس عن ضياع متحصلات ضرائب بوجوس ، واقناع يوهانيس بقبول هذا المبلغ ، ويمكن استبدال عشرة آلاف بندقية من بين الستمائة ألف الموجودة فى القاهرة بهذه الأموال ، أما تقديم مرفأ (لاثيوبيا) فهو أمر ليس ضروريا ، لأن الأوروبيين وحدهم دون سواهم هم الذين كانوا يدفعون يوهانيس ومينليك للمطالبة بهذا المرفأ وذلك انطلاقا من مصلحتهم التجارية ، ومن ناحية أخرى ، سيتم تلبية المطلب الخاص بالسماح باستيراد أسلحة وذخيرة من خلال عميل تُعهد اليه بهذه المسئولية(٢٣٩) . ومن خلال التفاوض بشأن تسوية مالية ، من الجلى أن جوردون كان يأمل تفادى

---

(٢٣٦) هيل ، جوردون ، ص ص ٣٩٩ - ٤٠٢ ، وزارة الخارجية البريطانية ٤٠٧/ ١١ ، ص ، ١٦ ، من جوردون الى لاسيلس ، ٢٧ اغسطس ، ١٨٧٩ ، ص ، ٥٣ ، من جوردون زوهراب (يحتمل انه موجه الى وايلدز انظر ، ص ، ٢١) ١٢ سبتمبر ، ١٨٧٩ ، , AECP مصوع ٤ ، ملفات ١٠٩ - ١١٠ ، من وادنجتون الى رافراى ، ٢٩ اغسطس ، ١٨٧٩ ، ملفات ١١٢ - ١٥ ، من رافراى الى وادنجتون ، ١٠ سبتمبر ، ١٨٧٩ ، ملف ١١٩ ، من جوردون الى رافراى ، ٨ سبتمبر ١٨٧٩ .

(٢٣٧) وزارة الخارجية البريطانية ١١/٤٠٧ ، ص ص ، ٧ ، ١٥ - ١٦ ، من لاسيلس الى سالزبورى ، ٢٥ اغسطس ،٢٧ ، ٢٩ أغسطس ١٨٧٩ ، ص ص ، ١٦ - ١٧ ، من لاسيلس الى ألولا والى يوهانيس ، ٢٨ أغسطس ، ١٨٧٩ ، ص ، ٢٠ ، لاسيلس الى سالزبورى ، ١٧ سبتمبر ، ١٨٧٩ ، , AECP مصوع ٤ ، ملفات ١١٢ - ١٥ ، من رافراى الى وادنجتون ، ١٠ سبتمبر ١٨٧٩ ، ملف ١١٧ ، الى ألولا ، ٨ سبتمبر ١٨٧٩ ، ملف ١٢٢ ، الى يوهانيس ، ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .

(٢٣٨) ,AECP مصوع ٤ ، ملف ١١٨ ، من رافراى الى تريكو ، ٩ سبتمبر ١٨٧٩ ، وزارة الخارجية ١١/٤٠٧ ، ص ، ٥٢ ، من جوردون الى زوهراب (وايلد) ١٠ سبتمبر ، ١٨٧٩ .

(٢٣٩) وزارة الخارجية البريطانية ١١/٤٠٧ ، ص ص ، ٣٢ - ٥ ، الحبش : ١٨٧٧ - ١٨٧٩ ، بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٨٧٩ .

السؤال الرئيسى الخاص بتحديد ملكية أراضى بوجوس ، وكذلك فان انهاء الحظر المفروض على الأسلحة لن يستلزم بحث مسألة إقامة مرفأ . وعلى أية حال ، فقد كان مستعداً لعدم الالتزام بالتعليمات الصادرة اليه . ولكن أكان ذلك سيجدى فتيلاً ؟

وبرغم انه لم يعرب عن ذلك فى رسالته الرسمية حيث كان يبدو متفائلا فى اغلب الأحيان فان جوردون شعر برغم ذلك بأنه قد عُهد اليه بتنفيذ مهمة مستحيلة - حيث كانت تنطوى على معضلة اخلاقية ، وقد كتب وهو فى طريقه إلى معسكر ألولا فى جورا فى الرابع عشر من سبتمبر يقول :

تنتابنى هواجس كثيبة بشأن ما إذا كان فى مستطاعى القيام بأى شىء أولا .. والآن لن يساعدنى يوهانيس دون مقابل اذا أصررت على الاحتفاظ بما اختلسناه منه(٢٤٠) .

وكان الاستقبال الذى لقيه فى جورا أبعد ما يكون عن أصول اللياقة . ورفض ألولا تشويه أى شىء غير انه وافق على الامتناع عن الأعمال العدائية بينما توجه جوردون إلى ديبر تابور للإلتقاء بالملك . ولم يكن من المفروغ منه احتمال حضور يوهانيس الى عدوة او قبول أى شىء يرسل إليه :

لقد عاملت مصر الحبشة بجفاء شديد واوقعت بها ظلم بيِّن ، وهذا ما يدفعنى الى عدم الإحساس بأدنى انزعاج ازاء أساليبهم الشاذة فى معاملتى .. وقد أسأت إليهم ، لانهم (مثلا) يريدون عين بعين وسن بسن(٢٤١) .

وعند وصول جوردون الى ديبر تابور فى السابع والعشرين من أكتوبر ، سرعان ما وجد ان هواجسه كان لها أساس من الواقع ، اذ ان يوهانيس كان يريد استرداد ما سلب منه ، وعلم انه يستطيع المساومة من مركز قوة . وكانت تقديرات جوردون بشأن المفاوضات مختلفة اختلافا بسيطاً ، إذ أن معظم القائمة الكاملة للمطالب الاثيوبية تتمثل فى :

١ - استرداد متيما وشانكيلا وبوجوس .
٢ - التخلى عن ميناءى زولا وأنفيلا .
٣ - مطران .
٤ - تعويض عن الأضرار يتراوح بين مليون الى مليونى جنيه استرلينى .

---

(٢٤٠) هيل ، جوردون ، ص ص ، ٤٠٢ - ٣ .

(٢٤١) المرجع السابق ، ص ص ، ٤٠٣ - ٨ ، وزارة الخارجية ١١/٤٠٧ ص ، ٢٣ ، من جوردون الى لاسيلس ، ١٦ سبتمبر ١٨٧٩ ، ص ص ٣٥ - ٦ ، الحبش : ١٨٧٧ - ٧٩ (متواصل) بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٨٧٩ .

وفى أثناء المفاوضات تردد أن يوهانيس عرض التنازل عن التعويض والميناءين فى مقابل مصوع(٢٤٢). وطبقا لما جاء فى قول آخر، فانه طالب بكافة الاراضى التى سلبته اياها مصر، بما فيها بوجوس وجالابات واما ميناء زولا أم مصوع أو الحصول على مليونى جنيه استرلينى، وأن يكون له حق استيراد الاسلحة(٢٤٣).

وبرغم حقيقة أن جوردون ألح للحصول على هذه المطالب كتابة، إلا انه تردد أنه اكتفى بابلاغ الملك «على انفراد» بأنه سيساعده فى الحصول على تصريح، يسمح له بحرية استيراد الاسلحة وتبادل الرسائل الخاصة به عبر مصوع وبوجوس. برغم أن التخلى عن بوجوس كان محل شك كبير لأن لديه أوامر صريحة بعدم التخلى عنها. ولابد انه كان هناك أيضاً، حديث بشأن إبقاء شروط السلام سرا. ولم يقتنع يوهانيس بذلك حيث كان مهتما بالحصول على ضمان دولى، وفى الثامن من نوفمبر تم ارسال جوردون برسالة موجزة موجهة الى الخديوى الجديد محمد توفيق:

«تقولون انكم بعثتم الى بالرسالة والرجل (جوردون) من أجل السلام. وقد حاربتمونى سراً دون أن يسمع الملوك بذلك. ولكن الملوك سيعلمون (بما حدث). فهل سيحل بيننا السلام سراً أيضاً(٢٤٤)؟

وبرغم أن جوردون كان لديه من الاسباب ما تجعله يتوقع الفشل والاخفاق، كما اعترف بذلك بنفسه، إلا انه غادر يوهانيس واثيوبيا حانقا غاضبا. وكان قد طالب بأن يتسلم مطالب يوهانيس كتابة (ويزعم البعض انه وعده بذلك) ومن الجلى انه كان يأمل أن تعتبر هذه المطالب مطالب مشينة بدرجة تكفى لأن يترتب عليها التعاون مع الحكومات الاوروبية لإتباع منهج متشدد: "نظراً لما بلغنى من معلومات من خلال جواسيس من أن الملك لن يخفض من مطالبه كثيراً، رأيت أنه من الأفضل ألا ندعه يخفض تلك المطالب.» وكان يوهانيس يشعربنفس القدر من الاحباط والغضب، وقد اتضح ذلك بالفعل من لهجة الرسالة التى بعث بها الى محمد توفيق(٢٤٥).

---

(٢٤٢) وزارة الخارجية البريطانية ١٤/٤٠٧، ص ص، ٨ - ١٣، الحبشة ١٨٧٧ - ١٨٧٩، شرح جديد قدمه جوردون ليومياته التى مزقها حينما خشى القبض عليه وهو فى طريقه للخروج من البلاد، وأيضاً فى هيل، جوردون، ص ص، ٤١٢ - ٢٥، مع بعض الاختلافات، AECP, مصوع ٤، ملفات ١٢٠ - ٣٠، من جوردون الى رافراى، ٢٤ نوفمبر، ١٤ ديسمبر، ١٨٧٩.

(٢٤٣) وزارة الخارجية البريطانية ١١/٤٠٧، ص ٧٧، من ماليت الى ساليزبورى، ١٥ ديسمبر، ١٨٧٩.

(٢٤٤) AECP, مصوع ٤، ملف ١٣٣، من يوهانيس الى محمد توفيق، ٨ نوفمبر ١٨٧٩، نسخة باللغة الأمهرية مع ترجمة فرنسية، وأيضا فى وزارة الخارجية البريطانية ١٤/٤٠٧، ص، ٢٦، وهيل، جوردون، ص ص، ٤١٥ - ١٦، ٤٢٠ - ٢١، مع بعض الاختلافات.

(٢٤٥) هيل، جوردون، ص ص، ٤١٢ - ١٣، ٤١٥ - ٢٠، AECP, مصوع ٤، ملفات ١٣١ - ٢، من جوردون الى رافراى، ١٤ ديسمبر، ١٨٧٩. فى هذه الرسالة التى بعث بها الى رافراى، يبالغ جوردون فى الواقع فى المطالب حيث ضمنها كل من الموانىء الثلاثة وتعويض يبلغ خمسين مليون فرانك. ذكر القنصل العام اليونانى فى السويس، د. متيزاكس، الذى كان موجودا فى دير تابور، أن مطالب يوهانيس تم التقدم بها كأساس لاجراء مفاوضات فحسب (وزارة الخارجية ١٤/٤٠٧، ص ص، ٥٦٦ - ٨، من ماليت الى سالزبورى، ٢٠ فبراير، ١٨٨٠).

وبعد ما يقرب من عشرة أيام من رحيل جوردون، اغتنم الملك الفرصة وبعث بعدد من الرسائل، مع نائب القنصل اليونانى فى السويس الذى كان قد قام بزيارته، لرؤساء الدول الأوروبية لشرح وجهة نظره إزاء السلام مع مصر بوجه عام وحملة جوردون على وجه الخصوص، وأكد من جديد على انه لم يبدأ بالعدوان، وليس هو الذى عبر البحر ليقاتل. واطلع القوى الأوروبية بالاعتداء المصرى الذى وقع منذ ثمان سنوات، وانه يريد الآن إقامة مدينة على الساحل ليتسنى له الاتصال بالدول الأخرى وتبادل التجارة معها بحرية، واتهم جوردون باستخدام لغه لا تتناسب ومبعوث للسلام وبمحاولة عقد سلام بنفس الاسلوب الخفى والسرى الذى استخدمه اسماعيل حينما شن الهجوم. (٢٤٦) وكان الهجوم الذى شنه على جوردون أكثر قسوة فى الرسائل التى بعث بها الى القناصل العموميين فى القاهرة. (٢٤٧)

ولم يعد بامكان القوى الأوروبية غض الطرف عن حقيقة أن يوهانيس - بعد سنوات من مضايقات المبعوثين والتجار الاثيوبيين - يطالب الآن باراضى وليس منفذا الى البحر وحسب. ولم تكن تلك هى المرة الأولى بالطبع، غير أن كثيرين كانوا قد قالوا أن يوهانيس لم يكن يرغب حقيقة فى أن يكون له ميناء خاص لأن الاثيوبيين لم يكونوا على دراية بكيفية تشغيله. (٢٤٨)

والخطابات التى بعث بها كانت تعرب أيضا عن نفاد الصبر المتزايد من جراء عمليات الحظر وافتقاد الأمن بالنسبة للاثيوبيين فى المدن الساحلية. وأوضح أن المسألة ليست مسألة غزو مصر أو إعلان الحرب ضد الخديوى. فجده وجده الأكبر كانا قد استخدما تاجورا كميناء لهم، وقد شعر أنه لديه الحق والقوة لكى يستردها:

«اننى أكاد أموت خنقاً لاننى ظللت ساكناً دون أن أضيف لبلادى عملاً واحداً جيداً (جديداً)، وبقيت سجينا (كما هو حالى) رهن الحكومة المصرية كرجل حكم عليه بالسجن مدى الحياة ولقد حيل بينى وبين أن أدخل الى بلادى البنادق والمدافع (و) العمال. (٢٤٩)

---

(٢٤٦) وزارة الخارجية ٧٣٨/٩٥ز، رقم ٢٩٧، من يوهانيس الى فيكتوريا، ٢٠ نوفمبر، ١٨٧٩، IB, AAPA, الحبش ٢، من يوهانيس الى فيلهلم الأول، ٢٠ نوفمبر ١٨٧٩، AED, بروتوكول ٤١ س، من يوهانيس الى جريفى، ٢١ نوفمبر، ١٨٧٩. يكاد يكون نص الرسائل الثلاث متماثلا فيما عدا أن يوهانيس اضاف هجوما على المبشرين الكاثوليك فى الرسالتين اللتين بعث بهما الى فيلهلم الأول وجريفى وأعلن أنه قام بطردهم، وقد أشار هنا الى طرد ماساجا وآخرين من شيوا (AECP, مصوع ٤، ملفات ١٣٤ - ٥، من رافراى الى وادنجتون، ١٨ ديسمبر ١٨٧٩). الرسالة التى بعث بها الى جريفى توجد فى المحفوظات الدبلوماسية مترجمة الى الفرنسية فقط (ترجمها دى أبادى) بتاريخ ٢١ نوفمبر، ربما بدلا من ٢٠ نوفمبر.

(٢٤٧) وزارة الخارجية ١٤/٤٠٧، ص ص، ٤٦ - ٧، مهندركال الى فيفيان، ١٨ نوفمبر، ١٨٧٩، ص ص، ٤٩ - ٥٠، الى مونج، التاريخ نفسه.

(٢٤٨) انظر على سبيل المثال، وزارة الخارجية ٨٨١/ ٣٢٠٣، ص، ١، من فيفيان الى ديربى، ١٩ مايو ١٨٧٧، هيل، جوردون، ص، ٣٠٤.

(٢٤٩) وزارة الخارجية ٧٣٧/٩٥، رقم ١٧٦، فيكتوريا، ASMAI ٣٦/١ - ٦، الى امبرتو، A,APR ٣أ، الى ليوبولد الثانى، وجميعها بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٧٨.

واذا كان يوهانيس ومنيليك لم يتخذا إجراء ضد مصر عقب التسوية التى توصلا اليها فى ١٨٧٨ . ويجب الا يغيب عن بالنا ان الأعمال العدائية فى عام ١٨٧٩ كانت بسبب غزو ولد ميخائيل لهماسين وقتله بارابور ، ولم تكن بمبادرة من يوهانيس - فقد كان ذلك راجعاً فى المقام الاول الى عدم التأكد من اتجاهات القوى الأوروبية التى كانت جميعها فيما يبدو على علاقة طيبة بمصر . وكان يوهانيس على وجه الخصوص ، على يقين من أن بريطانيا وفرنسا تقفان الى جانب مصر ، سواء أكان جوردون استخدم بالفعل الرسائل الموجهة من ممثليهما لترك هذا الانطباع لدى الملك أم لم يستخدمها . (٢٥٠)

وعلى أية حال ، فقد احتفظ يوهانيس ، الذى كان يريد ضمانا دوليا ضد الهجمات التى يتعرض لها فى المستقبل ، الى حد بعيد بموقفه الدفاعى ، وأعلن أنه ينتظر رداً من أوروبا على رسائله . (٢٥١) ولم يهاجم مواقع مصرية ، ولا حتى مصوع . وإذا كان يوهانيس قد طالب فى مناقشاته الحامية مع وينستانلى وجوردون بالميناء التركى القديم ، فقد أوضحت رسائله التى بعث بها الى أوروبا عقب رحيل جوردون انه لم يكن يتوقع الحصول على مصوع وانما كان يخطط أو يامل فى إنشاء ميناء بديل فى زولا أو أنفيلا . (٢٥٢)

وكان جوردون مدركا لذلك كله . فلدى عودته الى مصوع ، اقترح على الفور ضرورة تخلى مصر عن زولا لإيطاليا . وكانت حجته فى ذلك تتمثل فى أن الحكومتين البريطانية والفرنسية لن توصيا بقبول المطالب الاثيوبية كما لن توفر لمصر الموارد المالية اللازمة لحماية شعبها . ومن ثم فاقل ما يمكن أن تفعله هو توريط ايطاليا ، لأن التخلى عن زولا لايطاليا ، حسبما يرى جوردون ، من شانه أن يعمل على نشوب الحرب بين ايطاليا والملك قبل انقضاء الستة أشهر ، وسينتهى الأمر بقيام ايطاليا بضم جزء من الحبشة . ولم تكن ثمة حاجة للقلق بشأن النتيجة : إذ سيكفى خمسة آلاف جندى للقضاء على يوهانيس . (٢٥٣)

وقد رفض الخديوى الاقتراح رفضا قاطعاً . ورفضته أيضا الحكومة البريطانية ، ونظرا لان جوردون كان قد أخذ حذره وبعث « بعرضه » الى الايطاليين من خلال القنصل البريطانى العام فى

(٢٥٠) AECP, مصوع ٤ ، ملفات ١٢٧ - ٨ ، من رافراى الى وادنجتون ، ١٤ ديسمبر ١٨٧٩ .

(٢٥١) مرجع سابق ، ملفات ١٤٥ - ٨ ، من رافراى الى وادنجتون ، ١٦ مارس ، ١٢ أبريل ، ١٨٨٠ .

(٢٥٢) ان فكرة إنشاء ميناء اثيوبى فى زولا كان قد أيدها الكابتن سبيدى وذلك بالتحديد حينما كان جوردون فى طريق عودته الى مصوع . انظر وزارة الخارجية البريطانية ١١/٤٠٧ ، ص ص ٦٦ - ٨ ، من سبيدى الى بيكونزفيلد ، ٢٨ نوفمبر ١٨٧٩ .

(٢٥٣) وزارة الخارجية البريطانية ١٤/٤٠٧ ، ص ، ٣٨ ، من جوردون الى محمد توفيق ، ١٢ ديسمبر ١٨٧٩ ، ص ص ٦ - ٧ ، من جوردون الى ماليت والى دى مارتينو ، التاريخ نفسه ، AECP, مصوع ٤ ، ملفات ١٢٧ - ٨ ، ١٣٤ - ٥ ، من رافراى الى وادنجتون ١٤ ديسمبر ، ١٨ ديسمبر ، ١٨٧٩ .

القاهرة ، فإن هذا العرض لم يصل الايطاليين قط ، رسميا على الأقل . (٢٥٤) ومع ذلك فان هذه المبادرة الأخيرة التى قام بها جوردون - عقب اخفاق محاولاته بغرض تسوية لصالح مصر - تعرب عن إدراك يكاد يكون رائعا لاتجاه مجريات الأمور . فقد قاومت أثيوبيا الضغط الدبلوماسى المصرى الأوروبى المشترك بنفس النجاح الذى قاومت به العدوان العسكرى ، فبدون البدء من جديد واستفزاز عسكرى آخر ، لن يكون هناك حالة لا حرب ولا سلام ، إلا بالشروط الاثيوبية ، وكان ذلك أمراً غير مقبول البتة ، ولم يكن ذلك لأن المناطق المتنازع عليها كانت ذات أهمية حيوية بالغة بالنسبة لمصر ، وانما لأن إتمام الانتصار الاثيوبى كان يتعارض مع طابع الفلسفة السياسية التى كانت سائدة آنذاك ، فدولة افريقية همجية غير متحضرة كان لابد وأن تقبل الوصاية الأوروبية ، كما كان هو الحال بالنسبة لمصر ، وألا تؤكد ذاتها وتزيد من قدرتها الفعلية وأن يكون لها حرية التصرف . ولم يتنبأ جوردون فقط بان الحكومة البريطانية ستختار فى النهاية ايطاليا لتسيطر على ساحل البحر الأحمر بل بأنها ستعمل على نشوب الحرب مرة أخرى . ومع ذلك ، وبسبب التأجيل ، اضطرت بريطانيا فى النهاية الى التوقيع على معاهدة السلام بنفسها وفقا للشروط الاثيوبية تقريبا ثم قامت بانتهاك تلك المعاهدة « قبل أن يجف المداد الذى كتبت به » .

ولم يكن من الممكن أن يكون هناك سلام أو حرب الا بشروط اثيوبيا ، أو اذا كانت هناك بداية جديدة أو استفزاز عسكرى جديد . ولم يكن هذا أمراً مقبولا على الاطلاق ، ليس لأن المناطق المتنازع عليها كانت ذات أهمية حيوية لمصر ، ولكن لأن اكتمال نصر اثيوبيا جاء معاكسا للفلسفة السياسية السائدة فى هذه الأوقات .

وكان من المفترض على دولة افريقية همجية « وغير متحضرة » قبول وصاية اوروبية ، كما فعلت مصر وألا تؤكد ذاتها ولا تزيد من قوتها وحرية حركتها بشكل فعلى .

وقد تنبأ جوردون ليس فقط بأن الحكومة البريطانية سوف تختار ايطاليا فى النهاية للسيطرة على شاطىء البحر الاحمر بل وأن هذا سوف يؤدى الى اندلاع حرب أخرى . وبسبب التأخير ، من ناحية أخرى ، أرغمت بريطانيا فى النهاية أن توقع بنفسها على اتفاقية السلام التى كانت تتضمن تقريبا كل شروط أثيوبيا ولكنها انتهكتها قبل أن يجف مداد توقيع الاتفاقية .

اتفاقية عدوة للسلام :

لم يكن هناك جانب يرغب فى الحل العسكرى ، رغم الكلمات الغاضبة والفشل الكامل لبعثة جوردون . وقد صفى كلا الطرفين حساباته من خلال مزيد من التوتر السائد وحوادث الحدود ولكنهما لم يصلا الى حالة حرب شاملة . وكان جوردون غير حاسم . فمن ناحية اعتقد ، أو حث على الأقل ، أن الاطاحة بيوهانيس يمكن أن يتم تركه للأثيوبيين الذين زعموا أنهم يكرهونه أكثر مما يكرهون تاودروس ، ومن ناحية أخرى ، رغب أن يحتل الايطاليون زولا ويعملوا على اشعال حرب

(٢٥٤) وزارة الخارجية البريطانية ١١/٤٠٧ ، ص ص ٧٨ - ٩ ، من ماليت الى سالزبورى ، ١٩ ديسمبر ١٨٧٩ ، ٣ يناير ، ١٨٨٠ ، من سالزبورى الى ماليت ، ٢٠ ديسمبر ١٨٧٩ .

مع اثيوبيا لتخفيف الضغط عن مصر . وكما اعترف ، قال « ان لديكم رجالا قادرين للتعامل معهم اكثر مما توقعت ـ رجالا ذا تقاليد صارمة وبسيطة . . . وهم سلالة عنصر من المحاربين الاشداء »(٢٥٥) .

واستمر يوهانس فى مواصلة سياسة الانتظار والترقب . وكان يأمل بشكل أو بآخر فى أن يكون النفوذ الاوروبى المتزايد فى شئون مصر لصالحه . كان من الواضح أن هناك اتجاها ليبراليا اكثر ازاء الاتصالات مع اوروبا ، وأظهر يوهانس أنه استعد للتحرك ، الا أن الحكومة البريطانية كانت بطيئة فى ردود فعلها .

لقد استغرق ذلك عاما كاملا تقريبا قبل أن يحصل يوهانس على رد على مقترحاته التى أبداها فى مايو ١٨٧٩ .(٢٥٦) وكالعادة الرد كان غامضا . وبالرغم من أنه كان معروفا أن بعثة جوردون قد فشلت ، الا أن الملكة أعربت عن أملها فى أن « تسفر المفاوضات عن نتيجة ناجحة تقريبا ، وانها ترغب فى تشجيع التجارة دون حدوث خطر على سلامة الدول المحيطة ، وهى العبارة التى وردت أيضا خلال رد تمت كتابته فى نفس الوقت على خطاب منيليك الذى كان يتسم « بالغضب الشديد » فى ديسمبر ١٨٧٨ . وكان الرد يعنى ، بالطبع ، عدم تقديم اسلحة لحكام اثيوبيا . ورغم ذلك ، ضمنت فيكتوريا فى خطاباتها ، عرضا لاستخدام مساعيها الحميدة لحل الخلافات مع مصر اذا كان ذلك ضروريا .(٢٥٧)

وركز يوهانس فى رده على عرض الملكة الخاص « بمساعيها الحميدة » وطلب منها أن توفد فوراً أشخاصا يمكن الوثوق فيهم والاعتماد عليهم لسماع شكاوى الطرفين . ولكى يكون ولتاكيد ذلك ، قام يوهانس بسرد الشكاوى الخاصة به مرة أخرى وحذر من أنه اذا لم تستلم أثيوبيا ميناء على البحر خاص بها ، فان الصدامات لا ريب سوف تندلع مرة أخرى . وبالنسبة له ورغم كل ذلك فانه سوف يكون فى انتظار رد الملكة فيكتوريا .

---

(٢٥٥) هيل ، « كتاب جوردون » ، ص ٤١٣ ، ٤١٧ ـ ٤٢٣ .

(٢٥٦) المصدر السابق ذكره ، صفحات ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٢٥٧) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٣٨/٩٥ ، رقم ٢٩٨ ، من فيكتوريا الى يوهانس ، ١٢ ديسمبر ١٨٧٩ ، رقم ٢٩٩ ، الى منيليك فى نفس التاريخ .
ـ محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١١/٤٠٧ ص ٤٦ ، من ماليت الى سالسبورى ، ١٨ نوفمبر ١٨٧٩ .

بقاء الاستقلال الاثيوبى

وأشار يوهانس فى خطاب مرافق لوزراء ومستشارى الملكة . . . الخ الى أن الخديوى كان يكذب عندما تحدث عن صداقته لأثيوبيا . وأن مصر لم تتخل بعد عن بوجوس (أى حصن كيرين) وأنها احتلت مقاطعات اثيوبية أخرى أيضا (٢٥٨) .

وبعد أمطار ١٨٨٠ ، عاد الولا الى المقاطعات المتنازع عليها من أجل جباية الجزية السنوية . ولم يستطع المصريون عمل شىء لمنعه حتى أن جنوده نهبوا المناطق المجاورة لحصن كيرين (٢٥٩) . ولما كان قد تردد أن الولا معه ١٥ ألف رجل ، فقد خشى حاكم مصوع من حدوث هجوم على الميناء ، ومن ثم عمل على زيادة قوة الحامية بشكل تدريجى الى ٩ آلاف رجل . ونفى الولا أن لديه أية خطط بشأن مصوع . ومع ذلك كان الموقف غير مرض على الاطلاق .

فقد كانت قوات مصوع تتلقى ٥١ ألف جنيه استرلينى سنويا ، وكانت هرارى تتلقى ٣٣ ألف جنيه استرلينى أخرى وذلك من اجمالى احتياطى ميزانية للسودان كله والبالغ حجمها ١٠٠ ألف جنيه استرلينى هذا ، بخلاف ما قد ورد فيه من بنود اتفاقية التوفيق بألا يسمح بأن يتجاوز عدد الجيش المصرى بأكمله ١٨ ألف رجل ، واقترح العضو البريطانى فى لجنة الرقابة الثنائية ، والتى كانت تحكم مصر فى الحقيقة ، أيضا على الحكومة البريطانية أنه من الأفضل التخلى عن أقاليم البحر الأحمر ، وعلى الأقل هرارى بموانيها . ولكن الحكومة البريطانية رفضت النظر فى فكرة الانسحاب . (٢٦٠) وعمدت الحكومة البريطانية الى عدم الرد على الخطاب الذى كتبه يوهانز فورا بعد زيارة جوردون ، كما أجلت الرد على الخطابات المذكورة آنفا لمدة ثمانية أشهر .

---

(٢٥٨) محفوظات وزراة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٣٩/٩٥ رقم ٢١٦ ، يوهانس الى فيكتوريا ، ٢٩ ابريل ١٨٨٠ ، رقم٢١٧ ، لمجلس الوزراء البريطانى ، نفس التاريخ .

(٢٥٩) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ، مصوع ٤ ، ص ١٥٦ ـ ١٦١ ، رافرى الى دى فريسنت ، ٢٥ اكتوبر ١٨٨٠ .

(٢٦٠) محفوظات وزراة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠٣ / ٨١أ ، ص ١٣٩ ، من كوكس الى جرانفيل ، ٧ اكتوبر ١٨٨٠ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، من ماليت الى جرانفيل ، ٨ ديسمبر ١٨٨٠ ، بمذكرة مرفقة من جولفن ، ص ١٥٣ ، جرانفيل الى ماليت ، ٢٠ ديسمبر ١٨٨٠ . من أجل حجم ومعنويات الجيش المصرى بعد سقوط اسماعيل ، أنظر جون مارلو ، العلاقات البريطانية ـ المصرية ١٨٠٠ ـ ١٩٥٣ (لندن ، ١٩٥٤ ص ١١٤ ـ ١٥) .

وفى نفس الوقت (فبراير ١٨٨١) وصل جيرهارد رولفز الى أثيوبيا ومعه خطاب وهدايا من الامبراطور الألمانى . وكانت هذه تعد الاستجابة الاولى من جانب رئيس دولة على نداءات يوهانس بعد زيارة جوردون الى ديبرى تابور . وكان الملك سعيدا للغاية بالطبع (٢٦١) . وقد أكد ويليام الاول ليوهانس بانه يسعده أن يساهم فى ايجاد حل عادل لمشاكل أثيوبيا مع مصر . (٢٦٢) ورد يوهانس بأنه طلب من رولنز بأن يكون مبعوثه وأن يسعى للتوصل الى سلام نيابة عنه . وفى رده على ويليام أبدى يوهانس ادعاءات اقليمية واسعة جدا ، قائمة على اساس ما يعتقد أنها حدود قديمة لأثيوبيا : المحيط الهندى ، خليج عدن ، البحر الاحمر ، وفى الغرب سواكن ، بربرة ، النوبة ، الخرطوم ، سنار ، فى قائمة ضمت ٢٥ مقاطعة تقريبا وأماكن فقدت مؤخرا ، كان تركيز يوهانس ينصب أساسا على اراضى الحدود الشمالية التى تمتد من كوناما فى الغرب الى عشاورتا (داناكل) وهرارى فى الشرق ، وقد وردت فى هذه القائمة كل من زولا وشبه جزيرة بورى .. إلا أن « مصوع » لم تذكر . وأكد رولف بأن وساطته الرامية الى التوصل الى سلام كانت قائمة على شرط هو أن الاراضى التى ضمت بعد موت تاودروس يجب استعادتها كما يجب أن تتسلم اثيوبيا خليج زولا كمنفذ على البحر . (٢٦٣)

---

(٢٦١) رولفز ، بعثة قصيرة ، ص ٤٠ ـ ٤١ ، ٨٥ ـ ٨٦ ، ٨٩ ـ ٩٢ ، ٢٠٦ ـ ٢٢٤ ، المحفوظات السياسية فى اسوار تيجن ، بون ، أى بى ٩ ، أبسيتن ٢ ، من رولف الى بسمارك ، ١٧ مايو ١٨٨١ ، مع تقرير مفلن ، ١٦ مايو ١٨٨١ ، يوهانس الى حد ما ، آثار عند هذه النقطة ان البعثة الايطالية التى احضرت له بعض المواد التى أبلغت عن طريق ماتيسوتشى والتى أعلنت بشكل متكرر عن مصوع ، فشلت فى الوصول . أنظر جيجليو ، اثيوبيا ـ مارروزو ، العدد الاول ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

(٢٦٢) المحفوظات السياسية فى اسوار تيجن ، بون ، أى بى ٩ ، الاثيوبية ٢ ، من ويليام الاول الى يوهانس ، ١٨ سبتمبر ، ١٨٨٠

(٢٦٣) من يوهانس الى ويليام الأول فى ١٧ فبراير ١٨٨١ ، تقارير رولفز ، ١٦ مايو و٢٣ مايو ١٨٨١ .

اختبارات قوة مع مصر وايطاليا

وفى رده على يوهانس تهرب الرئيس الفرنسى من مشكلة الصراع كلية . وبجانب المداهنة ، عرض نصيحة مفادها أنه يجب على الملك ، لصالح تقدم شعبه ، أن يقدم تسهيلات لمسيحى الغرب الذين يرغبون فى اقامة علاقات تجارة وعمل معه . (٢٦٤) فالأهمية الفرنسية الوحيدة التى حدثت فى اثيوبيا كانت زراعة التبغ فى بوجوس ، وكان يوهانس يمقت التبغ بشدة . (٢٦٥)

ولم يكن الخطاب البريطانى مشجعا بشكل كبير . وقد قدرت فيكتوريا رغبة يوهانس بالعيش فى سلام مع جيرانه وقد أسعدها التقرير الذى تلقته من القاهرة حول الاتصالات الودية بينه وبين الخديوى . (٢٦٦) وكان يوهانس فى الحقيقة فى هذا الوقت على اتصال مباشر بمحمد توفيق بشأن مطرانية جديدة لأثيوبيا . وكان احتمال أن يطلب يوهانس بطريقة أخرى أسقفا من بعض الكنائس الأرثوذكسية الأخرى من الامور التى جعلت المصريين راغبين فى تلبية رغبة الأثيوبيين فى هذا الشأن ، وكالعادة كانت القضية هى الدفع نقدا .. إلا أن المفاوضات نجحت رغم ذلك . وبحلول نوفمبر ١٨٨١ كان لدى اثيوبيا أربعة أساقفة جدد . وقام يوهانس باختبار الوفاق بارسال أموال لشراء ٨٠٠ بندقية أيضا . (٢٦٧) وبعد مرور اكثر من عامين ، عمد يوهانس الى تذكرة الخديو بأنه لازال

---

(٢٦٤) المحفوظات الدبلوماسية لوزارة الخارجية الفرنسية ، بروتوكول س ١٤ ، من جريفى الى يوهانس ، ١٧ ابريل ١٨٨٠ . هذا الخطاب الاول الذى يهديه الى تاجرين ، الا أنه حدث بعض المشاكل « مذكرات ووثائق ، وزارة الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٧ ، مذكرة ١٥ مايو ١٨٨٠ ، » ونسخة حديثة مع هدايا أرسلت الى رافرى لتسليمها الى يوهانس بعد ذلك بعام تقريبا « مراسلات سياسية ومراسلات سياسية لبروكسل ، محفوظات وزراة الخارجية الفرنسية، مصوع ٤ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٨ ، رافرى الى بارثيليمى بسانت ـ هيلير ، ١٤ مايو ١٨٨١ .

(٢٦٥) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية لروكسل ، مصوع ٤ ، ١٥٦ ـ ٦١ ، رافرى الى بارثيليمى سانت هيلير ، ٢٥ اكتوبر ١٨٨٠ وبرقيات تالية ، هيل ، جوردون ، ص ٤٠٤ .

(٢٦٦) محفوظات وزارة الخارجية ودار المحفوظات العامة ، لندن ملف ٩٥ / ٧٤٠ ، رقم ٧٤ ، من فيكتوريا الى يوهانس ، ٨ مارس ١٨٨١ .

(٢٦٧) دار المحفوظات القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ٥ / ٣ ، من يوهانس الى توفيق فى ١٥ ابريل ١٨٨١ و١٦ فبراير ١٨٨٢ ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ، مصوع ٤ ، رقم ١٧٤ ـ ١٧٧ ، من رافرى الى باريثليمى سانت هيلير فى ١٠ ديسمبر ١٨٨٠ ، ورقم ٢٣٩ ـ ٤٦ ، الى جاميتا فى ٢٢ نوفمبر ١٨٨١ ، محفوظات وزارة الخارجية ودار المحفوظات العامة ، لندن ، ملف ٩٥/٧٤٠ ، رقم ٨٢ ، من يوهانز الى فيكتوريا ٤ نوفمبر ١٨٨١ . أنباء حول اتصالات اثيوبية مع اليونان وروسيا ، أنظر محفوظات وزارة الخارجية ودار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠٧ / ١٤ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، من ماليت الى سالسبورى فى ١٥ يناير ١٨٨٠ ، ص ٤٢ سالسبورى الى ماليت فى ٣٠ يناير ١٨٨٠ .

يريد الاسلحة التى دفع ثمنها . (٢٦٨) وعندما شكر محمد توفيق على ترتيب مسألة الأساقفة ، أعرب عن أمله فى أن يكونا قادرين حاليا على التوصل الى سلام على أساس حدود ما قبل النزاع والتى كان قد طلب من ملوك أوروبا تحديدها وترسيمها . (٢٦٩) وكان الأمل فى إلا تسلم الحكومة البريطانية ردا حول عرض الملكة بشأن مساعيها الحميدة على ما يبدو أمرا سابقا لأوانه . وعلى المستوى المحلى لم يعمد يوهانس على كبح جماح الولا وحكامه الآخرين فى الشمال حيث تحركت جيوشهم بحرية وجمعت الضرائب من جميع الاراضى التى كانت قد فقدت فيما بين أعوام ١٨٧٢ - ١٨٧٥ ، وظل المصريون داخل مواقعهم المحصنة ، وكان الاثيوبيون عادة يتركونهم لشأنهم ، وكان هناك ، رغم ذلك ، نبأ يفيد بأن أميديب قد هوجمت فى نفس الوقت الذى بدأت فيه المفاوضات الخاصة بالأساقفة . وعندما توجهت البعثة الكنسية الى القاهرة والقدس فى مارس ١٨٨٢ ، كانت الجيوش الأثيوبية تقف على بعد ساعتين من مصوع وزولا . (٢٧٠)

(٢٦٨) دار المحفوظات القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ٣/٥ ، من يوهانس الى توفيق فى ١٧ مارس ١٨٨٤ .

(٢٦٩) من يوهانس الى توفيق فى ١٦ فبراير ١٨٨٢ .

(٢٧٠) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية لبروكسل ، محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ، مصوع ٤ ، ص ١٧٤ - ١٧٧ ، رافرى الى بارثيليمى سانت هيلير ، ١٠ ديسمبر ١٨٨٠ ، ص ٢٥٨ - ٧٠ ، هيربس الى دى فرينة ، أول ابريل ١٨٨٢ .

بقاء الاستقلال الاثيوبى

وبالنسبة لرافراى ، نائب القنصل الفرنسى فى مصوع ، فقد أعطته الخطابات الفرنسية والبريطانية فرصة كان يتطلع اليها منذ وقت طويل ، لزيارة يوهانس . ومع ذلك فقد تبين له على طول الطريق ولدى وصوله لمعسكر الملك فى منطقة زوبيل فى أغسطس ١٨٨١ ، أنه ليس مرحبا به تماما . ونتيجة اصراره على أن يدفع الملك تعويضات للتجار الفرنسيين وللبعثة الكاثوليكية فى اكيلى جوزى التى تعرضت مؤخرا لهجوم من جانب الجنود الأثيوبيين على كنائسها لم يتمكن رافراى أن يحسن علاقاته مع يوهانس . وكان هناك حجم هائل من التآمر بين الاوروبيين الذين أحاطوا بالملك : فكان هناك ميزاكيس القنصل اليونانى ، وستيكر الألمانى (الذى ظل هناك عندما رجع رولف الى اوروبا) والأخوة الايطاليون ناريتى ، وأبارجوس دى سوستين المبعوث الأسبانى ، ورافراى نفسه ، وقد لاحظ الأخير وهو فى طريقة الى زوبيل أن جميع الاوروبيين محتقرون فى أثيوبيا . ولم تحسن زيارته الموقف . وطبقا لحساباته الخاصة ، فقد تم ابعاده تقريبا بعيدا عن مكان تواجد الملك ، الذى اتهم الأوروبيين بمنعه من استعادة أراضيه المفقودة . ويبدو أن يوهانس كان يأمل فى أن تمنحه المانيا التأييد الأدبى الذى يحتاجه لشن هجوم على مصوع ، واذا كان رافراى قد نجح فى أى شىء ، فلا ريب أنه نجح فى أن يثير شكا أيضا فى غير صالح هذا الوافد الجديد فى الميدان . (٢٧١)

وقد أظهرت الخطابات التى ارسلها يوهانس للرئيس جريفى والملكة فيكتوريا مع رافراى أنه كان منزعجا للغاية بشأن اتجاه الاوروبيين الذين زعموا أن المشاكل قد تم حلها وأن اليوم يوشك أن يتحقق ، ولقد قام هوبنفسه بحل مسألة الأساقفة الجدد ، كما كان يتم دائما ، ولكن بالنسبة لمسألة السلام . فقد أحالها الى ملوك أوروبا . وكان يوهانس مستعدا لرسم الحدود بين بلاده ومصر بشكل محدد طبقا لاتفاقية بينهما . الا أنه كان يرغب أن تسوى هذه المسألة دون أدنى تأخير . وبالنسبة للملكة ، كان صريحا أكثر من اللازم : اذ كان قد سبق أن أظهر الكثير من الصبر كى يكون قادرا على التحرك بموافقتها ، ولكنه الأن كان يريد ردا ، بكل السبل ، على خطابه السابق . (٢٧٢)

(٢٧١) ص ١٧٤ - ٢٧٠ ، برقيات ساندرى من رافراى وهيرين ، ١٠ ديسمبر ١٨٨٠ - أول ابريل .

(٢٧٢) مذكرات ووثائق محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، ص ٥٣٨ ، يوهانس الى جريفى ، ٤ نوفمبر ١٨٨٠ ، محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٩٥/٧٤٠ ، رقم ٨٢ ، الى فيكتوريا ، نفس التاريخ .

وبمعنى آخر ، كان يرغب فى الحصول على رد حول ما اذا كانت فيكتوريا راغبة أم لا فى ارسال مبعوث شخصى عنها لاستطلاع أبعاد الصراع ، والاستماع لكلا الجانبين والتوسط من أجل التسوية .

وكان يوهانس أكثر صوابا مما يعتقد على ما يبدو عندما ضغط على لندن من أجل الرد أولا لأن بسمارك تشاور مع لندن حول بعثة رولف المحتملة للسلام ووعد باتخاذ اجراء اذا كانت بريطانيا ترغب منه أن يفعل ذلك ، وثانيا لأن الحكومة البريطانية كانت هى التى دأبت على القول بعدم اعطاء اثيوبيا ميناء أو تسهيلات لاستيراد معدات حربية ، وقد امتنع يوهانس عن شن حرب فقط لعدم قدرته على الحصول على امدادات الاسلحة والذخيرة الضرورية . واقتنع ادوارد ماليت الممثل البريطانى والقنصل العام فى مصر بأن القوات المصرية لن تصمد أمام الأثيوبيين ، وبدأ يتحدث عن احتمال دخول يوهانس الى القاهرة بجيشه ، وبناء عليه يجب أن تصدر تعليمات الى رولف لحث يوهانس على الدخول فى محادثات سلام مقابل تبادل علاقات تجارية حرة « فيما عدا المواد الحربية » والتخلى عن أجزاء من بعض أراضى استولى عليها الخديوى السابق من اثيوبيا . (٢٧٣)

ولقد تبين تدريجيا للحكومة المصرية ومستشاريها الأوروبيين ان يوهانس كان لا يعتزم الاستسلام . وقد عمل الولا على ألا تصل أية ايرادات من الاراضى المتنازع عليها الى « الخزائن » المصرية . ونظرا لعدم وجود تجارة تقريبا ، فان امتلاك مصوع نفسها كان مجرد خسارة ، يتم الحفاظ عليها مقابل مخاطر كبيرة . ومع ذلك من غير المحتمل ، وكان يجب ألا يستبعد الاحتمال بأن نشاط يوهانس الدبلوماسى قد يؤدى فى نهاية الأمر - وفى موقف الأزمات - الى أن تتحرك بعض الحكومات الاوروبية لصالح اثيوبيا ولو أنه أمر غير محتمل ، وهذا الموقف كان ، فى الواقع موجودا فى مصر حيث أصبح من الصعوبة بمكان للاوروبيين حكمها من خلال السيطرة الثنائية البريطانية - الفرنسية ، وفى مصر قامت حركة وطنية بين الضباط المصريين بزعامة عرابى باشا الذى تحدى هيكل السلطة فى مصر ، وفى السودان أعلن محمد أحمد أنه المهدى المنتظر وأثار نوعا من الثورة .

وفى يوليو ١٨٨٢ حدث ضرب الاسكندرية واستولى البريطانيون بعدئذ عليها . (٢٧٤) ولم يكن التمسك بكل شىء فى أثيوبيا فى ضوء هذا الوضع أمرا يستحق مخاطر التورط . وعندما كتب يوهانس طلب من ماليت « ردا » على خطابه ، كما لو كان شبح تاودروس قد ظهر على المسرح : « يبدو أنه ستكون هناك حرب اثيوبية أخرى . (٢٧٥)

---

(٢٧٣) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٨١/٤٠٣ بى ، ص ٣٩ ، من جرانفيل الى ولشام ، ٢٧ يناير ١٨٨١ ، ص ٤٥ ، مذكرة ماليت ، أول يوليو ١٨٨١ ، ص ٨٠ - ٨١ ، من جرانفيل الى ولشام ، ١٩ يوليو ١٨٨١

(٢٧٤) مارلو ، العلاقات البريطانية - المصرية ، ص ١١٢ - ١٤٦ .

(٢٧٥) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣٠ ص ٢٢ ، من يوهانس الى ماليت فى ٢١ ديسمبر ١٨٨١ ، ص ١٤ - ٢٠ ، من ماليت الى جرانفيل ، ٤ ابريل ١٨٨٢ .

وبحلول مايو ١٨٨٢ بدأت الحكومة المصرية تفكر فى مسألة « تقديم تنازلات اقليمية لأثيوبيا » . ولكن كان لا يمكن أن يكون الا « أرضا داخلية . . فلم تكن مصر لتقبل أن تتخلى عن ميناء » . وقد أيد ماليت وجهة النظر هذه :

لا أستطيع . الا أن أكون مع الرأى القائل بأن امتلاك اثيوبيا لميناء سيكون خطراً على مصر ، ومثل هذا التنازل لا يجب أن تؤيده انجلترا اذا لم يكن اتجاهنا الحالى للحماية تجاه هذا البلد قد تحول الى اتجاه عدائى . (٢٧٦)

وبعد ذلك بخمسة شهور ، مع وجود سيطرة بريطانية كاملة ، اقترح سير تشارلز ويلسون ، استعادة بوجوس وكذلك المقاطعة القريبة من جالابات وتحويل مصوع الى ميناء حر ، وتسهيل تعيينات القساوسة واقامة سلام مع اثيوبيا فى ضوء هذه الشروط . (٢٧٧)

وبرغم ذلك ، أخذت الحكومة البريطانية اكثر من ستة أشهر ، لكتابة اكثر من خطاب يطيل المفاوضة كسبا للوقت ، وأخذت ستة أشهر أخرى قبل تسليمه الى يوهانس . وكان كل ما احتواه الخطاب وعد بالكتابة مرة أخرى بمجرد استتباب النظام فى مصر . (٢٧٨)

ولم ينتظر يوهانس وصول الخطاب ، ولكنه كتب يقول ، كما لو كان لم يشك فى النوايا الحسنة للحكومة البريطانية ، « الآن وقد اختفت الحكومة الاسلامية (فى مصر) واصبحت البلد فى أيدى مسيحيين ارجو أن تقوموا باعادة بلدى إلىّ » .

---

(٢٧٦) مرجع سابق ذكره ، ص ٣٠ - ٣٣ ، من ماليت الى جرانفيل ، أول مايو ١٨٨٢ .
(٢٧٧) مرجع سابق ذكره ص ٤٠ - ٤١ ، مذكرة حول السودان ، ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ .
(٢٧٨) مرجع سابق ذكره ، ص ٥٨ - ٦٣ ، محاضر جلسات ، اكتوبر ١٨٨٢ ، محفوظات وزارة الخارجية دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٢/٩٥ ، رقم ١٣٠ ، من فيكتوريا الى يوهانس فى ٩ نوفمبر ١٨٨٢ .

بقاء الاستقلال الاثيوبى

وأكد يوهانس مرة أخرى أنه لم يتوصل الى سلام مع مصر ، وكان ماليت قد خدع الملكة عندما قال ان تعيين أساقفة جدد كان يعنى انه تم التوصل الى سلام . (٢٧٩) وعندما تسلم يوهانس الخطاب مع التاجيل ، كان رد فعله الوحيد ، هو أن الكلمات كانت جيدة جدا ، ولكن الله هو الذى يرتب التنفيذ . (٢٨٠)

هذا ، وكان يوهانس فى الحقيقة ناقدا للغاية للمسلك البريطانى فيما بين عامين ١٨٧٢ و ١٨٧٥ وبعد بزوغ بوادر الحرب وقد ظهر ذلك من خطاب كتبه الى رولف عام ١٨٨٢ اتهم فيه بريطانيا بأنها خدعته عندما طلبت منه ان يحافظ على السلام فى نفس الوقت الذى حرضت فيه المصريين لمهاجمته ، وبعدم الوفاء بوعدها الخاص بالوساطة . (٢٨١) لقد كان ستيكر هوالشخص الذى عهد اليه يوهانس بحمل ندائه الأخير الى الملكة فيكتوريا لتسوية النزاع مع مصر . كما تلقى أيضا خطابا مماثلا تقريبا لمليكه . (٢٨٢) ورغم ذلك فلم يتم اعطاء خليفة رافراى كنائب للقنصل الفرنسى ، الذى قدم فى بلاط الملك فى آخر مارس ١٨٨٣ (للحصول على اجابة مرضية حول تدمير ممتلكات البعثة) خطابا للحكومة الفرنسية على أساس أنه بالرغم من أن فرنسا قوة كبرى ، يميل المصريون الى احترامها ، وبالرغم من أن لها قنصلية فى مصوع ، فانها لم تفعل شيئا لمنع المصريين من التدخل فى بريدى ومصادرة اسلحة كانت مرسلة اليه . (٢٨٣) وبدلا من تزايد النفوذ الفرنسى فى اثيوبيا ، فان القنصلية والبعثة الكاثوليكية دمرت مصداقية فرنسا .

وقد أوضح هجوم الولا على عيليت وسيأتى فى اكتوبر ١٨٨٣ الى أن يوهانس لم يكن مستعدا للانتظار طويلا ، وفى الشهر التالى حصلت الحكومة البريطانية على طلب رسمى من الحكومة

---

(٢٧٩) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٣/٩٥ ، رقم ٢٢١ ، يوهانس الى فيكتوريا ، ٩ ابريل ١٨٨٣ .

(٢٨٠) مصدر سابق رقم ٢١٦ ، من يوهانس الى فيكتوريا ، مايو ١٨٨٣ .

(٢٨١) الأرشيف السياسى فى أوسوار تيجن أماس ، بون ، اى بى ٩ ، اثيوبى ٢ ، من يوهانس الى رولف ، ١٩ أغسطس ١٨٨٢ .

(٢٨٢) مصدر سابق ، من يوهانس الى وليام الاول ، ٩ابريل ١٨٨٣ .

(٢٨٣) مراسلات سياسية ، أرشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، مصوع ٤ ، رقم ٣٥٠-٢ ، من هيرين الى سوماجن ، ٨ يناير ١٨٨٣ .

المصرية لتولى بعثة سلام ، وكانت قد قبلت ذلك شريطة أن تكون مصر « مستعدة للموافقة على البنود التى من المحتمل أن ترضى ملك اثيوبيا » . وكانت هناك امام وزارة الخارجية البريطانية مشكلة واحدة هى : أن الحكومة العثمانية يجب أن يجرى التشاور معها حول التنازل عن ميناء . (٢٨٤) وفى الحقيقة كان هذا ينطبق على مصوع . وعلى أية حال فان المسئولين فى القاهرة كانوا يعارضون كلية التنازل عن ميناء ، وكانوا موافقين على « فرض ضرائب خفيفة على السلع الأثيوبية ، ولكن استيراد السلاح كان يجب منعه كلية . . وفيما يتعلق بالأراضى الأخرى ، فانهم كانوا على استعداد للتخلى عن بوجوس وليس عن قالابات . (٢٨٥)

وفى ضوء المطالب المتكررة ليوهانس ، نجد أن هذا كان أمرا غير واقعى على الاطلاق . فلقد كان قد تم عمل ما يمكن عمله من اجل فتح الطريق والتأثير على الملك . فقد تم تعيين الادميرال البحرى سير ويليام هيويت لترأس البعثة (٢٨٦) . كما تم الاهتمام اهتماما كافيا بالهدايا بحيث تكون مناسبة . وكذلك بالنسبة لخطاب الملكة فقد تم تزيينه بأسماء والقاب بالحبر الاحمر وبختم كبير فى أعلاه وهو المكان الذى يضع الحاكم الأثيوبى فيه ختمه وتم الاهتمام بلقب يوهانس فلأول مرة كانت فيكتوريا تخاطبه كشخص على قدم المساواة معها « فقد استخدمت كلمة جلالة بدلا من كلمة سمو » (٢٨٧) . وطلب من لورد نابيير فى ماجدالا كتابة خطاب تأييد لهيويت وقد فعل :

« اننا نعتزم تقديم اى مساعدة له فى مقابل اقتناعه ، ولكن اذا كان غرضنا مجرد تقوية يده الآن بعد أن سنحت له الفرصة لاستعادة الارض التى سلبت منه ، فاننى لا أرغب فى الاقدام على ذلك . انها فرصة لأثيوبيا ، حيث يجب ألا تفوتها . وبناء عليه فاننى اوقع الخطاب « اننا نعتزم الاعتراف به

---

(٢٨٤) MT ، ١٨٨٤ ، ص ٢ ـ ٤ ، سوينسون ، ٣ ديسمبر ١٨٨٣ ، محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣٠ ص ٧٨ ـ ٨٠ من بارنج الى جرانفيل ، ٢٤ نوفمبر ١٨٨٣ ، ص ٩٤ ـ ٩٦ ، من شريف الى بارنج ، نفس التاريخ ، ص ٨٢ ـ ٨٥ محاضر ، ٢٦ / ٢٧ نوفمبر ١٨٨٣ ، ص ١١١ من جرانفيل الى بارنج ، ٢٧ نوفمبر ١٨٨٣ ـ معظم المراسلات فى محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣٠ و ١ / ٣١ (لكن لا توجد محاضر ويوجد عدة طرود) يوجد فى طبقة سرية محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠١ / ٤٠٦ / . حيث لا يمكن الحصول على أى شىء بالاشارة الى المرسل الاصلى ، اذكر محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠١ ٤٠٦ .

(٢٨٥) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠١ / ٤٠٦ ، ص ٢ ـ ٤ ، من بارنج الى جرانفيل ، ٢٩ نوفمبر و ١٢ ديسمبر ١٨٨٣ ، من شريف الى بارنج ، ١٢ ديسمبر ١٨٨٣ .

(٢٨٦) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن . ١ / ٣٠ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، من بارنج الى جرانفيل ، ١٢ ديسمبر ١٨٨٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، من جرانفيل الى بارنج ، ٢٧ ديسمبر ١٨٨٣ .

(٢٨٧) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٩٥ / ٧٤٤ ، رقم ١٦٥ ، من فيكتوريا الى يوهانس ، ٢ يناير ١٨٨٤ . الهدايا سوف تتضمن فى النهاية أنابيب صاروخية بالصواريخ وبنادق مطلاة بالنيكل ومدافع ميدان فى النهاية . . الخ . انظر محفوظات وزارة الخارجية ودار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٢ ، لقائمة كاملة .

وروفع يده عن الصحبة المسيحية له التى دافع عنها لوقت طويل . . . ولكن اذا كنت مخطئا فانى ارجو مع احترامى - اعادة توقيعى الى » (٢٨٨)

وقد اعتبر نابيير ان اثيوبيا سوف تتسلم زولا وانفيلا وحث على انه من الصواب اعطاء اثيوبيا مصوع أيضا ، طالما أنها لا تدخل ايرادات لمصر وانها - اى مصوع - يمكن ان تكون مفيدة كوسيلة للضغط تجاه اثيوبيا » . وفى الظروف التى يمكن فيها أن يستولى يوهانس على أى شىء يوده ، رأى نابيير بأنه يجب أن ينصح بعدم قبول أى شىء أقل من اعادة جميع المقاطعات التى اخذتها مصر من اثيوبيا فى السنوات الأخيرة ، وميناء عملى على البحر - كمظهر من مظاهر النوايا الحسنة . واذا لم يكن هذا الميناء هو مصوع وهى « أفضل حل عادل » ، فانه حينئذ يوصى بأن يمنح يوهانس ضمانات للقيام باتصالات عبر مصوع ، تحت حماية بريطانية ، بدون أى ضرائب أو أى تدخل حتى يتم إنشاء ميناء جديد (٢٨٩) .

وقد عبر الكابتن سبيدى ، الذى تم اختياره للانضمام الى هيويت كأفضل خبير مناسب فى الشئون الأثيوبية ، عن معظم نفس وجهات النظر هذه . لم يكن يعتقد أن مصوع ، تلك الجزيرة المرجانية الصغيرة ، الخالية من المياه ، هامة ، ولكن التنازل عن ميناء بحرى كان هو الحل العملى الوحيد للتغلب على الصعوبات بين اثيوبيا ومصر .

والحل الثانى الأمثل كان هو ميناء حر اذا تم التوصل الى ان من الناحية العملية ، التخلى عن ميناء بحرى . وفى كلتا الحالتين ، فانه من المهم ألا يسمح لمسئول مصرى بالاقامة فى مثل هذا الميناء تحت أى مسميات وأى أسباب . ومثل هذا الميناء ، سواء كان اثيوبيا أو حرا (وتحت سيطرة بريطانية)يجب بناؤه بين مصوع واركيكو ، أوفى خليج زولا . واصبح من المسلم به أن ميتما (قالابات) وسينهيت (بوجوس) سوف تعاد لأثيوبيا (٢٩٠) .

وقد اكد القنصل أ . بيكر فى سواكن نفس النقطة . . . وبالرغم من كل ما ذكر كان معاكسا لما ذكره بعض المسئولين المصريين والتجار ذوى المصلحة ، نجد أن الأثيوبيين كانوا يرغبون فى الحصول على ميناء ، ولن يرضوا بدون الحصول عليه ، واعتقد أن الخوف من استخدام الأثيوبيين للميناء من أجل الحصول على السلاح فقط قد تم المبالغة فيه بوعى حيث أن مصر كانت تسيطر بشكل غير شرعى على اراضى اثيوبية وبرغبة بعض التجار فى الاحتفاظ بالاحتكار الفعلى الحالى بالتجارة مع الأثيوبين فى ظل شروط تضع الأثيوبيين تحت رحمتهم حيث يفرضون السعر الذى

---

(٢٨٨)محفوظات وزارة الخارجية ١ / ٣٠ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ، من جرانفيل الى نابير ، ٢٣ ديسمبر ١٨٨٣ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ، مسودة من نابير الى يوهانس ، ص ٢٩٣ - ٢٩٧ ، نابير الى جرانفيل ، ٢٦ ديسمبر ١٨٨٣ .

(٢٨٩) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ - ٥٤ ، ٣٨١ - ٣٩٣ ، نابير الى جرانفيل ، ٢٨ ديسمبر ١٨٨٣ و ٢ يناير ١٨٨٤ .

(٢٩٠) المصدر السابق ، ٢٠٩ - ٢٢٤ ، ٣٣٣ - ٣٤٢ مذكرة سبيدى ، ٢١ ديسمبر و ٢٥ ديسمبر ١٨٨٣ .

يريدونه . . . الخ . ومع الامن المتزايد ، علاوة على ذلك ، سوف تزداد التجارة لكى يكون من المحتمل أن يصبح التجار عادلين ايضا اذا لم يكن أحسن مما كانوا فى ظل الظروف السائدة (٢٩١) .

وكان الضباط البريطانيون فى الخدمة المصرية أقل كرما ، فأحد الاقتراحات شملت قالابات من بوجوس ، وكمية محدودة من الاسلحة التى يتم استيرادها عبر مصوع ، وفى القاهرة كانت الحكومة المصرية قد تم اقناعها بشكل تدريجى للموافقة على التنازل عن جزء من الساحل على البحر ولكن ليس مصوع (٢٩٢) . وحينئذ كان يبدو ان الخارجية البريطانية تشعر بأنهم سوف يتخلون عن الكثير عن طريق التصريح بميناء : « ليس لدينا تأكيد معين بأن الملك لن يقبل الفوائد الإقل اذا عرفها ادميرال انجليزى مع خطاب توضيح من الملكة وخيمة مصنوعة من الحرير الاحمر ، أو على الأقل الوعد باحداها . وأليس من الأفضل أن نطلب من الملك الحضور الى مصوع - لكى يتجنب أية مخاطر خاصة باحتجازه - وسؤاله عما هى اقتراحاته ؟ (٢٩٣) .

وفى التعليمات وترتيب مصر فيما يتعلق بحدوده واستخدام ميناء بحرى فقد تم استبعادهما لصالح ترتيب اقليمى وكان يجب ابلاغ يوهانس ان المفاوضات يجب أن تجرى فى مصوع لان هيويت لن يمكن الاستغناء عنه للقيام برحلة داخل البلاد (٢٩٤) .

وفى الوقت الذى تدهور فيه موقف المصريين فى السودان ، كان ابرام اتفاقية سلام مع يوهانس اكثر اهمية لمنع الحاميات المصرية شرقى السودان من السقوط بين شقى رحى السودانيين والأثيوبيين المعادين وبالرغم من نصيحة جوردون التى كانت تشير بعكس ذلك فان بارنج وجرانفيل قرار أن البعثة قد اصبحت عاجلة . ومع ذلك ، كان جرانفيل لايزال غير قادر على التوصل الى حسم تصور خاص بمسألة التنازلات الاقليمية ، وبدلا من ذلك كان تذبذبه بشأن الساحل قد بدأ ينتشر فى الداخل (٢٩٥) .

وكان هذا كثيرا أن يتحمله هيويت ، فقد كان على اتصال بالولا من خلال أحد النواب واكتشف ان وزارة الخارجية البريطانية على علم بكل هذا منذ البداية : وأن بوجوس وميناء بحرى كانا هما مطلبى يوهانس . وطلب هيويت فى اطار درجته « السلطة لتسوية الأمر » . (٢٩٦) وتم التصريح له بالتفاوض من أجل التوصل الى تسوية طبقا للبنود التالية :-

---

(٢٩١) مصدر سابق ، ص٤٦٣ - ٤٧٩ ، باكير الى جرانفيل ، ٧ يناير ١٨٨٤ .

(٢٩٢) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠٦/٤٠١ ص٨ بارنج الى جرانفيل ، ١٢ يناير ١٨٨٤ ، ص١١ - ١٢ ، مذكرة ف . باكير ، ٩ يناير ١٨٨٤ .

(٢٩٣) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣٠/١ ، ٥٤٥ - ٥٥٣ - ٦١ ، ٦٠٥ - ٧ ، محاضر ، ١٩يناير - ٢٥ يناير و ٩ فبراير ١٨٨٤ .

(٢٩٤) مصدر سابق ذكره ، ص٥٦٧ - ٩ ، ٥٧٥ - ٦ ، من جرانفيل الى الادميرالية وبارنج ، ٢٩ يناير ١٨٨٤ .

(٢٩٥)محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٦/٤٠١ ص ١٥ من جرانفيل الى بارنج ، ٩ فبراير ١٨٨٤ ، مع طرود ، ص ٢١ من جرانفيل الى بارنج ، ١ مارس ١٨٨٤ .

(٢٩٦) مصدر سابق . ص٢٢ - ٢٣ من هيويت الى بارنج ، ٦ مارس ١٨٨٤ .

١ — على الملك جون أن يعمل على تسهيل انسحاب الحامية المصرية فى الأراضى المجاورة للحدود وذلك عبر اراضيه .

٢ — جميع الخلافات بين مصر واثيوبيا يتم الرجوع فيها الى حكومة صاحبة الجلالة .

٣ — يكون للملك حرية احتلال مقاطعة بوجوس .

٤ — حرية المرور عبر مصوع ، تحت حماية بريطانية ، لجميع السلع ، بما فى ذلك السلاح والذخيرة من والى اثيوبيا .

٥ — تسوية المسألة تعود الى تعيين قسيس (أبونا) .

وقيام اثيوبيا باحتلال قالابات لن يتم معارضته ، وفى حالة وجود مثل هذا التنازل سيكون ضروريا تماما . يجب أن يتم ادخال تحفظ عام ، مع أخذ الادعاءات القانونية الخاصة بالميناء فى الاعتبار ، الى الاتفاقية (٢٩٧) .

وتبدو مسألتان للمرء كشىء غير طبيعى فى هذه التعليمات الاولى هى أن مسألة الارض على الساحل مرت فى صمت ودون مناقشة بالرغم من أن بارنج أكد انه لم يمانع « فى التخلى عن بوجوس وجزء من ساحل البحر » . والثانية هى صياغة الشرط الثالث الذى يقول « حرية احتلال » بدلا من « تنازل » . فى المحاضر الخاصة ببرقية بارنج وفى موجز الشروط نجد انه قد تم استخدام كلمة « تنازل » وكلمة « ميناء بحرى » بالنسبة لقلابات كتنازل اضافى اذا تطلب الأمر ذلك (٢٩٨) .

وقد أصيب هيويت بالحيرة من عبارة « تحفظ عام » ، وطلب تعليمات فى هذا الشأن . وتم الاتفاق فى الخارجية البريطانية على أن الادعاءات « كانت محددة تحديدا سيئا » ، ولما كان يوهانس لن يتم استلامه أى ارض تركية مميزة عن الارض المصرية ، ولم يتم استخدام كلمة « تنازل » ولما كان لقب مصر أو الباب العالى لم تستكمل أو تؤكد باتفاق سلام أو باستسلام الملك جون ، ولما كان التحفظ سيصبح صعب التفسير لذا فانه من الحكمة أن . . . يتم رفع هذه العبارة من التعليمات ، واعتبار احتلال بوجوس وقالابات كاعادة فتح بواسطة الملك جون ، الأمر الذى لم تر مصر أى داع لمقاومته والاعتراض عليه (٢٩٩) . ويعد هذا مثالا استثنائيا كبيرا حول كيف اصبحت مسائل دبلوماسية معقدة . ولكن يبدو انه ليس هناك أى شخص ورد فى تفكيره الحقيقة التى تؤكد بانه لم يكن هناك اى داع لوضع مادة أو نص بشأن الارض على الاطلاق اذا تم النظر الى التنازل على انه اعادة فتح . لا أحد فيما عدا يوهانس على مايبدو .

---

(٢٩٧) مصدر سابق . ص ٢٣ ، جرانفيل الى بارنج ، ١٠ مارس ١٨٨٤

(٢٩٨) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ، ٣٠/١ ، ص ٧٥٥ - ٧٥٦ ، من بارنج الى جرانفيل ، ٦ مارس ١٨٨٤ ص ٧٧٨ - ٧٨٣ ، من جرانفيل الى لبارنج ، ١٠ مارس ١٨٨٤ (تأكيدى) .

(٢٩٩) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣١/١ ، ص ١٥ ، هيويت الى بارنج ١٢ مارس ١٨٨٤ ، ص ٣٧ -٤٢ ، مذكرة بونسفوت ، ١٥ مارس ١٨٨٤ ، ص ٤٧ ، جرانفيل الى بارنج ، ١٨ مارس ١٨٨٤ .

ولحسن الحظ كان الشرط « السخيف » الخاص بحضور يوهانس الى مصوع للتفاوض قد تم اسقاطه . وقد ابلغ ألولا هيويت بحزم وبأدب ان الملك سوف يختار بنفسه مكان استقباله للبعثة (٣٠٠) . وفى السابع من ابريل غادر هيويت مصوع الى عدوة مع الحاكم المصرى لمصوع وامريكى يدعى ماسون . واجتمع ألولا معهم فى أسمرة ورافقهم الى عدوة . وجعلهم يوهانس ينتظرون هناك لمدة شهر ، ولكن كان لدى عالولا تعليمات للتباحث مع هيويت وعندما وصل الملك لم تستغرق المفاوضات سوى عدة ايام . وفى ٣ يونيو تم التوقيع نهائيا على الاتفاقية التى أنهت حرب ١٨٧٥ - ١٨٧٦ (٣٠١) .

وتتضمن اتفاقية هيويت المشار اليها سبعة بنود - واكثر ثلاثة بنود أهمية فيها كما وردت فى النص الانجليزى كانت كالتالى :

البند الاول :

منذ تاريخ التوقيع على هذه الاتفاقية سيكون هناك مرور حر عبر مصوع والى ومن اثيوبيا ، لجميع السلع ، بما فى ذلك السلاح والذخيرة ، تحت حماية بريطانية .

البند الثانى :

فى ويعد اليوم الاول من سبتمبر ١٨٨٤ ، وهو أيضا اليوم الثامن من شهر ما سكارام الاثيوبى لعام ١٨٧٧ ، سوف تعاد البلدة التى يطلق عليها اسم بوجوس الى جلالته ملك الملوك ، وعندم تغادر جنود فخامة الخديو حاميات كسلا ، فان أميديب وسانهت ، المبانى فى بلدة بوجوس التى تتبع فخامة الخديو الآن ، مع جميع المخازن وذخائر الحرب التى لاتزال فى نفس المبانى حينئذ ، سوف تسلم الى وتصبح من املاك جلالة نيجوسا نيجوست (ملك الملوك) .

البند الثالث :

ويتعهد جلالة نيجوسا نيجوست بتسهيل انسحاب قوات فخامة الخديو من كسلا ، أميديب وسانهيت عبر اثيوبيا الى مصوع .

وفى المادة الرابعة يتعهد الخديو بتسهيل التعيين القادم لأساقفة اثيوبيا . والمادة الخامسة خاصة بتبادل المجرمين بين اثيوبيا ومصر . والمادة السادسة خاصة بارجاع جميع الخلافات بين

---

(٣٠٠) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن . ٤٠٦/٤٠١ ص ٢٩ - ٣١ ، الولا الى هيويت ، ١ فبراير و١٢ فبراير ١٨٨٤ ، ص ٣١ ، رولف الى هيويت ، ١٢ فبراير ١٨٨٤ .

(٣٠١) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣١/١ ص ٢ -٤ ، هيويت الى جرانفيل ، ٩ يناير ١٨٨٤ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٦ ، الى الادميرالية ، نفس التاريخ ، الى الولا ، ص ٢٢٦ ، يوهانس الى هيويت ، ١ مايو ١٨٨٤ .

البلدين الى الحكومة البريطانية . والمادة السابعة خاصة بالتصديق على الاتفاقية . (٣٠٢) وباجراء مقارنة بين نص الاتفاقية وتعليمات هيويت يتكشف لنا أنه كان للأثيوبيين اليد العليا خلال المفاوضات . ولقد حظيت المسألتان الأكثر أهمية لأثيوبيا بالأولوية فى الاتفاقية فى حين كان تعهد يوهانس الخاص بالمساعدة على اجلاء الحاميات المصرية وكذلك الرجوع بالخلافات للحكومة البريطانية نزلت فى خانة الاولويات . والشىء الأكثر أهمية ، خاصة فى ضوء المناقشات حول التحفظ الخاص بالادعاءات القانونية للباب العالى ، هو التغييرات فى المادة الثانية ، ويبدو ان يوهانس لم يقتنع بعبارة « حرية الاحتلال » . وكان يرغب فى تأكيد حقيقتين وهما : أن أثيوبيا سلبت منها الارض ، وأن هناك التزاما على مصر باعادة هذه الارض ، ولقد تم مراعاة ذلك بدقة فى عبارة « سوف تعاد » . كما وان تغيير عبارة « مقاطعة بوجوس » الى عبارة البلدة المعروفة باسم بوجوس ، الترجمة الدقيقة للعبارة باللغة الاثيوبية » تشير الى مدى اتساع الارض التى دارت حولها المناقشة ، كما وأن اشتراط أن يتم تسليم المبانى والمخازن وذخائر الحرب المختلفة لتصبح من ممتلكات الملك لا ريب يؤكد بمزيد من الوضوح أن هيويت وماسون قد اضطرا الى التخلى تماما عن الادعاء القائل بأن جميع الترتيبات الاقليمية كانت اعادة فتح اثيوبى ولم ينظر الى مصر خلالها على انها قادرة على المقاومة .

وفيما يتعلق بامتداد بلدة بوجوس ، نجد أن النص الانجليزى يسمح بتفسيرين :

احدهما : انها تضم مقاطعات بوجوس ، مينسا ، حاباب ، ومنطقتى ماريا . . . الخ التى تدار ويتم حمايتها مباشرة من جانب كيرين سينهيت (٣٠٣) أو أنها تشمل كل الارض الواقعة على الحدود الشمالية الغربية لأثيوبيا والتى تحميها ثلاث حاميات هى كسلا ، أميديب وكيرين . ولم يكن من المحتمل ان يكون التفسير هو الأخير ، ولكن النص الامهرى يجعل هذا واضحا جدا حيث أشار الى أن المبانى والمخازن والذخائر فى المراكز الثلاثة - فى بوجوس أصبحت ممتلكات اثيوبية ، ومنذ ١٨٧٢ ، اصبحت بوجوس فى مركز الصراع ، كما كانت بوجوس تستخدم عادة كاسم شامل للمناطق المتنازع عليها بين مصوع وكسلا .

وقد اوضح يوهانس هذا بشكل واضح جدا حيث قال انه اعتزم احتلال كل شىء بقدر ما يمكن بما فى ذلك كسلا ، (٣٠٤) وقد يتساءل المرء ما أهمية المبانى هناك اذا لم يفعل ذلك .

---

(٣٠٢) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٢/٢/٩٣ ، معاهدة بين بريطانيا العظمى ، مصر واثيوبيا ، ٣ يونيو ، ١٨٨٤ ، نص انجليزى طبع فى ب ب كومونس ، ١٨٨٤ ، ص ١ ـ ٩ النص الأمهرى للمواد ١ ، ٢ نشر وتم تحليله فى مادتى « اتفاقية عدوة للسلام ١٨٨٤ » . اجراءات .

(٣٠٣) بدون شك هذا ما كان فى ذهن شريف باشا عندما كتب ان مصر استعدت للتخلى عن مقاطعات بوجوس « ككل » محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣٠/١ ، ص ١٣٣ .

(٣٠٤) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠١ / ٦ ص ٣٧ ، ٤٠ ، من هاستنجز الى الادميرالية ، ٢٩ مايو و٩ يناير ١٨٨٤ ، نقلا عن هويت ، ١٨ مايو و٣٠ مايو ١٨٨٤ على التوالى ، وفى وقت

وعلى الجانب الآخر ، لم يكن هناك تهديد لكسلا كما أن الاثيوبيين لم يدعوا بامتلاكها قبل بعثة هيويت ، ولذا فان التخلى عنها لأثيوبيا لا يمكن وصفه بأنه استعادة لها . وفى الوقت الذى كانت البعثة فيه فى اثيوبيا ، كان هناك قلق بالغ من ان كسلا قد تسقط فى ايدى المهديين ، ومن المحتمل ان يفسر هذا لماذا أدرجها هيويت ، الذى ذكر مع ذلك انه كان قد أبلغ يوهانس انه قد لا يستطيع اعطاءه كسلا . (٣٠٥) وبعد التوقع على الاتفاقية جرت محاولات لفصل مسألة كسلا عن مينهيت وأميديب مع كل الحدود ، وفى النهاية كانت المحصلة النهائية أن « كسلا واميديب وسينهيت دخلت فى اطار « بوجوس » ، وانه « يجب ان ننفذ ما جاء بالاتفاقية » . وفى اطار هذا الفهم تم التصديق على الاتفاقية . (٣٠٦)والمسألة الهامة الثانية لأثيوبيا كانت حرية العبور والمرور ، هذه المسألة أثيرت مع بنود أخرى فى الاتفاقية ، فى خطاب وجهه هيويت الى الملك يوم ٢٤ ابريل عندما كان فى طريقة الى عدوة . وكان تفهم هيويت للمرور الحر هو . . . خروج السلع ودخولها من والى اثيوبيا ، سواء كانت سلعا أو ذخائر ، بدون ضرائب عبر مصوع تحت حماية بريطانية ، وقد أشار ماسون الذى لم ير هذا الخطاب سلفا الى أن الاتفاقية بها اكثر مما جاء فى تعليمات هيويت وانه يجب ان تكون اثيوبيا راضية عن مرور الاسلحة ، التى ارسلت الى الملك ، بدون ضرائب ، والا ، سيكون من المستحيل الاحتفاظ بميناء مصوع . (٣٠٧) ومن الواضح ان هذه الحجة اقنعت هيويت ومن ثم فقد قرر أن يتناسى العرض الذى قدم الى يوهانس وفى تقريره الخاص بالمفاوضات ذكر فقط انه (فى الخطاب المشار اليه) اوضح البند الرابع من البنود بالتفاصيل التى كانت قد اقترحت لكى تدرج فى اتفاقية . . . » الا انه لم يضم نسخة من هذا الخطاب الهام رغم انه ضم نسخا من خطابات أقل أهمية . (٣٠٨) اذ بالنسبة ليوهانس ، فكلما كان هناك ذكر للقليل كان ذلك أفضل . ولم يكن متوقعا من هيويت ان يقدم تفسيرا للمرور الحر مع يوهانز للمرة الثانية .

ومن خلال تقديرات بعد النظر الى تقرير هيويت ، فان مسألة الضرائب فى مصوع قد اثيرت بشكل غير مباشر مع ذلك ، ولا ريب ان شخصا ما (ربما يكون ماسون) اقترح ان يتم اقتسام

البعثة كالابات كانت مرشحة لأن تكون تحت سيطرة المهديين ومن المحتمل ألا يكون الأمر قد تمت مناقشته على الاطلاق « محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣١ ، ص ٤٢٧ ، من ماسون الى ايجرتون ، ١٢ يوليو ١٨٨٤ .

(٣٠٥) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠١ / ٦ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ، من ، ٧ مايو ١٨٨٤ ، من جرانفيل الى ايجرتون ، ٣ يناير ١٨٨٤ ، محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ص ٢٦٤ ـ ٢٩٩ ، من هيويت الى جرانفيل ، ٩ يناير ١٨٨٤ .

(٣٠٦) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣١/١ ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٥ ، ايجرتون الى جرانفيل ، ٨ يوليو ١٨٨٤ ، ص ٣٨٠ ـ ٤٠٤ ، مذكرة رولف ومحاضر ٩ ـ ١٠ يوليو ١٨٨٤ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ، من جرانفيل الى سيدى ، ١١ يوليو ١٨٨٤ .

(٣٠٧) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٤٠٦/٤٠١ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ، من ماسون الى نوبار ، ٧ مايو ١٨٨٤ .

(٣٠٨) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ١ / ٣١ ص ٢٦٤ ـ ٩٩ ، من هيويت الى جرانفيل ، ٩ يناير ١٨٨٤ . المرفقات أشير اليها فى التقرير ، وكان هناك أيضا قائمة منها (ص ٢٣٥) ، لكن خطاب ٢٤ ابريل لم يكن به ولم يكن متاح منه نسخة واحدة .

الدخل ، بعد اقتطاع نفقات الميناء ، بالتساوى بين مصر واثيوبيا . وطبقا ليوهانس ، فان هيويت هو الذى اقترح هذا الترتيب الا انه تراجع عن ذلك لافتقاده التفويض عندما طلب منه ان يتضمن ذلك فى الاتفاقية ، وقال هيويت انه أشار للملك الى أن ليس هناك اى شىء اكثر ميزة من المرور الحر عبر مصوع ، اذ انه يستطيع ان يقيم مركز جمارك على حدوده ويفرض الضرائب التى يرغب فيها . (٣٠٩) ولم يكن حكام اثيوبيا سيفعلون ذلك فقط ولكنهم دائما ، كانوا يفعلونه . ولذا فان كل هذه المناقشة ليست ذات فائدة ، ما لم يحس الأثيوبيين بأن لهم نصيبا فى الضرائب التى تتجمع من السلع المستوردة عبر مصوع نفسها ، وقد طلب يوهانس بعض الاراضى على الشاطىء الا انه تم ابلاغه بأن هويت لم يكن مخولا لى منح هذه الاراضى وبالاضافة الى ذلك ، فان يوهانس لن يستفيد بالحصول على موانىء لنفسه . (٣١٠) وتكمن صلاحية اى أو كل من هذه الحجج تماما فى تفسيره عبارة المرور الحر التى قدمها هيويت قبل بدء المفاوضات . وكيف يستطيع المفاوض البريطانى ان يتراجع عن هذا ، أو حتى يسمح ليوهانس ان يشك فى انه بامكانه فعل لك ؟ فالنص الأمهرى للمادة الأولى تثبت ان ماسون لم يذكر فقط عرض هيويت بشكل صحيح ، ولكنها ذكرت أيضا ان يوهانس استفاد من عرض واضح وذى ميزة كبيرة بجعل مصوع ميناءً اثيوبيا :
« كل السلع المصدرة والمستوردة عبر مصوع ، سواء سلع تجارية ، أو مواد عسكرية معفاة من الضرائب ، تحت حماية بريطانية » .

وطبقا لهيويت ، فانه صاغ النص الانجليزى بنفسه ، وان الترجمة الى الامهرية تمت بمعرفة مترجم فورى اثيوبى للبعثة كان قد عينه سيدى فى القاهرة . ولا ريب ان سيدى قد ساعد فى الترجمة اذ انه كان مستشارا سياسيا لهيويت ، وكان كما تردد له المام جيد باللغة ، ولقد اظهرت التغييرات التى تمت فى اللحظات الأخيرة فى النص الانجليزى للنسخ النهائية نقطتين : أن كليهما إبديا اهتماما بالمطالب الأثيوبية عندما كتبا النص الامهرى وأن سكرتيرة يوهانس الانجليزية الخاصة ميرشاويركى وابن اخيه ميشيشا قد قارنا النص الانجليزى بالنص الامهرى . (٣١١)

ان هيويت كان ينوى أن يضع المرور الحر موضع التنفيذ فى اول اكتوبر .

وقبيل التوقيع مباشرة ، تغير هذا الى « من تاريخ التوقيع على هذه الاتفاقية » الذى يتمشى مع (٧ يونيو) طبقا للنص الأمهرى . (٣١٢) ولم يكن هناك أى مؤشر ، رغم ذلك ، على أن أى

---

(٣٠٩) مصدر سابق ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ ، هيويت ، ٩ يناير ١٨٨٤ ، محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٤/٩٥ ، رقم ١٧٣ ، من يوهانس الى فيكتوريا ، ٢٥ يناير ١٨٨٤ .

(٣١٠) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣١/١ ، ص ٢٧٩ ، هيويت ، ٩ يناير ١٨٨٤ .

(٣١١) مصدر سابق ٢٦٤ ـ ٩٩ ، هيويت ، ٩ يناير ١٨٨٤ ، ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ ، من هيويت الى يوهانس ميشيشا ويركى فى ٣ يناير ١٨٨٤ .

(٣١٢) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٢/٢/٩٣ ، محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن٣١/١ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ ، هيويت ، ٩ يناير ، ١٨٨٤ .

شخص أثار أن امكانية الحرية فى المرور الحر يمكن أن يعنى أى شىء أقل من الاعفاء من الضرائب .

وقد كشف خطاب يوهانس الى فيكتوريا بعد التوقيع على الاتفاقية عن عرفانه بالجميل بشأن التنازلات فيما يتعلق بمصوع ورغبته فى الاستمرار فى المفاوضات تحت اشراف الحكومة البريطانية . وما كان يريده ، فى النهاية ، هو الاعادة الكاملة للميناء الذى كان ملكا لاسلافه الى اثيوبيا وقد تم الاتفاق فى وزارة الخارجية البريطانية بلندن على « انه من الحكمة وضع يوهانز فى مزاج جيد عن طريق رد ودى . . . والاشارة الى أن صاحبة الجلالة لا يمكنها أن تفعل المزيد له فى الوقت « الراهن » وأن التنازل الخاص بالمرور الحر عبر مصوع تحت حماية بريطانية هوامر هام للغاية له الخ . . . (٣١٣) ومع وضع قيمة اتفاقية عدوة للسلام التى أبرمت ١٨٨٤ فى الاعتبار نجد أن الأمر كان نصرا دبلوماسيا لأثيوبيا بالمقارنة بالاتفاقيات العسكرية لجنديت وجورا .

ولقد أسفر الصبر والضغوط المستمرة فى النهاية عن التوصل الى نقاط تفاوض جيدة للغاية ، ولم يتم اهدار هذه الفرصة ، وهكذا استعادت اثيوبيا الاراضى الحدودية التى فقدتها ، واصبحت مصوع من الناحية العملية ميناءً اثيوبيا . وهكذا لن يكون هناك أى سوء معاملة أوحظر على التجارة ، ولا مزيد من الضرائب . وكان يوهانس بلا شك قد خاب أمله من أن ادعاءاته فى الشريط الساحلى بشكل عام . لم يتم الاعتراف بها فى الاتفاقية ، ولكن بما أن هذه المسألة مرت فى هدوء ولم يطلب منه الاعتراف بادعاءات مصر فكان ذلك يعنى ببساطة أن آفاق هذه المشكلة قد تم ترك حلها للمستقبل .

وكانت السلطات البريطانية / المصرية بالطبع مهتمة بالدرجة الأولى بتأمين الحاميات الخاصة بها . وقد قدم كل من يوهانس وألولا تعاونهما الكامل طبقا لنص المادة الثالثة من الاتفاقية . وعندما تم اكتشاف أن ميتيما وجيرا لم يسقطا فى أيدى المهديين ، قبل يوهانس التزامات اضافية ، وتم انقاذ هاتين الحاميتين معا مع أميديب وكيرين . (٣١٤)

أما بالنظر الى الالتزامات التى تم ادخالها عن طريق البريطانيين فان الموقف كان مختلفا تماما . لأن المصريين لم يكن لديهم الرغبة فى التخلى عن كسلا ، التى وقعت بشكل مفاجىء فى ايدى المهديين بسبب التأخير ، حيث لم يجلوا عنها ولم يقوموا بتسليم كيرين كما تم الاتفاق عليه ، رغم أنها كانت تقع فى وسط بوجوس . ومن وجهة نظر الحاكم العام الجديد لشاطىء البحر الأحمر ، كان الاعتراض المبدئى لمطلب الأثيوبيين بالذهاب الى كالابات هو . . . تغيير اهتمامهم

---

(٣١٣) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٤/٩٥ رقم ١٧٤ ، من يوهانز الى فيكتوريا ، ٢٥ يناير ١٨٨٤ ، مع محاضر ، محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٥/٩٥ ، رقم ٢٠٥ من فيكتوريا الى يوهانس فى ٦ سبتمبر ١٨٨٤ (تأكيدى) .

(٣١٤) محفوظات الخارجية البريطانية ٧٤٦/٩٥رقم ١٩٦ ، من يوهانس الى فيكتوريا ، ٢٨ أغسطس ١٨٨٥ ، رقم ١٩٨ ، من فيكتوريا الى يوهانز ، ٨ ديسمبر ١٨٨٥ ، انظر أيضا ايرل كرومر ، مصر الحديثة (لندن ، ١٩٠٨) العدد الثانى ، ص ٤٧ - ٤٩ .

عن سينهيت (كيرين) وكسلا . . . (٣١٥) واستمرت المضايقات حول مصوع على ما يبدو . . . اذ بعد يوم واحد فقط احتجز المصريون جرسا هناك كان قد أمر به الملك جون لكاتدرائيته « لمجرد المشاكسة والازعاج » . تحت زعم أن الضرائب لم تدفع عنه . (٣١٦) ، كما أنه تم احضار ديبيب اريا وهو ابن عم يوهانس - كما وأنه نفس الشخص الذى من أجله كانت عبارة تنص على تسليم الهاربين قد تم ادراجها فى الاتفاقية - تم احضاره من سواكن الى مصوع للمحاكمة وتم السماح له بالهرب . (٣١٧) وبمعنى آخر فان البنود الثلاثة التى كانت تهم اثيوبيا ، كان قد تم خرقها وانتهاكها من جانب المصريين خلال عدة أشهر قليلة .

وكانت هذه مجرد أمور صغيرة . ولكن من وراء الستار كانت اللطمة الكبرى لأثيوبيا قد تم الاعداد لها . ومنذ أن أصبح لبريطانيا اليد العليا على شئون مصر وكان يبدو أن الباب العالى غير مهتم بادارة ساحل البحر الأحمر ، كانت هناك امكانية حقيقية بأن يتحرك الاثيوبيون لملء الفراغ واستعادة جزء من الساحل . واذ ماسارت الامور من سيىء الى أسوأ ، فان مثل هذا الأمر كان يمكن قبوله فى حالة الموانىء الصغيرة ، على سبيل المثال ، عرافيلى فى الخليج زولا (٣١٨) وكانت المشكلة أمام بريطانيا هى ما يجب عمله بشأن مصوع . لذلك فى ٢٠ اكتوبر ، بعد التصديق على الاتفاقية بثلاثة شهور ، ناقش لورد جرانفيل سفير روما لدى لندن حول امكانية تدبير احتلال ايطالى لمصوع ، التى زعم انه لا يرغب فى تركها للبرابرة (يقصد الأثيوبيين) أوالى قوة منافسة (يقصد فرنسا) (٣١٩) . وتم الاتفاق حول هذا الموضوع بعد ذلك بثلاثة شهور ، ففى ٥ فبراير ١٨٨٥ نزل الايطاليون فى مصوع . (٣٢٠)

وفى ظل الاختيار بين البديلين المحتملين بمعنى اما تسليم مصوع الى ملك الحبشة أوترك الحكومة الايطالية للاستيلاء على المكان ، كان لابد أن تخسر اثيوبيا فى هذا الخيار . (٣٢١)

---

(٣١٥) محفوظات الخارجية البريطانية٨٢/٤٠٣ ،ص ١٨٠ ، من بارنج الى جرانفيل ، ٥ نوفمبر ١٨٨٤ ، محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٣٧٩٩/٧٨ ، من شيرمسيد الى نوبار ، ٢٧ ديسمبر ١٨٨٤ .

(٣١٦) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دارالمحفوظات العامة لندن ٣١/١ ص ٦٤٠ - ١ ، محضر جرانفيل ، ٨ سبتمبر ١٨٨٤ .

(٣١٧) دار الكتب القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ٧/٣ ، من ديبيب الى رشيد ، ٨٤/١٨٨٣ والى محمد توفيق ١٨٨٤/١٨٨٣ تاريخ هذه الخطابات هو١٨٧٦ . عندئذ كتبوا فى غضون عام بعد ١١ سبتمبر ١٨٨٣ . انظر أيضا محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ٧٤٨/٩٥ رقم ١٩٤ ، من يوهانز الى فيكتوريا ، ٨ مارس ١٨٧٧ .

(٣١٨) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٨٢/٤٠٣ ، ص ١٧١ ، مذكرة فيتز موريس ، ٢٨ اكتوبر ١٨٨٤ ، ص ١٧٦ ، من بارنج الى جرانفيل ، ٢ نوفمبر ١٨٨٤ ، ص ١٧٨ ، من جرانفيل الى بارنج ، ٤ نوفمبر ١٨٨٤ .

(٣١٩) جيجيلو ، اثيوبيا - العدد الثالث ص ٧٠ - ٧١ ، نيجرا الى مانسينى ، ٢٠ اكتوبر ١٨٨٤ .

(٣٢٠) قصة المفاوضات واحتلال مصوع معروف جيدا . انظر جيجيلو ، اثيوبيا ، العدد الاول ، ص ٣٣٥ - ٥٤ ، ٣٦٩ - ٣٨٣ ، والوثائق الوثيقة الصلة بالموضوع فى العدد الثالث .

(٣٢١) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٨٢/٤٠٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٧ ، من بارنج الى جرانفيل ، ٣ نوفمبر ١٨٨٤ .

ولا ريب ان صياغة الاختيار أمر مثير للاهتمام لتوضيح كيف يبدو أن يصبح من المستحيل بالنسبة لممثلى الامبريالية الاوروبية التفكير بشكل مستقيم وغير ملتو فى الشئون الافريقية ، فلقد تركت الفرصة لايطاليا لتسلم مصوع من البريطانيين ، لأنه لو أن بريطانيا كانت قد تخلت عنها ، لقام يوهانس « بالاستيلاء » عليها بدون مساندة دبلوماسية أو اى نوع آخر من أنواع المساعدة .

وقد أبدى الايطاليون فى الحال انهم لا يعتزمون التمسك بشروط اتفاقية هيويت . بل على العكس ، فانهم قدموا ليحلوا محل المصريين فى بوجوس وغيرها . وكان انزعاج يوهانس بالغا وعميقا لخيانة بريطانيا له بهذا الاسلوب .

وكان يوهانز قد اتفق على التعرض لعدواة المهديين على حدوده الغربية بوصفه حليفا لبريطانيا فى عملية دفاع لانقاذ اعدائه السابقين ، وهم المصريون . وكان قد أقدم على هذا من أجل الحصول على بعض التنازلات الهامة للغاية ، ولكن كنتيجة لعدم أمانة الدبلوماسية البريطانية ، ثبت له فى النهاية انه استبدل عدوا ضعيفا بعدوين قويين هما الدولة المهدية وايطاليا .

المصدر الرئيسى للقوة :

وكان الامبراطور يوهانس ابنا مطيعا للكنيسة الأرثوذكسية . وعندما وضع ختمه على هذه الكلمات « لقد هزم الصليب قبيلة اسماعيل واخضعها » (كتبت بعد معركة جورا) بمقتضى اتفاقية السلام ، فليس من المحتمل أنه فكر كثيرا فى كيف تمكنت اثيوبيا من هزيمة مصر .

كما انه من غير المعروف ما اذا كان قد وضع فى اعتباره كون أن أثيوبيا احتفظت باستقلالها فى الوقت الذى فقدت مصر استقلالها ـ هو أمر ذو بال . ومع ذلك نجد أن النصر الأثيوبى الذى أنقذ البلاد من الحكم المصرى الاسمى والحكم البريطانى الفعلى كان فى ظل الظروف السائدة أمرا غير عادى اكثر بكثير مما حققته اثيوبيا بانتصارها على الايطاليين فى عدوة عام ١٨٩٦ . واذا ما نظر المرء الى الصراع من وجهة النظر العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدبلوماسية ، فان يبدو أن اثيوبيا كانت فى موقف اسوأ بكثير من مصر .

ففيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والموارد المالية ، لم يكن هناك وجه للمقارنة بين البلدين ، فمصر كانت لعدة عقود المتلقى الرئيسى لرأس المال الأوروبى والتكنولوجيا المعروفة حينئذ . ولا يعنى ما قام به الممولون الاجانب لحكومة الخديوى بحيث تسببوا فى افلاسها بسرعة أن مصر كانت فقيرة فى مواردها . وبالنسبة لحكومة فى القرن التاسع عشر ، عملت على تراكم ما يقرب من ١٠٠ مليون جنيه استرلينى فى شكل ديون طوال ١٢ عاما فان مليونا آخرا بهدف الحفاظ على ممتلكات مصر فى افريقيا ، كما ارتأى اسماعيل ، لم يكن أمرا رادعا بكل تأكيد . (٣٢٢) وفى اثيوبيا مع عدم وجود مستوى زراعى ولا تجارة خارجية ، وعلاوة على ذلك ، ونتيجة للمعاناة من

---

(٣٢٢) أنظر مارلو ، العلاقات الانجليزية ـ المصرية ، ص ٩٠ ـ ٩١ . ملاحظة اسماعيل ، سلفا ، ص ٣٢٦ .

الحصار المفروض على جميع الموانى فان اثيوبيا لم تكن لتستطيع أن تعطى اى شىء يمكن مقارنته بما لدى مصر من موارد ، ان السرعة التى أطلقها يوهانس بعد جنديت وجورا تفاعلت مع مشكلة الموارد هذه ، ومن الناحية الدبلوماسية أيضا كانت اثيوبيا فى موقف سىء لا تحسد عليه . فاسماعيل كان لديه اتصالات مع ممثلى القوى الاوروبية ، فى حين منع يوهانس فى بعض الأوقات من مجرد الاتصال بهم . ولقد كان مئات الاوروبيين والامريكيين العاملين فى خدمة الحكومة المصرية يعملون بمثابة قنوات للتعريف بوجهات نظر مصر والعمل على قبولها .

ماذا كان وضع مسارزيك نائب القنصل الذى لم يكن قادرا على الاحتفاظ بوظيفته فى مصوع عندما طلب اسماعيل استدعاءه . (٣٢٣) وكيركهام السيرجنت السابق الذى تجاهلت حكومته مساندته والذى كان غير قادر على اخراج نفسه من الاحتجاز المصرى بالرغم من انه كان يحمل جواز سفر بريطانيا وكان يسافر على انه حامل حقيبة دبلوماسية ، (٣٢٤) بالمقارنة مع رجال مثل مونزنجر ، ولورنج ، وجوردون ، وهيويت ؟ ليس هناك شىء يوضح المزايا التى كانت مصر تتمتع بها أفضل من حقيقة ان القنصل العام البريطانى فى ذروة الصراع حول بوجوس قبل ما ذكر الحاكم المصرى مونزنجر (٣٢٥) واعتبره قولا غير متحيز .

وبكل المعايير الملموسة التى يتوقعها المرء عدا واحدة ، كانت اثيوبيا أضعف عسكريا من مصر . والاستثناء كان فى الأعداد فقط . وطبقا لما ذكره دى ، كان الجيش النظامى المصرى عام ١٨٧٥ يبلغ ٤٥ ألف رجل . (٣٢٦) نصفهم تقريبا كانوا فى ميدان المعركة ضد اثيوبيا ، أما محاربو اثيوبيا الفلاحون فكانوا من الناحية النظرية بعدد رجالها القادرين وقد اشترك منهم ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ الف رجل فى الحرب ضد مصر اذ كانت هناك حدود ، وبالطبع ، حول كيفية احضار العديد منهم

---

(٣٢٣) مراسلات سياسية ومراسلات للقناصل ، محفوظات الخارجية الفرنسية ، باريس ، مصوع ٤ ، ص ٢١ ـ ٢٣ ، من سارزيك الى ديكازيس ، ٣٠ سبتمبر ١٨٧٥ ، للمزيد أنظر دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٣٢٤) مصدر سابق ، ص ٣٠٠ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٣٢٥) مرافعات جلدى (ص ٤٦٦) عن فيفيان عندما تورط فى تحقيق محايد عندما فعل هذا والمؤلف ، علاوة على ذلك ، استنتج (ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣) ان القضية الثانية للهزيمة المصرية تكمن فى خيانة مبشرين معينين وعملاء بريطانيين وفرنسيين (الأول بسبب تفكك القيادة المصرية فى جورا) ، وبالنسبة لذلك ، ذكر بجانب سارزيك وكيركهام ، شخصين ، احدهما مرة أخرى كان تحت اسم هوجتون مع صديق اعماله أر . ايه بارلو ، فى النهاية ومبشر فرنسى ، اقرأ دو فلوس ، الخيانة الوحيدة المعروفة لهوجتون هى انهم ذكروا نتيجة معركة جنديت عند عودتهم الى انجلترا كان الوحيدون الذين كانوا بالمنطقة خلال حملة جورا هما كيركهام فى سجن بمصوع ، ودولفوس الذى لقى تقديرا كبيرا من الضباط المصريين لخدماته الاستخباراتية لصالح مصر . ان المعنى الحقيقى لهذا النوع من التاريخ الجغرافى هو أنه يعكس الاتجاه الذى كان سائدا وقت الصراع : فجميع الاوروبيين كان من المتوقع أن يكونوا فى خدمة المصالح المصرية ـ والا اعتبروا خونة ـ وبطبيعة الحال فان معظمهم قام فعلا بخدمة المصالح المصرية .

(٣٢٦) مصر الاسلامية ، ص ٥٦ - ٥٩ أنظر أيضا مراسلات سياسية ، مراسلات سياسية للقناصل أرشيف وزارة الخارجية ، باريس ، مصر ٥٥ ، رقم ٢٣١ - ٢٣٢ ، لأجل قائمة مفصلة من عام ١٨٧٤ ، بالاضافة الى ٦١١٩٦ رجل .

معا فى مكان محدد وفى أى وقت . وكانت كل المزايا فى جانب المصريين : حيث جنود مدربون منظمون فى وحدات نظامية ، فى مقابل جماعات من المحاربين ، بدون تدريب نسبيا وبدون تنظيم ، وضباط ذوى تدريب نظامى من كليات اركان حرب فى مصر مع مزيد من التعليم فى بريطانيا وفرنسا أو المانيا وضباط أجانب من الدانمارك (أريندروب) واستراليا (زيشى) ، يشورينش وموكيلن) وايطاليا (على حلمى وسورمانى) وسويسرا (دورهولز) وعلاوة على ذلك كان هناك رجال محنكين فى الحرب المدنية فى الولايات المتحدة (لورنج ، دى ، فيلد ، ديريك ، دينيسون . . . الخ) . (٣٢٧) فى مقابل رؤساء قبائل محاربين قاموا بتعليم انفسهم بأنفسهم ومعهم بنادق قديمة وقواعد صواريخ ومدافع فولاذية مع امدادات ذخيرة غير محدودة (٣٢٨) مقابل بنادق عتيقة ، وكمامات وذخيرة محلية الصنع .

وفى اطار التحسينات الفنية ، نجد أن الموقف فى اثيوبيا قد تغير بشكل ضئيل جدا فى عدة اعوام منذ ماكديللا . وكانت هدية نابير الى يوهانس عام ١٨٦٨ هى من ضمن اسلحته الأقل قيمة بينما كان السلاح خارج اثيوبيا قد تحسن كثيرا حوالى عام ١٨٧٠ .

وفى اطار جهود كيركهام التدريبية والتنظيمات التكتيكية ، نجد أن اثنى عشر مدفعا ، و ٧٢٥ قناعا ، و ١٣٠ بندقية ، قد لعبت ، رغم ذلك دورا هاما فى تغيير ميزان القوى فى اثيوبيا فى هذا الوقت . وبكل الاحتمالات ، رغم ذلك ، كانت الامدادات الكبيرة من الذخيرة والتى وصلت الى ٣٥٠ ألف طلقة للاسلحة الصغيرة ، هى التى صنعت الفرق . الا أن جهود كيركهام الخاصة كانت محدودة بالنسبة لعدد قليل من الجنود وفشل فى تجنيد العناصر الجيدة لاستمرار التدريب عندئذ ولقد ادى الحظر المصرى على الاسلحة ليس فقط الى منع تحديث الأسلحة ولكن أيضا الى عدم استكمال تدفق امدادات الذخيرة بانتظام (٣٢٩) . وكان مسحوق البارود المنتج فى اثيوبيا ، طبقا لقول أحد الزائرين عام ١٨٧٣ ، « خفيفا ورديئا ، ولكن ربما كان هذا من حسن الطالع لأن وضع شحنة من مسحوق البارود الانجليزى كان سوف يدمر معظم المدافع المحلية » . وفيما يتعلق بالطلقات ، فقد « كانت عبارة عن مجرد قطع من الصخور قطعت الى أشكال مخروطية ، لتشبه طلقات بنادقنا » (٣٣٠) .

وفى اوائل ١٨٧٥ ، علم آراكيل من أحد المسافرين الفرنسيين أن اسلحة الأثيوبيين كانت خطيرة لهؤلاء الذين يستخدمونها وبتفصيل دقيق فان ايطاليا فى جوندر كان يصنع قذائف للمدفعية من

---

(٣٢٧) لورنج ، جندى فيدرالى ، ص ٣٤٩ - ٦٤ ، دوين اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ٨٢٦ - ٨٣٣ ، الأسماء تشمل الذين اشتركوا فى حملات ضد اثيوبيا

(٣٢٨) احدى مشاكل راتب الكبرى خلال الجلاء كانت ما الذى يجب عمله أمام كل الذخائر التى فى قلاعه (دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٧٩)

(٣٢٩) مصدر سابق ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، دى كوزون يقدم توضيحا اضافيا جيدا لهذا (النيل الأزرق ، العدد ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨) عندما يقوم الماضى بابعاد ذخيرة اسلحته ، فان يوهانز أقنع أحد قادته بمبادلة بنادق بأخرى أحدث ، حيث ستكون اكثر نفعا له عن الأخرى .

(٣٣٠) دى كوزون ، النيل الأزرق ، العدد الاول ، ص ٢١٨ .

علب السردين (٣٣١) . وفى ظل هذه الظروف كان العدد الاجمالى للاسلحة النارية فى اثيوبيا لايمثل اهمية كبيرة (٣٣٢) . حتى تقدير فرانز هازن بأن يوهانز قد يجمع ٦ آلاف جندى مسلح ، كان تقديرا خاطئا من الناحية النوعية على الأقل . وبالتأكيد كان عدد الاسلحة سريعة الطلقات أقل بكثير من ٦٠٠٠ قطعة (٣٣٣) .

وهناك برهان آخر هو أن الأثيوبيين لايزالون ضعافا فى التجهيز والاعداد لخوض قتال بالمدافع ضد جيش حديث ، وهذا من السهل التوصل اليه عند النظر فى معركة جورا ، ويبدو أن المدفعية الأثيوبية كانت نشطة فقط فى اليوم الأخير من المعركة ولعدة دقائق فقط . وقال الميجور دور هولز الذى أسر أن ثلاث أو أربع قذائف قد أطلقت من مدفع طراز كانون تم الاستيلاء عليه يوم ٧ مارس (٣٣٤) . وقد لعبت نيران البنادق دورا الى حد ما ، خاصة فى المحاولات التى جرت للاستيلاء على القلعة فى اليوم الأخير . ولكن نصر ٧ مارس كان قد تم فى الحقيقة بطريق أثيوبى تقليدى : تهور ، قسوة ، هجوم بالسهام ، الرماح من على ظهور الخيل ، اذا كانت الخيول متاحة ، والا يتم الهجوم على الأقدام (٣٣٥) .

ولكى يكسب الأثيوبيون هذا النوع من المعارك ، فلابد أن المصريين كانت قيادتهم سيئة ولابد أن يكونوا قد ارتكبوا أخطاء فادحة ، ولابد أنهم كانت تنقصهم الشجاعة ، الا أن مثل هذه الأمور عوامل غير شائعة فى المعارك . ونتيجة التقليل من قدر قوة الأثيوبيين وهو أمر كان شائعا فى فترة ما بعد ما كديلا ، كتب آراكيل قبل معركة جونديت بتسعة اشهر ، . . . « بالنسبة للغازى الذى يريد السيطرة على اثيوبيا ، فان ما هو مطلوب لذلك هى خرائط جيدة ، وبعض الضباط الأذكياء وثلاثة أو أربعة آلاف من الرجال المسلحين جيدا (٣٣٦) . الخرائط والرجال (أربع أو خمس أضعاف

---

(٣٣١) دار الكتب القومية - القاهرة ، السودان وشرق افريقيا ، كازير ٣/٧٣/١٢٠ ، آراكيل الى باروت ، ١٢ فبراير ، ١٨٧٥ .

(٣٣٢) لتقديرات مختلفة ، أنظر باذكهورست ، تاريخ اقتصادى ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ ، لتحليل متاح للأهمية النسبية للأسلحة النارية طوال القرن التاسع عشر فى اثيوبيا ، ريتشاد كاوليك ، الاسلحة النارية والسلطة الأميرية فى أثيوبيا فى القرن التاسع عشر ، جى ايه اتش ، ١٢ ، ٤ (١٩٧٢) ص ٦٠٩ - ٣٠ .

(٣٣٣) دى ، مصر الاسلامية ، ص ٣٩٦ . ايه رافرى ، الذى زار يوهانز فى خيمته فى ديسمبر ١٨٧٣ ، ذكر (رحلة الى اثيوبيا ، زنجبار ، وأيام فى كونكا ، بى اس جى ، ٦ ، ١٠ (١٨٧٥) ص ٣٠٠) ٢٠٠٠ بندقية قديمة فى جيش قوامه ٤٠ ألف جندى .

(٣٣٤) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ بى ، ص ٩٤٧ ، ١٠١٢ . المدفع الذى تم الاستيلاء عليه فى جنديت ذكر انه دمر على أيدى رجال المدفعية السودانية الذين وقعوا فى الأسر عندما طلبوا الاشتراك فى الحملة (مصدر سابق ، ٣ ، بى ٣ ، ص ٩٠٢ ، رقم ٤) .

(٣٣٥) مصدر سابق ، ٣ ، ٣ بى ، ص ٩٢١ - ٩٥٠ ، مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، أرشيف الخارجية الفرنسية ، مصوع ٤ ، رقم ٥٦ - ٥٨ ، من كاربونيل الى ديكازيس ، ١٦ مارس ، ١٨٧٦ ، الرواية الأكثر درامية هى أن المصريين هزموا بمدافعهم ووجدوا بعد ذلك طريقهم نحو التاريخ الجغرافى الأثيوبى التقليدى (أفيورك ، مينيليك ، ص ٢٤) .

(٣٣٦) دار الكتب القومية ، القاهرة ، السودان وشرق افريقيا ، كازير ٣/٧٣/١٢٠ ، الى باروت ، ١٢ فبراير ، ١٨٧٥ .

العدد من المعتقد انه ضرورى) فقد تم الامداد بهم . واذا لم يتمكن الضباط بخبرتهم فى حروب الشرق الاوسط ، اوروبا ، المكسيك ، الولايات المتحدة ، أن يتصوروا ، وهم لم يتصوروا ، فان ذلك لم يكن بسبب انهم أساءوا تقدير حجم الاسلحة والتدريب أو العدد المحتمل للأثيوبيين .

ماراكيل ، على سبيل المثال ، لابد وأن ارتأى أن نسبة ١٠ : ١ أمر مقبول : . . . « فالعصابات الأثيوبية التى تم تجهيزها بكمية من الاسلحة النارية الرديئة وبالجراب والسهام والسيوف البسيطة التى اقترب حجمها من ٣٠ ألف »(٣٣٧) . وقد آثار سوء التقدير فى التقليل من قدرات الأثيوبيين أثار مسائل ملموسة بشكل كبير . وقد أرجع لورنج النصر الأثيوبى الى عاملين : يوهانس « أقدر وأعظم محارب افريقى مشهور فى العصر الحديث » ، و « الأثيوبيون رجال محاربون بالسون ذوو شجاعة مفرطة »(٣٣٨) .

وكان يمكن وصف هذا باعتباره مغالاة فى الوطنية ، اذا جاء من أثيوبى . وأسفرت معركة جونديت عن صلعة حقيقية : اذ كما كتب سارزيك كيف يمكن لقوة قوامها ألف رجل مسلحة ببنادق طراز ريمنجتون ويقودها ضباط اوروبيون ومعهم أربعة مدافع كانون أن تتهاوى . وتتخضع فى غضون ٢٠ دقيقة ، ولاتقتل من الأثيوبيين اكثر من ٣١ شخصا ولا تجرح اكثر من ٥٥ شخصا ؟ وتفسير سارزيك لذلك أن يوهانس قد استطاع التفوق على المصريين فى المناورة(٣٣٩) . ألم يكن هذا ما حدث فى ذات اليوم وحدث أيضا على نطاق أكثر اتساعا فى جورا بعد ذلك بأربعة أشهر ؟ أما فيما يتعلق بشجاعة الأثيوبيين ، فليس هناك شك فى أن شجاعتهم مغروسة فيهم هى أمر دائما ينظر اليه فى المجتمع الاثيوبى كقيمة كبرى ، ولكن هناك العديد من الأشخاص من ذوى الشجاعة قد خسروا معارك ، ان السبب الجوهرى وراء تفسير : لماذا قبل الشعب الأثيوبى التحدى المصرى وكسب معاركه يكمن فى طبيعة النضال . ويحكى لنا لورنج عندما شاهد الجيش المصرى الثانى واستمع الى الناجين من جونديت أعرب الرجال عن تذمرهم ، وشكا الضباط من أنهم أرسلوا فى حرب غير ضرورية اذ أن لدى مصر أراض كثيرة لا تستطيع زراعتها ورعايتها(٣٤٠) ، ولقد كان الأثيوبيون مقتنعين بأنهم يقاتلون من أجل اراضيهم ومنازلهم وعقيدتهم . ونتيجة الاحساس بأن هذا الهجوم كان غير عادل بصرف النظر عن جميع الأسباب ، فقد استمد الملك وشعبه القوة والتصميم(٣٤١) . فلم يخطئوا تقدير قوة الأتراك بأسلحتهم المروعة : « وبعيدا عن الرجال ، فان قذائف المدافع والصواريخ قد سوت الأشجار والجبال بالأرض بحيث لم يكن أمام أى رجل اثيوبى شىء يتكىء عليه أويختبىء خلفه(٣٤٢) . الا أنهم شعروا أنهم يجب أن يقاتلوا بالرغم من عدم عدالة كل هذا .

---

(٣٣٧) مصدر سابق ، الى تاميرى ، ٢ سبتمبر ١٨٧٥ .

(٣٣٨) لورنج ، جندى فيدرالى ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٣٣٩) مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، أرشيف الخارجية الفرنسية ، مصوع ٤ ، رقم ٣٩ - ٤٨ ، سارزيك ، الى ديكازيس ، ٢٤ ديسمبر ١٨٧٥ .

(٣٤٠) جندى فيدرالى ، ص ٣٤٦ .

(٣٤١) انظر ما سبق ، ص ٣٢١ .

(٣٤٢) المتحف البريطانى ، لندن ، اثيوبيا ، ٢٥٩ ، رقم ٢١ .

ولقد أسىء أساسا تقدير القوة السياسية لأثيوبيا ، فقبل الحرب وطوال سنوات مفاوضات السلام ، كان اتجاه المصريين والاوروبيين واحدا : وهو انه « اذا صممنا فان الأثيوبيين سوف يستسلمون » . تم تفسير الصبر على أنه ضعف والتنافس والتفكك كأنهما دعوة للسيطرة . وعلى مر الاعوام ومن خلال التقارير ، نشأت حقيقة وهى أن يوهانس وقف بمفرده تقريبا . وفى الشمال ، لم يكن هناك أى رئيس قبيلة ، بما فى ذلك رأس ارايا عم يوهانس الذى لم يجر اتصالات بالمصريين فى وقت أو آخر . ولقد تم تفسير كل اتصال مثل هذا على أنه عرض للانضمام الى المعسكر المصرى والعيش فى ظل الحكم المصرى .

وفى جنوب تيجرى ، كان التركيز والأسباب واضحة ، بشكل اكبر على قيام رؤساء القبائل الكبار بثورات ضد حكم يوهانس ، فالرؤوس (جمع رأس) فيلدى سيلازى من بيجيمدير ، وآدال من جوجام ، وهايلو من سيليوه ، وليج واديجاز ماتش ويبى (أيضا فى بيجيمدير ، وواج شمس ، تيفيرى وكيبيدى ، وامام اجميلى من ويلو ، وبالطبع الملك نيجوس مينيليك ، كانوا جميعا « يرغبون » التحالف مع المصريين(٣٤٣) .

وليس من الضرورى كما انه ليس ممكنا تقييم قيمة كل هذه الاتصالات : واذا ما كانت حقيقة أو مزيفة من جانب « الرسل » الذين كانوا يريدون ببساطة معاملة سخية من المصريين ، وفى المقام الاول ليس من السهل معرفة ما اذا كانت الاعلانات الخاصة بالصداقة والتأييد كانت مخلصة أم انه كان لها بواعث خفية ، الحقيقة هى أنه عشية معركة جونديت ، لم يجد المصريون ولو واحدا من أتباع الملك الكبار - يحاول أن يستغل الموقف بالهجوم عليه . وبطريقة مماثلة وطبقا لحسابات راتب على مدى اسبوعين أوثلاثة قبل أن تظهر معركة جورا احتشد ٢٢ (من الرؤوس) لاظهار التأييد للملك ، بينما عارضه ستة أو سبعة فقط ، فانه يمكن القول بأن هذه المجموعة الأخيرة من الرؤوس الستة أو السبعة فى الغالب قد تم اغراؤهم للانضمام الى الجانب المصرى(٣٤٤) . وكان ويلدى ميخائيل هو رئيس القبيلة الوحيد ذو الثقل الذى قام بالفعل بمعارضة يوهانس ، ففى عام ١٨٦٩ لعب مونتزنجر على طموحاته بأمل جعله عميلا فرنسيا فى شمال اثيوبيا . ونتيجة اتصالاته مع نابليون الثالث ، فان ويلدى ميخائيل قضى عدة أعوام مغضوبا عليه ، ومسجونا لفترة أو لأخرى(٣٤٥) . وفى جونديت قاتل لصالح اثيوبيا وتم تنصيبه حاكما لحماسين اعترافا بخدماته(٣٤٦) . ومن المستحيل التوصل الى الاسباب التى أدت به الى تغيير ولائه ومتى كان ذلك . وكان ويلدى ميخائيل يقوم

---

(٣٤٣) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٧١ ، ٣ب ، ٧٠٣ - ٧٠٤ ، ٧١٢ - ٧١٧ ، ٧٢٤ ، ٧٤٠ - ٧٤٢ ، ٧٦١ - ٧٦٢ ، ٧٧٠ - ٧٧١ ، ٨٨٤ - ٨٤٩ ، ٨٨٩ - ٨٩٩ ، ١٠٢٩ ، ١٠٤٥ ، ١٠٥٤ - ١٠٥٥ (لكنها من اكبر السنوات المحرجة ١٨٧٢ - ١٨٧٦) .

(٣٤٤) مصدر سابق ، ٣ ، ٢ب ص ٧٧١ - ٧٧٢ ، ٨٩٩ .

(٣٤٥) أنظر أعلى ، ص ٢٧٨ - ٢٩٤ .

(٣٤٦) المتحف البيلوجرافى ، اثيوبيا ٢٥٩٠ ، رقم ٢١ .

بابلاغ تحركات المصريين ليوهانس فى أواخر يناير ١٨٧٦ ، ولكن كان من المحتمل أن يكون ذلك يتم طبقا لتعليمات من المصريين الذين رغبوا اخراج يوهانس من تيجرى لملاقاتهم خارجها [٣٤٧] ، وفى اوائل الشهر التالى ، عندما عاد الى المعسكر المصرى بدلا من الاستماع الى استدعاءات الملك له ، يبدو أن من المحتمل انه توصل الى نتيجة مضمونها ان يوهانس سوف يهزم على أيدى الجيش الجديد وبالتالى فان الاراضى الواقعة شمال ميريب يمكن أن تستولى عليها اثيوبيا [٣٤٨] . ولم يكن هناك رئيس اثيوبى فى موقف أفضل ليلاحظ الضغوط الاوروبية/ المصرية على حدود اثيوبيا الشمالية وتزايد التدهور الذى يحدث فى الوقت الذى حول فيه المسلمون ولاءهم الى مصر ، والكاثوليك فى أكيلى جوز وبوجوس الى ممثلى اوروبا . وكان هناك فى هذه العملية عنصر تزايد الحكم الذاتى لاقاليم شمال اثيوبيا بالمقارنة بأيام ويلدى سيلاسى سيباجاديس ، بالرغم أنه من المشكوك فيه أن ويلدى ميخائيل كان على علم بهذه الدراما التى تورط فيها . ورغم ذلك فقد اعتبره معظم المراقبين شخصية ذكية وقوية [٣٤٩] . وعلى أى حال ، فقد ثبت أنه بالنسبة لمصيره فان الوقت لم يحن بعد . بالرغم من أن راتب ذكر أن ويلدى ميخائيل كان لديه اكثر من ٢٠٠٠ رجل عندما عبر الخط فان كلا من دى ولورنج شاهدا ٢٠٠ - ٣٠٠ فقط [٣٥٠] . وعندما طرد الحاكم السابق من سيراى وحماسين على أيدى آلولا بعد ذلك بسبعة أو ثمانية أشهر ، صحب معه فقط حوالى ١٥٠٠ رجل [٣٥١] .

وقد ظل ويلدى ميخائيل ، الذى كان مسلحا ومتمردا لا يمكن السيطرة عليه مصدر ، ازعاج وعقبة امام السلام لعدة اعوام . ولكن كانت قاعدته داخل الحدود المصرية كما أنه لم تكن له قيمة تذكر سوى محليا قبل أو بعد معركة جورا ، وكان مينيليك حاكم شيوا هو الحليف الذى مثل شيئا مختلفا تماما . حيث ادعى أحقيته فى العرش قبل تيكلى جيورجيس ويوهانس وبالتالى ، كان البديل الواضح للأخير ، ولما كانت قاعدته ومركزه فى شيوا بعيدا عن أية حدود مصرية ، فانه من المعقول التوقع بأنه قد يكون راغبا فى التخلى عن اراضى فى الشمال والغرب لتأمين العرش . ولقد كان المسلم به ، أن يكون مينيليك قد تآمر مع المصريين ليساعدوه ليكون ملكا ، لأنه كان الحليف الطبيعى للمصريين ، كما انه كان هناك توتر سائد بينه وبين يوهانس . ومرة أخرى ، بسبب التوتر بين تيجيرى وشيوا الذى ساد سياسات اثيوبيا منذ أن خلف مينيليك يوهانس ، على حساب نجل الأخير مينجيشا فان مسألة خيانة مينيليك المحتملة ، ظلت تذكر دائما ، وقد بدأ مسافرون اوروبيون بعد بدء الاحداث بعدة اعوام فى نشر أنباء عن مؤامرة بين اسماعيل (أو مونزنجر ومينيليك لمهاجمة يوهانس . وبعد ذلك بعقدين أو ثلاثة أى خلال الاعوام الأخيرة من حكم مينيليك ، أشار مؤلفون

---

(٣٤٧) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ٧٧٠ - ٧٧١ ، ٨٤٥ - ٨٤٩ ، ٨٧٦ - ٨٧٧ .

(٣٤٨) أنظر أعلى ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٣٤٩) لورنج ، جندى فيدرالى ، ص ٣٨٦ ، هيل ، جوردون ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ ، وينستانلى ، زائر ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣٥٠) دى ، مصر الاسلامية ، ص ٢٨٣ - ٤   نج ، جندى كونفدرالى ، ص ٣٨٦ .

(٣٥١) أنظر أعلى ، ص ٣٣٥

وكتاب اثيوبيون الى هذه المسألة ، فمثلا أفيورك نفى أن تكون اتصالات مينيليك مع مصر خيانة واحتفظ أسمى جيورجيس بان مينيليك أخذ زمام المبادرة لعقد اتفاق حول شن هجوم على يوهانس وأنه كان ينتظر فقط وصول بعثة مونزنجر عبر أوسا اليه [٣٥٢] .

ويعود تاريخ اتصالات مينيليك مع الحكومة المصرية الى أواخر عام ١٨٧٢ . ويبدو أن تتويج يوهانس شجع حاكم شيوا على اتخاذ بعض المبادرات الأجنبية الجديدة . والى جانب خطاب مطول الى الملكة فيكتوريا حيث ألمح الى انه سوف يبتهج (مثل يعقوب عندما وجد ابنه المفقود يوسف) اذا وصلت الى شيوا مرة أخرى بعثة مماثلة لتلك التى ارسلت الى ساهل سيلاسى فقد عمد مينيليك الى التقرب . ولاول مرة من الحكومة الالمانية والايطالية . وكان المبشرون البروتستانت والكاثوليك على ما يبدو ، هم القنوات التى تمت من خلالها الاتصالات : بهدف الحصول على مزيد من الاعتراف الدولى ، وفرص تجارية والعمالة المدربة . وكان رسول مينيليك الى روما كاثوليكى اثيوبى ذو شخصية مثيرة للتساؤل ، عرف باسم أبو ميخائيل [٣٥٣] . وفى طريق عودته من روما فى نوفمبر - ديسمبر ١٨٧٢ قام هو أو اتصلت به الحكومة المصرية . وقد تردد أنه أبلغ الحكومة المصرية أن مينيليك منزعج بسبب فتوحات يوهانس (ولم تكن هناك آنذاك أية فتوحات بعد) . ولم يكن هناك اى دليل على أنه كان لديه تعليمات للاتصال بالحكومة المصرية كما أن ادعاءاته بوجود تطلعات مصرية ازاء اثيوبيا بدت كما لو كانت صدى سائداً بين مبشرين كاثوليك ذوى نفوذ يرغبون فى انقاذ بعثتهم فى شمال اثيوبيا . وفى نفس الوقت ورغم ذلك ، ارسل مينيليك طلبه الخاص - « بكتب علمية » من خلال ابو بكر من زيلا وهكذا تمت الاتصالات [٣٥٤] .

وكان ملك شيوا فى هذا الوقت مهتما بصفة اساسية وبالدرجة الاولى بفتح بلاده امام التكنولوجيا والتجارة الاوروبية ، وقد ظهر ذلك من خلال قيام مزيد من الاتصال عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤ ، وفى رد على فيكتور عما نويل يوم ٥ يونيو ١٨٧٣ ، وعد بأنه سوف يحمى الرجال

---

(٣٥٢) انظر ريتشارد كوليك ، مينيليك والحرب الاثيوبية - المصرية ١٨٧٥ - ٧٦ ، اعادة النظر فى مصدر المادة ، افريقيا الريفية ، ٢ - ١٩٧٠ ، لاعادة النظر فى هذه المصادر وموقع البحث بشكل عام حول هذه المسألة ، وقد فعلت منذ ذلك الوقت المزيد حول المواد الوثائقية ويعتقد أن الأمر سيكون ذا أهمية كافية للتعهد بشرح جديد يقوم أساسا على دليل وثائقى ، بدلا من حسابات مسافرين كان بعضهم ردىء السمعة حول تورطهم فى قصص ومؤامرات .

(٣٥٣) محفوظات وزارة الخارجية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٣١/٩٥ ، رقم ١٤٠ ، مينيليك الى فيكتوريا ، ٣١ مايو ١٨٧٢ ، أنظر جيجليو - اثيوبيا - البحر الاحمر ، العدد الاول ، ص ٦١ - ٦٢ (ملاحظات ص ٧٧ - ٧٨) العدد الثانى ، ص ١٦ - ١٧ ، لظروف بعثة أبو ميخائيل ومراجع الوثائق ، لاحظ ، رغم ذلك ، أن التاريخ الصحيح للخطابات التى وجهت الى روما هو ٢٠ يونيو وليس يناير الخطابات الثلاثة التى كانت من مينيليك نفسه ترجمت الى الفرنسية والالمانية والايطالية بوساطة المبشرين قبل ارسالها ، كما انها ختمت بختم جديد صنع فى اوروبا .

(٣٥٤) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٢ ، ص ٣٦٣ ، انظر ما سبق ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣٠٣ . خطاب مينيليك لم يصل لاسماعيل (مذكرات ووثائق ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣١٥ عدد ٣١٦ ، من اسماعيل الى مينيليك ، ٢٤ فبراير ١٨٧٣) معظمها محتمل لأن أبو بكر كان يرغب فى كتابة الرسالة بطريقته ، وممكن ، أيضا ، أن تكون هناك رسالة شفوية معه .

الساهرين والتجار ، الذين سوف يحضرون من ايطاليا [٣٥٥] . وقبل ذلك بثلاثة أشهر رد على خطاب من التاجر الفرنسي بيير أرنو في مصوع ، والذي تأثر على ما يبدو بصموئيل جيورجيس ، حيث قرر أن يجرب حظه في شيوا بدلا من مصوع . وقد وعد أرنو بتوريد اسلحة عبر أوبوك وأعرب منيليك عن رضائه بذلك [٣٥٦] . وقد كتب ملك شيوا أيضا الى سارزيك (٣١يناير ١٨٧٤) طالبا منه المساعدة في اقامة اتصال وصداقة مع كل القوى الأوروبية ووعد بحماية كل التجار والحرفيين الذين يعملون ومعهم خطاب من نائب القنصل .

ولقد كان الوسيط الذى قام بهذا الاتصال هو امين السر ومبعوث يوهانس اليكابيرو ويلدى جيورجيس [٣٥٧] . ويبدو أن صموئيل لم يكن على وفاق تام مع يوهانس ، كما أن مونزنجر وضعه لبعض الوقت تحت المراقبة في مصوع بسبب اتصالاته مع الاجانب التى اكتشف الحاكم أنها ضارة بالمصالح المصرية [٣٥٨] . وقد دلل بيرو على أنه لايمكن الوثوق به الى حد ما فيما يتعلق بتجنيد مجموعة من الأجانب في مصر لصالح يوهانس بما فيهم التاجر أرنو على مايبدو ، والذى أعلن ان بيرو قبل أموالا من المصريين لاشعال البغة وهو ما حدث فعلا ، وكان بيرو لايزال في خدمة يوهانز في سبتمبر ١٨٧٢ ، الا أن الملك اكتشف في النهاية مؤامراته وهكذا اضطر بيرو الى السعى للبحث عن سيد آخر [٣٥٩] .

ولم يكن هناك أدنى شك من أن بيرو كان وراءه ليس فقط الخطاب الموجه الى سارزيك في ٣١ يناير ١٨٧٤ ولكنه كان أيضا وراء خطاب لاسماعيل المؤرخ بعد ذلك بيومين . ومرة أخرى فان ما طلبه منيليك كان « أشخاص موثوق بهم لديهم معرفة بالفنون والحرف المختلفة .

وكان اركيل يشعر أن هذا هو الخطاب الذى قد يرد عليه « اسماعيل بشكل عام بحيث اذا حدث ان تم تسليمه بطريق الخطأ الى يوهانس . فلن تحدث أى خسارة [٣٦٠] ، وبينما لم يصل رد اسماعيل على هذا الخطاب الذى جاء من منيليك الى الأخير ، فان رده على الرسالة التى وردت

---

(٣٥٥) المعهد الايطالى للدراسات الافريقية ، روما ، رقم ٧٣٢٣ . هذا يبدو أنه الخطاب الأصلى لمنيليك . وكتب في عمودين ، بالايطالية والأمهرية وختم بنفس الختم الذى ختمت به الخطابات ١٨٧٢ .

(٣٥٦) مذكرات ووثائق ، أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣٣٧ ، العدد ٣٣٣ أر . من منيليك الى أرنو ، ٣ مارس ١٨٧٣ - الـ لويس لاندى « رحلة فرنسية في اثيوبيا» نظرة على عالمين ٣٠(١٨٧٨) ص ٨٧٧ -٩٠٣ .

(٣٥٧) هيريو نشر هذا الخطاب في كتابه « طارق » ، ص ٧١ . بيرو ظهر على أنه رئيس ميما كيرت جيورجيس (انظر اعلى ص ٢٨٠ -رقم ٤٩٢) .

(٣٥٨) مراسلات سياسية (بروكسل) ارشيف الخارجية والتجارة الخارجية ، بروكسل ، مصر ٥٥ ، رقم ٢٨٦ - ٣١٩ ، سارزيك الى ديكازيس ، ٢٠ ابريل ، ١٨٧٤ ، ايضا انظر أعلى ص ٢٩٤ ، رقم ٢٣ .

(٣٥٩) مذكرات ووثائق ، ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ، ٦٢ ، رقم ٣٣٦ ، تقرير ارنو ، أنظر أعلى ايضا ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣٦٠) انظر ماسبق ، ص ٣١٢

عن طريق ابوبكر وصل في النهاية الى منيليك . ويبدو الخطاب الذى كان مصحوبا بهدايا صغيرة وديا للغاية مع تأكيد قوى جدا ، رغم ذلك ، حول واجب منيليك بالحفاظ على علاقات حسن الجوار .

وكان هذا أمرا سابقا لأوانه الى حد ما وذلك قبل نقل زيلا وفتح هرارى باكثر من عامين . ولم يكن هناك اشارة ولوضئيلة عن قيام أى تحالف ضد يوهانس أو عن امكانية شن حرب ضده [٣٦١] .

وقد كتب منيليك باستلامه هذا الخطاب فقط في ابريل ١٨٧٥ ، معبرا عن رضائه الكبير عن عبارات اسماعيل بأنهما جيران ويجب أن يعيشا في جو من الصداقة . وفي الحقيقة استخدم منيليك وصفا دقيقا بأن بلاديهما مصر والحبشة ، لهما حدود مشتركة . مضيفا بقوله « انى ارسلت راس بيرو الذى أثق فيه وأحبه الى مونزنجر باشا للتوصل الى اتفاق باسمى حول هذه المسألة ، لذلك فان الاعمال العدائية لن تندلع بيننا وبالتالى فلن يعانى الفقراء من شعوبنا [٣٦٢] . وكان منيليك يعرف بالطبع أنشطة المصريين على طوال الساحل كما كان على علم بحملة أراكيل في سهول الملح بالداخل والتى تمت في فبراير - مارس ١٨٧٥ [٣٦٣] ، وقد كانت لديه كل الاسباب التى تجعله يسعى الى ابرام اتفاق مع مصر حول الحدود وحول شروط التجارة ، واستيراد الاسلحة ، وكان وجه الخلاف بينه وبين يوهانس هو أنه لم يتعرض الى هجمات عسكرية مباشرة وأنه آمن فيما أظهره اسماعيل من صداقة ... وبطبيعة الحال ، لا يمكن استبعاد امكانية وجود تعليمات شفوية ، ولكن لم يكن هناك دليل على أن منيليك عند هذا الحد قد تورط في مؤامرة لاحضار قوات مصرية لمساعدته في القتال ضد يوهانس [٣٦٤] . على الجانب الآخر ، هناك حقيقة هى أن منيليك تفادى هجوما وشيك الوقوع من جانب جيش يوهانس لأن الأخير اكتشف أن التقدم نحو الشمال هو الأمر الاكثر اهمية لتوخى الحذر من حدوث المزيد من التسلل المصرى [٣٦٥] .

وعندما غادر يوهانس ويللو ، كتب منيليك مرة أخرى الى اسماعيل . بالرغم من أنه قام بتوسيع تفويض بيرو لابرام اتفاقيات باسمه في كل المسائل كما لو كان هو شخصيا موجودا فليس هناك أى اشارة الى أن منيليك كان يسعى الى قيام تعاون عسكرى مع مصر للاطاحة بيوهانس ، بل على العكس كانت أولوية منيليك مختلفة جدا ، فقد طلب من اسماعيل اصدار أمر الى البطريرك

---

(٣٦١) مذكرات ووثائق ، ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣١٥ ، العدد ٣١٦ أر ، من اسماعيل الى منيليك ، ٢٤ فبراير ١٨٧٣ ، طبقا لأرنو (رقم ٣١٥ آر . الى فا افرى ، ٨ أغسطس ١٨٧٨) منيليك اعطاه أصل الخطابين من اسماعيل التى وصله ... الخ ، احداهما أشار مباشرة وخطاب ديسمبر ١٨٧٥ .

(٣٦٢) دار الكتب القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ١/٢/٥ ، من منيليك الى اسماعيل ، اول ابريل ١٨٧٥ (تأكيدى) .

(٣٦٣) انظر ما سبق ، ص ٣١٣ .

(٣٦٤) سى اف اتش جى ماركوس ، منيليك الثانى ، فى ان آر . رينيت ، قيادة في شرق افريقيا ، ٦ سير ذاتية سياسية شخصية ، (بوسطن ، ١٩٦٨) ص ١٣ - ١٤ ، الامبريالية والتوسع في اثيوبيا من ١٨٦٥ - ١٩٠٠ ، في بى . دوجنان وال . جانن ، الاستعمار في افريقيا (كامبريدج ، ١٩٦٩) العدد الاول ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٣٦٥) مصدر سابق ، ص ٣٠٩ - ٣١٣ .

لارسال أسقف له الى شيوا وانه اذا تلقى ردا ايجابيا على هذا الطلب مع بيرو ، فانه كان سيبحث مسألة ترتيبات السفر ، وعندما يتم تسوية جميع هذه المسائل ، كان سيرسل أشخاصا لمرافقة الأسقف الى شيوا . وسواء كان مينيليك قد أخذ هذه المبادرة لدعم استقلال شيوا والحفاظ عليه او بهدف احتمال تحدى يوهانز فى شمال اثيوبيا ، فانه ذلك يشير الى خطة طويلة المدى تختلف جدا عن طعن يوهانس من الخلف بعد أن أقنع المصريين بمهاجمته فى الشمال .

وفى الواقع ، تشير كل الدلائل المتاحة ، الى أن القاهرة وليست ليتش أو ويريبللو وهما مقرا اقامة مينيليك الرئيسيين فى هذه الاعوام هى المكان الذى جرت فيه المؤامرة ، والسبب فى ذلك لأنه اولا ، لم يكن من المحتمل أن خطة واسعة النطاق تشمل جوردون فى وسط افريقيا ، وماكيلوب على ساحل بنادير ، ورزوف فى هرار وأريندروب فى حماسين ، يمكن أن تتم على أساس الاتصالات الشفوية لبيرو فى القاهرة ، مهما قال ، بل انه من المحتمل بشكل كبير على الأقل أن فكرة استخدام مينيليك ضد يوهانس ظهرت أثناء عملية هذا التخطيط .

وثانيا : فان ظهور خطة جبهة مشتركة ضد يوهانس تمت فقط من خلال اتصالات اسماعيل اعتبارا من يوليو ١٨٧٥ بل وقد تمت بداية من خلال اتصالات شفوية . وكان مونزنجر اول من تلقى تعليمات لاقامة محافظة فى تاجورا وفتح طريق مأمون يؤدى الى شيوا كما طلب مينيليك ، وقد تم اعطاء بيرو خطابا يحمل وعدا لمينيليك بأن أسقفا سيتم ارساله اليه ، كما انه بناء على طلب شفوى من بيرو فسوف يتم ارسال ٥٠٠ بندقية ، ومدفع واحد وكمية من الذخيرة للحفاظ على السلام والأمن على طول طرق التجارة الى زيلا وتاجورا . وقد غادر مونزنجر وبيرو القاهرة معا فى نهاية يوليو ١٨٧٥ . وبعد ذلك بعشرة أيام ، صدرت تعليمات الى مونزنجر بتأجيل رحيله من مصوع على ان يقوم بارسال بيرو ويوصيه بابلاغ الملك مينيليك بمهاجمة يوهانس دون أدنى تأخير (٣٦٧) .

وقد أثار اسماعيل هذه المسألة مرة أخرى يوم ٢٠ أغسطس قائلا حيث أنه ليس لنا مصلحة فى القتال مع الأثيوبيين لذا فليس لدينا اعتراض على أن تتخذ خطوات ضرورية ، لدفع مينيليك ، ملك شيوا ، لمهاجمة كاسا (يوهانس) . . . يجب أن توظف كل جهدك للتحريض على نشوب صراع بين الطرفين لكى يهاجم كل منهما الآخر . وبعد ذلك باسبوع ، طرح اسماعيل ولاول مرة فكرة مهاجمة يوهانز ومعها عروض الخدمة التى تقدم ، والتى احدثها مينيليك ، موصيا فى نفس البرقية أن على المرء أن يسعى لكى يعتقد أن المصريين على وشك تحريض مينيليك ضده وعند هذه النقطة صدرت تعليمات الى مونزنجر بترك مسألتى كيرين ومصوع لنائبه وأن يواصل رحلته الى تاجورا وأوسا . وكان عليه أن يقدر ما اذا كان يجب عليه الذهاب الى شيوا أو أن يتفاوض بشأن اتفاقية تجارية مع مينيليك من خلال بيرو . الذى كان قد سافر على مهل الى درجة أنه اتفق مرة ثانية مع الحاكم . وكان مشروع الاتفاقية كله فى صالح مصر ، ولكن كان هناك شىء هام ، فى ظل

---

(٣٦٦) دار الكتب القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ٢/٢/٥ ، مينيليك الى اسماعيل ، ٢٢ مايو ١٨٧٥ .

(٣٦٧) دار الكتب القومية ، القاهرة ، مسجل ٢ ، أوامر مفاجئة ، من اسماعيل الى مينيليك ، ٢٦ يوليو ١٨٧٥ ، دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ بى ، ص ٧٢١ - ٧٢٦ .

الظروف ، كشف عن تنازل : بالرغم من أن الخديو لم يقبل لصالح الأمن العام ، منع استيراد الأسلحة على طول ساحل افريقيا ، الا انه منح مينيليك جميع التسهيلات التى لم تتعارض بشكل كبير مع هذا الهدف . وبمعنى آخر ، فان مينيليك كان يمكنه تلقى بعض الأسلحة اذا استخدمها فى حرب أهلية ضد يوهانس ، **بهدف افساح الطريق امام ضم اثيوبيا الى مصر . وانه كان يمكنه ان يحصل على الأسقف المطلوب ، أيضا ، على شريطة أن يكون معلوما أن مصر اعترفت بمينيليك وحكومته** (٣٦٨) .

وبعد الهجوم على مونزنجر فى أوسا وهو الهجوم الذى قتل فيه بيرو بدأ اسماعيل جهوده مرة ثانية . . وفى خطاب الى مينيليك اشار اسماعيل الى ما حدث من كوارث فى أوسا وجونديت ، واتهم يوهانس ببدء العدوان . واستمر فى القول بأنه شكل جيشا قوامة ١٥ ألف رجل للانتقام لما حدث فى جونديت وسوف يزيد هذا العدد الى ٢٠ - ٢٥ ألف رجل اذا كان ذلك ضروريا واستطرد قائلا ، إنه بعد هزيمة يوهانس فانه يعتزم فرض شروط قاسية للسلام على اثيوبيا ، ولكنه لايعتزم السيطرة عليها ولا حتى بوصة واحدة من أراضيها . وأن اثيوبيا لاتمثل اغراء بالنسبة له لأنه قانع بما فى حوزته من أراض . وفى النهاية ، أعلن أنه سيكون سعيدا للغاية اذا توجه مينيليك الى عدوة وثبت أقدامه هناك ، لكى يستطيعا توقيع اتفاقية السلام هذه فيما بينهما (٣٦٩) .

وقد وصل هذا الخطاب الى ليتش يوم ١٣ يناير ١٨٧٦ ولابد أنه كان بين يدى مينيليك فى ويللو بعد ذلك باسبوعين . وكانت أنباء حول الفتوحات المصرية وسقوط هرارى قد وصلت فى أواخر نوفمبر ، وفى الوقت الذى تسلم فيه مينيليك خطاب اسماعيل . لابد وانه كان قد أخذ علما بهزائم المصريين فى جونديت وأوسا . وطبقا لإرنو الذى كان فى شيوا فى الوقت نفسه واستقبل رسلا من مينيليك فى نهاية يناير ، فان جيش شاوا احتفل بانتصار يوهانس على المصريين لمدة ٣ أيام (٣٧٠) .

اذا كان قلب وعواطف مينيليك الى جانب المصريين ، فانه كان حذرا بالا يكشف عن ذلك . وعندما وقعت هزيمة المصريين أرسل تهانئه الى يوهانس مصحوبا بقوة من الفرسان لمساعدته فى الاستمرار فى الحرب (٣٧١) ، أما بالنسبه لاسماعيل فلم يرسل اليه شيئا ذاك الوقت ، بالرغم من

---

(٣٦٨) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ ب ، ص ٧٣١ - ٧٣٦ (تأكيدى) .

(٣٦٩) دار الكتب القومية ، مصر ، مسجل ١٠ ، أوامر مفاجئة ، ص ٣٠ ، من اسماعيل الى مينيليك ، ٦ ديسمبر ، ١٨٧٥ . الخطاب أعيد صياغته بتجاهل فى دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ٨٢١ - ٨٢٤ ، وفى مذكرات ووثائق أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣١٦ - ٣١٧ . انظر ما سبق ايضا ، ص ٣٢٥ .

(٣٧٠) مذكرات ووثائق أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣٧٢ - ٣٧٧ . هذا الجزء من تقرير ارنو يبدو أنه يقوم على اليوميات التى أضاف اليها المؤلف المعلومة الأخيرة . النصر المعلن والذى احتفل به كان فى جونديت ، ولكن النصر الموصوف كان مستمدا فى كثير من الأحيان أستعير من جورا : حجم الجيش المصرى وتواجد وأسر الأمير حسن . . . الخ

(٣٧١) انظر ما سبق ، ص ٣٢٥ .

طلب الخديوى ردا عاجلا . وفى آخر محاولة يائسة لدفع مينيليك الى التورط لصالح الجانب المصرى قبل معركة جورا ، أصدر اسماعيل تعليمات الى راتب (١٢فبراير ١٨٧٦) بالاتصال بمينيليك فى عدوة (!) أوجوندر ليبلغه بالرسالة التالية :

« مليكنا . . . أمرنا بالاعتراف بك كملك لاثيوبيا . . لقد علمنا أنك قدمت الى عدوة . اذا كنت قد حضرت الى هذه المدينة لقتالنا بمقتضى اتفاق مع يوهانس ، فدعنا نعرف الحقيقة لكى نخبر ملكنا النبيل الخديوى الذى سوف يقوم بتعيين الشخص الذى سنعترف به كملك لاثيوبيا ويصدر أمرا بذلك (٣٧٢) .

ومن المستحيل اثبات ما اذا كانت هذه الرسالة وصلت الى مينيليك قبل عودته الى شيوا فى نهاية مايو ١٨٧٦ . وعلى كل فهى أمر غير هام نسبيا أيضا حيث أن عرض عرش أثيوبيا كان متضمنا بوضوح فى خطاب اسماعيل فى ديسمبر ١٨٧٥ . وبالنسبة لذلك رد مينيليك فى النهاية فى يونيو ١٨٧٦ ، شاكرا اسماعيل على الهدايا التى بعث بها مع ابراهيم ابو بكر عام ١٨٧٣ وقدم ارنو على انه موفده الجديد الذى خول له مواصلة المفاوضات لابرام اتفاقية تجارية وأخرى خاصة بالصداقة واللتين عهد بهما الى بيرو فى وقت سابق .

وأكد أنه يؤيد بشدة مثل هذه الاتفاقيات مع جيرانه وأيضا القوى الاوروبية منذ ان قرر ادخال الحضارة ، والتكنولوجيا والتجارة لبلاده واعتزم فتح طريق آمن بطول البحر . وعندئذ استمر فى لهجة واضحة لا تحتمل أى شك :

« ويبدو لى نية حكومتك هى اغلاق الباب أمام ما أقوم به ، ولقد هاجم جنودك الذين جاءوا لمقاتلة جيرانى تيجرى فى جنوب اثيوبيا . ولم يتوقفوا حتى الآن وبعضهم كما عرف منهم استولى على تاجورا وأوسا ومناطق الملح . أما آدال وهاريرجى اللتان كانتا يتم حكمهما بوساطة شيوا وجالا اللتين سقطتا فى أيدى جنودك . اليوم فان الجيش قريب منا . انهم أخبرونا بأن جيشا ثالثا يواصل سيره فى اتجاه النيل الأبيض وشوهد فى بلدة جالا ، وانتشرت شائعات بأن الجيش الذى جاء عن طريق زيلا وهاريرجى كان سوف يلتقى مع الجيش الأعلى فى جوراجى . هذا ليس سرا ، وجوراجى هى بلدى . والآن ما الذى تقوله بهذا الشأن ؟ انه لايبدو لى أن نشاط جنودك وما ورد فى خطابك لا يتمشى مع ما تفصح به عن الصداقة أوعن الحب ، فالاثنان متناقضان . هذا أمر مروع للغاية . اننى حزين للغاية لهذا . والآن لقد منعوا كل شىء من الوصول الى موانىء البحر الاحمر والمحيط الهندى فيما عدا الملابس ، ولقد تم عن عمد منع وصول البنادق ، والذخيرة وكل انواع الاسلحة التى قد نستخدمها من أجل الدفاع عن أنفسنا . ولقد حاصرت الجيوش المصرية كل البلد وبعد قليل سوف يقومون بغزو أرضى المسماة حواش . واذا حدث هذا ، فان كل ما كنت أخشاه سوف يصبح حقيقة . . . (٣٧٣) .

---

(٣٧٢) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ٨٩٨ (تأكيد منى) .

(٣٧٣) دار الكتب القومية ، القاهرة ، السودان ، كارتون ٧/٢/٥ ، الأصل الأمهرى ، هذا الخطاب مؤرخ بتاريخ ٦ يونيو ١٨٧٦ ، ولكن كتب تقريبا فى ١٠ يونيو ، تاريخ الترجمة الفرنسية . وفى حسابه الخاص بالمجالس

وبالرغم من أن ارنو كان قد تورط بشكل نشط وأكد دوره الخاص فى اعداد هذا الخطاب الى اسماعيل وايضا عدد من وثائق أخرى بينها خطابات الى حاكم عدن ورئيس فرنسا وملك ايطاليا والبابا ، فلم يكن هناك أدنى شك فى أن مينيليك ومستشاريه الأثيوبيين الرئيسيين أزاز ويلدى صادق وأنودارجى ، هم الذين كانوا يتحدثون عما يجول بخواطرهم الى اسماعيل (٣٧٤) . عندما أشار أرنو على سبيل المثال فقط الى أن الملاحات تقدم ملحا لشيوا وجالا ، نجد أن مينيليك أضاف لذلك وزعم أن آدال وهرار قد تم حكمهما بوساطة شيوا وجالا (٣٧٥) . وكان لدى مينيليك كل الاسباب للقلق بشأن الحصار المصرى ليوهانس . وفى اوائل مارس ١٨٧٦ ، حضر عميل مصر الى كالابات مع مجموعة من الرسل ومجموعة من الخطابات من حكام فى جيما ، واينا ريا وجوما وهى مقاطعات غرب شيوا وجوراجى مباشرة وقد تم ذكرها فى الخطاب الى اسماعيل .

وقد تردد أنهم طلبوا وضعهم تحت حكم مصرى لكى يتجنبوا دفع جزية الى مينيليك (٣٧٦) . ومن الصعوبة حقا أن نقرر أنه كانت هناك مؤامرة شيوية مصرية لها صلة بما قام به مينيليك خلال حرب ١٨٧٥ - ١٨٧٦ . وواصل حملته ضد إمام اميدى الحاكم المسلم الهام الوحيد فى وسط اثيوبيا ، الا أنه لم يتجاوز هذا فى اتجاه الشمال . وتوصل على الأقل الى اتفاق مؤقت مع راس ويلدى سيلازى وهو الاتفاق الذى سمح للأخير بالانضمام الى يوهانس ، كما أن مينيليك لم يستغل غياب ويلدى سيلازى أو رأس آدال لزيادة مساحة أراضيه على حسابهم (٣٧٧) . ولقد اشتعل الصراع الداخلى فى اثيوبيا فقط بسرعة مرة أخرى - بعد الحرب عام ١٨٧٧ (٣٧٨) .

ومنذ أن أطلق المصريون شائعات مضمونها أن مينيليك فى جانبهم ، كان طبيعيا بلا شك أن تكرر هذه الشائعات ويصدقها البعض ثم يرددها على انها حقائق (٣٧٩) . ويجب أن يذكر فى هذا

والصياغة لهذه الوثائق الأخرى ، ذكر أرنو (مذكرات ووثائق أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٣٨٢ - ٣٨٤) أن الخطابات كتبت يوم السبت ٣ يونيو ولكن يجب أن يكون هذا خطأ بحوالى اسبوع . دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ١٠٤٨ - ١٠٥٠ ، نقلا عن رواية فرنسية لخطاب مينيليك . الخطاب أعد فى عدة نسخ مختومة بالإمهرية والفرنسية(مذكرات ووثائق أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ٦٢ ، رقم ٢٧٦ - ٢٧٨) .

(٣٧٤) مذكرات ووثائق الخارجية الفرنسية ، أفريقيا ، ٦٢ ، رقم ٣٨٢ - ٣٨٣ ، تقرير أرنو ، رقم ٢٧٩ - ٢٨١ ، ٢٨٦ - ٢٩١ ، نسخ مينيليك الى ماكماهون ، ٩ يونيو ١٨٧٦ ، والقوى المختلفة للوكيل . . الخ ١٠ خطابات سياسية وسرية من عدن ٣ ، من مينيليك الى ساشنلر ، ١٠ يونيو ١٨٧٦ ، أرشيف الخاجية الايطالية ١/٣٦-٤ ، من مينيليك الى فيكتور عمانويل الثانى ، ٩ يونيو ١٨٧٦ .

(٣٧٥) النص السابق مع الرواية الفرنسية التى نقلها دوين أو النسخة الموجودة فى دار الكتب المصرية ، الحبشة ، كازير ١/٩/٢٠ .

(٣٧٦) دوين ، اسماعيل ، ٣ ، ٣ب ، ص ٩٩٤ .

(٣٧٧) مصدر سابق ، ٣ ، ٣ب ، ص٨٩٨ - ٨٩٩ عندما أعاد يوهانس ، العداوات بمهاجمته ويلدى ميخائيل فى سبتمبر ١٨٧٦ (انظر ما سبق ص ٣٣٥) وبدأ مينيليك حملة جديدة ضد جالا فى الجنوب(جيرى ميلاسى ، مينيليك ، ص ٧٠-١) .

(٣٧٨) انظر ما سبق ص ٣٣٧ .

(٣٧٩) لمعرفة وجهات نظر أفويرك واسمى جيورجيس ، انظر كوليك ، الحرب الأثيوبية - المصرية ، افريقيا

« ولقد هرب كل السكان فى اتجاه غرب وجنوب اثيوبيا ، حيث الخير الكثير وحيث الحكم المستقر الثابت ، الأمر الذى جعلهم قادرين على انقاذ أنفسهم بهذه الوسيلة » . ورغم ذلك ، ليسوا جميعهم ، كما ذكر أحد المبشرين ، جيشا من الفلاحين المحرومين من حماسين كان يبحث عن أرض وغذاء ، بل خاض هذا الجيش معركة نظامية مع السكان المحليين فى واج . وفر الآخرون الى الاراضى المنخفضة والوديان أو الى مصوع حيث كانت تتم أعمال البعثة السويدية التبشيرية بين اللاجئين المحرومين من حماسين (٣٨٧) .

وفى نقطة واحدة ، عندما طلب سكان سيازيجا مساعدة من جوردون ، أكدوا أن القتل والنهب الذى جرى على أيدى قوات ويلدى ميخائيل لم يكن هو المشكلة الكبرى . ولكن الأسوأ هو أنه قام بترحيلنا فى فصل ممطر قائلا : « لاتمكثوا فى بلدكم » (٣٨٨) .

وعلى المستوى السياسى دمرت عمليات التآمر ، والعنف ، والعداوات الأسرية ، الكثير من الحكم الذاتى المحلى لأقاليم مثل أكيلى جوزى وحماسين . وفى الأماكن الأخرى ، كان من الطبيعى أن يترك يوهانس الحكومة الاقليمية الى اعضاء من النبلاء الاقليميين ، لكن فى المناطق المكشوفة فى الشمال وجد أنه من الضرورى أن يقوم بتولية أشخاص من خارج هذه المناطق كحكام لها ، وفى عام ١٨٧٥ ، كان واجشوم ديجازماتش جيبرو حاكما لحماسين . وبعد معركة ديكى ديبا لم تقدم حازيجا ولا حتى سيازيجا حاكما هناك . وانتقلت المسئولية الى ألولا من منطقة تمبين الذى حكم بيد من حديد .

وفى هذا الموقف لم يكن الأمر شيئا مبهجا بأن تستمر وبل وتتصاعد عملية زيادة العدواة تجاه اثيوبيا والتى بدأت بنفوذ مصرى/ مسلم ونفوذ اوروبى/ كاثوليكى منذ عقود سابقة ، اذ نتيجة لهذا استطاع الايطاليون التحرك والاستفادة من الشعور بعدم الرضا تجاه الحرب على المستوى المحلى للحصول على موطىء قدم ، وهكذا فان الحرب الأثيوبية - المصرية التى ساهمت على دعم وتقوية وزيادة الاحساس بالكرامة والاعتماد الذاتى على مستوى الدولة الأثيوبية وبالرغم من النصر ، فقد اسهمت فى اضعاف الروابط القديمة بين سكان الأقاليم الشمالية وبقية اثيوبيا . ولم تكن قوة وحكمة يوهانز ومستشاريه كافية للتغلب على هذا التطور الذى رغم كونه بطيئا كان مستمرا ومتواصلا من مصوع الى متيما :

وفيما يتعلق بأثيوبيا ، كان احلال الايطاليين محل المصريين انما يعنى عقدا آخر من الصراع المتواصل لحماية وحدتها واستقلالها . وفى اوروبا ، كانت الدول الكبرى مشغولة بالقواعد التى سيتم على اساسها تقسيم اثيوبيا .

---

(٣٨٦) مراسلات تجارية ، أرشيف الخارجية الفرنسية ، مصوع ٢ ، رقم ١٠٠ -١٠١ ، من كاربوتيل الى درينجتون ، ١٦ أغسطس ١٨٧٥ ، التاريخ الصحيح ١٨٧٨ .

(٣٨٧) MT ، ١٨٧٨ ، ص ٥٧ -٥٨ ، هيدنستورم ، ١٠ فبراير ١٨٧٨ ، انظر أيضا ١٨٧٧ ، ص ٤٠ - ٤١ كارلسون ، ٢ يناير ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، ص ٢٨ لونداهيل ، ٢ يناير ١٨٧٨ .

(٣٨٨) المتحف البريطانى - لندن - اورينت ، ١٢٩١٣ ، (أ) ، (زوس/ من سيازيجا الى جوردون ، ان . دى .

ان احتلال ايطاليا لمصوع والمحاولة التالية من أجل السيطرة الكاملة على اثيوبيا كانت من المهام المتوقعة منها . ونتيجة لحصول الايطاليين على التأييد المعنوى من بريطانيا العظمى ، لم يكن هناك سبب أمامهم لكى يقلقوا بشأن المشاكل التى تنشأ عن ذلك بالرغم من الاحتجاجات الغاضبة ضد انتهاكات حقوق السيادة الخاصة بالامبراطورية العثمانية . واذا ما كان يمكن تجاهل هذه الحقوق الآن فيما يتعلق بمصوع ، تلك الحقوق التى سببت الكثير من القلق والصداع فى الخارجية البريطانية لارتباطها باحتمال اعادة المناطق التى تم الاستيلاء عليها منذ عدة أعوام سابقة الى اثيوبيا ، فانه لن يكون هناك سبب بأن ايطاليا سوف تحس بالقلق أو الانزعاج بشأن حقوق اثيوبيا التاريخية ، سواء كانت هذه الحقوق قد تم الاعتراف بها باتفاقية دولية أم لا . وبالاضافة الى ذلك ، فان الايطاليين كانوا مقتنعين بل متأكدين - دون أى مبرر - أن الأثيوبيين اعتبروهم أصدقاء حميمين وجديرين بالثقة (٣٩٠) .

وكانت الحكومة الايطالية قد ارسلت بعثات الى كل من مينيليك ويوهانس فى عام ١٨٨٣ وعرضت عليهما التسهيلات الموجودة فى مستعمرتهم الصغيرة المسماة عسيب ، كوسيلة لتجنب الحصار الأثيوبى . وبالنسبة لشيوا ، كانت عسيب ميناء مناسبا . ووقع مينيليك اتفاقية صداقة وتجارة فى مايو ١٨٨٣ . وكان يوهانس يأمل فى الحصول على مصوع . ويبدو أنه لم ير أن هناك فائدة من توقيع معاهدة مع ايطاليا (٣٩١) . وقد أدى نزول القوات الايطالية فى مصوع دون تشاور مسبق الى انزعاج يوهانس بشكل كبير ، ومن غير المحتمل على الاطلاق ، أن يكون المبعوثان الأيطاليان اللذان زاراه ليظهرا صداقة ايطاليا له قد نجحا كما ذكرا ، حتى ولو أن يوهانس قرر اعطاءهما فائدة الشك فى ذلك الوقت ، ان اول عمل أقدم عليه يوهانس هو ابلاغ وانذار مينيليك الذى قام من جانبه بالاحتجاج بقوة لكل من أومبرتو ومبعوثه فى شيوا ، بيترو أنتونيللى ، لفشلهما فى مشاورة الامبراطور مقدما بشأن مثل هذه الخطوة الهامة (٣٩٢) .

وبالنسبة ليوهانس كان التساؤل الهام للغاية هو ما اذا كانت الحكومة البريطانية قد تخلت كلية عن مسئولياتها بمقتضى اتفاقية هيويت أم لا . ووجد انه من الصعوبة بمكان الاعتقاد بأن اتفاقاً

---

(٣٨٩) انظر ما سبق ، ص ١٧١ .

(٣٩٠) باتاجليا ، الحرب الأولى لافريقيا ، ص ٢١٦ - ٢١٧ . هذا الكتاب أحدث عمل ايطالى - ويعد كتابا شيقا جدا - حيث يغطى كل تاريخ العلاقات الايطالية - الأثيوبية ابتداء من الاتصالات الاولى التى جرت عام ١٨٥٠ حتى معركة عدوى . جيجليو وصل عام ١٨٨٥ فى مايو فقط ، والوثائق المذكورة بالكتاب ، رغم ذلك ، حتى نهاية ١٨٨٩ ، ان هدفى فى هذا الجزء الأخير هو الوصول بالرواية الى نتيجتها المنطقية ، ومعركة عدوة ، تشير الى كيف أن الخبرات السابقة للأثيوبيين أعدتهم لهذا الحدث ، اننى لم أهدف الى توفيق كامل واشير فقط الى وثائق أصلية بها نقاط خاصة كافيه ، ان النص التالى يقوم بشكل أساسى على عمل باتاجليا وعلى دراستى ، ويشالى السابع عشر . محاولة اقامة محمية فى أثيوبيا (اديس أبابا ، ١٩٦٤)ومقال عدوة ١٨٩٦ : احتجاج مدوٍ فى روتبرج ومازريو . احتجاج وقوة فى افريقيا السوداء ، ص ١١٣ -٤٢ .

(٣٩١) روبنسون ، ويشالى السابع عشر ٤٢ -٤٥ .

(٣٩٢) وباتاجليا ، جورا ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، جيجليو ، أثيوبيا ، العدد الاول ، ص ٤٠٣ - ٤١١ .

لحفظ السلام والصداقة « من جيل الى جيل » ، قد أصبح باطلا فى غضون عام واحد فقط . وكان يرغب فى معرفة ما اذا كان الجيش الايطالى قدم بتصريح من الملكة فيكتوريا ، وعما اذا كان الهدف هو استخدام القوة والاستيلاء على بلاده .

ولقد كانت المؤشرات مثيرة للازعاج : فشحنات الاسلحة لاثيوبيا تم ايقافها فى مصوع كما وان القوات الايطالية كانت قد قامت باحتلال عدد من المواقع تدريجيا فى الاراضى العالية فى مصوع ، بحيث وصلت الى قرب حدود سهول الملح (٣٩٣) .

ان الاجابة المراوغة التى تعبر عن الأمل الصادق بأن يوهانس « سيكون قادرا على التوصل الى ترتيب ودى » مع الايطاليين وسوف يقابل بشىء من الحفاوة والتكريم اعترافا بالمساعدة الأثيوبية فى تحرير الحاميات ، كل هذا لم يقنع يوهانس . وقد قبل الملك فى رده على هذا الخطاب الحجة القائلة بأنه يتم وعده باعطائه مصوع فى المعاهدة . ولكن الآن انتهكت ايطاليا الاتفاقية . وأرغم التجار الأثيوبيون على دفع ضرائب كما تم استخدام الميناء كقاعدة للعدوان ضد أثيوبيا . وفى النهاية ، طلب يوهانس من الملكة أن تفسر له كيف يمكن له أن يقيم صداقات مع الايطاليين اذ أنه لايعرف كيف يحبهم فهو ليست لديه المعرفة ولا المعلومات أو المهارات المطلوبة لذلك (٣٩٤) . وكان هذا يبدو أنه مهمة صعبة ، لذلك لم يتم ارسال رد على ذلك (٣٩٥) .

وعلى المستوى المحلى ، كانت اللغة واضحة . وكان آلولا منزعجا بشكل خاص من قدوم القوات الايطالية الى سى آتى وهى على بعد ٣٠كيلو مترا من مصوع ، ورفع العلم الايطالى على القلعة الصغيرة ، عندما أخلى المصريون هذا المكان فى أغسطس ١٨٨٥ : ..... البلاد من اختصاص الملك . انتى لا أستطيع التخلى عنها . وبناء عليه ، فعليكم بالانسحاب من سى آتى . وعند هذه المرحلة كانت كسلا على وشك السقوط . وتم حث آلولا متأخرا على التقدم لاغاثتها وقد فعل ذلك - وانتصر فى كوفت فى ٢٣ سبتمبر - بالرغم من انشغاله المسبق بالخطر والتهديد الايطالى . وقد جعل أيضا من الواضح بشكل مطلق أنه يرغب فى عودة الايطاليين الى ديارهم ، وكلما كان ذلك بشكل أسرع ، كلما كان ذلك أفضل . ولم يعترف بحقهم فى مصوع ، وأيضا بالتالى فى سى آتى ، وقد أظهر تعجبه عن السبب الذى دعت بريطانيا للسماح لهم بالبقاء وتهديد

---

(٣٩٣) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ، ٧٤٦/٩٥ ، رقم ١٩٦ ، من يوهانس الى فيكتوريا ، ٢٨ أغسطس ١٨٨٥ .

(٣٩٤) محفوظات الخارجية البريطانية دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٦/٩٥ رقم ١٩٨ من فيكتوريا الى يوهانز ، ١٨ ديسمبر ١٨٨٥ ، محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة لندن ٧٤٧/٩٥ رقم ١٥١ من يوهانز الى فيكتوريا ١٩ ابريل ١٨٨٦ بالنسبة لظروف تبادل الخطابات انظر اف هاريسون سميث ، عبر الحبشة مبعوث الملك زيون (لندن ، ١٨٩٠) ص ١٧٤ -٢٢٣ .

(٣٩٥) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة لندن ، ٧٤٨/٩٥ ، محاضر رقم ١٩٤ ، ١٤ يوليو ١٨٨٧ .

حدوده (٣٩٦) . وفى الحقيقة كان يوهانس ، غاضبا ويشعر بالازدراء مثل آلولا لكل ما يحدث ، كما كان مقتنعا بأن أثيوبيا سوف يكون عليها أن تقاتل الاوروبيين مباشرة ، وكان يرغب فى التأكد أيضا من أن مينيليك كان على معرفة بالشعب الذى يحكمه .

الايطاليون ليسوا شعبا خطيرا ، انهم متآمرون ، وان ما يحدث هذا انما هو فعل الانجليز ضدى وان الايطاليين لم يحضروا الى هذه الاراضى لأنهم يفتقدون الاراضى الزراعية وهى موجودة بغزارة فى بلادهم ، ولكنهم قدموا الى هنا بسبب طموحاتهم ومطامعهم ومن أجل اضفاء المجد والتفخيم على انفسهم لأنهم كثيرون وليسوا أغنياء . ولكن بمعونة الله ، سوف يغادرون البلاد مرة أخرى وهم فى ذل وخيبة أمل ، كما يغادرونها وقد فقدوا شرفهم أمام العالم أجمع ، انهم ليسوا شعبا يمكن أن يخيفنا ، . . . واذا ظللنا متحدين معا دائما ، فاننا بمشيئة الله سوف نتغلب ليس فقط على الايطاليين الضعفاء بل سوف نتغلب أيضا على الشعوب القوية للدول الأخرى . ومثل آدم عندما رغب فى التمتع بالفاكهة المحرمة بسبب رغبته فى أن يخالف أوامر الله وبدلا من ذلك فلم ينله سوى العقاب والذل وهذا ما سوف يحدث للايطاليين (٣٩٧) .

واذا كان يوهانس يأمل أن يقوم مينيليك بطرد أنتونيللى ، فلابد أن أمله قد خاب ، اذ أن ملك شيوا كان سوف يستفيد كثيرا بالحفاظ على علاقات جيدة مع الايطاليين فى عسيب ولم يشعر بأنهم يهددونه . وفى هذا الاطار كان الموقف مختلفا عن فترة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، ولابد وأن يكون يوهانس قد شعر بشىء من القلق بشأن ولاء تابعه الرئيس (٣٩٨) .

ومع نهاية ١٨٨٦ أدت تحركات الايطاليين الخاصة بتقوية موقعهم فى الأراضى المشار اليها فى مصوع الى زيادة التوتر هناك ، وقد ارسل آلولا انذارا الى الايطاليين للجلاء عن موقعين هما وى آ (الذى احتل مباشرة) وزوللا . وعندما رفض الجنرال الايطالى ، نزل آلولا فى سى آتى ،

---

(٣٩٦) باتاجليا ، جورا ، ص ٢٢٠ -٢٢١ محفوظات الخارجية البريطانية دار المحفوظات العامة لندن ٣٨٠٧/٧٨ ، من شير ميسر الى ازيت ، ٢٤ يوليو ١٨٨٥ محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة لندن ٣٨٠٨/٧٨ من ماركوبولى الى شير ميسد ٢٦ أغسطس ١٨٨٥ ، محادثات مع آلولا نفس التاريخ من شير ميسد ماركوبولى ٤ سبتمبر ١٨٨٥ محفوظات الخارجية البريطانية دار المحفوظات العامة لندن ٣٨٠٩/٧٨ من ايجرتون الى سالسبورى ١٠ نوفمبر ١٨٨٥ مع مرفقات .

(٣٩٧) برلمانى ، وثيقة دبلوماسية ١٨٨٩ -١٨٩٠ ، ١٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ من أنتونيلى الى روبيلانت ، ٢٦ نوفمبر ١٨٨٥ لم يكن معروفا ما اذا كان مينيليك نفسه أو الأكثر احتمالا ، أحد مبعوثيه ، هو اللى سرب هذا الخطاب الى أنتونيلى ولا يمكن ان نكون متأكدين بالطبع من أن نص أنتونيلى صحيحا وفى التاريخ الجغرافى الأثيوبى (على سبيل المثال متحف فن وصف الكتب وسردها ، باريس أثيوبيا ٢٥٩ ، رقم ٣٠) ذكر أن يوهانس أعلن أن الايطاليين شعب ماكر وشرير وذلك فى اوائل ١٨٨٣ .

(٣٩٨) مؤلفون ايطاليون ، باتاجليا أيضا (حرب ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥) كان لديه أكثر أو أقل من المأخوذ ليمنحه ، وكان مينيليك قد استعد لخيانة يوهانز فى أى وقت وكان مسرورا بالفعل من وجود مشاكل ليوهانس مع الايطاليين . وهذا هو الثابت حتى الآن .

وفى ٢٥ يناير هاجم وأباد طابورا يضم حوالى ٥٠٠ رجل أرسلوا لدعم الموقع هناك . وقد أطلق عليها اسم مذبحة دوجالى ، وكان هذا العمل من جانب آلولا هو احتجاج أقوى بكثير مما ترقعه الايطاليون أو البريطانيون [٣٩٩] .

وكان يوهانس على علم بخطورة العمل الذى أقدم عليه آلولا ، وكتب الى كل من لندن وباريس لكى يشير الى عدم عدالة الادعاءات الايطالية فى الاراضى التى اعادها المصريون لأثيوبيا بمقتضى اتفاقية هيويت ، وتساءل مرة أخرى عما اذا كانت الحكومة البريطانية قد سمحت بالتقدم الايطالى [٤٠٠] . ورغم أن الاتفاقية لم تحدد أية حدود ، فان يوهانس كان قد تلقى وعدا شفويا بان الجلاء سوف يتم عن سى آتى . . والايطاليون يعرفون ذلك [٤٠١] . ولذا فان الصدام الذى حدث لم يكن بسبب سوء فهم ، واتفقت الحكومة البريطانية مع الايطاليين على محاولة القيام بالوساطة . ولكنهم لم يحسنوا الفرص الخاصة بالوساطة نتيجة قولهم ليوهانس بأن الايطاليين أمة قوية . وان نواياهم ودية وجيدة ، وأن آلولا قد هاجم بدون مبرر عادل [٤٠٢] . وقد ارسلت بعثة برئاسة جيرالد بورتال من المفوضية البريطانية بالقاهرة للتفاوض حول التوصل الى تسوية . ووضعت الحكومة الايطالية الشروط ، وحذرت الخارجية البريطانية يوهانز بضرورة تصديق كل مايقوله (بورتال) بالاصالة عن الملكة أو حكومة جلالتها . وتشمل البنود الايطالية تقديم « اعتذار » عن هجوم الولا ، والحصول على اراض تشمل سى آتى ووى آ ، وآليت والاعتراف بالحماية الايطالية على حباب وأساويرنا وأن تشترك مع بريطانيا فى احتلال بوجوس من جديد بالاضافة الى قلعة كيرين [٤٠٣] .

وفى ظل هذه الظروف ، كانت بعثة بورتال على وشك الفشل . وعندما كان لايزال يستعد للتوجه الى اثيوبيا ، أبلغ يوهانس الحكومة البريطانية بأنه لايعتقد فى النوايا الحسنة للايطاليين .

على العكس من ذلك فلقد اعتقد أنهم كانوا يعدون لذلك قائلين « دونا » نذهب ونقاتل اثيوبيا ، ونسيطر عليها ونجعل روما وأثيوبيا بلدا واحدا . ولقد كان السبب الحقيقى الذى من أجله طلب مصوع هو أنه كان يهدف الى منع تكرار ما سبق أن وقع من عدوان من جانب الخديوى اسماعيل . ونتيجة عدم قبول بريطانيا لادعائه والسماح للايطاليين بدخول اراضى اثيوبيا ، فقد

---

(٣٩٩)باتاجليا ، حرب ، ص ٢٢٥ - ٤٢ ، متحف فن عرض الكتب وسردها ، باريس ، أثيوبيا ، ٢٥٩ ، رقم ٣٢ - ٣٣ UT ١٨٨٧ ، ص ٣٧ - ٣٨ ، ونيكويست ٢١ يناير - ٣ فبراير ١٨٨٧ .

(٤٠٠) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ، ٧٤٨/٩٥ ، رقم ١٩٤ ، من يوهانس الى فيكتوريا ، ٨ مارس ، ١٨٨٧ ، الأرشيف الدبلوماسى بالخارجية الفرنسية ، بروتوكول س ٤١ ، الى جريفاى ٨ مارس ١٨٨٧ .

(٤٠١) أرشيف الخارجية الايطالية ٣/٣٦-٣١ ، تعليمات لبعثة الجيشة ، ٧ يناير ١٨٨٦ .

(٤٠٢) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٨/٩٥ ، رقم ٢٠٤ ، من فيكتوريا الى يوهانس ، ١١اغسطس ١٨٨٧ ، مع محاضر .

(٤٠٣) مصدر سابق ، رقم ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، من فيكتوريا الى سالسبورى ، على التوالى ، الى يوهانس ، ١٢ أكتوبر ١٨٨٧ ، جيرالد بورتال ، حساب البعثة الانجليزية الى يوهانس عام ١٨٨٧ ، وتشستر ، ان ، دى ص ٧ -١٤ ، باتاجليا ، حرب ، ص ٢٨٧ - ٩٤ .

اصبحت بالتالى مسئولة الآن ليس فقط عن الحقيقة القائلة بأن التجار الأثيوبيين أرغموا على دفع ضرائب لمدة ثلاثة أعوام الى الايطاليين ، الأمر الذى يعد انتهاكا لمعاهدة هيويت ، بل ووجدت بريطانيا نفسها مسئولة عن اندلاع اعمال عدائية بين دولتين مسيحيتين[٤٠٤] . وحاول بورتال عند وصوله الى معسكر الملك فى أشينجى أن ينتزع ادانة غير مباشرة للهجوم الذى شنه آلولا بالتلميح الى أن يوهانس يمكنه ابراز عدم تأييده لهذا الاجراء ، الا أن يوهانس رفض ، وقال ان «راس آلولا لم يقترف اى خطأ » ، وفيما يتعلق بالاتفاقية مع الايطاليين ، لم يكن هناك شروط أخرى غير تلك التى تم الاتفاق عليها فى عدوة عام ١٨٨٤ ، وقد تقدم يوهانز خطوة أخرى فى رده للندن : انهم (الايطاليون) رغبوا فى بدء الشجار وجاءوا الى أماكن فى بلدى تسمى سى آتى ووى آ وأقاموا بهما التحصينات . . وقد تعمدوا اظهارى وكأنى المعتدى ، وبينما أنا لست كذلك ، ألستم تلمحون بأنه يجب على ان أعطيهم الارض التى منحها لى يسوع المسيح ؟ ان التسوية أمر ممكن عندما يكونون فى بلدهم وأكون أنا فى بلدى ولكن الآن عندما ننام وسيوفنا فى أيدينا ، وخيولنا مسرجة وجاهزة ، أليس معنى ذلك اننا وجيوشنا فى حالة قتال فعلى [٤٠٥] ؟ . وعرض مينيليك أيضا أن يتوسط ، اذ انه لم يكن يرغب فى أن يرغم للاختيار بين سيده وأصدقائه الايطاليين ، وكان قد مد اراضى مملكته التى يحكمها فى اتجاه الشرق والغرب والجنوب ، واحتل هريرى فى يناير ١٨٨٧ دون أن يزعجه كثيرا اتجاهات الايطاليين أو أى اوروبيين آخرين [٤٠٦] .

ومع ذلك ، كان الاشتراك فى حرب ضد الايطاليين فى الشمال أمرآ مختلفا سوف يعرض تجارة مينيليك النامية للخطر عبر عسيب ، خاصة وارداته من الاسلحة النارية . وقد تردد أن يوهانس أبدى بعض الاهتمام بمبادرة مينيليك الخاصة بالتوسط ، لكن كانت لدى الايطاليين خطط أخرى ، فقد عرض أنتونيللى على مينيليك خمسة الآف بندقية اذا ظل محايدا فى الحرب . وقد وافق مينيليك بشرط ألا يستولى الايطاليون أو يطأوا أى مكان فوق التراب الأثيوبى . ولكن لما كانت هذه هى نيتهم وكانت هى السبب أيضا ، وراء سعيهم للحصول على تأيد مينيليك ، لذا فان ما أطلق عليه اتفاقية الحياد التى ابرمت فى اكتوبر ١٨٨٧ كانت بلا معنى . وعلى كل فالحياد ، فى الواقع ، لم يكن ليساعد الايطاليين كثيرا لان يوهانس لم يفتقر الى قوات ، بل لقد كانت مشكلته هى كيف يدير جيشا كبيرا فى الاراضى المنخفضة لمدة أطول تكفى لطرد الايطاليين من مواقعه الحصينة ، ان ما كان يريده الايطاليون هو ما كان يريده المصريون قبلهم ، ألا وهو أن يشن مينيليك هجوما على يوهانس ، ولقد ذكر أنتونيللى أنه أبلغ مينيليك بأنه سوف يمكنه فقط الحصول على الاسلحة الموعودة بعد أن يتم العمل العسكرى ضد يوهانس . ولكن ذلك لم يكن ما يراه أو يؤمن به مينيليك عن فكرة الحياد ، كما أن ذلك لم يكن يتناسب مع مصالحه .

---

(٤٠٤) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٤٨/٩٥ ، رقم ٢٠٨ ، من يوهانس الى فيكتوريا ٢٦ أكتوبر ١٨٨٧ .

(٤٠٥) مصدر سابق ، رقم ٢٠٩ ، من يوهانز الى فيكتوريا ، ٨ ديسمبر ١٨٨٧ ، نص أمهرى ، بورتال ، بعثة انجليزية ، ص ٦٥ -٧٦ ، ١١٧ - ١٢٠ .

(٤٠٦) ريتشارد كوليك ، احتلال هرارى ، يناير ١٨٨٧ ، جريدة الدراسات الأثيوبية ، ٩ ، ٢ (١٩٧١) ص ١ -١٩ . وبالنسبة لمحاولات مينليك من أجل الوساطة ، انظر أيضا مذكرات ووثائق ، أرشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ١٣٨ ، رقم ٧٩ ، من مينليك الى جريفى ، ٢٠ ديسمبر ١٨٨٧ .

« اختبارات قوة مع مصر وايطاليا »

وكنتيجة لذلك ، لم يتم تسليم الخمسة الآف بندقية خلال الشهور الستة المتفق عليها . او الاثنتى عشرا ، لهذا السبب [٤٠٧] . وكانت عودة بعثة بورتال الى الساحل مؤشرا على حدوث تقدم جديد الى سى آتى ، التى كانت محصنة تحصينا جيدا ، وفى مارس ١٨٨٨ ، ظهر يوهانس امام سى آتى على رأس جيشه . وتبادل بعض الرسائل مع الجنرال دى سان مارزانو ، الذى قدم بعض التنازلات ولكنه احتفظ بالادعاءات الايطالية فى سى آتى ووى آ ، وعاليت ، ويمكن القول بانه لم يكن ادنى شك أن اتجاه يوهانس للقتال قد خفت حدته ، فقد عرف قبل الوصول الى سى آتى أن المهديين قد هزموا جيش جوجام (١٨ يناير) ونهبوا جوندر ، وكان يوهانس على ما يبدو قلقا للغاية ، بدرجة أنه اقترح أن يشترك الايطاليون معه فى حربه ضد المهديين . . الا أن الجنرال الايطالى لم يرد على هذا الطلب . ولما كان يوهانس يدرك صعوبة الاستيلاء على مواقع حصينة ، ولقلقه للروايات المبالغ فيها بشأن وجود تحالف بين الايطاليين ومينيليك ، قرر يوهانس ترك الايطاليين مؤقتا ، ولكن بدون أن يبدو أنه تخلى عن مطالبه : ألم يوزع المسيح الارض والسلام ؟ ان بلدكم تبدأ من البحر حتى روما ، أما بلدى فهى من البحر حتى هنا ، هذه هى أثيوبيا . ولا يجب أن يكون هناك سبب للتشاجر فيما بيننا [٤٠٨] . ونتيجة توجه يوهانس اولا الى سى آتى وفشله فى الهجوم وفى طرد الايطاليين ، فان مركزه كقائد ورئيس تعرض لهزة خطيرة ، كما أنه فقد ولاء تيكلى هيمانوت الذى أحس بالمذلة والمهانة بسبب هزيمته ووجه اللوم الى الامبراطور الذى تركه بمفرده يواجه عدوا متفوقا فى العدة والعتاد . وقد وصل مينيليك ، الذى صدرت اليه الأوامر بدخول حرب ضد المهديين بعد هزيمة تيكلى هيمانوت ، وصل الى منطقة تانا بعد تراجع المهديين . وبدلا من مطاردتهم ، وافق بالتوسط والقيام بدور صانع السلام بينهم وبين يوهانس . وكان تيكلى هيمانوت يتفاوض أيضا ، مبديا من أجل اطلاق سراح اولاده بالدرجة الاولى وعاد من الخرطوم [٤٠٩] ، وقد رفض يوهانس الرد على خطابات سابقة من المهدى والخليفة عبد الله ، ومن المحتمل أن يكون قد تلقى لتوه خطابا جديدا ، سمى واطلق عليه فيه اسم العبد الضعيف ونصح بالاعتراف بالاسلام اذا كان يرغب فى تجنب الدمار . وبناء عليه لم يكن من الممكن أن يكون سعيدا على الاطلاق عندما علم بأن أكبر تابعين له كانا على اتصال مع جنرالات مسلمين على حدود اثيوبيا [٤١٠] ، وعلى أيه حال ، فقد أصدر أمرا مفاجئا الى مينيليك بالعودة الى شيوا فى شهر مايو وأخذ هو يستعد للقيام بحملة جديدة بنفسه .

---

(٤٠٧) روبنسون ، ويشالى ، ١٧ ، ص ٤٦ -٤٨ ، ٥٢ - ٥٣ ، باتاجيليا ، جورا ، ص ٢٨٣ - ٩٤ .

(٤٠٨) باتاجليليا ، جورا ، ص ٢٩٦ - ٣٠٢ ، ٣١٣ - ٣٢١ ، جيرى سيلاسى ، مينيليك ، ص ٢٢١ .

(٤٠٩) وكتب السجلات المركزى ، الخرطوم ، المهدية ١/٥٥/١٦ ، مينليك الى ادريس ويونس ، ٣ ابريل و ٦ ابريل ١٨٨٨ ميشيشا ويركى (فى اسم مينيليك) الى أبو انجا ، ١٢ مايو ١٨٨٨ ، ١/٥٥/١٣ ، ابوانجا الى تيكلى هيمانوت الى ابوانجا ، ١٤ ابريل و١٢ مايو ١٨٨٨ .

(٤١٠) مصدر سابق ١/٥٥/١٢ عبد الله الى يوهانس فى ١٨٨٧/١٨٨٨ ، ليس قبل فبراير ١٨٨٨ .

وفى هذا الموقف ، توصل مينليك وتيكلى هيمانوت الى نوع من الاتفاق للعمل معا ضد الامبراطور ، اذا تطلب الأمر ذلك . ولعدة شهور ، كانت اثيوبيا على شفا حرب أهلية كبرى . وقام الجيش الامبراطورى فعلا بغزو جوجام ولكنه عندما وصل الجيش الى شيوا ، تردد يوهانس آنذاك اذ كان يعلم أن الايطاليين يقومون بتسليح مينليك الآن ويدفعونه للهجوم . ولقد تبين ليوهانس متأخرا أن الايطاليين كانوا هم أسوأ عدو له وقرر العمل طبقا لذلك ، وناشد الجنرال المهدى حمدان أبو انجا بنسيان الماضى (كما نسى على مايلو أيضا أنه لم يرد على خطاب المهدى) والاتحاد معه ضد أعدائهما المشتركان وهم الأوروبيون و « الأتراك » ، الذين اذا قهروا واحدا منهما فلن يتركوا الآخر أيضا وجاء رد أبو انجا واضحا تماما :

كل هؤلاء الانصار . . اذا لم تكن تعرفهم بعد ، فانك سوف تعرفهم حالا لأنهم لم يأتوا الى هذا المكان « ميتيما » من أجل حب المال أو الفخر ولكن من أجل القضاء عليك وعلى كل الكفار الذين معك . . فأفق من نومك وغفلتك وأفق من سكرتك لا تنخدع بشعب الشيطان ، اما فيما يتعلق بطلبك الخاص بالسلام معنا بينما لا تزال كافراً أقول أن هذا مستحيلاً . . . انك مأفون كبير لأنك تطلب السلام قبل أن تدخل دين الله . . وسوف تعرف اننا قررنا قتالك وقتال الايطاليين وكل الاوروبيين ، ولن يكون هناك شىء بيننا سوى السيف ، الا اذا آمنت بالله وحده (٤١١) .

ولم يكن امام يوهانس أى اختيار كبير . ورأى أن قتال مينليك سوف يعنى اضعاف اثيوبيا فى الوقت الذى يوجد فيه عدوان خارجيان على الحدود . لذا اختار يوهانس التعامل مع المسألة الأقل تعقيدا اولا . وتقدم بجيشه نحو المهديين ، وفقد حياته فى معركة ميتما الناجحة يوم ٩ مارس ١٨٨٩ (٤١٢) .

معاهدة ويشالى

ان موت الامبراطور يوهانس قدم الى مينليك فى النهاية فرصة كان ينتظرها لما يقرب من ٢٥ عاما ، فلقد كان تابعا متمردا ، وكانت مساهماته فى الدفاع عن اراضى واستقلال اثيوبيا هامشية حتى الآن ، ولقد تضمنت فى الحقيقة وبشكل اساسى رفضه الانحياز الى جانبى ولصالح اعداء اثيوبيا . مما ساعد على سهولة هذا التوجه من جانب مينليك ، بل وأحيانا املاء ذلك عليه الى حد ما ، كون وجود قاعدة قوته الرئيسية على مسافة بعيدة وآمنة سواء من ناحية الحدود الغربية او الشمالية . وبوصفه ملك شيوا لم يكن يقلقه حقا سوى الاحتلال المصرى لموانىء باب المندب وخليج عدن وهرارى . ومع ذلك ففى العام الأخير من حكم يوهانس ، اقترب مينليك الى حد كبير من التحالف مع اكبر عدو خطر ومحتمل لأثيوبيا ألا وهو ايطاليا ، وفى اكتوبر ١٨٨٧ ، وعد بالتزام

(٤١١) مصدر سابق ، ١٦/٥٥/١ ، من يوهانس الى ابوانجا ، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٨ ، ١٣/٥٥/١ ، من ابوانجا الى يوهانس ، يناير (أو اول فبراير) ١٨٨٩ .

(٤١٢) لهذا والجزء السابق ، انظر ريتشارد كوليك ، يوهانس الرابع ، المهديين ، والتقسيم الاستعمارى لشمال شرق افريقيا ، ترانس أفريكان جورنال أوف هستورى ، ١ ، ٢ (١٩٧١) ، ص ٢٢ -٤٢ ، باتاجليا ، جورا ، ص ٣٤٧ - ٣٥٢ ، روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

الحياد ، والحياد فقط ، شريطة أن يتخلى الايطاليون عن تطلعاتهم فى اراضى اثيوبيا . ويبدو أن التوجه من جانب مينليك ظل سائدا طوال النصف الاول من ١٨٨٨ . ولكن التغيير جاء عندما بدأ يخشى من أن يقوم يوهانس بشن هجوم عليه . ولذا كان فى حاجة الى الايطاليين اكثر من حاجتهم هم اليه ، فقد كان يرغب فى الحصول على البنادق التى وعدوه بها بل والمزيد اذا أمكن . ووعد بأن يقوم بدفع قيمة هذه الاسلحة فى عسيب ، ولكنه كان يدرك لاريب أنه سوف يكون عليه أيضا القيام بدفع اشياء اخرى تتمثل فى تنازلات اقليمية مستقبلية أيضا ، وذلك فى حالة تثبيت مركزه ووضعه ثم فى النهاية احلال نفسه محل يوهانس ليصبح امبراطورا ، وفى ظل هذا الموقف تم توقيع اتفاقية ويشالى فى روما فى اغسطس/ سبتمبر ١٨٨٨ (٤١٣) .

« اختبارات قوة مع مصر وايطاليا »

وفى مشروع المعاهدة ، تم تحديد هذه التنازلات بخط يبدأ من انفيلا على الساحل ، مارا بقرى حالاى وهيبو وعكرر اسمرة وسيازيجا الموجودة فى المستعمرة الايطالية ، وبعد أن مر فى عسيب لمسافة قصيرة ، سار فى خط مستقيم من الشرق حتى الغرب لأن بوجوس ومناطق أخرى التى كان يسيطر عليها المصريون كانت سوف تذهب لايطاليا (٤١٤) . وقد جرى تحريف كان له دلالة سياسية ، من كلام معاهدة الصداقة والتجارة لعام ١٨٨٣ ، ولقد عدلت العبارة التى كانت تتضمن وعد مينليك فى عام ١٨٨٣ ، بالحق فى الانتفاع والاستفادة من سلطات القنصل الايطالى . . . الخ « فيما يتعلق بجميع الخطابات والاتصالات ، التى قد يرغب فى ارسالها الى اوروبا أو الى الحكومة ، مع كل السلطات المذكورة آنفا والمعتمدة ، عدلت هذه العبارة بحيث اصبحت التزاما (وان كانت صيغة معتدلة) لاستخدام الحكومة الايطالية ، فيما يتعلق بشئون جميع المفاوضات التى قد يجريها مع اى دول أو حكومات أخرى . لما كان هناك تعمد بوضع التصور المختار بدوام استخدام عبارة Sara in Facoltaوترجمتها « أى سيكون هناك صعوبة » فى مشروع المعاهدة ، والتى كان مقصودا توقيعها مع يوهانس ومينليك منذ اوائل عام ١٨٧٩ ، بالاضافة الى العبارات الشفوية المتشابهة التى تثبت أن أنتونيللى وضع اتفاقية ١٨٨٣ نصب عينيه ، عندما أعد مشروع ١٨٨٨ ، فلا ريب أن التغيير كان متعمدا ومقصودا . ويقدر اهمية التغيير من كلمة اختيار الى كلمة التزام ، كان التحول من وظيفة « ساعى بريد » الى حارس للسياسة الخارجية تحولا هاما هو الأخر . وكان الهدف هو السيطرة على علاقات اثيوبيا الخارجية ، وبمعنى آخر ، الغاء استقلال اثيوبيا خارجيا ، وكان الأمر المنطقى ان الحكومة الايطالية حاولت استخدام هذه العبارة ، البند ١٧ من

(٤١٣) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٤٩ - ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، مع مراجع مذكورة ، باتاجليا ، ص ٣٥٢ -٤ .

(٤١٤) جيجليو ، اثيوبيا ، العدد ٧ ، ١١٧ - ٢٢ ، بروجيتو دى تراتاتو . .

الاتفاقية التى تم توقيعها يوم ٢ مايو ، كأساس لاعلان اثيوبيا كمحمية تابعة لها (٤١٥) . وعندما عاد أنتونيللى ومعه مشروع الاتفاقية والخمسة الآف بندقية الاولى فى يناير ١٨٨٩ ، كان الخوف من غزو يوهانس لشيوا قد قل كثيرا . واكثر من ذلك ، تغيرت العلاقات ، فمينليك لم يظهر لهفة لمناقشة اى اتفاقية ، واوضح هذا لأنتونيللى حيث قال انه مستعد فقط للدفاع عن نفسه ، فى حين توقعت الحكومة الايطالية منه أن يهاجم يوهانس لكى يستطيعوا مد رقعة مستعمرتهم دون خطر من دوجالى جديدة . ومن على صعيد آخر كان مينيليك ، الآخر ، يرغب أن يقوم الايطاليون باجراء ما بشأن جبهة مصوع حتى يضطر يوهانس بالتوجه شمالا بعد نصر نهائى على المهديين . وبمعنى آخر ، كان الحليفان الأساسيان ينتظران أن يقوم الطرف الآخر بتحمل العبء . وأن الطرف الذى كان عليه القيام بذلك ، كان يعتمد على يوهانس وكان هناك سؤال وهو هل سيقوم مينيليك بمساندة الايطاليين مساندة فعالة أم أنه لن يقدم هذه المساندة اليهم الا اذا هوجم من يوهانس . . وكان السؤال واردا ولكن دون اجابة واضحة (٤١٦) .

وكان من الواضح ، رغم ذلك ، أن الايطاليين نجحوا فى دق اسفين بين مينيليك ويوهانس بينما فشل المصريون فى ذلك . وقد أسفر موت يوهانس فى ميتيما عن تخفيف حدة المعادلة . ونصب مينيليك نفسه امبراطورا وقرر استكمال المفاوضات وبذلك قلل عدد الاعداء الخارجيين لأثيوبيا واحدا . وبدون شك كان لديه قوة كافية للمطالبة بالعرش دون تأييد من ايطاليا (٤١٧) حتى أن البنادق التى تسلمها فعلا لم تكن ذات فائدة كبيرة له حيث ان امدادات الذخيرة كانت قليلة

---

(٤١٥) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ١١-١٢ ، ٣١-٣٢ ، ٤٠ - ٤٥ ، ٥١-٥٢ (تأكيدى) . عندما كتبت هذه المقالة عام ١٩٤٦ (ونشرت أيضا فى جريدة التاريخ الافريقى ، ٥ ، ٢(١٩٦٤) ص ٢٤٣ - ٨٣ ، الجزء الخاص بالحماية من معاهدة ويشالى) . لم يكن لدى مذكرة حول التحدى الذى أمثله تجاه براءة أنتونيللى ومزيد من الاهمية لصحة الادعاء بالحماية سوف يناقش (يثير التاريخ الاستعمارى البارز لايطاليا ، وفعلت هذا لتوسيمها ، وفيما يتعلق بوجهات النظر المتبادلة بيننا ، أنظر كارلو جيجليو ، المادة ١٧ من معاهدة أوكيالى ، جريدة التاريخ الافريقى ، ٦ ، ٢ ، (١٩٦٥) ، ص ٢٢١ -٢٣١ ، روبنسون ، جيجليو أنتونيللى والمادة ١٧ من معاهدة ويشالى ، جريدة التاريخ الافريقى ، ٧ ، ٣ (١٩٦٦) ص ٤٤٥ - ٤٥٧ ، وتبادل التعليقات النهائية ، ص ٥٤١ - ٥٤٦ ، وأيضا جيجليو ، المادة ١٧ من خطاب أوزيالى (كومو ، ١٩٦٧) . احدى الاسباب الكبرى حول لماذا توصلنا أنا وجيجليو الى نتائج مختلفة حول دور أنتونيللى وأهمية الرواية الايطالية للمادة ١٧ هو انى أعطيت وزنا اكبر للدليل التوثيقى للحدث السابق فى حين أشار جيجليو الى انه ركز اكثر على التفسيرات والمداولات التى قدمت بعد الحدث من جانب الذين شاركوا فيه .

(٤١٦) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٥٣-٥٥ .

(٤١٧) جيرى سيلاسى / مينيليك ، ص ١٥٤ - ١٥٦ . رغم ذلك ، يجب أن نسترجع أن مينيليك أيضا قد اشترك فى الاعمال العدائية مع المهديين على حدوده الغربية فى ويليجا . أنظر جيرى سيلاسى مينيليك ، ص ١٥٠ ، وأيضا هيئة السجلات المركزية ، الخرطوم ، المهدية ١/٥٥/١٦ ، من ميشيا ويركى الى أبوانجا ، ١٢ مايو ١٨٨٨ ، اليساندرو ترولنزى ، التجارة والاسلام والمهدية فى شمال غرب والاجا ، اثيوبيا ، جريدة التاريخ الافريقى ، ١٦ ، ١ (١٩٧٥) ص ٦٦ - ٧٠ .

للغاية وكان بعضها غير مطابق للمواصفات(٤١٨) . ولكن كان هناك دائما احتمال بأن الايطاليين سوف يساندون فى النهاية أحد الأمراء من منافسيه أو يستمروا فى ضم اراضى وانشاء محميات اذا لم يقم بتنفيذ الاتفاقية بحيث يضعهم داخل حدود معترف بها دوليا . وبالطبع ، أقدم الايطاليون على الخطوتين ، بالرغم من الاتفاقية ، ولم يستطع مينيليك أن يتنبأ بوقوع ذلك . وفيما يتعلق بمسألة الحدود قام مينيليك بادخال بل وأجبر أنتونيللى على قبول وضع اشارة عامة للحدود باعتبار الاراضى العليا حد لحدود اثيوبيا وممتلكات ايطاليا . وكانت هناك تغييرات هامة لصالح اثيوبيا وهى استبدال ارافالى بأنفيلا على الساحل وآدى نيفاس وآدى يوهانس بسيآزيجا فى قطاع حماسين الحدودى . ويشير عدد من التغييرات الأخرى ، وبعضها يقوم من أجل التبادل الكامل ، الى ان مينيليك كان حريصا وآخذا حذره من أى شىء قد يقيد أو بدا كأنه قد يقلل من سيادته(٤١٩) .

وفى ضوء هذا ، تجدر الاشارة الى أن الشرط الذى تم وضعه لتقييد سيادة الامبراطور فى الشئون الخارجية من خلال الحكومة الايطالية لم يتم تعديله . ويمكن شرح ذلك ببساطة شديدة : فصياغة المسودة باللغة الايطالية التى تضمنت كلمة التزام مينيليك بأن يقوم بتصريف شئون سياساته الخارجية من خلال الحكومة الايطالية لم تتم ترجمتها على الاطلاق الى الأمهرية . وبدلا من ذلك فان كلمة YECHALACHE WAL وهى احدى صيغ الفعل CHALA والتى ، استخدمت فى ١٨٨٣ فترجمة عبارة سيكون صعبا Sarain Facolta استخدمت مرة أخرى . وهكذا فان مينيليك يمكن ان يكون له حق أو سلطة طلب المساعى الحميدة من الحكومة الايطالية فى مجال العلاقات الخارجية ، اذا رغب أو عندما يرغب ، ولما كان مينيليك ومترجمه جرازماتش يوسف لا يعرفان الايطالية ، فى حين كان أنتونيللى يعرف أو يدعى معرفة الأمهرية ، فان المسئولية المتعلقة بعدم تغيير النص الايطالى ليتوافق من النص الأمهرى يجب أن تقع على عاتق أنتونيللى . وعلى أية حال فان النص الأمهرى هو الذى جسد الاتفاقية الحقيقية(٤٢٠) .

ان مسألة معرفته بالأمهرية اكثر أهمية ووجدت العديد من المؤشرات على انه كان على علم كاف بالأمهرية ، بالقدر الذى يجعله قادرا على اكتشاف الاختلاف بين chale . ishiale قبول اجبار- وتجدر الاشارة الى أن هناك صيغة مشابهة بالضبط قد استخدمت مرتين فى الاتفاقية (المواد ٨ ، ١٦) وترجمها بوترانو وبوترا- الأمر الذى سيجعله قادرا (مصدر سابق ، ص ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٦) - وفى البداية قبل جيجليو برهانى (جريدة التاريخ الافريقى ٦ ، ٢ ، ص ٢٢٨) ومن وجهة نظرى كانت حجة الأخيرة (المادة ١٧ ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ٣١ - ٣٣) غير مقنعة على الاطلاق . والنقطة الحاسمة هى أن النص الأمهرى هو الذى جسد الاتفاقية الحقيقية ، ورغم ذلك ، سلم جيجليو بالتقليد التاريخى الذى ظل سائدا لمدة طويلة فى ايطاليا للعكس وقبل تفسيرى .

---

(٤١٨) جيجليو ، اثيوبيا ، العدد ٧ ، ٢٥٦ - ٢٦٢ ، من أنتونيللى الى كريسى ، ٢ يوليو ١٨٨٩ .

(٤١٩) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٥٥ - ٥٦ ، باتاجليا ، حرب ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٤٢٠) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٣٢ - ٣٩ ، وما اذا كان انتونيللى اتخذ قرارا بعد التشاور ولم يغير النص الايطالى أو فشل فى ذلك بسبب الاهمال ، يكون من المستحيل القول بتأكيد وأهمية قليلة من وجهة نظر التاريخ الأثيوبى .

« بقاء الاستقلال الأثيوبى »

وعاد أنتونيللى الى ايطاليا فى أواخر أغسطس بصحبة بعثة اثيوبية يترأسها ديجازماتش ميكونين احد أقارب مينيليك المقربين ، وكانت مهمة البعثة بجانب حضور مراسم التصديق على الاتفاقية أن تقوم بشراء اسلحة وهو هدفها الرئيسى أصلا (٤٢١) . أما بالنسبة لحكومة فرانسيسكو كريسبى فكانت فرصة لمتابعة النجاح الذى حققته الاتفاقية . سواء كان واقعيا أو تم تصور أنه نجاح . وفى اتفاقية اضافية فى اول اكتوبر ، تم الاتفاق على أن حدود المستعمرة - التى سميت باسم اريتريا بعد ذلك بثلاثة اشهر - يجب أن يتم رسمه على أساس السيطرة الفعلية ، كما هى موجودة اليوم ، كما شمل الاتفاق أن يكون للامبراطور حق صك العملة الخاصة به . على أن يتم هذا فى ايطاليا فقط وذلك بعد اتخاذ قرارات مشتركة خاصة بالقيمة والوزن لهذه العملة ، كما تم الاتفاق أيضا على أن يتم منح مينيليك قرضا قيمته ٤ ملايين ليرة مقابل جمارك هرارى كضمان للقرض وان تكون النسب التى وضعت هناك بمثابة نموذج بالنسبة للجمارك فى المراكز الأخرى (٤٢٢) .

وكان من المفترض بطبيعة الحال أن تكون الجمل والعبارات الخاصة بالحدود لا تحل محل المادة ٣ من اتفاقية ويشالى ولكن أن تكون مكملة لها ، ولقد تم اتخاذ احتياطات كبيرة بحيث لا تثير شكوك مينيليك تجاه الغرض الحقيقى للصيغة الجديدة . ومع ذلك فقد انزعج ميكونين . وتردد أنه قال انه اذا كان « التملك الفعلى » لا يتجاوز سى آتى ، فلماذا يطلبها الايطاليون فى حين أنه تم وعدهم بأسمرة فى معاهدة ويشالى ؟ ولكن كريسبى أقدم على اتخاذ اجراء بحيث يتحرك القائد الايطالى فى اريتريا من أسمرة ، الى مواقع أخرى جديدة اضافية قبل أن يصل مينيليك الى تيجراى . وفى نفس الوقت الذى عاد فيه كل من ميكونين وأنتونيللى الى اثيوبيا ومعهما التصديق والاتفاقية الجديدة ، وبدا الحاكم الايطالى الجديد وهو الجنرال أوريرو ، فى ديباروا ، أما خلفاؤه الاريتريون فكانوا فى ميريب بل كانوا قد تجاوزوها ، ان عبارة « التملك الفعلى » لاريب كانت تمثل أعلى مستوى من الخداع والازدواجية التى توصل اليها الايطاليون فى تعاملهم مع الأثيوبيين ، كما انها كانت تشير الى ان سياسة كريسبى تضمنت المبدأ الذى يقول بأن « خداع أفريقى هو أمر مشروع (٤٢٣) .

ولقد صعق مينيليك من هذا الموقف . اذ بينما تلقى فى ميكيلى التصديق على اتفاقية تشترط (المادة ١٦) ان كل البنود يمكن ان تعدل بعد خمس سنوات ، مع الافصاح عن الرغبة فى ذلك قبل ذلك بعام ، فيما عدا البند الخاص بالحدود الذى يجب ألا يحدث به تغيير تحت أى ظرف من الظروف وجد أنه فى نفس الوقت ، فان الاتفاقية الأخرى التى وقعها سفيره طبقا لتفسير أنتونيللى ، تعطى الايطاليين كل الاراضى الواقعة شمال ميريب . وأعلن مينيليك انه لن يتنصل من قريبه ولكن

---

(٤٢١) جيرى سيلاسى ، مينيليك ، ص ١٦٩ .

(٤٢٢) ارشيف الخارجية الايطالية ، سيرى ، فى تريتاتى ، اثيوبيا ، رقم ٤ .

(٤٢٣) باتاجليا ، حرب ، ص ٣٧٩ - ٣٨٣ ، ٣٩٧ - ٤٠٠ ، الارشيف المركزى ، روما ، فوندو جريسى ، ١٤٦/١٨١ .

موضوع « التملك الفعلى » سوف يتم الرجوع اليه وتطبيقه طبقا لتاريخ توقيع الاتفاقية فى روما . وكان هذا يعنى ان الايطاليين يجب ان يتخلوا عن شكيت فقط والتى تقع على بعد ٢٠ كيلو مترا جنوب أسمرة . ووافق انتونيللى على ذلك ولكن العسكريين المسئولين عن أريتريا وكذلك كريسبى فى روما رفضوا ذلك ، وتوقفت المفاوضات ، وعاد مينيليك الى شيوا ، وظل الايطاليون فى ميريب (٤٢٤) .

وفيما يتعلق بمسألة الحدود وحدها - وكان هذا بعد كل الاسباب الاصلية الخاصة بالمفاوضات وطبقا لشرط انتونيللى - كانت هى المسألة الاهم ، تلقت اتفاقية ويشالى ضربة قاصمة كان من الصعب أن تشفى منها . . . وفى الواقع كان الاحتلال غير القانونى لمعظم منطقة حماسين واكيلى جوزى وكل سيراى قد وضع مينيليك فى علاقته مع الايطاليين الى نفس الوضع الذى كانت فيه علاقات يوهانس مع المصريين بشأن بوجوس : ألا وهى حالة اللاسلم واللاحرب . والاختلاف هو ان كريسبى كانت لديه ورقة ثانية يلعب بها : فقد اعتقد انه يجب على ايطاليا ان تتمهل بل ان الأفضل لها ان تتمهل وتنتظر ، فيما وراء منطقة ميريب انتظارا وتوقعا لحدوث أية تطورات (٤٢٥) .

وفى ١١ اكتوبر ١٨٨٩ ، تصرف كريسبى كما لو كان ينتظر ميكونين للتوقيع على اتفاقية اضافية ، لفتح الحدود اولا ، فأبلغ الدول الموقعة على اتفاق برلين العام بأنه طبقا للمادة ١٧ من معاهدة ويشالى فقد وافق مينيليك على استخدام حكومة ملك ايطاليا ، فيما يتعلق بشئون المفاوضات التى قد يجريها مع أى دول أو حكومات أخرى ، وقد أقدم على ذلك تمشيا مع المادة ٣٤ من الاتفاق العام . ولم يحدث أن ورد فى المادة ١٧ أو فى المذكرة التى أبلغها كريسبى للدول اتفاق برلين أى ذكر عن كلمة « حماية » أو « محمية » ، ولكن نية كريسبى هى ان اتصالاته يجب ان تقبل لأن الادعاء بالحماية كان واضحا من الاشارة الى اتفاق برلين ، ولما كانت معظم الحكومات الثلاث عشرة القريبة لها مصلحة ضئيلة أوليس لها أيه مصالح فى المنطقة فقد قبلت المذكرة بدون ابداء أية تحفظات ، أما الدول ذات الثقل مثل - بريطانيا فرنسا ، روسيا ، تركيا فقد أبدت جميعها تحفظات أو احتجت بشكل أو بآخر . ووجدت بريطانيا ان الاجراء مثير للتساؤل وطلبت نسخة من الاتفاقية بأكملها قبل أن تقبل بما جاء فى المذكرة . ولكن ايطاليا كانت حليفتها فى المنطقة ، ولذلك فانهم أى البريطانيون - فى النهاية قبلوا على مضض فكرة « شبه المحمية » أو ما أطلق عليها اسم محمية ، وقد أفاد الفرنسيون بأنهم تلقوا المذكرة ، ولكنهم أصروا فى وقت لاحق على انهم خدعوا لغويا وانهم يقبلون جوهر المذكرة الايطالية ، وقد كان لدى الروس تحفظات ، حتى قرر كريسبى فى النهاية ، ومن جانب واحد وبشكل عقيم ، أن اعتراضاتهم قد استبعدت . وقد اتخذ الباب العالى قرارا متعمدا بعدم الابلاغ عن تسليم المذكرة . واذا لم يحترم الايطاليون حقوق السيادة الخاصة بالامبراطورية العثمانية فى مصوع ، فلا يجب توقع أى شىء ذى بال حتى ولو كانت

---

(٤٢٤) باتاجليا ، حرب ، ص ٤٢٠ - ٤٢٥ .

(٤٢٥) مصدر سابق ، ص ، ٤٢٦ .

صيغا قانونيا من جانبهم ؟ وكان هذا هو الموقف فى يناير ١٨٩٠ ، ومن الصعب تفهم كيف يستطيع أى شخص أن يستنتج ، « أن كريسبى نجح فى محاولته وكل شىء وصل الى نهايته بأفضل السبل » (٤٢٦) .

وكانت فرصة كريسبى الاول لاختبار قبول ادعائه بالحماية هى مؤتمر بروكسل الخاص بالرقيق فى ١٨٨٩ - ١٨٩٠ ، وقرر انتهاز هذه الفرصة . وفى ٢٧ يناير ١٨٩٠ ، اقترح الوفد الايطالى تعديلا يفتح الطريق امام ايطاليا للتوقيع على المعاهدة بوصفها الدولة المسئولة والحامية لاثيوبيا . وقد أعلن الدبلوماسى البلجيكى ايميلى بانبنج ، الذى ساعد زميله البارون سى . ايه لامبرمونت فى ادارة المؤتمر بقوله ان هذا سيكون بمثابة تصديق بشكل غير مباشر للمادة ١٧ من الاتفاقية الايطالية .

ولذلك ، كان هذا أمرا لايمكن قبوله ، فكلمة حماية بالذات لايمكن أن تستخدم (٤٢٧) . ولكن كريسبى لم يعدم وسيلة أخرى : فان طلبا من مينيليك بأن يكون أحد الموقعين على الاتفاقية ومنح تفويض للوفد الايطالى بالتوقيع نيابة عنه يمكن أن يظهر على الأقل أن ايطاليا لها علاقة خاصة مع اثيوبيا ويصبح هناك أمل بالتالى أن البعض سوف ينظر الى هذا ، على أنه دليل على أن الحماية قائمة فعلا .

وقد صدرت تعليمات الى أنتونيللى من خلال أوريرو بالحصول على تفويض من مينيليك فى تيجرى ، وكان ذكر كلمة الحماية بالطبع أمرا مستحيلا بقدر ما كان مستحيلا فى بروكسل . وكان هذا غير ضرورى أيضا . وكان الايطاليون قد وعدوا مينيليك باعطائه اسلحة ومن ثم فقد كانت لديه كل الاسباب للتعاون حتى يمكن اعفاء اثيوبيا واستثناؤها من القيود المفروضة على مبيعات الاسلحة فى افريقيا ، وكانت رسالة مينيليك هى أن الوفد الايطالى يجب أن يحافظ باسم مينيليك ، على مصالح اثيوبيا فى جميع الامور التى تهمها ، ولكن لم يكن هناك أى ذكر لتخويل ايطاليا أى سلطة لتوقيع أى اتفاق (٤٢٨) .

---

(٤٢٦) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ١٢ - ١٤ ، لفرنسا ، أيضا ارشيف وزارة الخارجية (بروكسل) والتجارة الخارجية (بروكسل) المرسوم العام لبروكسل ، ادعيسون١/١ ، من بورش جراف الى لامبرمونت ، ٢٢ مارس ١٨٩٠ . النتيجة هى جيجليو (المادة ١٧ ، ص ، ٧٥) وهذا يبدو لى أن تلهفه لاثبات ان الحماية الايطالية على اثيوبيا جعله يقدر قوة التحفظات كلية .

(٤٢٧) أرشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسيل) ، رسوم عام ... ملحق ١/١ ، محضر بانتج ، ٢٧ - ٢٩ يناير ١٨٩٠ .

(٤٢٨) ارشيف الخارجية الايطالية ١/١٥٥ -٥ ، من كريسبى الى أوريرو ، ٢٦ فبراير ١٨٩٠ ، من أنتونيللى الى كريسبى ، ٣ مارس و ٢٩ مارس ١٨٩٠ ، من كريسبى الى دى رنيزيس ١٩ ابريل ١٨٩٠ ، ارشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسل) ، مرسوم عام ، ملحق ١/١ من دى رنيزيس الى تشيمى ، ٧ ابريل ١٨٩٠ . نص خطاب مينيليك الى كريسبى ، ٤ مارس ١٨٩٠ (بالتاريخ الأثيوبى ١أو ٥ مارس) تفويض بالسلطة نشر فى وثيقة دبلوماسى ١٨٩٠ - ١٨٩١ ، ١٧ ، ص ٦ ، ولكن أنتونيللى سمح فى ٢٩ مارس ١٨٩٠ من مصوع بأن يتلقى تفويضا شفويا . وبعد ذلك باسبوع ، تطلع الى تفويض مكتوب (جيجليو ، المادة ١٧ ، ص ٨٤) وهناك سبب للشك ، رغم ذلك بأن الوثيقة لم تكن فقط بتاريخ سابق (انظر ارشيف الخارجية الايطالية ٩/٣٦ - ٧٣ ، محضر كريسبى ، ان . دى .) ولكنها زيفت . وليس من المحتمل أن يغطى أى رسول المسافة من مصوع الى خيمة مينيليك فى أشنجى (جيبرى سيلاسى ، مينيليك ، ص ١٧١) والى الخلف (٨٠٠ كيلو متر) فى الفترة بين ٢٩ مارس و ٦ أبريل .

وحاول الايطاليون مشيرين الى هذا والى معاهدة ويشالى ، معا أو بشكل منفصل ، الحصول على التزام مينيليك بالمعاهدة فى جدول الاعمال ، مؤكدين اهمية تعاونه الفعال فى النضال ضد تجارة الرقيق ، التى لم تعد لها أثر فى الولايات الواقعة تحت سيطرته ، بالرغم من أن مينيليك علم لسوء الحظ بالمؤتمر فى وقت متأخر جدا فان انضمامه التلقائى يجب أن يؤخذ على أنه مؤشر لنجاح العمل (٤٢٩) .

والآن الشىء المدهش الذى حدث هو أنه فى الوقت الذى كان ينظر فيه الى تأييد اثيوبيا للاتفاقية على أنه أمر مرغوب فيه بل وحتى ضرورى ، فقد كان من المستحيل السماح لايطاليا بالتحدث باسمها حتى على اساس التفويض الخاص . وكانت المشكلة هى أن ذلك من شأنه أن ينظر اليه وكأنه « اول تطبيق للمادة ١٧ » . . . وفى ضوء الوضع غير المحدد للحماية الايطالية ، فان أى ربط بالمادة ١٧ مهما يكن يجب تجنبه (٤٣٠) .

وقد عمل السياسيون والدبلوماسيون لمدة شهرين وراء الكواليس لايجاد صيغة يمكن اعطاء ايطاليا بعض الرضا من خلال تبنى صيغة « الوضع القائم » لها فى اثيوبيا ، بدون أن يتضمن ذلك بشكل غير مباشر أى اعتراف بوضع قانونى فى « ما تطلق عليه محمية » . وقد أوضحت الحكومتان الفرنسية والتركية الى أن مسائل من هذا النوع لا تحل بأغلبية الاصوات (٤٣١) .

وقد وافق لورد سالسبورى ، وزير الخارجية البريطانية ، على ان ادعاء الحماية لايمكن أن يستخدم أو حتى لايجب الاشارة اليه ، ولكنه أيد حق ايطاليا فى تمثيل اثيوبيا على اساس التفويض الخاص وفعلت الحكومتان الالمانية والنمساوية نفس الشىء .

ورغم ذلك ، فقد طالب الباب العالى أن تتخلى ايطاليا عن اقتراحها كلية أو أن هذا الموضوع يمكن الاشارة اليه فى جدول أعمال المؤتمرات بأنه لم تتم مناقشته . واقترحت روسيا ثم أصرت عندئذ ، بتأييد فرنسى ، بأن الاجراء الوحيد المقبول من جانب ايطاليا هو أن تقوم بالابلاغ (ابلاغ المؤتمر) بالتزام مينيليك باتفاقية بروكسل بعد المؤتمر لكى يستطيع الجميع أن يقدم تحفظات نهائية عندما يتم ابلاغهم بذلك (٤٣٢) . وكان الهدف من ذلك بالطبع ،هو منع ايطاليا من الادعاء فى أى

---

(٤٢٩) ارشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسيل) مرسوم عام ، ملحق ١/١ ، من دى رنيزيس الى تشيمى ، ١٧ مارس ١٨٩٠ .

(٤٣٠) مصدر سابق ، ليوبولد ١١ الى لامبرمونت ، ١٩ مارس ١٨٩٠ ، من تشيمى الى فيفيان ٢٠ مارس ١٨٩٠ ، ارشيف وزارة الخارجية الايطالية ١/١٥٥ - ٥ ، من مدى رنيزيس الى كريسبى ، ٢٥ مارس ١٨٩٠ .

(٤٣١) ارشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسيل) مرسوم عام ملحق ١/١ ، مذكرات شفوية ، فرنسية ، بلدون تاريخ ، تركية ، ٢٣ ابريل ١٨٩٠ .

(٤٣٢) مصدر سابق ، من ليوبولد (الى لامبرمونت) ، ٢٥ مارس و ٢٦ مارس ١٨٩٠ ، من فيفيان الى لامبرمونت ، ٢٦ ابريل ١٨٩٠ ، من بورشجرافى الى شيمى ، ٢ مايو ١٨٩٠ ، من لامبرمونت الى ليوبولد ، ان . دى ، مع نسخة ملحقة للرد الروسى مؤرخة فى ٢ مايو ١٨٩٠ ، من مورير الى سالسبورى ، ٢مايو ١٨٩٠ ، ارشيف الخارجية الايطالية ١/١٥٥ -٥ ، دى رنيزيس الى كريسبى ، ٢٥ مارس ١٨٩٠ ، من تورنيللى الى كريسبى ٢٧ مارس و ٢٨ مارس ١٨٩٠ .

وقت كان بان المؤتمر قد اعترف بحقها فى التحدث باسم اثيوبيا .

وقد كان رد الفعل الايطالى على الاقتراح الروسى قديما للغاية : اننا لسنا وحدنا ، فنحن اربعة (التحالف الثلاثى وبريطانيا) ، حسنا وسوف نتحد معا ، واذا كان هناك ضرورة لمغادرة المؤتمر ، فاوروبا سوف تحكم ، ولكن الروس رفضوا تغيير موقفهم واضطر الايطاليون للتراجع خطوة خطوة (٤٣٣) . وفى النهاية ، كان عليهم قبول تحفظات روسيا وفرنسا حتى قبول فكرة الابلاغ البسيط الخاص بإلتزام مينليك الذى تم بعد انتهاء المؤتمر وعلى اساس التفويض فقط (٤٣٤) . وبدلا من اظهار قبول دولى للحماية الايطالية على اثيوبيا ، كشفت « حادثة مينيليك » فى بروكسل عن مدى ادعاءات كريسبى الجوفاء . وكانت النتيجة النهائية هى أن فرنسا وروسيا أوضحا فى وثائق أودعت مع طرف ثالث ، انهما رفضتا ادعاءات ايطاليا (٤٣٥) . وبالرغم من أن تحفظات تركيا وروسيا وفرنسا لايمكن ان تنحى جانبا على اساس انها ليست ذات صلة بالمسألة الخاصة بتواجد (كما فهمه الاوروبيون) الحماية الايطالية على اثيوبيا بشكل قانونى فانه لا الابلاغات ولا التحفظات أظهرت اكثر من وجود مصالح هامشية من وجهة نظر التاريخ الأثيوبى . أولا ، لان الادعاء الايطالى وحده خلق التوقع بأنها سوف تنجح فى النهاية فى اقامة حمايتها ، وبعد عدة اعوام قليلة سوف يصبح كل شخص معتاداً على الفكرة القائلة بأن مينيليك كان تابعاً لإيطاليا وعندئذ سيكون الإعتراف الرسمى أمرا سهل الحصول عليه(٤٣٦) ثانيا ليس هناك قلق يتعلق باستقلال أثيوبيا وهو السبب الذى أدى الى حدوث تحفظات واحتجاجات ، فلو أن مينيليك قد تنازل فى موضع سيادة بلاده ، لكان البديل لايطاليا ليس الاستقلال بل حلول دولة اوروبية أخرى محلها فى اثيوبيا .

ومع استثناء أحد التصرحات التى تثير الاهتمام من استانبول حول ان الباب العالى لم يعترف باستلام مذكرة كريسبى الخاصة بالمادة ١٧ لان ايطاليا فقط ، وليس مينيليك ، هى التى قامت بارسال المذكرة (٤٣٧) ، فلم تكن هناك أية مؤشرات فى بروكسل على أن أى شخص اهتم ليسأل

(٤٣٣) ارشيف الخارجية والتجارة الخارجية (بوكسل) ، مرسوم عام ملحق ١/١ (لامبرمونت) الى فيفان وليوبولد ١١ ، ٤ مايو ١٨٩٠ ، من جريندل الى لامبرمونت ، ٧مايو ١٨٩٠ (لامبرمونت) الى جريندل ، ١١ مايو ١٨٩٠ ، من ليوبولد الى لامبرمونت ، ١٥ مايو ١٨٩٠ ، من دى رينزيس الى لامبرمونت ، ١٠ يونيو ١٨٩٠ (فيفان الى لامبرمونت) ١٥ مايو ١٨٩٠ ، دى رنيزيس الى لامبرمونت ، ١٠ يونيو ١٨٩٠ ، (فيفان الى لامبرمونت) ١٨ يونيو ١٨٩٠ . بعض من خطابات ومذكرات ومحاضر جلسات تكشف عن كيف صارعت ايطاليا بصعوبة وبطريقة غير ناجحلا للحصول على جزء من الميزة السياسية بعيدا عن المؤتمر . أنظر أيضا ايميلى بانتج ، مذكرات سياسية ودبلوماسية (باريس وبروكسل ١٩٢٧) ص ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٣٧ - ٤٠ ، ١٤٥ - ١٥٢ .

(٤٣٤) ارشيف الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسل) مرسوم عام ٠٠٠ ، ملحق ٢/١ ، يحتوى على بلانج دى رنيزيس الى شيمى ، ٢٨ أغسطس ١٨٩٠ وردود جيمس الى دى فينك ٧ اكتوبر ، من ريوت الى بينس ، ١٦ اكتوبر ١٨٩٠ ، كلاهما مع تحفظات .

(٤٣٥) جيجيليو ، المادة ١٧ ، ص ٨٩ ، لااتصال ، ولكن اعتراف غير واضح بادعائها الخاص بالحماية .

(٤٣٦) ارشيف الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسل) ، مرسوم عام . . . ، ملحق ١/١ من جريندل الى لامبرمونت ، ٧ مايو ١٨٩٠ .

(٤٣٧) مصدر سابق ، بورشجراف ، مذكرة الى لامبرمونت ، ٢٢ مارس ١٨٩٠ .

ما اذا كان مينيليك قد وافق بالفعل على ما جاء بالمذكرة التى ارسلتها ايطاليا ، وهذا أمر ملحوظ بشكل كبير لان مينيليك كان قد كتب الى عدة ملوك فى اوروبا فى النصف الثانى من عام ١٨٨٩ بدون اللجوء الى ايطاليا كوسيط . وحتى انه أعلن لفيكتوريا ، « اليوم اكثر من ذى قبل ، فانه من واجبى الكتابة الى كل ملوك اوروبا لكى يطلبوا منك ان تنظرى الينا بعين الحب والصداقة . وكتب عن ارسال مبعوثين الى لندن وباريس وأثار مسائل سياسية هامة مثل حق اثيوبيا فى استيراد اسلحة وذخيرة (٤٣٨) . وعندما علم كريسبى بأمر هذه الرسائل فى فبراير ١٨٩٠ ، أصدر تعليمات الى انتونيللى لتأنيب مينيليك لانتهاكه المادة ١٧ . وبالرغم من أن انتونيللى رد بأنه سوف يقدم « احتجاجات قوية » ، فانه على ما يبدو قام بعكس ذلك . وعلى أية حال ففى يوليو ١٨٩٠ ، عندما وصلت ردود ويليام الثانى وفيكتوريا ، ادرك مينيليك ان انتونيللى قد خدعه . وقد تمت المقارنة بين النصين الأمهرى والايطالى لمعاهدة ويشالى ، وتم اكتشاف ان هناك خلافا بين النصين وكانت الخطوة الاولى التى اقدم عليها مينيليك (اغسطس ١٨٩٠) هى الاستشهاد بالمادة ١٩ ، التى جعلت صلاحية المعاهدة تعتمد على الاتفاق التام بين النصين ، وطلب من أمبرتو تصحيح الخطأ فى النص الايطالى وأن يقوم بابلاغ الحكومات التى تم ابلاغها بهذه المادة فى الاتفاقية بالتصحيح .

وبطبيعة الحال ، فان الحكومة الايطالية لم تستجب لطلب مينيليك (٤٣٩) . وفى اكتوبر أقدم الأخير على ابلاغ زملائه الآخرين فى اوروبا بصحة نص المادة ١٩ ، وقال : لما كانت مملكة اثيوبيا مملكة مستقلة فقد شعرنا ، عندما سمعنا هذه الشائعات (« أن اثيوبيا اصبحت مستعمرة ايطالية) ان ذلك شيئا يقلل من شأننا ومن شأن مملكتنا ، ولذا فاننا أبلغناكم بالخطأ . وكما فعلنا فاننا نأمل ان تكون الحكومة الايطالية قد قامت بابلاغكم بالخطأ الذى حدث فى الترجمة (٤٤٠) .

وقد تطلبت هذه الجرأة والتهور من جانب مينيليك ـ من الحكومة الايطالية ان تقوم باتخاذ اجراء ما ، وتم ارسال أنتونيللى الى اديس ابابا ، ولكن محاولاته التى طال أمدها لحمل مينيليك على قبول المسئولية عن الوضع المعقد وقبول صيغة ما يمكن بمقتضاها استمرار الحماية . وأبلغ مينيليك الحكومة الايطالية بأنه لن يقبل نتائج الأخطاء الشخصية لأنتونيللى ، وبناء على المادة ١٩ ، اعتبر ان المادة ١٧ باطلة وغير ملزمة قانونا ، ولن يقبل اى التزام مهما كان من شأنه ان يحد من استقلاله (٤٤١) .

(٤٣٨) محفوظات وزارة الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ، ٩٥/٧٥٠ ، رقم ٢٨٩ ، من مينيليك الى فيكتوريا ، ١٤ ديسمبر ١٨٨٩ ، الارشيف الدبلوماسى (محفوظات) وزارة الخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، الى كارنوت ، ١٤ ديسمبر و٢٣ ديسمبر ١٨٨٩ ، الارشيف السياسى ، بون ، أ ، الحماية الايطالية على اثيوبيا ١ ، الى ويليام الثانى ، ١٤ ديسمبر ، ١٨٨٩ ، انظر أيضا روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ١٤ ـ ١٦ .

(٤٣٩) روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ١٦ ـ ٢٠ ، باتاجليا ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٦ .

(٤٤٠) الارشيف الدبلوماسى (محفوظات) وزارة الخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، من مينيليك الى كارنوت ، ٣٠ اكتوبر ١٨٩٠ . كتب مينيليك الى فيكتوريا ، ومن المحتمل الى رؤساء دول آخرين ايضا ، وفى ٤ اكتوبر ، يبدو أن هذه الخطابات وصلت الى روما . انظر روبنسون ، ويشالى ١٧ ، ص ٢٠ ، وجيجيليو ، المادة ١٧ ، ص ٨٥ ، رقم ٦٤ .

(٤٤١) باتاجليا ، جورا ، ص ٤٤٨ ـ ٤٥٧ . الخطاب الذى أعلن فيه مينيليك فشل المفاوضات لامبرتو فى ١١ فبراير ١٨٩١ نشر فى وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٠ ـ ٩١ ، ١٧ ، ص ٤١ ـ ٤٣ .

وقد عرف أنتونيللى انه هزم ولم يكن لديه وهم بشأن اتجاه مينيليك : ان العلاقات الودية مع اثيوبيا تتطلب انسحابا ايطاليا من سيراى واكيلى جوزى كما تتطلب ابطال المادة ١٧ (٤٤٢) . وبدلا من مواجهة الحقائق ، استمرت الحكومة الايطالية فى بناء قلاع فى الهواء ، على أمل ان تعترف الحكومات الاوروبية بما فى الاتفاقية وتعمل على تحقيق ما ورد بها . وقد تفاوضوا على اتفاقيتى ٢٤ مارس و ١٥ ابريل ١٨٩١ مع بريطانيا ولم يحددوا حدود محميتهم التى ستكون ، واعلنوا عن هاتين الاتفاقيتين فى ١٦ ابريل . وقبل ذلك بيوم ، ارسلوا خطابا الى مينيليك يدعونه الى الاعتقاد بأنه ليس هناك شىء أقرب الى قلب ملك ايطاليا اكثر من رؤية التاج الأثيوبى مكرما ومستقلا (٤٤٣) .

وبالرغم من أن مينيليك كان يجهل ، بدون شك بالعديد من تعقيدات الدبلوماسية الاوروبية والقانون الدولى ، الا انه كان على علم كاف بالحقائق السياسية بدرجة تمكنه من معرفة كيف يتعامل بحزم وحذر ، ففى ابريل ١٨٩١ ، قام بتحديد حدود اثيوبيا بناء على اقتراح ايطالى . واذا كان قد حدث ان تم ابلاغ ذلك الى الدول الاوروبية عن طريق الحكومة الايطالية ، لكان ذلك مدعاة لتأييد الادعاءات الايطالية . ولكن مينيليك كان حذرا فى عدم استخدام قنوات ايطالية عندما ارسل خطابه الشهير لعدد كبير من الأشخاص واصفا اثيوبيا بأنها « جزيرة مسيحية محاطة ببحر من الوثنيين » ووصلت هذه الرسالة الى اصحابها وكانت بمثابة انكار لادعاءات ايطاليا بأنها قد استطاعت تسوية الأمر .

ومن ناحية أخرى ، كان مينيليك حذرا من إبداء اية ادعاءات يمكن أن ينظر اليها انه لا يقوم بتنفيذ اتفاقاته . وقد قام مينيليك بالتوسع عندما رسم الحدود فى الغرب والجنوب والشرق ، ولكن فى الشمال سمح للايطاليين ليس فقط بالارض التى كان قد تخلى عنها فى معاهدة ويشالى ولكن أيضا بأماكن اضافية تم منحها لهم فى فبراير ١٨٩٠ للوفاء ببند « التملك الفعلى » وحتى بتلك الاراضى التى تم مناقشتها فى اديس ابابا بعد ذلك بعام .

ومن المفيد ان نشير الى انه ، بالرغم من انه احتفظ بادعاء اثيوبيا الخاص بالساحل جنوب ارفالى على اساس ان محمد انفارى كان تابعا له (٤٤٤) .

ولم يكن من الصعب التنبؤ بما سوف يحدث من ردود . وقد ردت لندن وروما بنسخ من

---

(٤٤٢) وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٠ ـ ١٨٩١ ، ١٧ ، ص ٣٦ ، من أنتونيللى الى دى رودينى ، ٢٥ فبراير ١٨٩١ .

(٤٤٣) مصدر سابق ، ١٧ ، بروتوكول ٢٤ مارس ، ١٥ ابريل ١٨٩١ . . . . . ، ارشيف الخارجية الايطالية ١/٣٦ ـ ٢١ ، من أمبرتو الى مينيليك ، ١٥ ابريل ، ١٨٩١ (تأكيدى) .

(٤٤٤) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٥/٩٥ ، رقم ١٠٠ ، من مينيليك الى فيكتوريا ، ٢١ ابريل ١٨٩١ ، الارشيف الدبلوماسى بالخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، الى كارنوت ، نفس التاريخ ، الارشيف السياسى ، بون ، أ ، الحماية الايطالية على اثيوبيا ، ٤ ، الى ويليام الثانى ، نفس التاريخ ، ارشيف الخارجية الايطالية ، ١٣/٣٦ ـ ١٠٩ ، الى امبرتو الاول ، نفس التاريخ ، فيما يتعلق بالخطاب الذى بلغ الى عدد كبير من الملوك انظر ارشيف الخارجية الايطالية ، ٦/٣٦ ـ ٥٢ ، من انتونيللى الى مينيليك ، (يوليو ١٨٩٠) ، فيما يتعلق بآخر تنازلات اقليمية تم مناقشتها قبل الخطاب ، ١٣/٣٦ ـ ١٠٤ ، من انتونيللى الى كريسبى ، ٣١ ديسمبر ١٨٩٠ ، ٢٣/٣٦ ـ ١٠٦ ، من مينيليك الى امبرتو الاول ، ٢٢ يناير ١٨٩١ ، وبالنسبة لفرنسا ، ٩/٣٦ ـ ٧٤ ، من سالمبينى الى بيستالرزا ، ١٩ نوفمبر ١٨٩٠ .

بروتوكولات مارس وابريل بشأن مناطق النفوذ . ولم يتم ذكر اثيوبيا فى البروتوكولين ، ولكن هذا لم يمنع الحكومة الايطالية من التأكيد لمينيليك أن غرضهم كان ضمان وحماية السيادة المتألقة لاراضى امبراطورية اثيوبيا (٤٤٥) .

« بقاء الاستقلال الأثيوبى »

وعلى الجانب الآخر ، تلقى مينيليك من باريس تأكيدات بأنه يستطيع أن يستمر فى الاعتماد على حصوله على الاسلحة والذخيرة التى يريدها وان حاكم أوبوك «ل ، لاجارد سوف يتم ارساله للتوضيح وتسوية أى خلافات فى وجهات النظر حول الحدود بين الممتلكات الفرنسية فى خليج تاجورا واثيوبيا انطلاقا من روح الصداقة والتعاون (٤٤٦) . وبعيدا عن فكرة اعلان الحرب ضد ايطاليا ، كانت هناك مبادرة دبلوماسية كبرى يمكن لمينيليك من خلالها اظهار استقلاله والادعاءات الجوفاء لايطاليا . وقد فضح الخداع الايطالى عندما استشهد بالمادة ١٩ من اتفاقية ويشالى لاثبات ان المادة ١٧ باطلة وغير ملزمة قانونا . ورغم ذلك ، استمر الايطاليون واصدقاؤهم فى اوروبا فى التحرك كما لو كانت اتفاقية ويشالى قد صدقت على ادعاءات ايطاليا الخاصة بالحماية على اثيوبيا . وللخروج من هذا الموقف ، قرر مينيليك انتهاء الاتفاقية ككل ، وفى ٢٧ فبراير ١٨٩٣ أبلغ الحكومة الايطالية بأن الاتفاقية سوف يتم ايقافها اعتبارا من اول مايو ١٨٩٤ (٤٤٧) . وكلا التاريخين كان لهما معنى ودلالة .

وفى محاولة اكثر جدية لتسوية علاقاتهم مع مينيليك بعد الانهيار فى عام ١٨٩١ وبعد المبادرة التى جاءت فى وقت لاحق من العام لاستخدام نجل يوهانس مينجيشا ضد الامبراطور ، ارسلت الحكومة الايطالية مبعوثا الى اديس ابابا ، هو ليوبولدوترافيرس ، ومعه ٢ مليون خرطوشة ، كان مينيليك طلب احضارها (ودفع ثمنها) من ايطاليا بمقتضى اتفاق على قرض فى الاتفاقية الاضافية . ووصل ترافيرس يوم ١٦ فبراير ١٨٩٣ ، وقرر مينيليك ان هذه كانت اللحظة المناسبة لابلاغ الاوروبيين بأنه قد سوى حساباته مع الايطاليين (٤٤٨) وفى نفس الوقت أقدم على محاولة لتحقيق كل شىء بطريقة صحيحة عن طريق ان يتم بدء انهاء المعاهدة بعد خمسة اعوام بالضبط من توقيعها أما بالنسبة للمادة ١٦ فانها تتضمن أن يعدل كلا الجانبين كل الشروط فيما عدا الشرط الخاص بالحدود ، الا بعد خمسة اعوام وباخطار مسبق عام للطرف الآخر ، وعلى الجانب الآخر ، كان لدى مينيليك خبرة كافية لمعرفة ان الغاءه الاتفاقية من جانب واحد سوف يقابل بالتحدى ، ولكنه لم يناقش حقه القانونى فى الالغاء ولكن فى حقه المعنوى للاقدام على هذا ، مستشهدا كتبرير لذلك بالمادة ١٧ وبانتهاكات الحدود ، وباثارة المؤامرات مع رعاياه ، وكتب تقريبا خطابات مماثلة بعث

---

(٤٤٥) محفوظات الخارجية البريطانية ، دار المحفوظات العامة ، لندن ٧٥٢/٩٥ ، رقم ١٦٨ ، من فيكتوريا الى مينيليك ، ١٨ أغسطس ، ١٨٩١ ، ارشيف الخارجية الايطالية ١٣/٣٦ ـ ١١٠ ، أومبرتو الى مينيليك ، ٢٠ سبتمبر ١٨٩١ .

(٤٤٦) الارشيف الدبلوماسى (محفوظات) الخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، من كارنوت الى مينيليك ، ٨ سبتمبر ١٨٩١ .

(٤٤٧) جيجليو ، المادة ١٧ ، ص ٩٥ .

(٤٤٨) باتاجليا ، جورا ، ص ٥٠٧ ـ ١٧ ، ٥٣٠ ـ ٥٣٢ .

بها الى الأصدقاء والاعداء يقول : لقد حاول اومبرتو بكثير من الخداع التظاهر بالصداقة ، ولكنه كان يرغب فى الاستيلاء على بلادى . ولان الله منحنى الملك والقوة ، بانتى على أن أحمى ارض اجدادى ، فانى ألغى وأبطل هذه الاتفاقية . ولكنى لم أبطل ، رغم ذلك ، صداقتى . وليكن معلوما اننى لا أرغب فى اتفاقية أخرى عن هذه . وان مملكتى مملكة مستقلة ولن أسعى الى طلب الحماية من أحد (٤٤٩) . عندما تجاهلت الحكومة الايطالية الشكاوى وحاولت ، بمساعدة بريطانيا والمانيا ، أن تقنع مينيليك بأنه لا يستطيع الغاء الاتفاقية لان المادة ١٦ ، تحدثت فقط عن تعديلات ، عاد أكثر من مرة الى المسألة وفى هذا الوقت دخل فى تفاصيل طويلة مع حلفاء ايطاليا .

« اختبارات قوة مع مصر وايطاليا »

ان رفض ايطاليا لتصحيح المادة ١٧ ، وانتهاكها الحدود المتفق عليها فى الاتفاقية ، وضم اراضى ، والقاء القبض على وفود اثيوبية ، كانت بين اعتبارات مينيليك وتبريراته الكافية لالغاء الاتفاقية . وبالاضافة الى ذلك ، تجاهل الايطاليون بشكل كامل الشروط الخاصة بالاعفاء العادل وحاولوا ابرام اتفاقيات سرية مع رؤساء المناطق فى الشمال . وبناء عليه ، اصبحت الاتفاقية مصدر عداوة وليست مصدر صداقة . وكان مينيليك يأمل أن يتلقى ردا عادلا من الحكومات الاوروبية ، فالأثيوبيون لا يرغبون فى الدخول فى حرب مع ايطاليا ، لكن بعون الله سوف يقاتلون ويحافظون على استقلالهم اذا ما تحول الاوروبيون الذين وثق فيهم وصادقهم الى اعداء (٤٥٠) .

ومع القلق الناتج عن شرعية حمايتهم ، استمرت الحكومة الايطالية ، اكثر من مرة عن طريق كريسبى مع أنتونيللى كوكيل لوزارة الخارجية الايطالية ، فى محاولة مينيليك فى اوروبا ، مهددة بسيف اتفاقية ويشالى كما كان كل شىء متوقفا على قبولها هناك فى اوروبا وليس فى اثيوبيا . ومع اواخر أغسطس - سبتمبر ١٨٩٥ ، عملت الحكومة الايطالية على توسيع نطاق ميدان المعركة الى دولة جديدة ، واشارت الى المادة ١٧ فى كتابها الى الحكومة السويسرية ، وطلبت ردا رسميا ، بنعم أولا ، ما اذا كانت الحكومة السويسرية تعتزم الامتثال للمادة ١٧ من اتفاقية ويشالى فى علاقاتها مع مينيليك . وقد تبع ذلك جولة جديدة من المذكرات الدبلوماسية بعد ذلك لتحديد من الذى اهتم وبماذا وأين . وكان لايزال هناك بعض الارتباك ، ولكن على وجه العموم فان الحكومات الاوروبية ككل أيدت ادعاءات ايطاليا فى بنود اتفاقية ويشالى ١٧ (وليس برلين ٣٤) ، فى حين وقفت فرنسا وروسيا وتركيا ضد بقية دول اوروبا (٤٥١) .

---

(٤٤٩) الارشيف السياسى ، بون ، والحماية الايطالية على اثيوبيا ٥ ، من مينيليك الى ويليام الثانى ، ٢٧ فبراير ١٨٩٣ (نقلا عن) ، مذكرات ووثائق ، ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ١٣٨ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، الى كارنوت ، نفس التاريخ ، جيجليو ، المادة ١٧ ، ص ٩٥ .

(٤٥٠) الارشيف السياسى ، بون ، ا ، الحماية الايطالية على اثيوبيا٥ ، من مينيليك الى ويليام الثانى ، ١٣ ديسمبر ١٨٩٣ .

(٤٥١) لان سويسرا عادت الى بروكسل طلبا للنصيحة ، ومعظم التوثيق الخاص بهذا المحضر الأخير يحاول عزل اثيوبيا أكثر حيث وجد فى ارشيف الخارجية والتجارة الخارجية (بروكسل) ، مؤتمر برلين بلاغات ٦ وثائق ٥٨ - ٧٠ . بالنسبة للأعمال الايطالية فى اعوام ١٨٩٣ - ١٨٩٤ ، انظر جيجليو ، المادة ١٧ ، ص ٩٥ - ٩٧ .

وفى مناخ تقسيم افريقيا ، كان علم اذعان مينيلك بوقوفه لمدة ستة أعوام أمام الدبلوماسية القوية وغير المخلصة التى اتبعها كريسبى بشكل خاص يعتبر انجازا دبلوماسيا صعبا (٤٥٢) . وبعد كل ذلك ، لم يكن الحليف الرئيسى لأثيوبيا ، فرنسا ، فى افريقيا لاظهار تعاطفها معه ومع وجود وسطاء أمثال بسمارك وليوبولد الثانى وسالسبورى ، فانه شىء مثير حقا بأنه لم يتم التوصل الى صفقة هذه المسألة .

وهناك سبب واحد ، ومن المحتمل أن يكون السبب الرئيسى ، شعرت به الدوائر الفرنسية ألا وهو أن اثيوبيا ، بمساعدة معنوية ومادية ضئيلة ، ستكون قادرة على الصمود أمام ايطاليا . وقد تم تلقى خطاب مينيليك الذى ارسله الى عدد كبير من الملوك بشأن الحدود والغائه لاتفاقية ويشالى ، بارتياح كبير فى باريس . وبالنسبة لالغاء الاتفاقية ، فقد قام الرئيس الفرنسى بتشجيع مينيليك بتصريحات حاسمة ومتعاطفة للغاية وتحمل مشاركة وجدانية عميقة على جهوده لتنمية عظمة ورفاهية الشعب الأبى الذى دافع بشجاعة عن استقلاله وبعقيدة مسيحية لعدة قرون (٤٥٣) .

حدود بحث جيجليو بشأن الحماية الأثيوبية - الايطالية يظهر بوضوح من معالجته لهاتين الرسالتين . وقد استنتج جيجليو من تقرير كتبه ممثل ايطالى فى باريس حول محادثة مع وزير الخارجية الفرنسى (المادة ١٧ ، ص ٩٤) أن الخطاب الاول ، ٨ سبتمبر ١٨٩١ ، احتوى ، على احتجاج ضد دعاوى مينيليك . والخطاب الثانى ، ١٤ سبتمبر ١٨٩٣ ، ذكر بصراحة (ص ٩٦) أن فرنسا لم ترد على الاطلاق على مينيليك . وباعتراف الجميع ليس هناك رجل تاريخ يستطيع (أو يجب) أن يعطى اهتماما متساويا لعشرات الألوف من الوثائق بشكل أكبر أو أقل اتصالا مسألة الحماية ولكن فشل زميلى لسؤال نفسه فى هذه الحالة اذا ما كان رد الحكومة الفرنسية لمينيليك خطير ، لأنه يستخدم جهله للبرهان على نقطة هامة جدا له ، أعنى ، أن فرنسا على وشك التسليم بادعاءات الحماية الايطالية عام ١٨٩١ - ١٨٩٣ ، وفى هذه القضية ، مثلما هو الأمر لقضايا عديدة أخرى ، ان تفاوض جيجليو المدروس لمصادر أخرى عن المصادر الايطالية (انظر التاريخ الافريقى ، ٦ ، ٢ ، ص ٢٢١ ، ٧ ، ٣ ، ص ٥٤١ ورودوى ، ٧ ، ٣ ، ص ٤٤٥ و ٥٥٤) يجعل تحقيقة منحازا .

ورغم أن فرنسا كانت تبحث عن مصالحها الخاصة ، فان ذلك لا يعنى انها لم تكن تكن تقديرا حقيقيا للنضال الأثيوبى . ولقد كان أمرا ملحوظا وله دلالة خاصة ان يتوافق الاعلان عن المذكرة التى أكدت ان فرنسا لم توافق على الاطلاق على الالتزام بالمادة ١٧ بعد أن أبلغت بالتناقض بين النصين الأمهرى والايطالى وأنه لن يكون هناك أى سبب يدعوها الى أن تقدم على ذلك مستقبلا أن يتوافق مع وصول اعلان مينيليك بالغاء المعاهدة الى قصر الرئاسة الفرنسى (٤٥٤) .

---

(٤٥٢) عدم الاخلاص وجه للحلفاء والخصوم أيضا . أنظر ، على سبيل المثال ، الارشيف السياسى ، بون ، أ ، الحماية الايطالية على اثيوبيا ٥ ، من لانزا الى مارشال ، ٢٦ يناير ١٨٩٤ .

(٤٥٣) مذكرات ووثائق ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ، ١٣٨ ، رقم ٣٦٨ - ٣٦٩ ، من كارنوت الى مينيليك ، ١٤ سبتمبر ١٨٩٣ . وبالنسبة للرد فى علم ١٨٩١ ، أنظر ماسبق ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٤٥٤) مذكرات ووثائق ، ارشيف الخارجية الفرنسية ، افريقيا ، ١٣٨ ، رقم ٣٤٨ - ٣٥٤ ، مذكرة ١٢ ابريل ١٨٩٣ .

وفى الحقيقة ، فان الاتصال الرسمى بين البلدين استمر تقريبا حتى اندلاع الحرب مع ايطاليا (٤٥٥) .

وكانت اتصالات مينيليك مع روسيا متقطعة بشكل كبير ولكنها أيضا ، اكثر ودا وصراحة عن تلك التى كانت مع فرنسا . ولاريب ان ذلك يعود بدون شك الى حقيقة ان كلا من مينيليك وميكونين اللذان حكما هرارى ، كانا يدركان جيدا بأن فرنسا لايمكن الوثوق فيها بسبب مصالحها فى المنطقة . وفى مارس ١٨٩٢ ، كتب مينيليك الى القيصر ، طالبا منه التأييد الدبلوماسى فيما يتعلق بالمادة ١٧ وتجاه الخداع الايطالى مع النجاشى وهدد بأن الايطاليين سوف يتم عقابهم بنفس الطريقة كما لأخوانهم فى دوجالى ، وذلك اذا لم يتوقفوا عن احداث اضطربات فى بلاده (٤٥٦) . وقام ميكونين من ناحيته بطلب اسلحة ومعلمى مدفعية ، وأن يوضح تماما دون استثناء بالنسبة لفرنسا الآتى : انا لم نجد بين الاوروبيين الذين اصبحوا جيراننا من يرغب فى رفاهيتنا واستقلالنا ولكن هناك هؤلاء الذين يرغبون فى حرماننا منهما ، ان الاوروبيين الغربيين الراغبين فى الحصول على ارض جديدة قد أحاطوا بنا ، وعبروا حدودنا فى جماعات لحرماننا من استقلالنا ، وسببوا لنا مشاكل . . . والآن سمعنا وفهمنا (أنه ليس هناك) أى مملكة أرثوذكسية الا موسكو (٤٥٧) .

والشىء الواضح هو التأكيد على كلمة الاوروبين الغربيين مقابل كلمة الأخوة الأرثوذكسيين . وعلى الجانب الآخر وبالنسبة لعلاقاته بفرنسا أكد مينيليك ، على علاقات الصداقة الأثيوبية - الروسية ، وفى نفس الوقت ، اعرب عن رضائه الكبير تجاه الوفاق الفرنسى - الروسى (٤٥٨) .

وقد ادرك مينيليك بالطبع أنه كان عليه أن يتعايش مع فرنسا حتى تنتهى اثيوبيا من ايطاليا ومؤيديها . ولقد كان التقدير السياسى لمينيليك ومستشاريه - وفى هذه الحالة لم تكن القضية تخص الأجانب - تقديرا سليما تماما ، ففى النهاية عندما اصبحت الحرب أمرا لامفر منه ، استسلمت الحكومة الفرنسية للايطاليين ووعدت بوقف امدادات الاسلحة لأثيوبيا . وهذا لايعنى ، بالطبع ، أنهم قبلوا بشكل مفاجىء بشرعية ادعاء ايطاليا بشأن الحماية أو بوجهة نظر كريسبى القائلة بأن مينيليك كان متمردا أو خائنا . وكان هذا هو المزاج السائد فى هذه الأوقاف ، أكثر من كونه الاعتبارات القانونية . من ثم قررت باريس اتخاذ الموقف « الاوروبى » :

« ليس هناك أحد هنا - ولايجب أن أهتم بما يقوله شخص ذو عقلية مشتتة ، أو عدة أشخاص

---

(٤٥٥) الارشيف الدبلوماسى (محفوظات) بالخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، من مينيليك الى فيورى ، ١٣ مارس ١٨٩٥ ، الى هانوتوكس ١٤ مايو ١٨٩٥ .

(٤٥٦)الارشيف السياسى ، موسكو ، ف ، الارشيف السياسى . داى ٢٠٠٩ ، ص ٣٦١-٣٦٤ ، من مينيليك الى الكسندر الثالث ، ١٨ مارس ١٨٩٢ .

(٤٥٧)مصدر سابق ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ميكونين الى نيكولاى الكسندر وفيتش ، ١٢ يونيو ١٨٩٢ ، الى وزير الحرب الروسى ، نفس التاريخ ، خطاب ميكونين الى نيكولاى ، نقلا عن الأمهرية ، نفس التاريخ خطاب ميكونين الى نيكولاى ، نقلا عن الأمهرية ، كل الخطاب الثلاثة مرجودة بالالمانية حيث ترجمها مترجم اثيوبى .

(٤٥٨) الارشيف السياسى للخارجية الفرنسية ، بروتوكول سى ٤١ ، من مينيليك الى كانوت ، ١٠ يناير ١٨٩٤ .

ذوى عقول اعتادت الحقد والضغينة - يرغب فى ان ينجح الأثيوبيون فى هزيمة دولة متحضرة ، ومن الممكن الاختلاف فى الاهداف ووجهات النظر دون أن يسبب ذلك ضررا خاصة عندما تكون هذه الدولة فى مواجهة عدو شجاع ولكنه متوحش (٤٥٩) .

ولم يتأثر الروس بذلك . ولقد أحست الحكومة الايطالية بالغضب وأحست تركيا بسرور عندما زارت بعثة اثيوبيا رسمية بطرسبورج ، واستقبلت فى نفس الوقت كأى بعثة دبلوماسية أخرى من دولة صديقة ذات سيادة .

وفى يوليو ١٨٩٥ كان الموقف الروسى ملخصا فى مذكرة ايطالية : لقد اعلنت روسيا للتو ، أخيرا ، أنها تعتبر مينيليك ملكا مستقلا ، وأن لها الحق ، بما أنها لا تعترف بالحماية الايطالية ، فى ان يكون لها علاقات مع مينيليك بالشكل المناسب لها (٤٦١)» .

وعلى الأقل ، قد يقول المرء ، أن هناك شخصا ما فى روما اتضحت أمامه الرؤية ، ولكن ليس تماما ، رغم ذلك ، لان المشكلة كان ينظر اليها فى اطارها الاوروبى فقط . وكانت ايطاليا تعانى بسبب ولائها للأعضاء الأخرين فى التحالف الثلاثى . وبسبب هذا اعلنت ايطاليا ، أولا عن طريق فرنسا والآن عن طريق روسيا ، أنها خارجة عن القانون الاوروبى فى مسائل خاصة بالأحكام والقواعد التى وضعت بشأن افريقيا بمقتضى اتفاقيتى برلين وبروكسل (٤٦٢) .

وكان مفهوما أن ايطاليا أكدت على أنها كانت « تفقد اثيوبيا فى اوروبا » . فمن المفترض أن اراضى افريقية هى بمثابة مخلب قط فلماذا يهتم أى شخص بشأن مينيليك ؟ ومع ذلك لعبت الدبلوماسية الاثيوبية ، بدون شك ، دورا كبيرا فى منع كريسبى من الوصول الى أهدافه . ومن الواضح ، أيضا ، أن مينيليك شعر أن رد فرنسا وروسيا كان بمثابة تأييد معنوى قوى له قيمته . وعلى الجانب الآخر ، كان لديه من الخبرة ما يمكنه من الاعتقاد بأنه يستطيع كسب المعركة الخاصة باستقلال اثيوبيا فى اوروبا .

وفى النهاية ، كان يجب على الأثيوبيين أن يستعدوا للقتال . وبناء عليه ، كانت توجهات الدبلوماسية بشكل كبير هى الحفاظ على تدفق الاسلحة والذخيرة الى البلاد . ولم يكن الأثيوبيين يؤمنون باستخدام قروض من اعدائهم لدفع ثمن تسليحهم ، وأبدوا رغبة غير عادية لاعادة دفع

---

(٤٥٩) روبنسون ، علوة ١٨٩٦ ، ص ١٢٨ ، جيجليو ، المادة ، ص ١٠٢ .

(٤٦٠) باتاجيليا ، جورا ، ص ٦١٣-٦١٦ ، أرشيف الخارجية التركية كارتون ١/٢٣٦ ، من فيفزى الى توركهان ، ٢ يوليو ١٨٩٥ ، من حسنى الى توركهان . ٦ يوليو ، ٨ يوليو ، ٩ أغسطس ١٨٩٥ ، ٥/٢٣٦ ، من حسنى الى توركهان ، ١٩ يوليو ١٨٩٥ .

(٤٦١) الارشيف السياسى ، بون ، أ ، الحماية الايطالية على اثيوبيا ٥ ، مذكرة عيدى ، روما ، ١٢ يوليو ١٨٩٥ .

(٤٦٢) مصدر سابق ، تم طبع هذه المذكرة ، وبالرغم من أنه قد تم ذكر أن النسخة سرية فى الارشيف الالمانى ، فسيكون أمرا مثيرا للدهشة علم وجود نسخ فى الارشيف الايطالى .

القرض الذى تعاقد عليه ميكونين عام ١٨٨٩ فى اسرع وقت ممكن (٤٦٣) . وكان يجب ايجاد مصادر أخرى . ولكن السنوات التى أعقبت تولى منيليك كانت من أصعب الأوقات فى اثيوبيا وكانت كل من تيجرى وبيجميدير ، بوجه خاص ، قد استنفذتا نتيجة الحروب اثناء فترة حكم يوهانس . بعدئذ أصاب الطاعون فى اثيوبيا الماشية بشكل مخيف فى أواخر ١٨٨٨ وأباد معظم المواشى الموجودة ، وكما ذكرت العديد من التقارير كانت النسبة حوالى ٩٠ فى المائة او اكثر . وخلال الأعوام التى أعقبت عام ١٨٩٢ ، عاش الأثيوبيين أسوأ مجاعة مروا بها فى كل تاريخهم . وبسبب نقص الثيران فان معظم الاراضى لم يتم حرثها وبالتالى زرعها ، كما أن أسعار الحبوب والماشية وصلت حدا لا يمكن تصديقه كما جاء فى بعض القصص المرعبة (٤٦٤) .

وعن طريق استمرار ادماج مناطق واسعة فى الجنوب ، والجنوب الشرقى والغربى استطاع منيليك أن يزيد من الموارد المالية لدولته ، وأن يجعل هذا الامتداد الكبير أيضا قاعدة لامداد جيشه بالجنود وفى فرض ضرائب باهظة فى الأقاليم الجديدة على الذهب والعاج وقام باستخدام معظم الدخول فى شراء اسلحة وذخائر . وبالرغم من تزايد اعداد الأسلحة التى كانت تقدمها بعض الحكومات كهدايا ، لم يكن هناك شك من انها كانت مجرد جزء ضئيل من اجمالى الواردات الأثيوبية فى النصف الاول من ١٨٩٠ . وببساطة كان منيليك لديه اتصالات وموارد مالية جعلت تجار السلاح يسلمون ماتعهدوا به . ومع ذلك فهناك ما يدعو للاعتقاد بأن الكميات المتفق عليها كان مبالغ فيها عادة من جانب الحكومات والتجار الذين كانوا يرغبون فى التأكيد على أن ما كانوا يمدون به اثيوبيا لم يكن ضارا نسبيا بالمقارنة بما كان يقدمه منافسوهم السياسيون والتجاريون . وكان اكبر أمر توريد يشمل مائة ألف بندقية و ١٠ ملايين خرطوشة من احدى شركات هامبورج عام ١٨٩٣ ، ولكن الحكومة الألمانية اعترضت على وأوقفت هذه الصفقة . وكان ترافيرسى والكولونيل فيدريكو بيانو ، هما آخر الايطاليين الذين كانوا فى العاصمة الأثيوبية قبل اندلاع الحرب وقد ذكرا أنه فى نوفمبر ١٨٩٤ كان هناك ٨٢ ألف بندقية و ٥ر٥ مليون خرطوشة فى البلاد .

وفى ضوء الكميات التى تردد انه قد تم استيرادها ، فان هذا يبدو أنه تقدير محافظ للغاية . لكن الحقيقة هى أن كل التقديرات العملية المتاحة ، حتى بعد ذلك بعام ، توقفت عند مائة - ١١٠ ألف بندقية ، وأربعين مدفعا ، وعدد غير محدد من البنادق الآلية . ورغم ذلك ، فان الجيش الأثيوبى تم تسليحه بصورة لم تحدث من قبل . وبالنسبة لهذه الاسلحة فقد كانت اسلحة حديثة ومناسبة ، ولو أن امدادات الذخيرة كانت محدودة (٤٦٥) .

---

(٤٦٣) مذكرات ووثائق الخارجية الفرنسية ، افريقيا ١٣٨ ، رقم ١٩٨ ، من لاجاردى الى وزارة المستعمرات ، ٧ ديسمبر ١٨٩٠ ، كيللر ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٤٦٤) انظر بانخورست ، تاريخ اقتصادى ، ص ٢١٧ - ٢٢٠ ، باتاجليا ، جورا ، ص ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٣٧٠ . مزيد من المعلومات فى الأرشيف الايطالى ٣٦/١١ - ٩٢ ، ٩٣ و٣٦ / ١٣ - ١١ .

(٤٦٥) انظر بانخورست ، تاريخ اقتصادى ، ص ٥٩٤ - ٦٠٢ ، من اجل جمع عدد كبير من المراجع حول الأوامر والتسليم وتقدير المواقف كما ذكر . ويلاحظ أنه قد تكون نفس الشحنات قد ذكرت أكثر من مرة . ولا تزال تجرى دراسة مقارنة حول هذه الأرقام وارقام عديدة أخرى يمكن أن تستخرج من بعض دور الحفظ فى اوروبا .

ان الغاء منيليك لاتفاقية ويشالى ورفضه مجرد مناقشة المسألة مع الكولونيل بيانو ، الذى كان قد ارسل الى اديس ابابا لانقاذ الموقف ، قد أقنع الايطاليين فى النهاية بانه لن يكون هناك بالتأكيد اية حماية اذا أصروا على أن منيليك يجب أن يلتزم بالمادة ١٧ . ولذا تم اللجوء الى طرق أخرى : ان الحماية يمكن ان تتم بالقوة ، بالرغم من أن تعليمات كريسبى للجنرال أوريستى باراتيرى حاكم ارتيريا قد كشفت عن ان من الأفضل ترك القتال الفعلى للآخرين :

« ان سلوك منيليك الذى لا يغتفر يجبرنا على الاستعداد من الآن لوضع خطة دفاعية . وكما فعلنا مع منيليك ضد يوهانس ، يجب أن نشجع الآن المدعين والمطالبين بالملك ضد منيليك . ان مينجيشا فى تيجرى ، وميكونين فى هرارى ، لديهما بجانب الطموحات الشخصية ، أسس قوية لكراهية الامبراطور والانتقام منه . فاذا اختفى منيليك ، فان الامبراطورية يمكن أن تقسم الى مملكتين ، واحدة فى الشمال ، والأخرى فى الجنوب ، تحت الحماية الايطالية النبيلة ، ولا نستبعد اى ترتيب آخر يمكن أن يكون أفضل لنا (٤٦٦) .

وكما أشار كريسبى نفسه ، لم تكن هذه سياسة جديدة ، ولكن ما فضل أن ينساه وألا يهتم به على الاطلاق هو اكتشاف مدى ضعف هذه السياسة فى الحقيقة ، وما حدث بالنسبة للمصريين فى ١٨٧٠ هو ما حدث لعملية أنتونيللى فى ١٨٨٠ . ولذلك فالقصة كلها مكررة . وفى الوقت الذى كان المصريون ماثلين أمام أعينهم ، فان الايطاليين كانوا يحلمون بأثيوبيا التى لن تسبب لهم مشاكل . وبالنسبة لترافيرس كانت اثيوبيا فى المظهر الخارجى ، شيئا ضخما ، ولكن بدون جوهر ، وبالنسبة لبيانو ، كانت شيئا ضخما له قدم من الطين . وفى اكتوبر ١٨٩٤ ، لاحظ ايطالى ثالث فى البلاد ، هو ليوجى كابوشى : أنه ليس هناك شخص واحد راضيا عن الموقف الفعلى . . فالامبراطورية الحالية موجودة بفضل القصور الذاتى ، ومع اول اشتباك ، سوف يتهاوى كل شىء ويذوى . . الفاتح الاوربى سوف يسيطر على البلاد ، والطريق معد ، فالجنود والقادة سوف ينضمون اليه من أجل الرهان ، ويكفى أنه قوى ومتحرر فى البداية (٤٦٧) .

ولقد اقتنع الايطاليون بتفكيرهم الواهم ، ورأوا أن هناك حلفاء لهم فى كل مكان . فقد اقترح نيرازينى ، على سبيل المثال ، من هرارى أن المرء قد يحاول الفوز على مكونين أو يساومه على الأقل ، فى حين ذكر باراتيرى من مصوع أن حاكم هرارى ، الذى كان فى نفس الوقت أفضل مصدر للمعلومات لمنيليك ، ومن المحتمل أن يكون اكبر مستشاريه وجنرالاً موثوق فيه ، قد وعد بالتمرد اذا هاجم منيليك أرتيريا (٤٦٨) . وفى الحقيقة تميز عام ١٨٩٤ بأحداث سياسية هامة ، ساهمت فى تقوية البلد وليس العكس . فأولا وصل نيجوس تيكلى هيمنوت حاكم جوجام الى العاصمة لتجديد وعوده الخاصة بولائه لمنيليك وهذا يتضح من الاحتفالات الخاصة بالمناسبة التى أشارت الى أن هذا كان أكثر من مجرد مسألة روتينية . وبعد ذلك بأربعة شهور ، فى يونيو ، حدث اتحاد

---

(٤٦٦) باتاجليا ، جورا ، ص ٥٧٢ - ٥٧٤

(٤٦٧) مصدر سابق ص ٥٧٠ ، ٦٢٢ ، ٥٨٠

(٤٦٨) وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ، ٢٣ ، ص ٥ - ٩ ، نيرازينى الى بلانك ، ٢٦ يناير ١٨٩٥ ، ص ٢١ ، من باراتيرى الى بلانك ، ٣ فبراير ، ١٨٩٥ .

سياسى أكثر أهمية فى أديس أبابا ، عندما حضر رأس مينجيشا حاكم تيجرى ، مع عدد من العظماء لنيل عفو عن تعاملاته المستقلة مع الايطاليين عام ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ .

هذه المصالحة كانت نتيجة اتصالات ومفاوضات استمرت أكثر من عام ، وهذا كان يعنى فى الواقع ، أن الايطاليين ، الذين شجعوا استقلال مينجيشا لاستغلاله ضد مينليك اذا كان ضروريا قد فقدوه بعد أن كان سوف يصبح كحليف هام ومحتمل لهم . وقد ساعد تواجد آلولا ، أيضا واستعداده لخدمة مينليك ، ساعد على اضفاء أهمية على خضوع مينجيشا (٤٦٩) . وفى ديسمبر ١٨٩٤ ، تلقى الايطاليون تحذيرا . ولم يكن من المتوقع أن يدعو باهتاهاجوس حاكمهم فى اكيلى جوزى ، التابع لهم فجأة الى تحرير اقليمه من الحكم الأجنبى . وبعد ذلك بثلاثة أيام تمت هزيمته وقتل . وقد توجه باراتيرى ، الذى شك ـ بدون سبب ـ أن الانقلاب تم التحريض عليه من جنوب ميريب ، الى عدوة ، ولكنه وجد أن قواته غير كافية وانسحب مرة أخرى . وطارده مينجيشا الى ارتيريا ، حيث وقعت معركة غير حاسمة عند كواتيتى (كوتيت) يوم ١٢ ـ ١٤ يناير . ولكن مينجيشا ، أيضا ، لم يكن مستعدا للحرب ولذا قام بالتراجع بسرعة الى تيجرى . وبالرغم من أنه يبدو أن باهتاهاجوس قد تصرف بشكل سابق لأوانه على أكثر تقدير لأن الايطاليين كانوا يستولون على الاراضى ، فهناك دليل على أن مينجيشا ومينليك كانا قد بدأا فى مناقشة أعمال من شأنها طرد الايطاليين على الأقل من بعض الاراضى التى لم تشملها لا اتفاقية ويشالى ولا العروض التى قدمها مينليك فيما بعد (٤٧٠) .

ويبدو أن باراتيرى والحكومة فى روما تجاهلا تماما الدرس الذى قد يكونا تعلماه من انقلاب باهتاهاجوس ، أى أنهما لم يكونا بالضرورة مسيطرين على ولاء الرؤساء والحلفاء فى ارتيريا . ولم يكن من الممكن مقاومة الاغراء الذى مثله تراجع مينجيشا . والدفاع غير الفعال الذى تم اقتراحه على باراتيرى أسفر عن ضم واحتلال جزئى لتيجرى فى مارس ـ ابريل ١٨٩٥ . ولم يكن امام مينجيشا خيار سوى الانسحاب أمام بعض الرؤساء فى تيجرى فقد تعاونوا أو تظاهروا بالتعاون مع الايطاليين ، وهكذا استطاعوا الحفاظ على قواتهم المحلية وجعلها سليمة . وبالرغم من ارسال بعض الدعم من ايطاليا ، نجد أن الاستراتيجية الايطالية كانت تقوم بشكل أساسى على « التفرقة الأثيوبية » ، وذكر كريسبى باراتيرى ، الذى كان يريد على الأقل دعما ، بأن « نابليون الاول شن حربا بأموال الجانب المهزوم (٤٧١) .

وكان اول رد فعل لمينليك هو توجيه اللوم الى كل من باراتيرى ومينجيشا بسبب تعجلهما الحرب التى كان لايزال متلهفا لتجنبها . وكالعادة عمد الى طلب المساعدة الدولية من أجل ايجاد

---

(٤٦٩) جيرى سيلاسى ، مينليك ، ص ٢٠٤ ـ ٢١٥ ، ٢٢٢ ، افريقيا ، مينليك ، ص ٨٣ .

(٤٧٠) باتاجليا ، جورا ، ص ٥٩٤ ـ ٦٠٦ ، جيرى سيلاسى ، مينليك ، ص ٢٢٢ ، افريقيا ، مينليك ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٤٧١) باتاجليا ، جورا ، ص ٦٠٦ ـ ١١ .

حل سلمى (٤٧٢) . ولكن ، بعد غزو باراتيرى فى مارس ، كان لابد قد فهم وأدرك بوضوح ان حدوث مواجهة عسكرية كبرى كان أمرا لا يمكن تجنبه . ولم يكن موقف اثيوبيا سهلا ، ففى الشرق ، كان هناك احتمال بتدخل بريطانيا من زيلا لمساندة الايطاليين . ومنذ أن توصلت فرنسا ، بما فى ذلك لاجاردى ، الى الرأى القائل بأن الاثيوبيين سوف يهزمون ، فكان من المتوقع أن يهتموا بأنفسهم . ولذا فان أفضل الفرص امام مينليك كانت أن تحيد فرنسا وبريطانيا كل منهما الآخر حتى لا يفقد هرارى (٤٧٣) .

« اختبارات قوة مع مصر وايطاليا »

وفى الغرب ، لم يتم تسوية أى شىء مع المهديين خلال الاعوام التى مرت ، فيما عدا ما تم على المستوى المحلى . وقبل التحرك لملاقاة الايطاليين ، أخذ مينليك جانب الحذر بارساله مبعوثا ، هو محمد الطيب ، الى الخليفة ، وكان الرد معتدلا ، ولكن مع ذلك لم يتم التوصل الى اتفاقيات خاصة بالحياد أو بالتعاون قبل معركة عدوة (٤٧٤) .

وبدأ مينليك فى الاستعداد لحملته قبل الموسم الممطر عام ١٨٩٥ ، ولكنه لم يصدر أوامره الشهيرة بالتعبئة الا فى شهر سبتمبر ، وبدأت الجيوش فى السير . وأعلن الامبراطور أن الدعوة الى الحرب كانت من أجل الدفاع عن البلاد وثقة منه فى رعاياه ضد عدو عبر البحر الذى جعله الله حدودا لأثيوبيا . ولم يخف القول بأن عملية قتال الايطاليين هى أمر صعب يستدعى تعبئة عامة وتوقع وقوع تضحيات عظيمة وكانت اشارته الى طاعون الماشية والمجاعة كانت قد منعت حملة سابقة تبين انه أحس بالحاجة الى تقديم تفسيرات عن عدم تحركه للقتال من قبل . وبالتأكيد كان هناك العديد من الاشخاص فى اثيوبيا الذين انتقدوا مينليك على ثقته وتساهله فى علاقاته مع الفرنجة ، ويجب الا يحس المرء بالدهشة بأن مينليك لم يشر مرة أخرى فى وثيقة من هذا النوع الى العلاقات المعقدة عبر السنوات العشر الماضية ، الا من خلال تشبيه الايطاليين بعملاء يقومون باعمال سرية خفية غير معلنة على السطح (٤٧٥) .

---

(٤٧٢) الارشيف الدبلوماسى للخارجية الفرنسية ، بروتكول سى ٤١ ، من مينليك الى هانوتوكس ١٣ مارس ١٨٩٥ ، الارشيف السياسى ، بون ، أ ، الحماية الايطالية على اثيوبيا ، ٦ ، (من مينليك الى نيكولاى الثانى) هذه ترجمة ايطالية بدون أسماء ، وتاريخ ارسالها من بطرسبرج هو ٢٤ يوليو ١٨٩٥ ، ولكن بدون شك هذه ترجمة (اكثر أو أقل صحة) لجوهر خطاب من مينليك الى القيصر ، انظر أيضا باتاجليا ، جورا ، ص ٦١١ ـ ٦١٣ .

(٤٧٣) باتاجليا ، جورا ، ص ٧١٠ ـ ٧١٣ ، متحف فن ترتيب الكتب وتوثيقها ـ باريس ، اثيوبيا ٢٦٩٠ ، رقم ٥ ـ ٦ ، من مينليك الى موندون ـ فيدالهيت ، اول ديسمبر ١٨٩٥ .

(٤٧٤) مكتب الوثائق المركزى ، الخرطوم ، المهدية ، ١/٥٥/١٢ ، من عبد الله الى مينليك ، يوليو/ اغسطس ١٨٩٥ ، ١/٥٥/١٦ ، من مينليك الى عبد الله ، ١٥ ابريل ١٨٩٦ ، كرومر ، مصر الحديثة ، العدد١١ ، ص ٨٣

(٤٧٥) جيرى سيلاسى ، مينليك ، ص ٢٢٥ ، كيللر ، ص ٩٤ .

ان صيغة الاعلان (الذى ورد فى الوثيقة) تتضمن تأييدا لوجهة النظر التى عبر عنها يوهانس وآلولا :

ان الايطاليين لم يكن من المفروض أصلا أن يحضروا الى مصوع ويدخلوها . وهذا لا يعنى ، رغم ذلك ، أن مينيليك رفض دوره الخاص فى التطورات التى حدثت فى هذه السنوات العشر كما أنها لا تعنى أنه أيضا دخل الحرب لاستعادة مصوع[٤٧٦] .

وحتى بعد التعبئة ، كان مينيليك راغبا فى مناقشة حل سلمى . بل أن هناك مفاوضات استمرت بشكل متقطع طوال شهور المسيرة الطويلة الى عدوة . ومع حلول منتصف فبراير ١٨٩٦ ، كان قد تم الوصول الى طريق مسدود . أما كون أنه لم تكن هناك أية فرصة حقيقية أمام هذه المفاوضات للنجاح ، فهذه مسألة أخرى . وشملت المطالب الايطالية كل تيجرى وتبدر تيكزى وبحيرة آشنجى أو أمبا اليجى - الارض التى رفعنا عليها علمنا - وهكذا حل محل المادة ١٧ سيئة السمعة التزامات تفصيلية فى معاهدة جديدة لم تدع مجالا للشك أن اثيوبيا أصبحت محمية . واذا تركنا المسائل الدبلوماسية جانبا التى يمكن أن تكون أو لا تكون قابلة للتسوية خلف الابواب المغلقة ، فانه من الواضح أنه كان من المستحيل أن يتخلى مينيليك عن تيجرى ، ما لم يلق هزيمة نكراء . ومن ناحية مينيليك ، كان يجب ايجاد حل وسط بين حدود اتفاقية ويشالى وخط ميريب - بيليسا - مونا الذى احتله الايطاليون ، فى الواقع ، منذ ١٨٩٠[٤٧٧] .

ولم يكن مينيليك فى حالة مزاجية جيدة للمهادنة ، ولم يعمد الى اخفاء ما فى نفسه : « وجدت . . . أنه من المستحيل التعامل مع الايطاليين . أن الله هو الذى لديه القوة . ومن الآن لن يسعى أحد لمهادنة الايطاليين وارضائهم . لقد تحملت كل هذا حتى الآن لان القوى الاوروبية سوف تعرف كيف هوجمت ولن تعتقد أنى الشخص الشرير . ان هذه الحرب لا تقلقنى . . . أما بالنسبة لهم (الايطاليون) فان كل شعوب اوروبا التى ترى الى أى مدى يشعرون بالقلق سوف يضحكون عليهم[٤٧٨] .

وكان راس ميكونين وفيتوارى تيكلى قد أحضرا جيوش جالا الكبيرة الخاصة بهما من هرارى ووبليجا على التوالى الى أديس ابابا فى سبتمبر ١٨٩٥ ، وفى ١١ اكتوبر بدأ السير نحو الشمال مع

(٤٧٦) لقد وجدت مناقشة باتاجليا (جورا ص ٦٢٧ - ٦٢٨) ذات ابعاد وحقائق تاريخية مختلفة ، فيما يتعلق بالاعلان - أمرا مبالغ فيه . وبادىء ذى بدء ، لم يقل مينيليك أنه عارض قدوم الايطاليين الى مصوع أو تقدمهم نحو الداخل . وكان الاعلان يتضمن بنودا عامة للغاية ويذكر الساحل على انه حدود محايدة . ولن تكون المجاعة حقيقة بالضرورة لمنع حملة ١٨٩٣ أو ١٨٩٤ ، رغم ذلك .

(٤٧٧) باتاجليا ، جورا ، ص ٦٣٦ ، ٦٤٢ - ٦٤٣ ، ٦٧٧ ، ٦٩٠ ، ٦٩٧ - ٦٩٨ ، حول مدى عدم مرونة الحكومة الايطالية أوضحها مشروع اتفاقية السلام التى ارسلت الى باراتيرى أواخر ١٨ يناير ١٨٩٦ (وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ، ٢٣ ، ص ٩٨) .

(٤٧٨) متحف فن عرض الكتب وتوثيقها - باريس - اثيوبيا ، ٢٦٩ ، رقم ٥ - ٦ ، من مينيليك الى موندون - فيد الهيت ، اول ديسمبر ١٨٩٥ .

انضمام فرق جديدة اليهم على طوال الطريق . وقد صدرت تعليمات الى الجيوش القادمة من جوجام وجوارا ، وبيجميدير ، وديميا . . . الخ بالسير الى بحيرة أشنجى ، وبالنسبة لهؤلاء الذين ينتمون الى سيمن والأقاليم المجاورة فعليهم بأخذ الطريق والاتجاه الى ميكيلى[٤٧٩] . وفى ديسمبر وصل ميكونين ، وميخائيل حاكم ويللو ، وويلى بيتول حاكم بيجو ، وأيضا عدد من القادة الأخرين الى الحدود الجنوبية لتيجرى مع اول جيش قدر عدد أفراده بنحو ٣٠ ألف رجل . وانضم اليهم بعض سكان تيجرى تحت قيادة منيجشا حيث خاضوا معركة دون تحضير ضد طليعة الجيش الايطالى عند آمبا الآجى فى ٧ ديسمبر . وقد لقى اكثر من ألفى شخص من الايطاليين مصرعهم نتيجة أن العدو كان متفوقا فى العدد واكثر مهارة فى المناورة[٤٨٠] .

وتلى آمبا الآجى حصار طويل واستسلام الموقع الحصين للايطاليين نهائيا فى ميكيلى يوم ٢١ يناير ١٨٩٦ . ووجد باراتيرى أنه من المستحيل انقاذ الحامية ، وقد تم انقاذها من اذلال كامل فقط عن طريق موافقة الاثيوبيين بالسماح للأحياء بالمغادرة (بأسلحتهم) على أمل أن يؤدى ذلك الى افساح الطريق وتمهيده لانسحاب ايطالى كامل من تيجرى والتفاوض من أجل التوصل الى تسوية[٤٨١] .

وخلال الحصار ، وصل مينيليك على رأس قوات اضافية وقدر الايطاليون أنهم كانوا يواجهون ما بين ٥٢ - ٥٥ ألف رجل ، مع استبعاد عدد من المقاتلين المسلحين التقليديين[٤٨٢] . وبدلا من شن هجوم على مقدمة مواقع باراتيرى الحصينة بالقرب من آديجرات ، تحول مينيليك الى الشمال الغربى الى عدوة ، وبذلك أرغم القائد الايطالى على مغادرة آديجرات ومعه قوات تحت تصرفه والتوجه الى الغرب لكى يحول دون وقوع غزو محتمل لاريتريا عبر عدوه . ومع حلول منتصف فبراير احتل باراتيرى موقعا جديدا على بعد ٣٠ كيلو مترا شرق عدوة وقام بتحصينه . وقام الاثيوبيون بعمل حصار حول المدينة . وانتهت آخر مرحلة المفاوضات فى ١٢ فبراير ، ومنذ ذلك الحين اصبحت المسألة حرب أعصاب[٤٨٣] .

وكان لدى باراتيرى ٢٠ ألف رجل (تقريبا ٥٠/٥٠ ايطاليون وارتيريون) مع ٥٢ مدفعا ، تحت تصرفه استعدادا للمعركة عند عدوة . ولم يكن باراتيرى يتوقع أن يزيد من قوته ، لان الامدادات التموينية كانت صعبة . ولم يكن يعتزم الاقدام على أى مبادرة أخرى لانه كان يرغب فى الاستفادة من ميزة الدفاع عن نفسه من موقعه المجهز ، وكان يأمل أن يقوم مينيليك بالهجوم أو يرحل وكان مينيليك هو الأخر لا يتوقع المزيد من القوات . وكل تابعيه الكبار فيما عدا هؤلاء الذين أوكل

(٤٧٩) جيرى سيلاسى ، مينيليك ، ص ٢٢٥ .

(٤٨٠) باتاجليا ، جورا ، ص ٦٣٥ - ٦٣٨ ، ٦٤٤ - ٦٥٦ ، ٦٧٦ .

(٤٨١) مصدر سابق ، ص ٦٧٨ - ٦٩٠ .

(٤٨٢) وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ، ٢٣ ، ص ١٩٠ ، من باراتيرى الى ميسينى ، ١٣ يناير ١٨٩٦ . أنظر أيضا المصدر السابق ، ٢٣ ، ص ٧٦ - ٧٧ ، فيما يتعلق بالاتصال المبكر (٢٦ ديسمبر ١٨٩٥ مع انهيار وحدات من الجيش ، الذى كسب معركة آمبا آلاجى .

(٤٨٣) روبنسون ، عدوه ، ١٨٩٦ ، احتجاج وقوة ، ص ١١٥ - ١١٦ .

اليهم مهام أمنية فى أماكن أخرى قد لبوا نداءه . وكان لديه بكل تأكيد مائة ألف رجل ، من بينهم ٧٠ - ٨٠ ألف مسلحين بالبنادق ، ولكن مدفعيته كانت أسوأ من مدفعية الايطاليين [٤٨٤] . وصمم على عدم شن هجوم على موقع باراتيرى : انهم (الايطاليون) كانوا قد حصنوا أنفسهم فى مكان مستحيل وغير مناسب لخوض معركة . وبالرغم من أن جيشى يعانى من المجاعة ، فانى سأظل معسكرا فى عدوة[٤٨٥] . وكانت المشكلة لكلا الجانبين هى المؤن فلم يكن من الممكن أن يعيش جيشا قوامه مائة ألف رجل فى نفس المنطقة لمدة طويلة . وأرغم مينيليك على ارسال البعض للبحث عن مزيد من المؤن مرة تلو المرة . وبالنسبة للايطاليين كان الموقف قد أصبح متدهورا . فقد اضطربت خطوط الامداد الخاصة بهم بشكل متزايد ، وبالنسبة لقواتهم الارتيرية ، خاصة ، لم تكن المجاعة شبحا يهددها ، بل كانت حقيقة يومية . وقد اتخذ باراتيرى يوم ٢٩ فبراير قراره المصيرى الذى أرغم عليه بالاختيار بين الهجوم أوالانسحاب وذلك بالهجوم على معسكر مينيليك فى الصباح التالى ، الاحد ، ليحاول أن يهزم الأثيوبيين فى ميدان مفتوح بالرغم من كل شىء . وهكذا اقترب السباق من نهايته :

وكان مينيليك قد أصدر تعليماته الى جنرالاته بالاستعداد للرحيل يوم الاثنين ، وكان غزو أريتريا واردا فى ذهنه .

وكان باراتيرى يعتمد فى حساباته على عنصر المفاجأة وعلى استخدام أفضل للارض وعلى نظام متفوق وعلى عمل منسق لتعويض النقص فى القوات والاسلحة ، التى لم يعتقد أنها ستكون كبيرة حينئذ . وسارت معظم الأمور على غير مايرام . فقد اضطربت الاتصالات فى الجانب الايطالى . وقد ادى وجود خرائط خاطئة والاستطلاع السىء ، والأوامر الغامضة وغير المفهومة كل ذلك أدى الى أن أصبح مع باراتيرى نصف قواته فقط . وفى النهاية ، حاربت كل من الفرق الثلاث بعيدة عن الأخرى (كان هناك فرقة رابعة احتياطية) بين الجبال والتلال شرقى عدوة مباشرة . ولم تضع الوحدات الأثيوبية وقتا فى الاستعداد للقتال . وفى الساعة السادسة بدأت المعركة بشكل جدى ، وخلال يوم كامل من القتال الشرس هزم الاثيوبيون الفرق الايطالية واحدة تلو الأخرى حتى تم كسر المقاومة وتحول التراجع الايطالى الى انكسار تام . وفقد الايطاليون حوالى ٧ الآف قتيل ، و ١٥٠٠ جريح وثلاثة آلاف أسير حرب أوما يقرب من ثلثى جيش باراتيرى . وعلى الجانب الأثيوبى كانت التقديرات تتراوح ما بين ٤٠٠٠ - ٦٠٠٠ قتيل و ٨٠٠٠ جريح . وثار تساؤل حول ما اذا كانت الخسائر الأثيوبية التى تتجاوز ما لدى الايطاليين لها دلالة ضئيلة ، بالمقارنة بالحقيقة القائلة بأن جيش باراتيرى تم اذلاله بشكل كامل كقوة مقاتلة ، فى حين أن مينيليك ، بالرغم من الخسائر الفادحة ، كان لايزال لديه جيش تحت تصرفه . واستطاعت القوات الأثيوبية اكثر من مرة الاستيلاء على الآف من البنادق ، وفى هذه الحالة استولوا على كل مالدى العدو من مدفعية . وهكذا أصبح ميدان المعركة تحت سيطرة الأيدى الأثيوبية . وقد أسفرت نتيجة المعركة عن حدوث

---

(٤٨٤) مصدر سابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤٨٥) مصدر سابق ، ص ١١٩ ، نقلا عن متحف فن عرض الكتب وتوثيقها اثيوبيا ، ٢٦٩ ، رقم ٢٦ ، من مينيليك الى موندون - فيدالهيت - ١١مارس ١٨٩٦ .

صدمة فى اوروبا . وبالرغم من كل التحذيرات ، كان يبدو أنه من غير المعتقد أن كارثة بهذا الحجم يمكن أن تحدث لجيش دولة اوروبية متحضرة ، على ايدى زعيم افريقى ومقاتليه .

وفى روما ، سقطت حكومة كريسبى وسط سيل من الشتائم وأعمال العنف فى الشوراع . وفى لندن ، تم اعادة النظر بسرعة فى السياسة الخاصة بالسودان وفى عدوة كان الرضا ممزوجا بالأسف لان النصر جاء نتيجة لازهاق العديد من الارواح . وظلت مشكلة المؤن وطول الطريق للعودة الى ويللو ، وجوجام ، وشيوا ، ويليجا ، وهرارى . وكما فعل يوهانس بعد جورا ، فان مينيليك قبل الطلب الخاص بوقف اطلاق النار واجراء مفاوضات سلام[٤٨٦] .

ومن المفهوم أن التاريخ الجغرافى الايطالى - الذى اتبعه تقريبا كل الاوروبيين - قد فسر نتيجة المحاولة الايطالية لاخضاع اثيوبيا ١٨٨٠ و ١٨٩٠ كفشل ايطالى بالدرجة الاولى . وقد كانت اسباب الفشل تتضمن اى أو كل العناصر التالية : عدم الاستقرار السياسى فى ايطاليا ، عدم كفاية الموارد المالية ، أو عدم التأييد الشعبى لمغامرة من أجل الاستعمار ، والاثارة الدولية ضد ايطاليا ، التذبذب بين سياسة شيوا (الحماية) وسياسة تيجرى (مزيد من الارض فى الشمال) ، المشاجرات بين الضباط الايطاليين ، شخصية كريسبى وقيادة باراتيرى ، أو غياب هذه القيادة . . . الخ . وكل هذا مهم ، ولكنه لا يدخل فى لب جوهر الموضوع . ويجب أن يفترض ، بعد كل شىء ، أن القادة الايطاليين ، لم يكونوا حينئذ على دراية بمشاكلهم . بالرغم من القيود والتناقضات الموجودة ، فقد ساروا فى سياساتهم هذه . وكان السبب الرئيسى فى أن ما حققوه كان أقل بكثير مما خططوا له وتوقعوه فى علاقاتهم مع اثيوبيا ، هذا السبب كان نفس السبب الذى حدث مع الخديوى اسماعيل ومستشاريه الذين انغمسوا فى نفس المشكلة الا وهو سوء التقدير . ولقد أثر سوء التقدير ، على كل نواحى الصراع . وفى مجال العلاقات الدولية ، فلم يكن من المفروض أن يدرك مينيليك أن استقلال اثيوبيا كان فى خطر اذا قبل النص الايطالى للمادة ١٧ . لو ادرك ذلك ، فلم يكن من المفروض أن يحتج . واذا احتج ، فانه لم يكن من المفترض أن يستمر فى احتجاجه عندما أخبره هؤلاء الذين وضعوا القانون الدولى ، ان الوقت كان متأخرا جدا ، ولم يكن من المفترض أن يكون لأى شخص الحق فى الاستماع اليه على الاطلاق ، وكان حصول الاثيوبيين على اعتراف دولى وعلى خبرة دبلوماسية قبل أن تدخل ايطاليا المسرح ، قد تم التغاضى عنه لمجرد أن ذلك كان أمرا ملائما لفكر هؤلاء القادة الايطاليين .

ولقد كانت المنافسة والفرقة داخل القيادة السياسية لأثيوبيا هما حجر الزاوية فى التخطيط الايطالى ، كما كان الحال بالنسبة للمصريين . وليس هناك دارس جاد للتاريخ الأثيوبى من المحتمل أن ينكر وجود قوى طاردة ومركزية فى الدولة الأثيوبية ، فالمنافسة والفرقة كانتا عوامل سائدة ، حقا ، فى تشكيل السياسات الأثيوبية ، ولكن كانت المهارة البالغة والنضج السياسى الذى يتم التعامل بها مع هذه الأمور بشكل طبيعى أمرا معروفا وواردا أيضا . وبالرغم من أنه قد يكون من

---

(٤٨٦) فيما يتعلق بهذا الجزء والأجزاء الثلاثة السابقة ، انظر مقالى « عدوة ١٨٩٦ » القوة والاحتجاج ، ص ١١٣ - ١٢٩ ، المصادر وآداب اللغة مذكورة هناك .

الصعب على الاوروبيين التفكير بهذه الطريقة ، فان قاعدة قوة كريسبى ، كانت مساحتها ضيقة بل وكانت مهزوزة ولم تكن هذه هى الحال بالنسبة لمينيليك . فايطاليا هى التى زادت من توسعها فى افريقيا ، فى الاوجادين أو ويلامو وليس مينيليك .

ان خطأ الايطاليين ، مثل اوروبيين آخرين ، هو افتراض أن الفرقة والمنافسة يمكن أن تستخدمها قوة أجنبية كقضية مسلمة ضد وحدة واستقلال الدولة الأثيوبية ، وبمعنى آخر ، كان هذا عملا ينم عن خيانة مسبقة .

وقد يكون مينجيشا يوهانس الذى يعتبر نفسه أفضل من الامبراطور فيما يتعلق بحقه فى العرش ، راغبا فى التعاون للاطاحة بالامبراطور ، ولكن ليس هناك سبب يدعو الى الاعتقاد بأنه ومؤيده الولا كانا سوف يوقعان على ما من شأنه أن يضر باستقلال أثيوبيا أو أية اراضى قد يكون فى استطاعتهما الحفاظ عليها . وهناك العديد من الرؤساء الأثيوبيين ذكروا أنهم يحبذون الحكم الايطالى ، ولكن من فيهم تقدم وأعلن ذلك ؟ . ومن الصعوبة الحكم على أى مدى تم خداع الايطاليين نتيجة أوهامهم وتخيلاتهم أو بسبب الخداع المتعمد لبعض الرؤساء فى المراحل الأخيرة من الصراع ، وقد اعترف باراتيرى بأنه لم يعرف عمليا على الاطلاق من سيكون معه ، ومن سيكون على الحياد ، أو من سيكون ضده [٤٨٧] .

وفى اللحظة الحرجة ، حصل مينيليك على ولاء كل رئيس مهم فى البلاد . وحضر الاعداء القدامى أو المنافسين مثل راس ميخائيل حاكم ويللو ونيجوس تيكلى هيمانوت حاكم جوجام فى عدوة ، مع ميكونين (الذى قد يكون قد أعفى نفسه من مشكلة أمن هرارى) ورجال الشمال العظام . وفى الواقع ، عاد اكبر حليفين هامين فى تيجرى الى الجانب الأثيوبى مع ٦٠٠ رجل قبل اسبوعين فقط من معركة عدوة [٤٨٨] . وكانت هناك أنباء تقول أن اباشى ـ بازوكس) الحاكم الارتيرى رفض دخول المعركة مبررا ذلك بأنه ، بالرغم من اننا نأخذ أموالهم ، فاننا لن نقاتل بلدنا وملكنا [٤٨٩] . وهذا التصريح يعكس الجانب الايجابى الذى لم يتم المساومة عليه والذى وصفه باراتيرى بأنه « مظهر لفكرة القومية فى شكل كراهية ضد البيض [٤٩٠] . وليس من الضرورى أن نبرهن هنا أن هذه الفكرة أو الشعور الذى كان موجودا أو مفهوما وسائدا فى اطار القومية الاوروبية فى القرن التاسع عشر . والحقيقة الهامة هى ان هذه القومية موجودة وقد عملت على تحويل الجماهير على كل المستويات ضد أى رئيس كان قد قرر التعاون مع الايطاليين فى لحظة حاسمة . ولقد كان ابعاد مينيليك ليس حلا للمشكلة . حيث كان وراء القادة شعور « الارتباط بالبلد والملك » (النظام استخدمه يوسف ، سكرتير مينيليك من شهرة ويشالى) . وفى عدوة ، رأى الايطاليون فى النهاية

---

(٤٨٧) أوريستى باراتيرى ، ذاكرة افريقيا ، (١٨٩٢ ـ ١٨٩٦) (تورينو ، ١٨٩٨) ص ٢٢٣ .

(٤٨٨) وثيقة دبلوماسية ، ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ ، ٢٣ ، ص ٢٤٧ ، من باراتيرى الى موسينى ، ١٣ فبراير ، ١٨٩٦ .

(٤٨٩) معرض فن توثيق الكتب ، باريس ، اثيوبيا ٢٦٩٠ ، رقم ٣٦ ، من يوسف الى مونلون ـ فيدالهيت ، ٣١ ، س ١٨٩٦ .

(٤٩٠) باراتيرى ، ذاكرة ، ص ٤٨ .

انهم لم يحسنوا تقدير قوة الشعب الأثيوبى .

ويجب أن يذكر فى النهاية أنه كانت هناك آفاق أخرى خاصة بسوء تقدير قوة الايطاليين ، تتعلق بشكل خاص بحملة عدوه . فالبرغم من أن الايطاليين كانوا يعرفون جيدا أن مينيليك يستطيع تعبئة مائة ألف رجل ، الا أنهم لم يعتقدوا أنه قد يستطيع السير باكثر من ٣٠ ألف رجل بعيدا عن تيجرى بسبب ضعف المؤن .

ومن المفترض تقليديا أن الجنود الأثيوبيين مثل المسافرين الآخرين يحملون معهم أمتعتهم الشخصية ، التى تحتوى على بعض الحبوب واللحوم الجافة ، والسلع التموينية الأخرى . وحتى اذا كان لديهم حمالون ودواب ، فان هذا لن يبقى الحملة سوى عدة شهور . لذلك لم يكن أمامهم الا السلب أو العودة . ومع ذلك ، خطط مينيليك لحملة عدوة ، حيث وضع لها خطوط تموين أكثر حداثة وأنشأ مخازن على طول الطريق . وبعد شهرين من المسير ، ما يقرب من ٦٠٠ كيلومتر من أديس ابابا ، علق كرونسلر على الحقيقة الملحوظة بأن gibbin غذاء الملك لرجاله كاملا . وكان الجنود لم يفتحوا بعد حقائبهم الخاصة بالاحتياطى [٤٩١] .

وفى تيجرى ، بالطبع ، لم يسمح لمينيليك باقامة مخازن ، وفى النهاية بدأ الطعام ينفد من الجنود وكانت العودة سيرا على الأقدام صعبة جدا من وجهة النظر هذه . ولكن جيش مينيليك بدأ السير لمسافة ألف كيلو متر من أديس ابابا وحققوا النصر . حيث أرغموا باراتيرى على الهجوم لان المؤن نفدت من على بعد ١٠٠ كيلو متر من عاصمته أسمرة . ومرة أخرى ، كان الأثيوبيون يسبقون سمعتهم . كان نفس الشىء ينطبق على الناحية العسكرية ، فالعديد من الجنود الأثيوبيين قد كانوا لا يزالون يقاتلون مثل المقاتلين التقليديين فى حدود وحداتهم الأصغر نسبيا . ولكن كل حسابات المعركة تشير الى أن قوة النيران ، بما فى ذلك المدفعية قد استخدمها الأثيوبيون بفاعلية كما كان لدى الجنرالات نظرة شاملة وخططوا لمراحل المعركة من أجل النصر الكامل الذى تمثله عدوة . وباختصار ، مرة أخرى ، لم تكن القيادة الأثيوبية أقل من الايطالية فى المعركة فهى التى قررت نتيجة النضال الأثيوبى من أجل البقاء فى فترة « الانتشار فى أفريقيا » .

---

(٤٩١) جيرى سيلاسى ، مينيليك ، ص ٢٣٨ .

خاتمة :

ان اتصالات أثيوبيا وصراعاتها مع دول أخرى فى القرن التاسع عشر (أو مع ممثليهم من نوع أو آخر) تحتوى على العديد من العناصر المتباينة والمتصارعة لا تسمح بالتوصل الى تسلسل وملخص مرتب وغير مثير للجدل ، فلقد كان النفوذ والمصالح الأجنبية عديدة ومتنوعة ، وفيما يتعلق بمسالة العلاقات الخارجية فى عهد مينيليك ، نجد أنها تختلف تماما عن تلك التى كانت سائدة فى عهد جوجسا وويلدى سيلاسى . ولقد تم تلخيص بعض اكثر التطورات دلالة لفترتى ما قبل تيودور ، وتيودور ، فى نهاية الجزءين ٣ ، ٤ نسبيا . وفى الجزء الخامس . وقد حاولت أن أقدم مادة كافية لمعرفة كيف تم النضال من أجل البقاء والفوز به . ولقد جاءت ملاحظاتى الختامية ردا على السؤال الذى أثير فى الجزء الأول من مقدمة هذا الكتاب والذى يمكن ، بناء على ذلك ، أن يتم تلخيصها بوضوح :

أولا : ان مميزات اثيوبيا الجغرافية لم تلعب تقريبا دورا على الاطلاق فى الحفاظ على استقلالها . كما أن التسلل من الساحل لم يكن ممكنا فقط ، ولكنه كان سهلا بشكل واضح فى عدة نقاط من مصوع الى زيلا ، وفى الواقع كان ذلك موضوعا ثابتا فى تاريخ اثيوبيا الطويل . كما اننا شاهدنا أيضا أن المكتشفين ، والمبشرين والقناصل الاوائل ، اكتشفوا أن مرتفعات اثيوبيا غنية ومناسبة للاستعمار . وعندما وصلت الجيوش ، تحولت لتكون اكثر صعوبة أمام الأثيوبيين لمقاومتها فى الاراضى المنخفضة (سياتى ١٨٨٨ ، على سبيل المثال) اكثر مما كان عليه الوضع امام المصريين والاوروبيين لدخول المرتفعات . وحقيقة ، ان الممرات الضيقة العميقة والممرات الجبلية الضيقة التى تكثر فى شمال اثيوبيا تعطى مزايا عظيمة للمدافع ، وتتيح استخدام تكتيكات حرب العصابات أو تكتيك التحصينات على نطاق واسع . وبالرغم من ذلك ، لم يكن من الطبيعى أن يدخل الأثيوبيون فى حرب عصابات بسبب عنصر الفروسية فى تقاليدهم العسكرية . وكانت هذه هى مهنة shifta, المحظورة . وعلى الجانب الآخر ، فان التصور الخاص بالتحصينات ، من ناحية أخرى ، لم يكن بعيدا عن اقامة بعض التصميمات البسيطة لاقامة ملاجىء للأفراد ، أو خزينة أو سجن منيع ، ان الفكرة القائلة بأن المرتفعات الأثيوبية الضخمة قد وظفت كحصن طبيعى أمام كل الشعوب الاوروبية هى فكرة خاطئة . وعلى أى مستوى ، لم يتم توظيفها لهذا الغرض فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

وقد واجه نابير صعوبات ضخمة خلال مسيرة جيشه البريطانى ـ الهندى الى ميجديلا ، وانسحابه حيث لم يكن له علاقة بالطبيعة الجبلية لأثيوبيا . وقد كان لدى الجيوش المصرية فى عامى ١٨٧٥ و١٨٧٦ القدرة على اختراق الحدود الجبلية لحماسين واكيلى جوزى عندما تم الهجوم عليهما وتدميرهما . وقام المهديون بسلب جنذير وسهول ديمبيا عامى ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ ، كما عبر الايطاليون بعض القرى الجبلية الأثيوبية عندما توقفوا نهائيا عند آمبا الآجى عام ١٨٩٥ .

ثانيا : ان الانطباع السائد بأن اثيوبيا استطاعت البناء ، بطريقة أو بأخرى رغم « التزاحم والانتشار » لان المصلحة فى خضوعها واستغلالها كانت ضعيفة ومتفرقة هو انطباع زائف . والتحول الأكيد جاء مع الظروف الاقتصادية والسياسية فى اوروبا ، ولكن بشكل عام الموارد المصدرة والاسواق المحتملة وتواجد الاراضى الزراعية الجيدة ، أخذت كقضية مسلمة ، لذلك ، كانت الأهمية الاستراتيجية للبلاد ، تم التعبير عنها فى بنود خاصة بمياه النيل والطريق البحرى الجديد للهند والشرق الأقصى . وكان الضغط الفرنسى والبريطانى من أجل الحصول على سيطرة تجارية ونفوذ سياسى كان مستمرا تقريبا من القرن الثامن عشر والأربعينيات حتى اواسط الستينيات . وقد ألغت المنافسة العديد من الجهود الصغيرة ، ولكن لم يكن هناك شىء فريد فى هذا ، فقد حدث ذلك فى كل انحاء افريقيا .

ومن ناحية أخرى ، فان الحالة الغريبة للانسحاب البريطانى من كل تورط مباشر فى اثيوبيا بعد المسيرة الناجحة الى ميجديلا ، وعشية افتتاح قناة السويس تعود الى المنافسة فى المعسكر الاوروبى . وكان هذا نتيجة المقاومة التى كان تيودور قد احتفظ بها بشكل عنيد ضد منح حقوق خاصة وامتيازات للأوروبيين فى بلاده . وفى وقت لاحق تطلعت بريطانيا الى « حياد محبب » عندما شنت مصر وايطاليا حملاتهما الدبلوماسية والعسكرية الكبرى لعزل وتدمير اثيوبيا . ومهما كان وجه المعارضة الخارجية والداخلية لاسماعيل وكريسبى نسبيا ، فانها لم تكن هى المعارضة التى توقف الجيشين المصرى والايطالى . وفى عام ١٨٧٥ ، وليس بعد ١٨٩٥ ، لم يكن هناك نقص فى التصميم على اخضاع اثيوبيا ، وفى التحليل النهائى ، نجد أن الشعب الأثيوبى وحده هو الذى منع حدوث ذلك .

ثالثا : الأسباب الرئيسية الخاصة بالرد على التساؤل الخاص بلماذا نجح الأثيوبيون فى تحييد المحاولات الرامية الى تقسيم البلاد (ويبى ف على ، نيجوس ف . تيودروز ، مينيليك ف يوهانس ، أو تيجرى ف أمهرا) أو الحد من سيادتها وفى النهاية اخضاعها توجد بشكل كبير فى الوعى الخاص بالكرامة الدينية والوطنية اكثر من وجودها فى الموارد المادية .

ان الوعى بالهوية المنفصلة كان جزءا من التراث الخاص بالقرون السابقة . كما أن وصف مينيليك المعروف لأثيوبيا بأنها « جزيرة مسيحية وسط بحر من الوثنيين » لم يلفق بسبب خطابه الذى بعث به الى عدد من ملوك اوروبا بشأن الحدود عام ١٨٩١ ، كما أن ويلدى سيلاسى استخدم نفس الكلمات تقريبا الى جورج الثالث عام ١٨١٠ . ورغم ذلك ، كانت اكثر من مجرد تساؤل حول المسيحية .

ومن مرثاة ويلدى سيلاسى الى جورج الثالث ، انه لم يكن فى أثيوبيا فى هذه اللحظة ملك أرثوذكسى وفى ضوء ملاحظة ميكونين الى نيكولاى الكسندر وفيش عام ١٨٩٢ ، لم تكن فى اوروبا مملكة أرثوذكسية عدا موسكو ، التى كانت بمثابة ضمير الأرثوذكسية الذى يسير مثل الخيط من خلال التعامل مع الفرنجة(٤٩٢) . وهذا لايعنى أن الأثيوبيين كانوا متعجبين وغير مختلطين ،

(٤٩٢) مصدر سابق ، ص ٤٩ - ٥٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ .

وللحقيقة ، فانه من عبد الله باشا وعلى عمر فى بلاط تيجرى فى العقود الاولى من القرن الى مبعوث مينيليك الى الخليفة ، محمد الطيب ، فان الأثيوبيين المسلمين وجدوا مكانا كمؤتمنين على أسرار الحكام ولم يكن البروتستانت ولا الكاثوليك مبعدين عن مشورة الملوك . وبالرغم من ذلك ، نجد أن الاتجاه الخفى كان لا يمكن أن تخطئه العين ويمكن أن يظهر بين الشعب فى الحظات الحرجة ، ان الوعى والارتباط بالملكية ، بشكل مباشر أو من خلال النظام الاقطاعى الهيراركى ، قد ساهم أيضا فى نمو الوعى القومى والتماسك ، بالرغم من احتمال انتشارها بشكل أقل . وبالرغم من ضعف هيكل الدولة الأثيوبية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الا أن بريطانيا وفرنسا اعترفتا بوجود دولة أثيوبية ، يجب أن يتعاملا معها على قدم المساواة . وكدولة ملكية مسيحية ذات تاريخ طويل ، كان من الواضح أن لأثيوبيا مزايا معينة عن معظم السياسات الافريقية الأخرى . ومعظم التقاليد السياسية الأثيوبية لها صلة مع تلك الاوروبية . ووجدت طبقة من مسئولى البلاط المتعلمين . وعادة ، اشتركوا فى ايجاد حلول وسط للصراعات السياسية والكنسية ، وعهد اليهم بتسجيل المنح والخطب ، ولم يكونوا حديثى العهد بفن الدبلوماسية .

ان ما أنقذ اثيوبيا حقا من السقوط تحت نير الحكم الاستعمارى هو التصميم المستمد من ميراث الوعى القومى ، والاعتراف الدولى والمهارات السياسية/ الدبلوماسية التى تم تنميتها لمواجهة التحديات الجديدة . وجاءت الحقيقة هى أن التهديدات الجدية الاولى من أوعبر تسهيل مصر للعمل الموحد لتيودور ويوهانس . كان صراعا مفهوما من خلال اطار الخبرة الجماعية الماضية .

ان الاتجاه نحو الاوروبيين كان متأرجحا مع تمثيل تيودور لوجهة النظر المتطرفة فيما يتعلق ببنود الفخر والقومية الغير لقابلة للمساومة والتواضع والرغبة فى المنافسة . ولكن من المهم أن نذكر أنه كان فريدا فى افراطه وفى فشله النهائى . وقد حدثت عملية تعليمية ذات دلالة كبيرة على المستويات العليا للمجتمع الأثيوبى التقليدى وأيضا بين الشباب الذين انجذبوا الى المبشرين والمسافرين الأخرين . وبالطبع ، كانت هذه العملية ضيقة ، ولكنها قدمت نظرة جديدة ومهارات كانت مطلوبة خلال النضال الأثيوبى من أجل البقاء عليها كدولة مستقلة . ومن الجدير بالذكر أن ويلدى سيلاسى وبلاطه بعد زيارة سولت الثانية لم يعرف طريقا آخر لمعرفة جورج الثالث سوى الحاقه بالشعب الهندى وأن بعثة سيباجا ديس الدبلوماسية الى القاهرة ولندن قد أوكلت الى مسلم أثيوبى يعرف قليلا من العربية ورجل انجليزى كان قد نسى تقريبا لغته الأم . وفى نهاية القرن زار أعضاء بارزين من حكومة مينيليك اوروبا فى مهمة عمل دبلوماسية وتجارية هامة . ولم يكن هناك فى البلاط مشكلة بشأن استدعاء سكرتيرين يتحدثون الفرنسية والانجليزية والألمانية ، وبالطبع حل محل بنادق « المسكيت » القديمة الطراز التى كانت سائدة فى القرن السادس عشر بنادق « تعمر من مؤخرتها » ، وبنادق آليه ومدافع كان الأثيوبيون يعرفون كيف يتعاملون معها .

ان سخرية العملية التعليمية فى القرن التاسع عشر التى خلقها التفاعل السلمى والصراعى بين الأثيوبيين وحراسهم المستقبليين واعدائهم هى أن نظرة التحيز العنصرية المتزايدة هى التى دفعت الاوروبيين الى احتقار الأثيوبيين .

ومع نهاية القرن ، كان هناك حقيقة بديهية سائدة فى اوروبا هى « الأفارقة ليس لهم وطن الأجداد » . ولم يدرك الأثيوبيون هذا ، وبالرغم من أنهم دفعوا ثمنا غاليا بفقدهم أريتريا تدريجيا ، كما أن الوسائل الدبلوماسية ولا والعسكرية لم تكن كافية لفرض حكم أجنبى على الأمة ككل .

مختصرات

AAPA	الارشيف السياسى - وزارة الخارجية - بول
ACS	الارشيف المركزى للدولة - روما
ADEN	سجلات الرياسة - عدن (الآن فى مكتبة المكتب الهندى - لندن)
AE(Brussels	ارشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية بروكسل
AECC	مراسلات تجارية ، ارشيف الخارجية - باريس
AECP	مراسلات سياسية ومراسلات سياسية للقناصل ، ارشيف وزارة الخارجية - باريس
AECP(Brussels)	مراسلات سياسية ، ارشيف وزارة الخارجية والتجارة الخارجية - بروكسل
AED	الارشيف الدبلوماسى لوزارة الخارجية - باريس
AEMD	مذكرات ووثائق ، ارشيف وزارة الخارجية - باريس
AN .AP	الارشيف الخاص ، الارشيف القومى ، باريس
ANNALES	سجل أبرشية البعثة
AP.DD	مراسيم برلمانية ، وثائق دبلوماسية
APE.SRC	الكتاب المشار اليهم فى المؤتمر - الارشيف الاعلامى - روما
APR	ارشيف القصر الملكى - بروكسل
ASMAE	ارشيف تاريخ وزارة الخارجية - روما
ASMAI	ارشيف تاريخ وزارة افريقيا الايطالية - روما
AVA	ارشيف الاسقفية البابوية - أسمره
AVPR	ارشيف السياسة الخارجية الروسية - موسكو
BASEL	ارشيف بعثة بازل - بازل
BM	المتحف البريطانى - لندن
BN	المكتبة القومية - باريس
BSG	نشرة الجمعية الجغرافية
BSGI	نشرة الجمعية الجغرافية الايطالية
CUL	ابرشية البعثة (دار لازاريست) باريس
CUR	سجل مبشر الكنيسة
CUS	ارشيف جمعية مبشر الكنيسة - لندن
CRO	مكتب السجلات المركزية - الخرطوم
DZA	الارشيف الألمانى المركزى - بوتسدام
EHB	المسيحى البروتستانت
ENA	لارشيف القومى - القاهرة
FO	سجلات وزارة الخارجية - مكتب السجلات العامة - لندن
GS	رشيف الدولة السرى - برلين - دالم
HHS	لارشيف العام - وأرشيف الدولة - ارشيف النمسا - فيينا

IO	سجلات ومكتبه الهندى - لندن
JAH	مجلة التاريخ الأفريقى
JES	مجلة الدراسات الاثيوبية
JSS	مجلة الدراسات السامية
MMUT	مجلة التاريخ الحديث للارساليات البروتستانتية وجمعيات الكتب المقدسة
NOUR ELLES	الحوليات الجديدة للرحلات - وللجغرافيا ولتاريخ الأثريات
PETER Mamm	معلومات من جوستوس برتس . المعهد الجغرافى لبيترمان
P.P. Common	اوراق برلمانية - مجلس العموم
Proceedings	محاضر المؤتمر العالمى الثالث للدراسات الاثيوبية - أديس ابابا - ١٩٦٦
RANL	تقارير الإكاديمية القومية فى لينش
REHO	المجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحار
RO(Paris)	مجلة الشرق
RO(Warsaw)	مجلة الشرق
RRAL	تقرير الأكادمية الملكية فى لينش
RS	المجلة السامية
RSE	مجلة الدراسات الاثيوبية
SNR	مذكرات وسجلات السودان
SOM	ارشيف الوزارة الفرنسية لما وراء البحار - الارشيف القومى قسم أعالى البحار - باريس
SP.BAGU	ارشيف الرياسة - الباب العالى - استامبول
SP.HNA	ارشيف وزارة الخارجية - الباب العالى - استامبول
SPITTLer- Archiv	ارشيف سبيتلر الخاصة ٦٥٣ ، ارشيف مقاطعة كانتون - بازل
TU	جولة حول العالم
Vatican	المكتبة الرسولية بالفاتيكان

سيمن أقاليم ، مقاطعات
عقار شعوب ، جماعات عرقية كبيرة
باريا وحدات أخرى ذات طبيعية عرقية / إقليمية

حدود إقترحتها إيطاليا خلال مفاوضات ويشالى .
حدود قبلها مينيليك فى معاهدة ويشالى ١٨٨٩ .
حجم الإدعاء الإيطالى قبل معركة عدوى .
خط ميريب - بيلسيا - مونا الذى قبله مينيليك عام ١٩٠٠

شمال
١٦°
٣٨°
٤٠°
١٤°
٤٢°
٠ ١٠٠ كم
٠ ١٠٠ ميل
جزر دهلاك
بوجوس
جليب
كيرين
كوفت
باريا
عاوى
عيليت
مصوع
وى
زولا
اسمرة
شيكتيت
ديبارو
شيرى
أجاش
عادى كوالا
كوزى
عرفالى
اساويدتا
اكيلى
عنفيلا
أديجرات
مونا
انتيشو
عدوى
اكوم
ايديجاهاموس
هاوزن
بحيرة عسالى
ايد
ميكيلى
تيمبين
انتبالو
أنديرتا
عقار (دناقل)
بيلول
ويجيرة
جونديرة
أمبا الآجى
لاشنج
رايا
واج

فهرس

الموضوعات

ص

الموضوعات

الموضوعات





١٩٩٧

ماكيت : چيهان الجبالى

Website : http : // www . SIS . gov . eg

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات



١٩٩٧

Website : http : // www . SIS . gov . eg

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات